

الحافظ ابن كثير

البيد الحياتية

مكتبة المعارف بيروت







الحافظ ابن كثير  
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

# الْبُرْدَانِيُّ وَالنَّهْشَابِيُّ

الجواز السبع

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح  
قامت بها هيئة باشراف الناشر

الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م  
بيروت - لبنان

مكتبة المرمراريف  
ص. ب. ١٧٦١ - ١١  
بيروت

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ثم دخلت مكة سنة أربع وسبعين

فيها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ،  
فقدمها فأقام بها أشهراً ثم خرج منسجراً ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر ، وبنى في بني  
سلمة مسجداً ، وهو الذي ينسب إليه اليوم ، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة شتم جابراً  
وسهل بن سعد وقرعهما لم لا نصراً عثمان بن عفان ، وخطبهما خطاباً غليظاً قبحه الله وأخزاه ،  
واستقضى أبا إدريس الخولاني أظنه على اليمن والله أعلم . قال ابن جرير : وفيها نقض الحجاج  
بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناه وأعادها على بنيانها الأول ، قلت : الحجاج لم ينقض بنيان  
الكعبة جميعه ، بل إنما هدم الخائط الشامي حتى أخرج الحجر من البيت ثم سدده وأدخل في جوف  
الكعبة ما فضل من الأجرار ، وبقية الحيطان الثلاثة بحالها ، ولهذا بقي البنيان الشرقي والغربي وهما  
ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، واسكن سد الغربي بالكعبة وردد أسفل الشرقي حتى  
جعله مرتفعاً كما كان في الجاهلية ، ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي  
الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما تقدم ذلك من قوله : « لولا أن قومك  
حديث عهدم بكفر - وفي رواية - بجاهلية لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها باباً  
شرقياً وباباً غربيّاً ، ولأصغرتهم بالأرض ، فان قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم

يتممها على قواعد إبراهيم ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا . فلما تمكن ابن الزبير بناها كذلك ، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : وددنا لو تركناه وما تولى من ذلك وفي هذه السنة ولي المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن مروان أن يجهز المهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والكوفة ، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عينه عبد الملك في كتابه . فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه العزوة : وما كان له من الأمر شيء ، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الله بن مخنف أن يستبد بالأمر دونه ، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة ، فسار المهلب بأهل البصرة وأمراء الأرباع معه على منازلهم حتى نزل براهمرمز ، فلم يبق عليها إلا عشراً حتى جاء نعي بشر بن مروان ، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فأرخصي بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبعثوا في آثارهم من يردمهم ، وكتب خالد ابن عبد الله إلى الفارين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك ، فعدلوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان ، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحلم فركبها ثم ساروا إلى بعض البسلاذ فلم يزالوا مخنفين بها حتى قدم الحجاج واليا على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتي بيانه قريباً .

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح التميمي عن إمرة خراسان وولاه أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس فانه قد كادت الفتنة تتفقم بخراسان بعد عبد الله ابن خازم ، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بكير بن وشاح أن يكون على شرطته فأبى وطلب منه أن يوليه طخارستان تخوفوه منه أن يخلعه هنالك فتركه مقبياً عنده . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها الحجاج وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن واليمامة . قال ابن جرير : وقد قيل إن عبد الملك اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري ، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها ، وصفين مع علي وكان يتعانا المزارع والفلاحة ، توفي وهو ابن ستة وثمانين سنة ، وأسنده ثمانية وسبعين حديثاً . وأحاديثه جيدة . وقد أصابه يوم أحدسهم في ترقوته تغيره رسول الله (ص) ، بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه العطبة ويشهد له يوم القيامة ، فاختره هذه ، وانتقض عليه في هذه السنة فأت منه رحمه الله .

ابو سعيد الخدري

هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل من فقهاء الصحابة استصغر

يوم أحد ، ثم كان أول شاهده الخندق ، وشهد مع رسول الله .س. ، ثلثي عشرة غزوة ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ، كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلماؤهم . قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين وقيل قبلها بعشر سنين فآله أعلم .

قال الطبراني : حدثنا المقدم بن داود ثنا خالد بن نزار ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري . قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ فقال : « النبيون قلت : ثم أي ؟ قال ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا السترة - وفي رواية - إلا العباءة أو نحوها ، وإن أحدهم ليبتلى بالثقل حتى يئذ القمل ، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء . » وقال قتيبة بن سعيد : ثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري : أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله .س. ، يسأل لهم شيئاً ، فواقفه على المنبر وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستغفروا عن المسألة فإنه من يستغفر يعفه الله ومن يستغفر يعنه الله ، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن أيتم إلا أن تسألوني لأعطينكم ما وجدت . » وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه .

#### عبدالله بن عمر

ابن الخطاب القرشي العدوي . أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم وهاجرا وعمره عشرة سنين ، وقد استصفر يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق أجازته وهو ابن خمس عشرة سنة فشهدا وما بعدها ، وهو شقيق حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، أمهما زينب بنت مظنون أخت عثمان بن مظنون ، وكان عبد الله بن عمر ربة من الرجال آدم له جمة تضرب إلى منكبيه جسيماً يمتضب بالصفرة ويحني شاربته ، وكان يتوضأ لكل صلاة ويدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أرادته عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجولاء وما بينهما من وقائع الفرس ، وشهد فتح مصر ، واختط بها داراً ، وقدم البصرة وشهد عز و فارس وورد المدائن مراراً وكان عمره يوم مات النبي .س. ، ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله يقر به إلى الله عز وجل ، وكان عبيده قد عرفوا ذلك منه ، فربما لزم أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحال أعتقه ، فيقال له : إنهم يخدعونك ، فيقول : من خدعنا الله نخدعنا له ، وكان له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها لمولاه نافع ، وقال : إن الله تاملني يقول [ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ] واشترى مرة بيراً فأعجبه لما ركبه فقال : يا نافع أدخله في إبل الصدقة ، وأعطاه ابن جعفر نافع عشرة آلاف فقال : أو خيراً من ذلك ؟ هو حر لوجه الله ، واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً وأعتقه فقال الغلام :



يامولاي قد أعتقتني فهب لي شيئاً أعيش به فأعطاه أر بعين ألفاً ، واشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلّي فقاموا خلفه يصلون فقال : لمن صليتم هذه الصلاة ؟ فقالوا : لله ! فقال : أنتم أحرار لمن صليتم له ، فأعتقهم . والمقصود أنه مات حتى أعتق ألف رقبة ، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وكانت تمضي عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يذوق فيه لحماً إلا وعلى يديه يتم ، وبعث إليه ماء وية بمائة ألف لما أراد أن يبائع ليزيد ، فما حال عليه الجول وعنده منها شيء ، وكان يقول : إني لا أسأل أحداً شيئاً ، وما رزقني الله فلا أردد . وكان في مدة الفتنه لا يأتي أمير إلا صلى خلفه ، وأدى إليه زكاة ماله ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، وكان يقتبع آثار رسول الله ﷺ ، يعمل فيها ، حتى أن النبي ص . نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتابعها ويصب في أصلها الماء ، وكان إذا فاتته المشاء في جماعة أحياناً تلك الليلة ، وكان يقوم أكثر الليل ، وقيل إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه ، وكان يوم مات خيراً من بقي ، ومكث ستين سنة يفتي الناس من سائر البلاد ، وروى عن النبي ﷺ ، أحاديث كثيرة ، وروى عن الصديق وعن عمر وعثمان وسعد وابن مسعود وحفصة وعائشة وغيرهم . وعنه خلق منهم بهو حمزة وبلال وزيد وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر إن كان محفوظ ، وأسلم مولى أبيه وأنس بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاوس وعروة وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن سيرين والزهرى ومولاه نافع .

وثبت في الصحيح عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « إن عبداً لله رجل صالح لو كان يقوم الليل » . وكان بعد يقوم الليل ، وقال ابن مسعود : إن من أملاك شيباب قریش لنفسه عن الدنيا ابن عمر . وقال جابر : ما من أحد أدرك الدنيا إلا ماتت به ومال بها ، إلا ابن عمر ، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كرماء ، وقال سعيد بن المسيب : مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن لقي الله بمثل عمله منه ، وقال الزهرى لا يدخل برأيه فانه أقام بعد رسول الله ﷺ عشرين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضي الله عنهم . وقال مالك : بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة وأفتى في الاسلام ستين سنة ، تقدم عليه وفرد الناس من أقطار الأرض ، قال الواقدي وجماعة : توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين ، وقال الزبير بن بكار وآخرين : توفي سنة ثلاث وسبعين والأول أثبت والله أعلم .

#### عبيد بن عمير

ابن قتادة بن سعد بن عامر بن خندع بن ليث ، الليثي ثم الخندعي ، أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة ، قال مسلم بن الحجاج . ولد في حياة النبي ﷺ . ، وقال غيره وراه أيضاً ، وروى عن أبيه ، وله صحبة ، وعن عمر وعلى وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبيد الله بن عمر وأم سلمة وغيرهم .

وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، ووثقة ابن ميمون وأبو زرعة وغير واحد . وكان ابن عمر يجلس في حلقتيه ويبيح وكان يعجبه تذكيره ، وكان بليغاً ، وكان يبكي حتى يبيل الحصى بدموعه . قال مهدي ابن ميمون عن غيلان بن جري قال : كان عبيد بن عمير إذا آخى أحداً في الله استقبل به القبلة فتمال اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمداً شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحجة نهر متداول علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم . وحكى البخاري عن ابن جريج أن عبيد بن عمير مات قبل ابن عمر رضي الله عنه .

#### أبو جحيفة

وهب بن عبد الله السوائي ، صحابي رأى النبي (س) ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي (س) . روى عنه عدة أحاديث ، وعن علي والبراء بن عازب ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم وسلمة بن كهيل والشعبي وأبو إسحاق السبعي ، وكان قد نزل الكوفة وأبقي بها داراً وتوفي في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وتسعين فله أعلم . وكان صاحب شرطة علي ، وكان على إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره .

#### سلمة بن الأكوع

ابن عمرو بن سنان الأنصاري وهو أحد من بايع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن علمائهم ، كان يفتي بالمدينة ، وله مشاهد مرروفة في حياة النبي (س) ، وتوفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة .

#### مالك بن أبي عامر

الأصبحي المدني وهو جد الامام مالك بن أنس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً عالماً ، توفي بالمدينة .

#### أبو عبد الرحمن السلمي

مقرئ أهل الكوفة بلا مدافعة واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج ، قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وخلق غيره ، توفي بالكوفة .

#### أبو معرض الأسدي

اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي ، ولد في حياة النبي (س) ، ووفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه ، وله شعر جيد ، ويعرف بالأقطشي ، وكان أحر الوجه كثير الشعر ، توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين سنة .

## بشر بن مروان

الأُموي أخو عبد الملك بن مروان ، ولى إمرة العراقيين لأخيه عبد الملك ، وله دار بمشقة عند عقبة اللباب ، وكان سمحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان عند حجيرة ، وهو الذي قتل خالد بن حصين الكلبي يوم مرج راهط ، وكان لا يفتلق دونه الأبواب ويقول : إنما يحتجب النساء ، وكان طليق الوجه ، وكان يجيز على الشعر بألوف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل ، والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل .

قد استوى بشر على العراق \* من غير سيف ودم مہراق

وليس فيه دليل ، فان هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانياً ، وكان سبب موت بشر أنه وقمت القرحة في عينه فتقبل له يتقطعها من المفصل تجزعه فسا أحس حتى خالطت الكتف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات ، ولما اختضر جعل يبكي ويقول : والله لوددت أني كنت عبداً أرعى الغنم في البادية لبعض الأعراب ولم آل ما وليت ، فذكر قوله لابن حازم - أو لسعيد بن المسيب - ، فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يفررن إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم ، إنا لئرى فيهم عبراً ، وقال الحسن : دخلت عليه فأنذاهو يتامل على سريره ثم نزل عنه إلى صحن الدار ، والأطباء حوله . مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها . ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ففيها غزا محمد بن مروان - أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحار - صائفة الوم حين خرجوا من عند مرعش ، وفيها ولى عبد الملك نيابة المدينة ليعحي بن أبي العاص ، وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج . وفيها ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار ، وذلك بعد موت أخيه بشر ، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج اسطوته وقهره وقسوته وشهامته : فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية العراق ، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راكباً ، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وكان تحتهم النجائب ، فنزل قريب الكوفة فاغتسل واغتضب وليس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عذبة العمامة بين كتفيه ، ثم سار فنزل دار الامارة ، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يعلمون ، فصعد المنبر وجلس عليه وأمسك عن الكلام طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجنوا على الركب وتناولوا الحصى ليحذفوه بها ، وقد كانوا حصبوا الذي كان قبله ، فلما سكت أبهم وأحبروا أن يسمعوا كلامه ، فنخان أول ما تكلم به أن قال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق

والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، والله إن كان أمركم إليهم قبل أن آتى إليكم ، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بي ، ولقد سقط مني الباردة سوطى الذى أؤدبكم به ، فأتخذت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - ، ثم قال : والله لا آخذن صغيركم بكبيركم ، وحرركم بعبدكم ، ثم لأرصنكم رصع الحداد الحديدية ، والخباز المجينة . فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم ، وقيل إنه دخل الكوفة فى شهر رمضان ظهر آفئى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعمامة حمراء مثلهم بطرفها ، ثم قال : على بالناس ! فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه اللثام وقال :

أنا ابنُ جَلالٍ وطلائعُ الثنايا      متى أضغُرُ العمامةَ تعرفونى

ثم قال : أما والله إني لأجل الشئ بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأحزمه بفنله ، وإني لأرى رؤساً قد أينعت وآن اقتطانها ، وإني لأنظر إلى الدماء تفرق بين العمام واللى ، قد شمعت عن سابقها فشرى ، ثم أنشد : -

هذا أو أن الشدِّ فاشتدي زيمٌ      قد لقمها الليلُ بسواقٍ حُطَمٌ  
لست براعى إبلٍ ولا غنمٌ      ولا يجزأرٍ على ظهرٍ وصنمٌ  
قد لقمها الليلُ بمُصلبي      أروعُ خراجٍ من الدويجى  
مهاجرٍ ليس بأعرابى

ثم قال : إني والله يا أهل العراق ما أغمر بعمار ، ولا يقمع لى بالشنان ، ولقد فررت عن ذكاه وجربت من الغاية التصوى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته ثم عمج عيدياتها عوداً عوداً فوجدنى أمرها عوداً وأصلها مغمزاً فوجهنى إليكم ، فأنتم طلما رتمتم فى أودية الفتن ، وسلكتم سبيل النى ، واخترتم جدد الضلال ، أما والله لألحونكم لى العود ، ولأعصبنكم عصب السلعة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل ، إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت ، فأياى وهذه الجماعات وقبلا وقالا ، والله لتستقيمن على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده . ثم قال : من وجعت بعد ثلاثة من بعث المهلب - يعنى الذين كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر ابن مروان كما تقدم - سفكت دمه وانتهبت ماله ، ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك ، ويقال إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى أن محمد بن عمير أخذ كفا من حصى وأراد أن يمحسه بها ، وقال : قبحه الله ما أعياء وأذمه ! فلما نهض الحاجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يشعر به ، لما برى من فصاحته وبلاغته . ويقال إنه قال فى خطبته هذه : شامت الوجوه إن الله ضرب [ مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأبها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنمون ] وأنتم أولئك فاستروا

واستقيموا ، فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ، ولأعصبنكم عصب السله حتى تنقادوا ، واقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، وإيش الخبر وما الخبر ، أولأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والاولاد ينامى ، حتى شمشوا السهمى وتقلعوا عن هاها . فى كلام طويل بليغ غريب يشتمل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير .

فلما كان فى اليوم الثالث سمع تكبيرا فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، إني سمعت تكبيرا فى الأسواق ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به التهيب . وقد عصفت مجاجة تحمها قصف ، يا بنى اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الأماء والأيامى ، ألا بربع كل رجل منكم على ظلمه ، وبجس حقن دمه ويصبر موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقمة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها . قال فقام إليه عمير بن ضابى التميمى ثم الحظلى فقال : أصلبح الله الأمير إنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا ابنى هو أشب منى . قال : ومن أنت ؟ قال عمير بن ضابى التميمى ، قال : أسمعت كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم اقال : ألسنت الذى غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا ، قال أوليس هو الذى هو يقول :

هممت ولم أفعل وكذبت وليتقى فملت ووليت البكاء حلابلا

ثم قال الحجاج : إني لأحسب أن فى قتلك صلاح المضرين ، ثم قال قم إليه يا حرمى فأضرب عنقه ، فقام إليه رجل فضرب عنقه وأنتهب ماله ، وأمر فناديا فنادى فى الناس ألا إن عمير بن ضابى تأخر بعد سماع النداء ثلاثا فأمر بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فعبر عليه فى ساعة واحدة أربعة آلاف من مذبح ، وخرجت معهم العرفاء حتى وصلوا بهم إلى المهلب ، فأخذوا منه كتابا بوصولهم إليه ، فقال المهلب : قدم العراق والله رجل ذكر ، اليوم قوتل العدو . ويروى أن الحجاج لم يعرف عمير بن ضابى حتى قال له غنيسة بن سعيد : أيها الأمير ! إن هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه ، فأمر الحجاج عند ذلك بقتله :

وبعث الحجاج الحكم بن أيوب الثقفى نائباً على البصرة من جهته ، وأمره أن يشتد على خالد ابن عبد الله ، وأقر على قضاء الكوفة شريحا ثم ركب الحجاج إلى البصرة . واستخلف عن الكوفة أبا يعفور ، وولى قضاء البصرة لزاردة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة . وحج بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان ، وأقر عمه يحيى على نيابة المدينة ، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله . وفى هذه السنة ونب الناس بالبصرة على الحجاج ، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضابى قام فى أهل البصرة فخطبهم فظير ما خطب أهل الكوفة من الوعيد والتشديد والتهديد الأكيد ، ثم

أتى رجل من بني يشكر قبيل هذا عاص ، فقال : إن بي فتقا وقد عذرتني الله وعذرتني بشر بن مروان ، وهذا عطائي مردود على بيت المال ، فلم يقبل منه وأمر بقتله فقتل ، ففزع أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قنطرة رامهرمز . وعليهم عبد الله بن الجارود ، وخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة - في أمراء الجيش فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ، وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رؤس من القبائل معه ، وأمر برؤسهم فقطعت ونصبت عند الجسر من رامهرمز ، ثم بعث بها إلى المهلب قهوى بذلك وضعف أمير الخوارج ، وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف فأمرهما بمناهضة الأزارقة ، فنهضا عن معهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال ، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور ، وسار الناس وراءهم فالتقوا في العشر الأخير من رمضان ، فلما كان الليل بيت الخوارج المهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بخندق حول معسكره ، فجاؤا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز - وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل - فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه وهزمهم هزيمة منكرة ، ويقال إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الواقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشرين بقين من رمضان ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يعد مثله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى معسكره ، فجعل عبد الرحمن يمد يده بالليل بعد الخليل ، والرجال بعد الرجال ، فالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بعد العصر فاقتتلوا معه إلى الليل ، وقتل عبد الرحمن في أثناء الليل . وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصباح جاء المهلب فصلى عليه ودفنه وكتب إلى الحجاج بمهلكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعزیه فيه فنعاه عبد الملك إلى الناس بمي ، وأمر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطبع المهلب ، فكره ذلك ولم يجسد بدآ من طاعة الحجاج ، وكره أن يخالفه ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهراً ومصيبه كثيراً ، ثم تقاولا فهم المهلب أن يوقع بعتاب ثم حجز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك ، وجعل المهلب مكانه ابنة خبيث بن المهلب .

وفيهما خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس ، وكان يرى رأى الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والبطين وأشباههم من رؤس الخوارج ، واتفق حج أمير المؤمنين عبد الملك فهم شبيب بالفتك به ، فبلغ سبب الملك ذلك من خبره بعد انصرافه من الحج ، فكتب عبد الملك

إلى الحجاج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسرح هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والاقامة بها ، وكان له جماعة يلوذون به ويعتقدونه ، من أهل دارا وأرض الموصل ، وكان يعلمهم القرآن ويقص عليهم وكان مصفراً كثيراً العبادة ، وكان إذا قص يحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويبحث على ذكر الموت ويترحم على الشيخين أبي بكر وعمر ، ويثني عليهما ثناء حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان فيسبه وينال منه وينكر عليه أشياء من جنس ما كان ينكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من فجرة أهل الأمصار ، ثم يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، ويهون عليهم القتل في طلب ذلك ، ويندم الدنيا ذمماً بالتمام ، ويصغر أمرها ويحقره ، فالتفت عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجي يستبطئه في الخروج ويحثه عليه ويندب إليه ، ثم قدم شبيب على صالح وهو بدارا فتواعدوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية - وهي سنة ست وسبعين - وقدم على صالح شبيب وأخوه مصاد والمجال والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مائة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل محمد بن مروان فأخذوها ونفروا بها ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان ، كما سند كره في هذه السنة التي بعدها إن شاء الله تعالى وكان ممن توفى فيها في قول أبي مسهر وأبي عبيد - العرياض بن سارية رضي الله عنه السلمي أبو نجيح سكن حمص وهو صحابي جليل ، أسلم قديماً هو وعمر بن عنبسة ونزل الصفة ، وكان من البكائين المذكورين في سورة براءة كما قد ذكرنا أسماءهم عند قوله [ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ] الآية . وكانوا ، تسعة وهو راوى حديث « خطبنا رسول الله ، س » ، خطبة وجات منها القلوب وزفت منها العيون » الحديث إلى آخره . ورواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وغيره ، وروى أيضاً أن النبي (ص) ، « كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة » وقد كان العرياض شيخاً كبيراً ، وكان يحب أن يقبضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك ، وروى أحاديث .

#### أبو ثعلبة الخشني

صحابي جليل شهد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان ممن نزل الشام بداريا غربي دمشق إلى جهة القبلة ، وقيل ببلاد قرية شرق دمشق فأنه أعلم . وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها جرنوم بن ناشر ، وقد روى عن رسول الله (ص) ، أحاديث وعن جماعة من الصحابة ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم سميد بن المسيب ومكحول الشامي وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الأيرمي ، وكان ممن يجالس كعب الأحمبار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيستذكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عز وجل ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا يخنقني الله عند الموت كما أراكم تخنقون ،

فبينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت زوجته وهو ساجد . ورأت ابنته في المنام كأن أباهما قد ماتا فانتبهت ، مذعورة فقالت لأبها أين أبي ؟ قالت : هو في مصلاه ، فنادته فلم يجبها ، فجاءته فخر كنه فسقط جنبه فاذا هو ميت رحمه الله ، قال أبو عبيدة ومحمد بن سعد وخليفة وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين ، وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية فأنه أعلم . وقد توفي في هذه السنة .

#### الأسود بن يزيد

صاحب ابن مسعود ، وهو الأسود بن يزيد النخعي من كبار التابعين ، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهب عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمره . وكان يهل من الكوفة ، توفي في هذه السنة ، وكان يصوم حتى يخضر ويصفر ، فلما احتضر بكى فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالي لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مؤي ؟ والله لو أنبتت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيياً منه .

#### حمران بن أبان

مولى عثمان بن عفان كان من سبي عين الثمر اشتراه عثمان ، وهو الذي كان يأذن الناس على عثمان توفي في هذه السنة والله سبحانه أعلم .

#### ثم دخلت سنة ست وسبعين

كان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتمع صالح بن مسرح أمير الصفرية ، وشيبب ابن يزيد أحد شجعان الخوارج ، فقام فيهم صالح بن مسرح فأمرهم بنقوى الله وحشمهم على الجهاد ، وأن لا يقاتلوا أحداً حتى يدعوه إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة فأخذوها فنفروا بها ، وأقاموا بأرض دارا ثلاثة عشر ليلة ، ونحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار ، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمائة فارس عليهم عدى بن عدى بن عميرة ، ثم زاده خمسمائة أخرى فسار في ألف من حران إليهم ، وكانما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، لما يعلوا من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما التقوا مع الخوارج هزمتهم الخوارج هزيمة شديدة بالغة . واحتروا على ماني معسكرهم ، ورجع فإلهم إلى محمد بن مروان ، فغضب وبث إليهم ألفاً وخمسمائة مع الحارث بن جعونة ، وألفاً وخمسمائة مع خالد بن الحر ، وقال لهما : أيكما سبق إليهم فهو الأمير على الناس ، فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، والخوارج في نحو من مائة نفس وعشرة أنفس ، فلما اتهموا إلى آمد توجه صالح في شطر الناس إلى خالد بن الحر ، ووجه شيببياً في الباقي إلى الحارث ابن جعونة ، فاقتتل الناس قتلاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن



الآخر ، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن مروان نحو الثلاثين ، وهربت الخوارج في الليل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا الدسكرة ، فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل وليس مع صالح سوى تسعين رجلا ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ، فهو في كردوس ، وشيب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سلبان عن يساره في كردوس ، وحمل عليهم الحارث بن عميرة ، وعلى ميمينته أبو الزواع الشاكري ، وعلى ميسرته الزبير بن الأرواح التميمي ، فصبرت الخوارج على قاتهم صبرا شديدا ، ثم انكشف سويد بن سلبان ، ثم قتل صالح بن مسح أميرهم ، وصرع شيب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصنا هناك ، وقد بقي معهم سبعون رجلا ، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهرا ، فمات رجس الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج على الصعب والذلول من الباب فبيتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعا إلى المدائن ، وانحاز شيب وأصحابه مافي معسكرهم ، وكان جيش الحارث بن عميرة أول جيش هزمه شيب ، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفيها دخل شيب الكوفة ومعه زوجته عزالة ، وذلك أن شيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرح ، واجتمعت عليه الخوارج وبايعوه ، وبعث إليه الحجاج جيشا آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك ، ثم سار نجار المدائن فلم ينل منهم شيئا ، فسار فأخذ سوابا للحجاج من كلوا ، وفي عزمه أن يبيت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل فلمهم إلى الحجاج جهز جيشا أربعة آلاف مقاتل إلى شيب ، فمروا على المدائن ثم ساروا في طلب شيب فجعل يسير بين أيديهم قليلا قليلا وهو يريد منهم انه خائف منهم ، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرهما وينهب مافيها ، ولا يواجه أحدا إلا هزمه ، والحجاج يلح في طلبه ويجهز إليه السرايا والبعوث والمدد وشيب لا يبالي بأحد وإن ما معه مائة وستون فارسا ، وهذا من أعجب العجائب ، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها ، فخرج الجيش بكاله إلى السبخة لقتاله ، وبلغه ذلك فلم يبال بهم بل انزعج الناس له وخاف منه وفرقوا منه ، وهم الجيش أن يدخل الكوفة خوفا منه ويتحصنوا بها منه ، حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم . وشيب نازل بالمدائن بالدير ليس عنده جبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء ان يصنع له فقيل له قد جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثر بهم ويقول للدهقان الذي يصنع له

الطعام : أجده وأنصحه وعجل به ، فلما استوى أكله ثم توطأ وضوءاً تاماً ثم صلى بأصحابه صلاة تامة بتطويل وطمأنينة ، ثم لبس درعه وتقلد سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا إلى البغلة ، فركبها فقال له أخوه مصاد : اركب فرساً ، فقال : لا ا حارس كل أمر أجله ، فركبها ثم فتح باب الدير الذي هو فيه وهو يقول : أنا أبو المدله لاحكم إلا الله ، وتقدم إلى أمير الجيش الذي يليه بالعمود الحديد فقتله ، وهو سميد بن المجالد ، وحمل على الجيش الآخر اليكشيف فصرع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجأوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب إلى الكوفة من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هناك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ، فأعلم الدهاقين عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يعلمه بذلك فأسرع الحجاج الخروج من البصرة وقصد الكوفة فأسرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها العصر ، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة وقصد قصر الامارة فضرب بابه بعموده الحديد فأثرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ، يقال هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وتصد محال القتال ، وقتل رجالاً من رؤساء أهل الكوفة وأشرفهم ، منهم أبو سليم والدليلث بن أبي سليم ، وعدي بن عمرو ، وأزهر بن عبد الله الماعري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة ، وكانت مروفة بالشجاعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجمعت تدم بنى مروان .

ونادى الحجاج في الناس يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة إلى مجال الطمن والضرب ، فجهز الحجاج في أثره ستة آلاف مقاتل ، فساروا وراه وهو بين أيديهم ينعمس وين رأسه ، وفي أوقات كثيرة يكر عليهم فيقتل منهم جماعة ، حتى قتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً ، وقتل جماعة من الأمراء منهم رائدة بن قدامة ، قتله شبيب ، وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج مكانه لخر به عبد الرحمن بن الأشعث ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهرمت جموعه بعد أن قتل من أصحابه ستائة نفس ، فن أعيانهم عقيل بن شداد السلوي ، وخالد بن نهيك الكندي ، والاسود بن ربيعة ، واستفحل أمر شبيب وتزلزل له عبد الملك بن مروان والحجاج وساثر الأمراء وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً ، فبعت له جيشاً من أهل الشام فقدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب شرذمة قليلة ، وقد ملأ قلوب الناس رعباً ، وجرت خطوب كثيرة له معهم ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى استهلكت هذه السنة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدنانير وهو أول من

نقشها . . . وقال الماوردي في كتابي الأحكام السلطانية: اختلف في أول من ضربها بالعربية في الإسلام فقال سعيد بن المسيب: أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان، وكانت الدنانير والدراهم رومية وكسروية، قال أبو الزناد: وكان نقشه لها في سنة أربع وسبعين، وقال المدائني: خمس وسبعين، وضربت في الآفاق سنة ستة وسبعين، وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها الله أحد، وعلى الوجه الآخر الله الصمد، قال: وحكى يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه أن أول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير، سنة سبعين على ضرب الأكرسة، عليها الملك من جانب، والله من جانب، ثم غيرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب، ثم خلصها بعمد يوسف بن هبيرة في أيام يزيد بن عبد الملك، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسيري في أيام هشام، ثم يوسف بن عمر أجود منهم كلهم، ولذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا الهبيرية والخالدية واليوسفية وذكر أنه قد كان للناس طرق مختلفة منها الدراهم البعلبية، وكان الدرهم منها ثمانية دوانق، والطبرية وكان الدرهم منها أربعة دوانق، واليمينية دانتق، فجمع عمر بن الخطاب بين البعلبي والطبري ثم أخذ بنصفها فجعل الدرهم الشرعي وهو نصف مثقال وخمس مثقال، وذكروا أن المثقال لم يغيروا وزنه في جاهلية ولا إسلام، وفي هذا نظر والله أعلم

وفيه ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحسك وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية، ومنه أخذها بنو العباس. وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة، وعلى امرأة العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله والله أعلم.

ومن توفي فيها من الأعيان أبو عثمان النهدي الفضايلي اسمه عبد الرحمن بن مل أسلم على عهد النبي (ص) رغب أجولاء والقادسية وتستر، ونهاوند، وأذر بيجان وغيرهما، وكان كثير العبادة زاهداً عالمياً يصوم النهار ويقوم الليل، توفي وعمره مائة وثلاثين سنة بالكوفة.

#### صلة بن أشيم العدوي

من كبار التابعين من أهل البصرة، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد، كنيته أبو الصهباء، كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبوا، وله مناقب كثيرة جداً، منها أنه كان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا في النهار عن الطريق وناموا الليل حتى يقطعون سفرهم؟ فقال لهم يوماً هذه المقالة، فقال شاب منهم: والله يا قوم إنه ما يعنى بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو، وبالليل ننام. ثم تبع صلة فلم يزل يتعبد معه حتى مات. ومر عليه فتى يجرب به فهم أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم فقال: يمدوني أكنفكم أمره، ثم دعاه فقال: يا ابن أخي لي إليك حاجة.

قال : وما حاجتك ؟ قال أن ترفع إزارك ، قال : نعم ، ونعمت عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه كشتكم . ومنها ما حكاه جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند الغتمة فقلت لأرمقن عمله الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدت أنا في شجرة ، قال فتراه التمت أو عده جرواً حتى سجد فقلت : الآن يقترسه ، فجلس ثم سلم فقال : أيها السبع إن كنت أمرت بشيء فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له لزيراً تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس محمد الله بحامد لم أسمع بمنه ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجبرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة . ثم رجعت إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا ، وأصبحت وبني من الفترة شيء الله به عليهم . قال : وذهبت بقلبي بثقلها فقال : اللهم إني أسألك أن ترد علي بقلبي بثقلها ، فجات حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فضنبنا بهم طعنا وضربا ، فقال العدو : رجلان من العرب همما بآهنا فكيف لو قاتلنا كلهم ؟ استطوا المسلمين حاجتهم -- يعني انزلوا على حكمهم -- وقال صلة : جئت مرتة في غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدعور بي وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلفي فالتفت فإذا أنا بمسديل أبيض فإذا فيه دوخلة ملائكة رطبا فأكلت منه حتى شبعت ، وأدركني المساء فلت إلى دير راهب فحدثته الحديث فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إنني مررت على ذلك الراهب بعد زمان فإذا نخلات حسان فقال : إنهن لمن الرطبات التي أطعمتني ، وجاء بذلك المسديل إلى امرأته فكانت تزيه للناس ، ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتاً مطيباً فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح ، قال : فأزيدته فقلت له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقامت تصلي وتركها ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتني فيهما حتى أصبحت ، البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس . وقال له رجل : ألعو الله لي : هبال رحيمك الله فيما يهني . وإسندك فيما يفي ، ورزقك لليقين الذي لا يركن إلا إليه ، ولا يعمل في الدين إلا عليه . وكان صلة في غزاة معه ابنة فقال له : أي بني تقدم فقاتل حتى أحسبتك . فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تشدد صله فقاتل حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة المسدوية فقالت : إن كمن جئتن لتهنيني فرجباً يكن ، وإن كمن جئتن لتعزي يفتي فارجمن ، توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس في هذه السنة .

زهير بن قيس الهلوي .

شهد فتح مصر وسكنها ، له صحبة ، قتلته الروم بركة من بلاد المغرب ، وذلك أن الصريح أتى

الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا بركة ، فأمره بالتهوض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون نفساً فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه العسكر ، فقالوا : يا أبا شداد احمل بنا عليهم ، فحملوا فقتلوا جميعاً المنذر بن الحارود . مات في هذه السنة . تولى بيت المال ووفد على معاوية والله أعلم

### ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً وانضاف عليهم عشرة آلاف ، فصاروا خمسين ألفاً ، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لشبيب ابن كان ، وأن يصمم على قتاله . وكان قد اجتمع على شبيب ألف رجل . وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والهزيمة . وبها بلغ شيبيا ما بث به الحجاج إليه من المساكر والجنود ، لم يعبأ بهم شيئاً . بل قام في أصحابه خطيباً فوعظهم وذكروهم وحثهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب ، مؤذنه سلام بن يسار الشيباني فأذن المغرب ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب صلاة نامة الركوع والسجود ، ووصف عتاب أصحابه . وكان قد خندق حوله وحول جيشه من أول النهار . فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء ثم تأمل الميمنة والميسرة ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أما شبيب أبو المداة لاحكم الله ، فبزمهم وقتل أميرهم قبيصة بن ورقاء وجماعة من الأمراء معه ، ثم كر على الميمنة وعلى الميسرة ففرق شمل كل واحدة منهما ، ثم قصد القلب فإزال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء وزهرة بن جونة ، وولى عامة الجيش مدبرين وداؤوا الأمير عتاب وزهرة فوطنته الخليل . وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي . ثم قال شبيب لأصحابه : لا تتبعوا منهبنا ، وأنهمز جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة ، وكان شبيب لما احتوى على المعسكر أخذ ممن بقى منهم البيعة له بالامارة وقال لهم إلى أي ساعة نهربون ؟ ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والحواصل ، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن ، ثم قصد نحو الكوفة ، وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مدحج في سنة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام ، فاستغنى الحجاج بهم عن نصرته أهل الكوفة ، وقام في الناس خطيباً لحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، أخرجوا عنا فلا تشبهوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالخيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتلن معنا إلا من كان عاملاً لنا ، ومن لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء ، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وسار شبيب حتى

بلغ الصراة ، وخرج إليه الحجاج بن مه من الشاميين وغيرهم ، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج الى شيبب وهو في ستمائة نخطب الحجاج أهل الشام وقال : يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبن باطل هؤلاء الأراجس حقتكم ، غضوا الأبصار واجثوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسننة ، ففعلوا ذلك ، وأقبل شيبب وقد عبي أصحابه ثلاث فرق ، واحدة معه ، وأخرى مع سويد ابن سليم ، وأخرى مع المجلل بن وائل . وأمر شيبب سويداً أن يحمل لحمل على جيش الحجاج فصبروا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فانهمز عنهم ، فنادى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا ، ثم أمر الحجاج فقدم كرسية الذي هو جالس عليه إلى الامام ، ثم أمر شيبب المجلل أن يحمل لحمل فثبتوا له وقدم الحجاج كرسية إلى امام ، ثم إن شيبباً حمل عليهم في كنيسته فثبتوا له حتى إذا غشى أطراف الأسننة وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى ألحقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السرية لعلك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمامه . فحمل فلم يند ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة فارس رداً له من ورائه لتسلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، فعند ذلك حرض شيبب أصحابه على الحملة وأمرهم بها ففهم ذلك الحجاج ، فقال : يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم ورب السماء والأرض ماشئ دون الفتح ، فنجثوا على الركب وحمل عليهم شيبب بجميع أصحابه ، فلما غشهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فما زالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظفرون على شيبب وأصحابه حتى ردوهم عن مواقفهم إلى ما ورائها ، فنادى شيبب في أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ونزلوا ونادى الحجاج يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هنا أول النصر والذي نفسى بيده ، وصعد مسجداً هنالك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شيبب نحو عشرين رجلاً معهم النبل ، واقتتل الناس قتالاً شديداً عامة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أقر كل واحد منهم لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه ، ثم إن خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة فيأتى الخوارج من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً أبا شيبب ، وغزاة امرأة شيبب ، وقتلها رجل يقال له فروة بن دقاق الكلبى ، وخرق في جيش شيبب ، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا ، وانصرف شيبب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في طلبهم ، فشدوا عليهم فمزموهم ، وتخلف شيبب في حامية الناس ، ثم انطلت ، واتبعه الطلب فجعل ينس وهو على فرسه حتى يخفق برأسه ، ودنا منه الطلب فجعل يعض أصحابه ينهائهم عن النعاس في هذه الساعة فجعل لا يكثر بهم

و يعود فيخفق رأسه ، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول دعوه في حرق النار ، فتركوه ورجعوا . ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته . إن شيبياً لم يهزم قبلها ، ثم قصد شبيب الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا يوم الأربعاء فلا زالوا يتقاتلون إلى يوم الجمعة وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس معه ، فحمل شبيب على الحارث ابن معاوية فكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس الكوفة هاربين ، وحصن الناس السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فأنكسر أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد فروا بعامل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ، ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رمى بالمال في الفرات ، ثم سار بهم حتى افتتح بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتل ، ثم خرج إليه بعض الأمراء الذين على بعض المدن فقال له : يا شبيب ابرز إلى وأبرز إليك ، .. وكان صديقه - فقال له شبيب : إني لأحب قتلك ، فقال له : لكنني أحب قتلك فلا تغرنك نفسك وما تقدم من الوقائع ، ثم حمل عليه فضربه شبيب على رأسه فمَسَ رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ، ثم كفنه ودفنه ، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والمساكر في طلب شبيب فلم يطيغوه ولم يقدروا عليه ، وإنما سلط الله عليه موتاً قديراً من غير صنعمهم ولا صنمه في هذه السنة

### مقتل شبيب عند ابن الكلبي

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى نائبه على البصرة - وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج - يأمره أن يجيز جيشاً أربعة آلاف في طلب شبيب ، ويكونون تبعاً لسفيان بن الأبرد ، ففعلوا وانطلقوا في طلبه فالتقوا معه . وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه جيشاً واحداً هم وأهل الشام ، ثم ساروا إلى شبيب فالتقوا به فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب الحجاج فحملوا على الخوارج حملة مشكرة والخوارج قلوبون ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى جسر هناك ، فوقف عنده شبيب في مائة من أصحابه ، ومجيز سفيان بن الأبرد عن مقاومته ، وردد شبيب عن موقفه هذا بعد أن تقاتلوا نهائياً طويلاً كاملاً عند أول الجسر أشد قتال يكون ، ثم أمر ابن الأبرد أصحابه فرشقوهم بالنبال رشقاً واحداً ، ففرت الخوارج نهم كرت على الرماة فقتلوا نحواً من ثلاثين رجلاً من أصحاب ابن الأبرد ، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ، وبات كل من الفريقين مصراً على مناهضة الآخر ، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ،

فبينما شبيب على متن الجسر راكبا على حصان له وبين يديه فرس أنثى إذ نزا حصانه عليها وهو على الجسر فنزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ، فقال ليقض الله أمراً كان مغعولا ، ثم انغمر في الماء ثم ارتفع وهو يقول [ ذلك تقدير العزيز العليم ] ففرق . فلما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين متفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيباً من الماء وعليه درعه ، ثم أمر به فشق صدره فاستخرج قلبه فاذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة ، وكانوا يضربون به الأرض فيرتفع قامة اللسان . وقيل إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشايرهم ، فلما تخلف في الساقية اشتوروا وقالوا نقطع الجسر به ففعلوا ذلك فالت السفن بالجسر ونفر فرسه فسقط في الماء ففرق ، ونادوا غرق أمير المؤمنين ، فعرف جيش الحجاج ذلك فجأوا فاستخرجوه ، ولما نعى شبيب إلى أمه قالت : صدقتم إني كنت رأيت في المنام وأنا حامل به أنه قد خرج منها شهاب من نار فعلمت أن النلا لا يطفئها إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية اسمها جبهة ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع النساء ، تقاتل مع ابنه في الحروب . وذو ابن خلكان أنها قتلت في هذه الغزوة ، وكذلك قتلت زوجته غزالة ، وكانت أيضا شهيدة البأس تغلغل قتالا شديداً يهجز عنه الأبطال من الرجال ، وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف يحيى قال فيه بعض الشعراء :

أسد عليّ وفي الحروب نعاماً \* فتخاه تنفر من صغير الصافر  
هلا برزت إلى غزاة في الرضا \* بل كان قلبك في جناح طائر

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل ابن صبرة بن ذهل بن شيبان الشيباني ، يدعى الخليفة ويتسمى بأمر المؤمنين ، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الفرق لئلا الخليفة إن شاء الله ، ولما قدر عليه أحد ، وإنما قهره الله على يدى الحجاج لما أرسل إليه عبد الملك بمسكر الشام لقتاله ، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر دجيل قال له رجل :

أغرأ يا أمير المؤمنين ؟ قال [ ذلك تقدير العزيز العليم ] قال ثم أخرج وحمل إلى الحجاج فأمر فنزع قلبه من صدره فاذا هو مثل الحجر ، وكان شبيب رجلاً طويلاً أحمط جداً ، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين ، وقد أمسك رجل من أصحابه لحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له أنت

القائل : فان يك منكم كان مروان وابنه \* وعمرو ومنكم هاشم وجناب

فنا حصين والبطين وقعنبة \* ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : إنما قلت ومنا يا أمير المؤمنين شبيب . فأعجبه اعتذاره وأطلقه والله سبحانه أعلم .

وفي هذه السنة كانت حروب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأميرهم فطرى بن النجاة ، وكان فطرى أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين



وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدري أحد أين ذهب فانه شرد في الأرض وقد جرت بينهم مناوشات ومحاولات يطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في تاريخه . قال ابن جرير : وفي هذه السنة ثار بكير بن وشاح الذي كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله ابن خالد وذلك أن بكيراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما حروب طويلة قد استصاها ابن جرير في تاريخه . وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد كما قدمنا ، وقد كان من الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشتر وابنه إبراهيم ومصعب بن الزبير وأخيه عبد الله وهن يناط بهم هؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن النجاة من الأزارقة والله أعلم . وفيها توفي من الأعيان كثير بن الصلت بن معدى كرب الكندي ، كان كبيراً مطاعاً في قومه ، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلى ، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفي بالشام .

محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاه سجستان ، فلما سار إليها قيل له إن شيبياً في طريقك وقد أعيا الناس فاعدل إليه لعلك أن تقتله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار لقيه شبيب فاقتتل معه فقتله شبيب . وقيل غير ذلك والله أعلم .

#### عياض بن غنم الأشعري

شهد اليرموك ، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله .

#### مطرف بن عبد الله

وقد كانوا إخوة ، عروة ومطرف وحزمة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على أقاليم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرف على المدائن ، وحزمة على همدان .

#### ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم افتتحوا إرقلية ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وتلج وبرد ، فأصيب بسببه ناس كثير . وفيها ولي عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقد جعل على مقدمته طارقاً فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبيضهم قطعوا أنفه ونفوه ، وفيها عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج مع سجستان أيضاً ، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة المنيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضاً ، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فذن أنثى عليه المهلب أجزل الحجاج له العطية ، ثم ولي الحجاج المهلب إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكر إمرة خراسان ، ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده ، وقيل كان ذلك بإشارة المهلب ، وقيل إنه استعان بصاحب

الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبسي ، حتى أشار على الحجاج بذلك فأجابته إلى ذلك : وأزم المهلب بألف ألف درهم ، لأنه اعترض على ذلك .  
قال أبو موشر : وحج بالناس فيها الوليد بن عبد الملك وكان أمير المدينة أهاز بن عثمان ، وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج ، ونائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، ونائبه على سجستان عبد الله بن أبي بكرة الثقفي ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصاري . وقد توفي في هذه السنة من الأعيان جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري السلمي ، صاحب رسول الله ص . وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة وأراد أن يشهد بدرأ فتمعه أبوه وخلفه على إخوانه وأخواته ، وكانوا تسعة ، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته . توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسة وأربعين حديثا .

#### شريح بن الحارث

ابن قيس أبو أمية الكندي ، وهو قاضي الكوفة ، وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ، ثم عرله على ، ثم ولاء معاوية ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة ، وكان رزقه على القضاء في كل شهر مائة درهم ، وقيل خمسمائة درهم ، وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيملم الظلم حظ من نقصي ، وقيل إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية ( يادأود إنا جملناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ) الآية ، وكان يقول : إن الظالم ينتظر العذاب والمظلوم ينتظر النصر ، وهزل إنه مكث فاضيا نحو سبعين سنة . وقيل إنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة فأنه أعلم . وأسلمه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعمد موت النبي ص .، توفي بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين .

وقد روى الطبراني قال : حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن شعيب ابن الجعلب عن إبراهيم النيسي . قال : كان شريح يقول : سيملم الظالمون حق من نقصوا . إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر . ورواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن ابن عون عن إبراهيم به . وقال الأعمش : اشتكى شريح رجله فظلاها بالمنزل وجلس في الشمس فدخل عليه عواده فقالوا : كيف تجدك ؟ فقال : صالحا . فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : قد فعلت ، قالوا : فإذا قال لك ؟ قال : وعد خيرا . وفي رواية أنه خرج باهما قرحة فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : هو الذي أخرجها . وقال الأوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين وكان شريح لا يختبر ولا يستخير . ورواه ابن ثوبان عن عبدة عن الشعبي عن شريح قال :

لما كانت الفتنة لم أسأل عنها . فقال رجل لو كنت مثلك ما باليت متى مت ، فقال شريح : فكيف بما في قلبي . وقد رواه شقيق بن سلمة عن شريح قال : في الفتنة ما استخبرت ولا أخبرت ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً ديناراً ولا درهما ، فقال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قدمت ، فأوى إلى قلبه فقال : كيف يهدأ ، وفي رواية : كيف بما في صدري تلتقي الفتيتان وإحداهما أحب إلى من الأخرى . وقال لقوم رأيهم يلعبون : مالي أراكم تلعبون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أمر الفارغ . وقال سوار بن عبد الله العنبري : حدثنا العلاء بن جبر العنبري حدثني سالم أبو عبد الله أنه قال : شهدت شريحا وتقدم إليه رجل فقال : أين أنت ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، فقال : إني رجل من أهل الشام ، فقال : بعيد سحيق ، فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : بالرفاء والبنيين ، قال : إني اشترطت لها دارها ، قال : الشرط أم لك ، قال : أقض بيننا ، قال : قد فعلت . وقال سفيان : قيل لشريح بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمفاوضة العلماء ، آخذ منهم وأعطيهم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن محمد بن سالم عن إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن هبيرة أنه سمع عليا يقول : يا أيها الناس ! يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألمهم ، فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألمهم : ما كنا ما كنا ، ويسألونه ما كنا ما كنا فيخبرهم ويخبرونه حتى إذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فإنه جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت عليا يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب . وأنت شريحا امرأتان جدة صبي وأمه يختصمان فيه كل واحدة تقول : أنا أحق به

أبا أمية أتيتك وأنت المستعانُ به . أتاك جدة ابنِ وأمّ وكلتانا تفديه (١)  
فلو كنت تأميت لما نازعتك فيه . تزوجت فهاتيه ولا يذهب بك إليه  
\* ألا أيها القاضي فهذه قصتي فيه \*

قالت الأم : —

ألا أيها القاضي قد طالتك الجدة \* قولاً فاستمع مني ولا تطردني رده  
تعزى النفس عن ابني • وكبيدي حملت كبدته  
فلما صار في حجرى \* يقبها مفرداً وخده  
تزوجت رجاء الخبير \* من يكفيني فقدته  
ومن يُظهِر لي الود • ومن يحسن لي رِفده

فقال شريح : —

(١) هذه الايات طبق الاصل ولم نجد لها نظيراً .

قد سمع القاضي ما قلنا ثم قضى \* وعلى القاضي جهداً إن غفل  
قال للجدّة ربيني بالصبي \* وخذي ابنيك من ذات العلق  
إنها لو صبرت كان لها \* قبل دعوى ما تبغيه للبدل

فقضى به للجدّة . وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر بن عون عن إبراهيم عن شريح أنه قضى على رجل باعترافه فقال : يا أبا أمية قضيت على بنير بيّنة ، فقال شريح : أخبرني ابن أخت خالتك . وقال علي بن الجعد : أنبأنا المسعودي عن أبي حصين قال : سئل شريح عن شاة تأكل الذباب فقال : علف بهجان ولبن طيب . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن أبي حيان التيمي حدثنا أبي قال : كان شريح إذا مات لأهله سنور أمر بها فألقيت في جوف داره ، ولم يكن له مشعب « شارع » إلا في جوف داره يفعل ذلك اتقاء أن تؤذى المسلمين - يعني أنه يلقي السنور في جوف داره لئلا تؤذى بنتن ريحها المسلمين - ، وكانت مياذيب أسطحه داره في جوف الدار لئلا يؤذى بها المارة من المسلمين . وظل الرياشي : قال رجل لشريح : إن شأنك لشوين . فقال له شريح : أراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها في نفسك . وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تغلاب النحوي حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمان . قال : كتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فانك والمكان الذي أنت فيه والمكان الذي خرجت منه بعين من لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب ، والمكان الذي خلفته لم يمد امرأ لكلمه ومن تظلمه أيامه . وإنك وإيها لمعى بساط واحد ، وإن المنتجع من ذى قدرة لقريب .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن الشعبي عن شريح أن عمر كتب إليه : إذا جاءك الشيء من كتاب الله فاقض به ولا يلفتك عنه رجاء ماليس في كتاب الله ، وانظر في سنة رسول الله - فاقض بها ، فان جاءك ماليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، وفي رواية : فانظر فيها قضى به الصالحون ، فان لم يكن فان شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً ، والسلام .

وقال شريح : كنت مع علي في سوق الكوفة فانتهى إلى قاص يقص فوقه عليه وقال : أيها القاص ! تقص ونحن قريبو العهد ، أما إنى سائلك فان تجب فما سألتك وإلا أدبتك ، فقال القاص سل يا أمير المؤمنين عما شئت ، فقال علي : ما تبات الايمان وزواله ؟ قال القاص : تبات الايمان الورع وزواله الطمع . قال علي : فذلك قصص . قيل إن هذا القاص هو نوف البكالي . وقال رجل لشريح : إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ، قال : إني والله لأحسدك على ما أرى بك . قال : ما نفعك الله بهذا ولا ضررتي .

وروى جرير عن الشيباني عن الشعبي قال : اشترى عمر فرسا من رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ الفرس فسار به فقطب ، فقال لصاحب الفرس : خذ فرسك ، فقال : لا اقال : فاجعل بيني وبينك حكما ، قال الرجل نعم اشريح ، قال عمر : ومن شريح ؟ قال : شريح العراقي ، قال : فانطلقا إليه فقصا عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين رد كما أخذت أو خذ بما ابتعته ، فقال عمر : وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها ، فانه لأول يوم عرفه يومئذ .

وقال هشام بن محمد السكابي : حدثني رجل من ولد سعد بن وقاص قال : كان لشريح ابن يدعو الكلاب ويهارش بين الكلاب ، فدعا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤدبه فقال : -

ترك الصلاة لأكلٍ يسى بها طلب المراهش مع الغواة الرجس  
فاذا أتاك نفعه بلامه وعظه من عظة الأديب الأكيس  
فاذا هممت بضربه فبدره فاذا ضربت بها ثلاثا فاحبس  
واعلم بأنك ما أتيت نفسه مع ما تجرعي أعز الأفس

وروى شريح عن عمر عن عائشة أن النبي س قال لها : « يا عائشة ! إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا [إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم بري وهم مني براء . » وهذا حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى عن بقية عن شعبة - أو غيره - عن مجاهد عن الشعبي ، وإنما تفرد به بقية بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضا . وروى محمد بن كعب القرظي عن الحسن بن شريح عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله س : « إنكم ستقر بلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قدم منحت يهودهم وخربت أمانتهم ، فقال قائل : فكيف بنا يا رسول الله ؟ فقال : تعملون بما تعلمون وتقركون ما تنكرون ، وتقولون : أحد أحد ، انصرونا على من ظلمنا واكفنا من بئانا . » وروى الحسن بن سفيان عن يحيى بن أيوب عن عبد الجبار بن وهب عن عبد الله السلمى عن شريح ، قال : حدثني البديريون منهم عمر بن الخطاب أن رسول الله س قال : « ما من شاب يدع لذة الدنيا وطورها ويستقبل بشبابه طاعة الله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجر اثنين وسبعين صديقا ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته من أجل ، المبتذل شبابه لى ، أنت عندي كبعض ملائكتى . » وهذا حديث غريب .

وقال أبو داود : حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن قيس بن زيد - وقال أبو داود : قال : « إن الله تعالى يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم فم أضمت حقوق س قال : »

الناس ؟ فيم أذهبت أموالهم ؟ فيقول : يارب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقا وإما حرقا ، فيقول الله سبحانه أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فترجع حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة . لفظ أبي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال فيه : « فيدع الله بشئ فيضعه في ميزانه فيثقل » ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم عن صدقة به ، ورواه الطبراني أيضا عن حفص بن عمر وأحمد ابن داود المسكي قالا : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة به ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

عبدالله بن مسلم

الأشعري نزير فلسطين وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل إن له صحبة وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليقه أهلها في الدين وكان من العباد الصالحين .

جنادة بن أمية الأزدي

شهد فتح مصر وكان أميراً على غزو البحر إمامية ، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير ، توفي بالشام وقد قارب الثمانين .

العلاء بن زياد البصري

كان من العباد الصالحين من أهل البصرة ، وكان كثير الخوف والورع ، وكان يمتزل في بيته ولا يجالط الناس ، وكان كثير البكاء ، لم يزل يبكي حتى عمى ، وله مناقب كثيرة ، توفي بالبصرة في هذه السنة . قلت : إنما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام أنه من أهل الجنة ، فقال له العلاء : أما أنت يا أخي فجزاك الله عن رؤياك لي خيراً ، وأما أنا فقد تركتني رؤياك لا أهدأ بليل ولا نهار ، وكان بعدها يطوى الأيام لا يأكل فيها شيئاً وبكى حتى كاد يفارق الدنيا ، ويصل لا يفتر ، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال : أدرك أخي فإنه قاتل نفسه ، يصوم لا يفطر ، ويقوم لا ينام ، ويبكي الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له أنه من أهل الجنة ، فجاء الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح ، فقال له : افتح فاني أنا الحسن ، فلما سمع صوت الحسن فتح له ، فقال له الحسن : يا أخي الجنة وما الجنة للمؤمن ، إن للمؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة ، فقاتل أنت نفسك ؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أتاه آت في مقامه فأخذ بناصيته وقال : يا غلام قم فاذكر الله يذكرك . فما زالت تلك الشعرات التي أخذ بها قائمة حتى مات ، وقد قيل : إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر أعمال خلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام . وقال العلاء : نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا . وقال : كان رجل يراني يعمل فجعل يشمر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ ، فجعل لا يأتي على أحد إلا سببه ، ثم رزقه الله الإخلاص واليقين

نفى من صوته وجعل صلاحه بينه وبين الله ، فجعل لا يأتي على أحد بعد ذلك إلا دعاه بخير  
سراقة بن مرداس الازدي كان شاعراً مطبقاً ، هجا الحجاج فنفاه إلى الشام فتوفى بها  
الناطقة الجعدي الشاعر . السائب بن يزيد الكندي ، توفى في هذه السنة . سفيان بن سلمة  
الأسدي . معاوية بن قره البصري . زر بن حبيش .

### ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفنون من شدته ، ولم يفز فيها أحد من أهل الشام  
لضعفهم وقتلهم ، ووصلت الروم فيها انطاكية فأصابوا خلقاً من أهلها لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة .  
وفيها غزا عبید الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مال يحمله  
إليه في كل سنة ، وفيها قتل عبید الملك بن مروان الحارث بن سميد المنفي الكذاب ، ويقال له  
الحارث بن عبد الرحمن بن سميد الدمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدري ، ويقال مولى الحكم بن  
مروان ، كان أصله من الجولة فنزل دمشق وتعبس بها وتنسك وتزهد ثم مكر به ورجع القهقري على  
عقبه ، وانسلخ من آيات الله تعالى ، وفارق حزب الله المفلحين ، واتبع الشيطان فكان من الغاوين  
ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتى أخسره دينه ودنياه ، وأخزاه وأشقه . فإنا لله وحسبنا الله ولا  
حول ولا قوة إلا بالله

قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا عبد الوهاب نجة الجولي حدثنا محمد بن فبارك ثنا الوليد بن  
مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال . كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي  
الجلاس ، وكان له أب بالجولة ، فعرض له إبليس ، وكان رجلاً متمعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب  
لرؤيت عليه الزهادة والعبادة ، وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السامعون مثل تحميده ولا أحسن من  
كلامه ، فكتب إلى أبيه وكان بالجولة : يا أبتاه أعجل على فاني قد رأيت أشياء أتخوف أن يكون  
الشيطان قد عرض لي ، قال فزاده أبوه غيا على غيه ، فكتب إليه أبوه : يا بني أقبل على ما أمرت  
به فان الله تعالى يقول [ هل أنبشكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أنيم ] وأست بأفك  
ولا أنيم ، فامض لما أمرت به ، وكان يجيء إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذاكرهم أمره يأخذ عليهم  
العهد والميثاق إن هو يرى ما يرضى وإلا كتم عليه .

قال : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح تسبيحاً بليغاً  
حتى يضح من ذلك الحاضرون . قلت : وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية رحمه الله يقول  
كان ينقر هذه الرخامة الحمراء التي في المقصورة فتسبح ، وكان زنديقا . قال ابن أبي خيثمة في روايته

وكان الحارث يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرج بهم إلى دير المراق فيريهم رجالا على خيل فيتبعه على ذلك بشركثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مخيمرة ، يقال فعرض على القاسم أمره وأخذ عليه العهد إن هو رضى أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إني نبي ، فقال القاسم : كذبت يا عدو الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله ص : « إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي » وأنت أحدهم ولا عهد لك . ثم قام ففرج إلى أبي إدريس - وكان على القضاء بدمشق - فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس لرفقه ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك ، وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فدعاهما إلى نبيوته فكذباه وردا عليه ما قاله ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فتطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس - يدعو إلى نفسه سرّاً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى النصرية فترها فورد عليه هناك رجل من أهل النصرية ممن كان يدخل على الحارث وهو يبيد المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجند الأتراك ليحيطوا عليه ، فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة ههنا الرجل ويفعل ما يأمره به ، فلما وصل الرجل إلى النصرية ببيت المقدس بمن معه اتدب نائب القدس لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجمع مع كل رجل شمعة فإذا أمرهم باشغالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث فقال ليوأبه استأذن على نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح النصرى أسرجوا ، فلتشعل الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهم النصرى على الحارث فاخفى منه في سرب هناك فقال أصحابه هيات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رفع إلى السماء ، قال فأدخل النصرى يده في ذلك السرب فإذا بثوبه فاجتره فأخرجه ، ثم قال للفرعانيين من أتراك الخليفة قال فأخسوه فقيسوم ، فيقال إن القيود والجامعة سقطت من عنقه مواراً ويعيدونها ، وجعل يقول : [ قل إن ضللت فإني أضل على نفسي ، وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى إنه سميع قريب ] وقال لأولئك الأتراك [ أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ] ؟ فقالوا له بلسانهم ولغتهم : هذا كرائنا فهات كرائك ، أى هذا قرآنا فهات قرآنك ، فلما اتهموا به إلى عبد الملك أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً قطعنه بحربة فأنشبت في ضلع من أضلاعه ، فقال له عبد الملك : ويحك أذكرت اسم الله حين قطعنته ؟ فقال : نسيت ، فقال : ويحك سم الله ثم اطمنه ، قال فذكر اسم الله ثم قطعنه فأنفذه ، وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجلاً



من أهل الفقه والعلم أن يظوه ويملوه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فضله بعد ذلك ، وهذا من تمام العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر فحدثني من سمع الأعور يقول : سمعت الملاء بن زياد العدوي . يقول : ما غبطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة » . وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتك ما أمرتك بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إنما كان به المذهب فلوجوعته لذهب ذلك عنه ، وقال الوليد عن المنذر بن نافع سمعت خالد بن الجلاح يقول لغيلان : ويحك يا غيلان ، ألم تأخذك في شبينتك ترا من النساء في شهر رمضان بالتفاح ، ثم صرت حارثياً تحجب امرأتها وترزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت فصرت قدرياً زنديقاً .

وفيها غزا عبید الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين تارة ويتمرد أخرى ، فكتب الحجاج إلى ابن أبي بكر تأخذه من معك من المسلمين حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته ، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رتبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بتارة ، وجاس ابن أبي بكر وجنوده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأمصاره ، وتبر ما هناك بتبويراً ، ثم إن رتبيل تقهر منه وما زال يتبعه حتى اقترب من مدينته العظمى ، حتى كانوا أمثها على ثمانية عشر فرسخاً ، وخافت الأتراك منهم خوفاً شديداً ، ثم إن الترك أخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كل من المسلمين أنه لا محالة هالك ، فمد ذلك طاب عبید الله أن يصلح رتبيل على أن يأخذ منه سبعمائة ألف ، ويفتحوا للمسلمين طريقاً يخرجون عنه ويرجعون عنهم إلى بلادهم ، فانتدب شريح بن هاني - وكان صحابياً ، وكان من أكبر أصحاب علي وهو المقدم على أهل الكوفة - فندب الناس إلى القتال والمصابرة والنزال والجلاد بالسيوف والرماح والنبال ، فمناه عبید الله بن أبي بكر فلم يفتنه ، وأجابه شردمة من الناس من الشجعان وأهل الحفاظ ، فما زال يقاتل بهم الترك حتى فني أكثر المسلمين رضي الله عنهم ، قالوا وجعل شريح بن هاني برنجيز ، ويقول :

أصبحت ذابتي أقالمي الكبري \* قد عشت بين المشركين أعصرا  
ثم أدركت النبي المنذرا \* وبعته صديقه وعمرا  
ويوم مهرا وبوم تسرا \* والجمع في صئينهم والنهرا  
هتبات ما أطول هذا عمرا

ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وقتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خراج من الناس  
صحبة عبدة الله بن أبي بكره من أرض رببيل ، وهم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ماتقدم وماتأخر ،  
وكتب إلى عبد الملك يملأه بذلك ويستشير به في بعث جيش كثيف إلى بلاد رببيل ليفتقوا منه بسبب  
ما حل بالمسلمين في بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ذلك ،  
وأن يجعل ذلك سريراً ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ في جمع الجيوش فجهز جيشاً كثيفاً  
لذلك على ماسياتى تفصيله في السنة الآتية بعدها . وقيل إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانئ  
ثلاثون ألفاً وابتقى الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شدائد ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير  
أيضاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلتوا أضعافهم  
ويقال إنه في هذه السنة استعفى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك وولى مكانه أبا بردة  
ابن أبي موسى الأشعري ، وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية والله أعلم .

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وفتح بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان  
أمير المدينة النبوية ، وفيها قتل قطرى بن الفجاءة التميمي أبو نعمة الخلاجي ، وكان من الشجعان  
المشاهير ، ويقال إنه مكث عشرين سنة يسلم عليه أصحابه بالخلافة ، وقد جرت له خطوب وحروب  
مع جيش المهلب بن أبي صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قدمنا منها طرفاً صالحاً في أما كنه ،  
وتان خروجه في زمن مصعب بن الزبير ، وتغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، وقامه مشهورة  
وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كبيرة فهزمها ، وقيل إنه برز إليه رجل من بعض الحرورية وهو على  
فرس أعجمي ويده عمود حديد ، فلما قرب منه كشف قطرى عن وجهه فولى الرجل هارباً فقال له  
قطرى إلى أين ؟ أما تستحي أن تفر ولم ترطماً ولا ضرباً ؟ فقال إن الانسان لا يستحي أن يفر من  
مثلك ، ثم إنه في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش فاقتلوا بطبرستان ، فمثر  
بقطرى فرسه فوقع إلى الأرض فتكاثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج ، وقيل إن الذي قتله  
سودة بن الحر الدارمي ، وكان قطرى بن الفجاءة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب  
المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن ، فن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه  
وغيره ومن سمعها انتفع بها :

أقولُ لها وقد طارت شعاعا \* من الأبطالِ ويحكِ لن تراعى  
فانك لو طلبتِ بقاءَ يومٍ \* على الأجلِ الذي لك لم تطاعى  
فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً \* فسا نُيلُ الخلودِ بمستطاعى  
ولا ثوبُ الحياةِ بثوبِ عزٍ \* فيطوى عن أخي الخلعِ البراعى

سبيل الموت غاية كل حي \* وداعيه لأهل الأرض داع  
فن لا ينتبط يسأم وبهرم \* وتسله التون إلى انقطاعي  
وما للمرور خير في حياة \* إذا ما عدت من سقط المتاع

ذكرها صاحب الحماة واستحسنها ابن خلكان كثيراً

وفيهما توفي عبيد الله بن أبي بكره رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقاتلوا  
رتبيل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هاني كما تقدم ذلك ، وقد دخل  
عبيد الله بن أبي بكره على الحجاج مرّة وفي يده خاتم فقال له الحجاج : ولم ختمت بخاتمك هذا ؟  
قال على أربعين ألف دينار ، قال ففيم أنفقتها ؟ قال : في اصطناع المعروف ، ورد الملهوف  
والمكافأة بالصنّاع وتزويج العقائل . وقيل إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد  
فأعطاه ثلاثين ألفاً ، وقيل إنه أهدى إليه وصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه  
خذها لك ، ثم فكر وقال : والله إن إشار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة : ثم قال  
ياغلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة ، فأحصى ذلك فكانوا ثمانين وصيفاً ووصيفة .  
توفي عبيد الله بن أبي بكره بيست وقيل بدرخ والله سبحانه وتعالى أعلم وأحلم ، والحمد لله رب العالمين  
ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية

ففيها كان السيل الجفاف بمكة لأنه حجف على كل شيء فذهب به ، وحمل الحجاج من بطن مكة  
الجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يتقدم منه ، وبلغ الماء إلى الحجون ، وغرق  
خلق كثير ، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن ينطى البيت والله أعلم .

وحكى ابن جرير عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون ، والشهوزر أنه كان  
في سنة تسع وستين كما تقدم . وفيها قطع المهلب بن أبي صفرة نهر ، وأقام بكش سنتين صابراً مصابراً  
للاعداء من الأتراك ، وجرت له معهم هناك فضول يطول ذكرها ، وقد عليه في غضون هذه المدة  
كتاب ابن الأشعث بخلعه الحجاج ، فبعثه المهلب برمنه إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ماسياً بيانه  
وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الأشعث ، وفي هذه السنة جهز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة  
وغيرهما لقتال رتبيل ملك الترك ليقضوا منه ما كان من قتل جيش عبيد الله بن أبي بكره في السنة  
الماضية ، فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً ، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد  
ابن الأشعث مع أنه كان الحجاج يبغضه جداً ، حتى قال مارأيته قط إلا همت بقتله ، ودخل ابن  
الأشعث يوماً على الحجاج وعنده عمار الشعبي فقال انظر إلى مشيته والله لقد همت أن أضرب  
عنقه ، فأسرها الشعبي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث : وأنا والله لأجهدت أن أزيله عن

سلطانه إن طال بي وبه البقاء . والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجنود وبذل فيهم -  
 العطاء ثم اختلف رأيه فيمن يؤمر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ،  
 فقدمه عليهم ، فأتى عمه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج : إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة  
 إذا جاوز جسر الصراء ، فقال : ليس هو هنالك هو لي حبيب ، ومثي أزهب أن يخالف أمرى أو  
 يخرج عن طاعتي ، فأرضاه عليهم ، فسار ابن الأشعث بالجيش نحو أرض رتبيل ، فلما بلغ رتبيل  
 مجئ ابن الأشعث بالجنود إليه كتب إليه رتبيل يعتمر بما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية ،  
 وأنه كان لذلك كارها ، وأن المسلمين هم الذين ألقوه إلى قتالهم ، وسأل من ابن الأشعث أن يصلحه  
 وأن يبذل للمسلمين الخراج ، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع  
 رتبيل جنوده وتبأه ولحقه ، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد  
 رتبيل استعمل عليها نائباً من جهته يحفظها له ، وجعل المشايخ على كل أرض ومكان مخوف ،  
 فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد رتبيل ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، وسبي خلقاً كثيرة ، ثم  
 حبس الناس عن التوغل في بلاد رتبيل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقوا بما فيها من  
 المغلات والحواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يجوزون الأراضي والأقاليم  
 حتى يحاصروا رتبيل وجنوده في مدينتهم مدينة العطاء على الكنوز والأموال والذراى حتى يغنموها  
 ثم يقتلون مقاتلتهم ، وعزموا على ذلك ، وكان هذا هو رأى ، وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره  
 بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا رأى الذى رآه لهم ، وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه  
 هيمان بن عدى السدوسى إلى كرما مساحاً لأهلها ليمد عامل سجستان والسند إن احتاجا إلى ذلك ،  
 فمضى هيمان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث فهزمه وأقام ابن الأشعث بمن  
 معه ، ومات عبيد الله بن أبى بكره فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بإمرة سجستان مكان ابن أبى  
 بكره وجهر إلى ابن الأشعث جيشاً أفق عليه ألفى ألف سوى أعطياتهم ، وكان يدعى هذا الجيش  
 جيش الطواويس ، وأمره بالاقدام على رتبيل فكان من أمره معه ماتقدم .

قال الواقدى وأبو ممشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وقال غيرهما : بل حج  
 بهم سليمان بن عبد الملك ، وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان  
 ابن عثمان ، وعلى المشرق بكاله الحجاج ، وعلى الكوفة أبو بردة بن أبى موسى ، وعلى قضاء  
 المصر موسى بن أنس بن مالك

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

اسلم مولى عمر بن الخطاب

وهو أبى زيد بن أسلم أصله من سبى عين الخمر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ،

وتوفى وعمره مائة وأربع عشرة سنة ، وروى عن عمر عدة أحاديث ، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله .

### جبير بن نغير

ابن مالك الحضرمي له صحبة ورواية ، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالعبادة والعلم توفى بالشام وعمره مائة وعشرون سنة ، وقيل أكثر وقيل أقل .

### عبدالله بن جعفر بن أبي طالب

ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عميس ، وهو آخر من رأى النبي (ص) من بني هاشم وفاة ، سكن المدينة ، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة « أتى النبي (ص) إلى أمهم فقال: اثنتونى ببني أخي ، فأنى بهم كأنهم أفرخ ، فدعا بالخلق فخلق رؤسهم ثم قال : اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صمته ، فجاءت أمهم فذكرت للنبي (ص) أنه ليس لهم شيء ، فقال أنا لهم عوضاً من أبيهم » وقد بايع النبي (ص) عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما ، وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس ، يعطى الجزيل الكثير ويستقله ، وقد تصدق مرة بألف ألف ، وأعطى مرة رجلا ستين ألفاً ، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار ، وقيل إن رجلاً جلب مرة سكرًا إلى المدينة فكسد عليه فلم يشتره أحد فأمر ابن جعفر قيمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل : إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه : انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلانا - وعد جماعة - فخرج فلم ير أحداً ، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتفدون ، فأنى معاوية فأخبره فقال : ما أنا إلا كأخدم ، ثم أخذ عصاً فتوكأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا ابن جعفر ؟ فقال : وما تشتهي من شيء فأدعوه ؟ فقال معاوية : أطعمنا محناً ، فقال يا غلام هات محناً ، فأنى بصحيفة فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لغلامه : هات محناً ، فجاء بصحيفة أخرى ملائنة محناً إلى أن فعل ذلك ثلاث مرات ، فتمجّب معاوية وقال : يا ابن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء ، فلما خرج معاوية أمر له بمخمسين ألف دينار ، وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضى له مائة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد ، فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال ألف ألف . فقال له : قد أضعفناها لك ، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة ، فقال له عبد الملك بن جعفر : بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، فقال يزيد : ولا أعطاكها أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدى ، وقيل إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تسمى عمارة ، وكان يحبها محبة عظيمة ، فحضر عنده يزيد

ابن معاوية يوماً ففتنت الجارية ، فلما سمعها يزيد أفتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبا منها ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية ، فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفا كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد . وكان الحسن البصرى يذم ابن جعفر على سماعه الغنى والاهو وشرائه المولدات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله (ص) ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب ، وقيل إنه لم يصل إليها ، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله ابن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

### ابو ادريس الخولاني

اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول : قلب نقي في ثياب خيرة من قلب دنس في ثياب نقية ، وقد تولى القضاء بدمشق ، وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل .

### معبد الجهني القدري

يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم ، راوى حديث : « لا تفتنوا من الميتة باهاب ولا عصب » . وقيل غير ذلك في نسبه ، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك وصاه ثم اجتمع بعمر وبن العاص فوصاه في ذلك فقال له : أيها يا تيس جهنة ما أنت من أهل السر والعلانية ، وإنه لا ينفك الحق ولا يضرك الباطل . وهذا تومس فيه من عمرو بن العاص ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوس ، وأخذ غيلان القدر من معبد ، وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ، ووثقه ابن معين وغيره في حديثه ، وقال الحسن البصرى : إياكم ومعبد آفا ، ضال مضل ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فمأقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله . وقال سميد بن عفير : بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله ، وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسمين فآله أعلم ، وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة احدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة ، وفيها قتل بكير بن وشاح ، قتله بجير بن ورقاء الصريمي ، وكان بكير من الأمراء الشجعان ، ثم ثار لبكبير ابن وشاح رجل من قومه يقال له صعصعة بن حرب الوقي الصريمي ، فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا ، طمعه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بأخر رمق ، فبعث

المهلب بصمصعة إليه ، فلما تمكن منه بجير بن ورقاء قال ضموا رأسه عند رجلي ، فوضوه فطمته بجير  
بجربته حتى قتله ومات على إثره . وقد قال له أنس بن طارق : اعف عنه فقد قتلت بكبير بن  
وشاح ، فقال : لا والله لا أموت وهذا حي ثم قتله ثم وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته والله أعلم .

## قصة بن الأشعث

قال أبو مخنف : كان ابتداءها في هذه السنة ، وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد ساقها  
ابن جرير في هذه السنة فوافقناه في ذلك ، وكان سبب هذه الفتنه أن ابن الأشعث كان الحجاج  
يغضبه وكان هو يفهم ذلك ويضم له السوء وزوال الملك عنه ، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش  
المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رتبيل ملك الترك ، ففضى وصنع ما قدمناه من أخذه بعض بلاد  
الترك ، ثم رأى لأصحابه أن يقبضوا حتى يتقوا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب  
إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويقرعه بالجن والنكول عن الحرب ، ويأمره  
حتماً بدخول بلاد رتبيل ، ثم أذرف ذلك بكتاب ثان ثم ثالث مع البريد ، وكتب في جملة ذلك يا ابن  
الثائث الغادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الأيغال في أرض العدو ، وإلا حل بك مالا يطاق .  
وكان الحجاج يبغض ابن الأشعث : ويقول هو أهوج أحق حسود ، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين  
عثمان ثيابه وقاتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن  
الاسلام وما رأيت قط إلا همت بقتله ، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادفت إليه  
البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث وقال : يكتب إلى يمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي  
ولا من بعض خدعي لحوره وضمف قوته ؟ أما يذكر أباه من تقيف هذا الجبان صاحب غزاة - يعني  
أن غزاة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة - ثم  
ابن ابن الأشعث جمع رؤس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الأيغال في بلاد  
العدو ، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ،  
فاظنوا في أمركم أما أنا ففلسست ، طبعه ولا أنقض رأيا رأيت بالأمس ، ثم قام فيهم خطيباً فاعلمهم  
بما كان رأى من الرأى له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي فتنوها ، وأن يقيموا بها حتى  
يتقروا ببلاياها وأهوالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسرون في بلاد العدو فيفتنونها بلداً بلداً إلى  
أن يمحسروا رتبيل ملك الترك في مدينة الظلاء ، ثم أعلمهم بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمأجلة  
رتبيل . فثار إليه الناس وقالوا : لا بل نأبى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع . قال أبو مخنف .  
فحدثني مطرف بن عاصم بن وائلة الكلباني أن أباه كان أول من تكلم في ذلك ، وكان شاعراً خطيباً ،  
وكان مما قال : إن مثل الحجاج في سدا الرأى ومثلنا كما قال الأول لأخيه اعمل عبدك على الفرس فان

هلك هلك ، و إن نجا فلك ، أنتم إذا ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطانه ، و إن هلكتم كنتم الأعداء  
البغضاء ، ثم قال : اخلعوا عدو الله الحجاج - ولم يذكر خلع عبد الملك - و يا أيها الأمير عبد الرحمن  
ابن الأشعث فاني أشهدكم أني أول خالع للحجاج . فقال الناس من كل جانب : خلعنا عدو الله ،  
و وثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه عوضاً عن الحجاج ، ولم يذكروا خلع عبد الملك بن  
مروان ، و بعث ابن الأشعث إلى رتبيل فصالحه على أنه إن ظفروا بالحجاج فلا خراج على رتبيل  
أبدأ . ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج ليقاتله و يأخذ منه  
العراق ، فلما توسطوا الطريق قالوا : إن خلعنا للحجاج خلع لابن مروان فغلهما وجددوا البيعة  
لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله و خلع أئمة الضلالة و جهاد الملحدين ، فأذا قالوا نعم  
بايعهم . فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه و خلع ابن مروان ، كتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك  
و يستعجله في بعثه الجنود إليه ، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة ، و بلغ المهلب خبر ابن الأشعث ،  
و كتب إليه يدعو إلى ذلك فأبى عليه ، و بعث بكتابه إلى الحجاج ، و كتب المهلب إلى ابن  
الأشعث يقول له : إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، أبق على أمة محمد ،  
انظر إلى نفسك فلا تهلكها ، و دماء المسلمين فلا تسفكها ، و الجماعة فلا تفرقها ، و البيعة فلا تنكثها ،  
فإن قلت أخاف الناس على نفسي فالله أحق أن تخافه من الناس ، فلا تعرضا لله في سفك الدماء ،  
أو استحلال محرم و السلام عليك . و كتب المهلب إلى الحجاج : أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا  
إليك مثل السيل المنحدر من علو ليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، و إن لأهل العراق شدة  
في أول مخرجهم ، و صبابة إلى أبنائهم و نسائهم ، فليس شيء يردم حتى يصلوا إلى أهلهم و ينسطوا  
إلى مصائبهم و يشعروا أولادهم . ثم واقمهم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحجاج  
كتابه قال : فعل الله به و فعل ، لا والله مالى نظر ولكن لابن عمه نصيح . ولما وصل البريد بكتاب  
الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره و بعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه  
كتاب الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قبل خراسان نغفه ، و إن كان من  
قبل سجستان فلا نغفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج  
و تجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث ، و عصى رأى المهلب فيما أشار به عليه ، و كان في شوره النصيح  
و الصديق ، و جعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحاً و مساءً ، أين  
نزل و من أين ارتحل ، و أى الناس إليه أسرع . و جعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل  
جانب ، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة و ثلاثون ألف فارس و مائة و عشرون ألف راجل ، و خرج الحجاج  
في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، فنزل تستر و قدم بين يديه مطهر بن حبي الكعبي



أميراً على المقدمة ، ومعه عبد الله بن زميت أميراً آخر ، فأنهبوا إلى دجيل فاذا مقدمة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن أبان الحارثي ، فالتقوا في يوم الأضحى عند نهر دجيل ، فهزمت مقدمة الحجاج وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمائة ، واحتازوا مافي معسكرهم من خيول وقماش وأموال . وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه وأخذته مآذب ودرج . وقد كان قائماً يخطب فقال : أيها الناس أرجعوا إلى البصرة فإنه أرفق بالجنود ؛ فرجع بالناس وتبعهم خيول ابن الأشعث لا يدركون منهم شاذاً إلا قتلوه ، ولا فاذا إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هارباً لا يلوي على شيء حتى أتى الزاوية فمسك عندها وجعل يقول : لله در المهلب أي صاحب حرب هذا ، قد أشار علينا بالرأي ولكننا لم نقبل ، وأنفق الحجاج على جيشه وهو بهذا المكان مائة وخمسين ألف ألف درهم ، وخذق حول جيشه خندقاً ، وجاء أهل العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهاليهم وشعروا أولادهم ، ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس بهم وبإيعامهم وبإيعامه على خلع عبد الملك ونائبه الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، وواقفه على خلعهما جميع من في البصرة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب ، ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة فعمل ذلك ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة . وحج بالناس فيها إسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وأبو معشر والله سبحانه وتعالى أعلم . وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الاندلس فافتتح مدناً كثيرة ، وأراضى عامرة ، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر الأخضر المحيط والله أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان ببحر بن ورقاء الصريمي أحد الأشراف بخراسان ، والقواد والأمرء الذي حارب ابن خازم وقتله ، وقتل بكير بن وشاح ثم قتل في هذه السنة .

#### سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر

أبو أمية الجعفي الكوفي ، شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة ، وكان من كبار المخضرمين ويقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مولده عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه ، والصحيح أنه لم يره ، وقيل إنه ولد بعده بستين ، وعاش مائة وعشرين سنة لم ير يوماً محتنياً ولا متسانداً ، وانقض بكرة عام وفاته في سنة إحدى وثمانين ، قاله أبو عبيد وغير واحد ، وقيل إنه توفى في سنة ثنتين وثمانين والله أعلم .

#### عبدالله بن شداد ابن الهاد

كان من العباد الزهاد ، والعلماء ، وله وصايا وكلمات حسنة ، وقد روى عدة أحاديث عن الصحابة وعن خلق من التابعين .

### محمد بن علي بن ابي طالب

أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سرداء سنديّة من بني حنيفة اسمها خولة . ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره وأراد قتله فنأشده مروان بالله وتذلل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك فقال عفواً يا أمير المؤمنين فمعا غنه وأجزل له الجائزة ، وكان محمد ابن علي من سادات قریش ، ومن الشجعان المشهورين ، ومن الاقوياء المذكورين ، ولما بويع لابن الزبير لم يبايحه ، فجرى بينهما شر عظيم حتى هم ابن الزبير به وبأهله كما تقدم ذلك ، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبأيه ابن عمر تابعه ابن الحنفية ، وقدم المدينة فمات بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أو في التي بعدها ، ودفن بالقيع . والرافضة يزعمون أنه بجبل رضوى ، وأنه حي برزق ، وهم ينتظرونه ، وقد قال كثير عزة في ذلك

الأي الأئمة من قریش \* ولاة الحق أربعة سواه  
علي والثلاثة من بني \* هم الاسباط ليس بهم خفاء  
فسبط سبط إيمان وبر \* وسبط غيبته كربلاء  
وسبط لاتراء العين حتى \* تعود الخيل يقدها لواء

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل وائمة بن الأسقع وعلى الكوفة المختار بن عبيد الله ، وقد كان ابن الزبير جمع لهم حطباً كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان المختار يدعو إليه ويسميه المهدي ، فبعث المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فاستنقذوا بني هاشم من يدي ابن الزبير . وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف وبقى ابن الحنفية في شيعته ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكانوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى أيلة كتب إليه عبد الملك : إما أن تبايعني وإما أن تخرج من أرضي ، فكتب إليه ابن الحنفية : أباي ملك على أن تؤمن أصحابي ، قال نعم فقام ابن الحنفية في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي حتن دماءكم وأحرز دينكم فمن أحب منكم أن يأتي آمنه إلى بلده محفوظاً فليصل ، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعمائة رجل ، فأحرم بصره وقتل هديا وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فمنعه أن يدخل ، فأرسل إليه : إنا لم نأت لحرب ولا قتال ، دعنا ندخل حتى نقضى نسكتا ثم نخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه بدن قد قلدها فرجع إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية في تلك المدة محرماً ، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه

وذلك بعد عدة سنين ، وكان القمل يتناثر منه في تلك المدة كلها ، فلما قضى سكه رجع إلى المدينة أقام بها حتى مات ، وقيل إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية : قد قتل عدو الله وبإيع ، فكتب إليه إذا بايع الناس كلهم بايعت ، فقال الحجاج : والله لا فنلنك ، فقال ابن الحنفية . إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ ، في كل نظرة ثلاثمائة وستون قضية ، فلعل الله تعالى أن يجعلني في قضية منها فيكفنيك . فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فأعجبه قوله وكتب إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارق به فهو يأتيك وييايئك ، وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بمجموع من الجنود لا يطيقها أحد ، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة ، ولما اجتمع الناس على بيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء قبایع ، فكتب بيعة إلى عبد الملك ووفد عليه بعد ذلك . توفي ابن الحنفية في الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحزرة وعلى وجمهر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجمهر الأصغر وعون ورقية ، وكلهم لأمهات شتى . وقال الزبير بن بكار : كانت شيعته تزعم أنه لم يميت وفيه يقول السيد :

أقلق للوصي فدتك نفسي \* أطلت بذلك الجبل المقاما  
أضمر \* بمشبر والوك منا \* وسموك الخليفة والاماما  
وعادوا فيك أهل الأرض طراً \* مقامك فيهم ستين عاما  
وما ذاق ابن خولة طعم موت \* ولا وارث له أرض عظاما  
لقد أسى بمورق شعبرضوى \* تراجمه الملائكة الكلاما  
وإن له بهر لمقيل صدق \* وأندية تحبته كراما  
هدانا الله ادخرتم لاصبر \* بهر عليه يلتسن القاما  
تمام نورة المهدي حتى \* تروا راياته تترى نظاما

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامرا ، وهذا من خرافاتهم بهدياتهم وجبلهم وضلالهم وزياراتهم ، وسنزيد ذلك وضوحا في موضعه وإن شاء الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين

في الحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج في آخره ، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام ، ثم توافقوا يوما آخر فحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على

ميمنة ابن الأشعث فهزما وقتل خلقا كثيرا من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخر الحجاج لله ساجداً بعد ما كان جثى على ركبتيه وسل شيئاً من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول : ما كان أكرم حتى صبر نفسه للقتل ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث أبو الطفيل بن عامر بن وائلة الليثي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجوع ابن الأشعث بن يقي معه وبن تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبيد الرحمن بن عياش بن ربيعة بن الحارث بن عبيد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستناب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم ابن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان ، وتفاقم الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة ، وقال القراء - وكان عليهم جبلة بن زحر - : أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم . وقال سعيد بن جبيرة نحو ذلك ، وقال الشعبي : قاتلوه على جورهم واستذلّاهم الضعفاء وإماتهم الصلاة ، ثم حملت القراء - وهم العلماء - على جيش الحجاج حملة صادقة فبرعوا فيهم ثم رجعوا فاذا هم بمقدمهم جبلة بن زحر صريحا ، فهدم ذلك فناداهم جيش الحجاج يا أعداء الله قد قتلنا طاغيتكم ، ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن مرة التميمي ، فانهزموا ولم يقاتلوا . كثير قتال ، فأنكر الناس منهم ذلك ، وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعاً لا يفر ، وظنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضاً ، وكان ابن الأشعث يحرص الناس على القتال ، فلما رأى ما الناس فيه أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة فبايعه أهلها ، ثم كانت وقعة دير الحجاج في شعبان من هذه السنة .

## وقعة دير الحجاج

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج إليه أهلها فتلقوه وحفوا به ودخلوا بين يديه ، غير أن شزيمة قليلة أرادت أن تقاتله دون مطر بن ناجية فأتى الحجاج فلم يمكنهم من ذلك ، فمدلوا إلى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلام فنصب على قصر الامارة فأخذه واستنزل مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له : استبقني فإني خير من فرسانك ، فحبسه ثم استدعاه فأطلقه وبايعه واستوثق لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم إليه من جاء من أهل البصرة ، وكان من قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالمسالخ من كل جانب ، وحفظت

النفور والطرق والمسالك . ثم إن الحجاج ركب فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والمذيب وبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصريين ففتحوا الحجاج من دخول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دير قره ، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والكوفية حتى نزل دير الحجاج ، ومنه جنود كثيرة ، وفيهم القراء وخلق من الصالحين ، وكان الحجاج يمد ذلك يقول : قاتل الله ابن الأشعث ، أما كان يزجر الطير حيث رآني قد نزلت دير قره ، ونزل هو بدير الحجاج . وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليهم ، وقدم على الحجاج في غيوب ذلك أمداد كثيرة من الشام ، وخذق كل من الطائفين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمنع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً في كل حين ، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قریش وغيرهم ، واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقالوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دماهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكتب موماً كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم : إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزائنه عنكم ، وبعثت عليكم أعطياتكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هذا : فإن لم تجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج ونحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده ، وكتب إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يجالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تروسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر النخعي على ابن عفان ؟ فلما سألهم ماتريدون ؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإن الحديد بالحديد يفلح ، كان الله لك فيها ارتأيت والسلام عليك .

قال : فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر ، فقدم عبد الله ومحمد فنادى عبد الله : يا مشر أهل العراق ، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإنه يرض عليكم كيت وكيت ، فذكر ما كتب به أبوه معه إليهم من هذه الخصال ، وقال محمد بن مروان : وأنا رسول

أحى أمير المؤمنين إليكم بذلك ، فقالوا : ننظر في أمرنا غداً ونرد عليكم الخبر عشية ، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج ، فنعى الناس من كل جانب وقالوا : لا والله لا نقبل ذلك ، نحن أكثر عدداً وعدداً ، وهم في ضيق من الحال وقد حكنا عليهم وذلوا لنا ، والله لا نجيب إلى ذلك أبداً . ثم جدوا خلع عبد الملك ونائبه ثانية ، واتفقوا على ذلك كلهم

فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعمه محمد بن الخبير قالا للحجاج : شأنك بهم إذا ، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين ، فكانا إذا لقيهما سلما عليه بالامرة ويسلم هو أيضاً عليهم بالامرة ، وتولى الحجاج أمر الحرب وتديرها كما كان قبل ذلك ، فمهد ذلك رز كل من الفريقين للقتال والحرب ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليمان ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى الخليل سميان بن الأبرد وعلى الرجالة عبد الرحمن بن حبيب الحسكي . وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حارثة الجشور ، وعلى الميسرة الأبرد بن قررة التميمي ، وعلى الخيلية عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة ، وعلى الرجالة محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، وعلى القراء جبلة بن زحر بن فيس الجمعي ، وكان فيهم سميد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكيل بن زياد . وكان سحاعاً فأنسكا على كبر سنه . وأبو المحنزي الطائي وغيرهم ، وجعلوا يقتنون في كل يوم ، وهزل العراق نأتهم الميرة من الرساتق والأقاليم ، من الملك والعلمام ، وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم في أصح حال من العيش ، وقلة من الطعام ، وقد فقدوا اللحم بالسكينة فلا يجدونه ، وما زالت الحرب في هذه المدة كما هي اسلحت هذه السنة وهم على حالهم وقتالهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . وقد قتل من أصحاب الحجاج ريان بن غنم ، وكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف جفون سيوفهم وأسقتلوا وكانوا من أصحاب ابن الأشعث . وفي هذه السنة كانت وفاة المهلب بن أبي صفرة ، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم أبو سعيد الأزدي أحد أشرف أهل البصرة وجوهرهم ودهاتهم وأجوادهم وكرمائهم ، ولد عام الفتح ، وكانوا ينزلون بما بين عجمان والبحرين ، وقدارتد فومه فقاتلهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبعثهم إلى الصديق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الخنث ، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولى الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وسنين ، ثم ولى حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمائة ، فعظمت منزلته عند الحجاج . وكان فاضلاً متجعاً كرمياً يحب المدح ، وله كلام حسن ، فنهى عنهم الخصلة السخاء تسرعهم ردة الشريف

وتلحق خسيصة الوضيع ، ونحبب المزهود فيه . وقال : يعجبني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زائداً على لسانه ، ولأرى لسانه زائداً على عقله

توفي المهلب غازياً بمروالروذ وعمره سنة وسبعون سنة رحمه الله . وكان له عشرة من الولد وهم : يزيد ، وزياد ، والفضل ، ومدرك ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، ومحمد ، وهند ، وفاطمة . توفي المهلب في ذى الحجة منها ، وكان من الشجعان وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج ، وجعل الأمر من بعده ليزيد بن المهلب على إمرة خراسان فأمضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان

### اسماء بن خارجة الفزاري الكوفي

وكان جواداً ممدحاً ، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره جالساً فسأله عن قعوده على بابها فقال : حاجة لا أستطيع ذكرها ، فأنح عليه فقال : جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها ، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه بكل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال : هذه ، فقال له : أخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحلى ، وقال له : ما تمنى أن أضعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي ، وكانت ضئيلة بها ، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف ، وألبستها هذا الحلى ، فهي لك بما عليها ، فأخذها الشاب وانصرف .

### المغيرة بن المهلب

ابن أبي صفرة ، كان جواداً ممدحاً شجاعاً ، له مواقف مشهورة .

### الحارث بن عبدالله

ابن ربيعة الخزومي المعروف بقباع ، ولى إمرة البصرة لابن الزبير .

### محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة

كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعقلمهم ، توفي بالمدينة ودفن بالقيع .

### عبدالله بن أبي طلحة بن أبي الأسود

والد الفقيه إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبو طلحة فأخبر النبي (ص) ،

فقال (ص) : « عرستم بارك الله لك في ليلتكما » . ولما ولد حنكه بتمرات .

### عبد الله بن كعب بن مالك

كان قائداً كعب حين عمى ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

## عفان بن وهب

أبو أيمن الخولاني المصري له صحبة ورواية ، وغزا المغرب ، وسكن مصر وبها مات .

## جميل بن عبدالله

ابن معمر بن صباح بن ظبيان بن الحسن بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبيد بن كثير بن عنزة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سرهد بن أسلم بن الحاف بن قضاة . أبو عمرو والشاعر صاحب بئينة ، كان قد خطبها فنمت منه ، فنزل فيها واشتهر بها ، وكان أحد عشاق العرب ، كانت إقامته بوادي القرى ، وكان عفيفاً حياً ديناً شاعراً إسلامياً ، من أفصح الشعراء في زمانه ، وكان كثير عزة راويته ، وهو يروى عن هذبة بن خنرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، قال كثير عزة كان جميل أشعر العرب حيث يقول :-

وأخبرتني أن تباء منزل \* ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا  
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت \* فالنوى ترمى بليلي المراسيا  
ومنها قوله وما زلت بي يابئ حتى لو أني \* من الشوق أستبكي الحام بكى ليا  
وما زادني الراشون إلا صابة \* ولا كثرة الناهين إلا تماديا  
وما أحدثت النأي الفرق بيننا \* سلوا ولا طول اجتماع تقاليا  
ألم تملئ يا عذبة الريق أني \* أظل إذا لم ألق وجهك صاديا  
لقد خفت أن ألقى المنية بقتة \* وفي النفس حاجات إليك كما هيا  
وله أيضا إني لأحفظ غيبكم ويسرني \* لو تملين بصلح أن تذكرني  
إلى أن قال ما أنت والوعد الذي تعديني \* إلا كبرق سحابة لم تعطري  
وقوله وروى لعمرو: ما زلت أبقى الحى أتبع فلهم \* حتى دفت إلى ربيعة هودج  
ابن أبي ربيعة . فدنوت مخفياً ألم بيتها \* حتى ولجت إلى خفي الموج  
فياقله ابن عساكر قالت وعيش أخي ونعمة والدي \* لأنهن الحى إن لم تخرج  
فتناولت رأسى لتعرف مسة \* بمخضب الاطراف غير مشنج  
فخرجت خيفة أهلها فتيسمت \* فقلت أن بيننا لم نخرج  
فلتت فاهاً أخذت بقرونها \* فرشفت ريقاً بارداً منتلج

قال كثير عزة : لقيت جميل بئينة فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند هذه الحبيبة ، فقال  
وإلى أين ؟ قلت : وإلى هذه الحبيبة - يعني عزة - فقال : أقسمت عليك لما رجعت إلى بئينة  
فواعدها لي فإن لي من أول الصيف ما رأيتها ، وكان آخر عهدى بها بوادي القرى ، وهي نسلحى



وأما ثوباً فتحادثنا إلى الغروب ، قال كثير : فرجعت حتى أنخت بهم . فقال أبو بئينة : ما ردك يا ابن أخي ؟ فقلت : أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هي ؟ فأنشده و بئينة لتسمع من وراء الحجاب : -

فقلتُ لها يا عزُّ أرسلِ صاحبي \* إليك رسولاً والرسولُ موكلُ  
أن تجلي بيني وبينك موعداً \* وأن تأمريني ما الذي فيه أفلُ  
وآخرُ عهدي منك يومَ لقيتني \* بأسفل وادي الدوم والثوبُ يفسلُ

فلما كان الليل أقبلت بئينة إلى المكان الذي واعدته إليه ، وجاء جميل وكنت معهم فسا رأيت ليلةً أعجب منها ولا أحسن منادات ، وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له : ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن قط ، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمن هذا ؟ قال : أنا ، فقلت الله : ما أظنك سلمت وأنت تشبب بالنساء منذ عشرين سنة ، ببئينة . فقال : لا نالني شفاعة محمد (س) ، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريئة ، قال : فما برحنا حتى مات . قلت : كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه بئينة فقال : شديداً ، واستنشدته من أشعاره ومدائحها فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فماجنته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين .

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلًا قال له : هل أنت مبلغ عن رسالة إلى حي بئينة ولك ما عندي ؟ قال نعم ، قال : إذا أتت فاركب ناقتي والبس حلتي هذه وأمره أن يقول أبياتاً منها قوله قومي بئينة فأندي بعويل \* وابكي خليلاً دون كل خليل فلما انتهى إلى حبيهم أنشد الأبيات فخرجت بئينة كأنها بدرسرى في جنة وهي تقتنى في مرطها فقالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتني ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . فقلت : بلى والله صادق وهذه حلتي وناقته ، فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتاً تزيمه بها وتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب لها العيش بعده ، ولاخير لها في الحياة بعد فقده ، ثم ماتت من ساعتها : قال الرجل : فما رأيت أكثر باكية ولا باكية من يومئذ .

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق : لو تركت الشعر وحفظت القرآن ؟ فقال : هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله (س) ، أنه قال : « إن من الشعر لحكمة »

### عمر بن عبيد الله

ابن معمر بن عثمان أبو حفص القرشي التميمي أحد الأجراد والأمرء الأبحاد ، فتحت على يديه بلدان كثيرة ، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة ، وقد فتح كابل مع عبد الله بن خازم ، وهو الذي قتل قطري بن العجاءة ، روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما ، وعن عطاء بن أبي رباح ، وابن عون ، ووفد على عبد الملك فتوفى بدمشق سنة ثنتين وثمانين . قاله المدائني . وحكى أن رجلاً اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حباً شديداً وأنفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شيء سوى هذه الجارية ، فقالت له الجارية : قد أرى ما بك من قلة الشيء . فلو بعنتى واتتعت بمنى صلح حالك ، فباعها للمعمر بن عبيد الله هذا - وهو يومئذ أمير البصرة - بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية ، فأشارت تخاطب سيدها بأبيات شعر وهي : -

هنيئاً لك المال الذي قد أخذته \* ولم يبق في كفى إلا تفكرى  
أقول لنفسى وهي في كرب عيشة \* أقل فقد بان الخليط أو أكثرى  
إذا لم يكن في الأمر عندك حيلة \* ولم تجدى بداً من الصبر فاصبرى

فأجابها سيدها فقال : -

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن \* لفرقتنا شيء سوى الموت فاصبرى  
أوب بجزن من فراقك موجع \* أناجى به قلباً طويلاً التذكر  
عليك سلام لا زيارة بيننا \* ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فلما سمعها ابن معمر قد شببت قال : والله لا فرقت بين محبين أبداً ، ثم أعطاه المال - وهو مائة ألف - والجارية لما رأى من توجعها على فراق كل منهما صاحبه ، فأخذ الرجل الجارية وثمها وانطلق . توفى عمر بن عبيد الله بن معمر هذا بدمشق بالطاعون ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان ، ومشى في جنازته وحضر دفته وأثنى عليه بعد موته ، وكان له من الولد طلحة وهو من سادات قرش تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر على صداق أربعين ألف دينار ، فأولدها إبراهيم ورملة ، فتزوج رملة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس على صداق مائة ألف دينار رحمهم الله .

### كسبيل بن زياد

ابن نهيك بن خيثم النخعي الكوفي . روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة . وشهد مع علي صفين ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عبداً ، قتله الحجاج في هذه السنة ، وقد عاش مائة سنة قتله صبراً بين يديه ، وإنما أقم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان التصاص من لطمة لطمها إياه . فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه ، فقال له الحجاج : أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين التصاص ؟

ثم أمر فضربت عنقه ، قالوا: وذا ذكر الحجاج عليا في غبون ذلك فنال منه وصلى عليه كميل ، فقال له الحجاج : والله لأبعثن إليك من يبيض عليا أكثر مما نجبه أنت ، فأرسل إليه ابن آدم ، وكان من أهل حمص ، ويقال أبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه ، وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أوله «القلوب أوعية تغيرها أوعاها» وهو طويل قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضى الله عن قائله .

#### ذاذان ابو عمرو الكندي

أحد التابعين كان أولا يشرب المسكر و يضرب بالطنبور ، فرزقه الله التوبة على يد عبد الله بن مسعود وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق ، وخشية شديدة ، حتى كان في الصلاة كأنه خشية . قال خليفة : وفيها توفى زر بن حبيش أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقد تقدمت له ترجمة ( شقيق بن سلمة ) أبو وائل ، أدرك من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حياة النبي (س) .

#### ام الرداء الصغري

اسمها هجيمة ويقال جهيمة تابعة عابدة عالة قهية كان الرجال يقرؤن عليها ويتقنون في الحائط الشمالي بجامع دمشق ، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المنقمة يشتغل عليها وهو خليفة ، رضى الله عنها .

#### ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

استهلت هذه السنة والناس متواتفون لقتال الحجاج وأصحابه بدير قرة ، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجاهم ، والمبارزة في كل يوم بينهم واقعة ، وفي غالب الأيام تكون النصر لأهل العراق على أهل الشام ، حتى قيل إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسرو أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعا وثمانين مرة ينتصرون عليهم ، ومع هذا فلحجاج ثابت في مكانه صابر ومصابر لا ينزحزح عن موضعه الذي هو فيه ، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام يتقدم بجيشه إلى نحو عنوه ، وكان له خبرة بالحرب ، وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى أمر بالحملة على كتيبة القراء ، لأن الناس كانوا تبعاً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال والناس يقتدون بهم ، فصهر القراء لحملة جيشه ، ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم ، وما انفك حتى قتل منهم بخلقا كثيراً ، ثم حل على ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه فل قليل من الناس ، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن غنم اللخمي ومعه محمد بن الحجاج والامرة عمارة ، فساقوا وراءهم يطردونهم لعلمهم بظفرون به قتلاً أو أسراً ، فما زال يسوق ويخترق الأقاليم

والسكور والرساتيقي ، وهم في أثره حتى وصل إلى كرمان ، واتبعه الشاميون فقتلوا في قصر كان فيه أهل  
المركز قبلهم ، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل السكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا  
منه من شعر أبي خلدة اليشكري يقول :

أيا كُفْأً ويا حُرْناً جيماً \* ويا حرَّ الفؤادِ لما لقينا  
تركنا الدينَ والدنيا جميعاً \* وأسلمنا الخلائِلَ والبغينا  
فأكننا أناساً أهلَ دنيا \* فبنمناها ولولم نرجُ دنيا  
تركنا دُورنا لطفانٍ عكِّ \* وأنباطِ القرى والأشعرينا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الغل إلى بلاد رتبيل ملك الترك ، فأكرمه رتبيل  
وأنزله عنده وأمنه وعظمه

قال الواقدي : ومر ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتبيل على عامل له في بعض المدن كان  
ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا  
وأنزله ، فعل ذلك خديعة به ومكرا ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد لتتحصن بها من عدوك  
ولكن لا تدع أحداً ممن معك يدخل المدينة ، فأجابته إلى ذلك ، وإنما أراد المكر به ، فتمعه أصحابه  
فلم يقبل منهم ، فتمفرق عنه أصحابه ، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فسكبه وأوثقه بالحديد وأراد  
أن يتخذ به يداً عند الحجاج ، وقد كان الملك رتبيل سر بقدم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له  
من جهة ذلك العامل بمدينة بست ، سار حتى أحاط ببست ، وأرسل إلى عاملها يقول له : والله لئن  
آذيت ابن الأشعث لا أبرح حتى أستزلك وأقتل جميع من في بلدك ، فخافه ذلك العامل وسير إليه  
ابن الأشعث فأكرمه رتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان عاملي ومن جهتي ، فندر  
بي وفعل مارأيت ، فأذن لي في قتله ، فقال : قد أمنتك . وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عياش  
ابن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يصل بالناس هناك في بلاد رتبيل ، ثم  
إن جماعة من الغل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه فيكونوا معه  
- وهم قريب من ستين ألفاً - فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رتبيل  
فتغلبوا على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن طمر النعار وإخوته وقرابته ، واستحوذوا على ما فيها  
من الأموال ، وانتشروا في تلك البلاد وأخذوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن اخرج إلينا حتى  
نكون معك ننصرك على من يخالفك ، ونأخذ بلاد خراسان ، فإن بها جنداً وممنعة كثيرة منا ، فسكون  
بها حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك ، فترى بعد ذلك رأينا نخرج إليهم ابن الأشعث وصار بهم  
قليلاً إلى نحو خراسان فاعتزله شزيمة من أهل العراق مع عبيد الله بن سمرة ، فقام فيهم ابن الأشعث

خطيباً فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رتبيل فأكون عندهم . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم وبقي معظم الجيش . فلما انفصل عنهم ابن الأشعث بإيعا عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة الهاشمي ، وساروا معه إلى خراسان فخرج إليهم أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، فمنهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عياش يقول له : إن في البلاد متسماً فاذهب إلى أرض لعيس بهاسلطان فاني أكره قتالك ، وإن كنت تريد مالا بعثت إليك . فقال له : إننا لم نجئ لقتال أحد ، وإنما جئنا لنستريح ونريح خيلنا ثم نذهب وليست بنا حاجة إلى شيء مما عرضت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كور خراسان ، فخرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه المفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفهم اقتتلوا غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عياش ، وقتل يزيد منهم مقتلة كبيرة ، واحتاز ما في معسكره ، وبغث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج ، ويقال إن محمد بن سعد قال ليزيد بن المهلب : أسألك بدعوة أبي لأبيك لما أطلقتني ، فأطلقته .

قال ابن جرير : ولهذا الكلام خبر فيه طول ، ولما قدمت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم وعناهن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث نادى مناديه في الناس : من رجع فهو آمن ومن لحق بمسلم بن قتيبة بالرى فهو آمن ، فلحق بمسلم خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث فأنهم الحجاج ، ومن لم يلحق به شرع الحجاج في تتبعهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر من قتل منهم سميد بن جبير على ماسياتي بيانه

وكان الشعبي من جملة من صار إلى مسلم بن قتيبة فذكره الحجاج يوماً قبيلاً له . إنه سار إلى مسلم بن قتيبة ، فكتب إلى مسلم : أن ابعث لي بالشمعي قال الشعبي : فلما دخلت عليه سلمت عليه بالأمره ثم قلت : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق كأننا في ذلك ما كان ، قد والله تمردنا عليك ، وخرجنا وجهدنا كل الجهد فما ألونا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وماجرت إليك أيدينا ، وإن عفوت عنا فبجملتك ، وبعد فلك الحججة علينا . فقال الحجاج : أنت والله يا شمعي أحب إلي ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دماننا ثم يقول : ما فعلت ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شمعي . قال : فانصرفت فلما مشيت قليلاً قال : هلم يا شمعي ، قال : فوجل لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شمعي فاطمأنت نفسي ، فقال : كيف وجدت الناس بعدنا يا شمعي ؟ قال : وكان لي مكرماً قبل الخروج عليه . قلت : أصلح الله الأمير ، قد أكتحللت بمسك السهر ، واستوغرت السهل ، واستوخمت الجناب ، واستحلست الخوف ، واستحللت الهلم ،

وفقدت صالح الاخوان ، ولم أجبد من الأمير خلفا . قال انصرف ياشعبي ، فانصرفت . ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن الشعبي .

وروى البيهقي أنه سأله عن مسألة في الفرائض وهي أم زوج وأخت وما كان يقوله فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ، وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعة فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان ، وأطلق الشعبي بسبب ذلك . وقيل إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير من سيرهم إليه يزيد بن المهلب كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع أحداً من أهلها إلا قال : أشهد على نفسك أنك قد كفرت ، فإذا قال نعم بايعه ، وإن أبي قتله ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أبي أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال فأتى برجل فقال الحجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه . وأراد الحجاج مخادعته . فقال : أخادعي أنت عن نفسي ؟ أنا أكره أهل الأرض وأكره من فرعون وهامان ونمر وذ . قال : فضحك الحجاج وخلي سبيله .

وذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف أن أعشى همدان أتى به إلى الحجاج . وكان قد عمل قصيدة حجا فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ويمدح فيها ابن الأشعث وأصحابه . فاستنشدته إياها فأنشدته قصيدة طويلة دالية ، فيها مدح كثير لعبد الملك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنه لم يحسن ، إنما يقول هذا مصانعة ، ثم ألح عليه حتى أنشدته قصيدته الأخرى ، فلما أنشدتها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه . واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث أبو المصباح الهمداني الكوفي الشاعر ، أحد الفصحاء البليغين المشهورين ، وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشعر ففرغ به ، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بجمص فامتدحه ، وكان محصولة في رحلته إليه منه ومن جند حصص أربعمين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشعبي ، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضا ، وكان من خرج مع ابن الأشعث ، وقتله الحجاج كما ذكرنا رحمه الله .

وقد كان الحجاج وهو موافق لابن الأشعث بعث كميناً يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه ، ثم توافقت الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج بمن معه وترك معسكره ، فجاء ابن الأشعث فاحتاز مافي المعسكر وبات فيه ، فجاءت السرية إليهم ليلا وقد وضعوا أسلحتهم فقالوا عليهم ميلا واحدة ، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتتلوا قتلا شديدا ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق خلق كثير منهم في دجلة ودجيل ، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجده فيه ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان ، واحتازوه بكاله ، وانطلق ابن الأشعث هاربا في ثلاثمائة فركبوا دجيلا في السفن وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هنالك

إلى بلاد الترك، وكان في دخوله بلاد رتبيل ما تقدم، ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم منى وفردى، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبراً مائة ألف وثلاثين ألفاً، قاله النضر ابن شميل عن هشام بن حسان، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، وجماعات من السادات الأخيار، والعلماء الأبرار، حتى كان آخرهم سميد بن جبير رحمهم الله ورضى عنهم كما سيأتي ذلك في موضعه.

#### بناء واسط

قال ابن جرير: وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط، وكان سبب بنائه لها أنه رأى راهباً على أنان قد أجاز دجلة، فلما مر بموضع واسط وقتت أناته فبالت، فنزل عنها وعمد إلى موضع بها فاحفره ورمى به في دجلة، فقال الحجاج: على به، فأتى به فقال له: لم صنعت هذا؟ قال: إنا نجد في كتبنا أنه يبني في هذا الموضع مسجد يمد الله فيه مادام في الأرض أحد بوحده. فمعد ذلك اختط الحجاج مدينة واسط في ذلك المكان وبني المسجد في ذلك الموضع. وفيها كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية. ومن توفى فيها من الأعيان:

#### عبد الرحمن بن جحيرة

الخلولاني المصري، روى عن جماعة من الصحابة وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصاص وبيت المال، وكان رزقه في العام ألف دينار، وكان لا يدخر منها شيئاً.

#### طارق بن شهاب

ابن عبد شمس الأحمسي من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة الصديق وعمر رضى الله عنهما بضعا وأربعين غزاة، توفى بالمدينة هذه السنة

#### عبيد الله بن عدي

ابن أخطيار أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وحدث عن جماعة من الصحابة عبد الله بن قيس بن مخزومة، كان قاضى المدينة. وكان من فقهاء قريش وعلمائهم وأبوه عدى ممن قتل يوم بدر كافراً وتوفى بها في هذه السنة مرثد بن عبد الله أبو الخليل الزنى. وفيها فقد جماعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع الأشعث، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة، ومنهم من أسر فضرب الحجاج عنقه، ومنهم من تتبعه الحجاج حتى قتله، وقد سمى منهم خليفة بن خياط طائفة من الأعيان، فنهسهم مسلم بن يسار المزنى، وأبو مرارة العجلي قتل، وعقبة بن عبد الغفار قتل، وعقبة بن وشاح قتل، وعبد الله بن خالد الجهضى قتل، وأبو الجوزاء الربيعي قتل، والنضر بن أنس، وعمران والد أبي حمزة الضبى، وأبو المنهال سيار بن سلامة الرياحي، ومالك بن دينار، ومرة بن ذباب الهدادى وأبو نجيد الجهضى، وأبو سبيح الهنأى، وسعيد بن أبي الحسن، وأخوه الحسن البصرى قال أبو ب:

قيل لابن الأشعث : إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هو دج غائشة يوم الجمل فأخرج الحسن مملك ، فأخرجه . ومن أهل الكوفة سميد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ، والشعبي ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمعمر بن سويد ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبو البختری ، وطلحة بن مصرف ، وزبيد بن الحارث الياثميان ، وعطاء بن السائب . قال أيوب : فما منهم صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه ، ولا نجأ أحد منهم إلا حمد الله الذي سلمه . ومن أعيان من قتل الحجاج عمران بن عصام الضبيعي ، والد أبي حمزة ، كان من علماء أهل البصرة ، وكان صالحاً عابداً ، أتى به أسيراً إلى الحجاج فقال له : أشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك ، فقال : والله إنى ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فضربت عنقه . عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى صحبة ، أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب ، خرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج فضرب عنقه بين يديه صبراً .

#### ثم دخلت سنة أربع وثمانين

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك المصيصية ، وفيها غزا عهد بن مروان ارمينية فقتل منهم خلقاً وصرف كنائسهم وضياعهم وتسمى بسنة الحريق ، وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد ابن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد . وفيها ولي عبد الملك الأسكندرية عياض بن غنم البجليني وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي . وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أرومة ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين ألفاً . وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من أصحاب ابن الأشعث ، منهم :

#### أيوب بن القرية

وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتل صبراً بين يديه ، ويقال إنه ندم على قتله . وهو أيوب بن زيد ابن قيس أبو سليمان الهلالي المعروف بابن القرية . وعبد الله بن الحارث بن توفل . وسعد بن إلياس الشيباني ، وأبو غنيم الخولاني . له صحبة ورواية ، سكن حمص وبها توفى وقد قارب المائة سنة . عبد الله ابن قتادة ، وغير هؤلاء جماعة منهم من قتلهم الحجاج ، ومنهم من توفى . أبو زرعة الجذامي الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ، تخاف منه معاوية ففهم منه ذلك أبو زرعة فقال يا أمير المؤمنين لا تهمم ركناً بليتته ، ولا تحزن صاحباً سررته ، ولا تشمت عدواً كبتة ، فكف عنه معاوية .

وفيها توفى عتبة بن منذر السلمي صحابي جليل ، كان ينفذ في أهل الصفة . عمران بن حطان الخارجي ، كان أولاً من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها . وكان هو ديم الشكل ، فأراد أن يردّها إلى السنة فأبّت فارتدت معها إلى مذهبها . وقد كان من الشراء



الملتقين ، وهو القائل في قتل علي وقاتله :

يا ضربة من تقي ما أراد بها \* إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً  
إني لأذكره يوماً فأحسبه \* أوفى البرية عند الله ميزاناً  
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم \* لم يخلطوا بينهم بغياً وعدواناً

وقد كان الثوري يتمثل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله :-

أرى أشقياء الناس لا يسمونها \* على أنهم فيها عُرارةٌ وجوعٌ  
أراها وإن كانت بحبٍ فأنها \* سحابةٌ صيفٍ عن قليلٍ تقشعُ  
كركبٍ قضوا حاجاتهم وترحلوا \* طريقهم بادي الملامة متسعُ

مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين . وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل

على رضی الله عنه بأبيات على فافيتها ووزنها :

بل ضربة من شقي ما أراد بها \* إلا ليبلغ من ذي العرش خسراناً  
إني لأذكره يوماً فأحسبه \* أشقى البرية عند الله ميزاناً

#### روح بن زنباع الجذامي

كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشيريه في أموره .

وفيهما كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندي وقيل في التي بعدها فأنه أعلم . وذلك أن  
الحجاج كتب إلى رتبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث يقول له : والله الذي لا إله إلا هو لئن  
لم تبعث إلى بابن الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف مقاتل ، ولأخربنها . فلما تحقق الوعيد من  
الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج  
دياره ويأخذ عامة أمصاره ، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشر سنين ، وأن لا يؤدي  
في كل سنة منها إلا مائة ألف من الخراج ، فأجابه الحجاج إلى ذلك ، وقيل إن الحجاج وعده أن  
يطلق له خراج أرضه سبع سنين ، ففسد ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث فقيل إنه أمر بضرب عنقه  
صبراً بين يديه ، وبعث برأسه إلى الحجاج ، وقيل : بل كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً  
فقتله وهو بأخر رفق ، والمشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقيدهم في الأصفاذ وبعث بهم  
مع رسل الحجاج إليه ، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرجيج ، صعد ابن الأشعث وهو  
مقيد بالديد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به لتلايف ، وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه  
الموكل به فماتاً جميعاً ، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزده ، وقتل من معه من أصحاب ابن  
الأشعث وبعث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه في العراق ، ثم بعثه إلى عبد الملك فطيف

برأسه في الشام ، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هنالك ، ثم دفنوا رأسه بمصر  
وجنته بالرحيح ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك : -

هبّات موضع جنة من رأسها \* رأس بمصر وجنة بالرحيح  
وإنما ذكر ابن جرير مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين فأنه أعلم .

وعبد الرحمن هنا هو أبو محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن  
محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود والنسائي عن أبيه عن جده عن ابن  
مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايمان والسلمة قائمة فالقول ما قال البائع أو تشاركا . » وعنه أبو العيس  
ويقال إن الحجاج قتله بعد التسمين سنة فأنه أعلم . والمعجب بكل المعجب من هؤلاء الذين يايهوه بالامارة  
وليس من قريش ، وإنما هو كندي من اليمن ، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الامارة لا تكون  
إلا في قريش ، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك ، حتى ان الأنصار سألوا أن يكون منهم  
أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصديق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عباد الذي دعا  
إلى ذلك أولا ثم رجع عنه ، كما قررنا ذلك فيما تقدم . فكيف يعمدون إلى خليفة قد بويع له بالامارة  
على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صلبية قريش ويبايعون لرجل كندي بيعة لم يتفق عليها  
أهل الحل والعقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وفتنة نشأ بسببها شر كبير هلك فيه خلق كثير فأنه الله  
وإنما إليه راجعون

### أيوب بن القرية

وهي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زرارة بن مسلم النمرى الهلالي ، كان أعرابياً أمياً ، وكان  
يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته ، صحب الحجاج ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولا إلى  
ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث : لئن لم تقم خطيباً فتخلع الحجاج لأضرب عنقك ، ففعل وأقام  
عنده ، فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب  
عنقه ونسب بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم . كما قيل : وجادت  
بوصل حين لا ينفع الوصل \* وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه وابن خلكان في الوفيات وأطال  
ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقرية بكسر القاف وتشديد الياء وهي جدته واسمها جماعة  
بنت جشم قال ابن خلكان : ومن الناس من أنكرو وجوده ووجود مجنون ليلى ، وابن أبي العتب  
صاحب الملحمة ، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي العتب والله أعلم .

### روح بن زنباع

ابن سلامة الجنامي أبو زرعة ويقال أبو زنباع النمشي داره بدمشق في طرف البزوريين عند دار

ابن عقب صاحب الملحة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه - وكانت له صحبة - وتيم الداري ، وعبادة بن الصامت معاوية وكعب الأحمق وغيرهم ، وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي . كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له صحبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، ومن ما تراه التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمام يعتق نسمة ، قال ابن زيد : مات سنة أربع وثمانين بالاردن ، وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك ، وقد حج مرة فتنزل على ماء بين مكة والمدينة فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فبينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة يرد الماء ، فدعاه روح بن زنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي فنظر إلى طعامه وقال : إني صائم ، فقال له روح : في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم ياراعي ؟ فقال الراعي : أفأغبن أبيي من أجل طعامك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فتره وترك روح بن زنباع ، فقال روح بن زنباع : -

لقد ضننت بأيامك ياراعي \* إذ جاد بها روح بن زنباع

ثم إن روحا بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرفعت ، وقال : انظروا هل تجدون لها آكلان من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم سار من ذلك المكان وقد أخذ الراعي بجميع قلبه وصغرت إليه نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها كما ذكر ابن جرير كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث فأنه أعلم ، وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه المفضل بن المهلب ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مر بدير فقيل له إن فيه شيخاً كبيراً من أهل الكتاب عالماً ، فدعى فقال : يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجد ملكاً أقرع ، من يقم في سبيله يهرع ، قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس ، قال : فتعرفني له قال : قد أخبرتك بك . قال : أتعرف ما ألى ؟ قال : نعم . قال : فمن يلى العراق بعدى ؟ قال رجل يقال له يزيد ، قال أفي حياتي أو بعد موتي ؟ قال لا أدري ، قال : أتعرف صفته ؟ قال يندر غيرة لأعرف غيرها قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ، وسار سبعا وهو وجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستفنيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ؟ فجاء الكتاب بالقرع والتأييب والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى

بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل  
 للكنب يذكرون أن ماتحت يدي سليله رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد  
 ابن حصين بن نمير ويزيد بن دينار وليسوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب . فقال عبيد : لقد  
 شرفهم وعظمت ولايتهم وإن لهم لقدراً وجلداً وحظاً فأخلق به . فأجمع رأى الحجاج على عزل يزيد  
 ابن المهلب ، فكتب إلى عبد الملك يذمه ويخوفه غدرة ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ الكتابي ،  
 فجاء البريد بكتاب فيه قد أكثرت في شأن يزيد فسم رجلاً يصلح لخراسان ، فوقع اختيار الحجاج  
 على المفضل بن المهلب فولاه قليلاً تسعة أشهر ، ففزا بلاد عيس وغيرها وغنم مقام كثيرة ، وامتنحه  
 الشعراء ثم عزله بقتية بن مسلم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ، ثم ذكر سبب ذلك  
 وملخصه أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يلجأ إليه بمن معه من أصحابه ، فجعل كلما اقترب من بلدة  
 خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريبا من ترمذ وكان ملكها فيه ضعف ، فجعل  
 يهادنه ويبحث إليه بالاعطاف والتحف ، حتى جعل يتصيد هو وهو ، ثم عن ذلك فعل له طاماً وبث  
 إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن اثني في مائة من أصحابك ، فاختار موسى من جيشه مائة من  
 شجعانهم ، ثم دخل البلد فلما فرغت الضيافة اضطجع موسى في دار الملك وقال : والله لا أقوم من هنا  
 حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبري : فنار أهل القصر إليه فحاجب عنه أصحابه ، ثم وقت  
 الحرب بينهم وبين أهل ترمذ ، فاقتتلوا فقتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيتهم ، واستدعى  
 موسى بقتية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فخصنها ومنعها من الأعداء ، وخرج منها ملكها  
 هارباً فلجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستنصرهم فقالوا له : هؤلاء قوم نحو من مائة رجل أخرجوك من  
 بلدك ، لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستنصرهم فبعثوا  
 معه قصاداً نحو موسى ليسموا كلامه ، فلما أحس بقدمهم - وكان ذلك في شدة الحر - أمر أصحابه أن  
 يوججوا ناراً ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطلون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل  
 رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي تراكم تفعلون ؟ فقالوا لهم : إننا نجد البرد  
 في الصيف والكر في الشتاء ، فرجموا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلا جن ثم  
 غدوا إلى ملكهم فأخبروه بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجلس  
 بطائفة أخرى فجأزوا محاصره بترمذ وجاء الخزاعي محاصره أيضاً ، فجعل يقاتل الخزاعي أول النهار  
 ويقاقل آخره العجم ، ثم إن موسى بينهم قتل منهم مقتلة عظيمة وأفرغ ذلك عمر الخزاعي فصله  
 وكان معه ، فدخل يوماً عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحاً فقال له على وجه النصيح

أصلح الله الأمير، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح، فقال: إن عندي سلاحاً، ثم رفع صدره فراشه فاذا سيفه منتضى فأخذ عمر فضربه به حتى برد وخرج هارباً، ثم تفرق أصحاب موسى بن عبد الله بن خازم.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية، وحسن له ذلك روح بن زنباع الجندابي، فبينما هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب في الليل، وكان لا يحجب عنه في أي ساعة جاء من ليل أو نهار، فعزله في أخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله، وإنما حمله على إرادة عزله أنه أراد أن يعهد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وذلك عن رأي الحجاج وترتيبه ذلك لعبد الملك، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالكلية، ويجعل الأمر في أولاده وعقبه، وأن تكون الخلافة باقية فيهم والله أعلم.

## عبد العزيز بن مروان

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الأصمغ القرشي الأموي ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة، وشهد قتل سعيد بن عمرو بن العاص كما قدمنا، وكانت له دار بدمشق وهي دار الصوفية اليوم، المروفة بالخانقاه السمسماطية ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز، ثم تنقلت إلى أن صارت خانقاه للصوفية. وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير وعقبه بن عامر وأبي هريرة، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود أن رسول الله (ص)، قال: «شرفاني الرجل حين خالغ وشح هالغ». وعنه ابنه عمرو والزهرى وعلي بن رباح وجماعة. قال محمد بن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وقال غيره: كان يلحن في الحديث وفي كلامه، ثم تعلم العربية فأتقنها وأحسنها فكان من أفصح الناس، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو ختنه - وهو زوج ابنته - فقال له عبد العزيز: من خنتك؟ فقال الرجل: خنتي الختان الذي يختن الناس، فقال لكتابه ويحك بماذا أجابني؟ فقال الكاتب: يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول من خنتك، فألى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلم العربية، فكث جمعة واحدة فتعلمها فخرج وهو من أفصح الناس، وكان بعد ذلك يجزل عطاء من يعرب كلامه وينقص عطاء من يلحن فيه، فتسارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية. قال عبد العزيز يوماً لرجل: من أنت؟ قال: من بنو عبد الدار، فقال: تجدها في جارتك، فنقصت جارتك مائة دينار:

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا مجاهد بن موسى ثنا إسحاق بن يوسف أنبأنا سفيان عن محمد بن مجلان عن القعقاع بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إلى حاجتك . فكتب إليه ابن عمر : إن رسول الله ص . قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تمول » . ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقا رزقنيه الله عز وجل منك . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس قال : بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال : فبعت فدفعت إليه الكتاب فقال : أين المال ؟ قلت : لا أستطيعه الليلة حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر الليلة وله ألف دينار ، قال : فدفع إلى الكتاب حتى جنته بها ففرقها رضى الله عنه .

ومن كلامه رحمه الله : محبا لمؤمن يؤمن ويوقن أن الله برزقه ويخلف عليه ، كيف يجبس مالا عن عظيم أجر وحسن ثناء . ولما حضرته الوفاة أحضر له مالاً يحصيه وإذا هو ثلاثمائة مدين من ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بمر خائل بنجد ، وقال : والله لوددت أنى لم أكن شيئاً مذكوراً ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجاري ، أو نباتة بأرض الحجاز ، وقال لهم : اثبتوني بكفنى الذى تكفنونى فيه ، فجعل يقول : أف لك ما أقصر طوليك ، وأقل كعبيرك .

قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن الليث بن سعد قال : كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين ، قال ابن عساکر : وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصواب سنة خمس وثمانين ، فإنه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده بسنة سنة ست وثمانين . وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كرمياً جواداً ممدحاً ، وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، وقد اكتسب عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمر كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر ، عاصم وأبو بكر ومحمد والأصمغ - مات قبله بقليل فحزن عليه حزناً كثيراً ومرض بعده ومات . وسهيل وكان له عدة بنات ، أم محمد وسهيل وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين وهن من أمهات شقى ، وله من الأولاد غير هؤلاء ، مات بالمدينة التى بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر فى النيل ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والدواب من الخيل والبغال والابل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف ، من جملة ذلك ثلاثمائة مدين من ذهب غير الورق ، مع جوده وكرمه وبذله وعطايه الجزيلة ، فإنه كان من أعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالديار المصرية يسأله أن ينزل عن العهد الذى له من بعده لولده الوليد أو يكون ولى العهد من بعده ، فإنه أعز الخلق على . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إني أرى فى أبى بكر بن عبد العزيز ما ترى فى الوليد . فكتب

إليه عبد الملك يأمره . يحمل خراج مصر - وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر بكاملها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز ، مغائرها وخراجها وحملها - فكتب عبد العزيز إلى عبد الملك : إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنناً لا يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينما يأتيه الموت أولاً ، فإن رأيت أن لاتعيب علي بقية عمري فأفعل ، فرق له عبد الملك وكتب إليه : لعمري لأعيب عليك بقية عمرك . وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن يرد الله أن يعطيكها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنه الوليد وسليمان : هل قارفتما محرماً أو حراماً قط ؟ فقالا : لا والله ، فقال : الله أكبر ، نلتها ورب السمكة . ويقال إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إجابته إلى ما طلب منه في بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال : اللهم إنه قطنني فأقطعه ، فمات في هذه السنة كما ذكرنا ، فلما جاء الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليس إلا حزن وبكى وبكى أهله بكاء كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سره ذلك من جهة ابنيه فإنه نال فيهما ما كان يؤمله لهما من ولايته إياهما بعده . وقد كان الحجاج بعث إلى عبد الملك يحسن له ولاية الوليد ويزينها له من بعده ، وأوفد إليه وفداً في ذلك عليهم - عمران بن عصام العثري ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلم وتكلم الوفاً في ذلك وحثوا عبد الملك على ذلك وأنشد عمران بن عصام في ذلك :

أمير المؤمنين إليك نهدي \* على النأي التحية والسلاما  
أجبتني في بنيك يكن جوابي \* لهم عادية ولنا قواماً  
فلو أن الوليد أطاع فيدي \* جعلت له الخليفة والدماما  
شبهك حول قبتة قريش \* به يستمطر الناس الفلما  
ومثلك في التقي لم يصب يوماً \* لدن خلق القلائد والجماما  
فإن تؤثر أخاك بها فانا \* وجدك لا نطبق لها اتها  
ولكننا نحاذر من بنيهم \* بني العلات مائة سلما  
ونخشى إن جعلت الملك فيهم \* سحابة أن تعود لهم جهاما  
فلايك ما حلبت غداً لقوم \* وبعد غد بنوك هم العباما  
فأقسم لو فخطاني عصام \* بذلك ما عنرت به عصاما  
ولو أني جوت أخاً بفضل \* أريد به المقاتلة والمقاما  
لعتب في بني علي بنيه \* كذلك أو لمرت له مراما  
فمن يك في آثاره صدوع \* فصدع الملك أبطوه التثاما

قال : فهاجه ذلك على أن كتب لأخيه يستنزله عن الخلافة للوليد فأبى عليه ، وقدر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد ، فتمكن حينئذ مما أراد من بيعة الوليد وسليمان والله سبحانه وتعالى أعلم .

### بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم من بعده لولده سليمان

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، بويع له بدمشق ثم في سائر الأقاليم ثم لسليمان من بعده ، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فصر به ستين سوطاً ، وألبسه ثياباً من شعر وأركبه جملًا وطاف به في المدينة ، ثم أمر به فذهبوا به إلى ثنية ذباب - وهي الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقبلون - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن ، فقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم ألبس هذا الثياب . ثم كتب هشام بن إسماعيل الخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد في ذلك ، فكتب إليه يمنعه في ذلك ويأمره باخراجه ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرحم مما فعلت به ، وإنا لنعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ، ويروى أنه قال له : ما ينبغي إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيله . وذكر الواقدي أن سعيداً لما جاءت بيعة الوليد امتنع من البيعة فصر به نائبها في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوطاً أيضاً وسجنه فآله أعلم .

قال أبو مخنف وأبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي نائب المدينة ، وكان على المراق والمشرق بكاله الحجاج ، قال شيخنا الحافظ الذهبي : وتوفي في هذه السنة إبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة ، كان من فقهاء المدينة المشرفة ، قاله يحيى بن القطان . وقال محمد بن سعد كان ثقة وكان به صمم ووضح كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت . عبد الله ابن عامر بن ربيعة . عمرو بن حريث . عمرو بن سلمة . وائلة بن الأسقع . شهد وائلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزلها ، ومبجده بها عند حبس باب الصغير من القبلة . قلت : وقد احترق مسجده في فتنة تمرلنك ولم يبق منه إلا رسومه ، وعلى بابه من الشرقة قناة ماء . خالد بن يزيد بن معاوية . ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طولى في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً منطبقاً كأبيه ، دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بمحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكى إليه أن ابنه الوليد يحتمر أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : [ إن الملوك إذا دخلوا قرية أسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ] فقال له خالد : [ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق



عليها القول فدمرناها تدميراً ] فقال عبد الملك : والله لقد دخل على أخوك عبد الله فإذا هو لا يقيم اللحن ، فقال خالد : والوليد لا يقيم اللحن ، فقال عبد الملك : إن أخاه سليمان لا يلحن ، فقال خالد : وأنا أخو عبد الله لا ألحن ، فقال الوليد - وكان حاضراً - لخالد بن يزيد : اسكت ، فوالله ما تمد في العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ! ثم أقبل خالد على الوليد فقال : ويحك وما هو العير والنفير غير جدى أبى سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة بن زبيعة صاحب النفير ؟ ولكن لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت - يعنى أن الحكم كان منفيّاً بالطائف يرعى غنماً ويأوى إلى جبلة الكرم حتى آواه عثمان بن عفان حين ولى - فسكت الوليد وأبوه ولم يجيرا جواباً ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان ، بلاداً كثيرة من أرض الترك وغيرهم من الكفار ، وسبي وغنم وسلم وتسلم قلاعاً وحصونا وممالك ، ثم قفل فسبق الجيش ، فكتب إليه الحجاج يولمه على ذلك ويقول له : إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكن في مقدمة الجيش ، وإذا قفلت راجعاً فكن في ساقية الجيش - يعنى لتكون ردهاً لهم من أن يناههم أحد من العدو وغيرهم بكيد - وهذا رأى حسن وعليه جاءت السنة ، وكان في السبي امرأة برمك - والد خالد بن برمك - فأعطاها قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه ، ثم إن قتيبة من على السبي ورجت تلك المرأة على زوجها وهى حبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا فقدموا به معهم أيام بنى العباس كما سياتى . ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه دهاقين بلغار بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب .

وفيها كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيات ، لأنه أول ما بدأ بالنساء فسمى بذلك . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل وسبي وغنم وسلم وافتتح حصن بولق وحصن الأخرم من أرض الروم ، وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت أخيه عبد العزيز فدخلها في جمادى الآخرة ، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة . وفيها هلك ملك الروم الأخرم لورى لا رحمه الله . وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب . وحج بالناس فيها هشام بن إسماعيل المخزومي . وفي هذه السنة توفى أبو أمامة الباهلي وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي في قول ، شهد فتح مصر وسكنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر . وفيها فى شوالها توفى أمير المؤمنين .

عبد الملك بن مروان قتل الخلفاء المؤمنين

وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الوليد الأموي أمير المؤمنين ،

وأمة عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية . سمع عثمان بن عفان ، وشهد الدار مع أبيه وهو ابن عشرين سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولاة إياها معاوية ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء وروى الحديث عن أبيه وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر ومعاوية وأم سلمة وبريرة مولاة عائشة . وروى عنه جماعة منهم خالد بن معدان وعروة والزهرى وعمرو بن الحارث ورجاء بن حيوة وجري بن عثمان . ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم وكان يكنى بأبي القاسم ، ثم غير اسمه فسماه عبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة عن مصعب بن الزبير : وكان أول من سمي في الاسلام بعبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة : وأول من سمي في الاسلام بأحمد . والد الخليل بن أحمد العروضي . وبريع له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين ، وابن الزبير على باقي البلاد ، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك ، وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين ، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن ، وكان ربعة من الرجال أقرب إلى القصر . وكانت أسنانه مشبكة بالذهب ، وكان أفوه مفتوح النعم ، فربما غفل فيفتح فيه فيدخل فيه الثباب ، ولهذا كان يقال له أبو الثباب . وكان أبيض ربعة ليس بالنحيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين أشهل كبير العينين دقيق الأنف مشرق الوجه أبيض الرأس واللحية حسن الوجه لم يخبض ، ويقال إنه خضب بعد . وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك ابن مروان ، وقال الأعمش عن أبي الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة ابن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الامارة . وعن ابن عمر أنه قال : ولد الناس أبناء وولد مروان أباً - يسى عبد الملك - ورآه يوماً وقد ذكر اختلاف الناس ، فقال : لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه ، وقال عبد الملك : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لي يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تلى أمر هذه الأمة ، فاحذر الدماء فاني سمعت رسول الله (س) يقول : « إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق » . وقد أثنى عليه قبل الولاية معاوية وعمرو بن العاص في قصة طويلة ،

وقال سعيد بن داود الزبيري عن مالك عن يحيى بن سعيد بن داود الزبيري قال : كان أول من صلى ما بين الظهر والمغرب عبد الملك بن مروان وقتان معه ، فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفرغ في أمر الله والورع عن محارم الله . وقال الشعبي :

ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فأني ما ذا كرته حديثاً إلا زادتني منه ، ولا شعراً إلا زادتني فيه . وذكر خليفة بن خياط أن معاوية كتب إلى مروان وهو نائبه على المدينة سنة خمسين أن ابث ابنك عبد الملك على بئس المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن خديج ، فذكر من كفايته وغناؤه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً . ولم يزل عبد الملك مقبلاً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجلى بني أمية من هنالك ، فقدم مع أبيه الشام ، ثم لما صارت الإمارة مع أبيه ، وبايعه أهل الشام كما تقدم أقام في الإمارة تسعة أشهر ثم عهد إليه بالإمارة من بعده ، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مسهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين ، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك . وقال أبو الطغليل : صنع لعبد الملك مجلس توسع فيه ، وقد كان بيني له فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان حشمة الأحوازي - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام ، وقيل إنه لما وضع المصحف من حجره قال : هذا آخر العهد منك . وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء ، وكان حازماً فيما فطنا سألناه لأموال الدنيا ، لا بكل أمر دنياه إلى غيره . وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبوها معاوية هو الذي جدد أنف حمزة عم النبي . يوم أحد ، وقال سعيد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشى ، فلما التقوا قال : اللهم احجز بين هذين الجبلين وول الأمر أحبهما إليك . فظفر عبد الملك - وقد كان مصعب من أعز الناس على عبد الملك - وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً . وقال سعيد بن عبد العزيز : لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ! سلام عليك فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فانك راع وكل راع مسئول عن رعيته [ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً ] لا أحد والسلام . وبعث به مع سلام فوجدوا عليه إذ قدم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم نظروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتملوا ذلك منه .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ميسرة عن أبي موسى الخياط عن أبي كعب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سألت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، فآلزموا ما في مصحفكم

الذي حملكم عليه الامام المظلوم ، وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها إمامكم المظلوم رحمه الله ، فانه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت ونعم المشير كان للإسلام رحمه الله ، فأحكما ما أحكما ، واستقصيما شذ عنها . وقال ابن جريج عن أبيه : حج علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين ، فخطبنا فقال : أما بعد فانه كان من قبلي من الخلفاء يأكلون من المال ويوكلون ، وإني والله لا أدأوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ، ولست بالخليفة للمستضعف - يعني عثمان - ولا الخليفة المداهن - يعني معاوية - ولا الخليفة المأبون - يعني يزيد بن معاوية - أيها الناس إنا نحتمل منكم كل الغرمة ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر . هذا عمرو بن سعيد حقه حقه ، قرابته وابنه ، قال رأسه هكذا قتلنا بسيفنا هكذا ، وإن الجامعة التي خلمها من عنقه عندي ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضعها في رأس أحد إلا أخرجها الصعداء ، فليبلغ الشاهد الغائب . وقال الأصمعي : ثنا عباد بن سلم بن عثمان بن زياد عن أبيه عن جده . قال : ركب عبد الملك بن مروان بكرأ فأنشأ قائده يقول : -

يا أيها البكر الذي أراك \* عليك سهل الأرض في مشاك  
ويحك هل تعلم من علاك \* خليفة الله الذي امتطاك  
\* لم يحب بكرأ مثل ما حباكا \*

فلما سمعه عبد الملك قال : أيها ياهناه ، قد أمرت لك بعشرة آلاف . وقال الأصمعي : خطب عبد الملك خصر فقال : إن اللسان بضمة من الانسيان ، وإنا نسكت حصراً ولا ننطق هندراً ، ونحن أمراء الكلام ، فينارسخت عروقه ، وعلينا تدلت أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، وبعد عينا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب . قال الأصمعي : قيل لعبد الملك أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : وتنسى ارتقاء المنبر ومخافة اللحن ؟ ولحن رجل عند عبد الملك - يعني أسقط من كلامه ألفاً - فقال له عبد الملك زد ألف ، فقال الرجل : وأنت فزد ألفاً ، وقال الزهري : سمعت عبد الملك يقول في خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير غال فيه ولا جاف عنه ، وروى ابن الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يساره في سفره : إذا رفعت له شجرة ، سبحوا بنا حتى تأتي تلك الشجرة ، كبروا بنا حتى تأتي تلك الحجر ، ونحو ذلك .

وروى البيهقي أن عبد الملك وقع منه فلس في بئر فذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها ، فقيل له في ذلك فقال : إنه كان عليه اسم الله عز وجل . وقال غير واحد : كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيفون على رأسه بالسيف فينشد ، وقال بعضهم : يأمر من ينشد فيقول :

إنا إذا نالت دواعي الهوى \* وأنصت السامع للقائل  
 واصطرع الناس بألبابهم \* نقضى بحكم عادلٍ فاصل  
 لأنجمل الباطل حقاً ولا \* نلفظ دون الحق بالباطل  
 نخاف أن تسفء أعلامنا \* فنجهل الحق مع الجاهل

وقال الأعمش: أخبرني محمد بن الزبير أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه: لو أن رجلاً ختم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصراني أو تعرف مكانه لهاجرت إليه ملوكهم، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة، ولعرفوا له ذلك، ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والحبة وغير ذلك ما استطاعوا، وإني خادم رسول الله (ص)، وصاحبه ورأيتُهُ وأكلت معه، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه، وإن الحجاج قد أضرني وفعل وفعل، قال: أخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ، فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغير ثم قال إلى حامل الكتاب: انطلق بنا إليه نترضاه. وقال أبو بكر بن دريد: كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث: إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه، وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم، وإذا عزيت بالله فاعف له، فانك به تعز وإليه ترجع. قال بعضهم: سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالانصراف، فلما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك: احذر في كلامك ثلاثاً، إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك، أو تكذبني فإنه لا أراى لكنوب، أو تسمى إلى بأحد من الرعية فانهم إلى عدلي وعتوي أقرب منهم إلى جورى وظللى، وإن شئت أقتلك. فقال الرجل: أقتلني فأقاله. وكذا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق: اعفني من أربع وقل ما شئت، لا تطرنى، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه، ولا تكذبني، ولا تحملي على الرعية فانهم إلى رافتي ومعدناتي أحوج. وقال الأصمعي عن أبيه قال: أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال: اضربوا عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك، فقال: وما جزاؤك؟ فقال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك، وذلك أتى رجل مشوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت، وكنت عليك خيراً من مائة ألف معك تنصحك، لقد كنت مع فلان فكسر وهزم وتفرق جمعه، وكنت مع فلان تقتل، وكنت مع فلان فهزم - حتى عد جماعة من الأمراء - فضحك وخطى سبيله. وقيل لعبد الملك: أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن رفة وزهد عن قدرة، وترك النصرة عن قوة. وقال أيضاً لا طمأنينة قبل الخبرة، فان الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم. وقال: خير المال ما أفاد جسدًا ودفع ذمًا، ولا يقولن أحدكم ابداً بمن تعول، فان

انطلق كلهم عيال الله ، وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث . وقال المدائني : قال عبد الملك لمؤدب أولاده - وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فانهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة ، واحف شورهم تملظ رقابهم ، وأطه بهم اللحم يقرؤا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستأجروا عرضا ، ويصصروا الماء مضا ، ولا يعبروا عبا ، وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سرا لا يعلم بهم أحد من الناشئة فبهنوا عليهم .

وقال الهيثم بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذنا خاصا ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يابه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدرك أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الانسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم [ بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ] [ ألا يغفر أولئك أنهم مبهوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ] [ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ] [ وما تؤخره إلا لأجل ممدود ] [ إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ، [ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ] وإني أحذرك يوم ينادى المنادى [ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ] [ ألا لعنة الله على الظالمين ] قال فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمة ولم تزل السكابة في وجهه بعد ذلك أياما . وكتب زر بن حبيش إلى عبد الملك كتابا وفي آخره : ولا يطعمك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذا كر ما تكلم به الأولون إذا الرجال ولدت أولادها • ووليت من ركبت أجسادها وجعلت أسقامها تمتادها \* تلك زروع قد كنا حصاها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف نوبه ، ثم قال : صدق زر ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق . وصح عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : أنتم عن ذكر عمر فانه مرارة للامراء مفسدة للرعية . وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القبانى عن أبيه عن جده قال : كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق ، فقالت له : بلغني أنك شربت الطلا بعد العبادة والنسك ، فقال : إى والله ، والدماء أيضا قد شربتها . ثم جاءه غلام كان قد بهته في حاجة فقال : ما حبسك لعنة الله ؟ فقالت أم الدرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين فاني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله - يقول : « لا يدخل الجنة لعان » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال قيل لسعيد بن المسيب : إن عبد الملك بن مروان قال قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الآن تكامل موت قلبه .

وقال الأصمعي عن أبيه عن جده قال خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال : يارب إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوك أعظم منها ، اللهم طمع بقليل عفوك عظيم ذنوبي . قال : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام ، وقد روى عن غير واحد نحو ذلك ، أي أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن . وقال مسهر الدمشقي : وضع سباط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لحاجبه : ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلا يبه عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فلخالد بن يزيد ابن معاوية ، قال : مات ، قال فلفلان وفلان - حتى عد أقواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك قبلنا - فأمر برفع السباط وأنشأ يقول :

ذَهَبَتْ لَهَا قِيٌّ وَأَنْقَضَتْ أَيَامُهُمْ \* وَغَبِرَتْ بَعْدَهُمْ وَلَسْتُ بِخَالِدِ

وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك : ما هذا ؟ أبحن حينين الجارية والأمة ؟ إذا أنا مت فشمروا تزر والبس جلد النمر ، وضع الأُمور عند أقرانها ، واحذرو قریشا . ثم قال له : يا وليد أتق الله فيما أستخلفك فيه ، واحفظ وصيتي ، وانظر إلى أخي معاوية فصل رحمة واحفظني فيه ، وانظر إلى أخي محمد فأمره على الجزيرة ولا تعزله عنها ، وانظر إلى ابن عمنا علي بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته ونصيحته وله نسب وحق فصل رحمة واعرف حقه ، وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك وشتت الخوارج ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، والمعروف مناراً ، فإن الحرب لم تمدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يشهد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالحبية ، ويذلل الألسنة بالذكر الجميل ، والله در القائل :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اجْتَمَعَتْ فَرَامَهَا \* بِالْكَسْرِ ذُو حَنْقٍ وَبَطْشٍ مَعْنَدٍ  
عَزَّتْ فَلَمْ تَكْسِرْ وَإِنْ هِيَ بَدَّدَتْ \* فَالْكَسْرُ وَالتَّوْهِينُ الْمُنْتَبِدُ

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فننأبى بالسيف ، وعليك بالاحسان إلى أخواتك فأكرمين وأحبين إلى طائفة - وكان قد أعطاهما قرطى مارية والدرة البيضة - ثم قال : اللهم احفظني فيها . فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها .

ولما احتضر سمع غسالا ينسل الثياب فقال : ما هذا ؟ فقالوا غسالا ، فقال : ياليتني كنت غسالا أكسب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم أَلِ الخِلافة . ثم تمثل فقال : -

لمصرى لقد عمرت في الملك برهة \* ودانت لي الدنيا بوضع البواتر  
وأعطيت حرَّ المال والحكم والنهى \* ولي سلمت كلُّ الملوك الجبابر

فأضحى الذى قد كان مما يسرى \* كحل مضى فى المزمناتِ الغوايرِ  
فيا ليتنى لم أعن بالملك ليلة \* ولم أسع فى لذات عيشٍ نواصرِ  
وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبى سفيان عند موته .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك فى مرض موته : كيف تجحدك ؟ فقال أجدنى كما قال الله تعالى  
[ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ] الآية . وقال  
سعید بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً  
بالوادي فقال : ما هذا ؟ قالوا قصار ، فقال : يا ليتنى كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ  
سعید بن المسيب قوله قال : الحمد لله الذى جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم . وقال :  
لما حضره الموت جعل ينلم ويندب ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت أنى اكتسبت قوتى  
يوماً بيوم واشتغلت بعبادة ربى عز وجل وطاعته . وقال غيره : لما حضرته الوفاة دعا بنيه فوصام  
ثم قال : الحمد لله الذى لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم ينشد : -

فهل من خالده إنا هلكنا \* وهل بالموت للباقي غار

وبروى أنه قال : ارفعونى ، فرضوه حتى شم الهواء وقال : يا دنيا ما أطيبك إنا طويك لتقصير ،  
وإن كثيرك لحقير ، وإنا كنا بك لى غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين :

إن تناقش يكن نقاشك يارب \* عذاباً لا طوق لي بالعذاب

أو تجاوزت فانت رب صفوح \* عن مسيء ذنوبه كالتراب

قالوا : وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء وقيل الخميس ، فى النصف من شوال  
سنة ست وثمانين ، وصلى عليه انه الوليد ولى عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة . قاله  
أبو مشر وصححه الواقدي ، وقيل ثلاثا وستين سنة . قاله المدائني ، وقيل ثمانى وخمسين . ودفن بباب  
الجابية الصغير ، قال ابن جرير : ذكر أولاده وأزواجه منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر درج  
وعائشة ، وأمه ولادة بنت اليباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن  
مازن بن الحارث بن قطيعة بن عيس بن بغيض ، وبزید ومروان الأصغر ومعلوية درج وأم كلثوم  
وأهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وهشام وأمه أم هشام عائشة - فيما قاله المدائني -  
بنت هشام بن إسماعيل الخزومى . وأبو بكر واسمه بكار وأمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله  
التيسى ، والحكم درج وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموى ، واطلمة وأمها المنيرة  
بنت المنيرة بن خالد بن المص بن هشام بن المنيرة الخزومى . وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة  
ومحمد وسعد الخير والحجاج لأمهات أولاد شتى ، فكان جملة أولاده تسعة عشر ذكراً وإنا ،



وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين مشاركا لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلا بالخلافة وحده . وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني ، وكتبه روح بن زنباع ، وحاجبه يوسف مولاه ، وصاحب بيت المال والخطام قبيصة بن ذؤيب . وعلى شرطته أبو الزعزعة . وقد ذكرنا عماله فيما مضى . قال المدائني : وكان له زوجات أخر ، شقراء بنت سلعة بن حليس الطائي ، وابنة لعل بن أبي طالب ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر . ومن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريبا .

#### أرطاة بن زفر

ابن عبد الله بن مالك بن شداد بن ضمرة بن غفغان بن أبي حارثة بن مرة بن شبة بن نعيم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الوليد المري ، ويعرف بابن شبهة ، وهي أمه بنت رامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن جشم بن كعب بن عون بن عامر بن عوف - سبية من كلب - وكانت عند ضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زفر وهي حامل فأنت بأرطاة على فراشه ، وقد عمر أرطاة دهرآ طويلا حتى جاوز المائة بثلاثين سنة ، وقد كان سيديا شريفا مطاعا ممدحا شاعرا مطبقا قال المدائني : ويقال إن بني غفغان بن حنظلة بن وواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث دخلوا في بني مرة بن شبة فقالوا بني غفغان بن أبي حارثة بن مرة . وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زفر هذا على عبد الملك فأنشدته أبياتا : -

رأيت المرء تاكله الليالي • كأكل الأرض ساقطة الحديد  
وماتبق النية حين تأتي \* على نفس ابن آدم من مزيد  
وأعلم أنها ستكوث حتى \* توفي نذرها بأبي الوليد

قال : فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه بذلك فقال يا أمير المؤمنين إمعان عانيت نفسي ، فقال عبد الملك : وأنا والله سيمر بي ما الذي يمر بك ، وزاد بعضهم في هذه الايات : -  
خلقنا أفضأ وبني نفوس \* ولسنا بالسلام ولا الحديد  
لئن أجمت بالقرناء يوما \* لقد تمت بالأمل البعيد  
وهو القائل وإني لقوام لدى الضيف موهنا \* إذا أسبل الستر البخيل المواكل  
دعا فاجبته كلاب كثيرة \* على فقة مني بأني فاعل  
وما دون ضيفي من تلال تحوزة \* لي النفس إلا أن تصان الحلال

#### مطرف بن عبد الله بن الشخير

كان من كبار التابعين ، وكان من أصحاب عمران بن حصين ، وكان مجلب الدهرة ، وكان يقول ما أوتي أحد أفضل من العقل ، وعقول الناس على قدر ذاهمهم . وقال : إذا استوت سريرة العبد

وعلايته قال الله هذا عبدي حقاً . وقال : إذا دخلتم على مريض فإن استنظمت أن يدعوكم فإنه قد حرك - أي قد أوقف من غفلته بسبب مرضه - فدناؤه مستجاب من أجل كسره ورقة قلبه . وقال : إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة .

### خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير - وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة للنصف من شوال من هذه السنة - لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر - منبر المسجد الأعظم بدمشق - فخطب الناس فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السلوي وهو يقول : -

الله أعطاك التي لا فوقها \* وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها \* إليك حتى قلدوك طوقها

ثم بايعه وبايع الناس بعده . وذكر الواقدي أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه لا مقدم لما أقر الله ، ولا مؤخر لما قدم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على أنبيائه وحملة عرشه وملائكته الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لاقاه في هذه الأمة - يعني بالذي يحق لله عليه - من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الإسلام وإعلانه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارات على أعداء الله عز وجل فلم يكن عاجزاً ولا مغرطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة وازوم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فخارها . وكان جباراً عنيداً . وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب ، وإنما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما سيأتي ، وكما تقدم تقريره في دلائل النبوة في باب الاخبار عن الغيوب المستقبلية ، فيما يتعلق بدولة بني أمية ، وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صينياً في نفسه حازماً في رأيه ، يقال إنه لا تعرف له صبوة ، ومن جملة محاسنه ما صح عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكر آ كان يأتي ذكر آ كما توتى النساء ، كما سيأتي ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته ، وهو باني مسجد جامع دمشق الذي لا يعرف في الآفاق أحسن بناء منه ، وقد شرع في بنائه في ذى القعدة من هذه السنة ، فلم يزل في بنائه وتحسينه مدة خلافته وهي عشر سنين ، فلما أنهت أيام خلافته كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا ، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقي فحولوه مسجداً ، وبقي الجانب الغربي كنيسة

بحاله من لدن سنة أربع عشرة إلى هذه السنة ، فمزم الوليد على أخذ بقية الكنيسة منهم وعرضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف ، وقيل عرضهم عنها كنيسة توما ، وهدم بقية هذه الكنيسة وأضافها إلى مسجد الصحابة ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البهزيان والزينات والآثار والمعالمات ، والله سبحانه أعلم .  
ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ففيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز ، فدخلها على ثلاثين بمرآ في ربيع الأول منها ، فنزل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيشمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فدخلوا عليه فجلسوا لحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا ب رأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتمدى أو يلفسكم عن عامل لي ظلامة ، فأخرج على من بلغه ذلك إلا أبلغني . فخرجوا من عنده يمجزونه خيراً ، وافترقوا على ذلك . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان - وكان يسمى الرأي فيه - لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولاسيما إلى سعيد بن المسيب وعلى بن الحسين . قال سعيد بن المسيب لابنه ومواليه : لا يعرض منكم أحد لفلان الرجل في تركت ذلك لله وللرحم . وأما كلامه فلا أكلمه أبداً ، وأما على بن الحسين فانه مر به وهو موقوف فلم يعرض له وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به وتجاوزته ناداه هشام الله يعلم حيث يجعل رسالته

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصونا كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وبحيرة الفرمان ، وحصن بولس ، وقيقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف وسبى فرارهم . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم يترك على مال جزيل ، وعلى أن يطلق كل من يلاذه من أسارى المسلمين ، وفيها غزا قتيبة بيكند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجم غنم ، وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجدوا عليه بأهل الصفد ومن

حولهم من الأتراك ، فأتوهم في جمع عظيم فأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق ، فتواقف هو وهم قريباً من شهرين وهو لا يقدر أن يعثب إليهم رسولا ولا يأتيه منهم رسول ، وأبطأ خبره على الحجاج حتى خاف عليه وأشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتلون مع الترك في كل يوم ، وكان لقتيبة عين من العجم يقال له تندر ، فأعطاه أهل بخارى مالا جزيلاً على أن يأتي قتيبة فيخذه عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلني ، فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين ، فقال له تندر : هذا عامل يقدم عليك سريماً بعزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقال قتيبة لمولاه سياه اضرب عنقه فقتله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحد سمع هذا غيري وغيرك وإني أعطى الله عهداً إن ظهر هذا حتى ينقضى حربنا ألحقك به ، فأملك علينا لسانك ، فان انتشار هذا في مثل هذا الحال ضعف في أعضاد الناس ونصرة للأعداء ، ثم نهض قتيبة فخرض الناس على الحرب ، ووقف على أصحاب الرايات يحرضهم ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ثم أنزل الله على المسلمين الصبر فما انتصف النهار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمة عظيمة ، واتبعهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ماشوا ، واعتصم من بقى منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة الفعلة بهمسها فسألوه الصلح على مال عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجلاً من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعاً ، فلما كان منهم على خمس مراحل تقضوا العهد وقتلوا الأمير وجدعوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرها شهراً . وأمر النقبائين والفعلة فملقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضرم النار فيها ، فسقط السور قتل من الفعلة أربعين نفساً ، فسألوه الصلح فأبى ، ولم يزل حتى افتتحها فقتل مقاتلة وسبي الذرية وغنم الأموال ، وكان الذي ألب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأسر فقال أما أفندي فمضى بخمسة أبواب صينية قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول ذلك منه ، فقال قتيبة : لا والله لا أروع بك مسامحة ثانية ، وأمر به فضربت عنقه . وهذا من الزهد في الدنيا ، ثم إن الفتن لم سيدخل فيها ما أراد أن يقتدى به نفسه فان المسلمين قد غنموا من بيكند شيئاً كثيراً من آنية الذهب والفضة والأصنام من الذهب ، وكان من جملتها صنم سبك فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف دينار من الذهب ، ووجدوا في خزائن الملك أموالاً كثيرة وسلاحاً كثيراً وعدداً متنوعاً ، وأخفوا من السبي شيئاً كثيراً ، فكتب قتيبة إلى الحجاج يسأله أن يعطى ذلك للجنود فأذن له فعمل السلدون وتقوا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جداً ، وصارت لهم أسلحة وعدد وخيول ، كثيرة قوتوا بذلك قوة عظيمة والله الحمد والمنة .

وقد حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وخطبه بها أبو بكر بن محمد بن

عمرو بن حزم ، وعلى العراق والمشرق بكاله الحجاج ، ونائبه على البصرة الجراح بن عبد الله الحكيم وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله البجلي ، وقاضيه بها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، ونائبه على خراسان وأعمالها قنينة بن مسلم . وفيها توفي من الأعيان :

#### عتبة بن عبد السلمي

صحابي جليل ، نزل حصص ، يروى أنه شهد بني قريظة ، وعن الرباض أنه كان يقول هو خير مني أسلم قبلي بسنة . قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره بعد التسعين والله أعلم . قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان عتبة بن عبد السلمي من أهل الصفة . وروى بقية عن مجير ابن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة » . وقال إسماعيل بن عياش عن عقيل بن مدرك عن لثمان بن عامر عن عتبة بن عبد السلمي قال : اشتبكت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العري فكسائي خيشتين فلقد رأيتني وأنا أكسى الصحابة

#### المقدام بن معدي كرب

صحابي جليل ، نزل حصص أيضاً ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين . قال محمد ابن سعد والفلاس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة ، وقال غيرهم : توفي بعد التسعين والله أعلم .

#### ابو امامة الباهلي

واحد من صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - بن عجلان ، نزل حصص ، وهو راوى حديث « تلقين الميت بعد الدفن » رواه الطبراني في الدعاء ، وقد تقدم له ذكر في الوفيات .

#### قبيصة بن زؤيب

أبو سفيان الخزاعي المدني ، ولد عام الفتح وأتى به النبي - صلى الله عليه وسلم - ليُدعوه له ، وروى عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وأصيبت عينه يوم الحرة ، وكان من فقهاء المدينة ، وكانت له منزلة عند عبد الملك ، ويدخل عليه بغير إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سره ، وكان له دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

#### عروة بن المغيرة بن شعبه

ولى إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً ليدياً مطاعاً في الناس ، وكان أحول . توفي بالكوفة ( يحيى بن يعمر ) ، كان قاضي سره ، وهو أول من نطق المصاحف ، وكان من فضلاء الناس وعلماهم وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفصحاء ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي .

### شريح بن الحارث بن قيس القاضى

أدرك الجاهلية ، واستتضاه عمر على الكوفة فذكرت بها قاضياً خمساً وستين سنة ، وكان عالماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق ، فيه دعاية كثيرة ، وكان كوسجاً لا شعر بوجهه . وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأحنف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وقد اختلف في نسبه وسنه وعم وفاته على أقوال ، ورجح ابن خلدكان وفاته في هذه السنة .

قلت : قد تقدمت ترجمة شريح القاضى في سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها غزا الصائفة مسلة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتحا بمن معهم من المسلمين حصن طوانه في جمادى من هذه السنة - وكان حصيناً منيعاً - أقتل الناس عنده قتالا عظيماً ثم حمل المسلمون على النصارى فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجهمى ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل ؟ فقال : نادى يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فراجع الناس فحملوا على النصارى فكسروهم ولبأوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوى وإضافة حجر أزواج رسول الله ص . ، وأن يوسع من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتى ذراع في مائتى ذراع ، فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقومه له قيمة عدل ثم اهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم ، فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء المشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد ، فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حجر قصيرة السقف ، وقد وفها من جريد النخل ، وحيطانها من اللبن ، وعلى أبوابها المسوح ، وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، وإلى بيوت النبي ص . ، ويفتخروا بذلك ويعتبروا به ، ويكون ذلك أذى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يعمر ون فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويكنى ، ويعرفون أن هذا البيان العالى إنما هو من أعمال الفراعنة والأكلسة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها . فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء المشرة المتقدم ذكرهم ، فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يعلى سقوفه . فلم يجد عمر بداً من هدمها ، ولما شرعوا في الهدم صاح الاشراف وجوه الناس من بنى هاشم وغيرهم ،

وتباركوا مثل يوم مات النبي (س)، وأجاب من له ملك متاخم للمسجد للبيع فاشتري منهم، وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك، وأرسل الوليد إليه فعولا كثيرة، فأدخل فيه الحجرة النبوية - حجرة عائشة - فدخل القبر في المسجد، وكانت حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد، وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرق من حجرة عائشة بدت لهم قدم فخشوا أن تكون قدم النبي (س)، حتى تحققوا أنها قدم عمر رضي الله عنه، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكز إدخال حجرة عائشة في المسجد - كأنه خشى أن يتخذ القبر مسجدا - والله أعلم

وذكر ابن جرير أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صناعا للبناء، فبعث إليه بمائة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي، والمشهور أن هذا إنما كان من أجل مسجد دمشق فآله أعلم. وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفواراة بالمدينة، وأن يحجرى ماءها ففعل، وأمره أن يحفر الآبار وأن يسهل الطرق والثنايا، وساق إلى الفواراة الماء من ظاهر المدينة، والفواراة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته.

وفيها غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كوربغا نون ابن أخت ملك الصين، ومعه مائتا ألف مقاتل، من أهل الصغد وفرغانة وغيرهم، فاقتتلوا قتالا شديداً، وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك مأسورا فكسرهم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئا كثيرا، وقتل منهم خلقا وسي وأسر. وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشراف قریش، فلما كان بالتمهيم لقيه طائفة من أهل مكة فأخبروه عن قلة الماء بمكة لقلة المطر، فقال لأصحابه: ألا نستمطر؟ فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سقوا ودخلوا مكة ومعهم المطر، وجاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدة المطر، ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى، وأخصبت الأرض هذه السنة خصبا عظيما بمكة وما حولها، وذلك ببركة دعاء عمر ومن كان معه من الصالحين. وكان النواب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان - عبدالله بن بسر بن أبي بسر المازني

صحابي كآبيه، سكن حصص، وروى عنه جماعة من التابعين، قال الواقدي: توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة، زاد غيره وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام، وقد جاء في الحديث أنه يعيش قرنا، فعاش مائة سنة.

عبدالله بن أبي أوفى

علقمة بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسلمي، صحابي جليل، وهو آخر من بقي من الصحابة بالكوفة، وكانت وفاته فيما قاله البخاري سنة تسع أو ثمان وثمانين. وقال الواقدي وغير واحد: سنة ست وثمانين، وقد جاوز المائة، وقيل قاربها رضي الله عنه.

### وفيهما توفي هشام بن اسماعيل

ابن هشام بن الوليد المخزومي المدني ، وكان حما عبد الملك بن مروان وثاقبه على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب كما تقدم ، ثم قدم دمشق فمات بها ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق فمات فيها في السبع .

### عمير بن حكيم

العنسي الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا هو وابن عمير بن أبو الأبيض ، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة .

### ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بلاد الروم قتلوا خلقاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ، منها حصن سورية وعمورية وهرقلة وقودية . وغنما شيئاً كثيراً وأسرا جمّاً غفيراً . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونسف وكش ، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفر بهم فقتلهم ، وسار إلى بخارى فلقبه دونها خلق كثير من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خرقان ، وظفر بهم فقال في ذلك نهار بن توسة :

وَبَاتَتْ لَمْ مَنَا بِخَرْقَانَ لَيْلَةً \* وَلَيْلَتُنَا كَانَتْ بِخَرْقَانَ أَطْوَلَا

ثم قصد قتيبة وردان خذاه ملك بخارى فقاتله وردان قتلاً شديداً فلم يظفر به قتيبة ، فرجع عنه إلى مرو ، فجاءه البريد بكتاب الحجاج يمنعه على الفرار والنكول عن أعداء الاسلام ، وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد - يعني بخارى - فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن ارجع إليها وتب إلى الله من ذنبك واتمها من مكان كذا وكذا ، ورد وردان خذاه ، وإياك والتحويط ، ودعنى وبنيات الطريق .

وفي هذه السنة ولي الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله القسري ، فخر بئراً بأمر الوليد عند ثنية طوى وثنية الحجون ، فجاءت عذبة الماء طيبة ، وكان يستقي منها الناس . وروى الواقدي : حدثني عمر بن صالح عن نافع مولى بني مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب الناس : أيها الناس ! أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تملوا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاء فسقاه ملحا أجاجاً ، واستسقى الخليفة فسقاه عذباً فرائاً - يعني البئر التي احتفرها بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجون - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زيزم ليعرف فضله على رضم . قال ثم غلرت تلك البئر فذهب ماؤها فلا يدرى أين هو إلى اليوم ، وهذا الاسناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن



كفراً إن صح عن قائله ، وعندى أن خالد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صح فهو عدو الله ، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه جعل الخليفة أفضل من الرسول الذى أسسه الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفر قائلها .

وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم الترك حتى بلغ باب الأبواب من ناحية أذربيجان ، وفتح حصونا ومدائن كثيرة هناك . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز . قال شيخنا الذهبي : وفى هذه السنة فتحت صفلية ومبورقة وقيل ميرقة ، وهما فى البحر بين جزيرة صفلية وخذرة من بلاد الأندلس . وفيها سير موسى بن نصير ولده إلى النقر يس ملك الفرنج فأفتح بلاداً كثيرة . وفيها توفى من الأعيان عبد الله بن ثعلبة بن صُمير أحد التابعين العنبرى الشاعر ، وقد قيل إنه أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه ، وكان الزهرى يتعلم منه النسب . والعمال فى هذه السنة هم المذكورون فى التى قبلها .

### ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ، ففتحوا حصوناً وقتلوا خلقاً من الروم وغنموا وأسرا خلقاً كثيراً . وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر وولى عليها قررة بن شريك . وفيها قتل محمد بن القاسم ملك السند داهر بن صصة ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج . وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم جميع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد قصصها ابن جرير . وفيها طلب طرخون ملك الصفد بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصلحه على مال يبذله فى كل عام فأجابه قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهناً عليه . وفيها استنجد وردان خذاه بالترك فأثوه من جميع النواحي - وهو صاحب بخارى بعد اخذ قتيبة لها - وخرج وردان خذاه وحمل على المسلمين لمطموم ثم عاد المسموم عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وصالح قتيبة ملك الصفد ، وفتح بخارى وحصونها ، ورجع قتيبة بالجند إلى بلاده فأذن له الحجاج ، فلما سار إلى بلاده بلغه أن صاحب الصفد قال للملك الترك : إن العرب بمنزلة اللصوص فإن أعطوا شيئاً ذهبوا ، وإن قتيبة هكذا يقصد الملوك ، فإن أعطوه شيئاً أخذوه ورجع عنهم ، وإن قتيبة ليس بملك ولا يطلب ملكاً . فبلغ قتيبة قوله فرجع إليهم فكتب يترك ملك الترك ملوك ما وراء النهر منهم ملك الطالقان ، وكان قد صالح قتيبة فنقض الصلح الذى كان بينه وبين قتيبة ، واستجاش عليه بالملوك كلها ، فأناه ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصلح فنقضوا كلهم وصاروا يدا واحدة على قتيبة ، واتعدوا إلى الربيع وتعاهدوا وتعاهدوا على أن يجتمعوا فيقاتلوا كلهم فى فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة فى ذلك الحين مقتلة

عظيمة جداً لم يسمع عنها ، وصلب منهم سباطين في مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد ، وذلك مما كسر جموعهم كلهم .

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وأخواه المفضل وعبد الملك من سجن الحجاج ، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك فأمّنهم من الحجاج ، وذلك أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا نكابة لذلك ، وكان ذلك يفيظ الحجاج ، قال قائل للحجاج : إن في ساقه أثر نشابة بقي لصلبها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الحجاج أن ينال ذلك الموضع منه بهذاب ، فصاح فلما سمعت أخته هند بنت المهلب - وكانت تحت الحجاج - صوته بكت وناحت عليه فطلقها الحجاج ثم أودعهم السجن ، ثم خرج الحجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشاً إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فخذق حولهم ووكّل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الليالي أمر يزيد ابن المهلب بطعام كثير فصنع للحرس ، ثم تنكر في هيئة بعض الطبّاخين وجعل لحيته بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم تبعه بتحقيقه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه فركبوا السفن وساروا نحو الشام ، فلما بلغ الحجاج هربهم أزعج لذلك وذهب وهمه أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يخبره قديمهم ويأمره بالاستعداد لهم ، وأن يرصدهم في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء الثغور والكور بتحصيلهم . وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بهمهم ، وأنه لا يرام هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الحجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ابن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له ، وتحقق عنده قول الراهب . وأما يزيد بن المهلب فإنه سلك على البطائح وجاءته خيول كان قد أعدها له . أخوه مروان بن المهلب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السماوة ، وجاء الخبر إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يعلّمه بذلك ، وسار يزيد حتى نزل الأردن على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي . وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك - فسار وهيب إلى سليمان بن عبد الملك فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، وقد جاؤا مستمدين بك من الحجاج ، قال : فاذهب فأنتي بهمهم فهم آمنون ماددت حياً ، فجاءهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمّنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد : إن آل المهلب قد أمّنهم ، إنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أؤمنه حتى تبث به إلى . فكتب إليه : لا والله لا أؤمنه حتى أجي معه ، فأشدك الله يا أمير المؤمنين أن تفضحنى أو تخفرن في جوارى . فكتب إليه : لا والله لا نجى معه وأبعث به إلى في وثاق . فقال يزيد : أبعث

بي إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحراباً ، فابعثني إليه وابعث معي ابنك واكتب إليه بالطف عبارة تقدر عليها فبعثته وبعث معه ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت في الدهليز فادخل مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه في السلسلة ، قال : والله لقد بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين نفسي فسدأوك لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منارجاه من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تنزل من رجا العز في الاتطاع إلينا لعزنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه : أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عبدو قد نابك وجاهدك فأنزله وأجرته أنك لا تنزل جوارى ولا تخفره ، بل لم أجر إلا ساء ما مطيعاً ، حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وقد بعثت به إليك فان كنت إنما تمد قطيعتي واخفار ذمتي والابلاغ في مساهتي فقد قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعينك بالله من احترام قطيعتي وانتهك حرمتي ، وترك برى وإجابتي إلى ما سألتك ، ووصلتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى يفرق الموت بيني وبينك ، فان استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتي أجل الوفاة علينا إلا وهو لي واصل ولحقى مؤد ، وعن مساهتي نازع فليفعل ، ووالله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشئ من أمر الدنيا بعد تقوى الله بأسر منى برضاك وسرورك ، وإن رضاك وسرورك أحب إلى من رضائي وسروري ، وما أتمس به رضوان الله عز وجل لصلى ما بيني وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تزيد صلتى وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على . .

فلما قرأ الوليد كتابه قال : لقد أشققتنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ، وتكلم يزيد بن المهلب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فمن ينس ذلك فلسنا ننساه ، ومن يكفره فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلاننا أهل البيت في طاعتكم والظمن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ، ما أن المنة فيه علينا عظيمة . فقال له : اجلس فجلس فأمنه وكف عنه وردة إلى سليمان ، فكان عنده حسن الهيئة ، ويصف له ألوان الأطعمة الشبية ، وكان حظياً عنده لا يهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها ، وتقرب يزيد ابن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتحف والتقدم ، وكتب الوليد إلى الحجاج إن لم أصل إلى يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخي سليمان ، فاكف عنهم واله عن الكتاب إلى فيهم . فكفب الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال ، حتى ترك لأبي عبيدة بن المهلب ألف ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج في سنة خمس وتسعين ، ثم ولي يزيد بلاد العراق بعد الحجاج كما أخبره الراهب . وفيها توفي من الأعيان :

### يتاذق الطيب

الحاذق ، له مصنفات في فنه وكان حطياً عند الحجاج ، مات في حدود سنة تسعين بواسط .  
 وفيها توفي ﴿ عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة ﴾ وأبو العالية الرياحي وسنان بن سلمة بن المحبق أحد  
 الشجمان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولى غزاه الهند ، وطال عمره . وتوفي في هذه السنة محمد بن  
 يوسف الثقفي أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلعن علياً على المنابر ، قيل إنه أمر حجر  
 المنذري أن يلعن علياً فقال : بل لعن الله من يلعن علياً ، ولعنة الله على من لعنه الله . وقيل إنه ورى  
 في لعنه فأنه أعلم .  
 خالد بن يزيد بن معاوية

أبو هاشم الأموي الدمشقي ، وكانت داره بمسشق تلى دار الحجارة ، وكان عالماً شاعراً ، وينسب  
 إليه شيء من علم الكيمياء ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة ، روى عن أبيه ودحية الكلبي وغنه  
 الزهري وغيره ، قال الزهري : كان خالد يصوم الأعياد كلها الجمعة والسبت والأحد - يعني يوم  
 الجمعة وهو عيد المسلمين ، ويوم السبت وهو عيد اليهود ، والأحد للنصارى - وقال أبو زرعة  
 الدمشقي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان  
 ولي العهد من بعد مروان فلم يلتئم له الأمر ، وكان مروان زوج أمه ، ومن كلامه : أقرب شيء  
 الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

سألت النداء والجود حُرَّانِ أَنَا \* فَرْدًا وَقَالَ إِنَّا لَعَبِيدُ

فَقُلْتُ وَمَنْ مَوْلَا كَمَا فَتَطَاوَلَا \* عَلِيَّ وَقَالَ خَالِدٌ بِنُ زَيْدٍ

قال : فأمر له بمائة ألف . قلت : وقد رأيتهما قد أنشدا في خالد بن الوليد رضي الله عنه . فقال :  
 وقال خالد بن وليد . والله أعلم . وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص ، وهو الذي بنى جامع  
 حمص وكان له فيه أربعمائة عبد يعملون ، فلما فرغ منه أعتقهم . وكان خالد يبيض الحجاج ، وهو  
 الذي أشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر أن يرسل إليه فيطلقها ففعل . ولما مات مشى  
 الوليد في جنازته وصلى عليه ، وكان قد نجدد على خالد اصفرار وضعف ، فسأله عبد الملك عن هذا  
 فلم يخبره فما زال حتى أخبره أنه من حب رملة أخت مصعب بن الزبير ، فأرسل عبد الملك يخطبها  
 لخالد فقالت : حتى يطلق نساءه فطلقهن وتزوجها وأنشد فيها الشعر .

وكانت وطاته في هذا العام ، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول .

عبدالله بن الزبير

ابن سلم الأسدي الشاعر أبو كثير ، ويقال أبو سعيد ، وهو مشهور ، وفد على عبد الله بن

الزبير فامتدحه فلم يعطه شيئاً فقال : لمن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزبير : إن وصاحبها ، يقال إنه مات في زمن الحجاج .

ثم دخلت سنة احدى وتسعين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد ، وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصونا كثيرة أيضاً ، وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك . وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدنا كثيرة ودخل في تلك البلاد وبلغ فيها حتى دخل أراضى غابرة قاصية فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوح على سماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارة سائفة ، فبادوا جميعاً فلا مخبر بها . وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة ، وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدوا في العام الماضي في أول الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، فاجتمعوا اجتماعاً هائلًا لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسروهم قتيبة وقتل منهم أمما كثيرة ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض المواضع من جملة من أخذه منهم سباطين طولها أربعة فراسخ من ههنا وههنا ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بجنب الرجل ، وهذا شئ كثير ، وقتل في الكفار قتلا ذريعاً ، ثم لا يزال يقتبس نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم إلى إقليم ، ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبه حتى حصره في قلعة هناك شهرين متتابعين ، حتى نفذ ما عند نيزك خان من الأطمعة ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك ، فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأمنًا مذمومًا مخذولًا ، فسجنه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاء الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلفوا عليه ، فقائل يقول : اقله ، وقائل يقول لا تقتله فقال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً أنك إن ظفرت به لتقتلنه ، وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمري إلا ما يسع ثلاث كلمات لتقتله ، ثم قال : اقلوه اقلوه اقلوه ، فقتل هو وسبعمائة من أصحابه من أمراءه في غداة واحدة ، وأخذ قتيبة من أموالهم وخبولهم وثيابهم وأبنائهم ونسائهم شيئاً كثيراً ، وفتح في هذا العام مدنا كثيرة ، وقرر بممالك كثيرة ، وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والنساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، ثم سار قتيبة إلى الطالقان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها ، ثم سار إلى الفارباب وبها مدن ورساتيق ، ففرج إليه ملكها سامعا مطيعا ، فاستعمل عليها رجلا من أصحابه ، ثم سار إلى

الجوزجان فأخسها من ملكها واستعمل عليها ، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها نهراً واحداً ، ثم خرج منها وقصد نيزك خان ببغلان ، وقد نزل نيزك خان معسكر أعلى فم الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده ، وفي فم الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسية ، لملوها وارتفاعها واتساعها . فقدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان ، فاستأمنه على أن يبله على مدخل القلعة ، فأمنه وبعث معه رجالاً إلى القلعة فأتوها لئلا يفتحوها وقتلوا خلقاً من أهلها وهرب الباقي ، ودخل قتيبة الشعب وأتى سمنجان - وهي مدينة كبيرة - فأقام بها وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك المدن والبلاد نيزك خان في جيش هائل ، فسار خلفه إلى ببغلان فحصره بها ، وأقام بحصاره شهرين حتى نفذ ما عنده من الأقوات ، فأرسل قتيبة من عنده نرجاناً يسمى الناصح ، فقال له : اذهب فائتني بنيزك خان ولئن عدت إلى وليس هو معك ضربت عنقك . وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة ، فسار النرجان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدهم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان وحلف له ، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة . وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمنهم وولى على بلادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الواقدي وغيره : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشرف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرج به ، وإنما عليه ثياب لانساوى خمسة دراهم ، فقالوا له : تنح عن المسجد أيها الشيخ ، فإن أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد فحمل يدور فيه يصلى ههنا وههنا ويدعو الله عز وجل ، قال عمر بن عبد العزيز : وجملت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فحانت منه الغفلة فقال : من هذا هو سعيد بن المسيب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك . فقال : قد عدت بنضه لنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه وإنه ، وشرعت أنني عليه ، وشرع الوليد يثنى عليه بالعلم والدين ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعذر له - فقال : نحن أحق بالسعي إليه ، فجاء فوقف عليه فسلم عليه فلم يقم له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا فقيه الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين . قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس في الخطبة الأولى وانتصب في الثانية ، قال وقال : ههنا خطب عثمان ، ثم انصرف فصرف بئلى الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً وفضة كثيرة ، ثم كسا المسجد النبوي كسوة من كسوة الكعبة التي معه ، وهي من ديباح غليظ .

وتوفي في هذه السنة السائب بن يزيد بن سعد بن ثمامة ، وقد حج به أبوه مع رسول الله (ص) ، وكان عمر السائب سبع سنين ، رواه البخارى فلهذا قال الواقدي : إنه ولد سنة سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست وقيل ثمان وثمانين ، والله أعلم .

#### سهل بن سعد الساعدي

صحابي مدني جليل ، توفي رسول الله (ص) ، وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، لينظم كيلا يسمع الناس من رأيهم ، قال الواقدي : توفي سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة . قال محمد بن سعد : ليس في هذا خلاف ، وقد قال البخارى وغيره : توفي سنة ثمان وثمانين والله أعلم .

#### ثم دخات سنة ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحوا حصونا كثيرة وغنما شيئا كثيرا وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم ، وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بلاد الأندلس في اثني عشر ألفا ، فخرج إليه ملكها أذريقون في جحافة وعليه ناهج ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق فهزمه وغنم مافي معسكره ، فكان من جملة ذلك السرير ، وتملك بلاد الأندلس بكجا ، قال الذهبي : كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان نائباً لمولاه موسى بن نصير ، فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء يستنجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من زقاق سبتة وانتهز الفرصة فكون الفرنج قد اقتتلوا فيما بينهم ، وأمن طارق في بلاد الأندلس فافتتح قرطبة وقتل ملكها ادريدوق ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح ، فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح ، وكتب إلى الوليد يشره بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعاً بجيوشه فدخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن والأموال ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئا لا يحصى ولا يوصف ولا يعد ، من الجواهر والياقوت والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة والأثاث والحيول والبغال وغير ذلك شيئا كثيرا ، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئا كثيرا . وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسنة وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ، وامتنع عليه أهل فرياب فأحرقها ، وجهز أخاه عبد الرحمن إلى الضمد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان

أموالاً كثيرة ، وقدم على أخيه وهو ببخارى فرجع إلى مرو ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورجل عنه اجتمعت الصفد وقالوا لطرخون : إنك قد بؤت بالنذل ، وأديت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا بك ، ثم عزلوه وولوا عليهم غورك خان - أخا طرخون خان - ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتي .

وفيها غزا قتيبة سجستان يريد رتبيل ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسلة يريدون منه الصلح على أموال عظيمة ، خيول ورقيق ونساء من بنات الملوك ، يحمل ذلك إليه ، فصالحه . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز نائب المدينة . وتوفي فيها من الأعيان مالك بن أوس بن الحداد النضري ، أبو سعيد المدني ، مختلف في صحبته ، قال بعضهم : ركب الخليل في الجاهلية ورأى أبا بكر ، وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله ﷺ ، ولم يحفظ منه شيئاً ، وأنكر ذلك ابن معين والبخارى وأبو حاتم ، وقالوا : لا تصح له صحبة والله أعلم . مات في هذه السنة وقيل في التي قبلها والله أعلم .

#### طويس المغني

اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدني مولى بني مخزوم ، كان بارعاً في صناعته ، وكان طويلاً مضطرباً أحول العين ، وكان مشهوراً ، لأنه ولد يوم مات رسول الله ﷺ ، وفطم يوم توفي الصديق ، واحتلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي ، وقيل ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلكان وغيره . وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويد - وهي على مرحلتين من المدينة - الأخطل . كان شاعراً مطبقاً ، فاق أقرانه في الشعر . ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين .

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصونا كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزاة وماسة وغير ذلك . وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سمسطية . وفيها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ حنجرة . وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعو إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن يدفع إليه أموالاً ورفيقاً كثيراً على أن يقاتل أخاه ويسلمه إليه ، فانه قد أفسد في الأرض وبني على الناس وعسفهم ، وكلن أخوه هذا لا يسمع بشئ حسن عند أحد إلا يبعث إليه فأخذه منه ، سواء كان مالاً أو نساء أو صبيانا أو دواب أو غيره . فأقبل قتيبة نصره الله في الجيوش فسلم إليه خوارزم شاه ماصالحه عليه ، وبعث قتيبة إلى بلاد أخى خوارزم شاه جيشاً قتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، فدفع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى ففرضت أعناقهم بحضرتة ، قيل ألفا بين يديه وألفا عن يمينه وألفا عن شماله وألفا من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم .



## فتح سمرقند

وذلك أن قتيبة لما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء : إن أهل الصفد قد آمنوك عامك هذا ، فان رأيت أن تعدل إليهم وهم لا يشعرون ، فانك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريدتها يوماً من الدهر . فقال قتيبة لذلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا ، قال فلأن يسمعه منك أحد أضرب عنقك . ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسبغهم إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بقدومهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمرهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليل فيكبسوا جيش المسلمين ، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرد أخاه صالحاً في سبائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خذوا عليهم الطريق ، فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق وتفرقوا ثلاث فرق ، فلما اجتازوا بهم بالليل - وهم لا يشعرون بهم - نادوا عليهم فقتل المسلمون هم وإيهم ، فلم يبق من أولئك الأتراك إلا النفر اليسير واحتزوا رهوسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحبلة بالذهب ، والأمتعة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو يطل من الأبطال المعدودين بمائة فارس أو ألف فارس ، فنفلهم قتيبة جميع ما غنموا منهم من ذهب وسلاح ، واقترب من المدينة العظمى التي بالصفد - وهي سمرقند - فنصب عليها المجانيق فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقطع عنهم ، وناصحهم من معه عليها من بخاري وخوارزم ، فقاتلوا أهل الصفد قتالاً شديداً ، فأرسل إليه غورك ملك الصفد : إنما تقتلني باخواني وأهل بيتي ، فأخرج إلى في العرب . ففضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من المعجم وأمر المعجم باعتزالهم ، وقدم الشجعان من العرب وأعطاهم جيد السلاح ، وانزعه من أيدي الجبناء ، وزحف بالأبطال على المدينة ورمها بالمجانيق ، فثلم فيها ثلثة فسدها الترك بفرار الدخن ، وقام رجل منهم فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من قفاه . فلم يلبث أن مات قبحة الله ، فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف ، ثم دخل الليل ، فلما أصبحوا رماهم بالمجانيق فثلم أيضاً ثلثة وصعد المسلمون فوقها ، وتراموا هم وأهل البلد بالنشاب ، فقالت الترك لتتيبة : ارجع عنا يملك هذا ونحن نصلحك غداً ، فرجع عنهم وصالحوه من الند على ألفي ألف ومائة ألف يحملونها إليه في كل عام ، وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب ، وفي رواية مائة ألف من رقيق ، وعلى أن يأخذ حلية الأصنام وماني بيوت النيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من المقاتلة حتى يبنى فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر يخطب عليه ، ويتنهدى ويخرج . فأجابوه إلى ذلك ، فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال - وذلك بعد أن بنى المسجد

ووضع فيه المنبر - فصلى في المسجد وخطب وتفدى وأتى بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالتصير العظيم ، ثم أمر بتحريقها ، فتصارخوا وتباكوا وقال الجوس : إن فيها أصناماً قديمة من أحرقتها هلك ، وجاء الملك غورك قهسى عن ذلك ، وقال لقتيبة : إني لك ناصح ، فقام قتيبة وأخذ في يده شمعة نار وقال : أنا أحرقتها بيدي فكيونى جيما ثم لا تنظرون ، ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب . وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد يزدجرد ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ، ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم : إني لا أريد منكم أكثر مما صالحتكم عليه ، ولكن لا بد من جند يقيمون عندكم من جهتنا . فانتقل عنها ملكها غورك خان فتلا قتيبة [ وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى ] الآيات ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركا يدخل باب سمرقند إلا محتوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تجف طينة ختمه ، فان جفت وهو بها فاقته ، ومن رأيت منهم ومعه حديدة أو سكينه فاقته بها ، وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً فاقته ، فقال في ذلك كعب الأشقرى - ويقال هي لرجل من جهنى :-

كل يوم يحوى قتيبةُ نهباً \* ويزيدُ الأموالَ ملاً جديدا  
 باهليّ قد ألبسَ التاجَ حتى \* شابَ منه مفارقُ كَنِّ سودا  
 دوخَ الصَّفدَ بالكنايبِ حتى \* تركَ الصَّفدَ بالعراءِ قسودا  
 فوليدٌ يبكي لفقرِ أبيه \* وأبٌ موجهٌ يبكي الوليدا  
 كلا حلَّ بلدةً أو أناها \* تركتْ خيلهُ بها أخلودا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقاً عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شئٌ كثير جداً ، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فما وصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فوصلت مائة سليمان عليه السلام إلى سليمان على ماسياتى بيانه في موضعه ، وكان فيها ما يهبر القول ، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير . وفيها بعث موسى بن نصير المسافر وبثها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرها من المدن الكبار والأقاليم ، ومن القرى والرساتيق شئٌ كثير ، وكان لا يأتي مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه ، وجيز البعث والسرايا غرباً

وشرقا وشمالا ، فجلسوا يفتنحون المغرب بلدًا بلدًا ، وإقليمًا إقليمًا ، وينعمون الأموال ويسبون الذراري والنساء ، ورجع موسى بن نصير بفنائم وأموال وتحف لأخصى ولا تعد كثرة .  
وفيها قحط أهل إفريقية وأجدبوا جدبًا شديدًا ، فخرج بهم موسى بن نصير يستسقيهم ، فما زال يدعو حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأمر المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضع موضع ذلك ، فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأمطروا مطرًا غزيرًا وحسن حالهم ، وأخصبت بلادهم . وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطًا بأمر الوليد له في ذلك ، وصب فوق رأسه قرية من ماء بارد في يوم شتاء بارد ، وأقامه على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله . وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن ، وكان إذا بشر بشيء من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يصيح صياح المرأة الشكلى ، وكان إذا أتى عليه يقول : خبيب وما خبيب إن نجوت منه فانا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيبًا فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف من حينئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه وزلة ، ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر وعتق وغير ذلك .

وفيها افتتح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة الديبل وغيرها من بلاد الهند وكان قد ولاء الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلا منتخبة ، فاقتتلوا ففازهم الله وهرب الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جدًا فاقتتلوا قتالًا شديدًا فقتل الملك داهر وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه ثم سار محمد بن القاسم فاقتتح مدينة الكبرج وبرها ورجع بفنائم كثيرة وأموال لأخصى كثرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، قد علت كلمة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبجرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلات قلوب المشركين من المسلمين رعبًا ، لا يترجعه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخفوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو والصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه . فقتنية ابن مسلم يفتح في بلاد الترك ، يقتل ويسبي ويفنم ، حتى وصل إلى تخوم الصين ، وأرسل إلى ملكه يدعوه ، يخاف منه وأرسل له هدايا ونحفاً وأموالًا كثيرة هدية ، وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده ، بحيث في ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفًا منه . ولوعاش الحجاج لما أطلع عن بلاد

الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها ، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر . ثم إن قتيبة قتل بعد ذلك ، قتله بعض المسلمين . ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم ويجهادون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبنى بها مسلمة جامعا يعبده الله فيه ، وامتلاّت قلوب الفرنج منهم رعبا . ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغديرهم . وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغديرهم . وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الاسلام وتركوا عبادة الأوثان . وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبانيها ، بعد هذه الاقاليم الكبار ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل بلاد الترك ، ودخلوا إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائما في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده ، في بلاد الروم والترك والهند . وقد فتح محمود سبكتكين وولده في أيام ملكهم بلداً كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل طائفة ممن هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتعلموها أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها . ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع العدو إليها فأخذ منها بلداً كثيرة ، وضعف الاسلام فيها ، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية ، وضعف الاسلام وقلّت قاصروه ، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام الله سبحانه بنى أيوب مع نور الدين ، فاستلبوهما من أيديهم وطردهم عنه ، فله الحمد والمنة ، وسيأتي ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى .

وفيهما عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشسه ، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد : إن عمر ضعيف عن إمرة المدينة ومكة ، وهذا وهن وضعف في الولاية ، فأجعل على الحرمين من يضبط أمرهما . فولى على المدينة عثمان بن حيان ، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري ، وفضل ما أمره به الحجاج . فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال ففرزل السويدياء ، وقدم عثمان بن حيان المدينة ليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أنس بن مالك

ابن النصر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، أبو حمزة

ويقال أبو نمامة الأنصاري النجاري ، خادم رسول الله .س. ، وصاحبه ، وأمه أم حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري . روى عن رسول الله .س. ، أحاديث جمّة ، وأخبر بعلوم مهمة . وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم . وحدث عنه خلق من التابعين ، قال أنس : قدم رسول الله .س. المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وتوفى وأنا ابن عشرين سنة . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن نمامة قال قيل لأنس : أشهدت بدرآ ؟ فقال : وأين أغيب عن بدر لا أم لك ؟ قال الأنصاري : شهدتها بخدمة رسول الله .س. . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي ، قلت : الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المغازي والله أعلم .

وقد ثبت أن أمه أمت به . وفي رواية عمه زوج أمه أبو طلحة . إلى رسول الله .س. فقالت : يا رسول الله هذا أنس خادم لييب يخدمك ، فوهبته منه قبله ، وسألته أن يدعوه فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . وثبت عنه أنه قال : كسباني رسول الله .س. منخلة كنت أجتنبها . وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك ، وقد انتقل بعد النبي .س. فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد ناله أذى من جهة الحجاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توهم الحجاج منه أنه له مداخل في الأمر ، وأنه أفتى فيه ، فحتمه الحجاج في عنقه ، هذا عنق الحجاج ، وقد شكاه أنس كما قدمنا إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعنه ، ففرغ الحجاج من ذلك وصالح أنسا . وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل في سنة فنتين وتسعين ، وهو ببني جلع دمشق ، قال مكحول : رأيت أنسا يمشى في مسجد دمشق فعمت إليه فسألته عن الوضوء من الجنازة فقال : لا وضوء . وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر قال : قدم أنس على الوليد فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله .س. . يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله .س. يقول : « أنتم والساعة كهاتين » . ورواه عبد الرزاق بن عمر عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة فنتين ، تسعين فذكره . وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف مما كان رسول الله .س. ، وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعت فيها ما صنعت . وفي رواية وهذه الصلاة قد ضيبت . يعني ما كان يفعل خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع . كانوا يواظبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته كما سيأتي ، وقال عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : جاءت بي أمي إلى رسول الله .س. ، وأنا غلام فقالت : يا رسول الله خويديك أنيس فداع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ، وفي

رواية قال أنس : فوالله إن مالي لكثير حتى نخلى وكرمي ليثمر في السنة مرتين ، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون علي نحو المائة ، وفي رواية وإن ولدي لصلبي مائة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة وألفاظ منتشرة جداً ، وفي رواية قال أنس : وأخبرتني بلقي آمنة أنه دفن لصلبي إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومائة . وقد تقصى ذلك بطرقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في كتاب دلائل النبوة في أواخر السيرة والله الحمد . وقال ثابت لأنس : هل مست يدك كرسول الله (س) ؟ قال : نعم ، قال فأعطينها أقبليها ، وقال محمد بن سعد عن مسلم بن إبراهيم عن المثني بن سعيد الذراع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي رسول الله (س) ، ثم يبكي . وقال محمد بن سعد عن أبي نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن المنهال بن عمرو . قال : كان أنس صاحب نعل رسول الله (س) ، وإداوته ، وقال أبو داود : ثنا الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس . قال : إني لأرجو أن ألقى رسول الله (س) ، فأقول : يا رسول الله خويديك .

وقال الامام أحمد : حدثنا يونس ثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أنس . قال : سألت رسول الله (س) ، أن يشفع لي يوم القيامة : « قال أنا فاعل ، قلت فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قلت : فإذا لم ألقك ؟ قال : فأنا عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فأنا عند الحوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة . » ورواه الترمذي وغيره من حديث حرب بن ميمون أبي الخطاب صاحب الأعمش الأنصاري به وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال شعبة عن ثابت قال قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة رسول الله (س) من ابن أم سليم - يعني أنس بن مالك - وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر . وقال أنس : أخذ مني فأنا أخذت من رسول الله (س) ، عن الله عز وجل ، ولست نجد أولئقي مني . وقال معتمر بن سليمان عن أبيه سمعت أنساً يقول : ما بقي أحد صلى إلى القبلتين غيري . وقال محمد بن سعد : حدثنا عفان حدثني شيخ لنا يكنى أبا جناب سمعت الحريري يقول : أحرم أنس من ذات عرق فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عز وجل حتى أحل ، فقال لي : يا ابن أخي هكذا الاحرام . وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن في بعض أبيات أزواج النبي (س) ، تتحدث فقال : مه ، فلما أقيمت الصلاة قال : إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعتي بقولي لكم مه . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا بشار ابن موسى الخفاف ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : كنت مع أنس فجاءت قهرمانة فقالت يا أبا حمزة عطشت أرضنا ، قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب

يلتئم ثم أمطرت حتى خيل إلينا أنها ملأت كل شئ، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال :  
انفاز أين بلغت أسماء ، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيراً .

وقال الامام أحمد : حدثنا معاذ بن معاذ ثنا ابن عون عن محمد قال : كان أنس إذا حدث عن رسول الله (ص) ، حديثاً ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله (ص) . وقال الأنصاري عن ابن عوف عن محمد قال : بعث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً من النبي فقال أخمس ؟ قال : لا ، فلم يقبله : وقال النضر بن شداد عن أبيه : مرض أنس فتبيل له ألا ندعوك الطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضى . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا أبو عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن يزيد قال : كنت في القصر مع الحجاج وهو يعرض الناس ليالي ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك فقال الحجاج : هي يا خبيث ، جوال في الفتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي نفس الحجاج بيده لأستأصلك كما تستأصل الصمعة ، ولأخذ منك كما تجرد الضب . قال يقول أنس : إياي يعني الأمير ؟ قال إياك أعني ، أصم الله سمعك ، قال فاسترجع أنس ، وشغل الحجاج بفرج أنس فتبعناه إلى الرحبة ، فقال : لولا أني ذكرت ولدي - وفي رواية لولا أني ذكرت أولادي الصغار - وخفتم عليهم ما باليت أي قتل أقتل ، ولما كلمته بكلام في مقامي هذا لا يستخفني بعده أبدأ . وقد ذكر أبو بكر بن عياش أن أنسا بعث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : والله لو أن اليهود والنصارى رأوا من خدم نبيهم لأكرموه ، وأنا قد خدمت رسول الله (ص) ، عشر سنين . فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً فيه كلام جد وفيه : إذا جاءك كتابي هذا فقم إلى أبي حمزة فترضاً وقبل يده ورجله ، وإلا حل بك مني ما تستحقه . فلما جاء كتاب عبد الملك إلى الحجاج بالملظة والشدّة ، هم أن ينهض إليه فأشار عليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، الذي قدم بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجاج بالمصالحة - وكان إسماعيل صديق الحجاج - فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك إياك أعني واسمعي يا جارة . أردت أن لا يبقى لأحد على منطلق .

وقال ابن قتيبة : كتب عبد الملك إلى الحجاج - لما قال لأنس ما قال - : يا ابن المستقرمة عجب الزبيب لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بها إلى نار جهنم ، فأتلك الله أخيش العينين ، أفتبيل الرجلين ، أسود العاجزين - ومعنى قوله المستقرمة عجب الزبيب - أي تضيق فرجها عند الجماع به ، ومعنى أركلك أي أرفسك برجلي ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وتسعين . وقال أحمد بن صالح العجلي : لم يبتل أحد من الصحابة إلا الرجلين ، معيقب كان به الجذام ، وأنس بن مالك كان به وضع . وقال الحبيدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال :

رأيت أنسا يأكل فرايته يلقم لهما عظاماً ، ورأيت به وضحا شديداً . وقال أبو يعلى : ثنا عبد الله ابن معاذ بن يزيد عن أيوب قال : ضعف أنس عن الصوم فصنع طعاماً ودعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم . وذكره البخارى تعليقا . وقال شعبة عن موسى السنبلاوى قلت لأنس : أنت آخر من بقى من أصحاب رسول الله اس ، قال : قد بقى قوم من الأعراب ، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقى ، وقيل له فى مرضه : ألا ندعوك طبيياً ؟ فقال : الطبيب أضرضى ، وجعل يقول : لقنوى لا إله إلا الله وهو مختصر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عصبية من رسول الله اس ، فأمر بها فدفنت معه . قال عمر بن شبة وغير واحد : مات وله مائة وسبع سنين ، وقال الامام أحمد فى مسنده : ثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أنسا عمّ مائة سنة غير ستة ، قال الواقدى : وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، وكذا قال على بن المدينى والفلاس وغير واحد . وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فقيل سنة تسعين ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل ثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور والله أعلم . وقال الامام أحمد : حدثنى أبو نعيم قال : توفى أنس بن مالك وجابر بن زيد فى جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين . وقال قتادة : لما مات أنس قال مؤرق العجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له وكيف ذلك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا فى الحديث عن رسول الله اس ، قلنا لهم : آملوا إلى من سمعه منه .

#### عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال إنه ولد يوم توفى عمر بن الخطاب ، وختن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل على ، فله أعلم ، وكان مشهوراً بالتفزل الملبس البليغ ، كان يتفزل فى امرأته يقال لها الثريا بنت على بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، فقال فى ذلك عمر بن أبى ربيعة : -

يها النكح الثريا سُهَيْلاً \* عَمْرُكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هي شامية إذا ما استمكت \* وسهيل إذا استقل يمان

ومن مستجاد شعره ما أورده ابن خلكان :

حيّ طيناً من الأحبة زارا \* بمد ما برح الكرى التمارا

طارقاً فى المنام بمد دجى \* الليل خفيا بأن يزور نهارا

قلت ما بالنأ جفينا وكنا \* قبل ذلك الأسماع والأبصارا

قال : إنا كما عهدت ولكن \* شغل الحلي أهله أن يمارا



### بلال بن أبي الدرداء

ولى إمرة دمشق ثم ولى القضاء بها ، ثم عزله عبد الملك بأبي إدريس الخولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، والظاهر أن هذا القبر الذى يباب الصغير الذى يقال له قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء ، لا قبر بلال بن حماسة مؤذن رسول الله .س. ، فان بلالاً المؤذن دفن بدارياً والله أعلم .  
بشر بن سعيد

المرزقي السيد العابد الفقيه ، كان من العباد المنقطعين ، الزهاد المعروفين ، توفى بالمدينة .

### زرارة بن أوفى

ابن حاجب العامري ، قاضى البصرة ، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحائها ، له روايات كثيرة ، قرأ مرة فى صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ [ فإذا نقر فى الناقور ] خرّ ميئاً . توفى بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة .  
خبيب بن عبد الله

ابن عبد الله بن الزبير ، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له فى ذلك فمات ، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة ، فكان يتأسف على ضربه له ويبكي . مات بالمدينة .

### حفص بن عاصم

ابن عمر بن الخطاب المدني ، له روايات كثيرة ، وكان من الصالحين . توفى بالمدينة .

### سعيد بن عبد الرحمن

ابن عتاب بن أسيد الأموى ، أحد الأشراف بالبصرة ، كان جواداً مجسماً ، وهو أحد الموصوفين بالكرم ، قيل إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين

### فروة بن مجاهد

قيل إنه كان من الأبدال ، أسر مرة وهو فى غزوة هو وجماعة معه فأتوا بهم الملك فأمر بتقييدهم وحبسهم فى المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم فى المضى إلى بلادنا ؟ فقالوا : وما ترى ما نحن فيه من الضيق ؟ فليس قيودهم بيده فزال عنهم ، ثم أتى باب السجن فلهسه بيده فافتتح ، فخرجوا منه ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .  
أبو الشعثاء جابر بن زيد

كان لا يماكس فى ثلاث ، فى السكرى إلى مكة ، وفى الرقية يشتريها لتعتق ، وفى الأضحية . وقال : لا تماكس فى شئ يتقرب به إلى الله . وقال ابن سيرين : كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار

والدرهم ، قلت : كما قيل : -



إني رأيتُ فلا تظنوا غيره \* أن النورعَ عندَ هذا الدرهم  
فاذا قدرتُ عليه رم تركته \* فاعلم بأن تفالك تقوى المسلم

وقال أبو الشعثاء : لأن أتصدق بدرهم على يقيم ومسكين أحب إلي من حجة بعد حجة الاسلام .  
كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم ، وكان يفتي في البصرة ، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله  
إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء ؟ وقال له جابر بن عبد الله :  
يا ابن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتي فلا تفنين إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فانك  
إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلكت . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أعلم بفتيا من جابر  
ابن زيد . وقال إياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان . وقال  
قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض . وقال سميد بن عيينة عن عمرو بن دينار  
قال أبو الشعثاء : كتب الحكم بن أيوب نفراً للقضاء أنا أحدهم - أي عمرو - فلو أني ابتليت بشيء  
منه لركبت راحلتي وهربت من الأرض . وقال أبو الشعثاء : فظرت في أعمال البر فاذا الصلاة تجهد  
البدن ولا تجهد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يجهد المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من  
ذلك . وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط لقوم قالوا : لو كان  
كلامر به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء . وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد قف  
على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من نوجه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأنجح من  
دعائك ورضب إليك . وقال سيار : حدثنا حماد بن زيد ثنا الحجاج بن أبي عيينة . قال : كان جابر  
ابن زيد يأتينا في مصلانا ، قال : فأنا ذات يوم وعليه نملان خلقتان ، فقال : مضى من عمري ستون  
سنة نملأى هاتان أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خير قدمته . وقال صالح الدهان : كان جابر  
ابن زيد إذا وقع في يده سنوق كسره ورمى به لتلا يفر به مسلم . السنوق الدرهم المغاير أو الدغل  
وقيل : هو المشوش .

وروى الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الصمد العمى حدثنا مالك بن دينار قال : دخل على جابر  
ابن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نعم الصنعة  
صنعتك ، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الللال لا بأس به .  
وقال مالك بن دينار : سألته عن قوله تعالى [ إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ] قال  
ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة [ ثم لا تجهد لك علينا نصيرا ] وقال سفيان : حدثني  
أبو عمير الحارث بن عمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ما تشتهي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى  
الحسن . وفي رواية عن ثابت قال : لما نقل على جابر بن زيد قيل له : ما تشتهي ؟ قال نظرة إلى

الحسن . قال ثابت : فأتيت الحسن فأخبرته فركب إليه ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقمدوني ، فجلس فما زال يقول : أعوذ بالله من النار وسوء الحساب .

وقال حماد بن زيد : حدثنا حجاج بن أبي عيينة قال : سمعت هنداً بنت المهلب بن أبي صفرة - وكانت من أحسن النساء - وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان أباضياً ، فقالت : كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلى وإلى أمي ، فما أعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً يقرني إلى الله عز وجل إلا أمرني به ، ولا شيئاً يباعدني عن الله إلا نهاني عنه ، وما دعاني إلى الأباضية قط ولا أمرني بها ، وكان ليأمرني أين أضع الحمار - ووضعت يدها على الجبهة - أسند عن جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس .

### ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، فقيل إنه فتح النطاكية ، وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد قبيل غزواته وبلغ الوليد بن هشام الميضي أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية . وفيها كانت الرجفة بالشام ، وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من أرض الروم . وفيها فتح الله على الاسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدي أولاده وأقربائه وأمراءه حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفيها افتتح القاسم بن محمد النقفى أرض الهند وغنم أموالاً لا تعد ولا تحصى ، وقد ورد في غزاه المند حديث رواه الحافظ ابن عساكر وغيره . وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خجندة ، وكاشان مدينتي فرغانة ، وذلك بعد فراغه من الصفد وفتح سمرقند ، ثم خاض تلك البلاد يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها وافتتحها ، وقد لقيه المشركون في جموع هائلة من الترك فقاتلهم قتيبة عند خجندة فكسروهم مراراً وظفر بهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقاً وأسر آخرين ، وغنم أموالاً كثيرة جداً . قال ابن جرير : وقد قال سحبان وأهل يذكر قتلهم بخجندة التي هي قرية من بلاد الصين أبياتاً في ذلك :-

فسل الفوارس في خجندة \* دة نحت مرهفتر الموالى  
هل كنت أجفهم إذا \* هزيموا وأقدم في قتالي  
أم كنت أضرب هامة الا \* ماني وأصبر للنزال  
هذا وانت قريع قيد \* س كلها ضخم النوال  
وفضلت قيساً في الندى \* وأبوك في الحجج الخوالى

تمت مروءتكم ونا \* غي عزكم غلب الجبال

ولقد تبين عدل حكك \* فيهم في كل مال

هكذا ذكر ابن جرير هذا من شعر سحبان وائل في هذه الغزوة . وقد ذكرنا ما أورده ابن الجوزي في منظمه أن سحبان وائل مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد الحسين فآله أعلم .

مقتل سعيد بن جبير رحمه الله

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن الحجاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك ، فلما خلع ابن الأشعث خلع معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصحابه ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها ، ثم كان يعمر في كل سنة ويحج ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن ولها خالد بن عبد الله القسري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها فقال سعيد : والله لقد استحيت من الله مما أفر ولا مفر من قدره ؟ وتولى على المدينة عثمان بن جيان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلم منه خالد بن الوليد القسري فعين من عنده من مكة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمر بن دينار ، وطلق ابن حبيب . ويقال إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواما من أهل الشقاق ، فبعث خالد بهؤلاء إليه ثم عفا عن عطاء وعمر وبن دينار لأنهما من أهل مكة ، وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما سعيد فمات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد ابن جبير فلما أوقف بين يدي الحجاج قال له : يا سعيد ألم أشركك في أمانتي ألم أستملكك ؟ ألم أفعل ألم أفعل ؟ كل ذلك يقول : نعم ، حتى ظن من عنده أنه سيخلى سبيله ، حتى قال له : فما حلك على الخروج علي ؟ وخلصت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سعيد : إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم علي ، ففضب عند ذلك الحجاج غضباً شديداً وانتفخ حتى سقط طرف ردايه عن منكبيه ، وقال له : ويحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأجنت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية ؟ قال : بلى قال فتنك بيعتين لأمر المؤمنين وتنفى بواحدة للحائك ابن الحائك ؟ يا حرسى اضرب عنقه . قال : فضربت عنقه فبدر رأسه عليه لاطئة صغيرة بيضاء ، وقد ذكر الواقدي نحو هذا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما فعلت أما فعلت .

قال ابن جرير : لحديث عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر

عن رجل قال : لما قتل الحجاج سميد بن جبير فندس رأسه هليل ثلاثاً ، مرة يفضح بها ، وفي الثنتين يقول مثل ذلك لا يفضح بها . وذكر أبو بكر الباهلي قال : سمعت أنس بن أبي شيخ يقول : لما أتى الحجاج سميد بن جبير قال : لمن ابن النصرانية - يعني خالد القسري وكان هو الذي أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سميد ما أخرجك علي ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب أخرى ، فعلايت نفس الحجاج وانطلق وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم غاوده في شيء فقال سميد : إنما كانت بيعة في عنقي ، فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله . وذكر عتاب ابن بشر عن سالم الانطس قال : أتى الحجاج بسميد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجله في الفرز ، فقال : والله لأركب حتى تقبوا مقعدك من النار ، أضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : والنبس الحجاج في عقله مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود التي على سميد ، فقطعوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود :

وقال محمد بن أبي حاتم : ثنا عبد الملك بن عبد الله بن خباب ، قال : جئ بسميد بن جبير إلى الحجاج فقال : كتبت إلى مصعب بن الزبير ؟ فقال : بلى كتبت إلى مصعب ، قال : لا والله لأقتلك قال : إني إذا لسميد كما سميتني أمي . قال فقتله ، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام براه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عبد الله فيم قتلتي ؟ فيقول الحجاج : مالي ولسميد بن جبير ، مالي ولسميد بن جبير ؟ قال ابن خلكان : كان سميد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة كوفياً أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللون ، وكان لا يكتب على الغنما ، فلما عمى ابن عباس كتب ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وذكر مقتله كنعوا ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل بسة أشهر . وذكر عن الإمام أحمد أنه قال : قتل سميد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتقر - إلى علمه . ويقال إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد ، وسيأتي في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا . قال ابن جرير : وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين بن زين العابدين ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سميد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسميد بن جبير من أهل مكة ، وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا التكميل ، وسند ذكر طرفاً صالحاً هاهنا إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستغنى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن صرد . وحج بالناس فيها العباس بن الوليد ، ويقال مسلمة بن عبد الملك ، وكان على نيابة مكة خالد القسري ، وعلى

المدينة عثمان بن حيان ، وعلى المشرق بكاله الحجاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زياد بن جبر ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمارة البصرة من جهة الحجاج الجراح بن عبد الله الحكمي ، وعلى قضائها عبد الله بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان

سعيد بن جبير الأسدي الوابي مولاهم أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله ، الكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الاسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين ، يقال إنه كان يقرأ القرآن في الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة ، وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختمة ، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة . وروى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفاً في الصلاة في ليلة في الكعبة . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه . وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما ظفر | الحجاج | هرب سعيد إلى اصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ، مرة للعمرة ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان لحدث بها ، وكان بخراسان لا يتحدث لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، وكان يقول : إن مما يهمني ما عندي من العلم ، وددت أن الناس أخذوه . واستمر في هذا الحال مخفياً من الحجاج قريباً من ثلثي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القيسري من مكة إلى الحجاج ، وكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية : ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن أحمد ابن أبي خلف ثنا شعبان عن سالم بن أبي حفصة . قال : لما أتى بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كسير ؟ قال : لا ! إنما أنا سعيد بن جبير ، قال لأقتلك ، قال : أنا إذا كما سمعتي أمي سعيداً ! قال شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، قال : ( فأينما تولوا فثم وجه الله ) قال : إني أستعبد منك بما استعادت به مريم ، قال : وما عادت به ؟ قال : قالت [ إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ] قال سفيان : لم يقتل بعده إلا واحداً . وفي رواية أنه قال له : لأبدلك بالدينار ناراً تلظى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لأخذت منك المال . وفي رواية أنه لما أراد قتله قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، فقال : [ أينما تولوا فثم وجه الله ] فقال : اجلدوا به الأرض ، فقال : [ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ] فقال : اذبح فما أنزله لا آيات الله منذ اليوم . فقال : اللهم لا تسلطه على أحد بعدى . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سعيد

ابن جبير، أحسنه هذا والله أعلم<sup>(١)</sup>

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله، أكثرها لا يصح، وقد وقب الحجاج بعده وعوجل بالعقوبة، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، كما سندت وفاته في السنة الآتية، فقيل إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً، وقيل أربعين يوماً، وقيل ستة أشهر والله أعلم.

واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل، فقيل تسماً وأربعين سنة، وقيل سبعاً وخمسين فله أعلم. قال أبو القاسم اللالكائي: كان مقتله في سنة خمس وتسعين، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة - سنة أربع وتسعين - فله أعلم.

[قلت: هاهنا كلمات حسان من كلام سعيد بن جبير أحببت أن أذكرها. قال: إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته، وتحملك على طاعته، فذلك هي الخشية النافعة. والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بدأ كرهه، وإن أكثر منه التسبيح وتلاوة القرآن. قيل له: من أعبد الناس؟ قال: رجل أقرف من الذنوب، فكما ذكر ذنبه احتقر عمله، وقال له الحجاج: ويلك! فقال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، فقال: اضربوا عنقه، فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة فأنا خصمك عند الله، فذبح من قفاه، فبلغ ذلك الحسن فقال: اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج، فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأنتن منه فمات. وقال سعيد للحجاج لما أمر بقتله وضحك فقال له: ما أضحكك؟ فقال: أضحك من غيراتك على وحلم الله عنك<sup>(٢)</sup>

## سعيد بن المسيب

ابن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدني، سيد التابعين على الإطلاق، ولد لسنتين للهجرة وقبل بقليل من خلافة عمر بن الخطاب، وقيل لأربع مئتين منها، وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أدرك العشرة وهم منه والله أعلم. ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي (ص)، وروى عن عمر كثيراً، فقيل سمع منه، وعن عثمان وعلى وسعيد وأبي هريرة، وكان زوج ابنته، وأعلم الناس بحديثه، وروى عن جماعة من الصحابة، وحدث عن جماعة من التابعين، وخلق من سواهم، قال ابن عمر: كان سعيد أحد المتقين، وقال الزهري: جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره، وقال محمد بن إسحاق عن مكحول قال: طفت الأرض كلها في طلب العلم. فألقيت أعلم من سعيد بن المسيب. وقال الأوزاعي: سئل الزهري ومكحول من

أقنه من لقبها؟ قال: سعيد بن المسيب . وقال غيره : كان يقال له فقيه الفقهاء . وقال مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب : كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد ، قال مالك : وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه ، وقال الربيع عن الشافعي أنه قال : إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن . وقال الامام أحمد بن حنبل هو صحاح : قال : وسعيد بن المسيب أفضل التابعين . قال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علما منه ، وإذا قال سعيد مضت السنة لحسبك به ، وهو عندي أجل التابعين . وقال أحمد بن عبد الله المعجلي : كان سعيد رجلا صالحا فقيها ، كان لا يأخذ المطاء ، وكانت له بضاعة أربعمئة دينار ، وكان يتجر في الزيت ، وكان أعور . وقال أبو زرعة : كان مدنيا ثقة إماما . وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أنبئهم في أبي هريرة ، قال الواقدي : توفي في سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، عن خمس وسبعين سنة ، رحمه الله .

وكان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته ويطئنه ، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا ، والكلام فيما لا يعني ، ومن أكثر الناس أدبا في الحديث ، جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فخدمته ثم اضطلع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تمنّ ، فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع ، وقال برد مولاه : مانودي للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد . وقال ابن إدريس : صلى سعيد بن المسيب الفداة بوضوء العتمة خمسين سنة . وقال سعيد : لا تملوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالأنكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة . وقال : ما ينس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال : ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت أنفسها إلا بمصيبة الله تعالى . وقال : كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يمثل بمصيبة الله . وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه . وقال : الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل ، وأنزل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها . وقال : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا يلبغي أن تذكر عيوبه . وقال : من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله .

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة . وكانت من أحسن النساء وأكثرهم أدبا وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله (ص) ، وأعرفهم بحق الزوج . وكان فقيرا ، فأرسل إليه بمخسة آلاف ، وقيل : بمشرين ألفا ، وقال : استنق منه . وقصته في ذلك مشهورة ، وقد كان عبد الملك خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجها ، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط كما تقدم ، لما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك ، ضربه فآبى على المدينة هشام بن



إسماعيل وأطافه المدينة ، وعرضوه على السيف ففضى ولم يبايع ، فلما رجفوا به رآته امرأة فقالت : ما هذا الخزي ياسعيد ؟ فقال : من الخزي فررنا إلى مازين ، أى لو أحببناهم وقمنا في خزي الدنيا والآخرة . وكان يجمل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتجر فيه ويقول : اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بنى مروان حتى ألقى الله فيحكم في وفهم ، وأصل منه رحى ، وأودى منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم .

#### طلق بن حبيب العنزي

تابى جليل ، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وعنه حميد الطويل والأعمش وطاوس ، وهو من أقواؤه وأثنى عليه عمرو بن دينار ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالأرجاء ، وقد كان ممن خرج مع ابن الأشعث ، وكان يقول تقووا بالتقوى ، فقيل له : صف لنا التقوى ، فقال : التقوى هي العمل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله ، وترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله . وقال أيضاً : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصي ، أو يقوم بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وأمسوا نائبين . وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلا ، ويقول : قال الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إذا ناجمتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ) فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم . قال مالك : قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير . وقد ذكر ابن جرير في سابق أن خالد بن عبد الله القسري بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج ، وهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان والله أعلم .

#### عروة بن الزبير بن العوام

القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني ، تابى جليل ، روى عن أبيه وعن العبادة ومعاوية والمغيرة وأبي هريرة ، وأمه أسماء ، وخالته عائشة ، وأم سلمة . وعنه جماعة من التابعين ، وخلق ممن سوام . قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث علما مأمونا ثبتاً . وقال العجلي : مدني تابى رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن . وقال الواقدي : كان قتيباً علماً حافظاً ثبتاً حجة علماً بالسير ، وهو أول من صنف المغازي ، وكان من فقهاء المدينة المحدثين ، ولقد كان أصحاب رسول الله (ص) يسألونه ، وكان أروى الناس للشعر ، وقال ابنه هشام : العلم لواحد من ثلاثة ، لذى حسب يزين به

حسبه ، أو ذى دين يسوس به دينه ، أو مختلط بسطان يتحفه بنعمه ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في هلكة ، وقال : ولا أعلم أحداً اشترطه بهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل ، وكان أيام الربط يثلم حائطه للناس فيدخلون ويأكلون ، فإذا ذهب الربط أعاده ، وقال الزهري : كان عروة بجرأ لا ينزف ولا تنكسره الدلاء . وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجمله ، وقد ذكره غير واحد في فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهى إلى قولهم ، وكان من جملة الفقهاء المشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة [ وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق ، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها ، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل ، ولكن هلموا فاقطعوها فاقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أن ، وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة فأنه أعلم . ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى محمداً كان أحب أولاده من سطح فمات ، فدخلوا عليه فمزوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخذت فلقد أعطيت ، ولئن كنت قد ابتليت فقد عاليت ] قلت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة وكان مبدؤها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فمات إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء الباردين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه . وربما ترقت إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له : ألا نسقيك مرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لا بد طلعين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة ، فاني لأحس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فنشروا رجله من فوق الأكلة ، من المسكان الحى ، احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلى ، فما تصور ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبهم إليه ، فدخل دار الدواب ففرسته فرس فمات ، فأنوه فعرّوه فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة ، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما

عافيت ، واثن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت . فلما لخص حاجته من دمشق رجيع إلى المدينة ، قال : فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شكاً ذلك إلى أحد حتى دخل وادى القرى ، فلما كان في المكان الذى أصابته الأكلة فيه قال : [ لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً ] فلما دخل المدينة أتاه الناس يسألون عليه ويمزونه في رجله وولده ، فبلغه أن بعض الناس قال : إنما أصابه هذا بذنوب عظيم أحدثه . فأنشد عروة في ذلك والأبيات لمعن بن أوس :-

لعمرك ما أهويت كفى لريبة \* ولا حملتى نحو فاحشة رجلي  
ولا قادي سمى ولا بصري لها \* ولادلتى رأبى عليها ولا عقلي  
واست بماش ما حبيت لمنكر \* من الأمر لا عشي إلى مثله مني  
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة \* وأوتر ضيفي ما أقام على أهلي  
وأعلم أنى لم تصبني مصيبة \* من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلي

وفي رواية : اللهم إنه كان لى بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقت ثلاثة . كنا ذكر هذا الحديث فيه هشام . وقال مسلمة بن محارب : وقعت في رجل عروة الأكلة قطعات ولم يسكه أحد ، ولم يسع في تلك الليلة ورده . وقال الأوزاعي : لما نشرت رجل عروة قال : اللهم إنك تعلم أنى لم أمش بها إلى سوء قط . وأنشد البيهقي المتقدمين . رأى عروة رجلاً يصلى صلاة خفيفة فدعا فقال : يا أخى أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك ؟ إني لأسال الله في صلاتي حتى أسأله الملح . قال عروة : رب كلمة ذل احتملتها أورتنتى عزاً طويلاً . وقال لبنيه : إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنه فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنه تدل على أختها ، والسيئة تدل على أخها . وكان عروة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية [ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ] حتى يخرج منه والله سبحانه وتعالى أعلم [ (١) ]

قيل إنه ولد في حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين ، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل سنة تسعين ، وقيل سنة مائة ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل إحدى ومائة ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل تسع وتسعين فله أعلم .

﴿ علي بن الحسين ﴾

ابن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزین العابدين ، وأمه أم ولد اسمها سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يقال له علي أيضاً ، قتل مع أبيه ، روى على هذا الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن علي ، وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة ، أمهات المؤمنين . وعنه

جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر ، وأبو جعفر محمد بن علي بن قر ، وزيد بن أسلم ، وطاوس وهو من أقرانه ، والزهرى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأبوسلة وهو من أقرانه ، وخلق .

قال ابن خلكان : كانت أم سلة بنت يزيد آخر ملوك الفرس ، وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أن يزيد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالما ، والأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها التاسم ، والأخرى للحسين بن علي فأولدها عليا زين العابدين هذا ، فكلمهم بنو خالة . قال ابن خلكان : ولما قتل قتبية بن مسلم فيروز ابن يزيد بعث بابنتيه إلى الحجاج فأخذ إحداها وبث بالأخرى إلى الوليد ، فأولدها الوليد يزيد الناقص . وذكر ابن قتبية في كتاب المعارف أن زين العابدين هذا كانت أمه سندية ، يقال لها سلامة ، ويقال غزالة ، وكان مع أبيه بكر بلاه ، فاستبق لصغره ، وقيل لمرضه ، فانه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقدم بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض النجدة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا ففعله الله منه ، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويمطبه ويجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بهم إلى المدينة ، وكان على بالمدينة محترما معظما . قال ابن عساکر : ومسجده بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد على بالناحية الشرقية من جامع دمشق . وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطيس ، قال الزهرى : ما رأيت قرشيا أروع منه ، ولا أفضل . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر ابن سعد : لا تمرضوا لهذا المريض . وقال الواقدي : كان من أروع الناس وأعبدم وأتقاهم لله عز وجل ، وكان إذا مشى لا يحظر بيده ، وكان يتم بهامة بيضاء يرخبها من ورائه ، وكان كنيته أبا الحسن ، وقيل أبا محمد ، وقيل أبا عبد الله . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا ، وأمه غزالة خلف عليها بعد الحسين مولاه زبيد فولدت له عبد الله بن زبيد ، وهو على الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد ، وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم : لم يكن في أهل البيت مثله . وقال يحيى بن سعيد الأنصارى : سمعت على ابن الحسين وهو أفضل هاشمى أدركته يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الاسلام ، فما برح بنا حجبكم حتى صار علينا عارآ . وفي رواية : حتى بفضتمونا إلى الناس . وقال الأصمى : لم يكن للحسين عقب إلا من على بن الحسين ، ولم يكن لعلى بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو اتخذت السرارى يكثر أولادك ، فقال : ليس لي ما أنسرى به ، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السرارى فولدت له وكثر نسله . ثم لمسا مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من على بن

الحسين شيء مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله . وقال أبو بكر بن أبي شيبة :  
 أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، وذكروا أنه احترق البيت  
 الذي هو فيه وهو قائم يصلي ، فلما انصرف قالوا له : مالك لم تنصرف ؟ فقال : إني اشتغلت عن  
 هذه النار بالنار الأخرى ، وكان إذا توضعاً يصفر لونه ، فاذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، فقيل  
 له في ذلك فقال : ألا تدرون بين يدي من أقوم ولبن أناجي ؟ ولما حج أراد أن يلي فارتعد وقال :  
 أخشى أن أقول ليبيك اللهم ليبيك ، فيقال لي : لا ليبيك ، فشجعوه على التلبية ، فلما لي غشي عليه  
 حتى سقط عن الراحلة . وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة . وقال طاووس : سمعته وهو ساجد عند  
 الحجر يقول : عبيدك بفنائك ، سائلك بفنائك . فقيرك بفنائك ، قال طاووس : فوالله مادعوت بها في  
 كرب قط إلا كشف عني . وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل ، وكان يقول صدقة الليل تطفي غضب  
 الرب ، وتنور القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يمشون لا يدرون من أين يمشون ومن يعطيهم ،  
 فلما مات علي بن الحسين قدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به . ولما مات  
 وجدوا في ظهره وأر كتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل . وقيل إنه كان  
 يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات . ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة  
 ابن زيد يعود فبكي ابن أسامة فقال له ما يبكيك ؟ قال : علي دين ، قال : وم كم هو ؟ قال خمسة عشر  
 ألف دينار . وفي رواية سبعة عشر ألف دينار . فقال : هي علي . وقال علي بن الحسين : كان أبو بكر  
 وعمر من رسول الله (ص) ، في حياته بمنزلة ما منه بعد وفاته . وقال منه رجل يوماً فجعل يتخاقل عنه  
 - يريه أنه لم يسمعه - فقال له الرجل : إياك أعني ، فقال له علي : وعنتك أغضى . وخرج يوماً من المسجد  
 فسبته رجل فانتدب الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : ماستره الله عنك من عيوبنا  
 أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خيصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ،  
 فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء . قالوا : واختم علي بن الحسين وحسن  
 ابن حسن - وكان بينهما منافسة - فقال منه حسن بن حسن وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي  
 ابن الحسين إلى منزله فقال : يا ابن عم إن كنت صادقاً يفر الله لي ، وإن كنت كاذباً ينفر الله لك  
 والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقه فصالحه . وقيل له من أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم ير الدنيا  
 لنفسه قديراً ، وقال أيضاً : الفكرة مرآة ترى المؤمن حسناته وسيئاته ، وقال : فقد الأوجه غربة ، وكان  
 يقول : إن قومياً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ،  
 وآخرون عبدوه محبة وشكراً فتلك عبادة الأحرار الأخيار . وقال لابنه : يا بني لاتصحب فاسقاً فإنه

بميمك بأكلة وأقل منها يطعم فيها ثم لا ينالها ، ولا بخيلا فانه يخذلك في ماله أحوج ماتكون إليه ، ولا كذايا فانه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا قاطع رحم فانه ملعون في كتاب الله . قال تعالى : [ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ]

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير بن مطعم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تخطى حلق أهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث ينتفع ، وإن العلم يطلب حيث كان . وقال الأعمش عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين : أنتستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير ؟ قلت : ما تصنع به ؟ قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصه ، إنه ليس عندنا ما يربينا به هؤلاء . وأشار بيده إلى العراق -

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زر بن عبيد (١) قال : كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس : مرحبا بالحبيب ابن الحبيب . وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : ثنا العلاء ثنا إبراهيم بن بشار عن سفیان بن عيينة عن أبي الزبير قال : كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله (ص) ، فدخل عليه الحسين بن علي فضمه إليه وقبله وأقده إلى جنبه ، ثم قال : « بولد لابني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقيم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث غريب جداً أورده ابن عساکر . وقال الزهري : كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت أحقه منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك ، وكان يسمى زين العابدين . وقال جويرية بن أسماء : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله (ص) ، درهما قط ، رحمه الله ورضي عنه . وقال محمد بن سعد : أنبا علي بن محمد عن سعيد بن خالد عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردّها ، فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إلى بمائة ألف فكرهت أن أقبلها وكرهت أن أردّها ، فابعث من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا ابن عم اخنفا فقد طيبتها لك ، وقبلها . وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الاتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء . وقال أيضاً : إني لأستحي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبجل عليه بالدنيا ، فاذا كان يوم القيامة

قيل لى فاذا كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل ، وأبخل وأبخل . وذكرة أنه كان كثير البكاء فقيل له في ذلك فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يندبحون في غداة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً ؟ وقال عبد الرزاق : سبكت جارية لعلى بن الحسين عليه ماء ليتوضأ فسقط الأبريق من يدها على وجهه فشجبه ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية : إن الله يقول [ والكافين الغيظ ] ، فقال : قد كظمت غيظي ، قالت [ والمعافين عن الناس ] فقال : عفا الله عنك . فقالت [ والله يحب المحسنين ] قال : أنت حرة لوجه الله تعالى .

وقال الزبير بن بكار : ثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة اللخمي عن أبيه عن جده عن محمد بن علي عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق فدكروا أبا بكر وعمر فنالوا منهما ، ثم ابتدؤا في عثمان فقال لهم : أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذين [ أخرجوا من ديارهم وأموالهم ينتفون فضلاء من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ] ؟ قالوا : لا قال : فأنتم من الذين [ تبتوا الدار والابان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ] ؟ قالوا لا فقال لهم : أما أنتم فقد أقرتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم [ والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ] الآية ، فقوموا عني لا يبارك الله فيكم ، ولا قرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالاسلام ، ولستم من أهل . وجاء رجل فسأله متى يبعث على ؟ فقال : يبعث والله يوم القيامة وتهمه نفسه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثت عن سميد بن سليمان عن علي بن هاشم عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم - أو أهب عرضي اليوم - من استحله . وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سفود وهو يشوي شيئاً في التنور على رأس صبي لعلى بن الحسين قتله ، قهض على بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : إنك لم تتعمد ، أنت حر ، ثم شرع في جهاز ابنه . وقال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرفني أن لى بنصيبى من الذل حر النعم : ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه من أجل إسرافه ، فقال له علي بن الحسين : إن من وراء ابنك خللاً ثلاثاً ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاععة رسول الله ، ورحمة الله عز وجل . وقال المدائني : قارف الزهري ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله . فلما اجتمع لعلى بن الحسين قال له : يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : [ الله أعلم حيث يجعل رسالته ] وفي رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأ فأمره على بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك . وكان

الزهري يقول : علي بن الحسين أعظم الناس على منة .

وقال سفيان بن عيينة كان علي بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما اصطحب اثنان على معصية إلا أوشك أن يفترقا على غير طاعة . وذكروا أنه زوج أمه من مولى له واعتق أمه فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه [ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ] وقد أعتق صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش . قالوا : وكان يلبس في الشتاء خبيصة من خز بخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، ويلبس في الصيف الثياب المرقمة ودونها ويتلو قوله تعالى [ قل من حرم زينة الله التي أخرج لمباده والطيبات من الرزق ] .

( وقد روى من طرق ذكرها الصولى والجربرى وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تمنى عنه الناس إجلالاً له وهيبه واحتراماً ، وهو في بزة حسنة ، وشكل مليح ، فقال أهل الشام لهشام : من هذا ؟ فقال : لا أعرفه . استنقاصاً به واحتراماً لثلاث يرفب فيه أهل الشام . فقال الفرزدق : وكان حاضراً . أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذى تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ \* والبيت يعرفهُ والحلُّ والحرمُ  
 هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهم \* هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ  
 إذا رأته قريشٌ قالَ قائلها \* إلى مكارمِ هذا ينتهى الكرمُ  
 يُنمى إلى ذروة العز التي قصرت \* عن نيلها عربُ الأسلامِ والمجمُ  
 يكادُ يمسكُ عرفانَ راحته \* ركنُ الحطيمِ إذا ماجأ يستلمُ  
 يُنفضي حياءً ويُفضى من مهابته \* فما يكلمُ إلا حينَ يقسمُ  
 بكفِّ خيرِ رانٍ ريجها عقب \* من كفِ أروعِ في عرينه شحمُ  
 مشتقة من رسولِ الله نبعته \* طابت عناصرها والظلمُ والشيمُ  
 ينجبُ نورُ الهدى من نورِ غرته \* كالشمسِ ينجبُ عن إشراقها الغيمُ  
 حالُ أفعالِ أقوامٍ إذا فسحوا \* حلوا الشائلِ تحلو عندهُ نعمُ  
 هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلُهُ \* بجدمِ أنبياءِ الله قد ختموا  
 من جدمِ دانِ فضلِ الأنبياءِ له \* وفضلُ أمتِهِ دانت لها الأمامُ



عم البرية بالأحسان فانقضت \* عنها الفوايه والاملاق والظلم  
 كلتا يديه فيك عم نفعهما \* يستوكفان ولا يبرهما المدم  
 سهل الخليفة لانحسوا بادره \* بزينة امتنان الحلم والكرم  
 لا يخلف الوعد ميموناً بفيته \* ربح الفناء أريب حين يعتزم  
 من مشرجهم دين وبنفسهم \* كفرو قريهم منجى ومعتصم  
 يستدفع النسوة والبلوى بهم \* ويستزاد به الاحسان والنعم  
 مقدم بمد ذكر الله ذكركم \* في كل حكم ويختوم به الكلم  
 إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم \* أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم  
 لا يستطيع نجاد بمد غايتهم \* ولا يداينهم قوم وإن كرموا  
 هم النيوث إذا ما أزمه أزمته \* والأسد أسد الشرى والبأس محتدم  
 يأبى لهم أن يحمل الذم ساحتهم \* لحيم كرام وأيدى بالندى هضم  
 لا ينقص المدم بسطاً من أكفهم \* سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا  
 أى الخلاق ليست في رقابهم \* لأولية هذا أوله نعم  
 فليس قولك من هذا بضارم \* العرب تعرف من أنكرت والمعجم  
 من يعرف الله يعرف أولية ذا \* فالدين من بيت هذا ناله الأمم

قال : فضرب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بسفان ، بين مكة والمدينة ، فلما بلغ ذلك  
 على بن الحسين بمث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : إنما قلت ما قلت لله  
 عز وجل ونصرة للحق ، وقياماً بحق رسول الله ، في ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشئ .  
 فأرسل إليه على بن الحسين يقول : قد علم الله صدق نيتك في ذلك ، وأقسمت عليك بالله لتقبلها  
 فتقبلها منه ثم جل بهجوا هشاماً وكان مما قال فيه :

فحسنى بين المدينة والتي \* إليها قلوب الناس نهوى منيها  
 يقلب رأساً لم يكن رأس سيدي \* وعينين حولواين يادى عيوبها  
 وقد روينا عن على بن الحسين أنه كان إذا مرت به الجنائز يقول هذين البيتين :  
 نراع إذا الجنائز قابلتنا \* ونلوه حين نفضى ذاهبات  
 كروعة ثلثة لفار سبع \* فلما غاب عادت راقعات  
 وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله المقرئ حدثني سفيان بن عيينة عن

الزهري قال سمعت على بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه : -

ياض حتام إلى الدنيا سكونك ، وإلى عمارتها ركونك ، أما اعتبرت بمن معنى من أسلافك  
ومن وارته الأرض من ألافك ؟ ومن فجعت به من إخوانك ، ونقل إلى الترى من أقرانك ؟ فهم  
في بطون الأرض بعد ظهورها ، محاسنهم فيها بوال دوائر .

خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم \* وساقنهم نحو المنايا المقادير  
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها \* وضمهم تحت التراب الحفائر  
كم خرمت أيدي المنون من قرون بعد قرون ، وكم غيرت الأرض ببلاتها ، وغيبت في ترابها ،  
ممن عاشت من صنوف وشيعتهم إلى الأمارس ، ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الافلاس : -

وأنت على الدنيا مكب منافس \* لخطابها فيها حريص مكائر  
على خطر تمشي وتصبح لاهياً \* أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر  
وإن امرأاً يسمى لدنياة دائماً \* ويذهل عن أخراه لاشك خاسر  
فحاتم على الدنيا إقبالك ؟ وبشواتها اشتغالك ؟ وقد وخطك القتير ، وأتاك النذير ، وأنت عما

يراد بك ساه وبلذة يومك وغدك لاه ، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعانيت ما حل بهم من  
المصيبات ، وفي ذكر هول الموت والقبور والبلى \* عن اللهب واللذات للمرء زاجر  
أبمد اقتراب الأربعين تریص \* وشيب قذال منصرف للكبار  
كأنك معنى بما هو ضائر \* لنفسك عمداً وعن الرشد حائر

انظر إلى الأمم الماضية والملوك الفانية كيف اختطفتهم عقبان الأيام ، وواقم الحام ، فانتحمت  
من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم ، وأضحوا ربما في التراب ، إلى يوم الحشر والمآب ،  
أسمحو ربما في التراب وعطلت \* مجالسهم منهم وأخلى مقاصر  
وحلوا بدار لاتراور بينهم \* وأنى لسكان القبور التزاور  
فإن ترى الأقبوراً قد ثوروا بها \* مسطحة تسفى عليها الأعاصر

كم من ذى منعة وسلطان وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها ما تمنناه ، وبني فيها  
التصور واللساكر ، وجمع فيها الأموال والذخائر ، وملح السرارى والحرائر .

فما صرفت كف المنية إذ أتت \* مبادرة تهوى إليه الذخائر  
ولادفعت عنه الحصون التي بنى \* وحف بها أنهاره واللساكر  
ولا قارعت عنه المنية حيلة \* ولاطمعت في الذب عنه المساكر

أفاه من الله ملا يرد ، ونزل به من فضائه مالا يصد ، فتعالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز  
القهار ، قاصم الجبارين ، ومبيد المتكبرين ، الذى ذل لعه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديان .

ملك عزيز لا برد قضاؤه \* حكيم علم نافذ الأمر قاهر  
عنى كل ذى عز لعز وجهه \* فكم من عزيز للهيم صاغر  
لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت \* لعزة ذى العرش الملوك الجبار

فالبدار البدار والحدار الحدار من الدنيا ومكايدها، وما نصبت لك من مصايدها، ونحلت لك من زينتها، وأظهرت لك من بهجتها، وأبرزت لك من شهواتها، وأخفت عنك من قواتها وهلكاتها،

وفى دون ما عينت من فجائتها \* إلى دفعها داع وبالزهد أمر  
فجد ولا تفعل وكن متيقظاً \* فما قليل يترك الدار عامر  
فشم ولا تغتر فمرك زائل \* وأنت إلى دار الاقامة صائر  
ولا تطلب الدنيا فان نسيها \* وإن نلت منها غبه لك ضار

فهل يحرص عليها لبيب، أو يسر بها أريب؟ وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع فى بقائها، أم كيف تنام عيننا من يخشى البيات، وتسكن نفس من توقع فى جميع أموره الممات.

ألا لا ولكننا نفر نفوسنا \* وتشتلنا اللذات عما نحاذر  
وكيف يلد العيش من هو موقف \* بموقف عدل يوم تبلى السرائر  
كأننا نرى أن لانشور وأتنا \* غدى ما لنا بعد الممات مصادر

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها، مع صنوف عجائبها وقوارع فجائتها، وكثرة عذابه فى مصابها وفى طلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها

أما قد نرى فى كل يوم وليلة \* بروح علينا صرفها ويباكر  
تماورفا آفاتها وهوها \* وكم قد نرى يبقى لها المتماور  
فلا هو مغبوط بدنياه آمن \* ولا هو عن تطلباها النفس قاصر

كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها، وصرعت من مكب عليها، فلم تنعش من عمرته، ولم تنقده من صرعته، ولم تشفه من ألمه، ولم تبره من سقمه. ولم تخلصه من وصمه

بل أوردته بعد عز ومنعة \* موارد سوء ما لمن مصادر

فلما رأى أن لانجاة وأنه \* هو الموت لا ينجيه منه التحاذر

تندم إذ لم تن عنده ندامة \* عليه وأبكته الذنوب الكبار

إذ بكى على ماسلف من خطاياها، وبحسر على ما خلف من دنياه، واستغفر حتى لا ينفه

الاستغفار، ولا ينجيه الاعتذار، عند هول المنية ونزول البلية.

أحاطت به أحزانه وهمومه \* وأبلس لما أمجزته المقادر  
فليس له من كربة الموت طارج \* وليس له مما يحاذر ناصر  
وقد جشأت خوف المنية نفسه \* ترددها منه الله والخناجر  
هنالك خف عواده ، وأسله أهله وأولاده ، وارتفعت البرية بالمويل ، وقد أيسوا من العليل ،  
فتمضوا بأيديهم عييه ، ومد عند خروج روحه وجليه ، وتخلّى عنه الصديق ، والصاحب الشفيق  
فكم موجع يبكي عليه مفعج \* ومستنجد صبراً وما هو صابر  
ومسترجع دواعي له الله مخلصاً \* يمدد منه كل ما هو ذا كركر  
وكم شامت مستبشر بوفاته \* وعمّا قليل للذي صار صائر  
نشتت جيوبها نساؤه ، ولطمت خدودها أباؤه ، وأعول لفقده جيرانه ، وتوجع لرزقته إخوانه ،  
ثم أقبلوا على جهازه ، وشمروا لأبرازه : كأنه لم يكن بينهم العزيز المغدى ، ولا الحبيب المبدي .  
وحلّ أحبّ القوم كأن بقره \* يبحث على تجهيزه ويبادر  
وشبر من قد أحضروه لفسله \* ووجه لما فاض للقبر حافر  
وكنن في نوبين واجتمعت له \* مشيعة إخوانه والمشار  
فلو رأيت الأصفر من أولاده ، وقد غلب الحزن على فؤاده ، ويخشى من الجزع عليه ، وخضبت  
الدموع عييه ، وهو يندب أباه ويقول : يا ويلاه وأحرباه : -

لعاينت من قببح المنية منظرأ \* يهال لمرآة وبرتاع ناظر  
أكابر أولاد بهيج اكتشابهم \* إذا ماتناساه البنون الأصغر  
وربة نسوان عليه جوازع \* مدامهم فوق الحدود غوازر  
ثم أخرج من سعة قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللحد وهي عليه اللبن ، احتوشته أعماله  
وأحاطت به خطاياها ، وضاق ذرعاً بما رآه ، ثم حثوا بأيديهم عليه التراب ، وأكثروا البكاء عليه  
والانتحاب ، ثم وقفوا ساعة عليه ، وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب  
فولوا عليه ممولين وكلمهم \* لمثل الذي لاق أخوه محاذر  
كشاه رفاع آمين بدا لها \* بمدته بادي الذراعين حاسر  
فريعت ولم ترأع قليلاً وأجملت \* فلما نأى عنها الذي هو جازر  
عادت إلى مرعاها ، ونسيت مافي أختها دهاها ، أفبأفعال الأنام اقتدينا ؟ أم على عاداتنا جرينا ؟  
عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ماترى .  
نوى مفرداً في لحده ونوزعت \* موارثه أولاده والأصاهر

وأخذوا على أموالهم يقسمونها \* فلا حامدٌ منهم عليها وشاكرٌ  
 فيها عامرٌ الدنيا ويساعياً لها \* ويا آمناً من أن تدورَ الدوائرُ  
 كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائرٌ إليها لا محالة؟ أم كيف ضيعت حياتك وهي مطينتك إلى  
 مماتك؟ أم كيف تشيع من طعامك وأنت منتظرٌ حمالك؟ أم كيف تهنا بالشهوات، وهي مطية الآفات  
 ولم تتزود الرحيل وقد دنا \* وأنت على حالٍ وشيكٍ مسافرٌ  
 فيألفك نفسى كم أسوف توبى \* وعمري فانٍ والردى لى ناظرٌ  
 وكل الذى أسلفت فى الصحف منبت \* يجازى عليه عادلٌ الحكم قادرٌ  
 فكيف ترفع بأخرك دنياك، وتركب غيبك وهواك، أراك ضعيف اليقين، يماؤثر الدنيا على الدين  
 أبهذا أمرك الرحمن؟ أم على هذا نزل القرآن؟ أما تذكر ما أمالك من شدة الحساب، وشر المسآب  
 أما تذكر حال من جمع ونمر، ورفع البناء وزخرف وعمر، أما صار جمعهم بورا، ومساكنهم قبورا:  
 تخرب ما يسقى وتعمر فانياً \* فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر  
 وهل لك إن وافاك حنكك بغنة \* ولم تك تسب خيرا لدى الله عاذر  
 أنرضى بأن تغنى الحياة وتنقضى \* ودينك منقوص ومالك وافز

وقد اختلف أهل التاريخ فى السنة التى توفى فيها على بن الحسين، زين العابدين، فاشهور عن  
 الجمهور أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة أربع وتسعين - فى أولها عن ثمان وخمسين سنة، وصلى  
 عليه بالقيع، ودفن به، قال الفلاس: مات على بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن  
 عبد الرحمن سنة أربع وتسعين، وقال بعضهم: توفى سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين، وأغرب المدائنى  
 فى قوله: إنه توفى سنة تسع وتسعين والله أعلم انتهى ما ذكره المؤلف [من ترجمة على بن الحسين،  
 وقد رأيت له كلاما متفرقا وهو من جيد الحكمة، فأحببت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه:  
 قال حفص بن غياث عن حجاج عن أبى جعفر عن على بن الحسين قال: إن الجسد إذا لم يمرض  
 أشرو بطر، ولا خير فى جسد يأشرو ويطر. وقال أبو بكر بن الانبارى: حدثنا أحمد بن الصلت  
 حدثنا قاسم بن إبراهيم العاوى حدثنا أبى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال على بن الحسين: فقد  
 الأجة غربة. وكان يقول: اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لوامع العيون علانينى، وتبجح فى خفيات  
 النيوب سريرتى، اللهم كما أسأت وأحسنت إلى، فاذا عدت فعد إلى. اللهم ارزقنى مواساة من  
 قدرت عليه رزقك بما سمعت على من فضلك. وقال لابنه: يا بنى اتخذ ثوبا للناط طانى رأيت النباب  
 يقع على الشئ ثم يقع على الثوب. ثم انتبه فقال: وما كان لرسول الله أس، وأصحابه إلا ثوب واحد،  
 فرفضه. وعن أبى حمزة الثمالى قال: أتيت باب على بن الحسين فكرهت أن أصوت فقدمت على

الباب حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد على السلام ودعا لي ، ثم انتهى إلى حائط فقال : يا حمزة ترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم ! قال : فاني أتكأت عليه يوماً وأنا حزين فاذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في بجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! مالي أراك كئيباً حزينا على الدنيا ! فهي رزق حاضر يأخذ منها البرء العاجر . فقلت : ما عليها أحزن لأنها كما تقول ، فقال على الآخرة ، فهي وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، فقلت : ما على هذا أحزن لأنه كما تقول . فقال : فعلاهم حزئك ؟ قلت : ما أخوف من الفتنة - يعني فتنة ابن الزبير - فقال لي : يا علي ! هل رأيت مأخذاً سأل الله فلم يهطه ؟ قلت : لا ! قال ويخاف الله فلا يكفه ؟ قلت : لا ! ثم غاب عني فقيل لي : يا علي إن هذا الخضر الذي جاءك لفظ الخضر مراد فيه من بعض الرواة

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الخضري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جري عن عمر بن حارث . قال : لما مات علي بن الحسين فمسلوه فجملوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره . فقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يغطيه فقراء أهل المدينة . وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين .

وروى عبد الله بن حنبل عن ابن اشكاب عن محمد بن بشر عن أبي المنهال الطائي أن علي بن الحسين كان إذا تناول المسكين الصدقة قبله ثم ناوله . وقال الطبري : حدثنا يحيى بن زكريا الغلابي حدثنا العتيبي حدثني أبي . قال قال علي بن الحسين - وكان من أفضل بني هاشم الأربعة - يا بني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تخيب أخاك إلا في الأمر الذي مضرته عليك أكثر من منفعتك . وروى الطبراني بإسناده عنه : أنه كان جالساً في جماعة فسمع داعية في بيته فنهض فدخل منزله ثم رجع إلى مجلسه ، فقيل له : أمن حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فمزوه وتمجبوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت نطيع الله عز وجل فيما نحبه ، ونحمده على ما نكره . وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة . فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! قالوا : من أنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حملنا ، وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسئ إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين . ثم ينادى مناد : ليقم أهل الصبر ، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن مصيبة الله ، وصبرناها على البلاء . فقالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين . ثم ينادى المنادي : ليقم جيران الله في داره فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم :

انطلقوا إلى الجنة ، فتنلقام الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : يم استحققتم مجاورة الله عز وجل في داره ؟ فيمويون : كنا نتراور في الله ، ونتجالس في الله ، وتبازل في الله عز وجل . فيقال لهم ، ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن المذنوب التواب . وقال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ ككتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقى منهم تقاة . قالوا : وما تقاه ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطفى . وقال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيت أحداً أروع من فلان . فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا . قال : ما رأيت أروع منه . وروى سفيان بن عيينة عن الزهري . قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيم كنتم ؟ قلت : كنا نتذاكر الصوم ، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب ، إلا شهر رمضان فقال : يا زهري ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها باختيار ، إن شاء عام وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب ، قال الزهري قلت : فسرهن يا ابن رسول الله . قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجحد العتق ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجحد الاطعام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم المتعتل من لم يجحد الهدى وصوم جزاء الصيد ، يقوم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الخنطة . وأما الذي صاحبه باختيار وصوم الاثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم عرفة ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبه باختيار . فأما صوم الأذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا باذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة ، وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر والأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم الشك ، نهينا أن نصومه لرمضان ، وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرم ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدهر ، وصوم الضيف لا يصوم تطوعاً إلا باذن صاحبه ، قال رسول الله . : « من نزل على قوم فلا يصومون تطوعاً إلا بأذنهم » . وأما صوم الإباحة فنأكل أو شرب ناسياً أجزاء صومه ، وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر » وأما نحن فنقول : يفطر في الخالين ، فان صام في السفر والمرض فعليه القضاء [ <sup>(١)</sup> ]

ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة ، قيل اسمه محمد ، وقيل اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ، وله من

الأولاد والاخوة كثير، وهو تابعي جليل، روى عن عمار وأبي هريرة وأسامة بنت أبي بكر، وعائشة وأم سلمة وغيرهم، وعنه جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك وعمر، ومولاه سمي، وعاصم الشعبي وعمر بن عبد العزيز، وعمر بن دينار، ومجاهد، والزهرى. ولد في خلافة عمر، وكان يقال له راهب قريش، لكثرة صلواته، وكان مكفوفاً، وكان يصوم الدهر، وكان من الثقة والأمانة والفقه وصحة الرواية على جانب عظيم، قال أبو داود: وكان قد كف وكان إذا سجد يضع يده في طست لعة كان يجدها. والصحيح أنه مات في هذه السنة، وقيل في التي قبلها، وقيل في التي بعدها. والله أعلم.

أقلت: ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال: -

ألا كل من لا يقتدى بأئمة \* فقسسته جهراً عن الحق خارجه

نغذهم عبيد الله عروة قاسم \* سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وفيها توفى الفضل بن زياد الرقاشي، أحد زهاد أهل البصرة، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً؛ قال: لا يلهينك الناس عن ذات نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكيت وكيت، فإنه محفوظ عليك ما قلت. وقال: لم أر شيئاً أحسن طلباً، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة للذنب قديم.

أبو سلمة أبو عبد الرحمن بن عوف الزهرى، كان أحد فقهاء المدينة، وكان إماماً عالماً، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان واسع العلم. توفى بالمدينة.

عبد الرحمن بن عائذ الأزدي، له روايات كثيرة، وكان عالماً، وخلف كتباً كثيرة من علمه، روى عن جماعة من الصحابة، وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج.

عبد الرحمن بن معاوية بن خزيمية، قاضى مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته، كان عالماً فاضلاً، روى الحديث وعنه جماعة [١١].

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم، وافتتح حصوناً كثيرة. وفيها فتح سلمة بن عبد الملك مدينة في بلاد الروم، ثم حرقها ثم بناها بمد ذلك بمشرب سنين، وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المولينا<sup>(٢)</sup> من بلاد الهند، وأخذ منها أموالاً جزيلة، وفيها قدم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية ومعه الأموال على العجل تحمل من كثرتها، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبى، وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش، ففتح مدناً وأقاليم كثيرة، فلما كان هناك جاءه الخبر بموت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو وتمثل بقول بعض الشعراء:

(١) زيادة من المصرية. (٢) كنا ولعلها (الملتان).



لعمري لنعم المرة من آل جعفر \* بحوران أمسى أعلقتة الحبال  
فان نحى لأملك حياتي وإن تبت \* فما في حياتي بمت موتك طائل

وفيهما كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ، ويمده على ذلك ويجزيه خيراً ، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد وقتال أهل الكفر والعناد . وقد كان الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولى الوليد الصلاة والحرب بالمصريين - الكوفة والبصرة - يزيد بن أبي كبشة ، وولى خراجهما يزيد بن مسلم ، وقيل كان الحجاج يستخلفهما على ذلك فأقرهما الوليد ، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه . وكانت وفاة الحجاج لخمس ، وقيل لثلاث بقين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والواقدي . وفيها قتل الرضاحي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه ، وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس .

﴿ وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته ﴾

هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن دعب بن عمرو ابن سمد بن عوف بن ثقيف ، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو محمد الثقفي ، سمع ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى ، وروى عنه أنس بن مالك ، وثابت البناني ، وحجيد الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجالد ، وقتيبة بن مسلم ، وسعيد بن أبي عروبة . قاله ابن عساکر ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار الراوية بقرب قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق . وقدم دمشق وأندلساً على عبد الملك ، ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم ، سمعت أبي يقول : خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، حتى بكى وأبكي من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول في خطبته : خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : « ما نظر رسول الله (س) ، إلى قبر أو ذكره إلا بكى » . وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود وغيره ، وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار : ثنا يسار عن جعفر عن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى ألا أحدثك بمحدث حسن عن رسول الله (س) ، ؟ فقلت : بلى ! فقال : حدثني أبو بردة عن أبي موسى . قال قال رسول الله (س) : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في صلاة مفرضة » . وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسانيد والله أعلم .

قال الشافعي : سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبه دخل على امرأته وهي تنخلل - أي تخلل - أسنانها لتخرج ما بينهما من أذى - وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كنت باكرت الغداء إنك لرعية ذنية ، وإن كان الذي تخللين منه شيء بقي في فيك من البارحة إنك لقدرة فطلقها فقالت : والله ما كان شيء مما ذكرت ، ولكنني باكرت ما تابا كره الحرة من السواك ، فبقيت شظية في في منه فحاولتها لأخرجها . فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج : تزوجها فانها تخليقة بأن تأتي برجل يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقمها فنام فقيل له في النوم : ما أسرع ما ألقمت بالبير .

قال ابن خلكان : واسم أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوجها الحارث ابن كلدة الثقفي طيب العرب ، وذكر عنه هذه الحكاية في السواك . وذكر صاحب المقدم أن الحجاج كان هو وأبوه يملكان العلمان بالطائف ، ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا يزلون للزولة ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندي رجل توليه ذلك ، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل ، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فضر بهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أفعله إنما فعله أنت ، فان يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما ضرك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبدل الغلام غلامين ، ولا تكسرنى في الذي وليتني ؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده . قال : وبني واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك قال : وفي أيامه تقطت المصاحف ، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولاً يسمى كليباً ، ثم سمي الحجاج . وذكر أنه ولد ولا يخرج له حتى فتق له مخرج ، وأنه لم يرتضع أياماً حتى سقوه دم جدى ثم دم سالح واطخ وجهه بدمه فارتضع ، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء ، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذي لاطخ به وجهه ، ويقال إن أمه هي المنمنية لنصر بن حجاج بن علاط ، وقيل إنها أم أبيه والله أعلم . وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه رفق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة ، وكان يفضض غضب الملوك ، وكان فيما يزعم ينشبه بزباد بن أبيه ، وكان زياد يتشبهه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ، ولا سواء ولا قريب . وقد ذكر ابن عساکر في ترجمة سليم بن عذر النجيبى قاضى مصر ، وكان من كبار التابعين . وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجابية ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، وكان يحتم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها .

والمقصود أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها فاجتاز بهما سليم بن عذر هذا فتمض إليه أبو

الحجاج فسلم عليه ، وقال له : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم ! تسأله أن يعزاني عن القضاء . فقال : سبحان الله ١١ والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابسه : يا أبة أتقوم إلى رجل من نجيب وأنت تنفي ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله . فقال : والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخلعونونه ويخرجون عليه ويفضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضرب عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقياً . وهذا يدل على أن آياه كان ذا وجهة عند الخليفة ، وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فانه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك ،

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين ، ثم نشأ شاباً ليبياً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة ، وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . وقال الدارقطني : ذكر سليمان بن أبي منيخ عن صالح بن سليمان قال قال عقبه بن عمرو : ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس . وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعث الحجاج إلى أخيه عبد الله بمكة محاصره بها وأقيم للناس الحج عامئذ ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا يمكن ابن الزبير ومن عنده من الوقوف ، ولم يزل محاصره حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين ، ثم استنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم نقله إلى المراق بعد موت أخيه بشر ، فدخل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم وفعل بهم ما تقدم إirاده مفضلاً ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة . وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منتشرة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين ، وحزت له فصول قد ذكرناها . ونحن نورد هنا أشياء أخر مما وقع له من الامور والجرأة والاقدام ، والتهاون في الامور العظام ، مما يمدح على مثله وما يندم بقوله وفعله ، مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره :  
فروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أبوب عن عبد الله بن كثير بن إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه : أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجانب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلي شيئاً - فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله في السجود ، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه - وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينازعه رداه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد

فقال له : ياسارق ياخائن ، تصلى هذه الصلاة ، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك . فلم يرد عليه ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على الحجاز . فلما قتل ابن الزبير كر راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، فقصده الحجاج فنحسب الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال : نعم ا قال : تجزأك الله من معلم ومؤدب خيراً ، ما صليت بمدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك . ثم قام ومضى . وروى الرياشي عن الأصمعي وأبي زيد عن معاذ بن العلاء - أخی أبي عمرو بن العلاء - قال : لما قتل الحجاج ابن الزبير ارتجبت مكة بالبكاء ، فأمر الناس فجمعوا في المسجد ثم صعد المنبر فقال بمد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ا بلغني إكباركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها ، فترع طاعة الله واستكن بحرم الله ، ولو كان شيء مانع العصاة لمنعت آدم حرمة الله ، إن الله خلقه بيده ، وفتح فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ثنا عون عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال : إن ابنتك ألد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل . فقالت : كذبت ، كان برأ بوالديه ، صواما قواما ، والله لقد أخبرنا رسول الله (س) ، « أنه يخرج من تقيف كذايان الآخر منها شر من الأول ، وهو مبير » .

ورواه أبو يعلى عن وهب بن بقية عن خالد بن عون عن أبي الصديق . قال : بلغني أن الحجاج دخل على أسماء فذكر مثله ، وقال أبو يعلى : ثنا زهير ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن قيس بن الأحنف عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله (س) ، نهى عن المثلة . وسمعت يقول : « يخرج من تقيف رجلان كذاب ومبير » . قالت فقلت للحجاج : أما الكذاب فقد رأيتاه ، وأما المبير فأنت هو يا حجاج . وقال عبيد بن حميد : أنبأ يزيد بن هازون أنبأ العوام بن حوشب حدثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول للحجاج حين دخل عليها يعز بها في ابنها : سمعت رسول الله (س) ، يقول : « يخرج من تقيف رجلان مبير وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد - تعني المختار - وأما المبير فأنت . وتقدم في صحيح مسلم من وجه آخر أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله ، وقد رواه غير أسماء عن النبي (س) ، فقال أبو يعلى : ثنا أحمد بن عمر الوكيعي ، ثنا وكيع حدثنا أم عراب عن امرأة يقال لها عقيلة عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله (س) : « في تقيف كذاب ومبير » . تفرد به أبو يعلى . وقد روى الامام أحمد عن وكيع عن أم عراب - واسمها

طلحة - عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه ، وروى من حديث ابن عمر ، فقال أبو يعلى : ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن ربيع ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله س . » أن في ثقيف مبيرا وكذايا ، وأخرجه الترمذى من حديث شريك عن عبد الله بن عاصم ويقال عصمة . وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

وقال الشافعى : ثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن نافع أن ابن عمر اعتزل ليالى قتال ابن الزبير والحجاج بنى ، فكان لا يصلى مع الحجاج . وقال الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحجاج فلم يسلم عليه ولم يكن يصلى وراءه . وقال إسحاق بن راهويه : أنبأ جرير عن التميمى بن الصلت قال : خطب الحجاج فقال : إن ابن الزبير غير كتاب الله ، فقال ابن عمر : ما سلطه الله على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئت أقول : كذبت لفلعت . وروى عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطل الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حلك على ذلك ؟ فقال : إنما نجى للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تفتق ماشئت بعد من تفتقه .

وقال الاصمعى : سمعت عمى يقول : بلغنى أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقسم المدينة لقي شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة ، فقال : بشرٌ حال ، قتل ابن حواري رسول الله (س .) ، فقال الحجاج : ومن قتله ؟ فقال : الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته ، من قليل المراقبة لله . فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال : أيها الشيخ أتعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ، فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضراً . فكشف الحجاج عن لثامه وقال : سنعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة . فلما تحقق الشيخ الجد قال : والله إن هذا هو المعجب بالحجاج ، لو كنت تعرفنى ماقلت هذه المقالة ، أنا العباس بن أبي داود ، أصرع كل يوم خمس مرات ، فقال الحجاج : انطلق فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عافاه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد بن سلمة عن ابن أبي رافع عن عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك : أتمكنه من ذلك ؟ فقال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : كيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما فى صدرى على آل الزبير منذ تزوجت<sup>(١)</sup> رمة بنت الزبير ، قال : وكأنه كان نائماً فأيقظه ، فكتب إلى الحجاج يرمز عليه بطلاقها فطلقها . وقال سعيد بن أبي عروبة : حج الحجاج مرة فر بين مكة والمدينة فأنى بغداده فقال لحاجبه :

(١) كذا بالأصول والظاهر أن فى مواضع من هذا الخبر تحريفاً .

انظر من يأكل ممي ، فذهب فاذا أعرابي نام ففسر به برجله وقال : أجب الأمير ، فقام فلما دخل على الحجاج قال له : اغسل يديك ثم تمدد نمي ، فقال : إنه دعاني من هو خير منك ، قال : ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبت ، قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم صمت ليوم هو أشد حراً مني ، قال : فأفطر وسم غدا ، قال : إن ضمننت لي البقاء لغد . قال : ليس ذلك لي ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طعامنا طعام طيب ، قال : لم تطيبه أنت ولا الطباخ ، إنما طيبته العافية

### قصة النبي

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته لإمام بفتة ، وتهديده ووعيده لإمام ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمير بن ضابي ، وكذلك قتل كيل بن زياد صبوا ، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدمنا ، ثم تسلط على من كان معه من الرؤساء والأمرء والعباد والقراء ، حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير . قال القاضي الماعني زكريا : ثنا أحمد بن محمد بن سعد الكلبي ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا محمد - يعني ابن عبد الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال : خطب الحجاج أهل العراق بعد دير الجاهم ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فحاط اللحم والدم ، والمصعب والمسامع ، والأطراف ، ثم أفضى إلى الاسباح والامخاخ ، والأشباح والأرواح ، ثم ارتع فمشش ، ثم باض وفرخ ، ثم دب ودرج ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً ، اتخذتموه دليلاً تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤتمناً تشاورونه وتستأمرونه ، فكيف تنفعم تجربة ، أو ينفعكم بيان ؟ ألسنتم أصحابي بالأهواز حيث منيتهم المكر واجتمعتم على الفدر ، واتقتم على الكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ، وأنا والله أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لوأذا ، وتهزمون سراعا . ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ، بما كان من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ، ونكوس قلوبكم إذ وليتم كالابل الشاردة عن أوطانها التنازع ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حين عضكم السلاح ، ونضتكم الرماح . ويوم دير الجاهم وما يوم دير الجاهم ، بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله . يا أهل العراق يا أهل الكفران بعد الفجران ، والغدران بعد الخلدان ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثناكم إلى نفوركم غلاتم وختم ، وإن أمتنتم أرجعتن ، وإن ختمت فاقتم ، لا تذكرن نعمة ، ولا تشكرون معروفاً ، ما استخفكم ناكث ، ولا استغفواكم غاو ، ولا استنقذكم عاص ، ولا استنصركم ظالم ، ولا استعضدكم خالغ ، إلا لبيتم دعوته ، وأجبتن صيحته ، ونفرتن إليه خفاقاً وتقالا ، وفرسانا ورجالا . يا أهل العراق هل شغب شاغب ، أو نعب ناهب ، أو ذفر زافر

إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق ألم تنفعكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ ألم يشدد الله عليكم وظأته، وينذركم حر سيفه، وأليم بأسه ومثلاته؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام إنما أنالكم كالظلم الرامح عن فرائخه ينفي عنها القنذر، ويباعد عنها الحجر، ويكنها من المطر، ويحميها من الضباب، ويمرسها من الذباب. يا أهل الشام! أنتم العُجنة والبرد، وأنتم الملاة والجلد، أنتم الاولياء والأنصار، والشعار والذئار، بكم يذب عن البيضة والحودة، وبكم ترمي كئائب الأعداء ويهزم من عائد وتولى.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي سمعت شيعياً من قرينش يكنى أبا بكر التميمي قال: كان الحجاج يقول في خطبته - وكان لسنا - : إن الله خلق آدم وذريته من الأرض فأمشام على ظهرها، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وهتكوها بالمساحي والمرور، ثم أدال الله الأرض منهم فزدم إليها فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها، وقطعتهم في جوفها وفرقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحي والمرور.

ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ: الرجل وكلكم ذاك الرجل، ورجل خطم نفسه وزمها فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وكفها بزمامها عن معاصي الله، رحم الله امرأة رد نفسه، امرأة أتسم نفسه، امرأة أتخذ نفسه عدوة، امرأة حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرأة نظرت إلى ميزانه، امرأة نظرت إلى حسابه، امرأة وزن عمله، امرأة فكر فيما يقرأ غداً في مصيئته وبراء في ميزانه، وكان عند قلبه زاجراً، وعند همه آمراً، امرأة أخذت بئنان عمله كما يأخذ بئنان جملة، فان قاده إلى طاعة الله تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كف، امرأة عقل عن الله أمره، امرأة فاق واستفاق، وأبفض المعاصي والنفاق، وكان إلى ما عند الله بالأشواق. فما زال يقول امرأة امرأة، حتى بكى مالك بن دينار.

وقال المدائني عن عوانة بن الحكم قال قال الشعبي: سمعت الحجاج تكلم بكلام ماسبقه إليه أحد، يقول: أما بعد فان الله تعالى كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء. فلا يفرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل. وقال المدائني عن أبي عبيد الله الثقفني عن عمه قال: سمعت الحسن البصري يقول: وقد تني كلمة سمعتها من الحجاج سمعته يقول على هذه الأعواد: إن امرأة ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لحرى أن تطول عليها حسرتة إلى يوم القيامة. وقال شريك القاضي عن عبد الملك بن عمير قال قال الحجاج يوماً: من كان له بلاء أعطيناه على قدره، فقام رجل فقال:

اعطى فاقى قتل الحسين ، فقال : وكيف قتلته ؟ قال : دسرت به بالرمح دسرا ، وهبته بالسيف هبراً ، وما أشركت معي في قتله أحداً . فقال : اذهب فوالله لا نلتجئ أنت وهو في موضع واحد ، ولم يعطه شيئا . وقال الهيثم بن عدى : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخى خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت دارى ، فقال الحجاج ، أما سمعت قول الشاعر :

حَنَانِيكَ مَنْ يَجِيئُ عَلَيْكَ وَقَدْ \* تَعَدَى الصِّحَاحَ مَبَارِكُ الْجُرَبِ  
وَلرَبِّ مَاخُوذٍ بِذَنْبِهِ قَرِيبِهِ \* وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الدُّنْبِ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا ، وقول الله أسبق من هذا ، قال : وما قال ؟ قال [ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدهما مكانه إنا نراك من المحسنين ، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ] قال : يا غلام أعد اسمي في الديوان وابن داره ، واعطه عطاءه ، ومر مناديا ينادى صدق الله وكذب الشاعر . وقال الهيثم بن عدى عن ابن عباس : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلى برأس أسلم بن عبد البركى ، لما بلغنى عنه ، فأحضره الحجاج فقال : أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى [ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ] وما بلغه باطل ، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما لمن كاسب غيبرى وهن بالباب ، فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جمعت هذه تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا ابنته ، وتمسكت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أهملح الله الأمير ، وجئت على ركبتيها وقالت :-

أحجاج لم تشهد مقام بناتِهِ \* وعما تَرى يندبُهُ الليلُ أجمعا  
أحجاج كم تقتل به إن قتلته \* ثماناً وعشراً واثنتين وأربعا  
أحجاج من هذا يقوم مقامهُ \* علينا فهلاً إن تردنا ترضعنا  
أحجاج إما أن تجود بنعمة \* علينا وإما أن تقتلنا معا

قال : فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت عليك ولا زدتك ترضعنا ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلاته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتفقدتها في كل وقت وقيل إن الحجاج خطب يوماً فقال : أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج ما أصفقت وجهك وأقل حياتك ، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ خبت وضل سميك ، فقال لمرس خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما الذى جرأك على ؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت



تجتري على الله ولا أجتري أنا عليك ، ومن أنت حتى لا أجتري عليك . وأنت تجتري على الله رب العالمين ، فقال : خلوا سبيله ، فأطلق

وقال المدائني : أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر يقتلهما ، فقال أحدهما : إن لي عندك يداً ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أمك فرددت عليه ، فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا فسأله فقال : نعم ، فقال : ما منمك أن تفعل كما فعل ؟ قال : نفضك ، قال اطلقوا هذا لصدقه ، وهذا لفته . فأطلقوهما . وذكر محمد بن زياد عن ابن الأعرابي فيما بلغه أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك ، وكان فانتكا بأرض الحمامة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج ، فقال له الحجاج : ما حملك على ما كنت تفعله ؟ فقال : جراءة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكاب الزمان ، ولو اخترتني الأمير لوجدتني من صالح الأعراب ، وشبهم الفرسان ، ولو جئتني من أصلح رعيتي ، وذلك أتى ما لقيت فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدراً ، فقال له الحجاج : إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر فان قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلته خيلنا سبيلك . ثم أودعه السجن مقيداً ، فلوالة يده اليمنى إلى عنقه ، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسر أن يبعث بأسد عظيم ضار ، وقد قال جحدر هذا في محبسه هذا أشعراً يتحزن فيها على امرأته سليمان أم عمرو يقول في بعضها :

أليس الليل يجمع أم عمرو \* وإيانا فنذاك بنا تداني  
بلى وترى الهلال كما نراه \* ويعلوهما النهار إذا علاي  
إذا جاوزتما فخلات نجد \* وأودية العمامة فالعياي  
وقولا جحدر أسى زهينا \* يحاذر وقع مصقول يماي

فلما قدم الأسد على الحجاج أمر به فجرح ثلاثة أيام ، ثم أبرز إلى حائر - وهو البستان - وأمر بجحدر فأخرج في قيوده ويده اليمنى مفلولة بحالها ، وأعطى سيفاً في يده اليسرى وخلق بينه وبين الأسد وجلس الحجاج وأصحابه في منظرة ، وأقبل جحدر نحو الأسد وهو يقول :

ليث وليث في مجال ضحك \* كلاهما ذو أنفٍ ومحك  
وشدة في نفسه وفتك \* إن يكشف الله فتاع الشك  
\* فهو أحق منزل بترك \*

فلما نظر إليه الأسد زار زارة شديدة وتمطى وأقبل نحوه فلما صار منه على قدر رمح وثب الأسد على جحدر وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضربه ضربة خالط ذباب السيف هواته ، نحر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح ، من شدة الضربة ، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد وشدة موضع

القيود عليه ، فكبر الحجاج وكبر أصحابه وأشار جحدر يقول :

يا جهل إنك لو رأيت كرهيتي \* في يوم هولٍ مسدبٍ ومجراجٍ  
وتقدمي لليثِ أرسفٍ موثقاً \* كما أساوره على الأخراجِ  
شئناً برائنه كأن نيوه \* فزرق المعاول أو شبة زجاجِ  
يسمو بناظرتين تحسب فيهما \* لهباً أحدهما شعاع سراجِ  
وكأنما خيطت عليه عباءة \* براقه أو خرطاً من الديباجِ  
لعلت أنى ذوحفاظي ماجدٍ \* من نسل أقوام ذوى ابراجِ

ف عند ذلك خيره الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختر المقام عند الحجاج ، فأحسن جأزته وأعطاه أموالاً . وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله (س) ، لأنه ابن بنته ، فقال له يحيى بن يعمر : كذبت أفعال الحجاج : لتأنيدي على ما قلت بيينة من كتاب الله أو لأضر بن عنقك ، فقال قال الله [ ومن ذريته داود وسليمان ] إلى قوله [ وزكريا ويحيى وعيسى ] فعيسى من ذرية إبراهيم ، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله (س) . فقال الحجاج : صدقت ، ونفاه إلى خراسان .

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ، منها أنه كان يبذل إن المكسورة بان المفتوحة وعكسه ، وكان يقرأ [ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ] إلى قوله [ أحب إليكم ] فيقرأها برفع أحب . وقال الأصمعي وغيره : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغند : فقال للرسول : أ كان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ، قال : نعم ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غنداً فأمل . وقال ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . قال : لما قتل الحجاج ابن الأشعث وصفت له العراق ، وسع على الناس في العطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم مالا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع مالا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال منشأ :

عليك بتقوى الله في الأمر كله \* وكن يا عبيد الله نحشى وتضرع  
ووفر خراج المسلمين وفيأهم \* ونن لهم حصناً تجبر وتمنع

فكتب إليه الحجاج :

لمررى لقد جاء الرسول بكتبكم \* قراطيس تملأ ثم تطوى فتطبع  
كتاب أناني فيه لين وغلظة \* وذكرت والذكري لذي اللب تنفع

وكانت أمور تعتريني كثيرة \* فأرضخُ أو اعتلُ حيناً فأمنعُ  
 إذا كنت سوطاً من عذابٍ عليهم \* ولم يكُ عندي بالمنافع مطعُ  
 أيرضى بذلك الناسُ أو يسخطونه \* أم احمدُ فيهم أمُ الأمُ فأقنعُ  
 وكان بلادُ جنّتها حينَ جنّتها \* بها كلُّ نيرانِ العداوةِ تلعُ  
 فقاسيتُ منها ما علمتُ ولم أزلُ \* أصارعُ حتى كنتُ بالموتِ أصرعُ  
 وكُم أزعفوا من رجفةٍ قد سمعتها \* ولو كانُ غيري طارُ ما يروعُ  
 وكنْتُ إذا هموا بإحدى نهايتهم \* حسرتُ لهم رأسي ولا أتقنعُ  
 فلولم يند عنى صنديدُ منهم \* تقسمُ أعضائي ذئابٌ وأضبعُ

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيك . وقال الثوري عن محمد بن المستورد الجمحي  
 قال : أتى الحجاج بسارق فقال له لقد كنت غنياً أن تكسب جنابة فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل  
 عليك عضواً من أعضائك ، فقال الرجل : إذا قلّ ذات اليد سخنت النفس بالثأف . قال : صدقت  
 والله لو كان حسن اعتذار يبطل حسداً لكنت له موضعاً . يا غلام سيف صارم ورجل قاطع ، فقطع  
 يده . وقال أبو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفراء قال : تغدى الحجاج يوماً مع الوليد بن  
 عبد الملك فلما اتقضى غداؤها دعاه الوليد إلى شرب النبيذ<sup>(١)</sup> فقال : يا أمير المؤمنين الحلال ما أحلت ،  
 ولكنني أنهى عنه أهل العراق وأهل عملي ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح [ وما أريد أن  
 أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ] . وقال عمر بن شبة عن أشياخه قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج يعتب  
 عليه في إسرافه في صرف الاموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزّانه ، وسبان  
 منع حق أو إعطاه باطل . وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات : -

إذ أنت لم تترك أموراً كرهتها \* وتطلب رضائي في الذي أنا طالبه  
 وتخشى الذي يخشاه مثلك هارباً \* إلى الله منه ضيغ الدرّ حالبه  
 فان تر منى غفلة قوشية \* فياربما قد غص بالماء شاربه  
 وإن تر منى وثبة أموية \* فهذا وهذا كله أنا صاحبه  
 فلا تعد ما يأتيتك منى فان تعد \* تقم فاعلن يوماً عليك نوادبه

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الأموال ،

(١) ما يسمى في هذا العصر نبيذاً هو الخمر المحض ، وهو غير ما كان يسميه سلفنا نبيذاً . والنبيذ  
 عندهم هو التمر أو الزبيب يترك عليه الماء ويسمونه بهسد ذلك نبيذاً سواء أسكر أو لم يسكر . وفي  
 كلتا الحالتين فإنه أشبه بهصير القصب اليوم إن لم يكن دونه .

والدماء ، فو الله ما بالنت في عقوبة أهل المصيبة ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فان كان ذلك سرقا  
فليحده لى أمير المؤمنين حداً أنتهى إليه ولا أنجاوزه ، وكتب فى أسفل الكتاب :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقى \* أذاك فيومى لا توارث كواكبة  
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة \* فقامت عليه فى الصباح نوادة  
أسلم من سلمت من ذى هوادة \* ومن لا تسالمة فانى - محاربة  
إذا أنا لم أدن الشفيق لنضحه \* وأقص الذى تسرى إلى عقاربة  
فمن يتقى يومى ويرجو إذا غدى \* على ما أرى والدهر جم مجابفة

وعن الشافعى أنه قال قال الوليد بن عبد الملك للغاز بن ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه:  
هل يجرد فى نفسه مما أصاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لى لبنان  
أوسير ذهباً أنفة فى سبيل الله . مكان ما أبلانى الله من الطاعة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

### قصة الحجاج

فما روى عنه من الكلمات النافعة والجرأة المبالغة

قال أبو دواد : ثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول :  
اتقوا الله ما استطعتم ، ليس فيها مشنوية ، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مشنوية لأمر المؤمنين عبد الملك ،  
والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لى دماؤهم وأموالهم ،  
والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لى من الله حلالاً ، وما عذيرى من عبد هذيل يزعم أن قرآنه  
من عند الله ، والله ما هى الأرجز من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه . . . ، وعذيرى من هذه  
الجرأه ، يزعم أحدهم يرى بالحجر فيقول لى إن تقع الحجر حدث أمر ، فوالله لأدعنه كالأمس  
الداير . قال : فذكرته للأعمش فقال : وأنا والله سمعته منه . ورواه أبو بكر بن أبى خيشمة عن محمد بن  
يزيد عن أبى بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج قبحه الله يقول  
ذلك ، وفيه والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لى دماؤكم ، ولا  
أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولا حكمتها من المصحف ولو بضع خنزير .  
ورواه غير واحد عن أبى بكر بن عياش بنحوه ، وفى بعض الروايات : والله لو أدركت فبهد هذيل  
لأضرب عنقه . وهذا من جرأة الحجاج قبحه الله ، وإقدامه على الكلام السيئ ، والدماء الحرام .  
ولمما نتم على قراءة ابن مسعود رضى الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الأمام الذى جمع  
الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجح إلى قول عثمان وموافقيه والله أعلم .

وقال علي بن عبد الله بن مبشر عن عباس الثوري عن مسلم بن إبراهيم : ثنا الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأستميت الأرض من دمه . قال وسمته على منبر واسط وتلا هذه الآية [ هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ] قال : والله ان كان سليمان لحسوداً . وهذه جراءة عظيمة نفى به إلى الكفر : قبحه الله وأخزاه ، وأبعده وأقصاه .

[ قال أبو نعيم : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة . قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني جئت من عند رجل يملئ المصاحف عن ظهر قلب ، ففزع عمر وغضب وقال : ويحك ، انظر ما تقول . قال : ما حدثك إلا بالحق ، قال : من هو ؟ قال عبد الله بن مسعود . قال : ما أعلم أحداً أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك . « إنا سهرنا ليلة في بيت عند أبي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي (س) ، ثم خرجنا ورسول الله (س) ، بمشي يدي وبين أبي بكر ، فلما اتينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ مقام النبي (س) ، يستمع إليه ، فقلت : يا رسول الله أعتمت ، فغمزني بيده - يعني أسكت - قال : فقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر ، فقال النبي (س) : « سل نفضه »<sup>(١)</sup> ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، فعلت أنا وصاحبي أنه عبد الله بن مسعود ، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره فقال : سبقك بها أبو بكر ، وما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه » وهذا الحديث قد روى من طرق ، فرواه حبيب بن حسان عن زيد بن وهب عن عمر مثله ، ورواه شعبة وزهير وخبث عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ، ورواه عاصم عن عبد الله ، ورواه الثوري وزائدة عن الأعمش نحوه . وقال أبو داود : حدثنا عمر بن ثابت عن أبي إسحاق عن حمير بن مالك قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « أخذت من في رسول الله (س) سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي مع الصبيان ، فأنا لا أدع ما أخذت من في رسول الله (س) . » وقد رواه الثوري وإسرافيل عن أبي إسحاق به . وفي رواية ذكرها الطبراني عنه قال : « لقد تلقيت من في رسول الله (س) سبعين سورة أحكمها قبل أن يسلم زيد بن ثابت ، وله دؤابة يلعب مع الغلمان » . وقد روى أبو داود عنه وذكر قصة رعه الغنم لعقبة بن أبي معيط ، وأنه قال : قال لي رسول الله (س) : « إنك غلام معلم ، قال : فأخذت من فيه سبعين سورة ما يذاعني فيها أحد » . ورواه أبو أيوب الأفرقي وأبو عوانة عن عاصم عن زرعه نحوه . وقال له النبي (س) : « إذنك أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادى حتى أمهك » . وقد روى هذا عنه من طرق وروى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن الهاد أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواد والسواك

(١) هذا الخبر في الاستيعاب لابن عبد البر ، لكنه اختصر هذا الموضع منه .

والنعملين . وروى غيره عن علقمة قال : قدمت الشام فجلست إلى أبي الدرداء فقال لي : بمن أنت ؟  
فقلت : من أهل الكوفة ، فقال : أليس فيكم صاحب الوساد والسواك ؟ وقال الحارث بن أبي أسامة :  
حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا قطر بن خليفة حدثنا أبو وائل قال سمعت حذيفة يقول ، وابن  
مسعود قائم : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد س . ، من أقر بهم وسيلة يوم القيامة . وقد روى  
هكذا عن حذيفة من طرق ، فرواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة ورواه عن أبي  
وائل فاضل الأحذب وجامع بن أبي راشد ، وعبيدة ، وأبوسنان الشيباني ، وحكيم بن جبير ، ورواه  
عبد الرحمن بن يزيد عن حذيفة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن زيد  
يقول : قلنا لحذيفة أخيرنا برجل قريب الهدى والسمت من رسول الله س . ، حتى نلزمه ، فقال :  
ما أعلم أحداً أقرب هدياً وسمتاً من رسول الله س . ، حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد ، ولقد علم  
المحفوظون من أصحاب النبي س . ، أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله وسيلة . قلت : فهذا حذيفة بن اليمان  
صاحب سر رسول الله س . ، وهذا قوله في عبد الله بن مسعود رضی الله عنه . فكذب الحجاج ونجر ،  
ولقم النار والحجر فيما يقوله فيه ، وفي رميه له بالنفاق ، وفي قوله عن قراءة : إنها شعر من شعر هذيل ،  
وإنه لا بد أن يحكمها من المصحف ولو بضلع خنزير ، وأنه لو أدركه لضرب عنقه ، فحصل على إثم  
ذلك كله بنيته الخبيثة . وقال عفان : حدثنا حماد حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : كنت  
أجتني لرسول الله س . ، سواكاً من أراك ، فكانت الريح تكفوه ، وكان في ساقه دقة ، فضحك  
القوم فنظروا النبي س . : « ما يضحككم ؟ قالوا : من دقة ساقيه ، فقال النبي س . : والذى نفسى  
بيده لهما أثقل في الميزان من أحد » . ورواه جرير بن عدي عن عاصم عن مغيرة بن أم موسى عن  
علي بن أبي طالب . وروى سلمة بن عبد الله عن أبي الزعراء عن ابن مسعود قال : قال رسول الله س . :  
« تسمعوا بعهد عبد الله بن أم مسعود » ورواه الترمذي والطبراني .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق . قال : سمعت أبا الأحوص  
قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين توفى ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه : أتراه ترك بعده  
مشة . قال : إن قلت ذلك إنه كان ليؤذن له إذا حجبتنا ، ويشهد إذا غيبنا . وقال الأعمش : يعني  
عبد الله بن مسعود . وقال أبو معاوية : حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب . قال : أقبل عبد الله بن  
مسعود ذات يوم وعين بجالس فقال : كيف ملئ فقها . وقال عمر بن حفص : حدثنا عاصم بن علي  
حدثنا المسعودي عن أبي حصين عن أبي عطية أن أبا موسى الأشعري قال : لانسألونا عن شيء  
مادام هذا الخبر بين أظهرنا من أصحاب محمد س . . - يعني ابن مسعود - وروى جرير عن الأعمش

عن عمرو بن عروة عن أبي البخترى قال : قالوا لعلي : حدثنا عن أصحاب محمد ، قال : عن أبيهم ؟ قالوا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علما . وفي رواية عن علي قال : علم القرآن ثم وقف عنده وكفى به . فهداتنا الصحابة العالمون به ، العارفون بما كان عليه ، فهم أولى بالاتباع وأصدق أقوالاً من أصحاب الأهواء الخائدين عن الحق ، بل أقوال الحجاج وغيره من أهل الأهواء : هذيانا وكذب وافتراء ، وبعضها كفر وزندقة ، فان الحجاج كان غنيا موريا : يميل إليهم ميلا عظيما . ويرى أن خلافهم كفر . ويستحل بذلك الدماء ، ولا تأخذ في ذلك لومة لائم

ومن الطامات أيضا مارواد أبو داؤد : ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا جرير . وحدثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن المنيرة عن بزيع بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي : لله على أن لا أصلي خلفك صلاة أبدأ ، وإن وجدت قوما يجاهدونك لأجاعدنك معهم . زاد إسحاق فقال في الجاهم حتى قتل . فان صح هتليله عنه فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن انطليعة من بني أمية أفضل من الرسول . وقال الأصمى : ثنا أبو عاصم النبيل ثنا أبو حفص التقي قال : خطب الحجاج يوما فأقبل عن يمينه فقال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرقت فقال : إن الحجاج كافر ، ثم أطرقت فأقبل عن يساره فقال : ألا إن الحجاج كافر ، فمل ذلك مرارا ، ثم قال : كافر يا أهل العراق باللات والعزى . وقال خنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة ثنا ابن شوذب عن مالك بن دينار قال : بينا الحجاج يخطبنا يوما إذ قال : الحجاج كافر ، قلنا : ماله ؟ أي شيء يريد ؟ قال : الحجاج كافر بيوم الأربعة والبغلة الشهباء . وقال الأصمى قال عبد الملك يوما للحجاج : ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه : فصف عيب نفسك ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فإني ، فقال : أنا لجوآح حقوق حسود ، فقال عبد الملك : مافي الشيطان شر مما ذكرت وفي رواية أنه قال : إذا بينك وبين إبليس نسب .

وبالجملة فقد كان الحجاج نعمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة ، نذ لانهم لهم ، وبعضياتهم ، وبخالفتهم ، والافتيات عليهم ، قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح الجديني معاوية بن صالح عن شريح بن عبيد عن حدثه قال : جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب فأخبره أن أهل العراق حصبوا أميرهم بفرح غضبان ، فصلى لنا صلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : من ههنا من أهل الشام ؟

ققام رجل ثم قام آخر ثم قمت أنا فالتنا أو رايتنا ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فان  
 الشيطان قد باض فيهم وفرّخ ، اللهم انهم قد لبسوا عليهم فلبس عليهم وعجل عليهم بالسلام التفتي ،  
 يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم . وقد روينا في كتاب مسند  
 عمر بن الخطاب من طريق أبي عذبة الحمصي عن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : ثنا جعفر بن سليمان  
 عن مالك بن دينار عن الحسن قال علي بن أبي طالب : اللهم كما اتتمنتهم فغانوني ، ونصحت لهم  
 ففشوني فساط عليهم فتي تقيف الذيال المسال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم  
 الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذ . ورواه معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب  
 عن مالك بن أوس بن الحدان عن علي أنه قال : الشاب الذيال أمير المصريين يلبس فروتها ويأكل  
 خضرتها ، ويقتل أشرف أهلها ، يشتد منه الفرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .  
 وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن أحمد  
 الجبوبي : ثنا سعيد بن مسعود ثنا يزيد بن هارون أنبأ العوام بن حوشب حدثني حبيب بن أبي  
 ثابت . قال قال علي لرجل : لامت حتى تدرك فتي تقيف ، قال : وما فتي تقيف ؟ قال : ليقال له  
 يوم القيامة : اكننا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين ذنة ، أو بضعا وعشرين سنة ، لا يدع  
 لله معصية إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مفلق لسكسه  
 حتى يرتكبها ، يقتل بمن أطاعه من عصاه . وقال الطبراني : حدثنا القاسم بن زكريا ثنا إسماعيل بن  
 موسى السدوسي ثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجذلية  
 قالت : استأذن الأشعث بن قيس على علي فردده فبدر فادمي أنفه فخرج على فقال : مالك وله يا أشعث ،  
 أما والله لو بعبد تقيف تحرشت لا فشرعت شميرات استك ، قيل له : يا أمير المؤمنين ومن عبد تقيف ؟  
 قال : غلام يليهم لا يبيح أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلا ، قيل كم يملك ؟ قال عشرين إن بلغ .  
 وقال البيهقي أنبأنا الحاكم أنبأ الحسن بن الحسن بن أيوب ثنا أبو حاتم الرازي ثنا عبد الله بن  
 يوسف التنيسي ثنا ابن يحيى الغاني . قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل  
 أمة بتقيفها ، وجئنا بالحجاج لثلبناهم . وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود انه قال :  
 ما بقيت لله عز وجل حربه إلا وقد ارتكبها الحجاج .

وقد تقدم الحديث « إن في تقيف كذابا ومبيرا » وكان المختار هو الكذاب المذكور في هذا  
 الحديث ، وقد كان يظهر الرفض أولا ويظن الكفر الخوض ، وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف هذا ،  
 وقد كان ناصبيا يبغي عليا وشيعته في هوى آل مروان بن أمية ، وكان جبارا عنيدا ، مقداما على  
 سفك الدماء بأدنى شبهة . وقد روى عنه ألفاظ بشعة شذيمة ظاهرها الكفر كما قدمنا . فان كان



قد تاب منها وأقلع عنها ، وإلا فهو باق في عهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فإن الشيعة كانوا يبنضونه جداً لوجوه ، وربما حرفوا عليه بعض الكلم . وزادوا فيما يحكونه عن بشاعات وشناعات .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطيخ بالفروج ، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء فإله أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسائرهما ، ونخفيات الصدور وضآئرها :

[ قلت : الحجاج أعظم ما نعم عليه وصح من أفعله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل ، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه سماحة باعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطى على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيها قيل إلا ثلاثمائة درهم . والله أعلم . (١) ]  
وقال الملقى بن زكريا الجريري المعروف بابن طرار البغدادي : ثنا محمد بن القاسم الانباري ثنا أبي ثنا أحمد بن عبيد ثنا هشام أبو محمد بن السائب الكلبي ثنا عوانة بن الحكم الكلبي . قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له إيه إيه يا أنيس ، يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لأستأصلنك كما تستأصل الشاة . ولأدمننك كما تدمنغ الصمغة . فقال أنس : إياي يعني الأمير أصلحه الله ؟ قال : إياك أعنى صك الله سمحك . قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغار ما باليت أي قتلة قتلت . ولا أي ميتة مت ، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً ، وشفق عجباً ، وتماظم ذلك من الحجاج ، وكان كتاب أنس إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك ، أما بعد : فإن الحجاج قال لي هجرآ ، وأسمعي نكرآ ، ولم أكن لذلك أهلاً ، فغذلي على يديه ، طاقى أمت بخدمتي رسول الله -ص- ، وصحبتني إياه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - وكان مصادقاً للحجاج - فقال له : دونك كتابي هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق ، وأبدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله -ص- . فارتفع كتابي إليه . وأبلغته مني السلام ، وقل له : يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج الملمون كتباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمته ، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خادم رسول الله -ص- ،

أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكايته الحجاج ، وما سلطته عليك ، ولا أمرته  
بالإساءة إليك ، فان عاد مثلها اكتب إلى بذلك أنزل به عقوبي ، وتحسن لك معونتي . والسلام .  
فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر برسالته قال : جزى الله أمير المؤمنين عنى خير آية ، وعافاه  
وكفاه وكفاه بالجنة ، فهذا كان ظني به والرجاء منه . فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس : يا أبا حمزة  
إن الحجاج عامل أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنى ، ولا بأهل بيتك ، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع  
إليك ، فقرار به وداره تعشومه بخير وسلام . فقال أنس : أفعل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من  
عند أنس فدخل على الحجاج ، فقال الحجاج : مرحباً برجل أحبه وكنت أحب لقاءه ، فقال إسماعيل :  
أثما والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به ، فتغير لون الحجاج وخاف وقال : ما أتيتني به ؟ قال :  
فارقته أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضباً عليك ، ومنك بعداً ، قال : فاستوى الحجاج جالساً  
مرعوباً ، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويعرق ، وينظر إلى إسماعيل  
أخرى ، فلما فضه قال : قم بنا إلى أبي حمزة فتمنر إليه وتقرضه ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! فقال :  
كيف لا أعجل وقد أتيتني بآبدة ؟ وكان في الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد  
فإنك عبد طامت بك الأمور ، فسموت فيها وعسدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، وركبت داهية  
إذا ، وأردت أن تبدولى فان سوغتكمها مضيت قدما ، وإن لم أسوغها رجعت القهقري ، فلمنك  
الله من عبد أخشى العيينين ، منفوض الجاعرتين . أنسيت مكاسب أبائك بالباطل ، وحفرم الآبار ،  
رفنهم الصخور على ظهورهم في المناهل ، يا ابن المستفربة بمجم الزبيب ، والله لأغررك عثر الليث  
التملب ، والصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله (ص) ، بين أظهرنا ، فلم تقبل له  
إحسانه ، ولم تتجاوز له عن إساءته ، جرأة منك على الرب عز وجل ، واستخفافا منك بالعهد ، والله  
لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلاً خدم عزير بن عزري ، وعيسى بن مريم ، لمظمته وشرفته وأكرمته  
وأحبته ، بل لو رأوا من خدم حمار المزير أو خدم حوراي المسيح لمظموه وأكروه ، فكيف وهذا  
أنس بن مالك خادم رسول الله (ص) ثمانى سنين ، يظلمه على سرده ، ويشاوره في أمره ، ثم هو مع  
هذا بقية من بقايا أصحابه ، فلما قرأت كتابي هذا فيمكن أطوع له من خفه وفعله ، وإلا أنك في سهم  
يكل حتف فاض ، وإكل نبال مستقر وسوف تملكون وقد تكلم ابن طرار على ما وقع في هذا الكتاب  
من الغريب ، وكناتك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة الأمة والله أعلم .

وقال الامام أحمد : ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الزبير - يعني ابن عدي - قال :  
أثنا أنس بن مالك | شكروا إليه ما نلتق من الحجاج ، وقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم علم أو زمان

أو يوم إلا والذي بعده شرمته ، حتى تلقوا ربكم عز وجل ، سمعته من نبيكم . وهذا رواه البخاري عن محمد بن يوسف عن سفیان وهو الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شرمته » الحديث . قلت : ومن الناس من يروى هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام تردون . وهذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم . قلت : قد مر بي مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : كل يوم تردون . ورأيت للإمام أحمد كلاماً قال فيه : وروى في الحديث كل يوم تردون نسماً خبيثاً . فيحتمل هذا أنه موقوف للإمام أحمد مرفوعاً ، ومثل أحمد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد روى عن الحسن مثل ذلك ، والله أعلم . فدل على أن له أصلاً إما مرفوعاً وإما من كلام السلف ، لم يزل يقناوله الناس قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولا سيما من بعد فتنة تمرانك ، وإلى الآن نجد الرذالة في كل شيء ، وهذا يظهر لمن تأمله ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد قال سفیان الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي . قال : يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج . وقال أبو نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر . قال قال الشعبي : والله لئن بقيتم لتمنون الحجاج . وقال الأصمعي : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج . فقال الحسن : لا بد للناس من تنفسات .

يقال ميمون بن مهران : بعث الحجاج إلى الحسن وقد تم به ، فلما قام بين يديه قال : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فآين هم ؟ قال : ما نأوا . قال : فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن . وقال أبو ب السخيتاني : إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً فعصمه الله منه ، وقد ذكر له معه مناظرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ، وإنما خرج معهم مكرهاً كما قدمنا ، وكان الحسن يقول : إنما هو نعمة فلا تقابل نعمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع . وقال ابن دريد عن الحسن بن الحضرمي عن ابن عائشة . قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فقيل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قال فعثمان ؟ فأثنى خيراً ، قيل له : فما تقول في علي ؟ فأثنى خيراً ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فيثني على كل بما يناسبه ، حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال :

الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطبة من بعض خطاياها ؟ . [ (١) ]

وقال الأصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال : أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه ؟

فقلت : إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها فقتلت . وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير ، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة .  
وقد قال أبو بكر بن أبي خيشمة : ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن بسطام بن مسلم عن قتادة قال قيل لسعيد بن جبير : خرجت على الحجاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر ، ويقال إنه لم يقتل بدمه إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم من خرج مع ابن الأشعث . وقال أبو عيسى الترمذي : ثنا أبو داود سليمان بن مسلم البلخي ثنا النضر بن شميل عن هشام بن حسن قال : أحصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً قال الأصمعي : ثنا أبو ميم عن عباد بن كثير عن قحدم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وتمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج ، وقيل إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة وعرضت السجنون بعد الحلج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل روض مدينة واسط ، وكان فيمن أطلق فأنشأ يقول :  
إذا نحن جاوزنا مدينة واسط \* خرينا وصلينا بنغير حساب

وقد كان الحجاج يبع هذا العنز الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر ، قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي : ثنا سليمان بن أبي سنح ثنا صالح بن سليمان قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابقت الأمم لجاءت كل أمة بخبيثها وجننا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا الآخرة لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العارة ، فأخس به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أدى إلى عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عمرو بن عثمان ثنا أبي سمعت جدي قال . كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة : بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه ، فانه كان يصل الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقها وكان يلبس ما سوى ذلك أضيع . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا سعيد بن أسد ثنا ضمرة عن الريان بن مسلم . قال : بعث عمر بن عبد العزيز بأل بيت أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن وكتب إليه : أما بعد فاني قد بعثت بأل أبي عقيل وهم شر بيت في العمل ، ففرقهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا ، وعليك السلام . وإنما نعام . وقال الاوزاعي : سمعت القاسم بن مخيمرة يقول : كان الحجاج ينقض عرى الإسلام ، وذكر حكاية . وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم : لم يبق لله حرمة إلا ارتكبتها الحجاج بن يوسف ، وقال يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش : اختلفوا في الحجاج فسألوا مجاهداً فقال : تسألون عن الشيخ الكافر .

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : الحجاج مؤمن بالحب والطاغوت ، كافر بالله العظيم .  
 كذا قال والله أعلم . وقال الثوري عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : عجبا لآخواننا من أهل  
 العراق يسمون الحجاج مؤمنا ؟ وقال الثوري عن ابن عوف : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج  
 أتشهد أنه من أهل النار ؟ قال أتأمروني أن أشهد على <sup>(١)</sup> الله العظيم ، وقال الثوري عن منصور :  
 سألت إبراهيم عن الحجاج أو بعض الجبابرة فقال : أليس الله يقول [ ألا لعنة الله على الظالمين ]  
 وبه قال إبراهيم وكفى بالرجل عمى أن يعمى عن أمر الحجاج . وقال سلام بن أبي مطيع لانا بالحجاج  
 أرجى مني لعمر وبن عبيد ، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا ، وعمر وبن عبيد أحدث للناس  
 بدعة شعاعاً ، قتل الناس بعضهم بعضاً ، وقال الزبير : سببت الحجاج يوماً عند أبي وائل فقال :  
 لا تسبه لعله قال يوماً اللهم ارحمني فيرحمه ، إياك ومجالسة من يقول رأيت رأيت . وقال عوف :  
 ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد ، إن يئذه الله عز وجل فئذبه ، وإن  
 يفر له فهنيئاً له ، وإن يلق الله بقلب سليم فهو خير منا ، وقد أصاب الذنوب من هو خير منه .  
 فقيل له ما القلب سليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان ، وأن يعلم أن الله حق ، وأن  
 الساعة حق قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال أبو قاسم البغوي : ثنا أبو سعيد ثنا أبو أسامة قال قال رجل لسفيان الثوري : أتشهد على  
 الحجاج وعلى أبي مسلم الخراساني أنهما في النار ؟ قال : لا إنا أقرأ بالتوحيد . وقال الرياشي : حدثنا  
 عباس الأزرقي عن السري بن يحيى قال : مر الحجاج في يوم الجمعة فسمع استغاثة فقال : ما هذا ؟  
 فقيل أهل السجون يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فإعاش  
 بعد ذلك إلا أقل من الجمعة حتى قصمه الله قاصم كل جبار . وقال بعضهم : رأيت وهو يأتي الجمعة وقد  
 كاد يهلك من العلة . وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته : إن  
 طائفة من أهل الشقاق والنفاق نزع الشيطان بينهم فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج فه ؟ فهل  
 يرجو الحجاج الخبير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرنى أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت  
 الله رضى التخليد إلا لأهرون خلقه عليه إبليس ، قال الله له [ إنك من المنظرين ] فأنظره إلى يوم  
 الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال [ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ] فأعطاه الله ذلك إلا  
 البقاء ، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره ، فقال [ توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ] فما  
 عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأنى والله بكل حى منكم ميتاً ، وبكل رطب يابساً ،  
 ثم قتل في أنياب أ كفانه ثلاثة أذرع طولاً في ذراع عرضاً ، فأكلت الأرض لحمه ، ومصت صديده ،

وانصرف الخبيث من ولده يقسم الخبيث من ماله ، إن الذين يعقلون يعقلون ما أقول ، ثم نزل .  
 وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى النسائي عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال :  
 ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين  
 حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون أنك لا تفعل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا  
 علي بن الجعد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر . قال :  
 كان عمر بن عبد العزيز يبينض الحجاج فذفس عليه بكلمة فلها عند الموت : اللهم اغفر لي فانهم  
 يزعمون أنك لا تفعل . قال : وحدثني بعض أهل العلم قال قيل للحسن : ان الحجاج قال عند الموت  
 كذا وكذا ، قال : قلها ؟ قالوا : نعم ا قال فسا عسى . وقال أبو العباس المري عن الرياشي عن  
 الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يارب قد حلفت الأعداء واجتهدوا \* بأني رجل من ساكني النار  
 أيحلفون على عمياء ويحهم \* ما علمهم بعظيم العفو غفار  
 قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن يجالينجون بهما . وزاد بعضهم في ذلك : -  
 إن الموالى إذا شابت عبيدهم \* في رقهم عتقوم عتق أربار  
 وأنت يا خالقي أولى بنا كرمًا \* قد شبت في الرقي فاعتقني من النار

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا أحمد بن عبد الله التيمي قال : لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى  
 أشرفت جارية فبكت فقالت : ألا إن مطعم الطعام ، وميتم الأيتام ، ومرمل النساء ، ومفلق الهام ،  
 وسيد أهل الشام قد مات ، ثم أنشأت تقول : -

اليوم يرحنا من كان يبفضنا \* واليوم يأمننا من كان يبخشنا

وروى عبد الرزاق عن معمر بن ابن طاووس عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق  
 وفاته قال : [ ققطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ] وروى غير واحد أن الحسن لما  
 بشر بموت الحجاج سجد شكراً لله تعالى ، وكان محتفياً فظهر ، وقال اللهم أمته فأذهب عنا سنته  
 وقال حماد بن أبي سليمان : لما أخبرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح . وقال أبو بكر بن  
 أبي خيشمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال قال زياد بن الربيع بن الحارث لاهل  
 السجن يموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا ، فلما كانت تلك الليلة لم ينام أهل السجن  
 فرحاً ، جلسوا ينظرون حتى يسموا الناعية ، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل كان  
 ذلك لخمس بقين من رمضان ، وقيل في شوال من هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك خمسا وخمسين  
 سنة ، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل قبلها بسنة ، مات بواسط

وعنى قبره ، وأجرى عليه الماء لكيلا يئبش ويحرق والله أعلم .

وقال الأصمعي : ما كان أعجب حال الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم . وقال الواقدي : ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق : ثنا عمي قال : زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومصحفنا وسيفنا وسرجنا ورحلا ومائة درع موقوفة . وقال شهاب بن خراش : حدثني حمى يزيد بن حوشب قال : بعث إلى أبو جعفر المنصور فقال : حدثني بوصية الحجاج ابن يوسف ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدثني بها ، فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيى ، وعليها يموت ، وعليها يبعث ، وأوصى بثمائة درع حديد ، ستمائة منها لمنافق أهل العراق يغزون بها ، وثلاثمائة للترك . قال : فرجع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي - وكان قائماً على رأسه - فقال : هذه والله الشيعة لاشيعتكم . وقال الأصمعي عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتلة قتلت بها إنساناً ، قال : ثم رأيت بعد الحول فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماص - بظرامه أما سألت عن هذا عام أول ؟ وقال القاضي أبو يوسف : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أي زى رأيت ؟ قال : في زى قبيح . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أنت وذلك يا ماص - بظرامه ا فقال هارون : صدق والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليدع صرامته حياً وميتاً . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة بن أبي شوذب عن أشعث الخراز . قال : رأيت الحجاج في المنام في حالة سيئة فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحداً قتلة إلا قتلني بها . قال ثم أمرني إلى النار ، قلت ثم مسه ، قال ثم أرجو ما أرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن سيرين يقول : إنني لأرجو له ، فبلغ ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه . وقال أحمد بن أبي الخوارى : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان الحسن البصري لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه ، قال : فوآة في منامه فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلني بكل قتيل قتلته ثم عزات مع الموحدين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه والله أعلم . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأ ابن المبارك أنبأنا سفیان . قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وأفدأ ومعه معاوية بن قره ، فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال : إن صدقنا كم قتلتمونا ، وإن كذبنا كم خشيتمنا الله عز وجل ، فنظر إليه الحجاج فقال له عبد الملك : لا تعرض له ، فنفاه إلى السند فكان له بها مواقف

### وَمَنْ تُوْفِي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ

إبراهيم بن يزيد النخعي قال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف ذلك فينا أياماً ، لأننا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم تتحدثون في جنازكم بأحاديث دنياكم . وقال : لا يستقيم رأي الإبروية ، ولا روية الإبرأى . وقال : إذا رأيت الرجل يهاون بالنكبة الأولى فاعسل يديك من فلاحه . وقال : إني لأرى الشيء مما يعاب فلا يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أبتلى به . وبكى عند موته فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : انتظر ملك الموت ، ما أدرى يبشرني بجنة أو بنار

### الحسن بن محمد بن الحنفية

كنيته أبو محمد ، كان المقدم على إخوته ، وكان عالماً قديماً عارفاً بالاختلاف والفقه ، قال أيوب السخيتاني وغيره : كان أول من تكلم في الأرواح ، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها . وقال غيره : كان يتوقف في عثمان وعلى وطلحة والزبير ، فلا يتولاهم ولا يندمهم ؛ فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال : وبك ألا تتولى أباك علياً ؟ وقال أبو عبيد : توفي سنة خمس وتسعين ، وقال خليفة : توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم .

### حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري

وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مبيط ، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد قديماً نبيلاً عالماً ، له روايات كثيرة .

### مطرف بن محمد الله بن الشخير

تقدمت ترجمته ، وهؤلاء كلهم لهم تراجم في كتاب التكميل . وفيها كان موث الحجاج بواسط كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى والله الحمد . وفيها كان مقتل سعيد بن جبير في قول علي بن المدائني وجماعة ، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير وغير واحد والله أعلم .

### ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشف من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يهدده ويتوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يطلأ بلاده ويختم ملوكهم وأشراقتهم ، ويأخذ الجزية منهم أو يدخلوا في الإسلام . فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم ، وهو في مدينة عظيمة ، يقال إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها ، يقال لها خان بالق ، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً ، حتى قيل إن بلاد الهند مع اتساعها كالشامة في ملك الصين ، والصين لا يحتاجون إلى أن



يسافر وافي ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والدنيا المقسمة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ، لتهره وكثرة جنده وعدده . والقصد أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاء ، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة ، بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أنتم ؟ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة . فقال الملك لترجمانه : قل لهم : ما أنتم وما تريدون ؟ فقالوا : نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوك إلى الاسلام ، فان لم تفعل فالجزية ، فان لم تفعل فالحرب . فنضب الملك وأمر بهم إلى دار ، فلما كان القد دعاهم فقال لهم : كيف تكونون في عبادة إلهكم ؟ فصلوا الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم ، فقال : كيف تكونون في بيوتكم ؟ فلبسوا ثياب مهنيهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا الرشي والعمائم والمطارف ودخلوا على الملك ، فقال لهم : ارجعوا فرجعوا ، فقال الملك لأصحابه : كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا : هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك المرة الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم الثالث : أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والببيض وتقلدوا السيوف ونكبو القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا ، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين ، فقيل لهم : ارجعوا . وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم . فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ فقالوا : ما رأينا كهؤلاء قط . فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابشوا إلى زعيمكم وأضللكم ، فبمشوا إليه هبيرة ، فقال له الملك حين دخل عليه : قدر رأيتم عظم ملكي ، وليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فان تصدقني وإلا قتلتك ، فقال : سل . فقال الملك : لم صنعتم ماصتكم من زى أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال : أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا وفسائنا وطيننا عندهم ، وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا . فقال الملك : ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم . يعني قتيبة . وقولوا له ينصرف راجعاً عن بلادى ، فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم . فقال له هبيرة : تقول لقتيبة هذا ؟ فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون خريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها ، وغزاة في بلادك ؟ وأما نخويفك إيانا بالقتل فانا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضرنا فآكرمها عندنا القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه .

فقال الملك : فما الذي يرضى صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطاء أرضك ويختم ملوكك ويجبي الجزية من بلادك ، فقال أنا أبر يمينه وأخرجه منها ، أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وإرسل إليه ذهباً كثيراً وجريراً وثياباً صينية لا تقوّم ولا يدري قدرها ، ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن يبعث صحافاً من ذهب متسعة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم ، وبعث بمال جزيل لير بيمين قتيبة ، وقيل إنه بعث أربع مائة من أولاده وأولاد الملوك ، فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ، فانكسرت همته لذلك ، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك ، وأراد الدعوة إلى نفسه لما تحت يده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك ، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فانه يقال إنه ما كسرت له راية ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة ، وغزا العباس بن الوليد الروم ، وفتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً مبيداً بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً ، فبسم أول من بناها ، وقد كانوا يعمدون الكواكب السبعة المنيرة ، وهو القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد كانوا صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلًا لكوكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك ، فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل ، وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاء وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها ، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرّفوه أنهاراً تجري إلى الإماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلّكوا المساء في أفناء أبنية الدور بدمشق ، فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التصاريف العجيبة ، وبنوا هذا المعبود وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصاون إلى القطب الشمالي ، وكانت محاريبهم إلى جهته ، وكان باب مبيداهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب وهو باب حسن مبنى بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران باللسبة

إليه ، وكان غربى المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقى المعبد قصر جيرون الملك ، الذى كان ملكهم ، وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يملك دمشق قديما منهم ، ويقال إنه كان مع المعبد ثلاث دور عظيمة للملوك ، ويحيط به هذه الدور والمعبد سور واحد عال منيف ، بمحارة كبار منحوتة ، وهن دار المطبق ، ودار الخليل ، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال ابن عساکر فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل : إن اليونان مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثمانى عشرة سنة ، وقد حفروا أساس الجدران حتى وانتهى الوقت الذى طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن هذا المعبد لا يخرب أبداً ولا يخلو منه العبادة ، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة . قلت : أما المعبد فلم يخل من العبادة . قال كعب الأحرار : لا يخلو منها حتى تقوم الساعة ، وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنده ، فبادت وصارت مساكن ضعفاء الناس وأرادهم في الغالب إلى زماننا هذا . والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مددا طويلة ، تزيد على أربعة آلاف سنة ، حتى أنه يقال إن أول من بنى جدران هذا المعبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام ، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدد طويلة ، وقد ورد إبراهيم الخليل دمشق ونزل شمالها عند برزة ، وقاتل هناك قوما من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة ، يأتونه كباراً عن كبار وإلى زماننا والله أعلم .

وكانت دمشق إذ ذاك عاصمة آهلة بمن فيها من اليونان ، وكانوا خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، وهم خصماء الخليل ، وقد ناظرهم الخليل في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع ، كما قررنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » والله الحمد وبالله المستعان .

والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق وينون فيها وفي معاملها من أرض حوران والبقاع وبمملك وغيرها ، البنات الهائلة الفريية العجيبة ، حتى إذا كان بعد المسيح بمدد نحو من ثلاثمائة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، الذى بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم وهى القسطنطينية ، وهو الذى وضع لهم القوانين ، وقد كان أولاً هو وقومه وغالب أهل الأرض يوناناً ، ووضعت له بطاركنه النصرارى ديناً مخترعاً من كبا من أصل دين النصرانية ، ممزوجاً بشئ من عبادة الأوثان ، وصلوا به إلى الشرق ، وزادوا فى الصيام ، وأحلوا الخنزير ، وعلموا أولادهم الأمانة الكبيرة فما يزعمون ، وإتمامى فى الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهى مع ذلك فى الحجم

صغيرة . وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيناه . فبنى لهم هذا الملك الذي ينتسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كبيرة في دمشق وفي غيرها ، حتى يقال إنه بنى اثنتي عشرة ألف كنيسة ، وأوقف عليها أوقافاً دائرة ، من ذلك كنيسة بيت لحم ، وقامة في القدس ، بلتها أم هيلانة الفنداقية ، وغير ذلك

والمقصود أنهم - يعنى النصارى - حولوا بناء هذا المعبد الذي هو بدمشق معظماً عند اليونان فجملوه كنيسة يوحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة ، حتى بعث الله محمداً (س) ، فكان من شأنه ما تقدم بعضه في كتاب السيرة من هذا الكتاب ، وقد بعث إلى ملك الروم في زمانه - وهو قيصر ذلك الوقت - واسمه هرقل يدعوهُ إلى الله عزوجل ، وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبي سفيان ما تقدم ، ثم بعث أمراءه الثلاثة ، زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، إلى البلقاء من تخوم الشام ، فبعث الروم إليهم جيشاً كبيراً فقتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة من معهم من الجيش ، فغزم النبي (س) ، على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ، ثم رجع عام ذلك لشدة الحر ، وضمف الحال ، وضيقه على الناس . ثم لما توفي بعث الصديق الجيوش إلى الشام بكاملها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها ، وقد بسطنا القول في ذلك عند ذكر فتحها ، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمته فيها ، وساق بره إليها ، وكتب أمير الحرب أبو عبيدة إذ ذاك ، وقيل خالد بن الوليد ، لأهل دمشق كتاب أمان ، أقروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مريخنا ، بحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرقى بالسيف ، وأخذت النصارى الأمان من أبي عبيدة ، وكان على باب الجابية الصلح ، فاختلفوا ثم إتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة ، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقى فجعله أبو عبيدة مسجداً يصلى فيه المسلمون ، وكان أول من صلى في هذا المسجد أبو عبيدة ثم الصحابة بمده في البقعة الشرقية منه ، التي يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوحاً بمحراب محن ، وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة ، والظاهر أن الوليد هو الذي فتح الحارثية في الجدار القبلى [ قلت : هذه الحارثية متجددة ليست من فتح الوليد ، وإنما فتح الوليد محراباً واحداً ، إن كان قد قتل ، ولعله لم يفعل شيئاً منها ، فكان يصلى فيه الخليفة ، وبقية فتح قريباً ، لكل إمام محراب ، وشافى وحنفى ومالكي وحنبل ، وهؤلاء إنما حدثوا بمسد الوليد بزمان ] <sup>(١)</sup> وقد كره كثير من السلف مثل هذه الحارثية ، وجملوه من البيع المحدثه ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد ،

(١) زيادة من المصرية :

وهو باب المعبد الأعلى من جهة القبلة ، مكان المحراب الكبير الذى فى المقصورة اليوم ، فينصرف  
النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيستهم ، ويأخذ المسلمون بمنة إلى مسجدهم ، ولا يستطيع النصارى  
أن يجهروا بقراءة كتابهم ، ولا يضرّبوا بناقوسهم ، اجلالاً للصحابة ومهابة وخوفاً . وقد بنى معاوية فى  
أيام ولايته على الشام دار الامارة قبلى المسجد الذى كان للصحابة ، وبنى فيها قبسة خضراء ، فمرفت  
الدار بكاملها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا . ثم لم يزل الامر على ما ذكرنا من أمر هذه  
الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى ، من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وثمانين فى  
ذى القعدة منها ، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فى شوال ، منها ، فمزم الوليد على أخذ  
بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ، وجعل الجميع مسجداً واحداً ، وذلك لأن  
بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصارى للإنجيل ، ورفع أصواتهم فى صلواتهم ، فأحب أن  
يبيدهم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المسكن إلى ههنا ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويتسع  
المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المسكن ،  
ويعوضهم إقطاعات كثيرة ، وعرضها عليهم ، وأن يبقى بأيديهم ألجبع كنائس لم تدخل فى العهد ،  
وهى كنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة داخل باب شرقى ، وكنيسة تل الجبل ، وكنيسة حميد بن درة  
الذى يدرب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الأباء ، فقال : ائتوني بيهودكم التى بأيديكم من زمن الصحابة ، فأثروا  
بها ففترقت بمحضرة الوليد ، فإذا كنيسة توما التى كانت خارج باب توما على حافة القهر - لم تدخل فى  
العهد ، وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريمتهم فقال الوليد : أنا أهدها وأجعلها مسجداً ،  
فقالوا : بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى ولطيب له نفساً بقية هذه  
الكنيسة ، فأقرم على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة . ههنا قول ، ويقال إن  
الوليد لما أمره ذلك وعرض ما عرض على النصارى فأبوا من قبوله ، دخل عليه بعض الناس فأرشده  
إلى أن يقيس من باب شرقى ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد دخلت فى العنوة وذلك  
أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الريحان تقريباً ، فإذا  
الكنيسة قد دخلت فى العنوة ، فأخذها . وحكى عن المغيرة مولى الوليد قال : دخلت على الوليد  
فوجدته مهموماً قلت : مالك يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ فقال : إنه قد كثرت المسلمون وقد ضاق بهم  
المسجد ، فأحضرت النصارى وبذلت لهم الأموال فى بقية هذه الكنيسة لأضيفها إلى المسجد  
فيتسع على المسلمين فأبوا ، فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين عندى ما يزيل همك ، قال : وما هو ؟ قلت :  
الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالد بن الوليد من الباب شرقى بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك  
فزعوا إلى أبى عبيدة يطلبون منه الأمان فأمنهم ، وفتحوا له باب الجابية ، فدخل منه أبو عبيده

بالصلح ، فنحن تماسحهم إلى أى موضع بلغ السيف أخذناه ، وما بالصلح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها فى العنوة ، فتدخل فى المسجد . فقال الوليد : فرجت عنى ، فتول ذلك بنفسك ، فتولاه المغيرة ومسح من الباب الشرقى إلى نحو باب الجابية إلى سوق الريحان فوجد السيف لم يزل عمالاً حتى جاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسر ، فدخلت الكنيسة فى المسجد ، فأرسل الوليد إلى النصرارى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت فى العنوة فهى لنا دونكم ، فقالوا : إنك أولا دفعت إلينا الأموال وأقطعنا الاقطاعات فأبينا ، فمن إحسان أمير المؤمنين أن يصلحنا فيبقى لنا هذه الكنائس الاربع بأيدينا ، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة ، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس والله أعلم .

وقيل إنه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم عند باب الفراديس داخله فسموها مريخنا باسم تلك الكنيسة التى أخنت منهم ، وأخذوا شاهدها فوضموه فوق التى أخذوها بدلها فأنه أعلم .  
ثم أمر الوليد بإحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء ، وجاء إليه أساقفة النصرارى وقساوستهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نجد فى كتبنا أن من بهدم هذه الكنيسة يحن ، فقال الوليد : أنا أحب أن أجن فى الله ، والله لا يهدم فيها أحد شيئاً قبلى ، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضلاع المعروفة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها راهب عندهم ، فأمره الوليد بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك ، فأخذ الوليد ببقائه فلم يزل يدفعه حتى أنزله منها ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان فى الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذى يسمونه الشاهد ، وهو تمثال فى أعلى الكنيسة ، فقال له الرهبان : احذر الشاهد ، فقال : أنا أول ما أضع فأموى ، فى رأس الشاهد ، ثم كبر وضر به فهدمه ، وكان على الوليد قباء أصفر لونه سمرجلى قد غرز أذباله فى المنطقة ، ثم أخذ فأسا بيده فضرب بها فى أهلى حجر فألقاه ، فتبادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصرارى بالعويل على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هنالك ، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح النسائى ، أن يضربهم حتى ينهبوا من هنالك ، ففعل ذلك ، فهدم الوليد والأمراء جميع ما جده النصرارى فى تريبع هذا المعبد من المذابح والأبنية والحنايا ، حتىبقى المكان بمرحة مربعة ، ثم شرع فى بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التى لم يشتهر مثلها قبلها كما سنذكره .

وقد استعمل الوليد فى بناء هذا المسجد خلتاً كثيراً من الصناع والمهندسين والفعلة ، وكان المستحث على عمارته أخوه وولى عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ، ويقال إن الوليد بعث الى ملك الروم يطلب منه صناعات فى الرخام وغير ذلك ، ليستعين بهم على عمارة هذا المسجد على ما يريد ، وأرسل يتوعدة لئن لم يفعل لينزول بلاده بالجيش ، وليخر بن كل كنيسة فى بلاده ، حتى

كنيسة القدس ، وهي قامة ، وكنيسة الرها ، وسائر آثار الروم ، فبعث ملك الروم إليه صناعاً كثيرة جداً ، مائتي صانع ، وكتب إليه يقول : إن كان أبوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فإنه لوصمة عليك ، وإن لم يكن فهمه وفهمت أنت لوصمة عليه ، فلما وصل ذلك إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك ، واجتمع الناس عنده لذلك ، فكان فيهم الفرزدق الشاعر ، فقال : أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله . قال الوليد : وما هو ويحك ؟ قال قال الله تعالى [ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ] وسليمان هو ابن داود ، ففهمه الله ما لم يفهمه أبوه . فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جواباً إلى ملك الروم . وقد قال الفرزدق في ذلك : -

فوقت بين النصارى في كنائسهم \* والعابدين مع الأسحارِ والنعيمِ  
وممّ جميعاً اذا صلوا وأوجههم \* شتى إذا سجدوا لله والضميرِ  
وكيف يجتمع الناقوسُ بضربة \* أهل الصليب مع القراء لم تتم  
فهمت تحويلها عنهم كما فهمنا \* إذ يحكان لهم في الحرث والنعيمِ  
داود والملك المهدي إذ جزأ \* ولادها واجتراز الصوف بالجلمِ  
فهمك الله تحويلاً لبيبتهم \* عن مسجد فيه يتلى طيب الكلامِ  
مامن أب حملته الأرض نعمة \* خير بنين ولا خير من الحكمِ

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في ستمك الحيطان . وقال الحسن بن يحيى الخشني : إن هوداً عليه السلام هو الذي بنى الحائط القبلي من مسجد دمشق . وقال غيره : لما أراد الوليد بناء القبة التي وسط الرواقات - وهي قبة النسر وهو اسم حادث لها ، وكانهم شبهوها بالنسر في شكله ، لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها - حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا ، ثم إنهم وضعوا فيه زيادة الكرم ، وبنوا فوقها بالحجارة ، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت ، فقال الوليد لبعض المهندسين : أريد أن تبني لي أنت هذه القبة ، فقال : على أن تعطيني عهد الله وميثاقه على أن لا يبنئها أحد غيري ، ففعل . فبنى الأركان ثم غلفها بالبواري ، وغلب عنها سنة كاملة لا يدرى الوليد أين ذهب ، فلما كان بعد السنة حضر ، فهم به الوليد فأخذته وممه رأس الناس ، فكشف البواري عن الأركان فاذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض ، فقال له : من هذا أتيت ، ثم بناها فانهقدت . وقال بعضهم : أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن هذا البناء ، فقال له المعمار : إنك لا تقدر على ذلك ، فضر به خمسين سوفاً ، وقال له : ويلاك ! أنا لا أقدر على ذلك وزعم أني أعجز عنه ؟ وبخراج الأرض وأموالها نجبي إلى ؟ قال : نعم أنا أبيع لك ذلك ، قال : فبين

ذلك ، قال : اضرب لبنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك ، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما ضرب منه لبنة فإذا هي قد دخلها ألوف من الذهب ، فقال : يا أمير المؤمنين إنا نريد مثل هذه اللبنة كذا وكذا أنت لبنة ، فإن كان عندك ما يكفي من ذلك عملناه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد خمسين ديناراً ، وقال إني لا أعجز عما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع ، ال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، وردا على ضمناه المسلمين خير من ذلك . ثم عقدها على ما أشار به الممار . ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جعلونات ، وباطنها مسطحة مقرناً بالذهب ، فقال له بعض أهله : أتعبت الناس بسدك في طين أسطحهم ، لما يريد هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير - يشير إلى أن التراب يغلو والفعلة تنقل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام - فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ليجمعه عوض الطين ، ويكون أخف على السقوف . فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم ، فعاوزوا فإذا عند امرأة منه قناطر مقلطة ، فسأموها فيه ، فقالت : لا أبيعها إلا بوزنه فضة ، فكتبوا إلى الوليد فقال : اشتروه منها ولو بوزنه فضة ، فلما بدلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلت ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذا المسجد ، فكتبوا على الواحها بطابع « لله » ويقال إنها كانت إسرائيلية ، وإنه كتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الاسرائيلية .

وقال محمد بن عائذ : سمعت المشايخ يقولون : ما تم بناء مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة ، لقد كان يفضل عند الرجل من القوم أو الفعلة الفلاس ورأس المسبار فيأتي به حتى يضمه في الخزانة . وقال بعض مشايخ الدماشقة : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر . وقال بعضهم : اشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت المنبر ، من حرب ابن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار . وقال دحيم عن الوليد بن مسلم : ثنا مروان بن جناح عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم ، وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد ابن مسلم عن عمرو بن مهاجر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أنفق الوليد على الكرم<sup>(١)</sup> التي في قبلي المسجد فإذا هو سبعون ألف دينار .

وقال أبو قصى : أنفق في مسجد دمشق أربعمئة صندوق من الذهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . قلت : فملى الأول يكون ذلك (١) هي فسيفساء على هيئة الكرم مؤلفة من قطع صغيرة من الزجاج المربع مبطن بالذهب أو الألوان ، وكان منها بقايا إلى أيام الحريق الأخير سنة ١٣١٠ هـ ويوجد قريب منها في قبة الملك الظاهر بدمشق إلى اليوم .



خمسة آلاف ألف دينار ، وسثمائة ألف دينار ، وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الأسمى  
إحد عشر ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار . وقيل إنه صرف أكثر من ذلك بكثير ، والله أعلم .  
قال أبو قصى : وأنى الحرسى إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أنفق أمير المؤمنين  
بيوت الأموال في غير حقها . فنودى في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فصعد الوليد المنبر  
وقال : إنه بلغنى عنكم أنكم قلتم أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال : يا عمرو بن مہاجر ،  
قم فأحضر أموال بيت المال ، فحملت على البغال إلى الجامع ، ثم بسط لها الانطاع تحت قبة النسر ،  
ثم أفرغ عليها المسال ذهباً صبيحاً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كوماً ، حتى كان الرجل إذا قام من  
الجانب الواحد لارى الرجل من الجانب الآخر ، وهذا شيء كثير ، ثم جرى بالقباين فوزنت  
الأموال فاذا هي تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة ، وفي رواية ستة عشرة سنة مستقبلة ، ولم  
يدخل للناس شيء بالكلية ، فقال لهم الوليد : والله ما أنفقت في عمارة هذا المسجد درهما من بيوت  
المال ، وإنما هذا كله من مالى . ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ، ودعوا للخليفة  
والصرفوا شاكرين داعين . فقال لهم الوليد : يا أهل دمشق ، والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد  
شيئاً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالى ، لم أرزأكم من أموالكم شيئاً . ثم قال الوليد : يا أهل  
دمشق ، إنكم تفخرون على الناس بأربع ، بهوائكم ومائتكم وفاكهتكم وحمامتكم ، فأحببت أن  
أزيدكم خامسة وهي هذا الجامع . وقال بعضهم : كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح مذهبة بلازورد ،  
في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الاسلام ، ونبينا محمد س . . . أمر ببنيان  
هذا المسجد وهم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذى القعدة سنة ست  
وثمانين ، وفي صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم إلى آخر  
الفاتحة ، ثم النازعات ، ثم عبس ، ثم إذا الشمس كورت ، قالوا : ثم بحيث بمدحى المأمون إلى  
دمشق . وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلها ، وأن الرخام كان في جدرانها إلى قامات ، وفوق  
الرخام كرمة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرمة الفصوص المذهبة والخضر والحمر والزرق والبيض ، قد  
صوروا بها سائر البلدان الشهورة ، الكعبة فوق الحراب ، وسائر الاقاليم بمنة ويسرة ، وصوروا مافى  
البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة  
فيها جميعها من ذهب وفضة ، وأنوار الشموع في أما كنه مفرقة . قال : وكان في محراب الصحابة برنية  
حجر من بلور ، ويقال بل كانت حجرآ من جوهر وهي الدرة ، وكانت تسمى القليسة ، وكانت إذا  
طلعت التباديل تضيء لمن هناك بنورها ، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد - وكان يحب البلور وفيل

الجوهر - بعث إلى سليمان وإلى شرطة دمشق أن يبعث بها إليه ، فسرقها الوالى خوفاً من الناس وأرسلها إليه ، فلما ولى المأمون ردها إلى دمشق ليشتع بذلك على الأمين . قال ابن عساكر : ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج ، قال : وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيئاً ، قالوا : وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها الستور مرخاة ، وكذلك الستور على سائر جدرانها إلى حد الكومة التي فوقها النصوص المنهبة ، ورؤس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعملوا له شرفات تحيط به ، وبني الوليد المنارة الشمالية التي يقال لها مأذنة العروس ، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بدهور متطاولة ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبود صومعة شاهقة جداً ، بنها اليونان للرصد ، ثم بعد ذلك سقطت الشماليتان وبقيت القبليتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعائة ، فنقضت وجدد بناؤها من أموال النصارى ، حيث اتهموا بحريقها ، فقامت على أحسن الأشكال ، بيبضأ بذاتها وهي والله أعلم الشرفة التي ينزل عليها عيسى بن مريم في آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سميان .

[ قلت : ثم أحرق أعلى هذه المنارة وجددت ، وكان أعلاها من خشب فبنيت بحجارة كلها في آخر السبعين وسبعائة ، فصارت كلها مبنية بالحجارة ] (١)

والمقصود أن الجامع الأموي لما كل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه أو إلى جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تحير فيها نظره لحسنه وجماله ، ولا يمل ناظره ، بل كلما أدمن النظر بانت له أعجوبة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيئاً من الحشرات بالكلية ، لا من الحيات ولا من العقارب ، ولا الخنافس ولا العناكيب ، ويقال ولا المصافير أيضاً تمشش فيه ، ولا الحمام ولا شيء مما يتأذى به الناس ، وأكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة في سقف هذا المعبد ، مما يلي السبع ، فأحرق لما أحرق ليلة النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربعمائة ، في دولة الفاطميين كما سيأتي ذلك في موضعه . وقد كانت بدمشق طلسمات وضعتها اليونان بعضها باق إلى يومنا هذا والله أعلم .

فن ذلك العمود الذى فى رأسه مثل الكرة فى سوق الشمير عند قنطرة أم حكيم ، وهذا المكان يعرف اليوم بالعلميين ، ذكر أهل دمشق أنه من وضع اليونان لمتربول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق باطنه فبال ، وذلك مجرب من عهد اليونان .

(١) زيادة من المصرية .

[ قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحته مدفون جبار عنيد ، كافر يمتدب ، فاذا داروا بالحيوان حوله سمع العذاب فرأى وبال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فاذا سمعت أصوات المذنبين انطلق بوها . والعمود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة فقد أخطأ خطأ فاحشا . وقيل إن تحته كنزاً وصاحبه عمده مدفون ، وكان ممن يمتدد الرجسة إلى الدنيا كما قال تعالى [ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبثوثين ] والله سبحانه وتعالى أعلم [ (١) ] .

وما زال سليمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع الأموي بعد موت أخيه مدة ولايته ، وجددت له فيه المنصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده مما فيه من الذهب ، ويقطع السلاسل والرخام والفسيفساء ، ويرد ذلك كله إلى بيت المال ، ويجعل مكان ذلك كله طينا ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرفهم إليه ، وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا أكله لكم ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلغنا عنك كذا وكذا ، قال : نعم ، فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم يا ابن الكافرة ؟ - وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت كافرة فقد ولدت رجلا مؤمنا ، فقال : صدقت ، واستحيا عمر ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لبيت المال ، فأطرق عمر . قالوا : واتفق في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلا من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر ، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، والزخرفة التي لم يسمع بمثلهما ، صمق كبيرهم وخر مغشيا عليه ، فحملوه إلى منزلهم ، فبقى أياما مدنفقا ، فلما تماثل سأله عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن مدنهم تكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن النبط أهلك الكفار ، دعوه . وسألت النصارى في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم مجلسا في شأن ما كان أخذه الوليد منهم ، وكان عمر عادلا ، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منهم فأدخله في الجامع ، ثم حقق عمر القضية ، ثم نظر فاذا الكنائس التي هي خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة ، مثل كنيسة دير مران بسفح قايسون ، وهي بقرية المعظمية ، وكنيسة الراهب ، وكنيسة توما خارج باب توما ، وسائر الكنائس التي بقرى الحواجز ، فغيرهم بين رد ما سأله وتخريب هذه الكنائس كلها ، أو تبقى تلك الكنائس ويطيّبوا نفسا للمسلمين بهذه البقعة ، فاتفقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمان بها ،

(١) زيادة من المصرية :

ويطيبوا نفساً بهذه البقعة، فكتب لهم كتاب أمان بها.

والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا مثيل في حسنه وبهجته ، قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم في قصر من قصور الجنة - يعني الجامع - وقال أحمد بن أبي الخوارى عن الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها . قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين المهدي دمشق يريد زيارة القدس نظر إلى جامع دمشق فقال لكتابه أبي عبيد الله الأشعري : سبقنا بنو أمية بثلاث ، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبببل الموالي ، وبعمر ابن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة - وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها - قال لكتابه : وهذه رابعة . ولما دخل المأمون دمشق فنظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم ، وقاضيه يحيى بن أكرم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكرم : الرخام وهذه العقد ، فقال المأمون : إني إنما أعجب من حسن بنيانه . على غير مثال متقدم ، ثم قال المأمون لقادم القمار : أخبرني باسم حسن اسمي به جاريتي هذه ، فقال : ممها مسجد دمشق ، فإنه أحسن شيء . وقال عبد الرحمن عن ابن عبد الحكم عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : أحدها منارتكم هذه - يعني منارة ذى القرنين باسكندرية - والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة امرأة بباب الأندلس على باب مدينتها ، يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ . وقيل ينظر من بالقسطنطينية ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانفاق عليه ، والخامس الرخام والفسفساء ، فإنه لا يدري لها موضع ، ويقال إن الرخام معجون ، والدليل على ذلك أنه ينوب على النار .

قال ابن عساکر : وذكر إبراهيم بن أبي الليث الكاتب - وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة - في رسالة له قال : ثم أمرنا بالانتقال فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ، ووافق ظاهره باطنه ، أزقته أرجة ، وشوارعه فرجة ، فحيث ما مشيت شممت طيباً ، وأين سعيت رأيت منظراً عجيباً ، وإن أفضيت إلى جامعها شاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ، ولا الراوي أن يعرفه ، وجلت أنه كثر الدهر ونادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغرابة الأوقات ، ولقد أثبت الله عز وجل به ذكراً يدرس ، وخلف به أمراً لا يخفى ولا يدرس . قال ابن عساکر : وأنشدني بعض المحمدين في جامع دمشق عمره الله بذكره وفي دمشق فقال :

دمشق قد شاع حسنُ جامِها \* وما حوتهُ رُبِّي مرابِها  
بديعةُ الحسنِ في السكّالِ لما \* يدركهُ الطرفُ من بدائِها .

طيبة أرضها مباركة \* باليمن والسعد أخذ طالما  
 جامعها جامعُ المحاسنِ قد \* فاقَتْ بهِ المدنُ في جوامعها  
 بنيةً بالاتقانِ قد وضعت \* لاضيعِ اللهِ سعى واضعها  
 تذكرُ في فضلِهِ ورفعتِهِ \* آثارُ صدقِ راقَتِ لسامعها  
 قد كانَ قبلَ الحريقِ مدهشةً \* فغيرتْ نارهَ بلاقمها  
 فأذهبتْ بالحريقِ بهجتهُ \* فليسَ رجبى إيابُ راجعها  
 إذا تفكرتْ في الفصوصِ وما \* فيها تيقنتْ حنقُ راصعها  
 اشجارها لاتزالُ مشرَّةً \* لاترهبُ الريحُ من منافعها  
 كأنها من زمردِ غرست \* في أرضِ تبرِ نفسى بنافعها  
 فيها ثمارٌ تخالها ينمت \* وليسَ يخشى فسادُ يانعها  
 تقطفُ بالاحظِ لايجارحةِ الـ \* أيدى ولا تجننى لبانعها  
 ونحتها من رخامةٍ قطع \* لاقطعُ اللهُ كفَ قاطعها  
 احكم ترخيما المرخمُ قد \* بانَ عليها إحكامُ صانعها  
 وإن تفكرتْ في قناطرهِ \* وسقفهِ بانَ حنقُ رافعها  
 وإن تبينتْ حسنَ قبتهِ \* تحيرُ اللبُّ في أضالعها  
 تخترقُ الريحُ في منافذها \* عصفاً فتقوى على زغاعها  
 وأرضهُ بالرخامِ قد فرشت \* ينفخُ الطرفُ في مواضعها  
 مجالسُ العلمِ فيه مؤقَّةٌ \* ينشرحُ الصدرُ في مجامعها  
 وكلُّ بابٍ عليه مطهرةٌ \* قدأمنَ الناسُ دفعَ مانعها  
 يرتفقُ الناسُ من مراقبها \* ولا يصدونَ عن منافعها  
 ولا تزالُ المياهُ جاريةً \* فيها لما شقَّ من مشارعها  
 وسوقها لاتزالُ أهلةً \* يزدهمُ الناسُ في شوارعها  
 لما يشاؤونَ من فواكها \* وما يريدونَ من بضائعها  
 كأنها جنةٌ ممجلةٌ \* في الأرضِ لولا مسرى لجائعها  
 دامت برغمِ العدى مسلمةً \* وحاطها اللهُ من قوارعها

## فضيلة الأئمة

فياروي في جامع دمشق من الآثار وما ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار روى عن قتادة أنه قال في قوله تعالى [ والتين ] قال : هو مسجد دمشق [ والزيتون ] قال : هو مسجد بيت المقدس [ وطور سينين ] حيث كلم الله موسى [ وهذا البلد الأمين ] وهو مكة<sup>(١)</sup>. رواه ابن عساكر . وقال صفوان بن صالح عن عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه عن عطية بن قيس الكلبي قال قال كعب الأخبار : ليينين في دمشق مسجد يبق بعد خراب الدنيا أربعين عاماً . وقال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس ، قال فضل فأوحى الله إليه أما إذا فعلت فاني سأبني لي في خطنك بيتاً أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تنهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال فهو عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع . وقال دحيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يعني أنه رفع الجدار فعلاه من حديد الرخام والكرمة إلى فوق - وقال غيره : إنما بنى هود الجدار القبلي فقط . ونقل عثمان بن أبي العاتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في قوله تعالى [ والتين ] قالوا : هو مسجد دمشق .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البراءي الدمشقي : ثنا إبراهيم بن مروان سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاح يقول : سمعت عبد الرحمن بن يميني بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان ، فاستقبل منه جاءت نار فأكاته ، ومالم يتقبل منه بقي على حاله . قلت : وهذه الصخرة نقلت إلى داخل باب الساعات ، وهي موجودة إلى الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابنا آدم قريتهما فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فالله أعلم .

وقال هشام بن عمار : ثنا الحسن بن يحيى الحسني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسرى به « صلى في موضع مسجد دمشق » قال ابن عساكر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لأن هذا الوجه ولا من غيره . وقال أبو بكر البراءي : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن البخيرة المقرئ حدثني أبي عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القوام ليلة من الليالي فقال : إني أريد أن أصلي الليلة في المسجد ، فلا تركوا أحداً يصلي الليلة ، فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا

(١) في الأصل « قال دمشق » . ومصحناه من حديث قتادة في تاريخ ابن عساكر ١ : ١٩٦

الخضر يصلى فى المسجد فى كل ليلة ، وفى رواية أنه قال لهم : لا تتركوا أحداً يدخله ، ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فاذا رجل قائم بين الساعات وباب الخضر الذى يلى المقصورة يصلى ، وهو أقرب إلى باب الخضر منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقوام : ألم أمرم أن لا تتركوا أحداً الليلية يصلى فى المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخضر يصلى كل ليلة فى المسجد . فى إسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بثبوتها وجود الخضر بالكيفية ، ولا صلاحته فى المكان المذكور والله أعلم .

وقد اشتهر فى الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبلىة عند باب المأذنة الغربية تسمى زاوية الخضر ، وما أدرى ما سبب ذلك ، والذى ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ، وكفى بذلك شرفاً له وتمييزه من المساجد التى صلوا فيها ، وأول من صلى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمين هذه الأمة ، وصلى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لكن قبل أن يغيره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غير إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن مالك ، فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبنى فيه الوليد ، فصلى فيه أنس ورأى الوليد وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قدمنا ذلك فى ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين ، وسيصلى فيه عيسى بن مريم إذا نزل فى آخر الزمان ، إذا خرج الدجال وعمت البلوى به ، وانحصر الناس منه بدمشق ، فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر ، فيأتى وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس : تقدم يا روح الله ، فيقول : إنما أقيمت لك ، فيصلى عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال إنه المهدي فأنه أعلم .

ثم يخرج عيسى بالناس فيدرك الدجال عند عقبة أفيق ، وقيل بباب لد فيقتله بيده هناك . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى [ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ] وفى الصحيح عن النبي (ص) : « والذى نفسى بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام » .

والمقصود أن عيسى ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، والبلد محصور محصن من الدجال ، فينزل على المنارة - وهى هذه المنارة المبنية فى زماننا من أموال النصارى - ثم يكون نزول عيسى حنفاً لهم وهلاكاً ودماراً عليهم ، ينزل بين ملكين واضعاً يديه عنى مناكهما ، وعليه مهر وذئبان ، وفى رواية مضمرة أن<sup>(١)</sup> يقطر رأسه ماء كأنما خرج من دماغ ، وذلك وقت الفجر ، فينزل على المنارة

(١) المصرة من الثياب التى فيها صفة خفيفة .

وقد أقيمت الصلاة، وهذا إنما يكون في المسجد الأعظم بدمشق، وهو هذا الجامع. وما وقع في صحيح مسلم من رواية النوبان بن سمان الكلابي: فينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق، كأنه والله أعلم مروى بالمعنى بحسب ما فهمه الراوي، وإنما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق، وقد أخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك، في بعض ألفاظ هذا الحديث، في بعض المصنفات، والله المسؤول المأمول أن يوفقني فيوقفني على هذه اللفظة، وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه، وهي بيضاء بنفسها، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها، ولا أبهى ولا أعلى منها، والله الحمد والمنة [قلت: نزول عيسى على المنارة التي بالجامع الأموي غير مستنكر، وذلك أن البلاء بالدجال يكون قد عم فينحصر الناس داخل البلد، ويحصرهم الدجال بها، ولا يتخلف أحد عن دخول البلد إلا أن يكون متبعا للدجال، أو مأسورا معه، فان دمشق في آخر الزمان تكون معقل المسلمين وحصنهم من الدجال، فإذا كان الأمر كذلك فن يصلح خارج البلد، والمسلمون كلهم داخل البلد، وعيسى إنما ينزل وقد أقيمت الصلاة فيصلح مع المسلمين، ثم يأخذهم ويطلب الدجال ليقته، وبعض العوام يقول: إن المراد بالمنارة الشرقية بدمشق، منارة مسجد بلاشو، خارج باب شرق. وبعضهم يقول: إنها المنارة التي على نفس باب شرق. فإله أعلم بمراد رسول الله -ص-، وهو سبحانه العالم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القادر على كل شيء، القاهر فوق كل شيء، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.]

### الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام

وروى ابن عساكر عن زيد بن واقد قال: وكأني الوليد على المال في بناء جامع دمشق، فوجدنا فيه مقبرة فمررنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وأمانا وبين يديه الشمع، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق، ففتح الصندوق فاذا فيه سفظ وفي السفظ رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام. مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكرياه، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغبراً من بين الأعمدة، فجعل عليه عمود مسط الراس، وفي رواية عن زيد بن واقد أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة - يعني قبل أن تبنى - قال: وكان على الرأس شعر وبشر. وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال: حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من اللبطة القهلية الشرقية التي عند مجلس بجميلة، فوضع تحت عمود الكاسة، قال الأوزاعي والوليد بن مسلم: هو العمود الرابع المسط. وروى أبو بكر بن البرامي عن أحمد بن أنس ابن مالك عن حبيب المؤذن عن أبي زياد وأبي أمية الشنابيين عن سفيان الثوري أنه قال: صلاة



في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً . وروى ابن عساکر من طريق أبي مسهر عن المنذر بن نافع - مولى أم عمرو بنت مروان - عن أبيه - وفي رواية عن رجل قد سماه - أن واثلة ابن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقبه كعب الأخبار فقال : أين تريد ؟ قال واثلة : أريد بيت المقدس . فقال : تعال أريك موضعاً في المسجد من صلى فيه فكأنما صلى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يفرج منه الوالی - یعنی الخليفة - إلى الخنية - یعنی القنطرة الغربية - فقال : من صلى فيها بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال واثلة : إنا لمجلسي ومجلس قومي . قال كعب : هو ذلك . وهذا أيضاً غريب جداً ومنكر ولا يعتمد على مثله .

وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فبعثوا به إلى الوليد فبعثه إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأسبان فلم يستخرجوه ، فدل على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط - ويقال ذلك الحائط شاه هود عليه السلام - فلما نظر إليه وهب حرك رأسه وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت بسير ما بقي من أجلك ، لزهدت في طول ما ترجو من أمك ، وإنما تلقى ندمك لو قد زل بك قدمك . وأسلك أهلك وحشمك ، وانصرف عنك الجيب وأسلك صاحب القريب ، ثم صرت تدعى فلا تحيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا إلى عمك زائد ، فاعل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، قبل أن يحمل بك أجلك ، وتنزع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمعته ، ولا ولد ولدته ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ الذي ، وبهاور الموتى ، فاعتنم الحياة قبل الممات ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن<sup>(١)</sup> داود عليهما السلام .

وقال ابن عساکر : قرأت على أبي محمد السلي عن عبد العزيز التميمي أنياً تميم الرازي ثنا ابن البرامي سمعت أبا مروان عبد الرحمن بن عمر المازني يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقة ، فلم يفتحوه وأعلموا به الوليد ، ففرج حتى وقف عليه ، وفتح بين يديه ، فإذا داخله منارة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على قوس من حجارة ، في يده التمثال الواحدة الدرة التي كانت في الحراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكسرت ، فإذا فيها حبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل له لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير . وقال الحافظ أبو حمدان الوراق - وكان قد عمر مائة

(١) كذا بالأصول ، ولعله سقط منه لفظ « سليمان بن » .

سنة - : سمعت بهض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على المقسلاط  
 - على السفود الحديد الذي في أعلاه - صنما ماداً آيد به كف مطبقة ، فكسروه فاذا في يده حبة قمح ،  
 فسألوا عن ذلك فقيل لهم : هذه الحبة قمح جعلها حكاه اليونان في كف هذا الصنم طلسماً ، حتى  
 لا يسوس القمح في هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة . قال ابن عساكر : وقد رأيت أما في هذا  
 السفود على قناطر كنيسة المقسلاط كانت مبنية فوق القنادل التي في السوق الكبير ، عند المصاويين  
 والطارين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الاسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ،  
 وخالد من باب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير . وقال عبد العزيز التميمي  
 عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في  
 سقف الجامع طلاسمة عملها الحسكاه في السقف مما يلي الحائط القبلي ، فيها طلاسمة للصنونات ،  
 لا تدخله ولا تمش فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلسم للفأر والحيات  
 والعقارب ، فما رأى الناس من هنا شيئاً إلا الفأر ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها ، وطلسم  
 للعنكبوت حتى لا يدسج فيه ، وفي رواية فيركبه الغبار والوسخ . قال الحافظ ابن عساكر : وسمعت  
 جدي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلقة  
 في السقف فوق البطانين مما يلي السبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق .  
 فلما احترقت الطلسمات حين أحرق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين  
 وأربعمائة ، وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبين  
 الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهي لسربول الدواب ، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات  
 انطلق باطنها . وقد كان شيخنا ابن تيمية رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشرك مفرد مدفون هنالك  
 يذب ، فاذا سمعت الدابة صراخه فرغت فانطلق باطنها وطبعها ، قال : ولهذا ينهبون بالدواب إلى  
 مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت فتنتطلق طباعها وتروث ، وما ذلك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يذبون  
 والله أعلم .

#### ذكر الساعات التي على بابه

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر : إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه عمل هناك  
 بلشكار الساعات ، كان يعمل بها كل ساعة تضي من النهار ، عليها عصافير من نحاس ، وحية من  
 نحاس وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصغرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصة في  
 الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك ساؤها . قلت : هذا يجتمل أحد شيئين  
 إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع ، وهو الذي يسمى باب الزيادة ، ولكن قد  
 قيل إنه محاث بمه بناء الجامع ، ولا يفتي ذلك أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زبر ،

وإما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرقي منه في الحائط القبلي باب آخر في حكاية باب الزيادة ،  
وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم ، وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم .  
[ قلت : باب الوراقين قبلي أيضا ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع  
والله أعلم ، أو لجارته للجامع ولبابه ] (١)

قلت : فأما القبة التي في وسط صحن الجامع التي فيها الماء الجاري ، ويقول العامة لها قبة أبي نواس  
فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة . وأما  
القبة الغربية العالية التي في صحن الجامع التي يقال لها قبة عائشة ، فسميت شيخنا الذهبي يقول : إنها  
إنما بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن منصور العباسي ، وجعلوها الحواصل الجامع  
وكتب أوقافه ، وأما القبة الشرقية التي على باب مسجد علي فيقال : إنها بنيت في زمن الحاكم العبيدي  
في حدود سنة أربع ومائة . وأما الفوارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف نجر الدولة أبو علي  
حمزة بن الحسن بن العباس الحسني ، وكأنه كان ناظراً بالجامع ، وجر إليها قطعة من حجر كبير من  
قصر حجاج ، وأجرى منها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة  
وعملت حولها فناظر ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جمال تماككت عندها وازدحمت ،  
وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فأعيدت ثم سقطت أعمدها وما عليها من حريق اللبادين  
والحجارة في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر .

قلت : وأما القصة التي كانت في الفوارة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها كذلك ، ثم رفعت  
بعد ذلك . وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت اللبادين بسبب  
حريق النصارى في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ثم استؤنف بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما  
كانت ، وذهبت تلك القصة فلم يبق لها أثر ، ثم عمل الشاذروان الذي شرقي فوارة جيرون ، بعد  
الخمسمائة - أظنه - سنة أربع عشرة وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

#### ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي

قال أبو بكر بن أبي داود : ثنا أبو عباس موسى بن عامر المري ثنا الوليد - هو ابن مسلم - قال قال  
أبو عمر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : الدراسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل الخزومي ، في  
قديمة قدمها على عبد الملك ، فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة فقال :  
ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء ، فقرأ هشام بن إسماعيل ، فحجل عبد الملك يقرأ براءة  
هشام ، فقرأ براءة ته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأوا براءة ته . وقال هشام

(١) زيادة من المصرية .

ابن عمياو خطيب دمشق ، ثنا أبو ب بن حسان ثنا الأوزاعي ثنا خالد بن ثابت قال : أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن المغيرة الخزرجي ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشي . قلت : هشام بن إسماعيل كان نائبا على المدينة النبوية ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك ، قيل أن يموت أبوه ، ثم عزله عنها الوليد وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا التبعيج جماعات من سادات السلف من التابعين بدمشق ، منهم هشام بن إسماعيل ومولاه رافع وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، وكان مكتبا لأولاد عبد الملك بن مروان ، وقد ولي إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان . وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ، ونعيم بن أوس الأشعري ، ويزيد بن أبي الهذائي ، وسالم بن عبد الله الحاربي ، ومحمد بن عبد الله بن لييد الأسدي . ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى معاوية ، ومكيون ، وسليمان بن موسى الأشدق ، وعبد الله بن العلاء بن زبر ، وأبو إدريس الأصغر شهيد الرحمن بن تراكه ، وعبد الرحمن بن عامر البصري - أخو عبد الله بن عامر - ويحيى بن الحارث البغدادي ، وعبد الملك بن نعمان المري ، وأنس بن أنس العذري ، وسليمان بن بديع القاري ، وسليمان بن داود الخشفي ، وعمران - أو هرا - بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد ابن أبي ظبيان الأزدي ، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعباس بن دينار وغيرهم . هكذا أورد ابن عساکر . قال : وقد روى عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ، ولا وجه لانكاره . ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : ثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن العلاء قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عروب ينسك الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت ، وقد أدرکت أصحاب النبي (ص) . قال ابن عساکر : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميرا على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين (١) في خلافة عمر بن عبد العزيز .

### فضيلة البناء

كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين هـ هدمت الكنيسة التي كانت موضعه في ذى القعدة منها ، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين ، فكان الفراغ منه في هذه السنة - أي سنة ست وثمانين - وفيها توفي هانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا فكلها أخوه سليمان كما ذكرنا . فلما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد

(١) كذا بالأصول . والصواب : في سنة تسع وتسعين .

دمشق وهذه الكنيسة قال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم أنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة صلحاً ، فأنا أهدم كنيسة توما - قال هشام وتلك أكبر من هذه الداخلة - قال فرضوا أن يهدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو الحراب الذي يصلى فيه ، قال : وهدم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، ومكثوا في بنائها سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بناءه ، فاتمه هشام من بعده ففيه فوائد وفيه غلط ، وهو قوله إنهم مكثوا في بنائه سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فإنه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفي في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين - وقد حكى أبو جعفر بن جرير على ذلك إجماع أهل السير ، والذي أتم ما بقى من بنائه أخوه سليمان لاهشام والله سبحانه وتعالى أعلم .

[ قلت : نقل من خط ابن عساكر وقد تقدم ، وقد جددت فيه بعد ذلك أشياء ، منها القباب الثلاث التي في صحنه . وقد تقدم ذكرها . وقيل إن القبة الشرقية عمرت في أيام المستنصر العبيدى في سنة خمسين وأربعمائة وكتب عليه اسمه واسم الأئمة عشر الذين تزعم الرافضة أنهم أئمتهم ، وأما العمودان الموضوعان في صحنه فجعلتا للتنوير ليالى الجمع ، وصنعا في رمضان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، بأمر قاضى البلد أبي محمد ] (١)

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق وذكر وفاته في هذا العام هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو العباس الأموى ، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهد منه في شوال سنة ست وثمانين ، وكان أكبر ولده ، والولى من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن بن الحارث بن زهير العبسى . وكان مولده سنة خمسين ، وكان أبواه يترفانه ، فشب بلا أدب ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أسمر به أثر جدرى خفى ، أفضس الأنف سائله ، وكان إذا شئ يتوكف في المشية - أى يتبختر - وكان جميلاً وقيل دميماً ، قد شاب في مقدم لحيته ، وقد رأى سهل بن سعد وسمع أنس بن مالك لما قدم عليه سأله ما سمع في أشرط الساعة ، كما تقدم في ترجمة أنس ، وسمع سعيد بن المسيب وحكى عن الزهري وغيره وقد روى أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية فجمع الوليد جماعة من أهل النحو عنده فأقاموا سنة ، وقيل سنة أشهر ، فخرج يوم خرج أجهل مما كان ، فقال عبد الملك : قد أجهد وأعذر ، وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا ألعينك إذا مت تجلس تعصر عينيك ، وتحن حنين الأمة ، ولكن شمروا تزر ، ودلنى في حفرتى ، وخلنى وشأنى ، وادع الناس إلى البيعة ، فن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . وقال الليث : وفي سنة ثمان وتسعين (٢) غزا الوليد

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصول . وفيها تحريف ظاهر لأنه مات سنة ٥٩٦ هـ .

بلاد الروم ، وفيها حج بالناس أيضاً . وقال غيره : غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد بلطية وغيرها ، وكان نقش خاتمته أو من بالله مخلصاً . وقيل كان نقشه يا وليد إنك ميت ، ويقال إن آخر ماتكلم به سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وقال إبراهيم بن أبي عبلة قال لي الوليد بن عبد الملك يوماً : في كم نختتم القرآن ؟ قلت في كذا وكذا ، فقال : أمير المؤمنين على شمله يختتمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة قال إبراهيم رحمه الله : الوليد وأين مثله ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة فأقسبها على قراء بيت المقدس .

وروى ابن عساكر باسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال : خرج الوليد يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المئذنة الشرقية يأكل شيئاً ، فأتاه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراباً ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : القنوع يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال : إن لك لشأناً فأخبرني به وإلا ضربت الذي فيه عينك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلاً حمالاً ، فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصداً إلى الكسوة ، إذ زمرني البول فعدت إلى خربة لأبول ، فإذا سرب فخرته فإذا مال صبيب ، فلأت منه غراثري ، ثم انطلقت أقود برواحلي وإذا بمخلدة ممي فيها طعام فألقيته منها ، وقلت : إلى سآتي الكسوة ، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك المخلدة من ذلك المال فلم أهدأ إلى المكان بعد الجهد في الطلب ، فلما أيست رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجدها الطعام ، فأليت على نفسي أني لا آكل إلا خبزاً وتراباً . قال : فهل لك عيال ؟ قال نعم ، ففرض له في بيت المال .

قال ابن جرير : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها جارسه فوضعها في بيت المال ، وقيل إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا وأذهب إلى إهلك نغذها ، وقيل إنه دفع إليه شيئاً من ذلك المال يقينه وعياله . وقال عمير بن عبد الله الشنثاني عن أبيه قال قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يفعل هذا بذكر .

قلت : فتنى عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة ، والفاحشة المنمومة ، التي عذب الله أهلها بأنواع العقوبات ، وأحل بهم أنواعاً من المثلات ، التي لم يعاقب بها أحدٌ من الأمم السالفات ، وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء ، والتجار والعوام والكتائب ، والفقهاء والقضاة ونجومهم ، إلا من عصم الله منهم ، فإن في اللواط من المفسد ما يفوت الحصر والتعداد ، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه ، ولأن يقتل المفعول به خير من أن يؤتى في دبره ، فإنه يفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاح أبداً ، إلا أن يشاء الله ، وينهب خبر المفعول به . فعلى الرجل حفظ ولده في حال صغره وبعد بلوغه ، وأن يجنبه مخالطة هؤلاء الملاحين ، الذين لعنهم رسول الله (ص) .

وقد اختلف الناس : هل يدخل الجنة مفعول به ؟ على قولين ، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحاً ، ورزق إجابة إلى الله وصلحاً ، وبدل سيئاته بحسنات ، وغسل عنه ذلك بأنواع الطاعات ، وغض بصره وحفظ فرجه ، وأخلص معاملته لربه ، فهذا إن شاء الله مغفور له ، وهو من أهل الجنة ، فإن الله ينفر الذنوب للتائبين إليه [ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ] [ ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ] . وأما مفعول به صار في كبره شرأ منه في صغره ، فهذا توبته متعذرة ، وبعيد أن يؤهل لتوبة صحيحة ، أو لعمل صالح يمحو به ما قد سلف ، ويخشى عليه من سوء الخاتمة ، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم ، لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدنيا ، وبعضهم ختم له بشرخاتمة ، حتى أوقفه عشق الصور في الشرك الذي لا يفغره الله . وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من أصحاب الشهوات يطول هذا الفصل بذكرها .

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له ، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان . فيقع في سوء الخاتمة . قال الله تعالى [ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ] بل قد وقع سوء الخاتمة لخلق لم يفعلوا فاحشة اللواط ، وقد كانوا متلبسين بذنوب أهون منها . وسوء الخاتمة أعادنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله ، وصدق في أقواله وأعماله ، فإن هذا لم يسمع به كما ذكره عبد الحق الأشبيلي ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقداً ، وظاهره عملاً ، ولمن له جرأة على الكبائر ، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة .

والمقصود أن مفسدة اللواط من أعظم المفسدات ، وكانت لا تعرف بين العرب قديماً كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم . فللهذا قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ماظننت أن ذكراً يملو ذكراً . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ص) ، قال : « من وجدته وه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواه أهل السنن وصححه ابن حبان وغيره . وقد لعن النبي (ص) ، من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات ، ولم يلعن على ذنب ثلاث مرات إلا عليه ، وإنما أمر بقتل الفاعل والمفعول به لأنه لا خير في بقائهما بين الناس ، لفساد طويتهما ، وخبث باطنهما ، فمن كان بهنئة المثابة فلا خير للخلق في بقائه ، فإذا أراح الله الخلق منهما صلح لهم أمر معاشهم ودينهم . وأما اللعنة فهي الطرد والبعد ، ومن كان مطروداً مبعداً عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن صالح عباده فلا خير فيه ولا في قربه ، ومن رزقه الله تعالى توسعاً وفراسة ، ونوراً وفرقاناً عرف من سحن الناس وجوههم أعمالهم ، فإن أعمال العال بائنة ولائحة على وجوههم وفي أعينهم وكلامهم

وقد ذكر الله اللوطية وجعل ذلك آيات للمتوسمين فقال تعالى : [ فأخذتهم الصيحة مشرفين ، ثم لما عليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجين إن في ذلك لآيات للمتوسمين ] وما بعدها . وقال تعالى : [ أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأرينا لهم فلمرقتهم بسياهم ولنترعفهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ] ونحو ذلك من الآيات والأحاديث . فاللاطى قد عكس النظرة ، وقلب الأمر ، فأتى ذكراً قلب الله قلبه ، وعكس عليه أمره ، بعد صلاحه وفلاحه ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وخصال التائب قد ذكرها الله في آخر سورة براءة ، فقال : [ التائبون العابدون ] فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للأخرة ، وإلا فالنفس همامة متحركة ، إن لم تشغلها بالحق والاشغلتك بالباطل ، فلا بد للتائب من أن يبذل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات ، وأن يتدارك ما فرط فيها وأن يبذل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير ، ويحفظ لحظاته وخطواته ، ولفظاته وخطواته . قال رجل للجنيدي : أوصني ، قال : توبة تحل الاصرار ، وخوف يزيل العزة ، ورجاء مزعج إلى طرق الخيرات ، ومراغبة الله في خواطر القلب . فهذه صفات التائب . ثم قال الله تعالى [ الحامدون السائحون الراكعون الساجدون ] الآية فهذه خصال التائب كما قال تعالى : [ التائبون ] فكأن قائلاً يقول : من هم ؟ قيل هم العابدون السائحون إلى آخر الآية ، وإلا فكل تائب لم يتلبس بعد توبته بما يقربه إلى من تاب إليه فهو في بعد وإدبار ، لافى قرب وإقبال ، كما يفهل من اغتر بالله من المعاصي المحظورات ، ويدع الطاعات ، فان ترك الطاعات وفعل المعاصي أشد وأعظم من ارتكاب المحرمات بالشهوة النفسية . فالتائب هو من اتقى المحذورات ، وفعل المأمورات ، وصبر على المقدورات ، والله سبحانه وتعالى هو الموفق ، وهو عليهم بذات الصدور [ (١)

قالوا : وكان الوليد لحانا كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوماً فقرأ في خطبته ( يا ليتها كانت القاضية ) فظم التاء من ليتها ، فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك ، وكان يقول : يا أهل المدينة . وقال عبد الملك يوماً لرجل من قريش : إنك لرجل لو لا أنك تلحن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، فقال : اسكن ابني سليمان لا يلحن ، فقال الرجل : وأخى أبو فلان لا يلحن . وقال ابن جرير : حدثني عمر ثناء على - يعني ابن تميم المدائني - قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم ، بنى المساجد بدمشق ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجنومين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً ، وكل ضرير قائلاً ، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظيمة ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم ، ففتح الهند والسند



والاندلس وأقاليم بلاد المعجم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك ، قال : وكان مع هذا يمر بالبقال فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تبضع هذه ؟ فيقول : بفلس ، فيقول : زد فيها فانك تربع . وذكروا أنه كان يمر بحملة القرآن ويكرهم ويقضى عنهم ديونهم ، قالوا : وكانت همة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك يلقي الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عمرت ؟ وكانت همة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقي الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقي الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم تقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة ؟ .

[والناس يقولون : الناس على دين ملئكم ، إن كان خواراً أكثر الحر ، وإن كان لوطياً فكذلك وإن كان شحيحاً حريصاً كان الناس كذلك ، وإن كان جواداً كرمياً شجاعاً كان الناس كذلك ، وإن كان طماعاً ظلوماً غشوماً فكذلك ، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان كان الناس كذلك وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص ، والله أعلم<sup>(١)</sup> .

وقال الواقدي : كان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب ، لجهجا كثير الأكل والجماع مطلقاً ، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الاماء . قلت : يراد بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك بنى الجامع والله أعلم .

قلت : بنى الوليد الجامع على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير ، وبني صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة ، وبني مسجد النبي (ص) ، ووسعه حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً ، ثم كانت وفاته في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، قال ابن جرير : هذا قول جميع أهل السير ، وقال عمر بن علي الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ست وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مران ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل بمقابر باب الفراديس ، حكاه ابن عساکر . وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز [لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف ، وقيل صلى عليه ابنه عبد العزيز]<sup>(٢)</sup> . وقيل بل صلى عليه أخوه سليمان ، والصحيح عمر بن عبد العزيز والله أعلم . وهو الذي أنزله إلى قبره وقال حين أنزله : لننزله غير موسد ولا ممد ، قد خلفت الأسلاب وفارقت الأجاب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، فقبراً إلى ما قدمت ، غنيا عما أخرجت . وجاء من غير وجهه عن عمر أنه أخبره أنه لما وضعه - يعني الوليد - في لحده ارتكض في أكتافه ، وجمعت رجلاه إلى عنقه . وكانت خلفته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولدا ذكرا ، وهم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتعام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى . فأم عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عم عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى . قال المدائني : وقد رثاه جبرير فقال : -

يا عين جودي بدمع هاجه الذِّكرُ \* فإ لدمعك بعدك اليوم مدخرُ  
 إن الخليفة قد وارت شمائله \* غبراء ملحدة في جؤلها زورُ  
 أضحي بنوه وقد جلت مصيبتهم \* مثل النجوم هوى من بينها القمرُ  
 كانوا جميعاً فلم يدفع منيته \* عبد العزيز ولا روح ولا عمرُ

ومن هلك أيام الوليد بن عبد الملك زياد بن حارث التميمي الدمشقي ، كانت داره غربي قصر الثقفين ، روى عن حبيب بن مسلمة النهري في النهي عن المسألة لمن له ما يفسديه ويعشيه ، وفي النفل . ومنهم من زعم أن له محبة ، والصحيح أنه تابعي . روى عنه عطية بن قيس ومكحول ويونس ابن ميسرة بن حابس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجحول ، ووثقه النسائي وابن حبان ، روى ابن عساکر أنه دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرجت الصلاة ، فقال : والله ما بعث الله نبيا بعد محمد -س- ، أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأخذ فأدخل الخضراء فقطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

#### عبدالله بن عمر بن عثمان

أبو محمد ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً كثير المعروف جواداً ممدحاً والله أعلم .

#### خلافة سليمان بن عبد الملك

بربع له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك . وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طاوعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة ، وقد أنشد في ذلك جرير وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانعقدت البيعة إلى سليمان ، بخافة قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه ، فمز له سليمان وولى على إمرة المراق ثم خراسان يزيد بن المهلب ، فأعاده إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاينة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . ولسبع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء ، وقد

كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة كتب إليه كتاباً يميزه في أخيه ، وهنئه بولايته ، ويدكر فيه بلاءه وعنايه وقتاله وهيبته في صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه ، وأنه له على مثل ما كان للوليد من الطاعة والنصيحة ، إن لم يعزله عن خراسان ، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب ، ثم كتب كتاباً ثانياً يذكر ما فعل من القتال والفتوحات وهيبته في صدور الملوك والأعاجم ، ويسمى يزيد بن المهلب أيضاً ، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد ليخلعن سليمان عن الخلافة ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان بالكلمة ، وبعث بها مع البريد وقال له : ادفع إليه الكتاب الأول ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثالث ، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول - واتفق حضور يزيد عند سليمان - دفعه إلى يزيد فقرأه ، فناوله البريد الكتاب الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فناوله البريد الكتاب الثالث فقرأه فإذا فيه التصريح بعزله وخلعه ، فتغير وجهه ، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد ، وأمر بانزال البريد في دار الضيافة ، فلما كان من الليل بعث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهباً وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان ، وأرسل مع ذلك البريد بريداً آخر من جهته ليقرره عليها ، فلما وصلا بلاد خراسان بلغهما أن قتيبة قد خلع الخليفة ، فدفع بريد سليمان الكتاب الذي معه إلى بريد قتيبة ، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان .

### مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته ، وذكر لهم همتهم وفتوحه وعمله فيهم ، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم ، فلما فرغ من مقاتله لم يجهه أحد منهم إلى مقاتله ، فشرع في تأنيبهم وذمهم ، قبيلة قبيلة ، وطائفة طائفة ، ففضبوا عند ذلك ونفروا هتفه وتفرقوا ، وعملوا على مخالفته ، وسعوا في قتله ، وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سود ، فجمع جمعاً كثيرة ، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذى الحجة من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته ، ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن يعمد بن زرارة ، فحتمته أخواله ، وعمرو بن مسلم كان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح ويسار ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم قتلهم كلهم وكيع بن سود .

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي ، من سادات الأمراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان وذوى الحروب والفتوحات السعيدة ، والآراء الحميدة ، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيه إلا الله ، فأسلموا وادانوا لله عز وجل ،

وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئا كثيراً كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً ، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا يجيب تعب وجهاده .

ولكن زل زلة كان فيها حنفة ، وفعل فعلة رغم فيها أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته ، ويضاعف به حسناته ، والله يسامحه ويعفو عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء ، وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذى الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مسلم فبمن قتل مع مصعب بن الزبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، واستفاد وأفاد فيها خيراً كثيراً ، وقد رثاه عبد الرحمن بن جمانه الباهلي فقال : -

كان أبا حفص قتيبة لم يسر \* بجيش إلى جيش ولم يعل منبراً  
ولم تحقق الرايات والقوم حوله \* وقوف ولم يشهد له الناس عسكرياً  
دعته المنايا فاستجاب لربه \* وراح إلى الجنات عفواً مطهراً  
فا رزى الإسلام بعد محمد \* بمثل أبي حفص فبكيه عبيراً  
ولقد بالغ هذا الشاعر في بينته الأخير . وعبره ولد له . وقال الطرماح في هذه الرقعة التي قتل

فيها على يد وكيع بن سود :

لولا فوارس مدحج ابنة مدحج \* والازد زعزع واستبيح العسكر  
وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب \* منهم إلى أهل العراق مخبر  
واستضمت عقداً للجماعة وازدرى \* أمر الخليفة واستحل المنكر  
قوم هو قتلوا قتيبة عنوة \* والخيل جاعحة عليها العشير  
بالمرج مرج الصين حيث تبينت \* مضر العراق من الأعز الأ أكبر  
إذ حلفت جزعاً ربيعة كلها \* وتفرقت مضر ومن يشمض  
وتقدمت ازد العراق ومدحج \* للموت بجمعها أبوها الأكبر  
فحطان تضرب رأس كل مدحج \* نحمي بصارهن إذ لا تبصر  
والازد تعلم أن نحت لوانها \* ملكاً قواسية وموت أحمر  
فبزمنا نصر النبي محمد \* وبنا تثبت في دمشق المنبر

وقد بسط ابن جرير هذه القصيدة بسطاً كثيراً وذكر أرقاماً كثيرة جداً . وقال ابن خلكان

وقال جرير يرثي قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه ، وأكرم مثواه وعفا عنه :

نتمت على قتل الأمير ابن مسلم \* وأنتم إذا لا قيم الله أندم

لقد كنتم من غزوه في غنيمة \* وأنتم لمن لاقيم اليوم مفتم  
 على أنه أفضى إلى حورجنة \* وتطبق بالبلوى عليكم جهنم  
 قال : وقد ولي من أولاده وذريته جماعة الأمرة في البلدان ، فهم عمر بن سعيد بن قتيبة بن  
 مسلم وكان جواداً ممدحا ، زناه حين مات أبو عمرو وأشجع بن عمرو والسلي المرى نزيل البصرة ية قول :

مضى ابن سميدي حيث لم يبق مشرق \* ولا مغرب إلا له فيه ماح  
 وما كنت أدري ما فواضل كفه \* على الناس حتى غيبته الصفايح  
 وأصبح في الحد من الأرض ضيق \* وكانت به حياً تضيق الضحاضح  
 سأبكيك ما فاضت دموعي فان نفض \* فحسبك مني ما تبحر الجوانح  
 فما أنا من رزقي وإن جلت جازع \* ولا بسرور بعد موتك فارح  
 كأن لم يميت حتى سواك ولم تقم \* على أحد إلا عليك النوائح  
 لئن حسنت فيك المرائي وذكرها \* لقد حسنت من قبل فيك المدائح

قال ابن خلكان : وهي من أحسن المرائي وهي في الحاسة ، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيلة مرذولة  
 عند العرب ، قال : وقد رأيت في بعض الجمايع أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله أتسكافنا  
 دماؤنا ؟ قال : « نعم ا لو قتلت رجلا من باهلة لتنتك . » وقيل لبعض العرب : أسرك أن تسخل  
 الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك . وسأل بعض الأعراب رجلا من  
 أنت ؟ فقال : من باهلة ، فجعل يرثي له قال : وأزيدك أني لست من الصميم وإنما أنا من موالبيهم .  
 فجعل يقبل يديه ورجليه ، فقال : ولم تفعل هذا ؟ فقال : لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في  
 الدنيا إلا ليموضك الجنة في الآخرة .

ثم قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قرة بن شريك العبسي أمير مصر وحاكمها . قلت :  
 هو قرة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد ، وهو الذي بنى جامع الفيوم . وفيها حج بالناس  
 أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان هو الأمير على المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن  
 عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن  
 عبد الرحمن ، وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله الكندي ، وعلى قضائها  
 عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن سود  
 والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيها جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ، وفيها أمر ابنه داود على الصائفة ،

ففتح حصن المرأة ، قال الواقدي : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الواضحية ففتح الحصن الذي [ بناه ] الواضح صاحب الواضحية . وفيها غزا مسلمة أيضاً برجة ففتح حصوناً وبرجة وحصن الحديد وسررا ، وشق بأرض الروم . وفيها غزا عمر بن هبيرة الفزاري في البحر أرض الروم وشق بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، مع حبيب بن أبي عبيد الفهري ، وفيها ولي سليمان نيابة خراسان يزيد بن المهلب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سود لما قتل قتيبة بن مسلم وذريته ، بعث برأس قتيبة إلى سليمان فخطى عنده وكتب له بإمرة خراسان ، فبعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن ابن الأهمم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أسر يزيد بن المهلب في إمرة خراسان ، وينتقص عنده وكيع بن سود ، فسار ابن الأهمم - وكان ذا دهاء ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به حتى عزل وكيعا عن خراسان وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبعث بهده مع ابن الأهمم ، فسار في سبع حتى جاء يزيد ، فأعطاه عهد خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمائة ألف فلم يف بها ، وبعث يزيد ابنه مخلد بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فإن كان وكيع قد تعرض له وثار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع قبده وابعث به إلى ، فتقدم مخلد فأخذ وكيعاً فمات به وجسه قبل أن يجي أبوه ، فكانت إمرة وكيع بن أبي سود الذي قتل قتيبة تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد بن المهلب فقسلم خراسان وأقام بها ، واستناب في البلاد نواباً ذكروهم ابن جرير .

قال : ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان ، ولم يكن يومئذ مدينة بأبواب وصور ، وإتمامها جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له صول ، فنهول عنها إلى قلعة هناك ، وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأسروا وغنموا . قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن سود ، ووليا يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع العراق . ومن توفي فيها من الأعيان :

#### الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

أبو محمد القرشي الهاشمي ، روي عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليتهم غفر الله له ذنوبه » . وعن عبد الله بن جعفر عن علي في دعاء الكرب ، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين ، وعنه ابنه عبد الله وجماعة ، وفد على عبد الملك بن مروان فأكرمه ولفسه على الحجاج ، وأقره وحده على ولاية صدقة علي ، وقد ترجمه ابن عساکر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته ، قيل إن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة : إن الحسن بن الحسن كاتب

أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلده مائة ضربة ، وقفه للناس ، ولا تراني إلا قاتله . فأرسل خلفه فعلمه علي بن الحسين<sup>(١)</sup> كلمات الكرب فقلها حين دخل عليه ففجأه الله منهم ، وهي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم . توفي بالمدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزارى . وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لقربة إلى الله عز وجل ، فقال له الرجل : إنك تمزح ، فقال : الله ما هذا مني بمزح ولكنه الجدد . وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله ص : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ؟ . فقال : بلى ، ولو أراد اختلافة لخطب الناس فقال : أيها الناس اعلوا أن هذا ولي أمركم من بعدى ، وهو القائم عليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه على لكان أول من ترك أمر الله ورسوله ، وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا نقبل لكم توبة ، ويلكم غررتونا من أنفسنا ، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباه وأمه ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا إذ لم يلدونا بذلك قد ظللونا وكتبتوا عنا أفضل الأمور ، والله إنى لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين ، كما أنى لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين ، ويلكم أحبونا إن أظننا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

#### موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي

مولاهم ، كان مولى لامرأة منهم ، وقيل كان مولى لبنى أمية ، افتتح بلاد المغرب ، وغنم منها أموالاً لا تعد ولا توصف ، وله بها مقامات مشهورة هائلة ، ويقال إنه كان أعرج ، ويقال إنه ولد في سنة تسع عشرة ، وأصله من حبن التمر ، وقيل إنه من اراشة من بلى ، سبى أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق ، وكان اسم أبيه نصرأ فصر ، روى عن تميم الدارى ، وزوى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مسروق اليحصي ، وولى غزو البحر لماوية ، فغزى قبرص ، وبني هنالك حصوناً كما لماغوصة وحصن بانس وغير ذلك من الحصون التي بناها بقبرص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك لجأ موسى بن نصير لعبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز ، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جملة وزيراً عند أخيه بشر بن مروان .

وكان موسى بن نصير هنا ذا رأى وتدبير وحزم . خبرة بالحرب ، قال البغوى<sup>(٢)</sup> . ولى موسى ابن نصير إمارة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً مدناً وأقاليم ، وقد ذكرنا أنه  
(١) كذا بالأصول وقد تقدمت وفاة علي بن الحسين قبل هذا . (٢) في المصرية الفسوى .

افتتح بلاد الاندلس ، وهي بلاد ذات مدن وقرى وريف ، فسي منها ومن غيرها خلقاً كثيراً ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد ، وأما الآلات والمتاع والدواب فشئ لا يدرى ما هو ، وسي من الغلمان الحسان والنساء الحسان شيئاً كثيراً ، حتى قيل إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء ، وأسلم أهل المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، وكان إذا سار إلى مكان يحمل الأموال معه على العجل لكثرتها وعجز الدواب عنها

وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح في بلاد المغرب ، وقتيبة يفتح في بلاد المشرق ، فجزاها الله خيراً ، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، ولكن موسى بن نصير حظى بأشياء لم يحظ بها قتيبة ، حتى قيل إنه لما فتح الاندلس جاءه رجل فقال له : أبعث معي رجلاً حتى أذكك على كنز عظيم ، فبعث معه رجلاً فأتى بهم إلى مكان فقال : أحفروا ، وحفروا فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لوان حسنة ، فوجدوا هناك من اليواقيت والجواهر والزبرجد ما أمثهم ، وأما الذهب فشئ لا يبر عنه ، ووجدوا في ذلك الموضع الطنافس ، والطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب ، منظومة بالؤلؤ الغالي المتخمر ، والطنفسة منظومة بالجواهر المشتمن ، واليواقيت التي ليس لها نظير في شكلها وحسنها وصفاتها ، ولقد سمع يومئذ مناد ينادي لابرون شخصه : أيها الناس ، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا حذركم . وقيل إنهم وجدوا في هذا الكنز مائة سليمان بن داود التي كان يأكل عليها . وقد جمع أخباره وما جرى له في حروبه وغزواته رجل من ذريته يقال له أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيري .

وروى الحافظ ابن عساكر أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شئ رأيت في البحر ، فقال : انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة مختومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرت بواحدة منها فنقبت فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه ويقول : والذي أكرمك بالنبوة لأعود بمدها أفسد في الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال : إني لأرى بهاء سليمان وملكه ، فالسائح في الأرض فذهب ، قال : فأمرت بالثلاث البواق فرددن إلى مكانهن .

وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التي بقرب البحر المحيط الأخضر ، في أقصى بلاد المغرب ، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا يريق شرفاتها وحيطانها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها ، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ، فقيل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها ، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها ، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض ، فلم



يبلغوا أعلى سورها ، فأمر فصل سلام فصمدا عليها ، وقيل إنه أمر رجلا فصمدا على سورها ، فلما رأى ماني داخلها لم يملك نفسه أن ألقاها في داخلها فكان آخر العهد به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصمود إليها ، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علما ، ثم ساروا عنها قطعوها إلى بحيرة قريبة منها ، فقيل : إن تلك الجرار المذكورة وجدتها فيها ، ووجد عليها رجلا قائما ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوس في هذه البحيرة حينه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحداً خارجاً من هذه المدينة أو داخلها إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلا يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياما ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والمهدة على من ذكر ذلك أولاً .

وقد استدعى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث ، وتسعين حين أفضحوا بأفريقية ، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بين الناس مفرأهل الزمة عن المسلمين ، وفرق بين البهائم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضجيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ، ثم نزل فقيل له : ألا دعوت لأمر المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا نذكر فيه إلا الله عز وجل ، فسقام عز وجل لما قال ذلك . وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثيابا حسنة وهيئة حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون غلاما من أبناء الملوك الذين أسرمهم ، والأسبان ، وقد ألبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأهبة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخطب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة ، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر ، وأمر أولئك فوقفوا عن يمين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أيده به ووسع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصلى بالناس ، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئا كثيرا ، وكذلك موسى بن نصير قدم معه بشئ كثير ، من ذلك مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، التي كان يأكل عليها ، وكانت من خليطين ذهب وفضة ، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وجدها في مدينة طلبطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة . وقيل إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس ، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس أيضاً من البربر ، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الفئام أربعون ألف رأس قال الناس : إن هذا أحق ، من أين له أربعون ألف رأس . خمس الفئام ؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم ، ولم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب .

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال : ولو انقاد الناس لى لقتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى ، ولما قدم على الوليد قدم معه بثلاثين ألفاً من السبى غير ما ذكرنا ، وذلك خمس ما كان غنمه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف والآلى والجواهر ما لا يحد ولا يوصف ، ولم يزل مقيماً بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان عاتباً على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة . ولم يزل في يده حتى حجج بالناس سليمان في هذه السنة وأخذته معه فأتت بالمدينة ، وقيل برادى القرى ، وقد قارب الثمانين ، وقيل توفي في سنة تسع وتسعين فآله أعلم ورحمه الله وعفا عنه وفضله آمين .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

في هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وراه الجيش الذين هم بها ، فسار إليها ومعه جيش عظيم ، ثم التف عليه ذلك الجيش الذين هم هناك وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مدين من طعام ، فلما وصل إليها جمعوا ذلك فاذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم مسلة : أتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجودونه في بلادهم ، وازرعوا في أماكن الزرع واستغلوه ، وابتنوا لكم بيوتاً من خشب ، فإنا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتحها إن شاء الله . ثم إن مسلة داخل رجلاً من النصارى يقال له اليون ، وواطأه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصيح في بادئ الأمر ، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية ، فدخل إليون في رسالة من مسلة وقد خافته الروم خوفاً شديداً ، فلما دخل إليهم إليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا نخرج فأعمل الخيلة في الغدر والمكر ، ولم يزل قبحه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذي للمسلمين ، وذلك أنه قال لمسلة : إنهم ماداموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطاولهم في القتال ، فلو أحرقته لتحققوا منك العزم ، وسلموا إليك البلد سريعاً ، فأمر مسلة بالطعام فأحرق ، ثم انشمر إليون في السفن وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش في الليل ، وأصبح وهو في البلد محارباً للمسلمين ، وأظهر العداوة الأكيذة ، ونحصر واجتمعت عليه الروم ، وضاق الحال على المسلمين حتى أكلوا كل شيء إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، ففكر وراجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهداً شديداً ، لكن لم يرجع مسلة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية شديد البناء محكماً ، رحب الفناء شاهقاً في السماء .

وقال الواقدي : لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الاقامة ببيت المقدس ، ثم يرسل المساكين إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتيق والحصون ،

حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها ، فاذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويسلعوا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع مادونها من البلاد وفتحها عنوة ، ففنى ما فتحت فان باقى مادونها من البلاد والحصون بيدك ، فقال سليمان : هذا هو الراى ، ثم أخذ فى تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز فى البر مائة وعشرين ألفا ، وفى البحر مائة وعشرين ألفا من المقاتلة ، وأخرج لهم الأغطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثرية ، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والاقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصح . ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المطوعة المحتسبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ، ثم أمر مسلمة أن يرسل بالجيش وأخذ معه إليون الرومى المرعشى ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصروها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا : فابعث إلينا إليون نشاوره ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك وتملكك علينا ، فرجع إلى مسلمة : فقال : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تنحى عنهم ؛ فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، فخلف له أنه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها ، فلما تنحى عنهم أخذوا فى ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار . وغدر إليون بالمسلمين قبجه الله .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك ، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب ، و تربص بأخيه الدوائر ، فمات أيوب فى حياة أبيه ، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، وأنهم ما فعل . وفيها فتحت مدينة الصقالبة . قال الواقدي : وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو فى قلة من الناس فى هذه السنة . فبعث إليه سليمان جيشا فقاتل البرجان حتى هزمهم الله عز وجل . وفيها غزا يزيد بن المهلب قهستان من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالا شديدا ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبياً ، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتعة مالا يحصى ولا يوصف كثرة وقيمة وحسنا ، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم ، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقاتلوه ، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجمعى - وكان فارسا شجاعا باهراً - على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوماً بعض فرسان الترك ، فضربه التركى بالسيف على البيضة فنشب فيها ، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دما وسيف التركى ناشب فى

خودته ، فنظر إليه يزيد بن المهلب فقال : ما رأيت منظرأ أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا :  
 ابن أبي سبرة . فقال : نعم الرجل لولا انهما كه في الشراب . ثم صمم يزيد على محاصرة جرجان ،  
 وما زال يضيق على صاحبها حتى صلحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف دينار ، ومائتي ألف  
 نوب ، وأربعمائة حمار موقرة زعفرانا ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس ، على الترس طيلسان  
 وجام من فضة وسرفة من حرير ، وهذه المدينة كان سعيد بن العاص فيها فتحها صلحا على أن  
 يحملوا الخراج في كل سنة مائة ألف ، وفي سنة مائتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمائة ألف ،  
 ويتمون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا جملة وكفروا ، فغزاهم يزيد بن المهلب وردها صلحا  
 على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص . قالوا : وأصلب يزيد بن المهلب من غيرها أموالا  
 كثيرة جدا ، فكان من جملةا تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحدا يزهد في هذا ؟ قالوا :  
 ذنلمه ، فقال : والله إنى لأعلم رجلا لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهده فيه ، ثم دعا بمحمد بن  
 واسع - وكان في الجيش مغازيا - ففرض عليه أخذ التاج فقال : لاجابة لي فيه ، فقال : أقسمت  
 عليك لتأخذنه ، فأخذته وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلا أن يقبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج ،  
 فر بسائل فطلب منه شيئا فأعطاه [ التاج ] بكاله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ  
 منه التاج وعوضه عنه مالا كثيرا

وقال علي بن محمد المدائني قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب  
 فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فيها مائة دينار ، فسأله عنها فقال : نعم وأحضرها ، فقال له يزيد : هي لك ،  
 ثم استدعى الذي وشى به فشنمه ، فقال في ذلك التقاطي الكلبى ، ويقال إنها لسنان بن مكمل الغيمرى  
 لقد باع شهر دينة بخريطة \* فن يامن القراء بمك يا شهر  
 أخذت به شيئا طفيفا وبعته \* من ابن جوبوذان هذا هو الغدر  
 وقال مرة بن النخعي :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ \* لولاك كان كصالح القراء

قال ابن جرير : ويقال إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة ألف وعشرين ألفا ،  
 منهم ستون ألفا من جيش الشام أطلبهم الله ، وقد تمهدت تلك البلاد بفتح جرجان وسلكت الطرق ،  
 وكانت قبل ذلك مخوفة جدا ، ثم عزم يزيد على المسير إلى خوزستان ، وقدم بين يديه سرية هي أربعة  
 آلاف من سراة الناس ، فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف  
 إن الله وإنا إليه راجعون . ثم إن يزيد عزم على فتح البلاد لا محالة ، وما زال حتى صلحه صاحبها -  
 وهو الاصهيد - بمال كثير ، سبعمائة ألف في كل عام ، وغير ذلك من المتاع والرقيق . ومن توفى فيها

عبدالله بن عبدالله بن عتبة

من الأعيان :

كان إماماً حجة ، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز ، وله روايات كثيرة عن جماعات من الصحابة .  
أبو الحنفى النخعي . عبد الله بن محمد بن الحنفية . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله سبحانه  
وتعالى أعلم . ثم دخلت سنة تسع وتسعين

فيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر مضين ، وقيل بقين من صفر  
منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل عن ثلاث وأربعين ، وقيل إنه لم يجاوز الأربعين . وكانت  
خلافته سنتين وثمانية أشهر ، وزعم أبو أحمد الحاكم أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقية من رمضان  
منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون  
سنة ، والصحيح قول الجمهور وهو الأول ، والله أعلم .

وهو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي  
الأموي ، أبو أيوب . كان مولده بالمدينة في بني جذيلة ، ونشأ بالشام عند أبيه ، وروى الحديث عن  
أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الافك ، رواه ابن عساکر من طريق ابنه عبد الواحد  
ابن سليمان عنه ، وروى عن عبد الرحمن بن هنيدي أنه صحب عبد الله بن عمر إلى الغابة قال فسكت  
فقال لي ابن عمر : مالك ؟ فقال : إني كنت أتمنى . فقال ابن عمر : فأتتمى يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال  
لي : لو أن لي أحداً هنا ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك ، أو قال : ما خشيت أن  
يضر بي . رواه محمد بن يحيى الذهلي عن أبي صالح بن الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن  
الزهري عنه

قال ابن عساکر : وكانت داره بدمشق موضع ميضأة جيرون الآن في تلك المساحة جميعها ،  
وبنى داراً كبيرة مما يلي باب الصغير ، موضع الدرب المعروف بدرب محرز ، وجعلها دار الإمارة ،  
وعمل فيها قبة صفراء تشبهها بالقبة الخضراء ، قال : وكان فصيحاً مؤثراً للعدل مجاباً للفرز ، وقد أنفذ  
الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحهم على بناء الجامع بها .

وقد روى أبو بكر الصولي أن عبد الملك جمع بنيه ، الوليد وسليمان ومسلمة ، بين يديه فاستقرأهم  
القرآن فأجادوا القراءة ، ثم استنشدهم الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم يكلموا أو يحكموا شعر الأعشى ،  
فلامهم على ذلك ، ثم قال : لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قاله العرب ولا ينحش ، هات  
يا وليد ، فقال الوليد :

ما ركب وركوب الخليل يعجبني • كمركب بين دملوح وخلخال

فقال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرق من هذا ؟ هات يا سليمان ، قال :

حببتنا رجعت يديها إليها \* في يدي درعها نحل الأزارا  
فقال : لم تصب ، هات يا مسلة ، فأنشده قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضربني \* بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال : كئيب امرؤ القيس ولم يصب ، إذا ذرفت عينها بالوجد فما بقي إلا اللقاء ، وإنما يلينى  
للماشق أن يفتضى<sup>(١)</sup> منها الجفاء ويكسوها المودة ، ثم قال : أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام فمن  
أتاني به فله حكمة ، أي مهما طلب أعطيته ، فتهضوا من عنده فبينما سليمان في موكب إذا هو بأعرابي  
يسوق إبله وهو يقول :

لوضربوا بالسيف رأسي في مودتها \* لمال يهوي سريعاً نحوها راسي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتكم بما سألت ، فقال : هات ،  
فأنشده البيت فقال : أحسنت ، وأنى لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، فقال : سل حاجتك ولا تنس  
صاحبك . فقال : يا أمير المؤمنين إنك عهدت بالأمر من بعدك للوليد ، وإني أحب أن أكون ولياً  
المهد من بعده ، فأجابه إلى ذلك ، وبعثه على الحج في إحدى وثمانين ، وأطلق له مائة ألف درهم ؛  
فأعطاهما سليمان لذلك الأعرابي الذي قال ذلك البيت من الشعر ، فلما مات أبوه سنة ست وثمانين  
وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كالوزير والمشير ، وكان هو المستحث على عمارة جامع  
دمشق ، فلما توفى أخوه الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، كان  
سليمان بالرملة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس ، وقيل إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه  
هناك ، وعزم على الإقامة بالقدس ، وأتته الوفود إلى بيت المقدس ، فلم يروا وفادة هناك ، وكان يجلس  
في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ، وتجلس أكبر الناس على الكراسي ، وتقسـم  
فيهم الأموال ، ثم عزم على الحجى إلى دمشق . فدخلها وكل عمارة الجامع .

وفي أيامه جددت المنصورة وأخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً ، وقال له :  
إننا قد ولينا ماترى وليس لنا علم بتدبيره ، فما رأيت من مصلحة العامة فر به فليكتب ، وكان من  
ذلك عزل نواب الحجاج وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرا ، وبذل الأعطية بالعراق ،  
ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور حسنة كان يسمها  
من عمر بن عبد العزيز ، وأمر بفنزو التسلطنينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر  
نحواً من مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، وبعث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر  
عليهم عمر بن هبيرة ، وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلة ، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك

(١) يفتضى الجفاء أي يفتض عنه . ولعله « يفتضى » بمعنى يخلص ، في مقابل قوله « ويكسوها »

في جماعة من أهل بيته ، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير ، حين قسم عليه من بلاد المغرب ،  
والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي عن جابر بن عون الأسدي . قال :  
أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال : الحمد لله الذي ماشاء صنع وماشاء  
رفع وماشاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومنزلة باطل ، وزينة قلب ،  
تضحك باكيا وتبكي ضاحكا ، وتخيف آمنسا وتؤمن خائفسا ، تفقر مثر بها ، وتثرى فقيرها ، مبالاة لاعة  
بأهلها . يا عباد الله اتقنوا كتاب الله إماما ، وارضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخ لما  
قبله ، ولن يفسخه كتاب بعده . اعلوا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائننه كما  
يجلو ضوء الصبح إذا تنفس أدمار الليل إذا عمس . وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن  
أبي معشر عن محمد بن قيس قال : سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على  
سائر الكلام كفضل الله على خلقه . وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن  
عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته : وإنما أهل الدنيا على رحيل ، لم تمض لهم نية  
ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وهم على ذلك ، كذلك لا يدوم نعمها ، ولا تؤمن بجامها ولا  
تبقى من شر أهلها ثم يتلو [ أفرأيت إن متنعنا سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا  
يمتنون ] وروى الأصبغى أن نقش خاتم سليمان [ كان ] : آمنت بالله مخلصا ، وقال أبو مسهر عن أبي  
مسلم سلمة بن العيار الفزاري . قال : كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك ، ويقول :  
افتتحه خلقته بخير وختمها بخير ، افتتحها بإجابة الصلاة لمواقبتها ، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز .  
ثم أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حجج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة ، قال المهين  
ابن عدي قال الشعبي : حجج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالوسم قال لعمر بن عبد العزيز :  
ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ، فقال : يا أمير المؤمنين  
هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم غدا خصاؤك عند الله ، فبكي سليمان بكاء شديدا ثم قال : بالله أستعين .  
وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا جرير عن عطاء بن السائب . قال : كان عمر بن  
عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة ، حتى  
فزعوا لذلك ، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ؟ أما ترى ما نحن  
فيه ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمة فيها شدا ما ترى ، فكيف بأثار سخطه وغضبه ؟  
ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله : الصمت منام العقل والنطق يقظته ، ولا يتم هذا إلا بهذا . ودخل  
عليه رجل فكلمه فأعجبته منطقتهم فتم ففتشه فلم يجد عقله ، فقال : فضل منطلق الرجل على عقله خدعة ،

وفضل عقله على منطقته هجته ، وخير ذلك ما أشبهه بمضه بهضاً وقال : العاقل أحرص على إقامة لسانه  
منه على طلب معاشه ، وقال أيضاً : إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل  
من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن . ومن شعره يتسلى عن صديق له مات فقال :  
وهو ن وجدى فى شرا حبل أنى \* متى شئت لاقيت امرءاً مات صاحبه  
ومن شعره أيضاً :

ومن شيعى ألا أفارق صاحبي \* وإن ملئى إلا سألت له رُشداً  
وإن دام لي بالودر دمت ولم أكن \* كأنخز لا برعى ذماماً ولا عهداً

وسمع سليمان ليلة صوت غناه في معسكره فلم يزل يفحص حتى أتى بهم ، فقال سليمان : إن الفرس  
ليسهل فتستودق له الرمكة ، وإن الجمل ليهدر فتضبيع له الناقة ، وإن التيس لينب فتستخذى له  
العزرو إن الرجل ليتنتى فتشاقق له المرأة ، ثم أمر بهم فقال : اخصوم ، فيقال إن عمر بن عبد العزيز  
قال : يا أمير المؤمنين إنها مثلة ، ولكن انفهم ، فنظام . وفي رواية أنه خصى أحدهم ، ثم سأل عن  
أصل الغناء فقيل إنه بالمدينة ، فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن حزم يأمره أن يخصى من  
عنده من المنين الخنثين .

وقال الشافعي : دخل أعرابي على سليمان فدعا إلى أكل الفالودج وقال له : إن أكلها يزيد في  
الدماغ فقال : لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل [ رأس ] البغل .  
وذكروا أن سليمان كان نهما في الأكل ، وقد نقلوا عنه أشياء في ذلك غريبة ، فمن ذلك أنه اصطبح  
في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كلوة بشحمها ، وثمانين جردقة ، ثم أكل مع  
الناس على العادة في السباط العام <sup>(١)</sup> . ودخل ذات يوم بستانا له وكان قد أمر قيمه أن يجنى ثماره ،  
فدخله ومعه أصحابه فأكل القوم حتى ملوا ، واستمر هو يأكل أكلا ذريسا من تلك الفواكه ، ثم  
استدسى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على أكل الفسافة ، ثم أتى بدجاجتين فأكلهما ، ثم عاد إلى  
الفاكهة فأكل منها ، ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوفاً وسوقاً وممناً وسكرأ فأكله ثم عاد إلى دار  
الخلافة . وأتى بالسباط فافقدوا من أكله شيئاً <sup>(٢)</sup> . وقد روى أنه عرضت له حى عقب هذا الأكل أدته  
إلى الموت ، وقد قيل إن سبب مرضه كان من أكل أر بمائة بيضة وسلتين تيناً فأنه أعلم .

وذكر الفضل بن أبي المهلب أنه لبس في يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء .

(١) هذا وامثاله من مبالغات الاعاجم التي كانوا يتقربون بها إلى بني العباس . وسيأتي في ص ١٨٣  
أن سليمان رحمه الله أنه كان نحيفاً جميلاً ، وهي صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه (٢) الذي اخترع هذه  
الأكادييب لئسى أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها ، وقد قيل إذا كنت كئوباً فكن ذكوراً .



واعتم بعمامة خضراء وجلس على فراش أخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة ، ثم نظر في المرأة فأعجب  
 حسنه ، وشمر عن ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب ، وقيل إنه كان ينظر في المرأة من فرقة إلى قدمه  
 ويقول : أنا الملك الشاب ، وفي رواية أنه كان ينظر فيها ويقول : كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً  
 وكان عمر فاروقا ، وكان عثمان حبيباً ، وكان علي شجاعاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان  
 عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب . قالوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر ، وفي  
 رواية جمعة ، حتى مات . قالوا : ولما حم شرع يتوضأ فذنا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى \* غير أن لا بقاء للإنسان  
 أنت خلوة من الميوب وما \* يكره الناس غير أنك فان

قالوا : فصاح بها وقال : عزتني في نفسي ، ثم أمر خاله الوليد بن العباس القمقاع العنسي<sup>(١)</sup> أن  
 يصب عليه وقال :

قرب وضوءك يا وليد فأنما \* دنياك هذى بلغة ومتاع  
 فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً \* فالدهر فير فرقة وجعاع

ويروى أن الجارية لما جاءت به بالطست جعلت تضطرب من الحمى ، فقال : أين فلانة ؟ فقالت :  
 محومة ، قال : فلانة ؟ قالت : محومة ، وكان بمرج دابق من أرض قيسرين ، فأمر خاله فوضأه ثم خرج  
 يصلي بالناس فأخذته بحة في الخطبة ، ثم نزل وقد أصابته الحمى فمات في الجمعة المقبلة ، ويقال : إنه  
 أصابه ذات الجنب فمات بها رحمه الله .

وكان قد أقسم أنه لا يبرح بمرج دابق حتى يرجع إليه الخبر بفتح القسطنطينية ، أو يموت قبل  
 ذلك ، فمات قبل ذلك رحمه الله وأكرم مثواه ، قالوا : وجعل يلمح في مرضه ويقول :

إن بنى صغاراً \* أفلح من كان له كباؤ

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ، ثم يقول

إن بنى صبية صفيون \* قد أفلح من كان له ربيون

ويروى أن هذا آخر ما تكلم به ، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك منقلباً كريماً ،  
 ثم قضى . وروى ابن جرير عن رجاء بن حيوة - وكان وزير صدق لبني أمية - قال : استشارني  
 سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولي له ابناً صغيراً لم يبلغ الحلم ، فقلت : إن مما يحفظ الخليفة  
 في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، فقلت : إنه غائب  
 عنك بالقسطنطينية ولاندري أحى هو أو ميت ، فقال : من ترى ؟ فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين ،

قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ قلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله ، ولكن أتخوف عليه إخوتك أن لا يرضوا بملك ، فقال : هو والله على ذلك وأشار رجال<sup>(١)</sup> أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بملك بنومروان ، فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، إلى قد وليته الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطع فيكم عدوكم . وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العنسي صاحب الشرطة ، فقال له : اجمع أهل بيتي فرم فليبايعوا على ماني هذا الكتاب مختوما ، فن أبى منهم ضرب عنقه . فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلموا على أمير المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتاب عهدى إليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه ، فبايعوا لتلك رجلاً رجلاً ، قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستغفبه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ، فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً . قال : ولقيه هشام بن عبد الملك فقال : يارجاء إن لي بك حرمة ومودة قديمة ، فأخبرني هذا الأمر إن كان لي علمت ، وإن كان لعنيري فما مثلي قصر به عن هذا . فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرّه إلى أمير المؤمنين ، قال رجاء : ودخلت على سليمان فاذا هو يموت ، فجمعت إذا أخذته السكرة من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة ، فاذا أفاق يقول : لم يأن لذلك بعد يارجاء ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يارجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فحرفته إلى القبلة فأت رحمه الله . قال : ففطيت به بقطيعة خضراء وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حامد فجمع الناس في مسجد دابق ، فقلت : بايعوا لمن في هذا الكتاب ، فقالوا : قد بايعنا ، فقلت : بايعوا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تنبهرت وجوه بني مروان ، فلما قرأت وإن هشام بن عبد الملك بعده ، تراجعوا بعض الشيء . وتنادى هشام لا نبأ به أبداً ، فقلت : أضرب عنقك والله ، قم فبايع ، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه فأصمده على المنبر ، فسكت حيناً ، فقال : رجاء بن خبوة : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فبايعوه ، فنهض القوم فبايعوه ، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال عمر : نعم إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صهرت أنا وأنت

(١) في المصرية : وأشار سليمان بن رجاء . ولعله : وأشار رجاء .

تتنازع هذا الأمر. ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة ويايعوه، فكان مما قال في خطبته: أيها الناس، إني لست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل، فأخذوا في جهاز سليمان، قال الأوزاعي: فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب، فلما انصرف عمر أتى بمرآة الخلافة [فأبى أن يركبها] وركب دابته وانصرف مع الناس حتى أتوا دمشق، فوالوا: بنحو دار الخلافة فقال: لا أنزل إلا في منزلي<sup>(١)</sup> حتى تفرغ دار أبي أيوب، فاستحسنوا ذلك منه، ثم استدعى بالكاتب فجعل يعلو عليه نسخة الكتاب الذي يباع عليه الأمصار، قال رجاء: فما رأيت أفصح منه.

قال محمد بن إسحاق: وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدايق من أرض قنسرين يوم الجمعة لمشر ليال خلت من صفر سنة تسع وتسعين، على رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من متوفى الوليد، وكذا قال الجمهور في تاريخ وفاته، ومنهم من يقول: لمشر بقين من صفر، وقالوا: كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر، زاد بعضهم إلا خمسة أيام والله أعلم. وقول الحاكم أبي أحمد: إنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقين من رمضان سنة تسع وتسعين، حكاه ابن عساكر، وهو غريب جداً، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله، وعندما أنه جاوز الأربعين فقبل بثلاث وقيل بخمس والله أعلم. قالوا: وكان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً، حسن الوجه، مقرون الحاجبين، وكان فصيحاً بليغاً، يحسن العربية ويرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله، واتباع القرآن والسنة، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله، وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - ودابق قريبة من بلاد حلب - لما جهز الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية، أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت، فمات هنالك كما ذكرنا، فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله، فهو إن شاء الله ممن يجرى له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي ما مضونه: إن مسلمة ابن عبد الملك لما ضيق محاصرته على أهل القسطنطينية، وتقبع المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان<sup>(٢)</sup> يستنصره على مسلمة، ويقول له: ليس لهم (١) كان منزله في موضع مدرسة السمساطية الآن مما يلي باب مسجد بني أمية الشمالي. أما قصر الخلافة الذي يسمى (الدار الخضراء) فكان وراء الجدار القبلي من مسجد بني أمية. ويسمى موضعه الآن (المصبغة الخضراء) (٢) الأرجح أنهم أمة البلغار، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية.

همة إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم فالأقرب ، وإنيهم متى فرغوا مني خلصوا إليك ، فهما كنت صالماً حينئذ فاصنمه الآن ، فعند ذلك شرع لعنه الله في المكر والخديعة ، فكتب إلى مسleme يقول له : إن ابون كتب إلى يستنصرني عليك ، وأنا معك فرتني بما شئت . فكتب إليه مسleme : إني لا أريد منك رجالا ولا عدداً ، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قل ما عندنا من الأزواد . فكتب إليه : إني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من يقتلها ويشتري منها . فأذن مسleme لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه ، فذهب خلق كثير فوجدوا هنالك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ، فأقبلوا يشترون ، واشتغلوا بذلك ، ولا يشرون بما أرصد لهم الخبيث من السكان بين تلك الجبال التي هنالك ، فخرجوا عليهم بدة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين ، وما رجع إلى مسleme إلا القليل منهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، فكتب مسleme بذلك إلى أخيه سليمان بن جبرود بما وقع من ذلك ، فأرسل جيشاً كثيراً صحبة شراحيل بن عبيدة هذا ، وأمرهم أن يهروا خليج القسطنطينية أولاً فيقتلوا ملك البرجان ، ثم يعودوا إلى مسleme ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك الخيلجان ، فاقتلوا معهم قتلاً شديداً ، فمزهم المسلمون بأذن الله ، وقتلوا منهم مائة عظيمة ، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً ، وخلصوا أسرى المسلمين ، ثم تجوزوا إلى مسleme فكانوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم ، ومن ضيق العيش ، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة أنابهم الله .

## خليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قد تقدم أنه بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر مضين ، وقد قيل بعين من صفر من هذه السنة - أعني سنة تسع وتسعين - يوم مات سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قدمنا ، وقد ظهرت عليه مخايل الورع والدين والتعشف والصيانة والنزاهة ، من أول حركة بدت منه ، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وهي الخيول الحسان الجياد المعدة لها ، والاجتزاء بركوبه الذي كان يركبه ، وسكنى منزله رغبة عن منزل الخلافة ، ويقال إنه خطب الناس فقال في خطبته : أيها الناس ، إن لي نفساً تواقفة لا تعطى شيئاً إلا تافت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أعطيت الخلافة تافت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فأعينوني عليها برحمة الله . وستأني ترجمته عند وفاته إن شاء الله ، وكان مما بادر إليه عمر في هذه السنة أن بعث إلى مسleme بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وهم بأرض الروم محاصرو القسطنطينية ، وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال ، لأنهم عسكر كثير ، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى الشام إلى منازلهم . وبعث إليهم بطعام كثير وخبول كثيرة عناق ، يقال خمسمائة فرس ، وفرح الناس بذلك ،

وفيهما أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، فوجه إليهم عمر حاتم بن  
الذهمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وبعث منهم أسارى إلى عمر وهو  
بمخاضة . وقد كان المؤذنون يذكرونه بعد أذانهم باقتراب الوقت وضيقة لئلا يؤخرها كما كان يؤخرها  
من قبله ، لكثرة الأشغال ، وكان ذلك عن أمره لهم بذلك والله أعلم . فرؤى ابن عساكر في ترجمة  
جرير بن عثمان الرحبي الحمصي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلمون عليه في الصلاة : السلام  
عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، الصلاة قد قاربت .

وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وبعث عدي بن أرطاة الفزاري  
على إمرة البصرة ، فاستقضى عليها الحسن البصري ، ثم استعفاه فأعفاه ، واستقضى مكانه إياس بن  
معاوية الذكي المشهور ، وبعث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن  
الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشمي . قال الواقدي : فلم يزل  
قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي ،  
وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن  
عمر بن حزم ، وهو الذي حجج بالناس في هذه السنة ، وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة  
وولى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن  
أبي جعفر ، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس ، واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن  
عبد الله الحزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر والله  
سبحانه وتعالى أعلم . وعمن توفي فيها من الأعيان :

#### الحسن بن محمد بن الحنفية

تابي جليل ، يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفي في سنة  
خمس وتسعين . وذكر خليفة أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا الذهبي في  
الاعلام أنه توفي هذا العام ، والله أعلم .

#### عبد الله بن محيرز بن جنادة بن عبيد

القرشي الجهمي المكي ، نزيل بيت المقدس ، تابي جليل ، روى عن زوج أم أبي مخنفورة  
المؤذن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد ، ومعاوية ، وغيرهم ، وعنه خالد بن معدان ، ومكحول ،  
وحسان بن عطية ، والزهري ، وآخرون . وقد وثقه غير واحد ، وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى  
قال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فانا نفخر عليهم بعابدهم عبد الله  
ابن محيرز . وقال بعض ولده : كان يحتم القرآن كل جمعة ، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه ،

قالوا : وكان صموئنا معتزلاً للفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصاله الحمودة ، ورأى علي بن بعض الأمراء حلة من حرير فأذكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء . وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين - فقال له ابن محيريز : لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين . وقال الاوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فان الله لا يضل أمة فيها مثله . قال بعضهم : توفي أيام الوليد ، وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام ، والله سبحانه أعلم .

دخل ابن محيريز مرة حائوت بزاز ليشترى منسه ثوباً فرفع في السوق ، فقال له جاره : ويحك هذا ابن محيريز ضع له ، فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال : اذهب بنا ، إنما جئت لئشترى بأموالنا لا بأدياننا ، فذهب وتركه .  
**محمود بن لبيد بن عقبة**

أبو نعيم الأنصاري الأشعري ولد في حياة النبي (س) ، وروى عنه أحاديث لا يمكن حكمها حكم الارسال . وقال البخاري : له صحبة . وقال ابن عبد البر : هو أحسن من محمود بن الربيع . قيل إنه توفي سنة ست وقيل سبع وتسعين ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم باليقين  
**نافع بن جبير بن مطعم**

ابن عدى بن نوفل القرشي النوفلي المدني ، روى عن أبيه وعثمان وعلي والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم ، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وكان ثقة عابداً يحنج ماشياً ومركوباً يقاد معه ، قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة .

#### كريب بن مسلم

مولي ابن عباس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان عنده حمل كتب ، وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة .

#### محمد بن جبير بن مطعم

كان من علماء قریش وأشرفها ، وله روايات كثيرة ، وكان يعقل بحجة مجها النبي (س) ، في وجهه وعمره أربع سنين ، توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة .

#### مسلم بن يسار

أبو عبد الله البصري ، الفقيه الزاهد ، له روايات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً كثير الصلاة كثير الخشوع ، وقيل إنه وقع في داره حريق فأطفاؤه وهو في الصلاة لم يشعر به ، وله مناقب كثيرة رحمه الله . قلت : وانهدمت مرة ناحية من المسجد ففرع أهل السوق لهبتها ، وإنه لفي المسجد في صلاته فما التفت . وقال ابنه : رأيته ساخبداً وهو يقول متى ألقاك

وأنت عنى راض ، ثم يذهب فى الدعاء ، ثم يقول : متى ألتك وأنت عنى راض ، وكان إذا كان فى غير صلاة كأنه فى الصلاة ، وقد تقدمت ترجمته

### حنش بن عمرو الصنعاني

كان والى إفريقية وبلاد المغرب ، وبإفريقية توفى غازياً ، وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة .

### خارجة بن زيد

ابن الضحاك الأنصارى المدنى الفقيه ، كان يقضى بالمدينة ، وكان من فقهاها المدودين ، كان علماً بالفرائض وتقسيم الموارث ، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم .

### سنة مائة من الهجرة النبوية

قال الامام أحمد : حدثنا على بن حفص أنبأ ورقاء عن منصور عن المنهال بن عمرو عن نعيم بن دجاجة قال : دخل ابن مسعود على على فقال : أنت القائل قال رسول الله -س- : « لا يأتى على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة » ؟ إنما قال رسول الله -س- : « لا يأتى على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة من هوى ، وإن رخاء هذه الأمة بعد المائة » . تفرد به أحمد . وفي رواية لابنه عبد الله أن علياً قال له : يافروخ أنت القائل لا يأتى على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف من هوى اليوم ، وإنما رخاء هذه الأمة وفرحها بعد المائة ؟ إنما قال رسول الله -س- : « لا يأتى على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف » . أخطأت أسنك الحفرة ، وإنما أراد من هو اليوم حى . تفرد به (١) وهكذا جاء فى الصحيحين عن ابن عمر ، فوهل الناس فى مقالة رسول الله -س- ، تلك ، وإنما أراد أنحرام قرنه وفيها خرجت خارجة من الحرورية بالبراق فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، يأمره بأن يدعوهم إلى الحق ، ويتلطف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا فى الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً فكسروهم الحرورية ، فبعث عمر إليه يلوهم على جيشه ، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم ، فأظفروهم الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج - وكان يقال له بسطام - يقول له : ما أخرجك على ؟ فإن كنت خرجت غضباً لله فأنا أحق بنك منك ، ولست أولى بذلك منى ، وهلم أنا ظرك ، فإن رأيت حقاً اتبعت ، وإن أبيت حقاً نظرنا فيه . فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر رجلين فسألهما : ماذا تنقون ؟ فقالا : جعلك بز يد بن عبد الملك من بعدك ، فقال : إني لم أجد له أبداً وإنما جعله غيرى . قال : فكيف رضى به أئمتنا للأمة من بعدك ؟ فقال : أنظرانى ثلاثة ، فيقال إن بنى أمية دست إليه مما قتلوه خشية أن يخرج الامر من أيديهم ويمتد بهم الأموال والله أعلم .

(١) كذا بالأصول . ولعله سقط منه لفظ « عبد الله بن أحمد »

وفيها غزا عمر بن الوليد بن هشام الميظلي ، وهو و بن قيس الكندي من أهل حمص ، الصائفة  
وفيها ولي عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الجزيرة فسار إليها . وفيها حل يزيد بن المهلب إلى عمر  
ابن عبد العزيز من العراق ، فأرسله هدي بن أوطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه ، وكان عمر يفيض  
يزيد بن المهلب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل على عمر طالبه بما  
قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها محاصلة عنده ، فقال : إنما كتبت ذلك لأرهب  
الأعداء ، بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت مكائفي عنده . فقال له عمر : لا أسمع  
منك هذا ، ولست أطلقك حتى تؤدي أموال المسلمين ، وأمر بسجنه . وكان عمر قد بعث على إمرة  
خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي عوضه ، وقدم ولد يزيد بن المهلب ، ومحمد بن يزيد ، فقال :  
يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد من على هذه الأمة بولايتك عليها ، فلا تكونن نحن أشقى الناس بك  
فلام تجبس هذا الشيخ وأنا أقوم له أتصالني عنه ؟ فقال عمر : لا أصلحك عنه إلا أن تقوم بجميع  
ما يطلب منه ، ولا تأخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين . فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت  
لك بينة عليه بما تقول ، وإلا فأقبل يمينه أو فصالحني عنه ، فقال : لا تأخذ منه إلا جميع ما عنده .  
فخرج محمد بن يزيد من عند عمر ، فلم يلبث أن مات محمد . وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم  
إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلب جبة صوف وبركب على بعير إلى جزيرة دهلك التي كان ينفي  
إليها الفساق ، فشفعوا فيه فرده إلى السجن ، فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب  
من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك ، وبذلك كتب إليه كما سيأتي ، وأظنه  
كان عالماً أن عمر قد سقى سماً .

وفيها في رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان ،  
بمد سنة وخمسة أشهر ، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول : أنتم إنما  
تسلمون فراراً منها . فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن  
الله إنما بعث محمداً ، داعياً ، ولم يبعثه جايياً . وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري  
على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج . وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالتخير وبنهاهم  
عن الشر ، وبين لهم الحق وبوضحه لهم ويعظمهم فيما بينه وبينهم ، ويخوفهم بأس الله وانتقامه ، وكان  
فيها كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد فكن عبداً لله ناهماً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أولى بك  
من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولا تولين شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم ،



والتوفير عليهم . وأدّى الامانة فيما استرعى ، و إياك أن يكون ملك ميلا إلى غير الحق ، فان الله لا يخفى عاينه خافية ، ولا تذهب عن الله مذهباً ، فانه لا ملجأ من الله إلا إليه . وكتب مثل ذلك مواضع كثيرة إلى الممال . وقال البخارى فى صحيحه : وكتب عمر إلى عدى بن عدى : إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسفناً ، من استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحر يص .

### وفيهما كان بدوء دعوة بني العباس

وذلك أن محمد بن على بن عبد الله بن عباس - وكان مقبلاً بأرض اشراة - بعث من جبهته رجلاً يقال له ميسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى وهم محمد بن خنيس وأبو عكرمة السراج ، وهو أبو محمد الصادق ، وحيان العطار - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح ابن عبد الله الحكيم قبل أن يزل فى رمضان ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب منهم إلى ميسرة الذى بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن على ففرح بها واستبشر وسره أن ذلك أول مبادئ أمر قد كتب الله إتمامه ، وأول رأى قد أحكم الله إتمامه ، أن دولة بني أمية قد بان عليها غمائل الوهن والضعف ، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتى بيانه . وقد اختار أبو محمد الصادق لمحمد بن على اثني عشر نقيباً ، وهم سلمان بن كثير الخزاعى ، ولاهز بن قريظ التميمى ، وقحطبة بن شبيب الطائى ، وموسى بن كعب التميمى ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمى ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم - مولى لآل أبي معيط - ومالك بن الهيثم الخزاعى ، وطالعة بن زريق الخزاعى ، وعمرو ابن أعين أبو حمزة - مولى لخزاعة - ، وشبل بن طهمان أبو على الهروى - مولى لبني حنيفة - وعيسى ابن أعين مولى لخزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن على كتاباً يكون مثلاً وسيرة يقتدون بها ويسيرونها .

وقد حجج بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، نائب المدينة . والنواب على الأمصار المذكورون فى التى قبلها ، سوى من ذكرنا من عزل وتولى غيره والله أعلم . ولم يحج عمر ابن عبد العزيز فى أيام خلافته لشغله بالأموار ، ولما كان يبرود البريد إلى المدينة فيقول له : سلم على رسول الله (ص) ، عنى ، وسيأتى بأسناده إن شاء الله .

### ومن توفى فيها من الأعيان

( سلم بن أبى الجعد الأشجعى ) مولا م الكوفى . أخو زياد وعبد الله وعبيد الله وعمران

ومسلم ، وهو نابعي جليل ، روى عن ثوبان<sup>(١)</sup> وجابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والنعمان ابن بشير وغيرهم . وعنه قتادة والأعمش وآخرون ، وكان ثقة نبيلاً جليلاً .

#### أبو امامة سهل بن حنيف

الأَنْصَارِيُّ الأَوْسِيُّ المَدَنِيُّ ، ولد في حياة النبي (س) ، ورواه وحديث عن أبيه ومروان بن وهب بن ثابت ومعاوية وابن عباس . وعنه الزهري وأبو حازم وجماعة ، قال الزهري : كان من عليّة الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء الذين شهدوا بدرآ . وقال يوسف بن الماجشون عن عتبة بن مسلم ، قال : آخر خروجة خرجها عثمان بن عفان إلى الجمعة حصبه الناس وحلوا بينه وبين الصلاة ، فصلى بالناس يومئذ أبو امامة سهل بن حنيف . قالوا : توفي سنة مائة والله أعلم

#### أبو الزاهرية حدير بن كريب المحمصي

نابعي جليل ، سمع أبا امامة صدى بن مهران ، وعبد الله بن بسر ، ويقال إنه أدرك أبا العرداء ، الصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسله ، وقد حدث عنه جماعة من أهل بلده ، وقد وثقه ابن معين وغيره . ومن أغرب ما روى عنه قول قتبية : ثنا شهاب بن خراش عن حميد عن أبي الزاهرية قال : أغفيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السدنة فأغلقتوا عليّ الباب ، فما انتهت إلا بتسبيح الملائكة فوثبت مذعوراً فإذا الملائكة صفوف ، فدخلت معهم في الصف . قال أبو عبيدة وغيره :

#### أبو الطفيل عامر بن واثلة مات سنة مائة .

ابن عبد الله بن عمرو الليثي الكِنَافِيُّ ، صحابي ، وهو آخر من رأى النبي (س) ، وفاة بالاجماع قال : رأيت النبي (س) يستلم الركن بمحجته ، وذكره صفة النبي (س) ، وروى عن أبي بكر ومروان بن وهب ومعاذ وابن مسعود ، وحديث عنه الزهري وقاتدة وعمرو بن دينار وأبو الزبير وجماعة من التابعين ، وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلها ، لكن نهم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال إنه كان حامل رايته ، وقد روى أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقى لك الدهر من ثكالك علياً ؟ فقال : ثكل المجوز القلاة والشيخ الرقوب ، فقال : كيف حبك له ؟ قال حب أم موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التصدير . قيل إنه أدرك من حياة النبي (س) ثمان سنين ، ومات سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة والله أعلم . قال مسلمة بن الحجاج : وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً ومات سنة مائة .

#### أبو عثمان النهدي

واسمه عبد الرحمن بن مِلِّ البصري ، أدرك الجاهلية وحج في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة

(١) في خلاصة تذهيب الكمال « قال أحمد : لم يلق ثوبان . وقال البخاري : لم يسمع منه ،

النبي (ص)، ولم يره، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي (ص)،، ومثل هذا يسبه أئمة الحديث مخضرمًا، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب، فسمع منه ومن علي وابن مسعود وخلق من الصحابة ومحب سلمان الفارسي ثلثي عشرة سنة حتى دفنه، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم، منهم أيوب، وحמיד الطويل، وسليمان بن طرخان التيمي، وقال عاصم الأحول: سمعته يقول: أدركت في الجاهلية ينفث صنًا من رصاص يجعل على جبل أجرد، فاذا بلغ واديا برك فيه فيقولون: قد رضى ربكم لكم هذا الوادي فينزلون فيه، قال: وسمعته وقد قيل له أدركت النبي (ص)،؟ قال: نعم! أسلمت على عهده، وأدبت إليه الزكاة ثلاث مرات، ولم ألقه، وشهدت اليرموك والقادسية وجولاء ونهاوند. كان أبو عثمان صوامًا قوامًا، يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركة، وكان يصلى حتى يفشى عليه، وحج ستين مرة ما بين حجة وعمرة، قال سليمان التيمي: إني لأحسبه لا يصيب ذنبًا، لأنه ليله قائمًا ونهاره صائمًا، وقال بعضهم: سمعت أبا عثمان النهدي يقول: أتت على ثلاثون ومائة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا أمتي فاني أجده كما هو. وقال ثابت البناني عن أبي عثمان: قال: إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل، قال فيقول: من أين تعلم ذلك؟ فيقول قال الله تعالى [فاذكروني أذكركم] فاذا ذكرت الله ذكرني. قال: وكنا إذا دعونا الله قال: والله لقد استجاب الله لنا، قال الله تعالى، [وقال ربكم ادعوني أستجب لكم] قالوا: وعاش مائة وثلاثين سنة، قاله هشيم وغيره. قال المدائني وغيره: توفي سنة مائة، وقال الفلاس: توفي سنة خمس وتسعين، والصحيح سنة مائة والله أعلم.

وفيها توفي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وكان يفضل على والده في العبادة والافتقار عن الناس، وله كلمات حسان مع أبيه ووعظه إياه.

### ثم دخلت سنة احدى ومائة

فيها كان هرب يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز، فواعد غلمانة يلقونه بالليل في بعض الأماكن، وقيل بابل له، ثم نزل من محبسه ومعه جماعة وامرأته عاتكة بنت الفرات العامرية، فلما جاء غلمانة ركب رواحله وسار، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله ما خرجت من سجنك إلا حين بلغني مرضك، ولورجوت حياتك ما خرجت، ولكنني خشيت من يزيد بن عبد الملك فإنه يتوعدني بالقتل، وكان يزيد يقول: لئن وليت لأقطعن من يزيد بن المهلب طائفة، وذلك أنه لما ولي العراق عاقب أصحابه آل عقيل، وهم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يزيد بن عبد الملك مزوجا بينت محمد بن يوسف، وله ابنه الوليد بن يزيد الفاسق المقتول كما سيأتي. ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب هرب من السجن قال: اللهم إن كان يزيد بن المهلب

سواءً فآفة كنهم شره واردة كينه في نحره ، ثم لم يزل المرض يتزايد بعمر بن عبد العزيز حتى مات وهو بمخاضة ، من دير سمعان بين حماه وحلب ، في يوم الجمعة ، وقيل في يوم الاربعاء لخمس بقين من رجب من هذه السنة - أعنى سنة إحدى ومائة - عن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فآله أعلم .

وكانت خلافته فيما ذكر غير واحد سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكان حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً وورعاً ديناً ، لا تأخذنه في الله لومة لائم رحمه الله تعالى .

### وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الأمام المشهور رحمه الله

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين ، وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ويقال له أشج بن مروان ، وكان يقال : الأشج والناقص أعداؤ بني مروان . فهذا هو الأشج وسبأى ذكر الناقص . كان عمر تابعياً جليلاً ، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف صحابي صغير . وروى عن خلق من التابعين . وعنه جماعة من التابعين وغيرهم . قال الأمام أحمد بن حنبل : لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز . يوليح له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك كما تقدم ، ويقال : كان مولده في سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي . وعمر ، قاله غير واحد . وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة تسع وخمسين ، فآله أعلم . وكان له جماعة من الأخوة ولكن الذين هم من أبويه أبو بكر وعاصم ومحمد ، وقال أبو بكر بن أبي خزيمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن بكير عن الليث . قال : بلغني أن عمران بن عبد الرحمن ابن شرحبيل بن حسنة كان يحدث أن رجلاً رأى في المنام ليلة ولد عمر بن عبد العزيز - أو ليلة ولى الخلافة شك أبو بكر - أن منادياً بين السماء والأرض ينادى : أنا كم اللين والدين وإظهار العمل الصالح في المصلين ، فقلت : ومن هو ؟ فنزل فكتب في الأرض ع م ر . وقال آدم بن إياس : ثنا أبو علي ثروان مولى عمر بن عبد العزيز . قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى اصطبل أبيه فضربه فرس فشجه ، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول : إن كنت أشج بنى أمية إنك إذا لسعيد . رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف عن ضمرة ، وقال نعيم بن حماد : ثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فبلغ أمه فأرسلت إليه فقالت : ما بيكيك ؟ قال : ذكرت الموت ، فبكت أمه . وكان قد جمع القرآن وهو صغير ، وقال الضحاك بن عثمان الخزازي . كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدبه ، فلما حج أبوه اجتاز به في

المدينة فسأله عنه فقال : ماخبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام وروى يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً فقال صالح بن كيسان : ما شئتلك ؟ فقال : كانت مرجلتى تسكن شعري ، فقال له : قد مئت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك ، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى حلق رأسه . وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً ، فلما أتاه عمر عرض عبيد الله عنه وقام يصلي ، فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر مغضباً وقال له : متى بلنك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ قال ففهمها عمر وقال : معذرة إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود ، قال : فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير . وقال أبو بكر بن أبي خيشمة : ثنا أبي ثنا المفضل بن عبد الله عن داود بن أبي هند . قال : دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب - وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي ص - فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابنه هذا يتعلم الفرائض والسنن ، ويزعم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير سيرة عمر بن الخطاب . قال داود : والله ما مات حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني العتيبي قال : إن أول ما استقبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ، إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبة أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاءها وأتأدب بأدابهم ، فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، وقعد مع مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخذته معه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فغلطه بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول الشاعر فيها :

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدُها \* أختُ الخلائفِ والخليفةُ زوجها

قال : ولا تعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العتيبي : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز ينقم عليه شيئاً سوى متابته في النعمة ، والاختيال في المشية ، وقد قال الأحنف بن قيس : الكامل من عدت هفواته ولا تعد إلا من قلة . وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والديوب هو وإخوته ما لم يرته غيره فيها تعلم ، كما تقدم ذلك ، ودخل يوماً على عمه عبد الملك وهو يتجانف في مشيته فقال : يا عمر مالك تمشي غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحاً ، فقال : وأين هو من جسديك ؟ قال : بين الرانقة والصفن - يعني بين طرف الالية وجلدة الخوصية - فقال عبد الملك لروح بن زنباع : بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب بمثل

هذا الجواب . قالوا : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعين يوماً ، ولما ولى الوليد عامه بما كان أبوه يعامله به ، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين ، وحج الوليد بالناس سنة إحدى وتسعين ، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

و بنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي (ص) ، ووسمه عن أمر الوليد له بذلك ، فنخل فيه قبر النبي (ص) ، وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعدلهم سيرة ، كان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً بدونهم أو من حضر منهم ، وهم عروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيشمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرج عن قول سميد بن المسيب ، وقد كان سميد بن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة ، وقال إبراهيم بن عتبة : قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره ، وقد نديهم عمر يوماً إلى رأي

وقال ابن وهب : حدثني الليث حدثني قادم البر يرى أنه ذا كر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ ، والذي نفسى بيده ما أخطأ قط . وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك . قال : ماصليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله (ص) . من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - حين كان على المدينة . قالوا : وكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والعود ، وفي رواية صحيحة أنه كان يسبح في الركوع والسجود عشراً عشراً ، وقال ابن وهب : حدثني الليث عن أبي النضر المدني ، قال : رأيت سليمان ابن يسار خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم ، قلت : تملكونه ؟ قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم . وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه فما رحنا حتى تملنا منه . وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة ، وفي رواية قال ميمون : كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء . وقال الليث : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمرو ابن عباس ، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، قال : ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة . وقال عبد الله بن طاووس : رأيت أبي تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة المشاء حتى أصبحنا ، فلما افتراقنا قلت : يا أبا عبد الله من هذا الرجل ؟ قال هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحى هذا البيت -

يعنى بنى أمية - وقال عبد الله بن كثير قلت لعمر بن عبد العزيز ما كان بدء إمامتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لى فقال لى : اذ كر ليلة صبيحتها يوم القيامة (١)

وقال الامام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعنى فى سنة ثلاث وتسعين - وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه : يا مراحم ، نخشى أن نكون من نعت المدينة - يعنى أن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكبر خبث الحديد - و ينصح طيبها . قلت : خرج من المدينة فنزل بمكان قريب منها يقال له السويداء حيناً (٢) ، ثم قدم دمشق على بنى عمه . قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبى حكيم . قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى ، فلما قدمت الشام نسيت . وقال الامام أحمد : حدثنا عثمان ثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهرى قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة لحدثته ، فقال : كل ما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت . وقال ابن وهب عن الأبيث عن عقيل عن الزهرى قال قال عمر بن عبد العزيز : بهت إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فإذا هو عابس ، فأشار إلى أن اجلس ، فجلست فقال : ماتقول فيمن يسب الخلفاء أقتل ؟ فسكت ، ثم عاد فسكت ، ثم عاد فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سبب ، فقلت : يُسكَلُ به ، ففضض وانصرف إلى أهله ، وقال لى ابن الريان السيف : اذهب ، قال : فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردنى إليه . وقال عثمان بن زبر : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأبقال والرجال ، فقال سليمان : ماتقول يا عمر فى هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً وأنت المشغول عن ذلك كله ، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة فى فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها ، ونهب نوبة ، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر ؟ فقال : لا أدرى ، فقال : ما ظنك أنه يقول ؟ قلت : كأنه يقول : من أين جاءت وأين يذهب بها ؟ فقال له سليمان : ما أعجبك ؟ فقال عمر : أعجب بمن عرف الله فمصاه ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها .

وتقدم أنه لما وقف سليمان وعمر بعرفة ورأى سليمان كثرة الناس فقال له عمر : هؤلاء رعيتك

(١) بالأصول « يوماً صبيحتها يعنى يوم القيامة » وصححناه من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى صفحة ١٤٩ (٢) السويداء أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز ، واستنبط فيها من عطائه عين ماء ، وله فيها قصر مبنى . ولما تنازل لبيت المال عن جميع ما ورثه عن آباءه أبى (السويداء) و (خير) لأنه أطعمه أن إلى أنهما حلال خالص ليس فيه أية شبهة . وكان هو خليفة يأكل من غلتها وينفق ما يزيد عن الضرورة

اليوم وأنت مسئول عنهم غدا . وفي رواية وهم خصماؤك يوم القيامة ، فبكى سليمان وقال : يا الله نستعين . وتقدم أنهم لما أصابهم ذلك المطر والرعد فرزع سليمان وضحك عمر فقال له : أتضحك ؟ فقال : نعم هذه آثار رحمته ونحن في هذه الحال ، فكيف بأثار غضبه وعقابه ونحن في تلك الحال ؟ وذكر الامام مالك أن سليمان وعمر تقاولا مرة فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبت ، فقال : تقول كذبت ؟ والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ، ثم هجره عمر وعزيم عيسى الرحيل إلى مصر ، فلم يمكنه سليمان ، ثم بعث إليه فصالحه وقال له : ما عرض لي أمر يهمني إلا خطرت على بالي . وقد ذكرنا أنه لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز فانتظم الأمر على ذلك والله الحمد .

### قصص

وقد كان منتظرا فيما يؤثر من الأخبار

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله بن أبي سلمة الماجشون ثنا عبد الله ابن دينار قال قال ابن عمر : يا محببا ! يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضى حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمنزل عمل عمر ، قال : وكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر ، قال : وكان بوجهه أثر ، فلم يكن هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمه ابنة عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقال البيهقي : أنبا الحاكم أنبا أبو حامد بن عيسى المقرئ ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية بن أسماء عن نافع . قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال : إن من ولدي رجلا بوجهه شجان يلي فيما للأرض عدلا . قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر ابن عبد العزيز . ورواه مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن نافع . وقال : كان ابن عمر يقول : ليت شمري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ، قال وهيب بن الورد : بينما أنا نائم رأيت كأن رجلا دخل من باب بني شيبه وهو يقول : يا أيها الناس ! ولي عليكم كتاب الله . فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفره فاذا مكتوب عليه عمر ، قال نجاة بيعة عمر بن عبد العزيز . وقال بقية عن عيسى بن أبي رزين حدثني الخزازي عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ص . في روضة خضراء فقال له : « إنك ستلي أمر أمي فرزع عن الدم فرزع عن الدم »<sup>(١)</sup> ، فان اسمك في الناس عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عمرو بن الحسين بن محمد بن مودود الحراني ثنا أبو بوب بن محمد الوزان ثنا ضمرة بن ربيعة ثنا السري بن يحيى عن رباح بن عبيدة . قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده ، فقلت في نفسي : إن

(١) وزعه بزعه فاتزع ، أي كفت عنه .



هذا الشيخ جاف ، فلما صلى ودخل لحقته فقلت : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي أتىك أنت  
 يدك ؟ فقال : يا رياح رأيتك ؟ قلت : نعم ! قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلاً صالحاً ، ذلك أخى  
 الخضر أنانى فأعلمنى أنى سألنى أمر هذه الأمة وأنى سأعدل فيها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو عمير ثنا ضمرة عن علي بن خولة عن أبي عنبس . قال :  
 كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاه شاب عليه مقطعات فأخذ بيد خالد ، فقال : هل  
 علينا من عين ؟ فقال أبو عنبس : فقلت عليك من الله عين بصيرة ، وأذن سمعية ، قال : فترقت  
 عيننا الفقى . فأرسل يده من يد خالد وولى ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ابن أخى  
 أمير المؤمنين ، ولئن طالت بك حياة لترينه إمام هدى . قلت : قد كان عند خالد بن يزيد بن  
 معاوية شئٌ جيد من أخبار الأوائل وأقوالهم ، وكان ينظر فى النجوم والطب . وقد ذكرنا فى ترجمة  
 سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يهدى إلى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الهبالج  
 رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء  
 فكتب سليمان العهد فى صحيفة وختمها ولم يشعر بذلك عمر ولا أحد من بنى مروان سوى سليمان  
 ورجاء ، ثم أمر صاحب الشرطة باحضار الأمراء وروس الناس من بنى مروان وغيرهم ، فبايعوا  
 سليمان على ما فى الصحيفة الختومة ، ثم انصرفوا ، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة فبايعوا  
 ثانية قبل أن يعلموا موت الخليفة ، ثم فتحها فقرأها عليهم ، فاذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ،  
 فأخذوه فأجلسوه على المنبر وبايعوه فالتفت له البيعة .

وقد اختلف العلماء فى مثل هذا الصنيع فى الرجل يوصى الوصية فى كتاب ويشهد على ما فيه  
 من غير أن يقرأ على الشهود . ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم ، قال  
 القاضى أبو الفرج المائى بن زكريا الجربرى : أجاز ذلك وأمضاه وأنفذ الحكم به جمهور أهل الحجاز ،  
 وروى ذلك عن سالم بن عبد الله . وهو مذهب مالك ومحمد بن مسلمة الخزومى ومكحول ، ونمير بن  
 أوس وزرعة بن إبراهيم ، والاوزاعى وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام . وحكى  
 نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه وقضاة جنده ، وهو قول الليث بن سعد فيمن وافقه  
 من فقهاء أهل مصر والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاةهم . وروى عن قتادة وعن سوار  
 ابن عبد الله وعبيد الله بن الحسن ومعاذ بن معاذ العبزرى فيمن سلك سبيلهم ، وأخذ بهذا عدد  
 كثير من أصحاب الحديث ، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه . قلت : وقد اعتنى به البخارى فى  
 صحيحه . قال المائى : وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق ، منهم إبراهيم وسجاد والحسن ، وهو مذهب  
 الشافعى وأبى ثور ، قال : وهو قول شيخنا أبى جعفر ، وكان بعض أصحاب الشافعى بالعراق يذهب

الى القول الأول ، قال الجري : وإلى القول الأول نذهب . وتقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أتى بمركب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وأنشأ يقول : -

فلولا التقي ثم النهى خشية الردى \* لعاصيت في حب الصبا كل زاجر  
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى \* له صبوة أخرى الليالي الغواير

ثم قال : ماشاء الله لا قوة إلا بالله . قدموا إلى بغلتي ، ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفة فيمن يزيد ، وكانت من الخيول الجياد المشتمة ، فباعها وجعل أثمانها في بيت المال . قالوا : ولما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغموم مهموم ، فقال له مولاة : مالك هكذا مغتما مهموما وليس هذا بوقت هذا ؟ فقال : وبجك ومالي لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغرب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه ، كتب إلى في ذلك أولم يكتب ، طلبه مني أولم يطلب . قالوا : ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبين أن تلحق بأهلها ، فبكت وبكى جوارها لبيكاتها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحما الله . وقال له رجل : تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغل شاغل \* وعدلت عن طرق السلامة  
ذهب الفراغ فلا فرا \* غ لنا إلى يوم القيامة

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر وكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقتنا . نرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويمينا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه ، ولا يفتان عندنا أحدا ، ولا يعرضن فيما لا يعنيه . فاقشع عنه الشراء والخطباء وثبت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسمنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله . وقال سفيان ابن عيينة : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاء بن حيوة وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بي ، فما عندكم ؟ فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخ أبا ، والشاب أخا ، والصغير ولدا ، وبر أباك وصل أخاك ، وتعطف على ولدك . وقال رجاء : ارض للناس ما ترضى لنفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأتاهم ، واعلم أنك أول خليفة تموت . وقال سالم : اجعل الأمر واحدا وصم فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل آخر فطرك فيه الموت . فكان قد . فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال غيره : خطب عمر بن عبد العزيز يوما الناس فقال - وقد خنفته العبرة - أيها الناس أصلحوا آخرتكم يصلح الله دنياكم ، وأصلحوا أسراركم يصلح لكم علايتكم ، والله إن عبدا ليس

بينه وبين آدم أب إلا قدمات ، إنه لمرق له في الموت . وقال في بعض خطبه : كم من عامر موقق عما قليل يخرّب ، وكم من مقيم مقتبط عما قليل يظلم . فأحسنوا رحمكم الله من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس قري العيين فيها يافع ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بسهم حفته ، فسلبه آتاة دنياه ، وصير إلى قوم آخرين مصانمه ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلا وتحزن طويلا . وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مہاجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاض ولكني منفذ ، وإني لست بمتبع ولكني متبع ، إن الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم إلا أن الامام الظالم هو المعاصي ، ألا لاطاعة للخلق في معصية الخالق عز وجل . وفي رواية أنه قال فيها : وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكني أقبلكم حملا ، ألا لاطاعة للخلق في معصية الله ، ألا هل أستمعت .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أحمد بن يحيى الحلواني ثنا محمد بن عبيد ثنا إسحاق بن سليمان عن شبيب بن صفوان حدثني ابن السعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، نجاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع طانياً بباقي ، وفانناً بما لا نفاد له ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين ، وسيكون من بعدكم للباقيين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحاً إلى الله لبرجع ، قد قضى نجبه حتى تفيبه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير موسى ولا مہمد ، قد طارق الأجاب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتين بعمله ، غنى عما ترك ، فقير لما قدم ، فاتقوا الله قبل القضاء ، راقبوه قبل نزول الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع طرف رداثة على وجهه فبكي وأبكي من حوله . وفي رواية : وإيم الله إني لأقول قول هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفي ، وأسكنها سنن من الله عاذلة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، وأستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه فبكي حتى بل لحيته ، فعا عاد لجلسه حتى مات رحمه الله .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله (ص) في النوم وهو يقول : « ابن يا عمر ، فدنت حتى خشيت أن أصيبه ، فقال : إذا وليت فأعمل نحواً من عمل هذين ، فإذا كهلان قد اكتنفاه ، فقلت : ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر وهذا عمر . » وروينا أنه قال : سلام بن عبد الله بن عمر : اكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها ، فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك ،

قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجرد على الخبير أعوانا ، وأنت لا تجرد من يمينك على الخبير . وقد روى أنه كان نقش خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي رواية آمنت بالله ، وفي رواية الوفاء عز بز . وقد جمع يوما رموس الناس نخطبهم فقال : إن فذلك كانت ببس رسول الله (س) ، يضمها حيث أراه الله ، ثم وايتها أبو بكر وعمر كذلك ، قال الأصمعي : وما أدرى ما قال في عثمان ، قال : ثم إن مروان أقطعها فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء أردته أغلى منها ، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله (س) . قال : فيئس الناس عند ذلك من المظالم ، ثم أمر بأهوال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال رسماها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم ينجح فيه شيء ، وقال لهم : لتدعني وإلا ذهبت إلى مكة فنزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به ، وقال : والله لو أقت فيكم خمسين عاما ما أقت فيكم إلا ما أريد من العدل ، وإني لأريد الأمر فما أنفذه إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم .

وقال الامام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز ، ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد . وقال طاووس : هو مهدي وليس به ، إنه لم يستكمل العدل كله ، إذا كان المهدي ثبت على المسمى من إساءته ، وزيد الحسن في إحسانه ، سمح بالمال شديد على العمال رحيم بالمساكين . وقال مالك عن عبيد الرحمن بن حرمة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعمران ، فقيل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما فن عمر الآخر ؟ قال : يوشك إن عشت أن تعرفه ، يريد عمر بن عبد العزيز ، وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشج بن مروان . وقال عباد السالك وكان يجالس سفیان الثوري : سمعت الثوري يقول : الخلفاء خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد . وأجمع العلماء فاطمة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . وذكره غير واحد في الأئمة الاثني عشر ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى يكون فيهم اثني عشر خليفة كلهم من قریش » .

وقد اجتهد رحمه الله في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد المظالم ، وصرف إلى كل ذي حق حقه ، وكان مناديه في كل يوم ينادي : أين الفارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء . وقد اختلف العلماء أيهم أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعدلته وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسابقته ومحبتة ، حتى قال بعضهم : ليوم شهده معاوية من رسول الله (س) . خير من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته . وذكر ابن

عساكر في تاريخه أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جواري زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فكان سألها إياها إمامياً أوهية ، فكانت تأتي عليه ذلك ، فلما ولي الخلافة ألبستها وطيبتها وأهنتها إليه وهبتها منه ، فلما أخلتها به أعرض عنها ، فمرضت له فصدف عنها ، فقالت له : ياسيدي فأين ما كان يظهر لي من محبتك إياي ؟ فقال : والله إن محبتك لباقية كما هي ، ولكن لا حاجة لي في النساء ، فقد جاءتني أمر شغلني عنك وعن غيرك ، ثم سألتها عن أصلها ومن أين جلبوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين إن أبي أصاب جنابة ببلاد المغرب فصادره موسى بن نصير فأخذت في الجنابة ، وبعث بي إلى الوليد فوهبني الوليد إلى أخته فاطمة زوجتك ، فأهدتني إليك . فقال عمر : إن الله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله نفتضح ونهلك ، ثم أمر بردها مكربة إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجته فاطمة : دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاه واضعاً يده على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقالت : مالك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، ففكرت في الفقير الجائع ، والمرضى الضائع ، والعمى المجهود ، واليتيم المسكور ، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور . والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذو العيال الكثير ، والمسال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، ففلمت أن ربي عز وجل سيأتني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد (ص) ، فخشيت أن لا يقبض لي حجة عند خصومته ، فرحمت نفسي فيكيت . وقال ميمون بن مهران ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي : إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض . وكتب إلى بعض عماله : إذا دعيتك قدرتك على الناس إلى مظلة ، فاذا ذكر قدرة الله عليك وفاد ما أتى إليهم ، وبقاه ما يأتون إليك . وقال عبد الرحمن بن مهدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى : إن للأسلام سندا وقرأئص وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فان أعش أيئنها لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فإنا أنا على محبتكم بحريص . وذكر البخاري في صحيحه تعليقا مجزوماً به . وذكر الصولي أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله فانها هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يتاب إلا عليها ، وإن الواعظين بها كثير ، والعالمين بها قليل . وقال : من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فبا يمينه وينفمه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير . وقال : من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياها ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . وكله رجل يوماً حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردت أن يستغزني الشيطان بكرة السلطان فأنا لك منك ماتتالهم منى غداً ؟ قم عاظك الله لا حاجة لنا في مقاولتك . وكان يقول : إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة ، والوفى في المقدرة ، والرفق في الولاية ، وما رفق عبد

بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة . وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشججه صبي منهم ؛ فاحتلموا الصبي الذي شجج ابنه وجاؤا به إلى عمر ، فسمع الجليلة تفرج اليهم ، فاذا مَرِيَّةُ تقول : إنه ابني وإنه يقيم ، فقال لها عمر : هوني عليك ، ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ، قال : فاحتلموه في الذرية . فقالت زوجته فاطمة : أتفضل هذا به وقد شجج ابنك ؟ فصل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشجج ابنك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يقيم وقد أفرغتموه . وقال مالك بن دينار : يقولون مالك زاهد ، أي زهد عندي ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أثنه الدنيا فاغرة فاها فتركها جملة . قالوا : ولم يكن له سوى قيص واحد فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييبس ، وقد وقف مرة على راهب فقال له : ويحك عظني ، فقال له : عليك بقول الشاعر : -

تجرّد من الدنيا فانك إنما \* خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

قال : وكان يعجبه ويكرهه وعمل به حق العمل . قالوا : ودخل على امرأته يوماً فسألها أن تقرضه درهماً أو فلوساً يشتري له بها عنباً ، فلم يجد عندها شيئاً ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما تشتري به عنباً ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنم . قالوا : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في رأسهن طين ، قالوا : وبث يوماً غلامه ليشوي له لحمه فجاءه بها سريعاً مشوية ، فقال : أين شويتها ؟ قال : في المطبخ ، فقال : في مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . فقال : كلها فاني لم أرتزقها ، هي رزقك . وسخنوا له الماء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حطباً . وقالت زوجته : ما جامع ولا احتلم وهو خليفة . قالوا : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود أنه يحدث عن ثوبان بمحدث الحوض فبعث إليه فأحضره على البريد وقال له ، كالتوجع له : يا أبا سلام ما أردنا المشقة عليك ، ولكن أردت أن تشافيني بالحديث مشافهة ، فقال : سمعت ثوبان يقول قال رسول الله (س) : «حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، وأول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين ، الشعث رؤساء ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنتعمات ، ولا تفتح لهم السدد » . فقال عمر : لكنني نكحت المنتعمات ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جرم لأغسل رأسي حتى يشعث ، ولا ألقى ثوبي حتى يتسخ . قالوا : وكان له سراج يكتب عليه حوائجه ، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً . وكان يقرأ في المصحف كل يوم أول النهار ، ولا يطيل القراءة ، وكان له ثلاثمائة شرطى ، وثلاثمائة حرسى ، وأهدى له رجل من أهل بيته تفاحاً فاشتمه ثم رده مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغت محلها ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن رسول الله (س) ، كان يقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك ، فقال : إن الهدية

كانت لرسول الله ص. هدية ، فأما نحن فهي لئارشوة . قالوا : وكان يسوع على عماله في النعقة ، يعطي الرجل منهم في الشهر مائة دينار ، ومائتي دينار ، وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين ، فقالوا له : لو أفنتت على عيالك كما تنفق على عمالك ؟ فقال : لا أمنعهم حقاً لهم ، ولا أعطيهم حق غيرهم . وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتذر بأن معهم سلفنا كثيراً من قبل ذلك ، وقال يوماً لرجل من ولد علي : إني لأستحي من الله أن تنف يباني ولا يؤذن لك ، وقال لآخر منهم : إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدنيا لما أكرمكم الله به . وقال أيضاً : كنا نحن و بنو عمنا بنو هاشم مرة لنا ومرة علينا ، فلجأ إليهم ويلجئون إلينا ، حتى طلعت شمس الرسالة فأكسأت كل نافع ، وأخرست كل منافق ، وأسكتت كل ناطق .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبو بكر ابن أخي خطاب ثنا خالد بن خديش ثنا حماد بن زيد عن موسى بن أيمن الراعي - وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة - قال : كانت الأسد والغنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد ، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت : إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك . قال فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواه غيره عن حماد فقال : كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نحوه ، وله شاهد من وجه آخر ، ومن دعائه : اللهم إن رجلاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيتك إياهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفيتي . ومنه : اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر . وقال له رجل : أبتاك الله ما كان البقاء خيراً لك ، فقال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفاك مع الأبرار . وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت بطيئاً بطيئاً ، متلوئاً بالليل ، أمتنى على الله عز وجل . ودخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة ، وإنما ملك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

وإذا اللد زان حسن وجوهه • كان للدر حسن وجهك زينا

قال : فأعرض عنه عمر . وقال رجاء بن حيوة : سمعت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فمشى السراج فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أبتة هذا الغلام يصلحه ؟ فقال : لا ادعه ينام ، لا أحب أن أجمع عليه عملي . فقلت : أفلا أقوم أصلحه ؟ فقال : لا ليس من المروءة استخدام الضيف ، ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زينا ثم جاء وقال : قتت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر ابن عبد العزيز ، وقال : أكثروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها . وقال : إنه ليمتحنى من كثرة ذكرها مخافة المباهاة ، وبلغه أن رجلاً من أصحابه توفى ، فجاء إلى أهله ليعزيهم فيه ، فصرخوا في وجهه

بالبكاء عليه ، فقال : مه ، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ، وإن الذي يرزقكم حتى لا يموت ، وإن صاحبكم هذا كما لم يسد شيئاً من حفركم ، وإنما سد حفرة نفسه ، ألا وإن لكل امرئ منكم حفرة لا بد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار خبيرة إلا امتلأت عبرة ، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم يا كيا فليبك على نفسه ، فإن الذي صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غداً .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر إلى القبور فقال لي : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائي بنو أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما ترام صرعى قد خلت بهم المثلثات ، واستحك فيهم البلاء ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله . وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دفنت قال لأصحابه : قفوا حتى آتى قبور الأحبة ، فأناهم فجعل يبكي ويدعو ، إذ هتف به التراب فقال : يا عمر ألا تسألني ما فعلت في الأحبة ؟ قال قلت : وما فعلت بهم ؟ قال : مزقت الأكفان ، وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، وأكلت الحدقتين ، ونزعت الكفنين من الساعدين ، والساعدين من المضدين ، والمضدين من المنكبين ، والمنكبين من الصلب ، والقدمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب . فلما أراد أن ينهب قال له : يا عمر أدلك على أكفان لا تبلى ؟ قال : وما هي ؟ قال : تقوى الله والعمل الصالح . وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرقت الليلة مفكراً ، قال : وفيه يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وسأكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشت من قر به بعد طول الأئس منك بناحيته ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، وتخترق فيه الديدان ، ويمجى فيه الصديد ، مع تذيير الريح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب ، قال : ثم شق شقة خر مشياً عليه . وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقرأ [ وقضوم لهم مسؤولون ] فجعل يكرها وما يستطيع أن يتجاوزها . وقالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشد فرقة من ربه منه ، كان يصلي المشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينثب فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه ، قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض المصنور في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه الحنّاف رحمة له ، وأنا أقول : ياليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشركين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .



وقال علي بن زيد : مارأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز .  
وقال بعضهم : رأيتهم يبكي حتى بكى دما ، قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ [ إن ربكم الذي خلق  
السموات والأرض في ستة أيام ] الآية ، وقرأ [ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ]  
ونحو هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ،  
ثم يبكون حتى كأن بينهم جنازة ، وقال أبو بكر الصولي : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :  
فما تزودَ مما كانَ يجمعه \* سوى حنوطِ غداةِ البينِ في خرقِ  
وغيرِ نفحةِ أعوادٍ تشبُّ له \* وقلَّ ذلكَ من زادٍ لمنطلقِ  
بأيما بلدٍ كانتَ منيتهُ \* إن لايسرُ طائماً في قصدها يُسقِ  
ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة إلى قوم قد تلمثوا من الغبار والشمس ، انجازوا إلى  
الظل فبكى وأنشد :

من كان حين تصيب الشمسُ جبهتهُ \* أو النبارُ يخافُ الشينَ والشمنا  
ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشتهُ \* فسوفَ يسكنُ يوماً راعماً جدنا  
في قمرٍ مظلمةٍ غيراً موحشةٍ \* يطيلُ في قمرها نعتُ النرى اللبنا  
تجهزى بجهازٍ تبلغين به \* يا نفسُ قبلَ الردى لم تخلقي عبناً

هذه الأبيات ذكرها الأجرى في أدب النفوس بزيادة فيها فقال : أخبرنا أبو بكر أنبأنا  
أبو حفص عمر بن سعد القراطيسي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا حدثني محمد بن صالح  
القرشي أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي حدثني ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال :  
أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولا إلى اليون طاغية الروم يدعوهم إلى الاسلام ، فقال له  
عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! إنني لفي بعض بني يخرج معي - وكان عبد الأعلى له عشرة من  
الذكور - فقال له : انظر من يخرج معك من ولدك . فقال : عبد الله ، فقال له عمر : إن رأيت ابنك  
عبد الله يمشي مشية كرهتها منه ومقته عليها ، وبلغني أنه يقول الشعر . فقال عبد الأعلى : أما مشيته  
تلك ففريزة فيه ، وأما الشعر فأنما هو نواحة ينوح بها على نفسه ، فقال له : مر عبد الله يأتيني وخذ  
معدك غيره ، فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستنشه فأنشده ذلك الشعر المتقدم :

تجهزى بجهازٍ تبلغين به \* يا نفسُ قبلَ الردى لم تخلقي عبناً  
ولا تكدي لمن يبقى وتفتري \* إن الردى وارثُ الباقي وما ورثنا  
واخشى حوادثِ الدهر في مهل \* واستيقظي لانكوتى كالذي بخنا  
عن مديرة كان فيها قطعُ مدته \* فوافت الحرتُ موفوراً كما خرنا

لا تأمني فجع دهرٍ مترفٍ ختل \* قد استوى عندهم من طابٍ أو خبتنا  
 ياربِ ذى أملٍ فيه على وجل \* أضحى به آمتنا أمسى وقد حدنا  
 من كان حينَ نصيبِ الشمسِ جهته \* أو النبارُ يخافُ الشينَ والشعنا  
 ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشته \* فكيف يسكنُ يوماً راعماً جدنا  
 قفراءَ موحشةٍ غبراءَ مظلمةٍ \* يطيلُ تحتَ الثرى من قمرها القبتنا  
 وقد ذكرها ابن أبي الدنيا فصر أنشدتها عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وكان عمر ينسبل بها كثيراً ويبيكو

وقال الفضل بن عباس الجلبى : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت :  
 ولا خير في عيشٍ امرئٍ لم يكن له \* من الله في دارٍ القرارِ نصيبُ  
 وزاد غيره معه بيتاً حسناً وهو قوله :

فان تعجب الدنيا أناساً فانها \* متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريبُ  
 ومن شعره الذى أنشده ابن الجوزى :

أناميتٌ وعز من لا يموت \* قد تيقنتُ أنني ساموتُ  
 ليس ملكٌ يزيله الموتُ ملكاً \* إنما الملكُ ملكٌ من لا يموتُ  
 وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول :

تسرُّ بما يفنى وتفرحُ بلمنى \* كما اغترَّ بالذاتِ في النومِ حالمُ  
 نهاركُ يامفروزٍ سهوٍ وغفلةٍ \* وليلكُ نومٌ والردى لكُ لازمُ  
 وسميكُ فيما سوف تكرهُ غيبُ \* كذلك في الدنيا تميشُ البهائمُ

وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه :

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائمٌ \* وكيف يطيقُ النومَ حيرانُ هامُ  
 فلو كنتَ يقظانُ الغداةِ لحرقتُ \* محاجرَ عينيكِ الدموعُ السواجمُ  
 أصبحتَ في النومِ الطويلِ وقد دنتُ \* إليكُ أمورٌ مفظماتُ عظامُ  
 وتكدسُ فيما سوف تكرهُ غباً \* كذلك في الدنيا تميشُ البهائمُ  
 فلا أنتَ في النومِ يوماً بسالمٍ \* ولا أنتَ في الاقاضي يقظانُ حازمُ

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : انقبت عمر ذات ليلة وهو يقول :  
 لقد رأيت الليلة رؤيا عجيبية ، فقلت : أخبرني بها ، فقال : حتى نصبح ، فلما صلى بالمسلمين دخل

فسألته فقال: رأيت كأني دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنه الفضة فخرج منه خارج فنادى أين محمد بن عبد الله، أين رسول الله؟ إذ أقبل رسول الله س...، حتى دخل ذلك القصر، ثم خرج آخر فنادى: أين أبو بكر الصديق؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى أين عمر بن الخطاب؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى أين عثمان بن عفان؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى أين علي بن أبي طالب؟ فأقبل فدخل، ثم خرج آخر فنادى أين عمر بن عبد العزيز؟ فتحت فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب، وهو عن يسار رسول الله س...، وأبو بكر عن يمينه، وبينه وبين رسول الله س... رجل، فقلت: لابي: من هذا؟ قال: هذا عيسى بن مريم، ثم سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نور لا أراه، وهو يقول: يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنبت عليه، وأثبت على ما أنبت عليه، ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت، فالتفت فاذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر وهو يقول: الحمد لله الذي نصرني ربي، وإذا علي في إثره وهو يقول: الحمد لله الذي غفر لي ربي.

### فَضْلُ النَّبِيِّ

وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن رسول الله س... قال: «إن الله يبعث لمنه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها». فقال جماعة من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره: إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق، لأمانته وعصوم ولايته، وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب، وكان كثيراً ما تشبه به. وقد جمع الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي سيرة لعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وقد أفردنا سيرة عمر بن الخطاب في مجلد على حدة، ومسند في مجلد ضخم، وأما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً هنا، يستدل به على ما لم نذكره.

وقد كان عمر رحمه الله يعطى من اتقطع إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها، للفقه ونشر العلم وتلاوة القرآن، في كل عام من بيت المال مائة دينار، وكان يكتب إلى عماله أن يأخذوا بالسنة، ويقول: إن لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله، وكتب إلى سائر البلاد أن لا يركب ذمي من اليهود والنصارى وغيرهم على سرج، ولا يلبس قباء ولا طيلساناً ولا السراويل، ولا يمشين أحد منهم إلا بزغار من جلد، وهو مقرون الناصية، ومن وجد منهم في منزله سلاح أخذ منه. وكتب أيضاً أن لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن، فإن لم يكن عندهم خير فخيرهم أولى أن لا يكون عنده خير. وكان يكتب إلى عماله: اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة، فإن من أضعافها فهو لما سواها

من شرائع الاسلام أشد تضييماً . وقد كان يكتب الموعظة إلى العامل من عماله فينخلع منها ، وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة وطوى البلاد من شدة ما تقع موعظته منه ، وذلك أن الموعظة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ . وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة ، وقد كتب إليه الحسن البصرى بواعظ حسان ولو تقصينا ذلك لطال هذا الفصل . ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارة إلى ذلك . وكتب إلى بعض عماله : أذكر ليلة تمخض بالساعة فصباحها القيامة ، فيالها من ليلة وياله من صباح ، وكان يوماً على الكافر بن عسيرا . وكتب إلى آخر : أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر المهدي بك ، وانقطع الرجاء منك ، قالوا : نخلع هذا العامل نفسه من العمالة وقدم على عمر فقال له : مالك ؟ فقال : خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعود إلى ولاية أبداً .

### قصص الأنبياء

وقد رد جميع المظالم كما قدمنا ، حتى انه رد فص خاتم كان في يده ، قال : أعطانيه الوليد من غير حقه ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في الملابس والمأكل والمتاع ، حتى انه ترك التمتع بزوجه الحسناء ، فاطمة بن عبد الملك ، يقال كانت من أحسن النساء ، ويقال إنه رد جهازها إلى بيت المال ، والله أعلم . وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلى الخلافة أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعين ديناراً في كل سنة ، وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنه عبد الملك أجملهم ، فمات في حياته في زمن خلافته ، حتى يقال إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يظهر عليه حزن ، وقال : أمر رضى الله فلا أكرهه ، وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع الابن جيداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخلافة كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يفسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنه لولا لينه . وكان يلبس الفرو الغليظة ، وكان سراجة على ثلاث قصبات في رأسه طين ، ولم يبين شيئاً في أيام خلافته ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه ، وكان يأكل الغليظ ولا يبالي بشئ من النعيم ، ولا يتبعه نفسه ولا يوده . حتى قال أبو سليمان الداراني : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر ملك الدنيا بحدافيرها وزهد فيها ، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ ليس من جرب كمن لم يجرب . وتقدم قول مالك بن دينار : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز . وقال عبد الله بن دينار : لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً ، وذكروا أنه أمر جارية تروجه حتى ينام فروخته ، فنامت هي ، فأخذ المروحة من يدها وجعل

روحها ويقول : أصابك من الحر ما أصابني . وقال له رجل : جزاك الله عن الاسلام خيراً . فقال : بل جزى الله الاسلام عنى خيراً . ويقال إنه كان يلبس تحت ثيابه مسحاً غليظاً من شعر ، ويضع في رقبته غللاً إذا قام يصلي من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشعر به أحد ، وكانوا يظنون أنه مالا أو جوهرًا من حرصه عليه ، فلما مات فتحوا ذلك المسكن فاذا فيه غل ومسح .

وكان يبكي حتى يبكي الدم من الدموع ، ويقال إنه بكى فوق سطح حتى سال دمه من الميزاب ، وكان يأكل من العس لسيرق قلبه وتغزر دمهته ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أو صاله ، وقرأ رجل عنده [ وإذا أتوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين ] الآية ، يبكي بكاءً شديداً ثم قام فدخل منزله ونفرك الناس عنه ، وكان يكثر أن يقول : اللهم سلم سلم ، وكان يقول : اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد . وقال : أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم . وقال : لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتل الواعظون والساعون لله بالنصيحة . وقال : الدنيا عدوة أولياء الله ، وولاية أعداء الله ، أما الأولياء فمتمهم وأحزنتهم ، وأما الأعداء فمترتهم وشنتهم وأبمدتهم عن الله . وقال : قد أفلح من عصم من المرء والغضب والطمع . وقال لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال : لو كنت كذلك لم تغله . وقال : أهد الناس في الدنيا على بن أبي طالب . وقال : لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه ، أعطى أو منع . وقال : قيّدوا العلم بالكتاب ، وقال لرجل : علم ولدك الفقه الأكبر : القناعة وكف الأذى . وتكلم رجل عنده فأحسن فقال : هذا هو السحر الحلال . وقصته مع أبي حازم مطولة حين رآه خليفة وقد شحب وجهه من التقشف ، وتغير حاله ، فقال له : ألم يكن ثوبك ثياباً ؟ ووجهك وضياً ؟ وطعامك شهيياً ؟ ومركبك وطياً ؟ فقال له : ألم تخبرني عن أبي هريرة أن رسول الله ص . قال : إن من ورائكم عقبة كثودا لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فذكر أنه اتى في غشيته تلك أن القيامة قد قامت ، وقد استدعى بكل من الخلفاء الأربعة ، فأمر بهم إلى الجنة ، ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم ، ثم دعى هو فأمر به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمره فأخبره ، ثم قال للسائل : فمن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف ، قتلتني ربي كل قتلة قتلة ، ثم ها أنا أنتظر ما ينتظره الموحدون . وفضائله وآثره كثيرة جداً ، وفيها ذكرنا كفاية والله الحمد والمنة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة لنا إلا به .

ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السل ، وقيل سببها أن مولى له ممة في طعام أو شراب ، وأعطى على ذلك ألف

دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فأخبر أنه مسموم، فقال: لقد علمت يوم سقيت السم، ثم استدعى مولاه الذي سقاه، فقال له: ويحك!! ما حلك على ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أعطيتها. فقال: هاتها، فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثم قال له: اذهب حيث لا يراك أحد قهلك. ثم قيل لعمر: تدارك نفسك، فقال: والله لو أن شفاؤي أن أمسّ شحمة أذني أو أوتى بطيب فأشمه ما فعلت، فقيل له: هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشئ فانهم قراء؟ فقال: [إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين] والله لا أعطيتهم حق أحد وهم بين رجلين إما صالح فآله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه. وفي رواية فإلا أبالي في أي وادهلك. وفي رواية أفأدع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ما كنت لأفعل. ثم استدعى بأولاده فودعهم وعزاهم بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم. قال: فلقد رأينا بعض أولاد عمر ابن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنما يكون أولادهم إلى ما يدعون لهم، فيضيعون وتذهب أموالهم في شبهات أولادهم. وقال يعقوب بن سفيان: ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة، فان قضى الله موتا دفنت في القبر الرابع مع رسول الله (ص)، وأبي بكر وعمر، فقال: والله لأن يعذبني الله بكل عذاب، إلا النار فانه لا صبر لي عليها، أحب إلى من أن يعلم الله من قلبي أني لذلك الموضع أهل. قالوا: وكان مرضه بدير سمعان من قرى حمص وكانت مدة مرضه عشرين يوماً، ولما احتضر قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: إلهي أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فمصيت، وثلاثاً، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحد النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين، فقال: إني لأرى حضرة مأمم بانس ولا جان، ثم قبض من ساعته. وفي رواية أنه قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسموه يقول: مرحبا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان ثم قرأ [تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين] ثم هدأ الصوت فدخلوا عليه فوجدوه قد غمض وسوى إلى القبلة وقبض.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن الدراوردي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب

فقرأوها فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه .

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساكر في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل بسنده عن عمير ابن حبيبي السلمي ، قال : أسرت أنا وثمانية في زمن بني أمية ، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا ، فقتل أصحابي وشفع في بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذاله ابنة مثل الشمس ، فعرضها عليّ على أن يقاسمني نعمته وأدخل معه في دينه فأبيت ، وخلت بي ابنته فعرضت نفسها على فامتنعت ، فقالت : ما بمنك من ذلك ؟ فقلت : بمعنى ديني ، فلا أترك ديني لامرأة ولا لشيء . فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، فقالت : سر على هذا النجم بالليل واكن بالبحار ، فإنه يلقيك إلى بلادك ، قال : فسرت كذلك ، قال فبينما أنا في اليوم الرابع مكمن إذا بجبل مقبلة فخشيت أن تكون في طلبي ، فإذا أنا بأصحابي الذين قتلوا ومهمهم آخرون على دواب شهب ، فقالوا : عمير ؟ فقلت : عمير . فقلت : لهم أوليس قد قتلتم ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز ، قال : ثم قال لي بعضهم : ناولني يدك يا عمير ، فأردفتي فدرنا يسيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون لحفي شر . وقال رجاء بن حيوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أغسله وأكفنه ، فإذا حلت عقدة

الكنز أن أنظر في وجهه فادلى ، ففعلت فإذا وجهه مثل القراطيس بياضاً ، وكان قد أخبرني أنه كل من دفنه قبله من الخلفاء وكان يحمل عن وجوههم فإذا هي مسودة . وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف ابن ماهك قال : بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . ساقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عمرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن ماهك فذكره ، وفيه غرابة شديدة والله أعلم وقد رثيت له منامات صالحة ، وتأسف عليه الخاصة والعامة ، لاسيما العلماء والزهاد والعباد . ورثاه الشعراء ، فن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكثير غزوة برئى عمر :-

عمت صنائمه فعم هلاكه \* فالتاس فيه كلهم مأجور  
والناس ما عنهم عليه واحد \* في كل دابر رنة ورفير  
يثني عليك لسان من لم توله \* خيراً لأنك بالبناء جدير  
ردت صنائمه عليه حياته \* فكأنه من نشرها منشور

وقال جرير برئى عمر بن عبد العزيز رحمه الله :-

بنى النعامة أمير المؤمنين لنا \* ياخير من حج بيت الله واعتمر

حملت أمراً عظيماً فاضلمت به \* وسرت فيه بأمر الله يا عمرا  
الشمس كاسفة ليست بطالعة \* تبكي عليك نجوم الليل والقمر  
وقال محارب بن دينار رحمه الله يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :-  
لو أعظم الموت خلقاً أن يواقعه \* لمدله لم يصبك الموت يا عمر  
كم من شريعة عدل قد نعشت لهم \* كادت تموت وأخرى منك تنتظر  
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي \* على المدول التي تمتها لها الحفر  
ثلاثة مارأت عيني لهم شهياً \* نضم أعظمهم في المسجد الحفر  
وأنت تتبعهم لم تأل مجتهداً \* سقياً لها سنن بالحق تفتقر  
لو كنت أملك والاقدار غالباً \* تأتي رواحاً وتبيناً وتبتسكراً  
صرفت عن عمر الخيرات مصرعة \* بدير سمان لكن يغلب القدر

قالوا : وكانت وفاته بدير سمان من أرض حمص ، يوم الخميس ، وقيل الجمعة لخمس مصين ، وقيل  
بقين من رجب ، وقيل لعشر بقين منه ، سنة إحدى وقيل ثنتين ومائة ، وصلى عليه ابن عمه مسلمة  
ابن عبد الملك ، وقيل صلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وقيل ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ،  
وكان عمره يوم مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهرآ ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر ، وقيل بسنة .  
وقيل بأكثر ، وقيل إنه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وقيل ستاً وثلاثين ، وقيل سبعاً وثلاثين ، وقيل  
ثمانياً وثلاثين سنة ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغها . وقال أحمد عن عبد الرزاق  
عن معمر : مات على رأس خمس وأربعين سنة . قال ابن عساکر : وهذا وهم ، والصحيح الأول  
تسعاً وثلاثين سنة وأشهرآ . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوماً ،  
وقيل سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أسمر دقيق الوجه حسنه نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين ، بجمته أثر شجة  
وكان قد شاب وخضب رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

### قصته

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحرية على عادته مع  
الخلعاء قبله ، فقال له عمر : مالي ذلك ؟ تنح عني ، إنما أنا رجل من المسلمين . ثم سار وساروا معه  
حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ! إني قد ابتليت بهذا الأمر  
عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم  
من بيعتي ، فاخاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون . فصاح المسلمون ضيحة واحدة : قد اخترناك



لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك . فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فانه هادم اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها ولا في كتابها ولا في نبيها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطى أحداً ابطلاً ، ولا أمنع أحداً حقاً ، ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فدخل فأمر بالسور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل أمانها في بيت المال ، ثم ذهب يتبوأ مقبلاً ، فأثاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ما ذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقبيل ، قال : تقبل ولا ترد المظالم إلى أهلها ؟ فقال : إني سهوت البارحة في أمر سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . فقال له ابنه : ومن لك أن تمشي إلى الظهر ؟ قال : ادن مني أي بني ، فدنا منه فقبل بين عيبيه وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبى من يعينى على ديني . ثم قام وخرج وترك القاتاة وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفعهما ، فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص<sup>(١)</sup> فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال : ما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي . والعباس جالس ، فقال له عمر : يا عباس ما تقول ؟ قال : نعم ! أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذمى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى . فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم فاردد عليه ضيعته ، فردها عليه . ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه ، فما رفعت إليه مظلمة إلا ردتها ، سواء كانت في يده أو في يد غيره حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم ، مما كان في أيديهم بغير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس ، فلم يقدم ذلك شيئاً ، فأثروا عنهم فاطمة بنت مروان . وكانت عمته ففشكروا إليها ما لقوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالهم ويُسْتَنْقِصُون عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأساً ، وكانت هذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء ، ولا ترد لها حاجة ، وكانوا يكرمونها ويعظمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامت فركبت إليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها ، لأنها أخت أبيه ، والتي لها وسادة ، وشرع يجاذبها ، فرآها غضبي وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمه مالك ؟ فقالت : بنو أمي عبد الملك وأولادهم يهانون في زمانك ولايتك ؟ وتأخذ أموالهم فتعطها لغيرهم ، ويسبون عندك فلا تنكر ؟ فضحك عمر وعلم أنها متحملة ، وأن عقلها قد كبر ، ثم شرع يجاذبها والنضب لا يتحيز عنها ، فلما رأى ذلك أخذ معها في الجد ، فقال : يا عمه ! اعلم أن النبي اسـ .

(١) في الأصل « من أهل خضر » ومصحفناه من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحوزي صفحة ١٠٤

مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر رجل آخر فكوى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقى حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه ، وإيم الله لئن أبقتني الله لأردنّه إلى مجراه الأول ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالى ، والوالى لا يزيل ذلك ، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناه عنه في غيرهم ؟ فقالت : فلا يسبوا عندك ؟ قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظلمته فأخذ له بها . ذكر ذلك ابن أبي الدنيا وأبو نعيم وغيرهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية .

وقال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر في مرضه فاذا عليه قيص وسخ ، فقلت لفاطمة : ألا تسألوا قيص أمير المؤمنين ؟ فقالت : والله ماله قيص غيره ، وبكى فبكت فاطمة فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما أنجلت عنهم العبارة قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني ذكرت منصرف الخلائق من بين يدي الله ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ثم صرخ وغشى عليه .

وعرض عليه مرة مسك من بيت المال فسد أفنه حتى وضع ، فقيل له في ذلك فقال : وهل ينتفع من المسك إلا بريجه ؟ ولما احتضر دعا بأولاده وكانوا بضعة عشر ذكراً ، فنظر إليهم فدرفت عيناه ثم قال : بنفسى الفتية . وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بهذه الأبيات : -

يزى مستكيناً وهو للقول ماقث \* به عن حديث القوم ما هو شاغله  
وأزججه علم عن الجهل كله \* وما عالم شيئاً كمن هو جاهله  
عبوس عن الجهال حين يراهم \* فليس له منهم خبيرين بهازله  
تذكر ما يبق من العيش فارعوى \* فأشغله عن عاجل العيش آجله

وروى ابن أبي الدنيا عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده

سابق البربرى وهو ينشده شعراً ، فاتمى في شعره إلى هذه الأبيات : -

فكم من صحيح بات لهوت آمناً \* أتته المنايا بنته بعد ما جمع  
فلم يستطع إذ جاءه الموت بنته \* فراراً ولا منه بقوته امتنع  
فأصبح تبكيه النساء مقنماً \* ولا يسمع الداعى وإن صوته رُفِع  
وقرب من لحيد فصار مقيله \* وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع  
فلا يترك الموت الغنى ملله \* ولا معدماً فى المال إذا حاجة يدع

وقال رجا بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده

في الخلافة ، أنه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال يزيد يا أمير المؤمنين إن هذا المرأى - يعنى عمر ابن عبد العزيز - قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودر ثمين ، في بيتين في داره مملوءين ، وهما موقوفان على ذلك الدر والجوهر . فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغنى أن عمر خاف جوهرآ ودرآ في بيتين موقوفين . فأرسلت إليه : يا أخى ما ترك عمر من سبد ولا لبد ، إلا ما فى هذا المنديل . وأرسلت إليه به ، فخله فوجد فيه قبضا غليظا مرقوعا ، ورداه قشبا ، وحببة محشوة غليظة وأهية البطانة . فقال يزيد للرسول : قل لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما فى البيتين . فأرسلت تقول له : والذى فجعنى بأمر المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولى الخلافة ، لعمري بكرهته لذلك ، وهذه مفاتيحهما فتعال فقول ما فيهما لبيت مالك . فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد البيتين فإذا فيه كرسي من آدم وأربع أجرآت ، مبسوطات عند الكرسي ، وققم . فقال عمر بن الوليد : أسستغفر الله ، ثم فتح البيت الثانى فوجد فيه مسجداً مفروشاً بالحصى ، وسلسلة معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الانسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق ، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبة ، وربما كان يضعها إذا نكس لثلاثين ، ووجدوا صندوقاً مقلداً ففتح فوجدوا فيه سفظاً ففتحها فإذا فيه دراعة وتبان ، كل ذلك من مسوح غليظ ، فبكى يزيد ومن معه وقال : برحمك الله يا أخى ، إن كنت لتلقى السريرة ، نقي الملايصة . وخرج عمر بن الوليد وهو مخنول وهو يقول : أستغفر الله ، إنما قلت ما قيل لى .

وقال رجا : لما احتضر جعل يقول : اللهم رضنى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك ، حتى لا أحب لما عجلت تأخيرها ، ولا لما أخرت تعجيلها . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أصبحت وما لى فى الأمور هو لى إلا فى مواضع قضاء الله فيها .

وقال شعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة : أما بعد يا عمر فإنه قد ولى الخلافة والمالك قبلك أقوام ، فماتوا على ما قد رأيت ، ولقوا الله فرادى بعد الجوع والحفنة والحشم ، وعلجوا نزع الموت الذى كانوا منه يفرون ، فانفقت عينهم التى كانت لا تنظر لذاتها ، واندفنت رقابهم غير مؤسدين بعد لين الوسائد ، ونظاير الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وانشقت بطونهم التى كانت لا تشيع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وصاروا جيفا بعد طيب الروائح العطرة ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين ممن كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذى بهم ، ولنفر منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والنياب الفاخرة اللينة ، كانوا ينفقون الأموال إسرافاً فى أغراضهم وأهوائهم ، ويقترون فى حق

الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوبون مرتنون بما عليهم ، وأنت غير محبوب ولا مرتن بشئ فافعل ، واستعن بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه .

وما ملك عما قليل بسالم \* ولو كثرت أحراسه ومواكبه

ومن كان ذاباب شديد وحاجب \* فما قليل يهجر الباب حاجبه

وما كان غير الموت حتى تفرقت \* إلى غيره أعوانه وحبايبه

فأصبح مسروراً بكل حاسد \* وأسلمه أصحابه وحبايبه

وقيل إن هذه الأبيات لغيره .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص : حدثنا عاصم بن عامر حدثنا أبي عن عبد ربه بن أبي هلال عن ميمون بن مهران قال : تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ففتح له منطلق وموعظة حسنة ، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقتة ، فقالت له : يا أمير المؤمنين امض في موعظتك فاني أرجو أن ين الله به على من سمعه أو بلغه ، فتال إليك عنى يا أبا أيوب ، فان في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والفعال أولى بالؤمن من المقال . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار ، قاتلهم الله ، أما كانوا يشون على القبور !! وروى عبد الرزاق قال : سمعت معمرأ يذكر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة - وبلغه عنه بعض ما يكره - : أما بعد فانه غرتي بك مجالستك القراء ، وعاملتك السوداء ، وإرسالك إياها من وراء ظهرك ، وإني أحسنت الملائية فأحسننا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثير مما تعملون .

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له : أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن قد حارب سنته ، وكفوا مؤنته ، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها - أو قال دليل عليها - فعملك لزوم السنة ، فانه إنما منها من قد علم ما في خلافتها من الزيغ والزلل ، والحق والخطأ والتعمق ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشد ، وإني كان عملهم على الأسد ، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل لكانوا فيه أخرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير ، فان قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورجبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم غير محسن ، ولقد

قصر أقوام دينهم فحفوا ، وطمح عنهم آخرون فنلوا ، فرحم الله ابن عبد العزيز . ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمثابرة ومحبة ما كان عليه الصحابة ، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه .

ويروي الخطيب البغدادي من طريق يعقوب بن سفيان الحافظ عن سعيد بن أبي مرثد عن رشيد بن سعيد قال : حدثني عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز . قال : سن رسول الله يس ، وخلفاؤه بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لسكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في رأى من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هدى ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاة الله ما تولى ، وأصله جهنم وسامت مصيرا .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبهم فقال في خطبته : إني لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعمل لذلك ويستمد له أحق ، والمكذب له كافر . ثم تلا قوله تعالى [ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ] وقوله تعالى [ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ]

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولاده مع مؤدب لهم إلى الطائف يعلمهم هناك ، فكتب إليه عمر : نئس ما علمت ، إذ قدمت إمام المسلمين صبيا لم يعرف النية - أولم تدخله النية - ذكره في كتاب النية له . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ليس الخير أن يسمع لك وتطاع ، وإنما الخير أن تكون قد غفلت عن ربك عز وجل ثم أطعته ، يا بني لا تأذن اليوم لأحد على حتى أصبح ويرتفع النهار ، فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عني ، فقال له مولاه : رأيتك البارحة بكيت بكاء ما رأيتك بكيت مثله ، قال فبكي ثم قال : يا بني إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل . قال : ثم غشى عليه فلم يفق حتى علا النهار ، قال : فما رأيتك بعد ذلك متبسا حتى مات .

وقرأ ذات يوم [ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا ] الآية ، فبكى بكاء شديدا حتى مضمه أهل الدار ، فجاءت فاطمة فجلست تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهما ، فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبة ما يبكيك ؟ فقال : يا بني خير ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك وأن أكون من أهل النار .

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنبري . قال : رأيت عمر بن عبد العزيز

خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، وراه خبيث يمشى ، فلما انتهى إلى الناس رجع الخبيثى ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحمك الله ، حتى صعد المنبر فخطب فقرأ [ إذا الشمس كورت ] فقال : وما شأن الشمس [ وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلقت ] فبكى وبكى أهل المسجد ، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكى معه ، ودخل عليه أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة ، وانتهيت إلى الغاية ، والله سائلك عنى . فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ فقال : أنا وثلاث بنات . ففرض له على ثلاثمائة ، وفرض لبناته مائة مائة ، وأعطاه مائة درهم من ماله ، وقال له : اذهب فاستنقعها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم .

وجاءه رجل من أهل أذربيجان فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين اذكر بقامى هذا بين يديك مقامك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، من يوم تلقاه بلائقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، قال : فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال له : ما حاجتك ؟ فقال : إن عاملك بأذربيجان عدداً على فأخذ منى اثني عشر ألف درهم جعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها ، فليرد عليه ، ثم أرسله مع البريد . وعن زياد مولى ابن عياش قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردة شاتية ، فجعلت أصطلى على كائون هناك ، فجاء عمر وهو أمير المؤمنين فجعل يصطلى معى . على ذلك الكائون ، فقال لى : يا زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قص على ، قلت ما أنا بفصاص ، فقال : تكلم ، قلت زياد ، فقال : ماله ؟ قلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا دخل الجنة ، فقال : صدقت ، ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذى فى الكائون .

وقال له زياد العبدى : يا أمير المؤمنين لاتعمل نفسك فى الوصف واعلمها فى المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما أنت فيه ، ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن رجل له خصم ألد ما حاله ؟ قال : سبى الحال ، قال : فان كانا خصمين الدين ؟ قال : فهو أسوأ حالا ، قال : فان كانوا ثلاثة ؟ قال : ذلك حيث لا يهنته عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد (ص) ، إلا وهو خصمك ، قال : فبكى عمر حتى تمنيت أنى لم أكن حدثته ذلك . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد فان من الناس من شاب فى هذا الشراب ، وينشون عنده أموراً اتهموها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدم الحرام ، وارتكبوا فيه الفروج الحرام ، والمال الحرام ، وقد جعل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال ، فمن انتبذ فلا ينتبذ إلا من أسقية الأدم ، واستغنوا بما أحل الله مما حرم ، فانما من وجدناه شرب شيئاً مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه ، جعلنا له عقوبة شديدة ،

ومن استخف بما حرم الله عليه فالله أشد عقوبة له وأشد تنكيلا

### خلافة يزيد بن عبد الملك

بويج له بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك أن يكون ولي الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة - أغنى سنة إحدى ومائة - بإياديه الناس البيعة العامة ، وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة ، فعزل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فنجرت بينه وبين أبي بكر بن حزم منافسات وضمائناً ، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة فحده حدين فيها

وفيهما كانت وقعة بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جنود الكوفة ، وكانت الخوارج جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكادت الخوارج أن تكسرهم ، فنداموا بينهم فطحنوا الخوارج طحناً عظيماً ، وقتلوا منهم عن آخرهم ، فلم يبقوا منهم نائرة . وفيها خرج يزيد بن المهلب فخلع يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرة طويلة ، وقتال طويل ، فلما ظهر عليها بسط الدمل في أهلها ، وبذل الأموال ، وحبس عاملها عدى ابن أرتاة ، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيد بن المهلب من محبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا ، ولما ظهر على قصر الأمانة أتى بهدى بن أرتاة فدخل عليه وهو يضحك ، فقال يزيد بن المهلب : إني لأعجب من ضحكك ، لأنك هربت من القتال كما تهرب النساء ، وإنك جئتني وأنت تثلُّ كما يتلُّ العبد . فقال عدى : إني لأضحك لأن بقائي بقاء لك وأن من ورأى طالباً لا يتركني ، قال : ومن هو ؟ قال : جنود بني أمية بالشام ، ولا يتركوك ، فدارك نفسك قبل أن يرمى إليك البحر بأهواجه ، فتطالب الأقالمة فلا تقال . فرد عليه يزيد جواباً قال ، ثم سجنه كما سجن أهلها ، واستقر أمر يزيد بن المهلب على البصرة ، وبعث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان ، ومعه جماعة من المقاتلة ، فلما بلغ خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف ، مقدمة بين يدي عمه مسلمة بن عبد الملك ، وهو في جنود الشام ، قاصدين البصرة لقتاله ، ولما بلغ يزيد بن المهلب مخرج الجيوش إليه خرج من البصرة واستناب عليها أخاه مروان بن المهلب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار من معه من الأمراء فيما ذا يعتمد ؟ فاختلغوا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى الأهواز ليتحصن في رؤس الجبال ، فقال : إنما تريدون أن تجعلوني طائراً في رأس جبل ؟ وأشار عليه رجال أهل العراق أن يسير إلى الجزيرة فينزلها بأحسن حصن فيها ، ويجمع

عليه أهل الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام ، وانسلخت هذه السنة وهو نازل بأسط وجيش الشام قاصده .  
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز  
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعلى  
قضايتها عامر الشعبي ، وعلى البصرة يزيد بن المهلب . قد استحوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيد  
ابن عبد الملك . وفيها توفي عمر بن عبد العزيز ، ورعي بن حراش ، وأبو صالح السمان وكان عبداً  
صادقاً ثباتاً ، وقد ترجمناه في كتابنا التكميل والله أعلم .

### ثم دخلت سنة ثنتين ومائة

فيها كان اجتناع مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب ، وذلك أن يزيد بن المهلب ركب من  
واسط واستخلف عليها ابنه معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب ،  
حتى بلغ مكاناً يقال له المقر ، وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بها ، وقد  
التقت المقدمتان أولاً فاقتلوا قتلاً شديداً ، فهزم أهل البصرة أهل الشام ، ثم تذامر أهل الشام  
فحملوا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة من الشجعان ، منهم المنتوف ، وكان شجاعاً  
مشهوراً ، وكان من موالى بكر بن وائل ، فقال في ذلك الفرزدق :

تبكى على المنتوف بكر بن وائل \* وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

فأجابه الجعد بن درهم مولى الثوريين من همدان ، وهذا الرجل هو أول الجهمية ، وهو الذي  
ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال الجعد :-

تبكى على المنتوف في نصر قومه \* وليتنا نبكى الشائد بن أباهما

أرادا فناء الحى بكر بن وائل \* فمرّ تميم لو أصيب فساها

فلا لقياً روحاً من الله ساعة \* ولا رقأت عينا شجى بكاهما

أفى الفس نبكى إن بكينا عليهما \* وقد لقياً بالفس فينا رداها

ولما اقترب مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب ، خطب يزيد بن  
المهلب الناس وحرّضهم على القتال - يعنى قتال أهل الشام - وكان مع يزيد نحو من مائة ألف ،  
وعشرين ألفاً ، وقد يأموه على السمع والطاعة ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله ، وعلى أن  
لا يظأ الجنود بلادهم ، وعلى أن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج ، ومن يأمنا على ذلك قبلنا  
منه ، ومن خالفنا قاتلناه .

وكان الحسن البصرى في هذه الأيام يمرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة ،  
وإنهم أشد النهى ، وذلك لما وقع من القتال الطويل العريض في أيام ابن الأشعث ، وما قتل بسبب



ذلك من النفوس المدينة ، وجعل الحسن يخطب الناس ويدظهم في ذلك ، ويأمرهم بالكف ، فبلغ ذلك نائب البصرة عبيد الملك بن المهلب ، فقام في الناس خطيباً فأمرهم بالجد والجهاد ، والنفر إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرأى - ولم يسمه - يثبط الناس ، أما والله ليكفن عن ذلك أو لأفعلن ولأفعلن ، وتوعد الحسن ، فلما بلغ الحسن قوله قال : أما والله ما أكره أن يكرمنى الله بهوانه ، فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم ، وذلك أن الجيوش لما تواجعت تبارز الناس قليلاً ، ولم ينشب الحرب شديداً حتى فر أهل العراق سريراً ، وبلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه حرق فانهزموا ، فقال : يزيد بن المهلب : ما بال الناس ؟ ولم يكن من الأمر ما يفتر من مثله ، فقيل له : إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه قد حرق . فقال : فبعهم الله ، ثم رام أن يرد المنهزمين فلم يمكنه ، فثبت في عصابة من أصحابه وجعل بعضهم يتسللون منه حتى بقي في شردمة قليلة ، وهو مع ذلك يسير قدما لا يمر بخيل إلا هزمهم ، وأهل الشام يتجاوزون عنه يميناً وشمالاً ، وقد قتل أخوه حبيب بن المهلب ، فازداد حنقا وغيطاً ، وهو على فرس له أشهب ، ثم قصد نحو مسلة بن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما واجهه حملت عليه خيول الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلب ، وقتلوا السمينع ، وكان من الشجمان ، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له القجل بن عياش ، فقتل إلى جانب يزيد ابن المهلب ، وجاؤا برأس يزيد إلى مسلة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، واستخوذ مسلة على مافي معسكر يزيد بن المهلب ، وأسر منهم نحواً من ثلاثمائة ، فبعث بهم إلى الكوفة ، وبعث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار مسلة فنزل الحيرة

ولما انتهت هزيمة ابن المهلب إلى ابنة معاوية وهو بواسط ، عمد إلى نحو من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم ، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، عدى بن أرطاة رحمه الله وأبنة ، ومالك وعبد الملك ابنا مسمع ، وجماعة من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه الخزان من الأموال ، وجاء معه عمه المفضل بن المهلب إليه ، فاجتمع آل المهلب بالبصرة فأعدوا السفن ونجحوا وأتم الجهاز واستعدوا للهرب ، فساروا بديالهم وأتقاهم حتى أتوا جبال كرمان فنزلوها ، واجتمع عليهم جماعة ممن قل من الجيش الذي كان مع يزيد بن المهلب ، وقد أمروا عليهم المفضل بن المهلب ، فأرسل مسلة جيشاً عليهم هلال بن ماجور الحاربي في طلب آل المهلب ، ويقال إنهم أمروا عليهم رجلاً يقال له مدرك بن ضب الكلبي ، فلحقهم بجبال كرمان فاقتلوا هنالك قتالاً شديداً ، فقتل جماعة من أصحاب المفضل وأسر جماعة من أشرافهم وانهزم بقيتهم ، ثم أخذوا المفضل فقتلوه وحمل رأسه إلى مسلة بن عبد الملك ، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب فأخذوا لهم أماتا من أمير الشام

منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، ثم أرسلوا بالأقتال والأموال والنساء والذرية فوردت على مسleme بن عبد الملك ومعهم رأس المفضل ورأس عبد الملك بن المهلب ، فبعث مسleme بالرأس وتسعة من الصبيان الحسان إلى أخيه يزيد ، فأمر بضرب أعناق أولئك ، ونصبت رؤسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنصبت بها ، وحلف مسleme بن عبد الملك لبيمين ذراري آل المهلب ، فاشترام بعض الأمراء إبراهيماً لتسمة بمائة ألف ، فأعتقهم وبخل سيبلهم ، ولم يأخذ مسleme من ذلك إلا مير شيئا وقد رنا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكرها ابن جرير .

### ولاية مسleme على بلاد العراق وخراسان

وذلك أنه لما فرغ من حرب آل المهلب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فاستناب على الكوفة وعلى البصرة ، وبعث إلى خراسان خنته - زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقب بغذينة ، فسار إليها فغرض أهلها على الصبر والشجاعة ، وعاقب عمالاً ممن كان ينوب لآل المهلب ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة ، ومات بعضهم تحت العقوبة .

### ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك ، بعث جيشاً إلى الصفد لقتال المسلمين ، عليهم رجل منهم يقال له كورصول ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصره وفيه خلق من المسلمين ، فصالحهم نائب سمرقند - وهو عثمان بن عبيد الله بن مطرف - على أربعين ألفاً ، ودفع إليهم سبعة عشر دهباً رهائن عندهم ، ثم نسب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له المسيب بن بشر الرياحي في أربعة آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق [ خطبهم ] فخطبهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء لطلب الشهادة ، فرجع عنه أكثر من ألف ، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ويرجع عنه بعضهم ، حتى بقي في سبعمائة مقاتل ، فسار بهم حتى غالق جيش الأتراك ، وهم محاصرو ذلك القصر ، وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل نسايتهم وذبح أولادهم أمامهم ، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم ، فبعث إليهم المسيب يثبثهم يومهم ذلك ، فثبتوا ومكث المسيب حتى إذا كان وقت السحر فكبر وكبر أصحابه ، وقد جعلوا شعارهم يا محمد ، ثم حلوا على الترك حملة صادقة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعقروا دواب كثيرة ، ونهض إليهم الترك فقاتلوا قتالاً شديداً ، حتى فر أكثر المسلمين ، وضربت دابة المسيب في عجزها فترجل وترجل معه الشجعان ، فقاتلوا وهم كذلك قتالاً عظيماً ، والتف الجماعة بالمسيب وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفر المشركون بين أيديهم هاربين لا يلوون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادى منادى المسيب :

أن لا تتبعوا أحدا ، وعليكم بالقصر وأهله ، فاحتلموهم وحازوا ماني معسكر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءت الترك من الغد فلم يجدوا به داعياً ولا نجياً ، فقالوا في انفسهم : هؤلاء الذين لقونا بالأمس لم يكونوا إنسا ، إنما كانوا جنأ . ومن توفى فيها من الأعيان والسادة :

#### الضحاك بن مزاحم الهلالي

أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخراساني ، كان يكون ببلخ وسمرقند ونيسابور ، وهو تابعي جليل روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعة من التابعين ، وقيل إنه لم يصب له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع ، وإن كان قد روى عنه أنه جاوره سبع سنين ، وكان الضحاك إماما في التفسير ، قال الثوري : أخذوا التفسير عن أربعة ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ، وقال الإمام أحمد : هو ثقة ، وأنكر شعبة سماعه من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيد عنه ، وقال ابن سعيد القطان : كان ضعيفاً . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : لم يشافه أحداً من الصحابة ، ومن قال : إنه لقي ابن عباس فقد وهم ، وحملت به أمه سنتين ، ووضعته وله أسنان ، وكان يعلم الصبيان حسبة ، وقيل إنه مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة والله أعلم .

#### ابو المتوكل الناجي

اسمه علي بن البصري ، تابعي جليل ، ثقة ، رفيع القدر : مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

فيها عزل أمير العراق وهو عمر بن هبيرة سعيد - الملقب خذينة - عن نيابة خراسان ، وولى عليها سعيد بن عمرو الجريشي ، باذن أمير المؤمنين ، وكان سعيد هذا من الأبطال المشهورين ، انزعج له الترك وخافوه خوفاً شديداً ، وتقهروا من بلاد الصفد إلى ما وراء ذلك ، من بلاد الصين وغيرها ، وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بين إمرة المدينة وإمرة مكة ، وولى عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري نيابة الطائف . وحج بالناس فيها أمير الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان :

#### يزيد بن ابي مسلم

أبو العلاء المدني . عطاء بن يسار الهلالي ، أبو محمد القاص المدني ، مولى ميمونة ، وهو أخو سليمان ، وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلهم تابعي . وروى هذا عن جماعة من الصحابة ، وثقة غير واحد من الأئمة ، وقيل إنه توفى سنة ثلاث أو أربع ومائة ، وقيل توفى قبل المائة بالأسكندرية ، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

### مجاهد بن جبير المكي

أبو الحجاج القرشي الخزومي ، مولى السائب بن أبي السائب الخزومي ، أحد أئمة التابعين والمفسرين كان من أنصاه أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل إنه لم يكن أحد يريد بالعلم وجه الله إلا مجاهد وطاوس ، وقال مجاهد : أخذ ابن عمر بركابي وقال : وددت أن ابني سالما وغلامي نافعاً يحفظان حفظك . وقيل إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل مرتين ، أفقه عند كل آية وأسأله عنها ، مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة ، وقيل إحدى وقيل ثنتين وقيل ثلاث ومائة ، وقيل أربع ومائة ، وقد جاوز الثمانين والله أعلم .

### فضيلة الأئمة

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم ، عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وابن عمرو وأبي سعيد ورافع بن خديج . وعنه خلق من التابعين . قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عياش قال : أخبرني أبو يحيى أنه سمع مجاهداً يقول : قال لي ابن عباس : لا تمنن إلا على وضوء فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : ( ادفع بالتي هي أحسن ) قال : يسلم عليه إذا لقيه وقيل هي المصافحة . وروى عمرو بن مرة عنه أنه قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : اتق لا يأخذك الله على ذنب لا ينظر فيه إليك فتلقاه حين تلقاه وليست لك حاجة . وروى ابن أبي شيبه عن أبي أمامة عن الأعمش عن مجاهد . قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوى حاجة ، عندهم رأس شاة فأصابوا شيئاً ، فقالوا : لو بمننا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا ، فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم أولاً . وروى ابن أبي شيبه عن أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموت إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً . وقال : فلا أنفسهم يهدون . قال : في القبر . وروى الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبانة عن مجاهد قال : كان يهيج من بني إسرائيل مائة ألف ، فاذا بلغوا أرواف الحرم خلعوا نعالم ثم دخلوا الحرم حفاة . وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى : [ يا مريم اقنتي لربك ] قال : اطلبي الركود . وفي قوله تعالى : [ واستغزز من استظمت منهم بصوتك ] قال الزمير . وقال في قوله تعالى [ أنكلا وجعياً ] قال : قيود . وقال في قوله : [ لا حجة بيننا وبينك ] قال لا خصومة . وقال : [ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ] قال : عن كل لذة في الدنيا . وروى أبو الدبيع عن جرير ابن عبد الحسين عن منصور عن مجاهد . قال : رن إبليس أربع زفات ، حين لمن ، وحين أهبط ،

وحين بعث النبي (ص) : وأُنزلت [ الحمد لله رب العالمين ] وأُنزلت بالمدينة . وكان يقال : الزنة  
والنخرة من الشيطان ، فلن من رن أو نخر . وروى ابن نجيب عنه في قوله تعالى [ أتنبون بكل  
ربيع آية نعبتون ] قال : بروج الحمام . وقال في قوله تعالى [ أنفقوا من طيبات ما كسبتم ] قال :  
التجارة . وروى ليث عن مجاهد قال [ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ] قال : استقاموا فلم  
يشركوا حتى ماتوا . وروى يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبي عمير عن طلحة بن مصرف عن مجاهد  
[ ولم يكن له كفوا أحد ] قال : صاحبة . وقال ليث عن مجاهد قال : النملة التي كتبت سليمان كانت  
مثل الذئب العظيم

وروى الطبراني عن أبي نجيب عن مجاهد . قال : كان الغلام من قوم عاد لا يتحتم حتى يبلغ  
مائتي سنة . وقال : [ سألت سائل ] دعا داع . وفي قوله [ ماء غدقا لفتنهم فيه ] حتى يرجعوا إلى علي  
فيه [ لا يشركون بي شيئا ] قال لا يجعون غيري . [ الذين يمشون السيئات ] قال هم المرأون .  
وفي قوله تعالى : [ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ] قال هم الذين لا يدرون أنهم  
الله عليهم أم لم ينعم . ثم قرأ [ وذكروهم بأيام الله ] قال : أيام نعمه ونعمه . [ فردوه إلى الله والرسول ]  
فردوه إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيا ، فإذا مات فإلى سنته . [ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة  
وباطنة ] قال : أما الظاهرة فالإسلام والقرآن والرسول والرزق ، وأما الباطنة فما ستر من العيوب  
والذنوب . وروى الحكم عن مجاهد قال : لما قدمت مكة نساء على سليمان عليه السلام رأته حطبا  
جزلا فقالت للغلام سليمان : هل يعرف مولاك كم وزن دخان هذا الحطب ؟ فقال الغلام : دعى مولاي  
أنا أعرف كم وزن دخانه ، فكيف مولاي ؟ قالت : فكيف وزنه ؟ فقال الغلام : يوزن الحطب ثم يجرق  
الحطب ويوزن رماده فما نقص فهو دخانه . وقال في قوله تعالى : [ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ]  
قال : من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين . وقال ما من يوم ينقضي من الدنيا إلا قال  
ذلك اليوم : الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها ، ثم يطوى عليه فيحتم إلى يوم القيامة ، حتى  
يكون الله عز وجل هو الذي ينقض حاجته . وقال في قوله تعالى : [ يؤتى الحكمة من يشاء ] قال : العلم  
والفقه ، وقال إذا ولي الأمر منكم الفقهاء . وفي قوله تعالى : [ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ]  
قال : البدع والشبهات . وقال : أفضل العبادة الرأي الحسن - يعني اتباع السنة - وقال : ما أدرى أي  
التممتين أفضل ، أن هداني للإسلام ، أو عافاني من الأهواء ؟ . وقال في رواية : أول الأمر منكم ،  
أصحاب محمد ، وربما قال : أولو العقل والفضل في دين الله عز وجل [ بما صنعوا قارعة ] قال السرية .  
[ ويضاق مالا تملون ] . قال : السوس في الثياب . [ وهن العظم منى ] قال : الأضراس . [ حفيا ] قال  
رحبا . وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدت في كتاب محمد بن أبي جاتم بخط يده : حدثنا

بشر بن الحارث حدثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد. قال : لو أن رجلاً أتق مثل أحد في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين . وفي قوله تعالى [ وهو شديد الحال ] قال : المدلوه [ بينهما برزخ لا يبغيان ] قال : بينهما حاجز من الله فلا يبغي الخلو على المالح ولا المالح على الخلو . وقال ابن منده : ذكر محمد بن حميد : حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش قال : كان مجاهد لا يسبح بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها ، قال : وذهب إلى حضرموت إلى بشر برهوت قال : وذهب إلى بابل قال : وعليها وال تصديق لمجاهد : قتال مجاهدة : تعرض على هاروت وماروت ، قال : فدعا رجلاً من السحرة فقال : اذهب بهذا فاعرض عليه هاروت وماروت . فقال اليهودي : بشرط أن لا تدعو الله عندهما ، قال مجاهد : فذهب بي إلى قلعة فقطع منها حجراً ثم قال : خذ برجلي ، فهوى بي حتى انتهى إلى حوطة ، فاذا هما معلقين منسكين كالجبلين العظيمين ، فلما رأيتهما قلت : سبحان الله خالقكما ، قال : فاضطر با فكأن جمال الدنيا قد تدكدت ، قال : فنشئ على وعلى اليهودي ، ثم أطاق اليهودي قبلي ، فقال : قم ! كدت أن تهلك نفسك وتهلكي .

وروى ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثة نبي ، بالنبئ والمرئض ، والعبد المملوك . قال : فيقول الله عز وجل للنبي : ما شغلك عن عبادتي التي إيمانك خلقتك لها ؟ فيقول يارب أكثر لي من المال فطغيت . فيؤتى يسليمان عليه السلام في ملكه فيقول لدا : أنت كنت أكثر مالا وأشد شغلا أم هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله له : فإن هذا لم يمنعه ما أوتى من الملك والمال والشغل عن عبادتي . قال : ويؤتى بالمرئض فيقول : ما منعتك عن عبادتي التي خلقتك لها ؟ يقول : يارب شغلني عن هذا مرض جسدي ، فيؤتى بأيوب عليه السلام في ضربه وبلائه ، فيقول له : أنت كنت أشد ضرا ومرضا أم هذا ؟ فيقول : بل هذا ، فيقول : إن هذا لم يشغله ضره ومرضه عن عبادتي . ثم يؤتى بالمملوك فيقول لله له : ما منعتك من عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول رب فضلت علي أربابا فلكوني وشغلوني عن عبادتك . فيؤتى بيوسف عليه السلام في رقه وعبوديته فيقول الله له : أنت كنت أشد في رقتك وعبوديتك أم هذا ؟ فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله : فإن هذا لم يشغله ما كان فيه من الرق عن عبادتي ، وروى حميد عن الأعرج عن مجاهد . قال : كنت أصحب ابن عمر في السفر فاذا أردت أن أركب مسك ركابي ، فاذا ركبت سوحي على ثيابي فرأيت مرة كأني كرهت ذلك بي ، فقال : يا مجاهد إنك لضيق الخلق ، وفي رواية من صحب ابن عمر وأنا أريد أن أخدسه فكان يخدمني .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن رجل عن مجاهد . قال : جعلت الأرض للموت مثل الطلست يتناول منها حيث شاء ، وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها

منهم . وقال : لما هبط آدم إلى الأرض قال له : ابن للخراب ولد للفناء . وروى قتيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد ، [ ويا منهنم اللاعنون ] قال : تلعن عصاة بنى آدم دواب الأرض وما شاء الله حتى الحيات والمقارب ، يقولون : تمنعنا القطر بذنوب بنى آدم . وقال غيره : تسلط الحشرات على العصاة في هجورهم ، لما كان ينالهم من الشدة بسبب ذنوبهم : فتلك الحشرات من المقارب والحيات هي السيئات التي كانوا يعلونها في الدنيا ويستلذونها ، صارت عذابا عليهم . نسأل الله العافية . وقال : [ إن الانسان لربه لكنود ] لكفور . وقال الامام أحمد : حدثنا عمر بن سليمان حدثني مسلم أبو عبد الله عن ايث عن مجاهد قال : من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وأراح نفسه . وقال عمرو بن زروق حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد . قال [ فظن أن لن نقدر عليه ] أن لن نقابيه بذنبه . وبهذا الاسناد قال : لم أكن أحسن ما الزخرف حتى تمتمها في قراءة عبد الله بيتا من ذهب . وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا خلف بن خليفة عن ايث عن مجاهد : إن الله عز وجل ليصلح بإصلاح العبد ولده . قال : وبلغني أن عيسى عليه السلام كان يقول : طوبى للمؤمن كيف يخلفه الله فيمن ترك بحجر . وقال الفضيل بن عياض عن عبيد المكتوب عن مجاهد في قوله تعالى [ وتقطعت بهم الأسباب ] الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا . وروى سفيان بن عيينة عن سفيان الثوري عن ابن أبي عمير عن مجاهد في قوله تعالى : [ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ] قال : إلا الله عز وجل . وقال في قوله تعالى [ بقية الله خير لكم ] طاعة الله عز وجل . وفي قوله تعالى [ ولئن خاف مقام ربه جنتان ] قال : هو الذي يذكر الله عند الهم بالمعاصي . وقال الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد : [ سيام في وجوههم ] الخشوع . وفي قوله تعالى [ هوموا لله قانتين ] قال الثعلوث الركوند والخشوع وغض البصر ، وخفض الجناح من رهبة الله . وكان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره أو يلتفت أو يقبل الحصا ، أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا . إلا خاشعا مادام في صلاته . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عمرو وحدثنا ابن إدريس حدثني عقبة بن إسحاق - وأثنى عليه خيرا - حدثنا ايث عن مجاهد . قال : كنت إذا رأيت العرب استخفيتهما وجدتهما من وراء دينها ، فإذا دخلوا في الصلاة فكأنما أجساد ليست فيها أرواح . وروى الأعمش عنه قال : إنما القلب منزلة الكف ، فإذا أذنب الرجل ذنبا قبض هكنا - وضم للخصر حتى ضم أصابعه كلها أصبأ أصبأ - قال : ثم يطبع ، فكأنوا يرون ذلك الران : قال الله تعالى : [ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ] وروى قبيصة عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد : [ بل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ] قال : الذنوب تحيط بالقلوب كالحائط المبني على الشيء المحيط ، كلما عمل ذنبا ارتفعت حتى تمشي القلب حتى تكون هكنا - ثم قبض يده - ثم قال : مو الران . وفي قوله : [ بما

قدم وأخر [ قال : أول عمل العبد وآخره [ و إلى ربك فارغب ] قال : إذا فرغت من أمر الدنيا فمعت إلى الصلاة فاجمل رغبتك إليه ، و نيتك له .

وعن منصور عن مجاهد [ النفس المطمئنة ] قال : هي النفس التي قد أيقنت أن الله ربهما وضربت حاشا لأمره وطاعته . وروى عبد الله بن المبارك عن ليث عن مجاهد : قال : مامن ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه ، إن كان من أهل الذكر فن أهل الذكر ، وإن كان من أهل اللغو فن أهل اللغو . وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا محمد بن طلحة عن زييد عن مجاهد . قال : قال إبليس : إن يعجزني ابن آدم فلن يعجزني من ثلاث خصال : أخذ مال بغير حق ، وإفناقه في غير حقه (١)

وقال أحمد : حدثنا ابن نمير قال قال الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه حرمندج قد ضل حمارة فهو مهم . وعن ليث عن مجاهد قال : من أكرم نفسه وأعزها أذل دينه ، ومن أذل نفسه أعز دينه . وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد قال قال لي : يا أبا الغازی كم لبث نوح في الأرض ؟ قال : قلت ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال : فان الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسادهم وأخلاقهم إلا نقصا . وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي علية عن ليث عن مجاهد قال : ذهبت العلماء فما بقي إلا المتعلمون ، وما اجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم . وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال : لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أن حياه منه يمنعه من المعاصي لسكان في ذلك خير . وقال : القتيه من يخاف الله وإن قل عله ، والجاهل من عصى الله وإن كثر عله . وقال : إن العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه . وقال في قوله تعالى : [ وثيابك فطهر ] قال : عملك فأصاح . [ واسألوا الله من فضله ] قال : ليس من عرض الدنيا [ والذي جاء بالصدق وصدق به ] قال : هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه . وقال : يقول القرآن للعبد إنى معك ما اتبعتهنى ، فإذا لم تعمل بي اتبعتك . [ ولا تنس نصيبك من الدنيا ] قال : خذ من دينك لا آخرتك ، وذلك أن تعمل فيها بطاعة الله عز وجل . وقال داود بن الحبر عن عباد بن كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه مجاهد بن جبير قال : قلت لابن عمر : أى حجاج بيت الله أفضل وأعظم أجراً ؟ قال : من جمع ثلاث خصال ، نية صادقة ، وعقلاً وافراً ، ونفقة من حلال ، فذكرت ذلك لابن عباس فقال : صدق . قلت : إذا صدقت نيته وكانت نفقته من حلال فإذا يضره قلة عقله ؟ فقال : يا أبا حججاج ، سألتني عما سألت عنه رسول الله -ص- ، فقال : « والذي نفسى بيده ما أطاع العبد الله بشيء أفضل من حسن العقل ، ولا يقبل الله صوم عبد ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكون من عمله من أنواع الخير إن لم يعمل بعقل . ولو أن جاهلاً طاق المجتهدين في العبادة ، كان ما يفسد أكثر



مما يصلح». قلت: ذكر العقل في هذا الحديث ورفعته إلى النبي (ص)، من المنكرات والموضوعات، والثلاث الخصال موقوفة على ابن عمر، من قوله من جمع ثلاث خصال، إلى قوله: قال ابن عباس صدق، والباقي لا يصح رفعه ولا وقفه، وداود بن المحبر كنيته أبو سليمان، قال الحاكم: حدث بيغداد عن جماعة من الثقات بأحاديث موضوعة، حدث بها عنه الحارث بن أبي أسامة، وله كتاب العقل، وأكثر ما أودع ذلك الكتاب موضوع على رسول الله (ص)، وذكر العقل مرفوعاً في هذه الرواية لعله من جملتها، والله أعلم. وقد كذبه أحمد بن حنبل [١]

#### مصعب بن سعد بن أبي وقاص

تابعي جليل القدر. موسى بن طلحة بن غبيد الله التميمي، كان يلقب بالمهدى لصلاحه، كان تابعياً لجليل القدر من سادات المسلمين رحمه الله

#### ثم دخلت سنة أربع ومائة

فيها قاتل سميد بن عمرو الحرشي نائب خراسان أهل الصغد وحاصر أهل خجندة وقتل خلقاً كثيراً، وأخذ أموالاً جزيلة، وأسر رقيقاً كثيراً جداً، وكتب بذلك إلى يزيد بن عبد الملك، لأنه هو الذي ولاه. وفي ربيع الأول منها عزل يزيد بن عبد الملك عن إمرة الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس، وكان سببه أنه خطب فاطمة بنت الحسين فامتنعت من قبول ذلك، فألح عليها وتوعدها، فأرسلت إلى يزيد تشكوه إليه، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري نائب الطائف فولاه المدينة، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته أمير المؤمنين وهو متسكى على فراشه بدمشق، وأن يأخذ منه أربعين ألف دينار، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ركب إلى دمشق واستجار بعسلة بن عبد الملك، فدخل على أخيه فقال: إن لي إليك حاجة، فقال: كل حاجة تقولها فهي لك إلا أن تكون ابن الضحاك، فقال: هو والله حاجتي، فقال: والله لأقبلها ولا أعفو عنه، فرده إلى المدينة فقتله عبد الواحد فضربه وأخذ ماله حتى تركه في جبة صوف، فسأل الناس بالمدينة، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهرًا، وكان الزهري قد أشار عليه برأى سديد، وهو أن يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر فلم يقبل، ولم يفعل، فأبغض الناس وذمه الشعراء ثم كان هذا آخر أمره.

وفيها عزل عمر بن هبيرة سميد بن عمرو الحرشي، وذلك أنه كان يستخف بأمر ابن هبيرة، فلما عزله أحضره بين يديه وعاقبه وأخذ منه أموالاً كثيرة، وأمر بقتله ثم عفا عنه، وولى على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلبي، فسار إليها فاستخلص أموالاً كانت منكسرة في

(١) من أول الفصل إلى هنا زيادة من المصرية •

أيام سعيد بن عمرو الحرشي . وفيها غزا الجراح بن عبد الله الحكمي نائب أرمينية وأذربيجان ، أرض الترك ، ففتح بلنجر وهزم الترك وغرقهم وذار يهيم في الماء ، وسبى منهم خلقا كثيرا ، وافتتح عامة الحصون التي تلي بلنجر ، وأجل عامة أهلها ، والتقى هو والحقان الملك فجرت بينهم وقعة هائلة آل الأمر فيها إلى أن انهزم خاقان ، وتبعهم المسلمون ، قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير لا يحصون . وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري أمير الحرمين والطائف ، وعلى نيابة العراق وخراسان عمر ، ونائبه على خراسان مسلم بن سعيد يومئذ . وفي هذه السنة ولد السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح ، أول خلفاء بني العباس وقد بايع أباه في الباطن جماعة من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان :

#### خالد بن سعدان الكلاعي

[ له روايات عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيا جليلا ، وكان من العلماء وأئمة الدين الممدودين المشهورين ، وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسيحة وهو صائم ، وكان إمام أهل حمص ، وكان يصلي التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأ فيها في كل ليلة ثلث القرآن ، وروى الجوزجاني عنه أنه قال : من اجترأ على الملاوم في أمر الحق ، قلب الله تلك الحماد عليه ذما . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : ما من عبد إلا وله أربعة أعين . عينان في وجهه يبصر بهما أمر ديناه ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بالعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما أمر آخرته وهما غيب ، فأمن الغيب بالغيب ، وإذا أراد الله بالعبد خلافاً ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه ، فتراه ينظر فلا ينتفع ، فإذا نظر بقلبه انتفع ، وقال : بصر القلب من الآخرة ، وبصر العينين من الدنيا وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى (١)

#### عامر بن سعد بن أبي وقاص الليثي

له روايات كثيرة عن أبيه وغيره ، وهو تابعي جليل ، ثقة مشهور

#### عامر بن سراحيل الشعبي

توفي فيها في قول [ كان الشعبي من شجب همدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علامة أهل الكوفة ، كان إماماً حافظاً ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقا من الصحابة وروى عنهم وعن جماعة من التابعين ، وعنه أيضاً روى جماعة من التابعين ، قال أبو مجاز : ما رأيت أفقه من الشعبي . وقال مكحول : ما رأيت أحداً أعلم بسنة ماضية منه . وقال داود الأودي : قال لي الشعبي : قم معي هاهنا حتى أفيئك علما ، بل هو رأس العلم . قلت : أي شيء تفيدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم قل : الله أعلم ، فإنه

(١) زيادة من المصريه .

علم حسن . وقال : لو أن رجلا سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيها يستقبل من عمره ما رأيت سفره ضائعا ، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد ، لرأيت سفره عقوبة وضياعا . وقال : العلم أكثر من عدد الشعر ، نخذ من كل شيء أحسنه [ (١) ] .

ابو بردة بن ابو موسى الأشعري

تولى قضاء الكوفة قبل الشعبي ، فان الشعبي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز ، واستمر إلى أن مات ، وثم أبو بردة فإنه كان قاضيا في زمن الحجاج ، ثم عزله الحجاج وولى أخاه أبا بكر ، وكان أبو بردة قريبا حافظا عالما ، له روايات كثيرة .

ابو قلابة الجرمي

[ عبد الله بن يزيد البصري ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، وطلب للقضاء فهرب منه وتغرب ، قدم الشام فنزل داريا وبها مات رحمه الله . قال أبو قلابة : إذا أحدث الله لك علما فأحدث له عبادة ، ولم يكن همك ما تحدث به الناس ، فلعل غيرك ينتفع ويستغنى وأنت في الظلمة تتمتع ، وإني لأرى هذه المجالس إنما هي مناخ البطالين . وقال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فأنس له عن ذرا جهلك ، فان لم نجد له عن ذرا قتل : لعل لأختي عن ذرا لا أعلمه ] (٢) هم دخلت سنة خمس ومائة

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحسكي بلاد اللان ، وفتح حصونا كثيرة ، وبلادا متسعة الأكناف من وراء بلنجر ، وأصاب غنائم جمة ، وسبي خلقا من أولاد الأتراك . وفيها غزا مسلم بن سعيد بلاد الترك وحاصر مدينة عظيمة من بلاد الصغد ، فصلح له ملكها على مال كثير يحمله إليه . وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم ، فبعث بين يديه سرية ألف فارس ، فأصيبوا جميعا وفيها لحس بقين من شعبان منها توفي أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بن مروان بأربد من أرض البلقاء ، يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وهذه ترجمته :

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، قيل إنهما دفنت بقبر عاتكة فنسبت المحلة إليها والله أعلم . بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى ومائة بهد من أخيه سليمان ، أن يكون الخليفة بعد عمر ابن عبد العزيز ، لحس بقين من رجب ، قال محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا كثير بن هشام ثنا جعفر ابن برقان حدثني الزهري قال : كان لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم في عهد رسول الله (ص) ، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلما ولي الخلافة معاوية ورث المسلم من الكافر . ولم يرث الكافر من

(١) (٢) زيادة من المصرية .

المسلم ، وأخذ بذلك الخلفاء من بعده ، فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السنة الأولى ، وتبعه في ذلك يزيد بن عبد الملك ، فلما قام هشام أخذ بسنة الخلفاء - يعني أنه ورث المسلم من الكافر - وقال الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال : بينما نحن عند مكحول إذ أقبل يزيد بن عبد الملك فهممنا أن نوسع له ، فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ، يتعلم التواضع .

وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولي عزم على أن يتأسي بعمر بن عبد العزيز ، فسا تركه قرناه السوء ، وحسنوا له الظالم ، قال حرمة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر ، فسكت كذلك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب ، وقد اتهمه بمضهم في الدين ، وليس بصحيح ، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتي ، أما هذا فما كان به بأس ، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز : أما بعد فإني لأراني إلا ملماً بي ، وما أرى الأمر إلا سيئاً إليك ، فالله الله في أمة محمد ، فانك عما قليل ميت فتدع الدنيا إلى من لا يمدرك ، والسلام . وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته وتمتدت وفاته ورمت الخلافة ، وكتب في آخره

تمنى رجال أن أموت وإن أمت \* فتلك سبيل لست فيها بأوحد  
وقد علوا لو ينفخ العلم عندهم \* متى ميت ما الباغى على بمخلد  
منيته تجرى لوقت وحفته \* يصادفه يوماً على غير موعد  
قل للذي يبقى خلف الذي مضى \* نهياً لأخرى مثلها وكأن قد

فكتب إليه هشام : جعل الله يومى قبل يومك ، وولدى قبل ولدك ، فلا خير في العيش بعدك وقد كان يزيد هذا يحب حظية من حظاياها يقال لها حبابة - بتشديد الباء الاولى - والصحيح تخفيفها - واسمها العالية ، وكانت جميلة جدا ، وكان قد اشتراها في زمن أخيه بأربعة آلاف دينار ، من عثمان بن سهل بن حنيف ، فقال له أخوه سليمان : لقد همت أحجر عني يدك ، فباعها ، فلما أفضت إليه الخلافة قالت له امرأته سمدة يوما : يا أمير المؤمنين ، هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء ؟ قال : نعم ، حبابة ، فبعثت امرأته فاشتريتها له ولبستها وصنعتها وأجلستها من وراء الستارة ، وقالت له أيضا : يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء ؟ قال : أو ما أخبرتك ؟ قالت : هذه حبابة - وأبرزتها له وأخلته بها وتركتها وإياها - غطيت الجارية عنده ، وكذلك زوجته أيضاً ، فقال يوماً أشتهى أن أخلو بحبابة في قصر مدة من الدهر ، لا يكون عندها أحد ، ففعل ذلك ، وجمع إليه في قصره ذلك حبابة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فرش له بأنواع الفرش والبسط المائل ، والنعمة الكثيرة السابغة ،

فبينما هو معها في ذلك القصر على أسرّ حال وأنعم بال ، وبين يديهما عنب يأكلان منه ، إذ رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت بها فماتت ، فكث أياما يقبلها وبرشفا وهي ميتة حتى أنتنت وجيفت فأمر بدفنها ، فلما دفنتها أقام أياما عندها على قبرها هائما ، ثم رجع إلى المنزل ثم عاد إلى قبرها فوقف عليه وهو يقول :

فإن تسلُ عنك النفسُ أو تدعُ الصبا \* فبالأس تسلو عنك لا بالتجلدِ

وكلُّ خليلٍ زارني فهو قائلٌ \* من أجلك هذا هامةُ اليومِ أو غدِ

ثم رجع فما خرج من منزله حتى خرج بنعشه وكان مرضه بالسل . وذلك بالسواد سواد الاردن يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان من هذه السنة - اعنى سنة خمس ومائة -

وكانت خلافته أربع سنين وشهراً على المشهور ، وقيل أقل من ذلك ، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقيل خمسا وقيل ستا وقيل ثمانياً وقيل تسعا وثلاثين ، وقيل إنه بلغ الأربعين فإله أعلم . وكان طويلاً جسداً أبيض مدور الوجه أقمم الفم لم يشب ، وقيل إنه مات بالجولان ، وقيل بحوران وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد ، وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل بل صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك ، وهو الخليفة بعده ، وحمل على أعنق الرجال حتى دفن بين باب الجابية وباب الصغير بدمشق ، وكان قد ههد بالأمر من بعده لأخيه هشام ، ومن بعده لولده الوليد بن يزيد ، فبايع الناس من بعده هشاماً

#### خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

بويح له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه خمس بقين من شعبان من هذه السنة - اعنى سنة خمس ومائة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة وأشهر ، لأنه ولد لما قتل أبوه عبد الملك مصعب بن الزبير في سنة ثلثين وسبعين ، فسماه منصور اتفاؤلاً ، ثم قدم فوجد أمه قد أسمته باسم أبيها هشام ، فأقره . قال الواقدي : أنه الخليفة وهو بالديوثنة في منزل له ، فجاءه البريد بالعصا والخاتم ، فسلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، فقام بأمر الخلافة أتم القيام ، فمزل في شوال منها عن إمرة العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وولى عليها خالد بن عبد الله القسرى ، وقيل إنه استعمله على العراق في مسنة ست ومائة ، والمشهور الأول . وحجج بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي خال أمير المؤمنين ، أخو أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل ، ولم تلد من عبد الملك سواه حتى طلقها ، لأنها كانت حقاها . وفيها قوى أمر دعوة بني السباس في السرا بآرض العراق ، وحصل لدعاتهم أموال جزيلة يستعملون بها على أمرهم ، ومأمم بصدده . وفيها توفي من الأعيان :

#### أبان بن عثمان بن عفان

تقدم ذكر وفاته سنة خمس وثمانين ، كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، قال عمرو بن شعيب

ما رأيت أعلم منه بالحديث والفتوة ، وقال يحيى بن سعيد القطان : قتها المدينة عشرة ، فته كر أبان بن عثمان أحدهم ، وخارجه بن زيد ، وسالم بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، وعروة ، والقاسم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن . قال محمد ابن سعد : كان به صمم ووضح ، وأصابه الفالج قبل أن يموت بسنة ، وتوفي سنة خمس ومائة . أبو رجاء العطاردي . عامر الشعبي . في قول وقد تقدم ، وكثير عزة في قول . وقيل في التي بعدها كما سيأتي :

### ثم دخلت سنة ست ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك عن إمرة المدينة ومكة والطائف ، عبد الواحد بن عبد الله النضري ، وولى على ذلك كله ابن خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي ، وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومعاملتها ، فلقبه عندها الترك ، وكانت بينهم وقعة هائلة ، قتل فيها الخاقان وطائفة كبيرة من الترك ، وفيها أوغل الخراج الحسكي في أرض الخزر ، فصالحوه وأعطوه الجزية والخراج . وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللان ، فقتل خلقاً كثيراً وغنم وسلم . وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان مسلم بن سعيد ، وولى عليها أخاه أسد بن عبد الله القسري . وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين هشام بن الملك ، وكتب إلى أبي الزناد قبل دخوله المدينة ليتلقاه ويكتب له مناسك الحج ، ففعل ، فتلقاء الناس من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد قد أمثل ما أمر به ، وعلقه فيمن تلقاه سعيد بن عبيد الله ابن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلتمنون أبا تراب ، فالمنه أنت أيضاً ، قال أبو الزناد : نشق ذلك على هشام واستمقله ، وقال : ما قدمت لشم أحد ، ولا لعنة أحد ، إنما قدمنا حجاجاً . ثم أعرض عنه وقطع كلامه وأقبل على أبي الزناد بمجادته ولما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيم بن طلحة فتظلم إليه في أرضه ، فقال له : أين كنت عن عبد الملك ؟ قال : ظلني ، قال : فالوليد ؟ قال : ظلني ، قال : فسليمان ؟ قال : ظلني ، قال فصر ابن عبد العزيز ؟ قال ردها على ، قال : فزيد ؟ قال : انزعها من يدي ، وهي الآن في يدك ، فقال له هشام : أما لو كان فيك مضرب لهربتك ، فقال : بلى في مضرب بللوسط والسيف ، فانصرف عنه هشام وهو يقول لمن معه : ما رأيت أفصح من هذا . وفيها كان الإجماع على مكة والمدينة والطائف ، إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وعلي المراق وخراسان خالد القسري والله سبحانه أعلم . ومن توفي فيها : سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عمرو الفقيه ، أحد الفقهاء وأحد العلماء وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من العباد الزهاد ، ولما حج هشام بن عبد الملك دخل

الكمة فإذا هو بإسلام بن عبد الله ، فقال له : سالم ؟ <sup>(١)</sup> فسألني حاجة ، فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج سالم خرج هشام في أثره فقال له : الآن قد خرجت من بيت الله فسألني حاجة ، فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألهما من لا يملكها ؟ وكان سالم خشن العيش ، يلبس الصوف الخشن ، وكان يعالج بيده أرضاله وغيرها من الأعمال ، ولا يقبل من الخلفاء ، وكان متواضعا وكان شديد الأدمة وله من الزهد والورع شيء كثير .

وطاوس بن كيسان البجلي من أكبر أصحاب ابن عباس وقد ترجمنا في كتابنا التكميل والله الحمد انتهى وقد زدنا هنا في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب زيادة حسنة . فأما طاوس فهو أبو عبيد الرحمن طاوس بن كيسان البجلي ، فهو أول طبقة أهل اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طاوس جماعة من الصحابة وروى عنهم ، وكان أحد الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، والدلم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة ، وأكثر روايته عن ابن عباس ، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم ، منهم مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار ، وإبراهيم بن ميسرة ، وأبو الثوير ومحمد بن المنكدر ، والزهرى وحبيب بن أبي ثابت ، وليث بن أبي سليم ، والضحاك بن مزاحم . وعبد الملك بن ميسرة ، وعبد الكريم بن الحارث ووهب بن منبه ، والمغيرة بن حنبل بن حكيم الصنعائي ، وعبد الله بن طاوس ، وغير هؤلاء .

توفي طاوس بمكة حاجا ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودفن بها رحمه الله تعالى . قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال قال أبي : مات طاوس بمكة فلم يدعوا عليه حتى يموت هشام ابنه بالحرس ، قال فلقد رأيت عبد الله بن الحسن واضعا السرير على كاهله ، قال : ولقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداؤه من خلفه - يعني من كثرة الزحام - فكيف لا وقد قال النبي (ص) : « الإيمان بمان » وقد خرج من اليمن خلق من هؤلاء المشار إليهم في هذا وغيره ، منهم أبو مسلم ، وأبو إدريس ، ووهب وكعب وطاوس وغير هؤلاء كثير . وروى ضمرة عن ابن شاذب قال : شهدت جنازة طاوس بمكة سنة خمس ومائة ، فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ، حتى أربعمائة حجة .

وقال عبد الرزاق : حدثنا أبي قال : توفي طاوس بالمزدلفة - أو بمعى - حاجا ، فلما حمل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقائمة سريره . فإزايه حتى بلغ القبر . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق

(١) كذا بالأصل ولعل المراد بإسلام .

قال : قدم طاوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقيل لطاوس : إن من فضله ومن ، ومن ، فلو أتيته قال : مالى إليه حاجة ، فقالوا : إنا نخاف عليك ، قال : فما هو إذا كما تقولون : وقال ابن جرير قال لى عطاه : جاءنى طاوس فقال لى : يا عطاه إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل دونه حجاباه . وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعوه ووعدهك الاجابة . وقال ابن جرير عن مجاهد عن طاوس [ أولئك ينادون من مكان بعيد ] قال : بعيد من قلوبهم ، وروى الأحمري عن سفيان عن ليث قال قال لى طاوس : ما تعلمت من العلم فتعلمه لنفسك ، فان الأمانة والصدق قد ذهبوا من الناس . وقال عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن زيد عن الصلت بن راشد . قال : كنا عند طاوس فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم ، صاحب خراسان ، فسأله عن شئ فأنهره طاوس ، فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، قال : ذلك أهون له على . وقال لطاوس : إن منزلك قد استمر ، فقال : أمسينا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس فى قوله تعالى [ وخلق الانسان ضعيفا ] قال : فى أمور النساء ، ليس يكون فى شئ أضعف منه فى النساء . وقال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا إبراهيم بن نافع عن ابن طاوس عن أبية قال : لقي عيسى بن مريم عليه السلام إبليس فقال إبليس لعيسى : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوف بذروة هذا الجبل فرد منه . فانظر أتميش أم لا : قال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يجربنى عيسى ، فأتى أفضل ما شئت . وفى رواية عن الزهرى عنه قال قال عيسى : إن العبد لا يختبر ربه ، ولكن الرب يختبر عبده ، وفى رواية أخرى : إن العبد لا ينتل ربه ، ولكن الرب ينتل عبده . قال : فخصه عيسى عليه السلام . وقال فضيل بن عياض عن ليث عن طاوس قال : حج الأبرار على الرجال ، رواه عبد الله بن أحمد عنه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو ثيمة عن ابن أبى داود . قال : رأيت طاوساً وأصحاباً له إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً ، وابتهلوا إلى الله تعالى فى الدعاء . وقال : من لم يبخل ولم يل مال يتيم لم ينله جهد البلاء . روى عنه أبو داود الطيالسى ، وقد رواه الطبرانى عن محمد بن يحيى بن المنذر عن موسى بن إسماعيل عن أبى داود فذكره . وقال لابنه : يا بنى صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن لكل شئ غاية : وغاية المرء حسن عقله . وسأله رجل عن مسألة فأنهره ، فقال : - يا أبا عبد الرحمن إلى أخوك ، قال : أخى من دون الناس ؟ . وفى رواية أن رجلاً من الخوارج سأله فأنهره ، فقال : إلى أخوك ، قال : أمن بين المسلمين كلهم ؟ . وقال عفان عن حماد بن زيد عن أبوب قال : سألت



رجل طاوساً عن شئ فانهزه ، ثم قال : تريد أن تجعل في عنق جبار ثم يطاف بي ؟ و رأى طاوس رجلاً مسكيناً في عينه عشم وفي ثوبه وسخ ، فقال له : عد ! إن القتر من الله ، فأين أنت من الماء ؟ و روى الطبراني عنه قال : إقرار ببعض الظلم خير من القيام فيه ، وعن عبد الرزاق عن داود ابن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج ، فدى الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد ، فترل الناس يمينا وشمالاً فآلقوا أنفسهم ، وقام طاوس يصلي ، فقال له رجل - وفي رواية فقال ابنه - : ألا تنام فانك قد سهرت ونصبت هذه الليلة ؟ فقال : وهل ينام السحر أحد ؟ وفي رواية : ما كنت أظن أحداً ينام السحر . و روى الطبراني من طريق عبد الرزاق عن أبي جريح وابن عيينة . قالوا : حدثنا ابن طاوس قال : قلت لأبي : ما أفضل ما يقال على الميت ؟ قال الاستغفار .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت النعمان بن الزبير الصنعاني يحدث أن محمد بن يوسف - أو أيوب بن يحيى - بعث إلى طاوس بسبعمائة دينار وقال للرسول : إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك . قال : فخرج بها حتى قدم على طاوس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها الأمير إليك ، فقال : مالي بها من حاجة ، فأراده على أخذها بكل طريق فأبى أن يقبلها ، ففعل طاوس فرمى بها الرجل من كوة في البيت ثم ذهب راجعاً إلى الأمير ، وقال : قد أخذتها ، فكثروا حيناً ثم بلغهم عن طاوس ما يكرهون - أو شئ يكرهونه - فقالوا : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا ، فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعثه إليك الأمير رده إلينا ، فقال : ما قبضت منه شيئاً ، فرجع الرسول إليهم فأخبرهم ، فعرفوا أنه صادق ، فقالوا : انظروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاءه فقال : المال الذي جئت بك به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضت منك شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فقام إلى المكان الذي رمى به فيه فوجدها كما هي ، وقد بنت عليها المنكبوت ، فأخذها فذهب بها إليهم .

ولما حج سليمان بن عبد الملك قال : انظروا إلى قبة أسأله عن بعض المناسك ، قال : فخرج الحاجب يلتمس له ، فرطاوس فقالوا : هذا طاوس البعاني ، فأخذته الحاجب فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : اعفني ، فأبى ، فأدخله عليه ، قال طاوس : فلما وقفت بين يديه قلت : إن هذا المقام يسألني الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها ، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال : لا ، ويلك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشركه الله في حكمه نجار . وفي رواية ذكرها الزهري أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت ، له جمال وكال ، فقال : من هذا يزهري ؟ فقلت : هذا طاوس ، وقد أدرك عدة من الصحابة ، فأرسل

إليه سليمان فأماه فقال : لوما حدثتنا ؟ فقال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله (س) : « إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولى من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم » . فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال : لوما حدثتنا ؟ فقال : حدثني رجل من أصحاب النبي (س) . قال ابن شهاب : ظننت أنه أراد علياً . قال : دعاني رسول الله (س) ، إلى طعام في مجلس من مجالس قريش ، ثم قال : « إن لكم على قريش حقاً ، ولهم على الناس حق ، يا إذا استرحموا رحوماً ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا ائتمنوا أديوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . قال : بتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لوما حدثتنا ؟ فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : [ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ] .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني أبو معمر عن ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال قال عمر بن عبد العزيز لطاوس : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعني سليمان - فقال طاوس مال إليه من حاجة ، فكأنه عجب من ذلك ، قال : سفيان وحلف لنا إبراهيم وهو مستقبل الكعبة : ورب هذا البيت ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاوس . قال : وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال : أردت أن يتعلم هو وأبوه أن الله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم . وقد روى عبد الله بن أحمد عن ابن طاوس قال : خرجنا جملجاً فزلنا في بعض القرى ، وكنت أخاف أبي من الحكم لشدته وغلظه عليهم ، قال : وكان في تلك القرية عامل لمحمد بن يوسف - أخي الحجاج بن يوسف - يقال له أيوب بن يحيى ، وقيل يقال له ابن نجيب ، وكان من أحبب عماله كبراً وتجبراً ، قال : فشهدنا صلاة الصبح في المسجد ، فإذا ابن نجيب قد أخبر بطاوس فجاء فقمعد بين يدي طاوس ، فسلم عليه فلم يجبه ، ثم كلمه فأعرض عنه ، ثم عمد إلى الشق الآخر فأعرض عنه ، فلما رأيت مابه قنت إليه وأخذت بيده ثم قلت له : إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك ، فقال طاوس : بلى ! إني به لعارف ، فقال الأمير : إنه بي لعارف ، ومعرفته بي فعلت بي مارأيت . ثم مضى وهو ساكت لا يقول شيئاً ، فلما دخلت المنزل قال لي أبي : بالكعب ، بينما أنت تقول أريد أخرج عليهم بالسيف لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك .

وقال أبو عبد الله الشامي : أتيت طاوساً فاستأذنت عليه فخرج إلى ابنه شيخ كبير ، فقلت : أنت طاوس ؟ فقال : لا ! أنا ابنه ، فقلت : إن كنت أنت ابنه فإن الشيخ قد خرف ، فقال : إن العالم لا يخرف ، فدخلت عليه فقال طاوس : سل فأوجز ، فقلت : إن أوجزت أو جزت لك ،

يقال تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والانجيل والفرقان ؟ قال : قلت نعم ! قال : خف  
 الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منك منه ، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس  
 ما تحب لنفسك .

وقال المطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عهد الرزاق عن معمر بن ابن طاوس عن أبيه .  
 قال : سيجاء يوم القيامة بالمال وصاحبه قيتحاظان ، فيقول صاحب المال للمال : جمعتك في يوم كذا  
 في شهر كذا في سنة كذا ، فيقول المال : ألم أقض لك الحوائج ؟ أنا الذي حلت بينك وبين أن  
 تصنع فيما أمرك الله عز وجل من حبك إيلي ، فيقول صاحب المال إن هذا الذي نفذ على حبال أوثق  
 بها وأقيد ، وقال عثمان بن سبأ شيبه : حدثنا أبي حدثنا يحيى بن الضريس عن أبي سنان عن حبيب  
 ابن أبي ثابت قال : اجتمع عندي خمسة لاجتمع عندي مثلهم قط ، عطاء وطاوس ، ومجاهد  
 وسعيد بن جبير ، وعكرمة . وقال سفیان : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على  
 ابن عباس ؟ قال : مع عطلة والعمامة ، وكان طاوس يدخل مع الخاصة ، وقال حبيب : قال لي طاوس  
 إذا حدثتك حديثا قد أثبتني فلا تسأل عنه أحدا - وفي رواية - فلا تسأل عنه غيري .

وقال أبو أسامة ، حدثنا الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال : أدركت خمسين من  
 أصحاب رسول الله - . . . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أخبرني ابن طاوس  
 قال : قلت لأبي : أريد أن أتزوج فلانة ، قال : اذهب فانظر إليها ، قال : فذهبت فلبست من  
 صالح ثيابي ، وغسلت رأسي ، وادھنت ، فلما رأني في تلك الحال قال : اجلس فلا تذهب . وقال  
 عبد الله بن طاوس : كان أبي إذ سار إلى منكة سار شهراً ، وإذا رجعت رجعت في شهر ، فقلت له في  
 ذلك قال : بلغني أن الرجل إذا خرج في طاعة لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله . وقال حمزة  
 عن هلال بن كعب . قال : كان طاوس إذا خرج من اليمن لم يشرب إلا من تلك المياه التسبعة  
 الجاهلية ، وقال له رجل : ادع الله لي ، فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن ابن طاوس  
 عن أبيه . قال : كان رجل فيما خلا من الزمان ، وكان عاقلاً لببياً ، فكبر فقام في البيت ، فقال  
 لابنه يوماً : إني قد اغتممت في البيت ، فلو تدخلت على رجالا يكلموني ؟ فذهب ابنه فجمع نفراً  
 فقال : ادخلوا على أبي فحدثوه ، فان سمعتم منه منكراً فاعنروه فإنه قد كبر ، وإن سمعتم منه خيراً  
 فاقبلوه . قال : فدخلوا عليه فكان أول ما تكلم به أن قال : إن أكيس الكيس التقي ، وأعجز  
 المعجز العجور ، وإذا تزوج الرجل فليتزوج من معدن صالح ، فإذا اطلمت على فجرة رجل فاحذروه  
 فان لها أخوات

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا أحمد بن نصر بن مالك حدثنا عبد الله بن عمر بن مسلم الجبيري عن أبيه قال قال طاوس لابنائه : إذا قبرتني فانظر في قبري ، فان لم تجدني فاحمد الله تعالى ، وإن وجدتني فاتا الله وإنا إليه راجعون . قال عبد الله : فأخبرني بعض ولده أنه نظر فلم يره ولم يجد في قبره شيئاً ، ورؤى في وجه السرور ، وقال قبيصة : حدثنا سفيان عن سعيد بن محمد قال : كان من دعاء طاوس يدعو : اللهم احرمني كثرة المال والولد ، وارزقني الإيمان والعمل . وقال سفيان عن معمر حدثنا الزهري قال : لو رأيت طاوس بن كيسان علمت أنه لا يكذب .

وقال عون بن سلام : حدثنا جابر بن منصور - أخو إسحاق بن منصور - السلولي عن عمران ابن خالد الخزازي . قال كنت جالساً عند عطاء فجاء رجل فقال : أبا محمد إن طاوساً يزعم أن من صلى العشاء ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ في الأولى : ألم تنزل السجدة ، وفي الثانية تبارك الذي بيده الملك كتب له مثل وقوف عرفة وليلة القدر . فقال عطاء : صدق طاوس ما تركتهما . وقال ابن أبي السرى : حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل ، وكان رجلاً داوياً المجانين ، وكانت امرأة جميلة ، فأخذها الجنون ، فحجى بها إليه ، فنزلت عنده فأحبته ، فوقع عليها فحملت ، فجاءه الشيطان فقال : إن علم بها اقتضحت ، فأقتلها وادفنها في بيتك ، فقتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها ، قال : ماتت ، فلم يهتموه لصالحه ومنزلته ، فجاءهم الشيطان فقال : إتهام تمت ، ولكن قد وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها في بيته ، في مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها فقالوا : ما نتمك ولكن أخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك ؟ فذهبوا بيته فوجدوها حيث دفنتها ، فأخنوه فحبسوه وسجنوه ، فجاءه الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فان كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله فأطاع الشيطان فكفر بالله عز وجل ، فقتل فقبراً منه الشيطان حينئذ . وقال طاوس : ولا أعلم أن هذه الآية نزلت إلا فيه وفي مثله [ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ] .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل له أربعة بنين ، فرض ، فقال أحدهم : إما أن تمرضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء ، فرضه حتى مات ودفنه ولم يأخذ من ميراثه شيئاً ، وكان فقيراً وله عيال ، فأتى في النوم فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فاحفره تجد فيه مائة دينار فخذها ، فقال للآتي في المنام : ببركة أو بلا بركة ؟ فقال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت : اذهب فخذها فان من بركتها أن تكسوني منها ونميش منها . فأبى وقال : لا آخذ شيئاً ليس فيه بركة . فلما أمسى أتى في منامه فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ

منه عشرة دنانير ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل ذلك فأبى أن يأخذها ، ثم أتى في الليلة الثالثة فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بركة ، قال ، نعم إذاً ، فلما أصبح ذهب إلى ذلك المسكن الذي أشير إليه في المنام فوجد الدينار فأخذه ، فوجد صياداً يحمل حوتين فقال : بكما ؟ قال : بدينار ، فأخذهما منه بذلك الدينار ثم انطلق بهما إلى امرأته فقامت تصلحهما ، فشققت بطن أحدهما فوجدت فيه درة لا يقوم بها شيء ، ولم ير الناس مثلها ، ثم شقت بطن الآخر فاذا فيه درة مثلها ، قال : فاحتاج ملك ذلك الزمان درة فبعث يطلبها حيث كانت ليشتريها ، فلم يوجد إلا عنده ، فقال الملك : إيت بها ، فأثابها ، فلما رآها حلاها الله عز وجل في عينيه ، فقال : بعنيها ، فقال : لا أنقصها عن قر ثلاثين بفلا ذهباً ، فقال الملك : أرضوه ، فخرجوا به فوقروا له ثلاثين بفلا ذهباً ، ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجاباً عظيماً ، فقال : ما تصلح هنه إلا بأختها ، اطلبوا لي أختها ، قال : فأتوه فتألو له : هل عندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك ؟ قال : وتعملون ؟ قالوا : نعم . فأتى الملك بها ، فلما رآها أختت بقلبه فقال أرضوه ، فأضعفوا له ضعف أختها ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا وهيب بن الورد حدثنا عبد الجبار بن الورد قال حدثني داود ابن سابور قال قلنا لطاوس : أذع بدعوات ، فقال : لا أجد لذلك حسة . وقال ابن جرير عن ابن طاوس عن أبيه قال : البخل أن يبخل الإنسان بما في يده ، والشح أن يجب أن له ما في أيدي الناس بالحرام لا يفتنق . وقيل الشح هو ترك القناعة ، وقيل : هو أن يشح بما في يد غيره ، وهو مرض من أمراض القلب يلغى للعبد أن يعزله عن نفسه ويفنيه ما استطاع ، وهو يأمرنا بالبخل كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ ، قال : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم [ أمرهم ] بالبخل فبخلوا وبالقطيعة فقطعوا وهذا هو الحرص على الدنيا وحبها » وقال ابن أبي شيبة : حدثنا الحاربي عن ليث عن طاوس قال : ألا رجل يقوم بمشرايت من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك ، ومن زاد زيد في ثوابه ، وقال قتبية بن سعيد : حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس . قال : لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج . وعن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طاوس : لتتنكحن أولاً قولن لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما يمنعك من النكاح إلا همز أو جهور . وقال طاوس : لا يهرز دين المؤمن إلا حفرته . وقال عبد الرزاق عن معمر بن طاوس وغيره أن رجلاً كان يسير مع طاوس ، فسمع الرجل غراباً ينمب ، فقال : خير : فقال طاوس : أي خير عند هذا أو شر لا تصعبني ولا تمش معي . وقال بشر بن موسى : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن ابن طاوس عن أبيه . قال : إذا غدا الإنسان اتبعه الشيطان ، فاذا أتى المنزل فسلم نكس الشيطان

وقال : لا مقيل ، فاذا أتى ببدائه فذكر اسم الله قال : ولا غداء ولا مقيل ، فاذا دخل ولم يسلم قال الشيطان : أدر كنا المقيل ، فاذا أتى ببدائه ولم يذكر اسم الله عليه قال الشيطان : مقيل وغداء ، وفي الغداء مثل ذلك . وقال : إن الملائكة يكتبون صلاة نبي آدم : فلان زاد فيها كذا وكذا ، وفلان نقص فيها كذا وكذا . وذلك في الركوع والخشوع والسجود .

وقال : لما خلقت النار طارت أفضمة الملائكة ، فلما خلق آدم سكنبت ، وكان إذا سمع صوت لرعد يقول : سبحان من سبحت له . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال مجاهد لطاوس يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصلي في الكعبة والنبي اسـ على باهما يقول لك : اكشف قناعك ، وبين قراءتك . فقال له : اسكت لا يسمع هذا منك أحد . ثم تخيل إلى أن انبسط في الحديث . وقال أحمد أيضا بهذا الأسناد : إن طاوسا قال لأبي نجيح : يا أبا نجيح ! امن قال واتيقي الله خير ممن صمت واتيقي . وقال مسعر عن رجل إن طاوساً أتى رجلاً في السحر فقالوا : هو نائم ، فقال : ما كنت أرى أن أحداً ينام في السحر . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا ابن يمان عن مسعود ، فذكره . قال الثوري : كان طاوس يجلس في بيته ، فقيل له في ذلك قال : حيف الأئمة وفساد الناس .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني أبي قال : كان طاوس يصلي في غداة باردة ممتعة ، فمر به محمد بن يوسف صاحب اليمن وحاجبها - وهو أخو الحجاج بن يوسف - وطاوس ساجد ، والأمير راكب في مركبه ، فأمر بسناج أو طيلسان مرتفع القيبة فطرح على طاوس وهو ساجد ، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته ، فلما سلم نظر فاذا الساج عليه فانتفض فالتاه عنه ، ولم ينظر إليه وفضى إلى منزله وتركه ملقى على الأرض . وقال نعيم بن حماد : حدثنا حماد بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كتب عليه حتى أئينه في مرضه ، فلما مرض الامام أحمد أن فقيل له : إن طاوسا كان يكره أن ينظر المرص فتركه . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبيه عن داود بن شابر . قال : قال رجل لطاوس : ادع الله لنا ، فقال : ما أجد بقلبي خشية فأدعوك . وقال ابن طلوت : حدثنا عبد السلام بن هاشم عن الحسن بن أبي الحصين العنبري . قال : مرّ طاوس برواس قد أخرج رؤساً ففضى عليه . وفي رواية كان إذا رأى الرأس المشوية لم يتمش تلك الليلة .

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الأشجعي عن سفيان الثوري . قال قال طاوس إن الموتى يقتنون في قبورهم سفياً ، وكانوا يستحبون أن يطعمهم عنهم تلك الأيام . وقال ابن إدريس : سمعت لينا يذكر عن طاوس وذكر النساء فقال : فبين كفر من مضى وكفر من بقى . وقال

أبو عاصم عن بقيقة عن سلمة ابن وهرام عن طاوس قال : كان يقال : اسجد للقرء في زمانه ، أي أظلمه في المعروف . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أسامة حدثنا نافع بن عمر عن بشر بن عاصم . قال قال طاوس : ما رأيت مثل <sup>(١)</sup> أحد آمن على نفسه ، ولقد رأيت رجلاً لو قيل لي : من أفضل من تعرف ؟ قلت : فلان ذلك الرجل ، فكثت على ذلك حينئذ أخذه وجع في بطنه ، فأصاب منه شيئاً استنضح بطنه عليه ، فاشتبه ، فرأيت في نطع ما أدرى أي طرفيه أسرع حتى مات عرقاً . وروى أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن طاوس أنه رأى فتية من قريش يرفلون في مشيتهم ، فقال : إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباءكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يحسن الزفافون أن يمشوها . وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أن طاوساً قام على رفيق له مرض حتى فاته الحج - لعله هو الرجل المتقدم قبل هذا استنضح بطنه - وقال مسعر بن كدام عن عبد الكبير المعلم قال طاوس قال ابن عباس : سئل النبي (س) : من أحسن قراءة ؟ قال : « من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجل » . وقد روى هذا أيضاً من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس قال قال ابن عباس : إن النبي (س) قال : « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به » . وعنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رأيت رسول الله (س) وعلى ثوبان مصفران فقال : « أملك أمرتك بهذا ؟ قلت : أغسلهما ؟ قال : بل أحدهما » رواه مسلم في صحيحه عن داود بن راشد عن عمر بن أبوب عن إبراهيم بن نافع عن سليمان الأحول عن طاوس به .

وروى محمد بن مسلمة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عمرو قال قال رسول الله (س) : « الجلادفة والشرط واعوان الظلمة كلاب النار » . انفرد به محمد بن مسلم الطالقي وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسن الأنماطي البغدادي حدثنا عبد المنعم بن إدريس حدثنا أبي عن وهب بن منبه عن طاوس عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله (س) يقول لعلي بن أبي طالب : « يا علي استكثر من المعارف من المؤمنين فكم من معرفة في الدنيا بركة في الآخرة » . فضى على فأقام حيناً لا يلقى أحداً إلا اتخذته للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له رسول الله (س) : « ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قال : قعد فعلت يا رسول الله ، فقال له النبي (س) : اذهب فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي (س) وهو منكسر رأسه ، فقال له النبي (س) : اذهب فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي (س) تبسم [ فقال ] : ما أحسب يا علي ثبت معك إلا أبناء الآخرة ؟ فقال له علي : لا والذي بمنك بالحق ، فقال له النبي (س) : [ الأخلأ يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عبادي لاخوف عليكم ] يا علي أقبل على شأنك ، وأملك لسانك ، وأغفل من

(١) كذا بالأصل ، ولعلها : ما رأيت مثلي أحداً آمنأ .

تلاش من أهل زمانك تكن سالما غاما ، لم يرو إلا من هذا الوجه فيما نعلم والله أعلم

### ثم دخلت سنة سبع ومائة

فيها خرج باليمن رجل يقال له عباد الرعيني فدعا إلى مذهب الخوارج واتبعه فرقة من الناس وحملوا قتلتهم يوسف بن عمر قتله وقتل أصحابه ، وكانوا ثلاثمائة . وفيها وقع بالشام طاعون شديد ، وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة وعلى جيش أهل الشام ميمون بن مهران ، فقطعوا البحر إلى قبرص وغزا مسلة في البر في جيش آخر . وفيها ظفر أسد بن عبد الله القسري بجماعة من دعاة بني العباس بخراسان فصلبهم وأشهرهم . وفيها غزا أسد القسري جبال نمرود ، ملك القريسيان ، مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نمرود وأسلم على يديه . وفيها غزا أسد النور - وهي جبال هراة - فعمد أهلها إلى حواصلهم وأموالهم وأقتلهم فجمعوا ذلك كله في كهف منيع ، لا سبيل لأحد عليه ، وهو مستعمل جدآ ، فأمر أسد بالرجال فحملوا في توأيت ودلام إليه ، وأمر بوضع ما هناك في التوأيت ورفعهم فسلخوا وغنموا ، وهذا وأى شديد . وفيها أمر أسد بجمع ماحول بلخ إليها . واستناب عليها برمك والدة خالد بن برمك وبنائها بناء جيدآ جديدآ محكما وحصنها وجعلها معقداً للسلمين . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين . ومن توفى فيها من الأعيان :

#### سليمان بن يسار أحد التابعين

وهو أخو عطاء بن يسار ، له روايات كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، وكان من أحسن الناس وجها ، توفى بالمدينة وعمره ثلاث وسبعون سنة ، دخلت عليه امرأة من أحسن الناس وجها فأرادته على نفسها فأبى وتركها في منزله وخرج هاربا منها ، فرأى يوسف عليه السلام في المنام . فقال له : أنت يوسف ؟ فقال : نعم أنا يوسف الذي هممت ، وأنت سليمان الذي لم تهتم . وقيل إن هذه الحكاية إنما وقعت في بعض منازل الحجاج ، وكان معه صاحب له ، فبعثه إلى سوق الحجاج ليشتري شيئا فأنحطت على سليمان امرأة من الجبل حسناء فقالت له : هيت لك ، فبكى واشتد بكأؤه فلما رأته من ذلك منه ارتفعت في الجبل ، وجاء صديقه فوجده يبكي فقال له : مالك تبكي ؟ فقال خير ، فقال : لعلك ذكرت بعض وللك أو بعض أهلك ؟ فقال : لا . فقال : والله لتخبرني ما أبالك أنت . قال : أبكاني حزني على نفسي ، لو كنت مكانك لم أصبر عنها ، ثم ذكر أنه نام فرأى يوسف في منامه كما تقدم والله أعلم

#### عكرمة مولى ابن عباس

أحد التابعين ، والمفسرين المكثرين والعلماء الربانيين ، والرحالين الجوالين . [وهو أبو عبد الله ، وقد روى عن خلق كثير من الصحابة ، وكان أحد أوعية العلم ، وقد أفتى في حياة مولاه ابن عباس ،



قال عكرمة : طلبت العلم أربعين سنة ، وقد طاف عكرمة البلاد ، ودخل إفريقية واليمن والشام والعراق وخراسان ، وبت علمه هناك ، وأخذ الصلوات وجوائز الأمراء ، وقد روى ابن أبي شيبة عنه قال : كان ابن عباس يجلس في رجلي الكيل يلمن القرآن والسنة ، وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبدا ، عطاء ، وطلوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد فأقبل سعيد ومجاهد يلقيان على عكرمة التفسير فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما ، فلما نفذ ما عندهما جعل يقول : أنزلت آية كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمام ليلا . قال جابر بن زيد : عكرمة أعلم الناس وقال الشعبي ، ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة . وروى الإمام أحمد عن عبد الصمد عن سلام بن مسكين سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير عكرمة . وقال سعيد بن جبير نحوه ، وقال عكرمة : لقد فسرت ما بين اللوحين . وقال ابن عليه عن أيوب : سألت رجلا عكرمة عن آية فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل - وأشار إلى سلع - وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قدم عكرمة الجند حمله طلوس على نجيب فقال : ابتمت علم هذا الرجل ، وفي رواية أن طلوسا حمله على نجيب فمته ستون دينارا وقال : ألا نشترى علم هذا العبد بستين دينارا !

ومات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فأخرجت جنازتهما فقال الناس : مات أفعه الناس وأشعر الناس ، وقال عكرمة : قال لي ابن عباس : انطلق فأفت الناس فن سألك عما ينيه فأفته ، ومن سألك عما لا ينيه فلا تنه ، فانك تطرح عنى ثلثي مؤنة الناس . وقال سفيان عن عمرو قال : كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عن المغازي كأنه مشرف عليهم ينظر كيف يصنعون ويقتلون . وقال الأمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت معمرأ يقول : سمعت أيوب يقول : كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفاق من الآفاق ، قال فأتى لني سوق البصرة فاذا رجل على حمار ، فقيل : هذا عكرمة ، قال : واجتمع الناس إليه فما قدرت أنا على شيء أسأله عنه ، ذهبت مني المسائل ، وشردت عنى فقممت إلى جنب حماره فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظه . وقال شعبة عن خالد الحذاء قال قال عكرمة لرجل وهو يسأله : مالك أخبلت ؟ أى فتلنت . وقال زياد بن أبي أيوب : حدثنا أبو ثيملة حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال قلت لعكرمة بنيسابور : الرجل يريد اغتلاء وفي إصبه خاتم فيه اسم الله ، قال : يجعل فسه في باطن يده ثم يقبض عليه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال : سمعت شعبة يقول قال خالد الحذاء : كل شيء قال فيه محمد بن سيرين : ثبت عن ابن عباس ، وإنما سمعته من عكرمة ، لقيه أيام المختار بالكوفة . وقال سفيان الثوري : خذوا المتناسك عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة . وقال أيضا : خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال عكرمة : أدركت مشنن من أصحاب رسول الله

س. في هذا المسجد . وقال محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن عكرمة : قال : كانت الخليل التي شغلت سليمان بن داود عليه السلام عشرين ألفا فقرها ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا معمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة : [ الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ] قال : الدنيا كلها قريب ويكلها جهالة . وفي قوله : [ الذين لا يريدون علواً في الأرض ] قال : عند سلاطينها وملوكها . [ ولا فساداً ] لا يعملون بماصى الله عز وجل . [ والمعاقبة ] هي الجنة . وقال في قوله تعالى : [ فلما نسوا ما ذكروا به ] أى تركوا ما وعظوا [ بمناب بئس ] أى شديد [ فلما عتوا عما نهوا عنه ] أى تمادوا وأصرّوا . [ خاستين ] صاغرين . [ لجملناها ] نكالا لما بين يديها [ أى من الأمم الماضية ] وما خلفها [ من الأمم الآتية ] ، من أهل زمانهم وغيرهم [ وموعظة ] تنهى من انغط بها الشرك والمعاصي .

وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة بعث الله الذين اعتدوا ويحاسب الذين تركوا الأمر والنهي كان المسخ لهم عقوبة في الدنيا حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال عكرمة : قال ابن عباس : هلك والله القوم جميعاً ، قال ابن عباس فالذين أمروا ونهوا نجوا ، والذين لم يأمروا ولم ينهوا هلكوا فيمن هلك من أهل المعاصي . قال : وذلك أهل آيلة - وهي قرية على شاطئ البحر - وكان الله قد أمر بنى إسرائيل أن يتفرغوا ليوم الجمعة فقالوا : بل نتفرغ ليوم السبت ، لأن الله فرغ من الخلق يوم السبت ، فأصبحت الأشياء مسبوتة . وذكروا قصة أصحاب السبت ، وتحريم الصيد عليهم ، وأن الحيتان كانت تأتيمهم يوم السبت ولا تأتيمهم في غيره من الأيام ، وذكروا احتيالهم على صيدها في يوم السبت فقال قوم : لا ندعكم تصيدون في يوم السبت ووعظوم ، فجاء قوم آخرون مداهنون فقالوا : [ لم تمظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ؟ ] قال الناهون [ منكرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون ] أى ينهون عن الصيد في يوم السبت . وقد ذكر عكرمة أنه لما قال لابن عباس إن المداهنين هلكوا مع النافلين ، كساه توبين . وقال حويزة عن مغيرة عن عكرمة قال : كانت القضاة ثلاثة - يعنى في بنى إسرائيل - فأت واحد فجمل الآخر مكانه ، فقضوا ما شاء الله أن يقضوا فبعث الله ملكا على فرس فر على رجل يسقى بقره معها مجل ، فدعا الملك العجل فتبع العجل الفرس ، فجاء صاحبه ليرده فقال : يا عبد الله اعجل وابن بقرتي ، فقال الملك : بل هو عجلي وابن فرسى ، فغاصه حتى أعباه ، فقال : القاضى بينى وبينك ، قال : لقد رضيت ، فارتضا إلى أحد القضاة فتكلم صاحب العجل فقال له : مرى على فرس فدعا عجلي فتبعه فأبى أن يرده ، قال : ومع الملك ثلاث درات لم ير الناس مثلاً ، فأعطى القاضى درة وقال : اقضى لى ، قال : كيف يسوغ هذا ؟ فقال : نرسل العجل خلف الفرس والبقرة فأيهما تبعها فهو ابنها ، ففعل ذلك فتبع الفرس قضى له . فقال

صاحب العجل : لأرضي ، بيني وبينك القاضي الآخر ، ففعلا مثل ذلك ، ثم أتيا الثالث فقصا عليه قصتهما ، وناولوه الملك الدرّة الثالثة فلم يأخذها ، وقال لا أقضي بينكما اليوم ، قتالا : ولم لا تقضي بيننا ؟ فقال : لأنّي حائض ، فقال الملك : سبحان الله ! رجل يجيئ في ١ . فقال القاضي : سبحان الله ! وهل تنتج النرس عجلا ؟ قضى لصاحب البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتليتم ، وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك .

وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة أن ملكا من الملوك نادى في مملكته : إني إن وجدت أحدا يتصدق بصدقة قطعت يده ، فجاء سائل إلى امرأة فقال : تصدق على بشي ؟ فقالت : كيف أتصدق عليك والملك يقطع يد من يتصدق ؟ قال : أسألك بوجه الله إلا تصدقت على بشي ؟ فتصدقت عليه برغيفين ، فبلغ ذلك الملك فأرسل إليها فقطع يديها ، ثم إن الملك قال لأمه : دليني على امرأة جميلة لأتزوجها ، فقالت : إن ههنا امرأة ما رأيت مثلها ، لولا عيب بها ، قال : أي عيب هو ؟ قالت مقطوعة اليدين ، قال : فأرسل إليها ، فلما رآها أعجبته - وكان لها جمال - فقالت : إن الملك يريد أن يتزوجك : قالت : نعم إن شاء الله ، فتزوجها وأكرمها ، فنهده إلى الملك عدو نفرج إليهم ، ثم كتب إلى أمه : انظري فلانة فاستوصي بها خيرا وافعلي وافعلي معها ، فجاء الرسول فنزل على بعض ضرائرها فحسبها فأخذن الكتاب فغيرته وكتبتن إلى أمه : انظري فلانة فقد بلغني أن رجلا يأتونها فأخرجها من البيت وافعلي وافعلي ، فكتبتن إليه الأم إنك قد كذبت ، وإنها لامرأة صدق ، فذهب الرسول إليهن فنزل بهن فأخذن الكتاب فغيرته فكتبتن إليه : إنها فاجرة وقد ولدت غلاما من الزنا ، فكتب إلى أمه : انظري فلانة فاجعلى ولدها على رقبته واضربني على جيبها واخرجها . قال : فلما جاءها الكتاب قرأته عليها وقالت لها : اخرجي ، فجعلت الصبي على رقبته وذهبت ، فمرت بنهر وهي عطشانة فنزلت لتشرب والصبى على رقبتها فوقم في الماء ففرق ، فجعلت تبكي على شاطئ النهر ، فر بها رجلان فقالا : ما يبكيك ؟ فقالت : ابني كان على رقبتي وليس لي يدان فسهط في الماء ففرق . فقالا لها : أتجيبين أن يرد الله عليك يدك كما كانتا ؟ قالت : نعم ! فدعوا الله ربهما لها فاستوت يداها ، ثم قال لها : أتتدريين من نحن ؟ قالت : لا قالا : نحن الرغيفان اللذان تصدقت بهما . وقال في قوله : [ طيرا أبابيل ] قال : طير خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع فلم تزل ترميهم حتى جدت جلودهم ، وما رؤى الجدرى قبل يومئذ وما رؤى الطير قبل يومئذ ولا بعد . وفي قوله تعالى : [ ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ] قال : لا يقولون لا إله إلا الله ، وفي قوله [ تد أفلح من تزكى ] قال : من يقول لا إله إلا الله ، وفي قوله : [ هل لك إلى أن تزكى ] إلى أن تقول لا إله إلا الله ، وفي قوله : [ إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا [ على شهادة أن لا إله إلا الله . وفي قوله [ أليس منكم رجل رشيد [ أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله ، وفي قوله : [ وقال صوابا ] قال : لا إله إلا الله . وفي قوله : [ إنك لا تخلف الميعاد ] لمن قال : لا إله إلا الله . وفي قوله [ لا عدوان إلا على الظالمين ] على من لا يقول : لا إله إلا الله . وفي قوله : [ واذا ذكر ربك إذا نسيت ] قال : إذا غضبت [ سيأثم في وجوههم ] قال : السهر وقال : إن الشيطان ليزين للعبد الذنب ، فاذا عمله تبرأ منه ، فلا يزال يتضرع إلى ربه ويتسكن له ويبيح حتى يغفر الله له ذلك وما قبله . وقال قال جبريل عليه السلام : إن ربي ليبغضني إلى الشيء لا مضيه فأجد الكون قد سبقني إليه . وسئل عن الماعون قال : العارية . قلت : فإن منع الرجل غراباً أو قدراً أو قصعة أو شيئاً من متاع البيت فله الويل ؟ قال : لا ! ولكن إذا نهى عن الصلاة ومنع الماعون فله الويل . وقال : البضاعة المزججة التي فيها تجوز . وقال : السائحون ، هم طلبة العلم وقال : [ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ] قال : إذا دخل الكفار القبور وعابنوا ما أعد الله لهم من الخزي ، يئسوا من نعمة الله . وقال غيره . [ يئس الكفار من أصحاب القبور ] أى من حياتهم وبعثهم بعسدهم وموتهم . وقال : كان إبراهيم عليه السلام يدعى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد ، وقال : أنكالا ، أى قيودا . وقال فى كاهن سبأ : إنه قال لقومه لما دنا منهم العذاب : من أراد سفرأً بعيداً وحملأً شديداً ، فعمله يمان ، ومن أراد الحز والحجر ، وكذا وكذا والمصير ، فعمله بصرى - يعنى الشام - ومن أراد الراسخات فى الوحل ، والمقبات فى المحل فعمله يثيرب ذات النخل . فخرج قوم إلى عمان وقوم إلى الشام ، وهم غسان ، وخرج الأوس والخزرج - وهم بنو كعب بن عمرو - وخزاعة حتى نزلوا يثرب ، ذات النخل ، فلما كانوا يبطن مرت قالت خزاعة : هذا موضع صالح لا يزيد به بدلا ، فتركوا ، فن تم سميت خزاعة ، لأنهم تخزعوا من أصحابهم . وتقدمت الأوس والخزرج حتى نزلوا يثرب ، فقال الله عز وجل ليوست عليه السلام يا يوسف ابعفوك عن إخوتك رفعت لك ذكرك مع الذاكرين . وقال : قال لقمان لابنه : قد ذقت المرار فلم أذق شيئاً أصراً من القتر . وحملت كل حمل يتقيل فلم أحمل أثقل من جار السوء . ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . رواه وكيع بن الجراح عن سفیان عن أبيه عن عكرمة : [ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ] قال : ما وقع شيء منها إلا فى عين رجل منهم . وقال : فى قوله تعالى [ زعيم ] هو اللثيم الذى يعرف اللؤمة كما يعرف الشاة بذئمتها . وقال فى قوله تعالى [ الذين يؤذون الله ورسوله ] قال : هم أصحاب التصاوير ، [ وبلغت القلوب الحناجر ] قال : لو أن القلوب تحركت أو زالت لخرجت نفسه ، وإنما هو الخوف والفرع . [ فنتقم أنفسكم ] أى بالشهوات [ وتربصنم ] بالتوبة [ وغرتمكم الأمانى ] أى التسوييف [ حتى جاء أمر الله ] الموت [ وغرتم بالله الغرور ]

الشیطان . وقال : من قرأ يس والقرآن الحکیم لم یزل ذلك الیوم فی سرور حتی ینسی .  
قال سلمة بن شعیب : حدثنا ابراهیم بن الحکم عن ابان عن أبیه . قال : كنت جالسا مع عكرمة  
عند البحر فذكروا الذين یفترقون فی البحر فقال عكرمة : الذين یفترقون فی البحار تقدس لهم  
الحینان فلا یبقی منهم شیء إلا العظام ، حتی تصیر حائلا نخرة فتر بها الابل فتأكلها ، ثم تسیر الابل  
فتبصرها ، ثم یجئهم بدمهم قوم فینزلون ذلك المنزل فیاخذون ذلك البحر فیرقدونه ثم یصیر دما  
فتجئهم الريح فتأخذنه فتندریه فی كل مكان من الأرض حیث یشاء الله من بره ویمجره ، فإذا جاءت  
النفخة - نفخة المبعث - فیخرج أولئك وأهل القبور المحجوعین سواء . وبهذا الاسناد عنه قال : إن  
الله أخرج رجلین ، رجلا من الجنة ورجلا من النار ، فقال لصاحب الجنة : عبدي ! کیف وجدت  
مقيلك ؟ قال : خیر مقیل . ثم قال لصاحب النار : عبدي کیف وجدت مقيلك ؟ فقال : شر مقیل قاله  
القائلون ، ثم ذكر من عقاربها وحیاتها وزنا بیرها ، ومن أنواع ما فیها من العذاب وألوانه ، فیرى الله  
تمالی لصاحب النار : عبدي ! ماذا تمطینی إن أنا أعفیتك من النار ؟ فیرى العبد : إلیی وماذا عندي  
ما أعطیک ، فقال له الرب تعالی : لو كان لك جبل من ذهب أكنت تمطینی فأعفیتك من النار ؟ فقال  
نعم ؛ فقال له الرب : كذبت لقد سألتك فی الدنیا ما هو أیسر من ذلك ! تدعونی فأبیتجیب لك ،  
وتستغفرنی فأغفر لك ، وتسألنی فأعطیک ، فكذبت تتولی ذاهبا .

وبهذا الاسناد قال : ما من عبد یقر به الله عز وجل یوم الیومیة للحساب إلا قام من عند الله  
بغفوه ، وبه عنه ؛ لکل شیء أساس ، وأساس الاسلام الخلاق الحسن . وبه عنه قال : شكنا نبي من  
الانبياء إلی ربه عز وجل الجوع والعری ، فأوحى الله إلیه : أما ترضی أنى سددت عنك باب الشر  
الناسئ ؟ عنها ؟ . وبه عنه قال : إن فی السماء ملكا یقال له إسماعیل لو أذن الله له بفتح أذن من آذانه  
یسبح الرحمن عز وجل لمت من فی السموات والأرض . وبه عنه قال : سعة الشمس سعة الأرض  
وزيادة ثلاث مرات ، وسعة القمر سعة الأرض مرة ، وإن الشمس إذا غربت دخلت بجمراً نحت  
العرش نسبح الله حتی إذا أصبحت استعفت ربهما تعالی من الطلوع فیرى لها : ولم ذلك - وهو أعلم -  
فتقول : لئلا أعبد من دونك ، فیرى لها : اطلى فلیس علیك شیء من ذلك ، حسبهم جهنم أبینها  
إلیهم مع ثلاث عشرة ألف ملك تقودها حتی یدخلوم ؛ وهذا خلاف ما ثبت فی الحدیث الصحیح  
« إن جهنم یؤتی بها تقاد بسبعین ألف زمام ؛ مع كل زمام سبعون ألف ملك » . وقال منذل عن أسد  
ابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله -س- . « لا یقطن أحدكم علی رجل یضرب  
ظلما فان العنة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفعوا عنه . ولا یقطن أحدكم علی رجل یتنزل  
ظلما فان العنة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفعوا عنه » . لم یرفعه إلا منذل هنا .

وروى شعبة عن عمارة بن حفصة عن عكرمة عن أبي هريرة أن رسول الله (س) « كان إذا عطس غطى وجهه بثوبه ، ووضع يديه على حاجبيه » ، هذا حديث عال من حديث شعبة . وروى بقية عن إسحاق بن مالك الخضرى عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي (س) قال : « من حلف على أحد يمينا ، وهو يرى أنه سيبره فلم يفعل ، فانما إيمه على الذى لم يبره » . تفرد به بقية بن الوليد مرفوعا . وقال عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه : حدثنا عبید بن عمر التواريرى حدثنا يزيد بن ربيع حدثنا عمارة بن أبي حفصة حدثنا عكرمة حدثنا عائشة أن النبي (س) كان عليه بردان قطريان خشنان غليظان ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن ثوبيك هذين غليظان خشنان ، ترشح فيهما فيثقلان عليك ، فأرسل إلى فلان فقد أتاه برد من الشام فاشتر منه ثوبين إلى ميسرة ، فأرسل إليه فأناه الرسول فقال : إن رسول الله (س) بعث إليك لتبئمه ثوبين إلى ميسرة . فقال : قد علمت والله ، ما يريد نبي الله إلا أن يذهب بثوبى ويمطئني بشمئهما ، فرجع الرسول إلى رسول الله (س) فأخبره فقال (س) : كذب اقد علموا أنى أتقاهم الله ، وآدام للأمانة . وفى هذا اليوم قال النبي (س) : « لأن يلبس أحدكم من رقاغ شتى خير له من أن يستدين ما ليس عنده » والله سبحانه أعلم [ (١) ] .

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديقي

كان أحد الفقهاء المشهورين ، له روايات كثيرة ، عن الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضل أهل المدينة ، وأعلم أهل زمانه ، قتل أبوه بمصر وهو صغير ، فأخذته خالته فنشأ عندها ، وساد وله مناقب كثيرة . أبورجاء المطاردى .

#### وفيهما توفي كثير عزة الشاعر المشهور

وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، أبو صخر الخزاعى الحجازى ، المعروف بابن أبي جمعة ، وعزة هذه المشهور بها المنسوب إليها ، لتغزله فيها ، هى أم عمرو عزة بالعين المهملة ، بنت جميل بن حفص ، من بنى حاجب بن غفار ، وإنما صغر اسمه فقيل كثير ، لأنه كان دميم الخلق قصيراً ، طوله ثلاثة أشبار . قال ابن خلدكان : كان يقال له رب الدبان ، وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره ، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له : طأطأ رأسك لا يؤذيك السقف ، وكان يضحك إليه ، وكان يفد على عبد الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرات ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان يقال إنه أشعر الاسلاميين ، على أنه كان فيه تشيع ، وربما نسب به بعضهم إلى منهب الناسخية ، وكان يحتاج على ذلك من جهله وقلة عقله إن صح النقل عنه ، فى قوله تعالى [ فى أى صورة ما شاء ركبك ] وقد استأذن يوماً على عبد الملك فلما دخل عليه قال عبد الملك : لأن

(١) زيادة من المصرية .

تسمع بالنعيدى خبير من أن تراه ، فقال : حَيْهَلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا المرءُ بأصغريه قلبه ولسانه ، إن نطق نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجنان ، وأنا الذى أقول

وجربت الأوردَ وجربنى \* وقد أبدت عريكتى الأوردَ  
وما تخفى الرجالَ على أنى \* بهم لاخو مشاقفةً خبيرُ  
ترى الرجلَ النحيفَ فتزديره \* وفى أتوابه أسدٌ زبيرُ  
ويمجيك الطيرُ فتختبره \* فيخلفُ ظنك الرجلُ الطيرُ  
وما هلمَّ الرجالُ لها بزین \* ولكن زينها دينٌ وخيرُ  
بناك الطيرُ أطولها جسوماً \* ولم تطلُ النزاةُ ولا الصقورُ  
وقد عظمَ البعيرُ بغيرِ لبٍ \* فلم يستغنِ بالمظمِ البعيرُ  
فيركبُ ثم يضربُ بالهراوى \* ولا عرفَ لديرٍ ولا نكيرُ  
وعودُ النبعِ يذبتُ مستمراً \* وليس يطرلُ والمضباءُ حورُ

وقد تكلم أبو الفرج بن طرار على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلام طويل ، قالوا : ودخل كثير عزة يوما على عبد الملك بن مروان فامتدحه بقصيدته التى يقول فيها : -

على ابن أبى العاصى دروع حصينة \* أجاد المسدى سردها وأدالها  
قال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معديكرب : -  
وإذا تجبى كتيبة ملومة \* شهباً يخشى الدائدون صيالها  
كنت المقدم غير لابس جبة \* بالسيف يضرب معلماً أبطالها

فقال : يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم . ودخل يوما على عبد الملك وهو يتجهز للخروج إلى مصعب بن الزبير فقال : ويحك يا كثير ، ذكرتك الآن بشرك فان أصبته أعطيتك حكك ، فقال : يا أمير المؤمنين كأنك لما ودعت عائكة بنت يزيد بكت لفراقك فبكي لبكايتها حشما فذكرت قولى :

إذا ما أرادَ النزولَ لم تثنِ عزمه \* حصان عليها نظم در زينها  
نهته فلما لم ترَ النهى عاقه \* بكت فبكى مما عراها قطينها

قال : أصبت فاحتكم ، قال : مائة ناقة بن ثوبك المختارة ، قال : هى لك ، فلما سار عبد الملك إلى العراق نظر يوما إلى كثير عزة وهو مفكر فى أمره فقال : على به ، فلما جرى به قال له : أرايت إن أخبرتك بما كنت تفكر به تعطينى حكى ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ، قال له عبد الملك إنك تقول فى نفسك : هذا رجل ليس هو على مذهبي ، وهو ذاهب إلى قتال رجل ليس هو على

منهبي ، فان أصابني سهم غريب من بينهم ما خسرت الدنيا والآخرة ، فقال : إبي والله يا أمير المؤمنين فاحبسكم ، قال : أحبسكم حكمتي أن أردك إلى أهلك وأحسن جزئتك ، فأعطاه مالا وأذن له بالانصراف وقال حماد الرازي عن كثير عزة : وفدت أنا بالأحوص وبنصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نمت بصحبتنا إياه وما شرتنا له ، لما كان بالمدينة ، وكل منا يظن أنه سيشارك في الخلافة . ونحن لسير ونختال في رحالنا ، فلما اتهمينا إلى خضاعة ولاحت لنا أعلامها ، تلقانا مسلمة بن عبد الملك فقال : ما أقدمكم ؟ أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشعراء ؟ قال : فوجنا لذلك ، فأترانا مسلمة عنده وأجرى علينا النفقات وعلف دوابنا ، وأقاما عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لأسمع خطبته فأسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعتة يقول في خطبته : اسكل سفر زاد ، فزودوا السفركم من الدنيا إلى الآخرة بالقوى ، وكونوا كمن عين ما أعد الله له من عذابه وثوابه فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الامد فتفسد قلوبكم وتقادوا لعدوكم . فانه والله ما بسط أول من لا يدري له له لا يمسي بعد إصابحه ولا يصبح بعد إمساته ، وربما كانت له كاتبة بين ذلك خطرات الموت والمنايا ، وإنما يطعمن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة ، فاما من لا يدري من الدنيا كلما إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يطعمن ، أعوذ بالله أن أمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفة تقي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق ، ثم بكى حتى ظننا أنه قاض نجية ، وأرجم المسجد وما حوله بالبكاء والعويل ، قال : فالصرفت إلى صاحبي فقلت : خد سرحا من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فانه رجل أخرى ليس برجل دنيا . قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال النواء وقلت الفائدة ، وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب . فقال : [ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ] وقرأ الآية ، فان كنتم من هؤلاء أعطيتم وإلا فلا حق لكم فيها ، فقلت : يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به ، فقال : أستم عند أبي سعيد ؟ - يعني مسلمة بن عبد الملك - فقلنا : بلى ا فقال : إنه لا نواب على من هو عند أبي سعيد ، فقلت : ائذن لي يا أمير المؤمنين بالأنشاد ، قال : نعم ولا تقل إلا حقا ، فأنشدته قصيدة فيه :

وليت فلم تشتم عليا ولم تحف • يريثيا ولم تقبل إشارة مجرم  
 وصدقت بالفعل المقال مع الذي • أتيت فأسى راضيا كل مسلم  
 ألا إنما يكني النبي بسد ريعه • من الأود النادى ثقاف المقوم  
 وقد لبست تسمى اليك ثيابها • تراهي لك الدنيا بكنف ومصم  
 وتووض أحيانا بعين مريضة • وتبسم عن مثل الجمان المنظم



فأعرضت عنها مشيراً كأنها \* ستتك مذوقاً من صمامٍ وعلقم  
وقد كنت من أجبالها في منع \* ومن بجرها في مزيد الموج معمم  
ومازلت ترواقاً إلى كل غاية \* بلفت بها أعلى البناء المقدم  
فلما أتاك الملك عفواً ولم تكن \* لطالب دنيا بمسده في تكلم  
تركت الذي يقى وإن كان وثقاً \* وآثرت ما يبق برأي مصمم  
وأضرت بالفاني وشمرت للذي \* أمالك في يوم من الشر مظلم  
ومالك إذ كنت الخليفة مانع \* سوى الله من مال رعيت ولادم  
سالك هم في الفؤاد مؤرق \* بلفت به أعلى الممالى بلم  
فابن شرق الأرض والغرب كلها \* مناد ينادى من فصيح وأعجم  
يقول أمير المؤمنين ظمني \* بأخذك دينارى وأخذك درهمي  
ولا بسط كفى لامرئ غير مجرم \* ولا السفك منه ظالماً مل محجم  
ولو يستطيع السلون لفسوا \* لك الشر من أعمارهم غير ندم  
فمشت بها ما حجج لله راكب \* ملب مطيف بالمقام وزنم  
فأربح بها من صفقة لبائع \* وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال : فأقبل على عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة ، ثم استأذنه الأحوص  
فأنشده قصيدة أخرى فقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة . ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له وأمر  
لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهما ، وأغزى نصيباً إلى مرج دابق . وقد وفد كثير عزة بعد  
ذلك على يزيد بن عبد الملك فامتدحه بقصائد فأعطاه سبعمائة دينار . وقال الزبير بن بكار : كان  
كثير عزة شبيهاً خبيثاً يرى الرجسة ، وكان يرى التناسخ ويحتج بقوله تعالى [ في أى صورة  
ما شاء ركبتك ] وقال موسى بن عقبة هو ل كثير عزة ليسة في منامه فأصبح بمتدح آل الزبير وبرئ  
عبد الله بن الزبير ، وكان يسئ الرأي فيه :

بمنضح البطحا تأول أنه \* أقام بها ما لم ترمها الأخشاب  
سرحنا سروبا آمين ومن يخف \* بوائق ما يخشى تنبه النوايب  
تبرأت من عيب ابن أسماء إنى \* إلى الله من عيب ابن أسماء نواب  
هو المرء لا ترزى به أمهاته \* وآباؤه فينا السكرا الأتاب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيرى : قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة : ما الذى يدعرك إلى  
ماتقول من الشعر في عزة وليست على نصف من الحسن والجمال ، فلو قلت ذلك في زى أمثالى فانا

أشرف وأفضل وأحسن منها - وكانت عائشة بنت طلحة قد آتت النساء حسنا وجمالا وأصالة -  
وإنما قالت له ذلك لتختبره وتبلوه فقال:

ضحى قلبه يا عَزْرُ أو كَأَد يَنْهَلُ \* وَأَضْحَى يَرِيدُ الصَّوْمَ أو يَتَبَدَّلُ  
وَكَيْفَ يَرِيدُ الصَّوْمَ مِنْ هُوَ وَمَقْ \* لَمَزَةٌ لَا قَالُ وَلَا مَتَبَسَّلُ  
إِذَا وَاصَلْتَنَا خَلَّةً كَيْ تَزِيلَنَا \* أَيْنَمَا وَقَلْنَا الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ  
سَنُوكِ عَرَفًا إِنَّ أَرَدْتَ وَصَالَنَا \* وَنَحْنُ لَتَيْكَ الْحَاجِبِيَّةُ أَوْصَلُ  
وَحَدِيثُهَا الْوَأَشُونَ أَنَّى هَجَرْتَهَا \* لِحَمَلِهَا غَيْظًا عَلَى الْحَمَلُ

فقالت له عائشة: قد جعلتني خلة ولست لك بخلة، وعلاقت كما قال جميل فهو والله أشعر

منك حيث يقول:

يَارَبِّ عَارِضِيهِ عَلَيْنَا وَصَلْمَا \* بِالْجِدِّ تَخْلَطُهُ بِقَوْلِ الْمَازِلِ  
فَأَجَبْتَهَا بِالْقَوْلِ بِمَسَدٍ تَسِيرِ \* حَبِي بِثِيْنَةٍ عَنِ وَصَالِكِ شَاغِلِ  
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي بِقَدْرِ قَلَامِي \* فَضْلُ وَصَلْتِكِ أَوْ أَتَيْتِكِ رَسَائِلِ

فقال: والله ما أنكر فضل جميل، وما أنا إلا حسنة من حسناته، واستحيا. ومما أنشده ابن

الأببارى لكثير عزة:

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتِ مِنْ مَمشُوقَةٍ \* طَبْنِ الدَّوِّ لَهَا فَفَيَّرُ حَالَهَا  
وَمَشَى إِلَيَّ بِعَيْبِ عَزَّةٍ نَسُوءٍ \* جَمَلُ الْإِلَهِ خُدُودَهُنَّ نَمَالَهَا  
اللَّهُ يَمْلِكُ لَوْ جَمَعْنُ وَمَثَلْتِ \* لِأَخَذْتِ قَبْلُ تَأَمَّلِي تَمَالَهَا  
وَلَوْ أَنَّ عَزَّةً خَاصَمَتْ شَمْسَ الصُّحَى \* فِي الْحَسَنِ عِنْدَ مَوْفِقِي لَقَضَى لَهَا

وأنشد غيره لكثير عزة:

فَمَا أَحَدَتْ النَّأْيُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا \* سَلُوا وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعِ تَقَالِيَا  
وَمَا زَادَنِي الْوَأَشُونَ إِلَّا صِبَابَةً \* وَلَا كَثْرَةَ النَّاهِينَ إِلَّا تَمَادِيَا  
غَيْرُهُ لَه: قَلْتُ لَهَا يَا عَزْرُ كُلِّ مَصِيْبَةٍ \* إِذَا وَطَنْتِ بَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتِ  
هَيْثَمَا مَرِيئًا غَيْرَ دَائِرِ مَخَامِرِ \* لَمَزَةٌ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ

وقال كثير عزة أيضا وفيه حكمة أيضا:

وَمَنْ لَا يَغْمُضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ \* وَعَنْ بَعْضِ بَأْفِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبُ  
وَمَنْ يَنْتَبِعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ \* يَجِدْهَا وَلَا يَبْقَى لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وذكروا أن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار أم عمرو الضميرية

وفدت على عبد الملك بن مروان تشكو إليه ظلامه فقال : لا أفضيها لك حتى تشديني شيئاً من شعره ، فقالت : لا أحفظ لكبير شعراً ، اسكني سمعتهم يحكون عنه أنه قال في هذه الأبيات :

قضى كل ذي دين علمتُ غريمه \* وعزةٌ ممطولٌ معنى غريمها

نقال : ليس عن هذا أسألك ولكن أنشدني قوله :

وقد زعمتُ أني تغيرتُ بعدها \* ومن ذا الذي يا عزُ لا يتغيرُ

تغيرُ جسمي والمحبةُ كالذي \* عهدتِ ولمْ يخبرْ بذلك مخبرُ

قال فاستحيت وقالت : أما هذا فلا أحفظه ولكن سمعتهم يحكونه عنه ، ولكن أحفظ له قوله :

كأنني أنادي صخرةً حينَ أعرضتُ \* من الظلم لو تمشى بها العضمُ زلتِ

صفوحٌ فسا تلقاكِ إلا بخيصةٍ \* ومن ملءَ منها ذلكَ الوصلُ ملتِ

قال فقضى لها حاجتها وردّها ورد عليها ظلامتها وقال : أدخلوها الحرم لينتعلوا من أديها . وروى عن بعض نساء العرب قالت : اجتازت بنا عزة فاجتمع نساء الحاضر إليها لينظرن حوشها ، فاذا هي حميرة حلوة لطيفة ، فلم تقع من النساء بذلك الموقع حتى تكلمت فاذا هي أبرع النساء وأحلاهن حديثاً ، فما بقى في أعيننا امرأة تفوقها حسناً وجمالاً وحلاوة . وذكر الأصمعي عن سفيان بن عيينة قال : دخلت عزة على سكيئة بنت الحسين فقالت لها : إني أسألك عن شيء فاصدقيني ، ما الذي أريد كثير في قوله لك :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه \* وعزةٌ ممطولٌ معنى غريمها

فقالت : كنت وعدته قبلة فطلتني بها ، فقالت : أنجز بها له وإثمها على ، وقد كانت سكيئة

بنت الحسين من أحسن النساء . كان يضرب بحسبها المثل . وروى أن عبد الملك بن مروان

أراد أن يزوج كثيراً من عزة عليه وقالت : يا أمير المؤمنين أبعده ما فضحني بين الناس

وشهرني في العرب ؟ وامتنعت من ذلك كل الأمتناع ، ذكره ابن عساكر . وروى أنها اجتازت مرة

بكثير وهو لا يعرفها فتسكرت عليه وأرادت أن تختير ما عنده ، فتمرض لها فقالت : فأين جيك

عزة ؟ فقال : أما لك الغداء لو أن عزة أمة لي لو هبتها لك ، فقالت : ويحك لا تقبل ألسن القائل :

إذا وصلتنا خلة كي نزيلنا \* أيننا وقلنا الحاجبية أول ؟

نقال : بأبي أنت وأمي ، أقصرى عن ذكرها واسمى ما أقول :

هل وصل عزة إلا وصل غانية . \* في وصل غانية من وصلها بدل

قالت : فهل لك في المجالسة ؟ قال : ومن لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلت في عزة ؟ قال :

أقبله فيتحول لك ، قال فسفرت عن وجهها وقالت : أغدراً وتنا كئنا يا فاسق ، وإناك لها هنا يندو

الله ، فبهت وأبأس ولم ينطق وتخبير ونجول ، ثم قالت : قاتل الله جيلاً حيث يقول : -  
 محاً الله من لا ينفخ الودع عنده \* ومن حبله إن صد غير متين  
 ومن هو ذو وجهين ليس بدائم \* على المهدي حلاقاً بكل يمين  
 ثم شرع كثير يمتدح ويقنصل مما وقع منه ويؤول في ذلك الأسماء ذاكراً وآثراً . وقد ماتت  
 عزة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان ، وزار كثير قبرها ورثاها وتغير شعره بعدها ، فقال له قائل :  
 ما بال شعرك تغير وقد قصرت فيه ؟ فقال : ماتت عزة ولا أطرب ، وذهب الشيباب فلا أعجب ،  
 ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب ، وإنما ينشأ الشعر عن هذه الخلال .  
 وكانت وفاته و وفاة عكرمة في يوم واحد ، ولكن في سنة خمس ومائة على المشهور . وإنما ذكره  
 شيخنا الذهبي في هذه السنة - أعني سنة سبع ومائة - والله سبحانه أعلم .

### ثم دخلت سنة ثمان ومائة

[ فيها افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم ، وفتح براهيم بن هشام بن عبد الملك  
 حصان من حصون الروم أيضاً ، وفيها غزا أسيد بن عبد الله القسري أمير خراسان فكسر الأتراك  
 كسرة فاضحة . وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة ورنان ورماها بالمناجيق ، فسار إليه  
 أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه  
 وقتل من جيشه خاق كثير ، وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من جيشه ، وقتل  
 الحارث بن عمرو شهيداً ، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقاً كثيراً . وفيها غزا معاوية بن هشام بن  
 عبد الملك أرض الروم ، وبعث البطال على جيش كنيف فافتتح جنجرة وغنم منها شيئاً كثيراً (١)  
 وفيها توفي من الاعيان بكر بن عبد الله المزني البصري . [ كان علماً عابداً زاهداً متواضعاً قليل  
 الكلام ، وله روايات كثيرة عن خاق من الصحابة والتابعين . قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت  
 من هو أكبر منك من المسلمين قتل : سبقتك إلى المعاصي فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك يكرهونك  
 ويفظمونك قتل : هذا من فضل ربي ، وإذا رأيت منهم تقصيراً قتل : هذا بذنب أحدثته . وقال :  
 من مثلك يا ابن آدم ؟ خلى بينك وبين الماء والمحراب متى شئت تطهرت ودخلت على ربك عز وجل  
 ليس بينك وبينه ترجمان ولا حاجب . وقال : لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقي الطمع تقي الغضب .  
 وقال : إذا رأيتم الرجل وكلا يديوب الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به . وقال : كان الرجل  
 من بني إسرائيل إذا بلغ المباح الصالح من العمل ففشى في الناس تظلمة غمامة ، قال : فرجل قد  
 أظلمت غمامة على رجل فأنظمه لما رآه مما آتاه الله ، فاحتتره صاحب الغمامة فأمرها الله أن تتحول

(١) زيادة من المصيرية .

عن رأسه إلى رأس الذي اختتره ، وهو الذي غظم أمر الله عز وجل . وقال : ما سبقتهم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام ، ولكن بشئ قرأ في صدره . وله كلام حسن كثير يطول ذكره [ (١) راشد بن سعد المقرئ المحصي عمّ دهرآ ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وقد كان عابداً صالحاً زاهداً .

رحمه الله تعالى ، وله ترجمة طويلة محمد بن كعب القرظي

توفي فيها في قول [ وهو أبو حمزة ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان علماً بتفسير القرآن ، صالحاً عابداً ، قال الأصمعي : حدثنا أبو المقدم - هشام بن زياد - عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخلدان ؟ قال : أن يقيح الرجل ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان يقيحاً . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا عبد الله بن عبد الله بن موهب قال : سمعت ابن كعب يقول : لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا زلزلت والقارعة لا أزيد عليهم وأردد فيهما الفكر ، أحب إلى من أن أهد القرآن هداً - أو قال أثمره ثراً - . وقال : لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لذكر يا عليه السلام ، قال تعالى : [ آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والأبكار ] [ لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص له ، ولرخص للذين يقاتلون في سبيل الله ، قال تعالى : [ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ] وقال في قوله تعالى : [ اصبروا وصابروا ورابطوا ] قال : اصبروا على دينكم وصابروا لوعدهم الذي وعدتم ، ورابطوا عدوكم الظاهر والباطن ، واتقوا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون إذا لقيتموني . وقال في قوله تعالى : [ لولا أن رأى برهان ربه ] : علم ما أحل القرآن مما حرم [ منها قائم وحصيد ] قال : القائم ما كان من بنائهم قائماً ، والحصيد ما حصد فهم . [ إن عذابها كان غراماً ] قال : غرموا ما نعموا به من النعم في الدنيا ، وفي رواية سألمهم ممن نعمة فلم يقدرُوا عليها ولم يؤدوها ، فأغرهم عنها . فأدخلهم النار . وقال قتيرة بن سعيد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي قال : سمعت محمد بن كعب في هتة الآية [ وما آتيتهم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ] قال : هو الرجل يعطى الآخر من ماله ليكافئه به أو يزداد ، فهذا الذي لا يربو عند الله ، والمضعفون هم الذين يعطون لوجه الله لا يبتغي مكافأة أحد . وفي قوله تعالى : [ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ] قال : أجعل سريرتي وعلائقي حسنة . وقيل : أدخلني مدخل صدق في العمل الصالح ، أي الاخلاص ، وأخرجني مخرج صدق أي سالماً . [ أو ألقى السمع وهو شهيد ] أي يسمع القرآن وقلبه معه في مكان آخر . [ فاسعوا إلى ذكر الله ] قال : السعي العمل ليس بالشهد . وقال : الكبائر ثلاثة ، أن تأمن مكر الله ، وأن تنشط من رحمة الله ، وأن تياس من روح الله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : إذا أراد الله بعبده خيراً جعل فيه ثلاث خصال ، فقها في الدين ، وزهادة في الدنيا ، وبصراً بعبوب نفسه . وقال : الدنيا دار قلق ، و رغب عنها السعداء ، وانترعت من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها ، وأزهق الناس فيها أسعد الناس بها ، هي الغاوية لمن أضاعها ، المهلكة لمن اتبها ، الخائفة لمن اتقادها ، عليها جبل ، وغناؤها فقر ، وزيادتها نقصان ، وأيامها دول . وروى ابن المبارك عن داود بن قيس قال سمعت محمد بن كعب يقول : إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي على رجل ، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي من كان يعمل على ظهرها بمعصية الله ، قد أتفلها . ثم قرأ [ فما بكت عليهم السماء والأرض ] وقال في قوله تعالى [ فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ] : من يعمل مثقال ذرة خيراً من كافر يرى ثوابها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له خير . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له شر . وقال : ما يؤمنني أن يكون الله قد اطعم علي في بعض ما يكره فمقتني ، وقال : اذهب لا أغفر لك ، مع أن مجائب القرآن تردني على أمور حتى أنه لينتقى الليل ولم أفرغ من حاجتي .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيمه غلامه سلماً - وكان عبداً خيراً زاهداً - فكتب إليه : - إني قد دبرته ، قال : فازدد فيه ، فأتاه سالم فقال له عمر : إني قد ابتليت بما نرى ، وأنا والله أتخوف أن لا أنجو ، فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاته ، وإلا فهو الأمر الذي يخاف . قال : يا سالم ظنني ، قال : آدم عليه السلام أخطأ خطيئة واحدة خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عمل الخطايا ترجون دخول الجنة ، ثم سكت . قلت : والأمر كما قيل في بعض كتب الله : نزرعون السيئات وترجون الحسنات ، لا يجزي من الشوك العنب .

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى \* كرج الجنان وطيب عيش العابد

ونسيت أن الله أخرج آدم \* منها إلى الدنيا بذنوب واحد

وقال : من قرأ القرآن منع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة . وقال له رجل : ماتم قول في التوبة ؟ قال : لا أحسنها ، قال : أفرايت إن أعطيت الله عهداً أن لا تعصيه أبداً ؟ قال : فن أعظم جرماً منك ، تنأى على الله أن لا ينفذ فيك أمره .

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدثنا ابن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثنا عباد بن عباد عن هشام بن زياد أبي المقدم . قالوا كلهم : حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : حدثنا ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - قال : « من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن

بما في يد الله أوثق مما في يده ، ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من نزل وحده ، ومنع رفده ، وجلد عبده ، أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ، ولا يفتخر ذنباً ، ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل خطيباً فقال : يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمتنعوها أهلها فتظلموها . وقال مرة فتظلموم . ولا تظلموا ظلماً ، ولا تطاولوا ظلماً فيبطل فضلكم عند ربكم ، يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة ، أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاتجنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله . وهذه الألفاظ لا تحفظ عن النبي (ص) بهذا السياق إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس ، وقد روى أول الحديث إلى ذكر عيسى من غير طريقه ، وسيأتي أن هذا الحديث تفرد به الطبراني بطوله والله سبحانه وتعالى أعلم [ (١) ]

وفيهما توفي أبو نضرة المنذر بن مالك بن قطة العبدى ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل .

### ثم دخلت سنة تسع ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القيسرى عن إمرة خراسان وأمره أن يقدم إلى الحج ، فأقبل منها في رمضان ، واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي ، واستتاب هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلمى ، وأمره أن يكتب خالد بن عبد الله القسرى ، وكان أشرس فاضلاً خبيراً ، وكان سمي التكامل لذلك ، وكان أول من اتخذ المرابطة بخراسان ، واستعمل المرابطة عبد الملك بن زياد الباهلي ، وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها ، وفرح بها أهلها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين .

### سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية

فيها قاتل مسلمة بن عبد الملك ملك الترك الأعظم خاقان ، فزحف إلى مسلمة في جموع عظيمة فتواقفوا نحواً من شهر ، ثم هزم الله خاقان زمن الشتاء ، ورجع مسلمة سالماً غانماً ، فسلك على مسلك ذى القرنين في رجوعه إلى الشام ، وتسمى هذه الغزاة غزاة الطين ، وذلك أنهم سلكوا على مغارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة ، وتوكل فيها خلق كثير ، فأنجوا حتى قاسوا شدائد وأهوالاً صعباً وشدائد عظيماً ، وفيها دعا أشرس بن عبد الله السلمى نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الاسلام ، ويضع عنهم الجزية فأجابوه إلى ذلك ، وأسلم غالبهم ، ثم طالبهم

(١) زيادة من المصرية .

بالجزية فنصبوا له الحرب وقاتلوه ، ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة ، أطال ابن جرير بسطها وشرحها فوق الحاجة . وفيها أرسل أمير المؤمنين هشام بن عبيدة إلى إفريقية متولياً عليها ، فلما وصل جهز ابنه وأخاه في جيش فالتقوا مع المشركين فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا بطريقهم وانهمزم باقيهم ، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً . وفيها افتتح معاوية بن هشام حصنين من بلاد الروم ، وغنم غنائم جمّة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام ، وعلى العراق خالد القسري ، وعلى خراسان أشرس السلمي

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

### جرير الشاعر

وهو جرير بن الخطابي ويقال ابن عطية بن الخطابي واسم الخطابي حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن طابخة بن الياس ابن مضر بن نزار ، أبو حرزة الشاعر البصري ، قدم دمشق مراراً ، وامتدح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان في عصره من الشعراء الذين يقارنونهم الفرزدق والأخطل ، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم ، قال غير واحد : هو أشعر الثلاثة ، قال ابن دريد : إذا الاثنان داني ثنا الثوري عن أبي عبيدة عن عثمان بن عيسى قال : رأيت جريراً وما لضم شفتاه من التسبيح ، فقلت : وما ينفعك هذا ؟ فقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد إن الحسنات يذهبن السيئات ، وعد من الله حق . وقال هشام بن محمد الكلابي عن أبيه قال : دخل رجل من بني عنزة على عبد الملك بن مروان يمدحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي ، فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرف أهجى بيت قالته العرب في الاسلام ؟ قال : نعم اقول جرير :

فَنُضِّىَ الطرفَ إنك من نَمِيرٍ \* فلا كَمَبًا بلدت ولا سَمَكِلا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الاسلام ؟ قال نعم اقول جرير :

أَلَسْتَم خَيْرٌ من ركب المطايا \* وأندى المالمين بطون راح

فقال : أصبت وأحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الاسلام ؟ قال : نعم اقول جرير :

إن العيون التي في طَرْفِها رَضٌ \* قَتَلْنَا نَمْرًا لم يُحِين قَتْلَانَا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به \* وهن أضف خلق الله أذكانا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف جريراً ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته لمشتاق ، قال : فهذا

جريره وهذا الفرزدق وهذا الأخطل ، فأنشأ الأعرابي يقول :



فَحَسْبَا بِاللَّهِ أَبَا جَرَزَةَ \* وَأَرْغَمَ أُنْفَكَ يَا أَخْطَلُ  
وَجَدَّ الْفَرْزَدِقِ أُنْسَانَ بِهِ \* وَرَقَّ خِيَاشِيمُهُ الْجَسَدُ

فَأَنشَأَ الْفَرْزَدِقُ يَقُولُ :

يَا أَرْغَمَ اللَّهُ أَنفَا أَنْتَ حَامِلُهُ \* يَا ذَا الْخَلْطِ وَمَقَالِ الزُّورِ وَالْخَطْلِ  
مَا أَنْتَ بِالْحَكْمِ التَّرْضِي حُكْمَتُهُ \* وَلَا الْاَصِيلُ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدْلِ  
ثُمَّ أَنشَأَ الْأَخْطَلُ يَقُولُ :-

يَاشِرٌ مِنْ حَمَلَتِ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ \* مَا مِثْلُ قَوْلِكَ فِي الْأَقْوَامِ يَحْتَمِلُ  
أَنَّ الْحَكْمَةَ لَيْسَتْ فِي أَيْكَ وَلَا \* فِي مَعْشَرٍ أَنْتَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ سَفَلُ

فَقَامَ جَرِيرٌ مَفْضِيًا وَقَالَ :-

أَنْشَأْتَنِي سَفَاهًا خَيْرٌ كُمْ حَسْبًا \* فَذِيكَ - وَالْأَهْيَ - الزُّورُ وَالْخَطْلُ  
شَتْمَتَاهُ عَلَى رَفِيٍّ وَوَضِيكَ \* لَا زَلَّتْ فِي سَفَالٍ أَبِهَا السُّفْلُ

ثُمَّ وَثَبَ جَرِيرٌ قَبْلَ رَأْسِ الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَائِزَتِي لَهُ ، وَكَانَتْ خَمْسَةَ آلَافٍ ،  
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَهِيَ مِثْلُهَا مِنْ مَالِي ، فَقبضَ الْأَعْرَابِيُّ ذَلِكَ كُلَّهُ وَخَرَجَ . وَحَكَى يَعْقُوبُ بْنُ السَّكَيْتِ  
أَنَّ جَرِيرًا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ وَفْدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ جَبَةِ الْحِجَابِ فَأَنشَدَهُ مَدِيحَهُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

أَلَسْتُمْ خَيْرٌ مِنْ رَكْبِ الْمَطَايَا \* وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

فَأُطِيقُ لَهُ حَامَةَ نَاقَةٍ وَثَمَانِيَةَ مِنَ الرِّعَاءِ أَرْبَعَةَ مِنَ النَّوْبَةِ وَأَرْبَعَةَ مِنَ السَّبْيِ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِمْ مِنَ  
الصَّفْعِ قَالَ جَرِيرٌ : وَبَيْنَ يَدَيْ عَجْبِ الْمَلِكِ جَامَانٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أُهْدِيَتْ لَهُ ، وَهُوَ لَا يَبْنَأُ بِهَا شَيْئًا ،  
فَهُوَ يَقْرَعُهَا بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَلْبُ ، فَأَتَيْتُ إِلَى وَاحِدًا مِنْ تِلْكَ  
الْجَامَاتِ ، وَمَا رَجَعُ إِلَى الْحِجَابِ بِأَعْجَبِهِ إِكْرَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ فَأُطِيقُ الْحِجَابَ لَهُ خَمْسِينَ نَاقَةً تَحْمِلُ  
طَلْمَانًا لِأَهْلِهِ .

وَحَكَى فَطْوِيهَ أَنَّ جَرِيرًا دَخَلَ يَوْمًا عَلَى بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ الْأَخْطَلُ ، فَقَالَ بَشْرُ الْجَرِيرِ :  
أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، وَمِنْ هَذَا أَبِهَا الْأَمِيرُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الْأَخْطَلُ ، فَقَالَ الْأَخْطَلُ : أَنَا الَّذِي  
قَدَفْتُ عَرَضُكَ ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِكَ ، وَأَذَيْتُ قَوْمَكَ ، فَقَالَ جَرِيرٌ : أَمَا قَوْلُكَ شَتَمْتَ عَرَضُكَ فَضَارَ  
الْبَحْرُ أَنْ يَشْتَمَهُ مِنْ غَرَقٍ فِيهِ ، وَأَمَا قَوْلُكَ وَأَسْهَرْتُ لَيْلِكَ ، فَلَوْ تَرَكْتَنِي أَنَامَ لَكُنْ خَيْرًا لَكَ ، وَأَمَا قَوْلُكَ  
وَأَذَيْتُ قَوْمَكَ فَكَيْفَ تُوذِي قَوْمًا أَنْتِ تُوذِي الْجَزْيَةَ إِلَيْهِمْ ؟ وَكَانَ الْأَخْطَلُ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ  
الْمُنْتَصِرَةِ ، فَجَعَهُ اللَّهُ وَأَبْعَدَ مِثْوَاهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَنشَدَ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

قَدْ اسْتَوَى بَشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ \* مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقِ

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً ، فإنه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاضياً عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشر على العراق ، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه ، وعرش الرب لم يكن ممتعاً عليه نفساً واحداً ، حتى يقال استوى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجد أضعف من حجيج الجهمية ، حتى أدام الافلاس من الحجيج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم .

وقال الهيثم بن عدى عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء فكثروا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلفت إليهم ، فساءم ذلك وهموا بالرجوع إلى بلادهم ، فمر بهم رجاء بن حيوة فقال له جرير :-

يا أيها الرجلُ المرخى عمامتهُ \* هذا زمانكُ فاستأذنْ لنا عمرا  
فدخل ولم يذكر لعمر من أمرهم شيئاً ، فرَّ بهم عدى بن أوطاة فقال له جرير مندشاً :  
يا أيها الراكبُ المرخى مطيتهُ \* هذا زمانكُ إني قد مضى زمني  
أبأبعَ خليفتنا إن كنتَ لآفيهُ \* أنى لدى البابِ كلمه فودى في قرنِ  
لا تنسَ حاجتنا لآقيتَ منفرةً \* قد طألَ مكثي عن أهلي وعن وطني

فدخل عدى على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة ، فقال : ويحك يا عدى ، مالي وللشعراء ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله (س) قد كان يسمع الشعر ويجزى عليه ، وقد أنشده العباس بن مرداس مدحه فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أتروى منها شيئاً ؟ قال : نعم فأنشده :-

رأيتكُ يا خيرَ البريةِ كلها \* نشرتُ كتاباً جاءَ بالحقِ معلماً  
شرعتُ لنا دينَ الهدى بعد جورنا \* عن الحقِ لما أصبحَ الحقُ مظالمنا  
ونورتُ بالبرهانِ أمراً مدلساً \* واطفأتُ بالقرآنِ ناراً نضراً  
فن مبالغٍ عني النبيُّ محمداً \* وكلُّ امرئٍ يجزى بما كانَ قدماً  
أقتتُ سبيلَ الحقِ بعد أعوجاجِهِ \* وكانَ قد بما ركنهُ قد تهتما  
تعالى علواً فوقَ عرشِ إلھنا \* وكانَ مكانُ اللهِ أعلا وأعظماً

فقال عمر : من بالباب منهم ؟ فقال : عمر بن أبي ربيعة ، فقال أليس هو الذي يقول :  
ثم نبتها فهبت كما بابا \* طفلةً ما تبين رجيع الكلام

ساعةً ثم إنها بمدُّ قالت \* ويلنا قد عجبت يا ابن الكرام  
أعلى غير موعدي جئت تسرى \* تتخطى إلى روسِ النيامِ  
ما تجشمت ما تريد من الأمر \* ولا حيث طارقاً لحصامِ  
فلو كان عدو الله إذ فجركم وستر على نفسه ، لا يدخل والله أبداً ، فن بالباب سواء ؟ قال :  
همام بن غالب - يعني الفرزدق - فقال عمر : أوليس هو الذي يقول في شعره :

هما دليسانى من ثمانينَ قامةً \* كاتقض باز أقم الريش كاسرة  
فلما استوت رجلاى بالأرض قلنا \* أحي برجى أم قتيل نحاذرة  
لا يأتى والله بساطى وهو كاذب ، فن سواء بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : أوليس هو الذى يقول :

ولست بصائم رمضان طوعاً \* ولست بأكل لحم الاضاحى  
ولست بزاجر عيساً بكور \* إلى بطحاوة مكة للنجاح  
ولست بزائر بيتاً بعيداً \* بمكة أبنتي فيه صلاحى  
ولست بقاتم كالمير أدعو \* قبيل الصبح حى على الفلاح  
ولكنى ساشربها شمولاً \* وأسجد عند منبلج الصباح  
والله لا يدخل على وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ قال : نعم الأحوص ، قال :  
أليس هو الذى يقول :

الله بينى وبين سيدها \* يفر منى بها وأتبعه  
فاهو دون من ذكرت ، فن ههنا غيره ؟ قال جميل بن معمر ، قال : الذى يقول : -  
إلا ليتنا نجيا جميعاً وإن نمت \* يوافق فى الموتى خريجي خريجها  
فأنا فى طول الحياة براغب \* إذا قيل قد سوى عليها صفيحها  
فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليمل بذلك صالحا ويتوب ، والله لا يدخل على أبداً ، فهل  
بالباب أحد سوى ذلك ؟ قلت : جرير ، قال أما إنه الذى يقول :

طرتك صائفة القلوب وليس ذا \* حين الزيارة طرجمي بسلام  
فان كان لابد فاذن لجرير ، فأذن له فدخل على عمر وهو يقول :  
إن الذى بعث النبى محمداً \* جعل الخلافة للإمام العادل  
وسمى الخلائق عدله ووفاه \* حتى ارعوى وأقام ميل المائل  
إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً \* والنفس ولمة يجيب العاجل  
فقال له : ويحك يا جرير ، اتق الله فيما تقول ، ثم إن جريراً استأذن عمر فى الانشاد فلم يأذن له ولم

ينهم ، فأشده قصيدة طويلة مدحه بها ، فقال له : ويحك يا جبر لا أرى لك فيما هنا حتاً ، فقال : إني مسكين وابن سبيل ، قال : إنا ولينا هذا الأمر ونحن لأنك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله مائة وأبنا مائة وقد بقيت مائة ، فأمر له بها ، فخرج على الشعراء فقالوا : ما وراءك يا جبر ؟ فقال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويعنع الشعراء وإني عنه لراض ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستغزه \* وقد كان شيطاني بن الجن راقيا

وقال بعضهم فيما حكاه المصنف بن زكريا الجري قال جارية للحجاج بن يوسف : إنك تدخل هذا علينا ، فقال : إنه ما علمت عفيفا ، فقالت : أما إنك لو أخليتني وإياه سترى ما يصبغ ، فأمر باخلائها مع جبري في مكان يراه الحجاج ولا يريانه ، ولا يشعر جبر بشئ من ذلك ، فقالت له : يا جبر ، فأطرق رأسه ، وقال : هأنذا ، فقالت : أنشدني من قولك كذا وكذا - اشعر فيه رقة - فقال : لست أحفظه ولكن أحفظ كذا وكذا - ويعرض عن ذلك وينشدها شعرا في مدح الحجاج - فقالت : لست أريد هذا ، إنما أريد كذا وكذا - فيعرض عن ذلك وينشدها في الحجاج - حتى انقضى المجلس فقال الحجاج : لله درك ، آيت إلا كرما وتكرما . وقال عكرمة أنشدت أعرابيا بيتا لجبر الخطي :

أبدل الليل لا تجرى كواكب \* أو طال حتى حسبت النجم حيرانا

فقال الأعرابي : إن هذا حسن في معناه وأعوذ بالله من مثله ، ولكني أنشدك في ضده من قولي

وليل : لم يقصره رقاد \* وقصره لنا وصل الحبيب  
لبيم الحبيب أرق فيه \* حتى تناولنا جناه من قريب  
بمجلس لذة لم تقف فيه \* على شكوى ولا عيب الذنوب  
نغشينا أن تقطعه بلفظ \* فترجت العيون عن القلوب<sup>(١)</sup>

قلت له : زدني ، قال : أما من هذا فحسبك ولكن أنشدك غيره فأنشدني :

وكنت إذا عفت جبال قوم \* صحبتهم وشيئ الوفاء  
فأحسن حين يحسن محسنوم \* وأجتنب الإساءة إن أساءوا  
أشأه سوى مشيتهم فآتي \* مشيتهم وأترك ما أشأه

قال ابن ميمون كان : كان جبر أشعر من الفرزدق عند الجمهور ، وأخبر بيت قاله جبر :

إذا غضبت عليك بنوهم \* حسبت الناس كلهم غضبا

قال وقد سأله رجل : من أشعر الناس ؟ فأخذ بيده وأدخله على ابنه ، وإذا هو يرتفع من ثدي

(١) في هذه الأبيات تعريف ، ولم تقف عليها في مرجع آخر .

شتر ، فاستدعاه فنهض واللبن يسيل على لحيته ، فقال جرير الذى سأله : أتبصر هذا ؟ قال : نعم ، قال :  
 أنمرقه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبى ، وإنما يشرب من ضرع المنزلة لا يجلبها فيسمع جيرانه حس الحلب  
 ويطلبوا منه لبناً ، فأشعر الناس من فخر بهذا ثمانين شاعراً فغلبهم ، وقد كان بين جرير والفرزدق  
 مقابلات ومهاجاة كثيرة جداً يطول ذكرها ، وقد مات فى سنة عشر ومائة ، قاله خليفة بن خياط وغير  
 واحد ، قال خليفة : مات الفرزدق وجرير بعده بأشهر ، وقال الصولى : ماتا فى سنة إحدى عشرة  
 ومائة ، ومات الفرزدق قبل جرير بأربعين يوماً ، وقال السكرى عن الأصمعى عن أبيه قال : رأى  
 رجل جريراً فى المنام بعد موته فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرلى ، فقيل : بماذا ؟ قال بتكبيره  
 كبرتها بالبادية ، قيل له : فما فعل الفرزدق ؟ قال أهبت أهلكه قذف الحصنات . قال الأصمعى لم  
 يدعه فى الحياة ولا فى الممات

### وأما الفرزدق

واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن  
 حنظلة بن زيد بن مناة بن مر بن أد بن طابخية أبو فراس بن أبي خطل التيمي البصرى الشاعر  
 المعروف بالفرزدق ، وجده صعصعة بن ناجية صحابى ، وفد إلى رسول الله س . ، وكان يحمي المؤودة  
 فى الجاهلية ، حدث الفرزدق عن على أنه ورد مع أبيه عليه ، فقال من هذا ؟ قال ابنى وهو شاعر ،  
 قال علمه القراءة فهو خير له من الشعر . وسمع الفرزدق الحسين بن على وراة وهو ذاهب إلى العراق  
 وأبا هريرة وأبا سعيد الخدرى وعرفجة بن أسعد ، وزرارة بن كرب ، والطرماس بن عدى الشاعر ،  
 وروى عنه خالد الحذاء ومروان الأصغر وحجاج بن حجاج الأحول ، وجماعة ، وقد وفد على معاوية  
 يطلب ميراث عمه الجباب ، وعلى الوليد بن عبد الملك وعلى أخيه ، ولم يصح ذلك ، وقال أشعث بن  
 عبد الله عن الفرزدق قال نظر أبو هريرة إلى قدى فقال : يا فرزدق إنى أرى قديك صغيرين  
 فاطلب لهما موضعاً فى الجنة ، فقالت : إن ذنوبى كثيرة ، فقال : لا بأس فانى سمعت رسول الله س . ،  
 يقول : « إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة لا يفتق حتى تطالع الشمس من مغربها » . وقال معاوية بن  
 عبد الكريم عن أبيه قال : دخلت على الفرزدق فتخرك فاذا فى رجله قيد ، فقالت : ما هذا ؟ فقال :  
 حلفت أن لا أنزع حتى أحفظ القرآن . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت بدويّاً أقام بالحضر إلا فسد  
 لسانه إلا روبة بن العجاج والفرزدق فانهما زادا على طول الإقامة جدة وحدة ، وقال راوية أبو سفيل  
 طاق الفرزدق أمرته أنوار ثلاثاً ثم جاء فأشبهه على ذلك الحسن البصرى ، ثم ندم على طلاقها  
 وإشهاده الحسن على ذلك فأنشأ يقول :-

فلو أنى ملكك يدي وقلبي \* لكان علىّ للقدّر الخيار

ندت ندامة السعوى لما \* غدت منى مطلقاً نواراً  
وكانت جتى مغربت منها \* كآدم حين أخرجه الضراراً

وقل الأصمى وغير واحد : لما ماتت الزاوية بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي امرأة الفرزدق - وكانت قد أوصت أن يصلى عليها الحسن البصرى - فشهدها أعيان أهل البصرة مع الحسن والحسن على بقلته ، والفرزدق على بعيره ، فسار فقال الحسن للفرزدق : ماذا يقول الناس ؟ قال : يقولون شهد هذه الجنازة اليوم خير الناس - يعنونك - وشر الناس - يعنونى - فقال له : يا أبا فراس لست أنا بخير الناس ولست أنت بشر الناس ، ثم قال له الحسن : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فلما أن تكلم عليها الحسن مالوا إلى قبرها فأنشأ الفرزدق يقول :

أخاف وراء القبر أن لم يمافنى \* أشد من القبر التهاياً وأضيافاً  
إذا جاءنى يوم القيامة قائداً \* عنيف وسواق يسوق الفرزدقا  
لقد خاب من أولاد دارم من مشى \* إلى النار مغلول القلادة أزرقا  
يساق إلى نار الجحيم مسربلاً \* سرايل قطران لباساً مخرقا  
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم \* يذوبون من حر الصديد تمزقا

قال : فبكى الحسن حتى بل الثرى ثم التزم الفرزدق ، وقال : لقد كنت من أبغض الناس إلى ، وإنك اليوم من أحب الناس إلى ، وقال له بعض الناس : ألا تخاف من الله في قنف المحصنات ، فقال : والله لله أحب إلى من عيني اللتين أبصر بهما ، فكيف يعذبني ؟ وقد قدهما أنه مات سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين يوماً ، وقيل بأشهر بالله أعلم ..

وأما الحسن وابن سيرين فقد ذكرنا ترجمة كل منهما في كتابنا التكميل مسبوطة وحسبنا الله ونعم

الوكيل .  
فأما الحسن بن أبي الحسن

فاسم أبيه يسار وأبجد هو أبو سعيد البهرى مولى زيد بن ثابت ، ويقال مولى جابر بن عبد الله وقيل غير ذلك ، وأمه خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها ، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع ، فتشاكله أم سلمة بشديها فيدران عليه فيرتضع منهما ، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله . ثم كن وهو صغير يخرجها أمه إلى الصحابة فيدعون له ، وكان في جملة من يدعوه له عمر بن الخطاب ، قال : اللهم قهه في الدين ، وحببه إلى الناس . وسئل مرة أنس بن مالك عن مسألة قتال : سلوا عنها مولانا الحسن ، فانه سمع وصمنا ، فحفظ فؤسنا ، وقال أنس مرة : إني لأخطب أهل البصرة بهذين الشيخين - الحسن وابن سيرين - وقال قتادة : ما جالست رجلاً قتها إلا رأيت فضل الحسن عليه ،

وقال أيضا : ما رأيت عيناى أفقه من الحسن ، وقال أبو ب : كان الرجل يجالس الحسن ثلاث جمع ما يسأله عن مسألة هيبة له ، وقال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة : إذا نظرت إلى رجل أجمل أهل البصرة وأهمهم فهو الحسن ، فأقرأه بنى السلام . وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه ، وقال الأعمش : ما زال الحسن يعنى الحكمة حتى يطق بها ، وكان أبو جعفر إذا ذكره يقول : ذاك الذى يشبهه كلامه كلام الأنبياء .

وقال محمد بن سعد : قالوا كان الحسن جامعا للعلم والعمل ، عالما رفيعا فقيها ثقة مأمورا عابدا زاهدا ناسكا كثير العلم والعمل فصيحاً جميلاً وسياً ، وقدم مكة فاجلس على سرير ، وجلس العلماء حوله ، واجتمع الناس إليه فحدثهم . قال أهل التاريخ : مات الحسن عن ثمان وثمانين سنة ، علم عشر ومائة فى رجب منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم .

### وأما ابن سيرين

فهو محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرو الأنصارى ، ولى أنس بن مالك النضرى ، كان أبو محمد من سبى عين التمر ، أسره خالد بن الوليد فى جملة السبى ، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، ثم ولد له من الأولاد الأختيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومهيد ويحيى وحفصة وكريمة ، وكلهم ناهيون فذات أجلاء رحيم الله . قال البخارى : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمورا عالما رفيعا فقيها إماما كثير العلم ورعا . وكان به صمم ، وقال هورق العجلي : ما رأيت رجلا أفقه فى ورعه ، وأورع فى فقهه منه ، قال ابن عون : كان محمد بن سيرين أرجى الناس لهذه الأمة ، وأشد الناس إزارا على نفسه ، وأشدهم خوفا عليها . قال ابن عون : ما بكى فى الدنيا مثل ثلاثة ، محمد بن سيرين فى العراق ، والقاسم بن محمد فى الحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وكانوا يأتون بالحديث على حرفه ، وكان الشعبي يقول : عليكم بذاك الأصم - يعنى محمد بن سيرين - وقال ابن شاذب : ما رأيت أحدا أجزأ على تعبیر الرؤيا منه . وقال عثمان البتى : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه . قالوا : ومات فى ناسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم .

### فضيلة تراجم

كان اللاتقى بالمؤلف أن يذكر تراجم هؤلاء العلماء الأختيار قبل تراجم الشعراء المتقدم ذكرهم فبيد أنهم ثم يأتى بتراجم الشعراء ، وأيضا فإنه أطال القول فى تراجم الشعراء واختصر تراجم العلماء ، ولو كان فيها حسن وحكم جمة ينتفع بها من وقف عليها ، ولعلها أفيد من مدحهم والشاء عليهم ، ولا سيما

كلام الحسن وابن سيرين ووهب بن منبه - كما ذكره بعد وكما سيأتي ذكر ترجمته في هذه الزيادة - فانه قد اختصرها جيداً وإن المؤلف أقدر وأوسع علماً ، فما ينبغي أن نخل بيهض كلامهم وحكمهم ، فان النفوس مستشرفة إلى معرفة ذلك والنظر فيه ، فان أقوال السلف لها وقع من القلوب ، والمؤلف غالباً في التراجم يحيل على ما ذكره في التكميل الذي صنفه في أسماء الرجال ، وهذا الكتاب لم تقف عليه نحن ولا من سألناه عنه من العلماء ، فانا قد سألنا عنه جماعة من أهل الفن فلم يذكر غير واحد أنه اطلع عليه . فكيف حل غيرهم . ؟ وقد ذكرت في غالب التراجم زيادات على ما ذكره المؤلف مما وصلت إليه معرفة واطلعنا عليه ، ولو كان عندي كتب لأشيعت القول في ذلك ، إذ الحكمة هي ضلة المؤمن . ولعل أن يقف على هذا راغب في الآخرة ، طالب ما عند الله عز وجل فينتفع به أعظم مما ينتفع به من تراجم الظالم والملوك والأمرأه ، وإن كانت تلك أيضاً نافعة لمتير ومزدرج ، فان ذكر أئمة العدل والجرور بعد موتهم فيها فضل أولئك ، وغم هؤلاء ، ليعلم الظالم أنه وإن مات لم يمت ما كان متاسباه من الفساد والظلم ، بل هو مدون في الكتب عند العلماء . وكذلك أهل العدل والصلاح والخير ، فان الله قد تص في القرآن أخبار الملوك والفراعنة والكفار والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم وما كانوا يعلون ، وقص أيضاً أخبار الأتقياء والحسين والإبرار والأخيار والمؤمنين ، للاقتداء والتأسي بهم والله سبحانه أعلم . فنقول وبالله التوفيق :  
**أما الحسن :**

فهو أبو سعيد البصرى الامام الفقيه المشهور ، أحد التابعين الكبار الأجلاء علماء وعملوا وإخلاصاً فروى ابن أبي الدنيا عنه قال : كان الرجل يتعبد عشرين سنة لا يشعر به جاره ، وأحدهم يصلى ليلة أو بهض ليلة فيصبح وقد استنطال على جاره ، وإن كان القوم ليجتمعون فيبتدأ كرون فتجئ الرجل عبرته فيردها ما استطاع ، فان غاب قام عنهم . وقال الحسن : تنفس رجل عند عمر بن عبد العزيز فلكره عمر - أو قال : لكره - وقال : إن في هذا لفتنة . وقد ذكره ابن أبي الدنيا عن الحسن عن عمر بن الخطاب . وروى الطبراني عنه أنه قال : إن قوما ألهمهم أماني المغفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة ، يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وأرجو رحمة الله ، وكذب ، لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولورجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يشك من دخل المغازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : حدثوا هذه القلوب فانها سريرة الدنور ، واقدعوا هذه لأنفس فانها تنزع إلى شرغاية .

وقال مالك بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب ، فاذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة ، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه . وروى الفتنى عن أبيه قال : عاد الحسن عليلاً فوجده قد شق من علمته ، فقال : أيها الرجل إن الله قد ذكرك



فاذكره ، وقد أقالك فاشكره ، ثم قال الحسن : إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم ، فأما أن يكون  
الليليل يمد المرض فرساجواداً ، وإما أن يكون حمزاً عثورا معقوراً . وروى العنبي عن أبيه أيضا  
قال : كتب الحسن إلى فرقد :

أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علمك الله ، والاستعداد لما وعد الله ، بما لا حيلة  
لأحد في دفعه ، ولا ينفع الندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناع العافيين ، وانتبه من وقعة  
الجاهلين ، وشمر الساق ، فان الدنيا ميدان مسابقة ، والغاية الجنة أو النار ، فان لي ولك من الله مقادراً  
يسألني وإياك فيه عن الحقيير والدقيق ، والجليل والخفي ، ولا آئن أن يكون فيما يسألني وإياك عنه  
وساوس الصدور ، ولحظ العيون ، وإصغاء الأسماع . وما أحجز عنه .

وروى ابن قتيبة عنه أنه مر على باب ابن هبيرة فرأى القراء - وكانوا هم الغنم - جلوساً على  
باب ابن هبيرة فقال : طفحت نعالكم ، وبيضتم ثيابكم . ثم أتيتهم تسعون ، ثم قال لأصحابه :  
ما ظنكم بهؤلاء الخناء ؟ ليست مجالسهم من مجالس الأتقياء ، وإنما مجالسهم مجالس الشرط .  
وزوى الخرافطى عن الحسن أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في منته كسر جبره لصاحبه . وروى الحسن  
بقوم يقولون : نقص دائق أى عن الدرهم الكامل والديسار الكامل - إما أن يكون درهماً ينقص  
نصفاً أو ربعاً ، والعشمة تسعة ونصف ، وقس على هذا ، فكان الحسن يستحب جبران هذاه  
الأشياء ، وإن كان اشترى السلعة بدرهم ينقص دائقاً كله درهماً ، أو بقسمة ونصف كلها عشرة  
مروءة وكرماً . وقال عبد الأعلى السمسار ، قال الحسن : يا عبد الأعلى ! أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه  
فينتقص درهمين أو ثلاثة ؟ قلت لا والله ولا ذائق واحد ، فقال الحسن : إن هذه الأخلاق فما بقي من  
المروءة إذآ ؟ قال : وكان الحسن يقول : لا دين إلا بروءة . وباع بئمة له فقال له المشتري رأما  
تخط لي شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال لك خمسون درهماً ، أزيدك ؟ قال : لا ، رضيت ، قال : بارك الله لك .  
وروى ابن أبي الدنيا عن حمزة الأعمى قال : ذهبت بي أمي إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد :  
ابني هذا قد أحببت أن يلزمك فلعل الله أن ينفعه بك ، قال : فكنت أختلف إليه ، فقال لي يوماً :  
يا بني آدم الحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه ، وإياك في ساعات الليل والنهار في الخلوة  
لعل مولاك أن يطلم عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين ، قال : وكنت أدخل على الحسن  
منزله وهو يبكي ، وربما جئت إليه وهو يصلى فأسمع بكاءه ونحيبه ، فقلت له يوماً : إنك تكثر البكاء ،  
فقال يا بني ! ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبك ؟ يا بني ! إن البكاء داع إلى الرحمة ، فان استطعت أن  
تكون عمرك باكياً فافعل لعله تعالى أن يرحمك ، فإذا أنت نجوت من النار ، وقال : ما هو إلا حول الدار  
إما الجنة وإما النار ، ما هناك منزل ثالث . وقال : بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر من دموعه

قطرة حتى تمتق رقبتة من النار . وقال : لو أن باكي بكى في ملا من خشية الله لرحموا جميعا ، وليس شيء من الأعمال إلا له وزن إلا البكاء من خشية الله فإنه لا يقوم الله بالدعة منه شيئا . وقال : ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في كتاب اليقين قال : من علامات المسلم قوة دين ، وحزم في لبن ، وإيمان في يقين ، وحكم في علم ، وحبس في رفق ، وإعطاء في حق ، وقصد في غنى ، وتحمل في فاقة ، وإحسان في قدرة ، وطاعة معها نصيحة ، وتورع في رغبة ، وتمنع وصبر في شدة ، لا ترديه رغبته ، ولا يبسدره لسانه ، ولا يسبقه بصره ، ولا يغلبه فرجه ، ولا يعيل به هواه ، ولا يفضحه لسانه ، ولا يستغفه حرصه ، ولا تقتصر به نيته . كذا ذكر هذه الألفاظ عنه <sup>(١)</sup> . قال : حدثنا عبد الرحمن ابن صالح عن الحكم بن ظهير عن يحيى بن المختار عن الحسن فذكره ، وقال فيه أيضا عنه : يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يدي الله عز وجل .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن إبراهيم اليشكري حدثنا موسى بن إسماعيل الجيلي حدثنا حفص بن سليمان أبو مقاتل عن عون بن أبي شذاه عن الحسن قال قال لثمان لابنه : يا بني العمل لا يستطاع إلا باليقين ، ومن يضعف يقينه يضعف عمله . وقال : يا بني إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والرب فاغلبه باليقين والنصيحة ، وإذا جاءك من قبل الكسل والسآمة فاغلبه بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرغبة فاخبره أن الدنيا مفارقة مبروكة . وقال الحسن : ما يقين عبد بالجنة والنار حتى يقينهما إلا خشع وذبل واستقام واقتصد حتى يأتيه الموت . وقال : باليقين طلعت الجنة ، وباليقين هربت من النار ، وباليقين أدبت الفرائض على أكل وجهها ، وباليقين أصبر على الحق وفي معاقبة الله خير بكثير ، قد والله رأيتهم يتعاضدون في العافية ، فإذا نزل البلاء تفارقوا . وقال : الناس في العافية سواء ، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال . وفي رواية : فإذا نزل البلاء تبين من يعبد الله وغيره ، وفي رواية فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه .

وقال الفرابي في فضائل القرآن : حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إن هذا القرآن قد قرأه عبید وصبيان لا علم لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ، قال الله عز وجل : [ كتاب أنزلناه مبارك ليذكروا آياته وليتذكر أولو الألباب ] وماتدبر آياته إلا أتباعه ، أما والله ما هو بحفظ حرفه وإضاعة حدوده ، حتى أن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فسا أسقط منه حرفا واحدا ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل ، حتى أن أحدهم ليقول : والله إني لأقرأ السورة في نفس ، لا والله ما هؤلاء بالقراء ولا بالعلماء ولا الحكماء

(١) كذا بالأصل ولم يعين اسم التذاكر

ولا الورعة ، ومتى كانت القرامته هكذا أو يقول مثل هذا ، لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء . ثم روى الحسن عن جنس قال : قال لنا حذيفة : هل تخافون من شيء ؟ قال : قلت والله إنك وأصحابك لأهون الناس عندنا ، فقال : أما والذي نفسي بيده لا تؤتون إلا من قبلنا ، ومع ذلك نشأ آخر يقرؤن القرآن يكونون في آخر هذه الأمة ينثرونه نثر الدقل ، لا يجاوز تراقيمهم ، تسبق قراتهم إيمانهم .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في ذم الغيبة له قال : والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده . وكان يقول . ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تصيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبسداً بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك ، فاذا فعلت ذلك كان ذلك شمالك في طاعة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال الحسن : ليس بينك وبين الفاسق حرمة . وقال : ليس لمبتدع غيبة . وقال أصلت بن طريف : قلت للحسن : الرجل الفاجر المعلم بفجوره ، ذكرى له بما فيه غيبة ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال : إذا ظهر فجوره فلا غيبة له . وقال : ثلاثة لا يحرم عليك غيبتهم : الجاهر بالفسق ، والامام الجائر ، والمبتدع . وقال له رجل : إن قوماً يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقعة فيك سبيلاً ، فقال : هون عليك يا هذا فاني أطعمت نفسي في الجنان فطعمت ، وأطعمتها في النجاة من النار فطعمت ، وأطعمتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلاً ، فان الناس لم يرضوا عن خالقهم ورائقهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم ؟ وقال : كانوا يقولون : من رمى أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يصيب ذلك الذنب . وقال الحسن : قال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شهي كاحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه . وقال الحسن : اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإن الله عز وجل لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه ، فإن سمعت قولاً حسناً فريداً بصاحبه ، فإن وافق قول عملاً فتمتع ونعمت عين أخته وأخيه ، وإذا خالف قول عملاً فاذا يشبه عليك منه ، أم ماذا يخفى عليك ههنا ؟ إياك وإياه لا يخدعك كما خدع ابن آدم ، إن لك قولاً وعملاً ، فمالك أحق بك من قولك ، وإن لك سريرة وعلانية ، فسريرتك أحق بك من علانتك ، وإن لك محاجة وعاقبة ، فمقابلتك أحق بك من عاجلتك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس أنبأ عبدان بن عثمان أنبأ معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إذا شئت لقيت الرجل أبيض حديد اللسان حديد النظر ميت القلب والعمل ، أنت أبصر به من نفسه ، ترى أهدانا ولا تاربا ، وتسمع الصوت ولا أنيس ، أخصب السنة وأجاب قلوبا ، يأكل أحدهم من غير ماله ويبكي على عمله ، فاذا كهضته البطنة قال : يا جارية أو يا غلام ايتني بهاضم ، وهل هضمت يا مسكين إلا دينك ؟ . وقال : من رقى ثوبه رقى دينه ، ومن سمن جسده هزل دينه ، ومن طاب طعامه أتت كسبه . وقال فيها رواه عنه الأجرى : رأس مال المؤمن

دين حيث ما زال زال معه ، لا يخلفه في الرحان ، ولا يأتين عليه الرجال . اوقال في قوله تعالى :  
 [ فلا أقسم بالنعس اللوامة ] قال : لا تلتق المؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلمة كذا ، ما أردت  
 بأكلة كذا ، ما أردت بمجلس كذا ، وأما الفاجر فيمضي قدما قدما لا يلوم نفسه . وقال : تصبروا  
 وتشددوا فانما هي ليال تمسد ، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ،  
 فانقلبوا بصالح ما يحضرتمكم ، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ، وإنما يصبر  
 على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته . وقال : لا يزال العبد ينجير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت  
 الحاسبة من همته .

وقال ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس : حدثنا عبد الله حدثنا إسماعيل بن زكريا حدثنا عبد الله  
 ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن الخنثار عن الحسن قال : المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله  
 عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم  
 القيامة على أقوام أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفتأ الشيء ويمجبه فيقول : والله  
 إنك لمن حاجتي وإني لأشتهيك ، ولسكن والله ما من صلة إليك ، هيهات حيل بيني وبينك ، ويفرط  
 منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا أبدا إن شاء الله : إن المؤمنين قوم قد أوتقهم  
 القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكك رقبتك ، لا يأمن شيئا  
 حتى يأتى الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه ، وفي جوارحه كلها . وقال : الرضا  
 صعب شديد ، وإنما ممول المؤمن الصبر . وقال : ابن آدم عن نفسك فكائس ، فإك إن دخلت  
 النار لم تجبر بعدها أبدا . وقال ابن أبي الدنيا : أنبا إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت حماد بن زيد يذكر  
 عن الحسن قال : المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في غيرها ولا يجزع من ذلها ، للناس حال وله  
 حال ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في شغل . وقال : لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يملك المرء  
 نفسه . وقال : أدركت صدر هذه الأمة وخيارها وطال عمرى فيهم ، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله  
 لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم ، أدركتهم طاملين بكتاب ربهم ، متبعين سنة نبيهم ، ما طوى  
 أحدهم نوبا ، ولا جهل بينه وبين الأرض شيئا ، ولا أمر أهله بصنع طعام ، كان أحدهم يدخل منزله فان  
 قُرب إليه شيء أكل وإلا سكنت فلا يتكلم في ذلك . وقال إن المناق إذا صلى صلى رياه أو حياء من  
 الناس أو خوفا ، وإذا صلى صلى فقرأهم الدنيا ، وإن فاتته الصلاة لم يندم عليها ولم يجزئه فواتها .  
 وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب النكت : من جعل الحمد لله على النعم حصنا وحابساً  
 وجعل أداء الزكاة على المال سياجا وحارسا ، وجعل العلم له دليلا وسائسا ، أمن العطب ، وبلغ أعلى  
 الرتب . ومن كان للمال قانصا ، وله عن الحقوق حابساً ، وشغله وأهله عن طاعة الله كان لنفسه ظلما

ولقلبه بما جنت يدهام كالماء ، وسلطه الله على ماله سالبا وخالسا ، ولم يأمل العطب في سائر وجوه الطلب  
وقيل : إن هذا لغيره ، والله أعلم .

وقال الحسن : أربع من كنّ فيه ألقى الله عليه محبته . ونشر عليه رحمته : من رق لوالديه ، ورق  
لملوكه ، وكفل اليتيم ، وأعان الضميف . وسئل الحسن عن النفاق فقال : هو اختلاف السر والملازمة  
والمدخل والمخرج ، وقال : ما خافه إلا مؤمن ، ولا أمنه إلا منافق - يعنى النفاق - وحلف الحسن :  
ما مضى مؤمن ولا بقى إلا وهو يخاف النفاق ، وفي رواية : إلا وهو من النفاق مشفق ، ولا مضى  
منافق ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف حبك الدينار  
والدرهم ؟ قال : لا أحبهما ، فكنتب إليه : تولى فانك تعدل . وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيت  
أطول حزنا من الحسن ، وما رأيت قط إلا حسبته حديث عهد بصيبه ، وقال مسع : لو رأيت الحسن  
لقلت : قد بث عليه حزن الخلائق . وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أحزن من الحسن وعمر بن  
عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما . وقال ابن أبيسباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يفصحك ،  
وأربعين سنة لم يمزح . وقال : ما سمع الخلائق بعورة بادية ، وعين باكية مثل يوم القيامة . وقال :  
ابن آدم ! إنك ناظر غدآ إلى عمالك يوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه ، فانك  
إذا رأيت غدآ في ميزانك سرّك<sup>(١)</sup> مكانه . وقال : ذهبت الدنيا ونقيت أعمالكم قلائد في أعناقكم  
وقال : ابن آدم ! بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع أخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا ، وهذا  
مأثور عن لقمان أنه قاله لولده .

وقال الحسن : تجد الرجل قد لبس الأحمر والأبيض فقال : هلوا فانظروا إلى ، قال الحسن :  
قد رأيتك يا أفسق الفاسقين فلا أهلبك ولا سهلا ، فأما أهل الدنيا فقد اكتسبوا بنظرهم إليك  
مزيد حرص على دنياهم ، وجرأة على شهوات الغنى في بطونهم وظهورهم . وأما أهل الآخرة فقد  
كروهك ومقتوك . وقال : إنهم وإن هملجت بهم البراذين ، وزفرت بهم البغال ، ووطئت أعقابهم  
الرجال ، إن ذل المعاصى لا يفارق رقابهم ، يأبى الله إلا أن ينل من عصاه .

وقال فرقد : دخلنا على الحسن فقلنا : يا أبا سعيد : ألا يهيبك من محمد بن الاهتم ؟ فقال : ماله ؟  
فقلنا : دخلنا عليه آتفا وهو يجود بنفسه فقال : انظروا إلى ذلك الصندوق - وأوما إلى صندوق في  
جانب بيته - فقال : هذا الصندوق فيه ثمانون ألف دينار - أو قال : درهم - لم أؤذ منها زكاة ، ولم  
أصل منها رحما ، ولم يأكل منها [ محتاج ] . فقلنا : يا أبا عبد الله ، فلمن كنت تجمعها ؟ قال : لروعة  
الزمان ، ومكاثرة الأقران ، وجفوة السلطان . فقال : انظروا من أين أتاه شيطاننا فخرفه روعة زمانه ،

(١) كذا بالأصل وفيه نقص يظهر بالتأمل .

ومكاثرة أقرانه ، وجفوة سلطانه ؟ ثم قال : أيها الوارث : لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس ، جاهدك هذا المبال لم تتعب لك فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، جاءك ممن كان له جموعا منوعا ، من باطل جمعه ، من حق منعه ، ثم قال الحسن : إن يوم القيامة لذو حسرات ، الرجل يجمع المال ثم يموت ويدعه لغيره فيرزقه الله فيه الصلاح والانفاق في وجوه البر ، فيجد ماله في ميزان غيره . وكان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار يقول :

وما الدنيا بيباقيةٍ لحي \* ولا حتى على الدنيا يباقي

وبهذا البيت في آخر النهار :

يسر النبي ما كان قدّم من تقى \* إذا عرفَ للداء الذي هو قاتله

ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب وأتى به إليه فدعا له وحسكه . ومات بالبصرة في سنة عشر ومائة والله سميععانه وتمالي أعلم .

#### محمد بن سيرين

أبو بكر بن أبي عمر والأنصاري ، مولى أنس بن مالك النضري ، كان أبوه من سبي عين التمر أسره في جملة السبي خالد بن الوليد فاشتراه أنس ثم كاتبه . وقد ولد له من الاخيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ، ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلة ، رحمهم الله تعالى .

قال البخاري : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو اصدق من أدركت من البشر . وقد تقدم هذا كله فيما ذكره المؤلف .

كان ابن سيرين إذا ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم . وقال خلف بن هشام : كان محمد بن سيرين قد أعطى هديا وممتنا وخشوعا ، وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله . ولما مات أنس بن مالك أوصى أن يفلسه محمد بن سيرين - وكان محمد محبوسا - فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوس فقالوا : قد استأذنا الأمير في إخراجك ، قال : إن الأمير لم يحبسني ، إنما حبسني من له الحق ، فأذن له صاحب الحق ففسله . وقال يونس : ما عرض لمحمد بن سيرين أمران إلا أخذ بأوتقهما في دينه ، وقال : إنني لأعلم الذند . الذي حملت بسببه ، إنني قلت يوما لرجل : يا فلان ، فذكر هذا لأبي سليمان الداراني فقال : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين أتوا . ومثلنا قد كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نؤتى ، ولا بأى ذنب نؤخذ . وكان إذا دعى إلى ولية يدخل منزله فيقول : ايتوني بشربة سويق فيشرها ويقول : إنني أكره أن أحمل جوعى إلى ، وائدم وطمامهم : وكان يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله ويسبحه ويذكره ويقول : إنها ساعة غفلة الناس ، وقال : إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا

من قلبه يأمره وينهاه . وقال : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتمكتم خير .  
 مروال : العزلة عبادة ، وكان إذا ذكر الموت مات منه كل عضو على حدته . وفي رواية كان يشخير  
 ونه وينكر حاله ، حتى كأنه ليس بالذي كان ، وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : أتق الله في  
 البيظة ولا يفرق ما رأيت في المنام . وقال له رجل : رأيت كأنى أصب الزيت في الزيتون ، فقال : ففش  
 على امرأتك فانها أمك ، ففش فاذا هي أمه . وذلك أن الرجل أخذ من بلاد صغيراً سبباً مكث  
 في بلاد الاسلام إلى أن كبر ، ثم سببت أمه فاشتراها جاهلاً بأنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها  
 لابن سيرين فأمره أن يفتش على ذلك ، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره . وقال له آخر : رأيت كأنى  
 دست - أو قال وطئت - تمره فخرجت منها فأرة . فقال له : تزوج امرأة - أو قال - تطأ امرأة - صالحة  
 تلد بنتاً فاسقة ، فكان كما قال . وقال له آخر : رأيت كأن على سطح بيتي حبات شمشير نجاء . فبك  
 فلقطها ، فقال له : إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأتني . فوضوا بساطاً على سطحهم فسرق ، نجاء  
 إليه فأخبره ، فقال : اذهب إلى مؤذن محلتك فخذ منه ، نجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه . وقال  
 له رجل : رأيت الحمام تلتقط الياسمين . فقال : مات علماء البصرة . وأناه رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً  
 واقفاً على مزبلة وبيده طنبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا  
 إلا للحسن البصرى ، فقال : الحسن هو والله الذي رأيت . فقال : نعم ، لأن المزبلة الدنيا وقد جعلها  
 تحت رجليه ، وعريه تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس .  
 وقال له آخر : رأيت كأنى أستاذك والدم يسيل . فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل  
 لحومهم وتخرج في بابهم وتأنيباً<sup>(١)</sup> .

وقال له آخر : رأيت كأنى أرى اللؤلؤ في الحذاء ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند  
 غير أهله ومن لا ينتفع به . وجاءته امرأة فقالت : رأيت كأن سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ  
 منه قطعة ، فقال لها ابن سيرين : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهماً ، فقالت : صدقت  
 من أين أخذته ؟ فقال : من هجاه حروفه وهي حساب الجمل ، فالسنة ستون ، والنون خمسون ، والواو ستة  
 والراء مائتان ، وذلك ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود فقال : هو عبد في جوارمك ، فالزهوا  
 عبداً أسود كان في جوارمك وضرب فأقر بالمال المذكور . وقال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأنا  
 أنظر إليها . فقال له أبو ذؤنر أنت ؟ قال : نعم ، قال له : أتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران . وقال له  
 آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جزتها ونسحتها كساء وبعته في السوق . فقال له : أتق الله  
 فانك شاهد زور . وقال له آخر : رأيت كأنى أكل أصابعي ، فقال له تأكل من عمل يدك . وقال لرجل

(١) كذا الأصل ، وفيه تحريف .

انظر هل ترى في المسجد أحدا؟ فذهب فنظر ثم رجع إليه فقال: ليس في المسجد أحد، فقال: ليس أمرتك أن تنظر هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأمراء<sup>(١)</sup>؟ وقال عن رجل ذكر له ذلك الأسود، ثم قال: أستغفر الله! ما أراي إلا قد اغتبت الرجل - وكان الرجل أسود - وقال: اشترك سبعة في قتل امرأة قتلهم عمر، فقال لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتلها لأبدت خضراءهم.

### وهيب بن منبه الياني

تابي جليل، وله معرفة بكتب الأوائل، وهو يشبهه كعب الأخبار، وله صلاح وعبادة، وروى عنه أقوال حسنة وحكم ونواظر، وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكميل والله الحمد. قال الواقدي: توفي بصنعاء سنة عشر ومائة، وقال غيره: بعد ما بسنة، وقيل بأكثر، والله أعلم. وبزعم بعض الناس أن قبره غربى بصري بقرية يقال لها عصم، ولم أجد لذلك أصلاً، والله أعلم. انتهى ما ذكره المؤلف.

### قصص النبوة

أدرك وهب بن منبه عدة من الصحابة، وأسند عن ابن عباس وجابر والنعمان بن بشير. وروى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة، وعن طاوس. وعنه من التابعين عدة. وقال وهب: مثل من تعلم علماً لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به. وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش قال: كنت جالساً مع وهب بن منبه فأتاه رجل فقال له: إني مررت بفيلان وهو يشتمك، فغضب وقال: ما وجد الشيطان رسولا غيرك؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد عليه السلام، ومد يده إليه وصاحه وأجلسه إلى جنبه. وقال ابن طاوس: سمعت وهبا يقول: ابن آدم احتل لدينك فان رزقك سيأتيك. وقال وهب: كسى أهل النار والعري كان خيراً لهم، وطعموا والجوع كان خيراً لهم، وأعطوا الحياة والموت كان خيراً لهم. وقال: قال داود عليه السلام: اللهم أيما فقير سأل غنيا فتصام عنه، فأسألك إذا دعاك فلا تجبه، وإذا سألك فلا تمطه. وقال: قرأت في بعض كتب الله: ابن آدم، لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم، ولم تعمل بما قد علمت، فان مثلك كمثل رجل احتطب حطباً فخرم حزمة فذهب يحملها فمجز عنها فضم إليها أخرى. وقال: إن الله ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا منها عالم واحد، وما العارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء.

وروى الطبراني عنه أنه قال: إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في نصحك وعملك لله، فان العمل لا يقبل من ليس بناصح، والنصح لله لا يكمل إلا بطاعة الله، كمثل الثمرة الطيبة ريحها وطعمها، كذلك مثل طاعة الله، والنصح ريحها، والعمل طعمها، ثم زين طاعتك بالحلم

(١) كذا الاصل، وفيه تحريف.



والمقل ، والفقه والعمل ، ثم أكبر نفسك عن أخلاق السفهاء وعبئد الدنيا ، وعبئدها على أخلاق الأنبياء والعلماء العاملين ، وعودها فعل الحكماء ، وامنها عمل الأشقياء ، وأزمها سيرة الأتقياء ، واعزبها عن سبيل الخبيثاء ، وما كان لك من فضل فأعن به من دونك ، وما كان فيمن دونك من نقص فأعنه عليه حتى يبلغه ، فان الحكيم من جمع فواضله وعاد بها على من دونه ، وينظر في نقائص من دونه فيقومها ويرجئها حتى يبلغه ، إن كان فقيها حمل من لاققه له إذا رأى أنه يريد صحابته ومعونته وإذا كان له مال أعطى منه من لا مال له ، وإذا كان مصلحا استغفر للمذنب ورجا توبته ، وإذا كان محسنا أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره ، ولا يمتد بالقول حتى يحسن منه الفعل ، فإذا أحسن الفعل نظر إلى فضل الله وإحسانه إليه ، ولا يتمنى الفعل حتى يفعله ، فإذا بلغ من طاعة الله مبلغا حمد الله على ما بلغ منها ثم طلب ما لم يبلغ منها ، وإذا ذكر خطيئة سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو قادر على أن يغفرها ، وإذا علم من الحكمة شيئا لم يشبهه بل يطلب ما لم يبلغ منها ، ثم لا يستعين بشيء من الكذب ، فان الكذب كالأكل في الجسد تكاد تأكله ، أو كالأكل في الخشب ، يرى ظهرا حسنا وجوفها فخر تفر من يراها حتى تنكسر على ما فيها وتملك من اغتر بها . وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يفتر به ، يظن أنه معينه على حاجته ورائد له في رغبته ، حتى يعرف ذلك منه ، ويتبين لذرى العقول غروره ، فتستلبط العقلاء ما كان يستخفي به عنه ، فإذا اطلوا على ذلك من أمره وتبين لهم ، كذبوا خبره ، وأبأوا شهادته ، وأتهموا صدقه ، وحرقوا شأنه ، وأبغضوا مجلسه ، واستخفوا منه بسرازمهم ، وكتفوه حديثهم ، وصرقوا عنه أماناتهم ، وغيبوا عنه أمرهم ، وحذروه على دينهم ومعيشتهم ، ولم يحضروه شيئا من محاضرتهم ، ولم يأمنوه على شيء من سرهم ، ولم يحكوه فيما شجر بينهم .

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال لقمان لابنه : إن مثل أهل الذكر والغفلة كمثل النور والظلمة . وقال : قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات : من قرأ كتاب الله فظن أنه لا ينفر له فهو من المستهزئين بآيات الله ، ومن شكك مصيبة نزلت به فأنما يشكوك به عز وجل ، ومن أسف على ما فاتته من الدنيا سخط قضاء ربه عز وجل ، ومن تضيع لغنى ذهب ثلث دينه . وقال وهب : قرأت في التوراة : أجا دار بنيت بقوة الضمائم جعلت عاقبتها إلى الخراب ، وأيام مال جمع من غير حله أسرع الفقر إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا ممر عن محمد بن عمر وقال : سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب : يقول الله تعالى : إذا أطاعني عبدي استجبت له من قبل أن يدعوني ، وأعطيته من قبل أن يسألني ، وإن عبدي إذا أطاعني لو أن أهل السموات وأهل الأرض أجلبوا

عليه جعلت له المخرج من ذلك ، وإن عبدى إذا عساني قطعت يديه من أبواب السماء ، وجعلته في الهواء فلا يتمتع من شيء أراه من خلقي . وقال ابن المبارك أيضا : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى فيما يعيب به أحبار بني إسرائيل : تفقهون لغير الدين ، وتعلمون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلود الضأن ، وتحملون نفس الذباب ، وتتخذون الغذاء من شرايبكم ، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام ، وتتقلون الدين على الناس أمثال الجبال ، ثم لا تعينونهم برفع الخناصر ، تظيلون الصلاة وتبيضون الثياب ، تفتنسون بذلك مال اليتيم والأرملة ، فبمزقني حافظ لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن محمد الصنعاني حدثنا همام بن مسعدة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله ليس يحمد أحداً على طاعة ، ولا ينال أحد من الله خيراً إلا برحمته ، وليس يرجو الله خير الناس ولا يخاف شرم ، ولا يعطف الله على الناس إلا برحمته إياهم ، إن مكروا به أباد مكروهم ، وإن خادعوه رد عليهم خداعهم ، وإن كاذبوه كذب بهم ، وإن أدبروا قطع دابرهم ، وإن أقبلوا قبل منهم ولا يقبل منهم شيئاً من حيلة ، ولا مكر ولا خداع ولا سخط ولا مشادة ، وإنما يأتي بالخير من الله تعالى رحمته ، ومن لم يبتغ الخير من قبل رحمة لا يجد باباً غير ذلك يدخل منه ، فإن الله تعالى لا ينال الخير منه إلا بطاعته ، ولا يعطف الله على الناس شيئاً إلا تعبد لهم ، وتضرعهم إليه حتى رحمهم ، فاذا رحمهم استخرجت رحمة منه حاجتهم ، وليس ينال الخير من الله من وجه غير ذلك ، وليس إلى رحمة الله سبيل توتي من قبله إلا تعبد العباد له وتضرعهم إليه ، فإن رحمة الله عز وجل باب كل خير يبتغى من قبله ، وإن مفتاح ذلك الباب التضرع إلى الله عز وجل والتعبد له ، فمن ترك المفتاح لم يفتح له ، ومن جاء بالمفتاح فتح له به ، وكيف يفتح الباب بغير مفتاح ، والله خزائن الخير كله ، وباب خزائن الله رحمة الله التذلل والتضرع والافتقار إلى الله ، فمن حفظ ذلك المفتاح فتحت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وفيها ما تكبؤون وما تدعون في مقام أمين ، لا يحولون عنه ولا يخافون ولا ينصبون ولا يهرمون ولا يفترقون ولا يموتون ، في نعم مقيم ، وأجر عظيم ، وثواب كريم ، نزل من غفور رحيم .

وقال سفیان بن عیینة : قال وهب : أعون الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا ، وأسرعها ردأ اتباع الهوى وحب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف تنهك المحارم ، ومن انتهك المحارم بغضب الرب ، وغضب الله ليس له دواء . وقال : يقول الله تعالى في بعض كتبه ينتب به بنو إسرائيل : إني إذا أطعت رضيت ، وإذا رضيت باركت ، وليس بركتي نهاية ، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ، وإن العنة متى تبلغ السابع من الولد . وقال : كان في بني إسرائيل رجل

عصى الله عز وجل مائتي سنة ، ثم مات فأخذوا برجله فألقوه على مذبذبة ، فأوحى الله إلى موسى : أن صل عليه ، فقال : يارب إن بني إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك مائتي سنة ، قال الله له : نعم هكذا كان ، إلا أنه كان كلما نشر التوراة ورأى أسم مجدس ، قبله ووضع على عينيه وصلى عليه ، فشكرت ذلك له فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء . كذا روى وفيه علل ، ولا يصح مثله ، وفي إسناده غرابة وفي متنه نكارة شديدة . وروى ابن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال موسى : يارب احبس عني كلام الناس ، فقال الله له : يا موسى ما فعلت هنا بنفسى : وقال لما دعى يوسف إلى الملك وقف بالباب وقال : حسبي ديني من دنياي ، حسبي ربي من خلقه ، عز جارك وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ثم دخل على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزل عن سريره وخر له ساجداً ثم أقامه الملك معه على السرير ، وقال : [ إنك اليوم لدينا مكين أمين ] فقال : [ اجعلني على خزان الأرض إني حفيظ عليم ] حفيظ بهذه السنين وما استودعتني فيها ، عليم بلغة من يأتي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا منذر بن النعمان الأفطس أنه سمع وهباً يقول : لما أمر الله الخوت أن لا يضره ولا يكلمه - يعنى يونس - قال : [ فلو لا أنه كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يمشون ] قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكره الله بمبادته المتقدمة ، فلما خرج من البحر نام فأثبت الله شجرة من يقطين - وهو الدباء - فلما رآها قد أظلمت ورأى خضرتها فأعجبته ، ثم نام فاستيقظ فاذا هي قد يبست ، فجعل يتحزن عليها ، فقيل له : أنت لم تخلق ولم تسبق ولم تقب وتجزن عليها ، وأنا الذى خلقت مائة ألف من النار أو يزيدون ثم رجعتهم فشق ذلك عليك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد النسائي حدثنا رباح حدثني عبد الملك بن عبد المجيد ابن خشك عن وهب قال : لما أمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال : يارب كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ وكيف أصنع بالحمام والهر ؟ قال : من ألقى بينهم العداوة ؟ قال : أنت يارب ، قال : فإني أولف بينهم حتى لا يتضررون .

وقال وهب لمطاه الخراساني : ويحك يا عطاء ، ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، وأبواب الأمراء ؟ ويحك يا عطاء ، أتأني من يعلق عنك بابه ، ويظهر لك فقره ، ويوارى عنك غناه ، وتترك باب من يقول : [ ادعوني أستجب لكم ] ؟ ويحك يا عطاء ، إن كان بكفنيك ما يكفنيك فأوحى ما في الدنيا يكفنيك ، وإن كان لا يفنيك ما يكفنيك فليس في الدنيا شيء بكفنيك ، ويحك يا عطاء ، إنما بطنك ببحر من البحور ، وواد من الأودية ، لا يملؤه شيء إلا التراب . وسئل وهب عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول قنونا وصمتا ، والآخر أطول سجودا ، فأبهما أفضل ؟ فقال : أنصحهما لله عز وجل . وقال : من خصال المنائق أن يحب الحمد ويكره القم ، أى

يجب أن يحمده على ما لم يفعل ، ويكره أن ينم بما فيه . قال : وقال لقمان لابنه : يا بني اعقل عن الله فان أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليعر من العاقل ما يستطيع أن يكايد به . وقال لرجل من جلسائه : ألا أعلمك طباً لا يتمايأ فيه الأطباء ، وقفها لا يتمايأ فيه الفقهاء ، وحلماً لا يتمايأ فيه العلماء ، قال : بلى يا أبا عبد الله ، قلل : أما الطب فلا تأكل طعاماً إلا سميت الله على أوله وحدثه على آخره ، وأما الفقه فان سئلت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بما تعلم وإلا فقل : لأدرى ، وأما الحلم فأكثر الصمت إلا أن تسأل عن شيء . وقال : إذا كان في الصبي خلقان ، الحياء والرغبة ، طمع في رشد .

وقال : لما بلغ ذو القرنين مطامع الشهبان قال له ملك هناك : صف لي الناس ، فقال محادثتك من لا يعقل كمن يفنى الموتى ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يبيل الصخر الأصم كي يلين ، وكمن يطبخ الحديد يلمس أدمه ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يضع المائدة لأهل القبور ، ونقل الحجارة من رؤس الجبال أيسر من محادثة من لا يعقل . وقال : قرأت في بعض الكتب أن منادياً ينادى من السماء الراهمة كل صباح : أبناء الأربمين زرع قد دنا حصاده ، أبناء الجنسين ما ذا قدمتم ؟ أبناء الستين لأعذر لكم ، ليت الخلق لم يخلقوا ، ولبيتهم إذ خلقوا علما ماذا خلقوا ، قد أتتكم الساعة فخذوا حذرکم . وقال : قال دانيال : يا هني على زمن يلتبس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد ، إلا كالسبلة في أثر الحاصد ، أو كالصلة في أثر القاطف ، يوشك نوائح أولئك وبواكيرهم أن تبكيهم .

وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن معقل . قال : سمعت وهبا يقول في قوله تعالى : [ ولضع الموازين القسط ليوم القيامة ] قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير عمله ، وإذا أراد الله بعبد شراً ختم له بشر عمله . وقال وهب : إن الله تعالى لما فرغ من الخلق نظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض فقال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقتكم وأفنيكم بحكمي حتى قضائي وتافذ أمري ، أنا أعيديكم كما خلقتكم ، وأفنيكم حتى أبقى وحدي ، فان الملك والخلود لا يبحق إلا لي ، أذعو خلقي وأجمعهم بقضائي ، يوم أحشر أعدائي ، ونجزل القلوب من هيبتي ، وتبترأ الأكلة من عبديا دوني .

قال : وذكر وهب أن الله لما فرغ من خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله وذكر حصنته وجبروته وكبريائه ، وسلطانه وقدرته وملكوته ورتبته ، فأنصت كل شيء وأطرق له ، فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو العرش الجيد والأمان الملا ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو الطول والمان والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ، ملأت كل شيء عظمي ، وقهر كل شيء ملكي ، وأحاطت بكل شيء قدرتي ، وأحصى كل شيء علمي ، ووسعت كل شيء رحمتي ، وبلغ كل شيء لعاني ، فأنا الله يا معشر الخلق

فأعرفوا مكاني ، فليس شيء في السموات والأرضين إلا أنا ، وخلقى كلهم لا يقوم ولا يدوم إلا بي ، وينقلب في قبضتي ، ويهيش برزقي ، وحياته وروته وبقاؤه وفناؤه بيدي ، فليس له شئ ولا ملجأ غيري ، لو تخليت عنه طرفة عين لدمر كاه ، وكنت أنا على حال لا ينقص ذلك شيئاً ، ولا ينقص ذلك ملكي شيئاً ، وأنا مستغن بالمر كله في جبروتي وملكتي ، وبرهان نوري ، وسيدتي بطشي ، وعلو مكاني ، وعظمة شأني ، فلا شيء مثلي ، ولا إله غيري ، وليس يدبني لشيء خلفه أن يمدل بي ولا ينكرني ، وكيف ينكرني من خلقه يوم خلقته على معرفتي ؟ أم كيف ينكرني من فهو قهره ملكي ؟ أم كيف يمجزي من ناصبته بيدي ؟ أم كيف يمدل بي من أمره وأسبغ جسمه وأقص عقله وأتوفى نفسه وأخلقه وأهرمه فلا يمنع مني ؟ أم كيف يستسكف عن عبادتي عبدي وابن عبدي وابن أمي ، ومن لا ينسب إلي خالق ولا وارث غيري ؟ أم كيف يمدد دوني من خلقه الأيام ، ويضئ أجله اختلاف الليل والنهار ؟ وهما شعبة بسيرة من سلطاني ؟ قال : إن ما أهل الموت والفتاء ، لا إلى غيري ، فإني كنت الرحمة على نفسي وقضيت العز والمغفرة لمن استغفرني ، أغفر الذنوب جميعاً ، صغبرها وكبرها لمن استغفرني ، ولا يكبر ذلك علي ولا يذمططني ، فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تقتلوا من رحمتي ، فإن رحمتي سبقت غضبي ، وخزان الخير كلها بيدي ، ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت مني إليه ، واسكن لأبيي به قدرتي ، ولينظر الناظرين في ملكي ويتدبروا حكمتي ، وليسبحوا بحمدي ويدبدوني لا يشركوا بي شيئاً ، ولتدبر الوجوه كلها إلى .

وقال أشرس عن وهب قال قال داود : إلهي ابن أجدك ؟ قال عند المنكسرة فلو بهم من مخافتني وقال كان رجل من بني إسرائيل صام سبعين أسبوعاً يفطر في كل أسبوع يوماً وهو يسأل الله أن يريه كيف ينزى الشيطان الناس ، فلما أن طال ذلك عليه ولم يجب ، قال في نفسه : لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بيني وبين رب لي لكان خيراً من هذا الأمر الذي أطلب ، ثم أقبل على نفسه فقال : يا نفس من قبلك أتيت ، لو علم الله فيك خيراً لفضى حاجتك . فأرسل الله ملكاً إلى نبيهم : أن قل لفلان المأبد : إزرائك على نفسك وكلامك الذي تكلمت به ، أوجب إلى مما مضى من عبادتك ، وقد أحلب الله سواك ، وفتح بصرك فانظر الآن ، فنظر فاذا أحيولة لا بليلس قد أحاطت بالأرض ، وإذا ليس أحد من بني آدم الا وحده شياطين مثل الذهب ، فقال : إلهي رب ، من ينجو من هؤلاء ؟ قال صاحب القلب الوداع العين .

وقال وهب : كان رجل من الساميين فأتى من أرض فيها ثناء فدعته نفسه إلى أحد شئ منه ، فمات فيها فقام مكانه يصل ثلاثة أيام ، فمات به رجل وقد لو حنه الشمس والريح ، فلما نظر إليه قال :

سبحان الله !! لكأنما أحرق هذا الانسان بالنار ، فقال السامع : هكذا يبلغ منى ما ترى خوف النار ، فكيف بي لو قد دخلتها ؟!

وقال : كان رجل من الأولين أصاب ذنباً فقال : لله على أن لا يظلمني ستم بيت ابداً حتى تأتيني براءة من النار ، فكان بالصحراء في الحر والقر ، فر به رجل فرأى شدة حاله فقال : يا عبد الله ما بلغ بك ما أرى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكر جهنم ، فكيف بي إذا أنا وقعت فيها ؟! . وقال : لا يكون البطال من الحكام أبداً ، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء . وقال وهب في موعظته : اليوم يعطى السعيد ، ويستكثر من منافعه اللبيب ، يا ابن آدم إنما جمعت من منافع هذا اليوم لدفع ضرر الجهالة عنك ، وإنما أوقدت فيه مصابيح الهدى لتنبه لحرزك ، فلم أر كالذيوم ضل مع نوره متحير داع لمداواة سليم ، يا ابن آدم ! إنه لا أقوى من خالق ، ولا أضعف من مخلوق ، ولا أقدر عن طلبته في يده ، ولا أضعف ممن هو في يده طالبه ، يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك ، وأقام عندك ما سيذهب ، فما الجزع مما لا بد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرتجى ؟ وما الخيلة في بقاء ما سيذهب ؟ يا ابن آدم اقصر عن طلب ما لا تدرك ، وعن تناول ما لا تناله ، وعن ابتغاء ما لا يوجد . واقطع الرجاء عنك كما قدمت به عنك الأشياء ، واعلم أنه ربٌ مطلوب هو شر لطلابه ، يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلق منها ، يا ابن آدم أى أيام الدهر ترجى ؟ يوم يجيى في عم أو يوم تستأخر عاقبته عن أو ان يجيئه ؟ فانظر إلى الدهر نجده ثلاثة أيام ، يوم مضى لا ترجوه ، ويوم لا بد منه ، ويوم يجيى لا تأمنه ، فأمس شاهد عليك مقبول ، وأمين مؤد ، وحكيم مؤدب ، قد نجعت بنفسه ، وخلف فيك حكمته . واليوم صديق مودع ، كان طويل الغيبة عنك ، وهو سريع الظن إليك ولم يأت ، وقد مضى قبله شاهد عدل ، فان كان ما فيه لك فاشفعه بمثله أو ثقتك باجتماع شهادتهم ما عليك . يا ابن آدم إنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عقد رحالم إلا في غيرها ، وإنما يتبلغون بالعواري فما أحسنه - يعنى الشكر - للمنع والتسليم للمعاد ، يا ابن آدم إنما الشئ من مثله وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد ذهاب أصله ؟! إنما يقر الفرع بعد الاصل . يا ابن آدم إنه لا أعظم رزية في عقله من ضيع اليقين وأخطأ العمل . أيها الناس ! إنما البقاء بعد الفناء ، وقد خلقنا ولم نكن ، وسنبلى ثم نعود ، ألا وإنما العواري اليوم والهبات غدا ، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش ، أو عطاء جزيل ، فأصلحوا ما تقدمون عليه بما تظنون عنه . أيها الناس !! إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنيا ، وإن ما أنتم فيه من دنياكم نهب للمصائب ، لا تتألون فيها نعمة إلا بفراق الأخرى ، ولا يستقبل منكم معمر يوماً من عمره إلا بهمدم آخر من أجله ، ولا يتخذ له زيادة في ماله إلا بنفاد ما قبله من رزقه ، ولا يجي له أثر إلا مات له أثر . نسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن مروان عن وهب بن منبه . عن الطريق ولم تستقم <sup>(١)</sup> لسائقها ، وإن فتر سائقها حزنت ، ولم تتبع قائدها : فإذا اجتمعما استقامتا طوعاً أو كرها ، ولا تستطيع الدين إلا بالطوع والكره ، وإن كان كما كره الانسان شيئاً من دينه نزهه ، أو شك أن لا يبقى معه من دينه شيء . وقال وهب : إن من حكمة الله عز وجل أنه خلق الخلق مختلفاً خلقه ومقاديره ، فنه خلق يدوم مادامت الدنيا ، لا تنقصة الأيام ولا تهرسه وتبليه ويموت ، ومنه خلق لا يطعم ولا يرزق ، ومنه خلق يطعم ويرزق ، خلقه الله وخلق معه رزقه ، ثم خلق الله من ذلك خلقاً في البر وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزق ما خلق في البحر وفي البر ، ولا ينفع رزق دواب البر دواب البحر ، ولا رزق دواب البحر دواب البر ، لو خرج مائي البحر إلى البر هلك ، ولو دخل مائي البر إلى البحر هلك ، ففي ذلك من خلق الله في البر والبحر عبرة لمن أهمته قسمة الأرزاق والمعيشة فليعتبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق ، فإنه لا يكون فيها شيء إلا كما قسمه سبحانه بين خلقه ، لا يستطيع أحد أن يغيرها ولا أن يخلطها ، كما لا يستطيع دواب البر أن تمش بأرزاق دواب البحر ، ولا دواب البحر بأرزاق دواب البر ، ولو اضطرت إليه هلكت كلها ، فإذا استقرت كل دابة منها فيما رزقت أصابها ذلك وأحيها ، وكذلك ابن آدم إذا استقر وقنع بما قسم الله له من رزقه أحياه ذلك وأصلحه ، فإذا تعاطى رزق غيره نقصه ذلك وضره وفضحه .

وقال لمطاه الخراساني : كان العلماء قبلكم قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى مافي أيديهم ، فكان أهل الدنيا يبذلون إليهم دنياهم رغبة في علمهم ، فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في الدنيا ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من شؤمهم ووضعهم عندهم ، فإياك يا عطاء وأبواب السلطان فان عند أبوابهم فتنا كبارك الابل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله .

وقال إبراهيم الجنيد : حدثنا عبد الله بن أبي بكر المدمي حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني قال : سمعت وهب بن منبه يقول : لقي عالم عالماً هو فوفقه في العلم ، فقال : كيف صلاتك ؟ فقال : ما أحسب أحداً سمع يذكر الجنة والنار يأتي عليه ساعة لا يصلح فيها ، قال : فكيف ذكرك للوت ؟ قال : ما أرفع قدماً ولا أضع أخرى إلا رأيت أتي ميت . فقال : فكيف صلاتك أنت أيها الرجل ؟ فقال : إني لأصلي وأبكي حتى ينبت العشب من دعوى ، فقال العالم : أما إنك إن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مدلل بملك ، فان المدلل لا يرفع له عمل فقال : أوصني فإني أراك حكيماً ، فقال ازهد في الدنيا ولا تنازع أهلها فيها ، وإن فيها كالنخلة ، إن

(١) اكذا بالأصل وفيه نقص أو تحريف فليحرر .

أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقعت على عدو لم تكسره ، وإنصح الله  
 نصح السكاب لأهله ، فانهم يجيعونه ويطرذونه ويضربونه وهو يأبى إلا أن يجوطهم ويحفظهم ،  
 وينصح لهم . فكان وهب إذا ذكر هذا الحديث قال : واسوأناه إذا كان السكاب أنصح لأهله  
 منك يا ابن آدم لله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إني لأصلي حتى ترم قدماي ، فقال له : إنك إن  
 تبت تائبا ، وتصبح نادما ، خير لك من أن تبت قائما ونسبح معجبا ، إلى آخره . وروى سفيان  
 عن رجل من أهل صنعاء عن وهب . فذكر الحديث كما تقدم .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا الصلت بن عاصم المرادي  
 عن أبيه عن وهب قال : لما أهبط آدم من الجنة استوحش لفقد أصوات الملائكة ، فهبط عليه جبريل  
 فقال : يا آدم ألا أعلك شيئا تنفع به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال قل : اللهم تمم لي النعمة  
 حتى تهينني المعيشة ، اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرنني ذنوبي ، اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول  
 في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية

وقال عبد الرزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب فوجدت  
 الله تعالى يقول : يا ابن آدم ما ألصقتني ، تذكر بي وتنسائي ، وتدعو إلى وتفتر مني ، خيري إليك  
 نازل ، وشرك إلى صاعد ، ولا يزال ملك كريم قد نزل اليك من أجلك ، يا ابن آدم إن أحب ما تكون  
 إلى وأقرب ما تكون مني إذا رضيت بما قسمت لك . وأبغض ما تكون إلى ، وأبعد ما تكون مني إذا  
 سخطت بما قسمت لك . يا ابن آدم أظنني فيما أمرتك ، ولا تعلمني بما يصلحك ، إني عالم بخلقى ، وأنا  
 أعلم بحاجتك التي ترفعك من نفسك ، إني إنما أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمرى ،  
 لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر العبد في حقى . وقال وهب : قرأت نبيغا وتسمين كتابا من كتب  
 الله تعالى فوجدت في جميعها : أن من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر . وقال : لا يسكن ابن  
 آدم ، إن الله هو قسم الأرزاق متفاضلة ومختلفة ، فان تقلل ابن آدم شيئا من رزقه فليردد إلى الله  
 رغبة ، ولا يقولن : لو اطلع الله على هذا من حالى ، أو شعر به غيره ؟ فكيف لا يطلع على شئ الذى  
 خلقه وقدره ؟ أو يعتبر ابن آدم في غير ذلك مما يتفاضل فيه الناس ، كأن الله فاضل بينهم في  
 الأجسام والاموال والالوان والمقول والأحلام ، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل عليه في الرزق  
 والمعيشة ، ولا يكبر عليه أن يفضل عليه في الحلم والعلم والعقل والدين ، أولا يعلم ابن آدم أن الذى  
 رزقه في ثلاثة أزمان من عمره لم يكن له في واحد منها كسب ولا حيلة ، أنه سوف يرزقه في الزمن  
 الرابع . أول زمان من أزمانه حين كان في بطن أمه ، يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه ، وهو  
 في قرار مكين ، لا يؤذيه فيه حر ولا برد ، ولا شئ ولا هم ولا حزن ، وليس له هناك يد تبطش ،



ولا رجل قسى ، ولا لسان ينطق . فساق الله عز وجل إليه رزقه هنك على أتم الوجوه وأهناها وأمرها ، ثم إن الله عز وجل أراد أن يحوله من تلك المنزلة إلى غيرها . ويحدث له في الزمن الثاني رزقا من أمه يكفيه ويفنيه ، من غير حول منه ولا قوة ، ولا بطش ولا سعى ، بل تفضلا من الله وجوداً ، ورزقا أجراه وصافه إليه ، ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث من ذلك اللبن إلى رزق يحدته له من كسب أبويه ، بأن يجعل له الرحمة في قلبهما حتى يؤثره على نفسها بكسبهما ، ويفنياه ويفذياه بأطيب ما يقدران عليه من الأغذية ، وهو لا يعينهما على شيء من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عقل حدث نفسه بأنه إنما يرزق بجيئته ومكسبه وسعيه ، ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظن بربه عز وجل ، فيضيع أوامر الله في طلب المعاش وزيادة المال وكثرته ، وينظر إلى أبناء الجنس وما عليه من التنافس في طاب الدنيا ، فيكسب بذلك ضعف اليقين والایمان ، ويمتلئ قلبه فقراً وخوفاً منه مع المتاع ، ويتلى بموت القلب وعدم العقل ، ولو نظر ابن آدم نظر معرفة وعقل لعلم أنه لن يفنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه رزقه في الأزمان الثلاثة قبل ، فلا مقال له ولا معذرة مما سلط عليه في الزمان الرابع إلا برحمة الله ، فان ابن آدم كثير الشك يقصر به حكمه وعلمه عن علم الله والتفكير في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتفهم حتى يعلم ، علم أن علامة الله التي بها يعرف ، خلقه الذي خلق ، ثم رزقه لما خلق ، وقدره لما قدر .

وقال عطاء الخراساني : لقيت وهباً في الطريق فقلت : حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامى هذا وأوجز . فقال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : يا داود ، أما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيته ، فتكيد السموات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له منهن فرجاً ومخرجاً ، أما وعزتي وجلالي لا يتمم عبد من عبادي بخلق دوني أعلم ذلك من نيته ، إلا قطعت أسباب السموات من يده ، وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك .

وقال أبو بلال الأشعري عن أبي هشام الصنعاني قال : حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : كفاي للعبد ما لا ، إذا كان عسدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني ، وأستجيب له من قبل أن يدعوني ، فاني أعلم بحاجته التي رفق به من نفسه . وقال : قرأت في بعض الكتب أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة فهو أثقل على الشيطان من الجبال الصم ، إنه إنزال المؤمن العاقل فلا يستطيعه ، فيتحول عنه إلى الجاهل فيستأمره ويتمكن من قياده . وقال : قام موسى عليه السلام فلما رأته بنتو إسرائيل قاموا ، فقال : على مكانكم ، ثم ذهب إلى الطور فاذا هو بنهر أبيض

فيه مثل رؤس السكشبان كأفور محفوف بالياحين ، فلما رآه أعجبه فدخل عليه فاغتسل وغسل ثوبه ، ثم خرج وجفف ثوبه ، ثم رجع إلى الماء فاستوضح فيه إلى أن جف ثوبه ، فلبسه ثم أخذ نحو السكشيب الآخر الذى فوق الطور ، فاذا هو برجلين يحفران قبراً ، فقام عليهما فقال : ألا أعينكما ؟ قال : بلى فنزل فحفر ، فقال لهما : لتحدثانى مثل من الرجل ؟ فقالا : على طولك وهيثنك ، فاضطجع فيه لينظروا فالتأمت عليه الأرض ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرخم ، فأصمها الله وأبكمها . وقال : يقول الله عز وجل : لولا أنى كتبت التن على الميت لحبسہ الناس فى بيوتهم ، ولولا أنى كتبت الفساد على اللحم لحرمه الأغنياء على الفقراء .

وقال : مرَّ عابد راهب فقال له : منذ كم أنت فى هذه الصومعة ؟ قال : منذ ستين سنة ، قال : وكيف صبرت فيها ستين سنة ؟ قال : مر فان الزمان يمر ، وإن الدنيا تمر ، ثم قال له : يا راهب كيف ذكرك للموت ؟ قال : ما أحسب عبداً يعرف الله تأتى عليه ساعة إلا يذكر الموت فيها ، وما أرفع قدما إلا وأنا أظن أن لا أضمرها حتى أموت ، وما أضع قدما إلا وأنا أظن أن لا أرفعها حتى أموت ، فجمال العابد يبكى ، فقال له الراهب : هذا بكائك إذا خلوت ؟ - أو قال : كيف أنت إذا خلوت ؟ - فقال العابد : إني لأبكى عند إفطاري فأشرب شرابى بدوعى ، ويصرعنى النوم فأبلى متاعى بدوعى ، فقال له الراهب : إنك إن اضحك وأنت معترف بذنبك خير لك من أن تبكى وأنت مدل على الله بملك . فقال : أوصنى بوصية ، قال : كن فى الدنيا بمنزلة النحلة ، إن أسكتت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن سقطت على شئ لم تضره ، ولا تكن فى الدنيا بمنزلة الحمار إنما همته أن يشبع ثم يرمى بنفسه فى التراب ، وانصح لله فاصبح الكلب لأهله ، فانهم يجيئون به ويطردونه ، وهو يأبى إلا أن يجرسهم ويحفظهم . قال أبو عبد الرحمن أشرس : وكان طاموس إذا ذكر هذا الحديث بكى وقال : عز علينا أن تكون السكلاب أنصح لأهلها منا أولانا عز وجل . وقد تقدم نحو هذا المتن .

وقال وهب : تخلى راهب فى صومته فى زمن المسيح : فأراد إبليس أن يكيدته فلم يقدر عليه ، فأنام بكل مراد فلم يقدر عليه ، فأنام متشبهاً بالمسيح فناداه : أيها الراهب اشرف على أكلك فأنا المسيح ، فقال : إن كنت المسيح فالى إليك من حاجة ، أليس قد أمرتنا بالعبادة ؟ ووعدتنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك . قال : فذهب عنه الشيطان خاسئا وهو حسير ، فلم يمد إليه . ومن طريق أخرى عنه قال : أتى إبليس راهباً فى صومته فاستفتح عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا المسيح ، فقال الراهب : والله لئن كنت إبليس لأخون بك ، ولئن كنت المسيح فما عسى أن أصنع بك اليوم شيئا ، لقد بلانتنا رسالة ربك عز وجل قبلناها عنك ، وشرعت لنا الدين

فدحن عليه ، فاذهب فلست بفاتح لك فقال : صدقت ، أنا إبليس ولا أريد إضلالك بعد اليوم أبدأ  
 فسأني عما بدا لك أخبرك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك فيه . قال :  
 فأخبرني أي أخلاق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلّوهم به ؟ قال ثلاثة أشياء : الجدة ، والشح ، والشكر .  
 وقال وهب : قال موسى : يارب أي عبادك قال : من لا تنفعه موعظة ، ولا يذكرني إذا خلا ،  
 قال : إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه ؟ قال : يا موسى أظله يوم القيامة بظل عرشى ،  
 وأجعله في كنفى . وقال وهب : لقي عالم علما هو فوقه في العلم فقال له : رحمتك الله ما هذا البناء الذي  
 لا إسراف فيه ؟ قال : ما سترك من الشمس ، وأكنك من الغيث . قال : فما هذا الطعام الذي  
 لا إسراف فيه ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع من غير تكاف . قال : فما هذا اللباس الذي  
 لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما ستر العورة ومنع الحر والبرد من غير تنوع ولا تلون . قال : فما هذا  
 الضحك الذي لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما أمفر وجهك ولا يسمع صوتك . قال : فما هذا البكاء الذي  
 لا إسراف فيه ؟ قال : لا تميل من البكاء من خشية الله عز وجل ، ولا تبك على شيء من الدنيا .  
 قال : كم أخفى من عملي ؟ قال : ما أظن بك أنك لم تعمل حسنة . قال : ما أعلن من عملي ؟ قال :  
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يأنم بك الحريص ، واحذر النظر إلى الناس . وقال : لكل  
 شيء طرفان ووسط ، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فعمليك  
 بالوسط من الأشياء . وقال : أربعة أحرف في التوراة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ،  
 والفقر الموت الأحر ، وكما تدن تدان ، ومن تجر تجر .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبيد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان رجل  
 من أفضل أهل زمانه ، وكان يزار فيعظمهم ، فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا عن الدنيا  
 وفارقنا أهل والأموال مخافة الطغيان ، وقد خفنا أن يكون قد دخل علينا في حالنا هذه من الطغيان  
 أعظم وأكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم ، وعلى الملوك في ملكهم ، أرانا يجب أحدا  
 أن تقضى له الحاجة ، وإذا اشترى شيئا أن يجابى لمكان دينه ، وأن يعظم إذا لقي الناس لمكان  
 دينه ، وجعل يعدد أقات العلماء والعباد الذين يدخل عليهم في دينهم من حب الشرف والتمعظيم .  
 قال : فشاع ذلك الكلام عنه حتى بلغ ملك تلك البلاد ، فحجب منه الملك وقال لرؤس دولته : ينبغي  
 لهذا أن يزار ، ثم اتدوا زيارته يوما ، فركب إليه الملك ليسلم عليه ، فأشرف العابد . وكان علما جيد  
 العلم بأقات العلوم والأعمال ودسائس النفوس . فرأى الأرض التي تحت مكانه قد سمدت بالبئيل  
 والفرسان ، فقال ما هذا ؟ فقيل له : هذا الملك قاصد إليك يسلم عليك لما يلغنه من حسن كلامك

فقال : إنا لله ، وما أصنع به ؟ هلكننا والله إن لم نلقن الحجة من عند الله مع هذا الرجل ، وينصرف عنا وهو ماقت لنا ، ثم سألت خادمه : هل عندك طعام ؟ قال : نعم . قال : فأنت به فضمه بين أيدينا ، قال : هو شيء من ثمر الشجر ، وهو شيء من بقل وزيتون ، قال : فأنت به ، فأنتي به ، ثم أمر بجماسته فاجتبه ، وأحول ذلك الطعام ، فقال : إذا دخل عليكم هذا الرجل فلا يلتفت أحد منكم إليه ، ولا يقيم له أحد ، وأقبلوا على الأكل العنيف ، ولا يرفع أحد منكم رأسه ، أمل الله أن يصرفه عنا وهو كاره لنا فاني أخاف الفتنة والشبهة وامتلاء القلوب منها ، فلا يخاص إلا بنا جهم . قال : فبكى القوم وبكى ذلك الرجل العالم ، فلما اقترب الملك من جبلهم الذي هم فيه ، ترجل الملك ومن معه من أعيان دولته وصعد في الجبل ، فلما وصل إلى قرب مكانهم أخذوا في الأكل العنيف ، فسدخل عليهم الملك وهم يأكلون فلم يرفعوا رؤسهم إليه ، وجعل ذلك العالم الفاضل يلف البقل مع الزيتون مع الكسرة الكبيرة من الخبز ويدخلها في فيه ، فسلم عليهم الملك وقال : أيكم العابد ؟ فأشاورا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالناس - وهو يأكل ذلك الأكل العنيف - فقال الملك : ليس عند هذا خير ، ثم أذبر الملك خارجا عنه ، وقال : ما عند هذا من علم . فلما نزل الملك من الجبل نظر إليه العابد من كوة وقال : أيها الملك الحمد لله الذي صرفك عنى وأنت لي كاره - ثم قال : الحمد لله الذي صرفك عنى بما صرفك به - وفي رواية ذكر ابن المبارك أنه قال : الحمد لله الذي صرفه عنى وهو لي لائم .

وفي رواية أن هذا العابد كان ملكا ، وكان قد زهد في الدنيا وتركها ، لأنه كان قد دخل عليه رجل من بقايا أهل الجنة والعمل الصالح فوعظه ، فاقدم معه أن يصحبه ، وأنه يخرج عن الملك طلبا لما عنده في الدار الآخرة ، وأنه وافته جماعة من بنيته وأهله ورؤس دولته ، ففرجوا برتبهم ، لا يرى أئمة أين ذهبوا ، وكان هذا الملك من أهل المدل والخير والخوف من الله عز وجل ، وكان متسع الملك والمملكة ، كثير الأموال والرجال ، فساروا حتى أتوا جبلا في أطراف مملكته ، كثير الشجر والمياه ، فأقاموا به حينما ، فقال الملك : إن نحن طال أمرنا ومقامنا في هذا الجبل ، سمع بنا الناس من أهل مملكتنا فلا يدهونا ، وإني أرى أن نذهب إلى غير مملكتنا فننزل مكانا بعيدا عن الناس ، لعل أن نسلم منهم ويسلوا منا ، فساروا من ذلك الجبل طالبين بلادا لا يعرفون ، فوجدوا بها جبلا ثانيا من الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قليل العوارق ، وإذا في ذروتها عين ماء جارية وأرض مقسمة ، تزرع لمن أراد الزرع بها ، فنزلوا به وبنوا به أما كن لاسبادة والسكنى ، وزرعوا لهم على ماء تلك العين بعض بقول يأتيهمون بها ، وأشجار زيتون ، وجهلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون ثم شاع أمرهم في بعض تلك البلاد القريبة من جبلهم ، فجلسوا يأتونهم ويوزرونهم ، إلى أن شاع

ذلك الكلام المنتقم عن ذلك العالم ، فبلغ ملك تلك البلاد فتصدم للزيارة ، فذكر القصة كما تقدم ، والله أعلم .

وقال وهب : أزهذ الناس في الدنيا - وإن كان عليها حريصا - من لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب ، مع حفظ الامانات ، وأرغب الناس فيها وإن كان عنها معرضا ، من لم يبال من أين كسبه منها . حلالا كان أو حراما ، وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بمقوق الله عز وجل ، وإن رآه الناس بخيلا فيما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس في الدنيا من يبخل بمقوق الله عز وجل وإن رآه الناس جوادا فيما سوى ذلك .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المنثري حدثنا علي بن المديني حدثنا محمد بن عمرو بن مقسم قال سمعت عطاء بن مسلم يقول : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام في ألف مقام ، وكان إذا كلمه رؤى النور على وجهه ، موسى ثلاثة أيام ، ولم يمس موسى امرأة منذ كلمه وبه عز وجل . وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن عامر بن زرارَةَ حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت ابن منبه الجعاني يقول : إن للنبوة أثقالا وهؤنة لا يجعلها إلا القوى ، وإن يونس بن متى كان عبداً صالحاً ، وكان في خلقه ضيق ، فلما حملت عليه النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربيع تحت الحمل ، فرفضها من يده وخرج هاربا ، فقال الله تعالى لنبيه (ص) : [ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ] وقال : [ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ] الآية ، وقال يونس بن بكير عن أبي إسحاق بن وهب بن منبه عن أبيه قال : أمر الله الريح أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ في الأرض إلا ألقته في أذن سليمان ، فلذلك سمع كلام الغملة .

وروى سفيان بن عمار عن عمرو بن دينار عن وهب قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا سح أو بعين سنة أرى شيئا ، كأن يرى علامة القبول ، قال : فساح رجل من ولد ربيعة أربعين سنة فلم ير شيئا ، فقال : يارب إذ أحسنت وأساء والداي فما ذنبي ؟ قال : فأرى ما كان يرى غيره . وفي رواية أنه قال : يارب إذا كان والداي قد أضرسا أنا ؟ وفي رواية عنه أنه قال : يارب إذا كان والداي قد أساءا أحرم أنا إحسانك وبرك ؟ فأظلمت غمامة .

وروى عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن عبد العزيز بن مروان . قال : سمعت وهب ابن منبه يقول : مثل الدنيا والآخرة مثل ضربتين ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وقال : إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السحر . وروى عبيد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهب قال : إذا صام الانسان زاغ بصره ، فإذا أفطر على حلوة عاد بصره . وقال ابن المبارك

عن بكر بن عبد الله قال سمعت وهباً يقول: مر رجل عابد على رجل عابده فآه مفكراً، فقال له: مالك؟ فقال له: أعجب من فلان، إنه كان قد بلغ من عبادته ما بلغ، ثم مالت به الدنيا. فقال: لانهجب من مال كيف مال، ولكن اعجب ممن استقام كيف استقام.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: إن بني إسرائيل أصابهم عقوبة وشدة، فقال النبي: «يوددنا أن نعلم ما الذي يرضى ربنا فننتقمه، فأوحى الله عز وجل إليه: إن قومك يقولون: إذا أرضوم رضيت، وإذا أسخطوم أسخطت». وقال عبد الله بن أحمد أيضاً: حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني عمر بن عبد الرحمن قال: سمعت وهب بن منبه يقول: إن عيسى عليه السلام كان واقفاً على قبر ومعها حواريون - أو نفر من أصحابه - قال: وصاحب القبر يدلي فيه، قال: فذكروا من ظلمة القبر وضيئه، فقال عيسى: قد كنتم فيما هو أصبغ من ذلك، في أرحام أمهاتكم، فاذا أحب الله أن يوسع وسع، أو كما قال.

وقال عبد الله بن المبارك: حدثنا بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: كان رجل جلده من السياح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب، فلم يستطع منه شيئاً من ذلك، فمثل له حية وهو يصلي، ففضى ولم يلتفت إليه، فالتوى على قدميه فلم يلتفت إليه، فدخل ثيابه وأخرج رأسه من عند رأسه فلم يلتفت ولم يستأخر، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجوده، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتئم رأسه، فوضع رأسه فجعل يركه حتى استمكن من السجود على الأرض. ثم جاءه على صورة رجل فقال له: أنا صاحبك الذي أخوفك، أتيتك من قبل الشهوة والغضب والرغبة، وأنا الذي كنت أمثل لك بالسباع والحيات فلم أستطع منك شيئاً، وقد بدا لي أن أصادفك ولا آتيك في صلاتك بعد اليوم. فقال له العابد: لا يوم خوفني خفتك، ولا اليوم بي حاجة في مصادقتك. قال: سلني عما شئت أخبرك. قال فتنا عسيت أن أسألك؟ قال: ألا تسألني عن مالك ما فعل به بعدك؟ قال: لو أردت ذلك ما فارقته. قال: أفلا تسألني عن أهلِكَ من مات منهم ومن بقي؟ قال: أنا مت قبلهم. قال أفلا تسألني عما أضل به الناس؟ قال: أنت أضلهم. فأخبرني عن أوثق ما في نفسك تضل به بني آدم. قال: ثلاثة أخلاق، الشح، والحمة، والسكر. فان الرجل إذا كان شحيحاً قلنا ماله في عينه ورغبناه في أموال الناس، وإذا كان حديداً تداولناه بيننا كما يتداول الصبيان السكر، ولو كان يجي الموتى بدعوتهم نأسب، وكل ما يبيئه نهدمه، لنا كآلة واحدة. وإذا سكر قدناه إلى كل شر ونفضيحة وخزى وهوان كما تقاد القط إذا أخذ بأذننها كيف شئنا.

وقال وهب : أصاب أبواب البلاء سبع سنين ، وترك يوسف في السجن سبع سنين ، وسبح بختنصر في السباع سبع سنين . وسئل وهب عن الدنانير والدرهم فقال : هي خواتيم رب العالمين ، فالأرض لماش بنى آدم لا تأكل ولا تشرب ، فأينما ذهبته بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك ، وهي أزمسة المذنبين بها يتادبون إلى الشهوات . وروى داود بن عمر الضبي عن ابن المبارك عن معمر عن سلك ابن الفضل عن وهب قال : مثل الذي يدعو بغير عمل مثل الذي يرمى بغير وتر . وقال ابن المبارك : أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن وهب قال : سمعت وهبا يقول : قال حكيم من الحكماء : إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبده رجاء ثواب الجنة فقط ، وأكون كالأجير السوء ، إن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل ، وإني لأستحي من الله أن أعبده مخافة السارق فقط ، فأكون كاللص السوء إن رهب عمل وإن ترك لم يعمل ، وإني أباستخبر - أي حسب الله - ما لا يستخرج مني غيره .

وقال السري بن يحيى : كتب وهب إلى مكحول : إنك قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبة بشرقا ، فاطلب بما بعث من علم الأنسان عند الله محبة وزاني ، واعلم أن إحدى المحبتين تمنع الأخرى - أو قال : سوف تمنع الأخرى - وقل زائر بن سليمان عن أبي سنان الشيمي قال : بلغنا أن وهب بن منبه قال قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله نجاة تزيدهم أريج الدنيا والآخرة ، الإيمان سيفك التي تحمل عليها ، والتوكل على الله شراعها ، والدنيا بحرك ، والإيام وجك ، والأعمال الصالحة نجادك التي ترجو رحمتها ، والذمالة هي هديتك التي ترجو بها كرامتك ، والحرص عليها يديرها ويحميها ، ورد النفس عن هواها مراسيمها ، والموت ساحلها ، والله ملكها وإليه مصيرها . وأحب النجار إلى الله وأفضاهم وأقربهم منه أكثرهم بضاعة وأفضلهم نية ، وأخلصهم هدية . وأبغضهم إليه أقامهم بضاعة ، وأردأهم هدية ، وأخبثهم طوية ، فكأما حسنت تجزئك ازداد رحمتك ، وكأما خلصت هديتك تكرم . وفي رواية عنه أنه قال : قل لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله بضاعة تأتلك الأرباح من كل مكان ، واجعل سيفك تقوى الله ، وحشوها التوكل على الله ، وشراعها الإيمان بالله ، وبحرك العلم النافع والعمل الصالح لك أن تنجو ، وما أراك بناج . وقال عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن رجل قال : إن لامل طفتيانا كلفتيان المال .

وقال العبراني : حدثنا عبيد بن محمد الصنعاني حدثنا أبو قدامة همام بن مسلمة بن عقبة حدثنا فوث بن جابر حدثنا عقيل بن منبه قال : سمعت وهب بن منبه يقول : الأجر من الله عز وجل معرض ، وإن كان لا يستوجب من لا يعمل مدولا يجده من لا يبنتبه ، ولا يبصره من لا ينظر إليه ، وطاعة الله قرينة ممن يرغب فيها ، بعيدة ممن زهد فيها ، ومن يحرص عليها يصل إليها ، ومن لا يحرصها لا يجدها ، لا تسبق من سعى إليها ، ولا يدركها من أبطأ عنها ، وطاعة الله تشرف من أكرمها ،

زهرين من أضعافها ، وكتاب الله يدل عليها ، والايمان بالله يحض عليها .

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا عمر بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول قال داود عليه السلام : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة حسن العمل . قال : يارب أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر حسن الصورة كفر أو شكر ، هذان . وفي رواية ذكرها أحمد بن حنبل : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : عبد استخارنى فى أمر نخرت له فلم يرض به . وقال إبراهيم بن الجنييد : حدثنى إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس حدثنا عبد الصمد ابن معقل عن وهب بن منبه قال : كان سائح يعبد الله تعالى ، فجاءه إبليس أو شيطان فتمثل بالناس فجعل يريه أنه يعبد الله تعالى ، وجعل يزيد عليه فى العبادة ، فأحبه ذلك السائح لما رأى من اجتهاده وعبادته ، فقال له الشيطان - والسائح فى مصلاه - : لو دخلنا إلى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم وأمرنا ونهينا ، كان أعظم لأجرنا ، فأجابه السائح إلى ذلك ، فلما أخرج السائح إحدى رجله من باب مكانه لينطلق معه ، هاتف به هاتف فقال : إن هذا شيطان أراد أن يقتلك . فقال السائح . رجل خرجت فى معصية الله وطاعة الشيطان لا تدخل مئى : فسا حولها من موضعها ذلك حتى فارق الدنيا ، فأنزل الله تعالى ذكره فى بعض كتبه فقال : وذو الرجل .

وقال وهب . أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يقطن الناس على أكل لحم الخنزير ، فأعظم الناس مكانه ، وهالم أمره ، فقال له صاحب شرطة الملك - سرراً بينه وبينه - : أيها العالم ، اذبح جدياً مما يحمل لك أكل . ثم ادفعه إلى حتى أصنعه لك على حدته ، فإذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك ، فتأكل منه حلالاً ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير ، فذبح ذلك العالم جدياً ، ثم دفعه إلى صاحب الشرطة فصنعه له ، وأمر الطالبخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير ، أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجدى واجتمع الناس ، لينظروا أمر هذا العالم فيه أياً كل أم لا ، وقالوا إن أكلنا وإن امتنع امتنعنا ، فجاء الملك فدعا لهم بلحم الخنازير فوضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدى الحلال المذكى ، فألم الله ذلك العالم فألقى فى روعه وفكره ، فقال : هب أتى أكلت لحم الجدى الذى أعلم حله أنا ، فإذا أصنع من لا يعلم ؟ والناس إنما ينتفرون أكلهم ليقنتدوا بى ، وهم لا يعلمون إلا أتى إنما أكلت لحم الخنزير . فبدأ كانوا اقتداء بى ، فأكون ممن يحمل أوزارهم يوم القيامة ، لا أفضل والله وإن قتلت وحرقت بالنار ، وأبى أن يأكل ، فجعل صاحب الشرطة يفتن إليه ويوحى إليه ويأمره بأكله ، أى إنما هو لحم الجدى ، فأبى أن يأكل ، ثم أمره الملك أن يأكل فأبى ، فألقوا عليه فأبى ، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله ، فلما ذهبوا به ليقتلوه . قال له صاحب الشرطة : ما منك أن تأكل من اللحم الذى ذكيت أنت ودفنته



إلى ؟ أظننت أني أئينتك بذميره وخنثك فيها ائتمنتني عليه ؟ ما كنت لأفعل والله . فقال له العالم  
 قد علمت أنه هو ، ولكن خفت أن يتأذى الناس بي ، وهم إنما ينظرون أكلى منه ، ولا يمدون  
 إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير ، وكذلك كل من أريد غلى أكله فيما يأتي من الزمان يقول : قد أكله  
 فلان ، فأكون فنتة لحم . فقتل رحمه الله . فبئسنى للعالم أن يخذل المعاييب ، ويحبس المهنذورات ،  
 فان زلته ونواقصه منظورة يقتدى بها الجاهل . وقال معاذ بن جبل : اتقوا زينة الحكيم ، وقال غيره :  
 اتقوا زلة العالم ، فانه إذا زل زل بزائنه عالم كبير . ولا ينبغي له أن يستهن بالزلة وإن صغرت ،  
 ولا يفعل الإخص التي تختلف فيها الملاء ، فان العالم هو عصاة كل أمي من العوام ، بها يصول على  
 الحق ليس فيه ، ويقول : رأيت فلانا العالم ، وفلانا وفلانا يفعلون ويفعلون . وليجتنب العوائد  
 النفسية ، فانه قد يفعل أشياء على حكم المادة فيظنها الجاهل بجائزته أو سنة أو واجبة ، كما قيل : سل  
 العالم يصدقك ولا تتخذ بعقله الغريب ، وإنك سليله هذه يصدقك إن كان ذا دين ، وكم أنشد النظر  
 إلى غالسهم علماء زمانك هذا من خلق ، فما الظن بمخالطهم وبمخالطتهم . ولكن [ من يهدي الله فهو  
 لهم تدي ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ] .

وقال محمد بن عبد الملك بن زهير : حدثنا عبد الرزاق عن أبيه قال : قلت لوهب بن منبه :  
 كنت ترى الرؤيا فتخبرنا بها ، فلا نلبث أن نراها كما رأيتها ، قال : ذهب ذلك عنى منذ وليت  
 القضاء . قال عبد الرزاق : فحدثت به مسراً فقال : والحسن بعد ماولى القضاء لم يجهلوا فهمه ، فن  
 يأمن القراء بمدك يا شهر ؟ فكيف حال من قد غرق في فاذوليت الدنيا من علماء زمانك هذا ، ولا سيما  
 من بعد فنتة تمرلنك ؟ فان القلوب قد امتلأت بحب الدنيا ، فلا يجسد العلم فيها موضعاً ، فجالس من  
 شئت منهم لننظر مبادئ مجالسهم وغاياتها ، ولا نستخفك البدوات ، فانما الأمور بمواقفها وشواتيمها  
 ونشأتها ، وغاياتها . [ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه لمن حيث لا يحتسب ] . وقال وهب : البلاء  
 للذين كالتشكال للدابة . وقال أبو بلال الأشمري عن أبي شهاب الصنعاني عن عبد الصمد عن وهب  
 قال : من أصيب بشئ من البلاء فقد سلك به طريق الأنبياء . وقال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل :  
 حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا منفر قال : سمعت وهبا يقول : قرأت في كتاب رجل من الحوارين :  
 إذا سلك بك طريق - أو قال سبيل - أهل البلاء فطبت نفسك فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين  
 وقال الامام أحمد : حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني أمية بن شبل عن هنان بن  
 بزويه قال : كنت مع وهب وسعيد بن جبيرة يوم هرفة نعت نجيل ابن عامر ، فقال وهب لسعيد :  
 يا أبا عبد الله أكرمك منذ خضت من الحجاج ؟ قال : خرجت عن امرأتي وهي حامل لجأني الذي في  
 بطنها وقد خرج [ سمر ] وجهه ، فقال له وهب : إن من كل قبلكم كلن إذا أصابه بلاء هذه رجاء ،

وإذا أصابه رجاء عده بلاء . وروى عبد الله بن أحمد بسنده عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب : ليس من عبادة من سحر أو سحر له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو تطير أو تطير له ، فن كان كذلك فليدع غيري ، فإنما هو أنا وخلق كلهم لي . وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح بن جعفر بن محمد عن النبي عن وهب أنه قال : دخول الجمل في سم الخياط أيسر من دخول الأغنياء الجنة . قلت : هذا إنما هو لشدة الحساب وطول وقوف الأغنياء في السرب ، كما قد ضربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار قال سمعت وهبا يقول : ترك المتكافأة من التعنيف . وقال الامام أحمد : حدثنا الحجاج وأبو النصر قالا : حدثنا محمد بن طلحة بن محمد بن جعدة عن وهب قال : من يتعبد يزداد قوة ، ومن يتسكسل يزداد فترة . وقد قال غيره : إن حوراء جاءت في المنام في ليلة باردة فقالت له : قم إلى صلاتك فهي خير لك من نومة توهن بدنك . ورأيت في ذلك حديثا لم يحضرنى الآن . وهذا أمر مجرب أن التباداة تنشط البدن وتلينه ، وأن النوم يكسل البدن فيقتسيه ، وقد قال بعض السلف لما تبع ضلة ابن أشيم حين دخل تلك الفيضة ، وأنه قام ليلته إلى أن أصبح ، قال فأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت ولي من السكسك والفنور مالا يملعه إلا الله عز وجل .

وقد قيل للحسن : ما بال المتعبدين أحسن الناس وجوها قال : لأنهم خلوا بالليل فالبسهم نوراً من نوره . وقال يحيى بن أبي كثير : والله ما رجل يخلو بأهله عروساً أفر ما كانت نفسه وآس ، بأشد سروراً منهم بمناجاة ربهم تعالى إذا خلوا به . وقال عطاء الخراساني : قيام الليل محياة للبدن ، ونور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البصر والأعضاء كلها ، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحاً مسروراً ، وإذا نام من حزبه أصبح حزينا مكسوراً القلب كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً .

وقال ابن أبي الدنيا ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن منيع حدثنا هاشم بن القاسم أبو النصر حدثنا بكر بن حبيش عن محمد القرشي عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن بلال قال قال رسول الله (ص) : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ، ونهاية عن الآثم ، وتكفير عن السيئات ، ومطاردة للشيطان من الجسد » وقد زواه غيره من طرق : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » ويكفي في هذا الباب مارواه أهل الصحيح والمسنييد عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) ، قال : « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويلاً ، فارقد . فإذا استيقظ وذكر الله انحلت

عقدة ، وإذا تروى انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان . وهذا باب واسع . وقد قال هود فيها أخبر الله عنه : [ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ] ثم قال : [ ويزدكم قوة إلى قوتكم ] وهذه القوة تشمل جميع القوى ، فيزيد الله طابديه قوة في إيمانهم و يقينهم ودينهم وتوكلهم ؛ وغير ذلك مما هو من جنس ذلك ، ويزدكم قوة في أسماءهم وأبصارهم وأجسادهم وأموالهم وأولادهم وغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عيسد السكريم حدثني عبد الصمد أنه سمع وهبا يقول : تصدق صدقة رجل يعلم أنه إنما قدم بين يديه ماله وما خلف مال غيره .

قالت : وهذا كما في الحديث « أياكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ فقالوا : كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه ، فقال : إن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر » . قال : وسمعت وهبا على المنبر يقول : احفظوا حق ثلاثا ، إياكم وهوى ، شيئا ، وقرين سوء ، وإهجاب المرء بنفسه . وقد رويت هذه الألفاظ في حديث . وقال الامام أحمد : حدثنا يونس بن عبد الصمد بن مقل حدثنا إبراهيم بن السجاسج قال : سمعت وهبا يقول : أحب بنى آدم إلى الشيطان النوم الأكرول .

وقال الامام أحمد : حدثنا غوث بن جابر حدثنا عمران بن عبد الرحمن أبو الهذيل أنه سمع وهبا يقول : إن الله عز وجل يحفظنا بالهدى الصالح القليل من الناس . وقال أحمد أيضا : حدثنا إبراهيم بن هقيل حدثنا عمران أبو الهذيل من الأنبياء من وهب بن منبه قال : ليس من الآدميين أحد إلا ومعه شيطان . وكل به ، فأما السكافر فيأكل كل معه ويشرب معه ، وينام معه على فراشه . وأما المؤمن فهو بجانب له يظن حتى يصيب منه غفلة أو غرة . وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكرول النوم . وقال محمد بن غالب : حدثنا أبو المعتز ابن أخي بشر بن منصور عن داود بن أبي هند عن وهب . قال : قرأت في بعض الكتب الذي أنزلت من السماء على بعض الأنبياء : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أنتدري لم اتخذتك خليلا ؟ قال : لا يا رب ، قال : لئلا مقامك بين يدي في الصلاة .

وقال عبيد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن أيوب حدثنا أبو بكر بن عبيد بن إدريس ابن وهب بن منبه قال : حدثني أبي قال : كان لسليمان بن داود ألف بيت أهلاء قوارير وأسفله حديد فركب الريح يوما فرجرات فنظر إليه الحراث فاستهظم ما أوتي سليمان من الملك ، فقال : لقد أوتى آل داود الملك عظيما ، فحدث الريح كلام الحراث فألقته في أذن سليمان ، قال : فأمر الريح فرفقت ، ثم نزل بمشي حتى أتى الحراث فقال له : إلى قس سمعت قولك ، وإنما مشيت إليك لثلاث تسمى مالا تقدر عليه مما أقدري الله عليه تفضلا وإحسانا منه علي ، لأنه هو الذي أطاقني لهذا وأطاني . ثم قال : والله للسيبحة واحدة يقبلها الله عز وجل منك أو من مؤمن خير مما أوتي آل داود من الملك ، لأن

ما أوتي آل داود من ملك الدنيا يفنى ، والتسبيحة تبقى ، وما يبقى خير مما يفنى . فقال الحراث :  
أذهب الله همك كما أذهبت همي

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن عقيل بن معقل حدثني أبي عن وهب بن منبه . قال :  
إن الله عز وجل أعطى موسى عليه السلام نوراً ، فقال له هارون : به لي يا أخي ، فوهبه له ، فأعطاه  
هارون ابنه ، وكان في بيت المقدس آتية لعظمها الأنبياء والملوك ، فكان ابنا هارون يستيان في  
تلك الآتية الحز ، فنزلت نار من السماء فاخطفت ابني هارون فصعدت بهما ، ففرع هارون لذلك  
فقام مستغيثاً متوجهاً بوجهه إلى السماء بالدعاء والتضرع ، فأوحى الله إليه : يهارون هكذا أفعل بمن  
عصاني من أهل طاعتي ، فكيف فعلت بمن عصاني من أهل معصيتي ؟ . وقال الحكم بن أبان : نزل  
بي ضيف من أهل صنعاء فقال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله عز وجل في السماء السابعة داراً  
يقال لها البيضاء يجمع فيها أرواح المؤمنين ، فاذا ملئت الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه  
عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم . وقال به من جعل شهودته تحت قدمه  
فرع الشيطان من ظلمه ، فن غلب علمه هواء فذلك العالم الغلاب . وقال فضيل بن عياض : أوحى  
الله تعالى إلى بعض أنبيائه : بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلى ، وما يكابدون في طلب  
مرضاتي ، فكيف بهم إذا صاروا إلى داري ، وتبجحوا في رياض نعمتي ؟ هنالك فليبشر المضعفون  
الله أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب ، أن رأيت أنسى لهم عملاً ؟ وكيف وأنا ذو الفضل العظيم  
أجود على المولاهن المرغبين عني ، فكيف بالمقبلين علي ؟ وما غضبت على شيء كغضبي على من أخطأ  
خطيئة فاستعظمها في جنب عفوي ، ولو تماجلت بالمقوبة أحداً ، أو كانت الدجلة من شأني ، لماجلت  
القائلين من رحمتي . ولو رأيت عبادي المؤمنون كيف أستوهمهم من اعتدوا عليه ، ثم أحكم لمن  
وهمهم بانظرك المقيم ، أتمجروا فضلي وكرمي ، أنا الديان الذي لا نحل معصيتي ، والذي أطاعني أطاعني  
برحمتي ، ولا حاجة لي بهوان من خاف مقامي . ولو رأيت عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصوراً تحار  
فيها الأبصار فيبألوني : لمن ذا ؟ فأقول : لمن وهب لي ذنباً مالم يوجب على نفسه معصيتي والقنوط  
من رحمتي ، و أنى مكاني . على المدح فامدحوني .

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا سلمة بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن عقبة حدثنا عبد الرحمن  
أبو طالوت حدثني مهاجر الأسدي عن وهب . قال : مررت عيسى بن مريم ومعه الحواريون بقرية قد  
مات أهلها ، إنسها وجننها ، وهوامها وأنمامها وطيورها ، فقام عليها ينظر إليها ساعة ثم أقبل على  
أصحابه فقال : إنما مات هؤلاء بمذاب من عند الله ، ولولا ذلك لماتوا متفرقين . ثم ناداهم عيسى :  
يا أهل القرية ، فأجابه مجيب : لبيك يا روح الله ، فقال : ما كانت جنبايتكم وسبب هلاككم ؟ قال

عبادة الطافوت وحسب الدنيا ، قال : وما كانت عبادتكم للطافوت ؟ قال : طاعة أهل الماصي هي عبادة الطافوت . قال : وما كان حبهك للدنيا ؟ قال : كحب النبي لأمه ، كنا إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا ، مع أهل بيئنا ، وإدبار عن طاعة الله ، وإقبال على مساخطه . قال : فكيف كان هلاككم ؟ قال : بتنا ليلة في حافية وأصبحنا في هاوية ، قال : وما الهارفة ؟ قال : سجين ، قال : وما السجين ؟ قال : جرة من نار مثل أطباق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها ، قال : فما بال أصحابك لا يتكلمون ؟ قال : لا يستطيعون أن يتكلموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم ملجمون بلجم من نار . قال : وكيف كلنفي أنت من بينهم ؟ قال : كنت فيهم لما أصابهم العذاب ولم أكن منهم ولا على أعمالهم ، فلما جاء البلاء همى منهم ، وأنا معاق بشجرة في الهاوية لا أدرى أكرس فيها أم أنهب . فقال عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : بحق أقول لكم : نلغز الشمير وشرب الماء القراح والنوم على المزابل كثير مع حافية الدنيا والآخرة

وروى الطبراني عنه أنه قال : لا يكون المرء حكيما حتى يعطيه الله عز وجل ، وما عصى الله حكيم ، ولا يعصى الله إلا أحمق ، وكما لا يكمل النهار إلا بالشمس ، ولا يعرف الليل إلا بالظلام ، كذلك لا تكمل الحكمة إلا بطاعة الله عز وجل ، ولا يعصى الله حكيم ، كما لا يطير الطير إلا بهنحين ، ولا يستطيع من لا جناح له أن يطير ، كذلك لا يعطيه الله من لا يعمل له ، ولا يعطيه الله من لا يعطيه . وكما لا مكث للنار في الماء حتى تطفأ ، كذلك لا مكث لعمل الرياء حتى يبور . وكما يبدي سر الزانية وفضيحتها فعلها ، كذلك يفتضح بالفعل السيئ من كان يقرأ جليسه بالقول الحسن ولم يعمل به . وكما تكذب مغفرة السارق بالسرقة إذا ظهر عليها حسده ، كذلك تكذب مصيبة القارئ لله فراءه إذا كان يقرأ بها لغير الله تعالى .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن النضر حدثنا هل بن بحر بن بري حدثنا إسحاق بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل . قال سمعت وهبا يقول : في مزامير آل داود : طوبى لمن يسلك سبيل الخطابين ولا يجالس البطالين ، وطوبى لمن يسلك طريق الأئمة ويستقيم على عبادة ربه ، فقله كمثل شجرة نابسة على ساقية لا تزال فيها الحياة ، ولا تزال خضراء . وروى الطبراني أيضا عنه قال : إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء ، وقطرت المضاء دما . وروى عنه أنه قال : ما من شيء إلا يسد صفيرا ثم يكبر ، إلا المصيبة لأنها تبسو كبيرة ثم تصغر . وروى عنه أيضا أنه قال : وقف سائل هل باب داود عليه السلام ، فقال : يا أهل بيت النبوة تصدقوا علينا بشيء رزقكم الله رزق التاجر المقيم في أهله . فقال داود : أعطوه ، فوالذي نفسي بيده إنها لي الزبور . وقال : من عرف بالسكت لم يهز صدقه ، ومن عرف بالصدق اتنمى هل حديثه ، ومن أكثر الغيبة

والبغضاء لم يوثق منه بالنصيحة ، ومن عرف بالفجور والخسيسة لم يؤمن إليه في المحنة ، ومن انتحل فوق قدره جحد قدره ، ولا تستحسن . فمك ما تستقيح في غيرك . هذه الآثار رواها الطبراني عنه من طرق .

وروى داود بن عمرو عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خيثم . قال : قدم علينا وهب مكة فطفق لا يشرب ولا يتوضأ . إلا من ززم ، فقيل له : مالك في الماء المسذب ؟ فقال : ما أنا بالذي أشرب وأتوضأ إلا من ززم حتى أخرج منها ، إنكم لاتدرون ماماه ززم ، والذي نفسى بيده إنني كنتاب الله طعام طعم ، وشفاء سقم ، ولا يعمد أحد إليها يتضلع منها رياء ، ابتغاه بركتها ، إلا تزعت منه داء وأحدثت له شفاء . وقال : النظر في ززم عبادة . وقال : النظر فيها يخطئ الخطايا خطأ . وقال وهب : مسخ بختنصر أسداً فكان ملك السباع ، ثم مسخ لسراً فكان ملك الطيور ، ثم مسخ نوراً فكان ملك الدواب ، وهو في كل ذلك يعقل عقل الانسان ، وكان ملكه قائماً يدبر ، ثم رد الله عليه روحه إلى حالة الانسان ، فدعا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا إله السماء . فقيل له : أملت مؤمناً ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء ، وحرق الكتب ، وحرق بيت المقدس ، فلم يقبل منه التوبة . هكذا رواه الطبراني عن محمد بن أحمد بن الفرج عن عباس بن يزيد عن عبد الرزاق عن بكار بن عبد الله . قال : سمعت وهب بن منبه يقول ، فذكره .

وقال وهب : كان رجل بمصر فسألهم ثلاثة أيام أن يطعموه فلم يطعموه ، فمات في اليوم الرابع فكفنه ودفنه ، فأصبحوا فوجدوا الكفن في حجرهم مكتوب عليه : قتلتموه حياً وبرغمه ميتاً ؟ قال يحيى : فأنا رأيت القرية التي مات فيها ذلك الرجل ، وما بها أحد إلا وله بيت ضيافة ، لا غنى ولا فقر هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي عن علي بن الحسن عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدثني عن وهب بن منبه فذكره . قال : وأهل القرية يعرفون بذلك . فمن ثم اتخذوا بيوتاً للضيغان والفقراء خوفاً من ذلك . وقال عبد الرزاق عن بكار بن وهب . قال : إذا دخلت الهدية من البساب خرج الحق من الكوة . وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنا إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس عن عبد الصمد عن وهب بن منبه قال : مر نبي من الأنبياء على عابد في كهف جبل ، فقال إليه فلم عليه وقال له : يا عبد الله منذ كم أنت هاهنا ؟ قال : منذ ثلثمائة سنة . قال : من أين مبيشتك ؟ قال : من ورق الشجر ، قال : فمن أين شرابك ؟ قال : من ماء العيون ، قال : فأين تكون في الشتاء ؟ قال : تحت هذا الجبل ، قال : فكيف صبرك على العبادة ؟ قال : وكيف لا أصبر وإنما هو يرمي إلى الليل ، وأما أس فقد مضى بما فيه ، وأما غد فلم يأت بهد . قال : فوجب النبي من قوله : إنما هو

وي إلى الليل . وبهذا الاسناد أن رجلاً من العباد قال لمدني : قطعه ، الهوى فقلت أهوى من الدنيا شيئاً . فقال له مدني : أفرق بين النساء والدياب إذا رأيتن مما ؟ قال : نعم ، قال أفرق بين الدنانير والدرهم والحصا ؟ قال نعم ، قال : يا بني إنك لم تقطع الهوى عنك ولكنك قد أوثقت فاحذر انقلابه .

وقال غوث بن جابر بن غيلان بن منبه : حدثني هذيل بن معقل عن وهب قال : اعمل في نواحي الدين الثلاث ، فإن الدين نواحي ثلاثا ، من جماع الأعمال الصالحة إن أراد جمع الصالحات « أولاهن » تعمل شكرآ لله على الأنعم الكثيرات المناديات الراتحات ، المظاهرات الباطنات ، الحادثات التذبات ، يعمل المؤمن شكرآ لمن ورجاء تمامين « والناحية الثانية من الدين » رغبة في الجنة التي ليس لها من ولا ليس لها مثل ، ولا يزهد فيها وفي العمل لها إلا سفيه فاجر ، أو منافق كافر « والناحية الثالثة من الدين » أن يعمل المؤمن فراراً من النار التي ليس لأحد عليها صبر ، ولا لأحد بها طاقة ولا يدان ، وايست هيبتها كالمصيبات ، ولا حزن أهلها كالأحزان ، نبأها عظيم ، وشأنها شديد ، والآخرة وحزنها فظيع ، ولا ينفل عن الفرار والله يذيقها منها إلا سفيه أحمق خاسر ، [ قد يخسر الدنيا ذلك هو الغسران المبين ] .

وقال إسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الملك بن محمد الدمادي قال أخبرني محمد بن سعيد بن رمانة قال أخبرني أبي قال قيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بل ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فمن أوى الباب بمفتاح بأسنانه فتح له ، ومن لم يأت الباب بمفتاح بأسنانه لم يفتح له . وقال محمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهباً يقول : ركب ابن ذلك في جند من قومه وهو شاب ، فصرع عن فرسه فشق عنقه فمات في أرض قريبة من القرية ، فنضب أبوه وحلف أن يقتل أهل تلك القرية عن آخرهم ، وأن يطامم بالأفيال ، فسا أبتت الأفيال وطنته الخليل ، فسا أبتت الخليل وطنته الرجال ، فتوجه إليهم بمد أن سقى الأفيال والليل الحرق قال : طامم بالأفيال ، وإلا فما أبتت الأفيال فلنطأ الخليل ، فما أخطأته الخليل فلنطأه الرجال فلما سمع بذلك أهل تلك القرية وعرفوا أنه قد قصدم قتلهم ، خرجوا بأجمعهم فجاروا إلى الله سبحانه وهجوا إليه وابتهلوا يدهونه تسأل ليكشف عنهم شر هذا الملك الظالم ، وما نضده من هلاكهم . فبينما الملك وجيشه سائرون على ذلك ، وأهل القرية في الأبهال والدماء والتضرع إلى الله تعالى ، إذ نزل فارس من السماء فوقع بينهم ، فنفرت الأفيال فطفت على الخليل وطنت على الرجال ، قتل الملك ومن معه وطامم بالأفيال والليل ، ونهى الله أهل تلك القرية من بأسهم وشرهم .

وردى عبد الرزاق عن المنصور بن النعمان أنه سمع وهباً يقول : قال الله تعالى لصخرة بيت

القدس : لأضنّ عليك عرشى ، ولأحشرن عليك خلقى ، وليأتينك داود يومئذ راكباً . وروى  
سماك بن المفضل عن وهب قال : إني لأتفقد أخلاق وما فيها شيئاً يعجبني . وروى عبد الرزاق عن  
أبيه قال وهب : ربما صليت الصبح بوضوء العتمة . وقال ببيعة بن الوليد : حدثنا زيد بن خالد  
عن خالد بن معدان عن وهب قال : كان نوح عليه السلام من أجل أهل زمانه ، وكان يلبس البرقع  
فأصابهم مجاعة في السفينة ، فكان نوح إذا تجلّى لهم شبعوا . وقال قال عيسى : الحق أقول لكم :  
إن أشدكم جزاعاً على المصيبة أشدكم حبالاً للدينا . وقال جعفر بن برقان : بلغنا أن وهباً كان يقول :  
طوبى لمن نظر في عيبه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة ، ورحم أهل الذل  
والمسكنة ، وتصدق بمن مال جمعه من غير معصية ، وجالس أهل العلم والحلم والحكمة ، ووسمته السنة  
ولم يتمدها إلى البدعة . وروى سيار عن جعفر عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال : وجدت  
في زبور داود : يا داود هل تدري من أسرع الناس مرّاً على الصراط ؟ الذين يرضون بحمكى ،  
وألستهم رطبة بذكركى . وقيل إن عابداً عبد الله تعالى خمسين سنة فأوحى الله إلى نبيه : إني قد  
غفرت له ، فأخبره ذلك النبي ، فقال : أى رب ، وأى ذنب تغفركى ؟ فأمر عرقاً في عنقه فضرب  
عليه ، فلم ينم ولم يهدأ ولم يصل ليلته ، ثم سكن العرق ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : ما لاقيت  
من عرق ضرب على في عنقك ثم سكن . فقال له النبي : إن الله يقول : إن عبادك خمسين سنة  
ما تعدل سكون هذا العرق . وقال وهب : رهوس النعم ثلاثة « إحداها » نعمة الاسلام التي لا تتم  
نعمة إلا بها . « والثانية » نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها . « والثالثة » نعمة الغنى التي  
لا يتم العيش إلا بها . ومر وهب بمبتلى أعمى مجنون مقعد عريان به وضوح وهو يقول : الحمد لله على  
نعمه ، فقال له رجل كان مع وهب : أى شيء بقى عليك من النعمة تحمد الله عليه ؟ فقال المبتلى : آدم  
بصرك إلى أهل المدينة وانظر إلى كثرة أهلها ، أولاً أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيرى .  
وقال وهب : المؤمن يخالط ليعلم ، ويسكت ليعلم ، ويتكلم ليفقههم ، ويخلو ليقيم . وقال : المؤمن مفكر  
مذكر مدخر ، تذكركم ليلته السكينة ، سكن فتواضع فلم يتهم ، رفض الشهوات فصاحراً ، ألقى عنه  
الحسد فظهرت له المحبة ، زهد في كل فان فاستكمل العقل ، رغب في كل باق فعقل المعرفة ، قلبه  
متعلق بهمه ، وهمه موكل بمعاده ، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا ، بل حزنه عليه سرمد ، وفرحه إذا  
نامت العيون يتلو كتاب الله ويردده على قلبه ، فرة يفرغ قلبه ومرة تدمع عينه ، يقطع عنه الليل  
بالتلاوة ، ويقطع عنه النهار بالخلة والعزلة ، مفكراً في ذنوبه ، مستصغراً لأعماله . وقال وهب : فهذا  
ينادي يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رهوس الخلائق : يا قوم أيها الكريم فادخل الجنة .  
وقال إبراهيم بن سعيد عن عبد الرحمن بن مسعود عن ثور بن يزيد . قال قال وهب بن منبه :



الويل لكم إذا سماكم الناس صالحين ، وأكرمكم على ذلك . وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا همام بن سلمة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن معقل بن منبه قال : سمعت عمي وهب بن منبه يقول : يا بني ! اخلص نطاعة الله بسريرة ناصحة يصدق بها ففلك في العالانية ، فان من فعل خيرا ثم أسره إلى الله فقد أصاب مواضعه ، وأبلغه قراره ، ووضع عند حافظه وإن من أسر عملا صالحا لم يطلع عليه إلا الله ، فقد أطلع عليه من هو حسبه ، واستحفظه واستودعه حفيظا لا يضيع أجره ، فلا تخافن يا بني على من عمل صالحا أسره إلى الله عز وجل ضياعا ، ولا تخافن ظلمة ولا هزيمة ، ولا تظان أن العالانية هي أنجح من السريرة ، فان مثل العالانية مع السريرة كمثل ورق الشجرة مع عرقها ، العالانية ورقها والسريرة أصلها ، إن يحرق العرق هلكت الشجرة كلها ، وإن صلح الأصل صلحت الشجرة ، ثمها وورقها ، والورق يأتي عليه حين يجف ويصير هباء تذرؤه الرياح ، بخلاف العرق ، فإنه لا يزال ماطهر من الشجرة في خير وعافية ما كان عرقها مستخفيا لا يرى منه شيء ، كذلك الدين والعلم والعمل ، لا يزال صالحا ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها عالانية العبد ، فان العالانية تنفع مع السريرة الصالحة ، ولا تنفع العالانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها ، وإن كان حياته من قبل عرقها ، فان فرعها زينتها وجمالها ، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين ، فان العالانية معها تزين الدين وتجمله إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضاه ربّه عز وجل .

وقال الهيثم بن جميل : حدثنا صالح المري عن أبان عن وهب قال : قرأت في الحكمة : الكفر أربعة أركان ، ركن منه الغضب ، وركن منه الشهوة ، وركن منه الطمع ، وركن منه الخوف . وقال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إذا دعوتني فكن خائفا مشقفا وجلا ، وعفر خدك بالتراب ، واسجد لي بمكارم وجهك ويديك ، وسلني حين تسألني بخشية من قلبك ووجل ، واخشني أيام الحياة ، وعلم الجهال آلائي ، وقل لعبادي لا يتهدوا في غي مام فيه فان أخذني ألبم شديد . وقال وهب : إذا هم الوالي بالبور أو عمل به دخل النقص على أهل مملكته ، وقلت البركات في التجارات والزراعات والضرع والمواشي ، ودخل الحق في ذلك ، وأدخل الله عليه الذل في ذاته وفي ملكه . وإذا هم بالعدل والخير كان عكس ذلك ، من كثرة الخيرات وهو البركات . وقال وهب : كان في مصحف إبراهيم عليه السلام أيها الملك المبتي ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولا لتبني البنيان ، وإنما بعثتك لترفع لي دعوة المظلوم فاني لأردها ولو كانت من كافر .

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بال ملتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة ؟ قال : من قبل أنا لا نخدع ولا نفتاب بعضنا بعضا . وروى

ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : ثلاث من كن فيه أصاب البر ، سخاوة النفس ، والصبر على الأذى ، وطيب الكلام . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم عن سلمة بن ميمون عن المعافى بن عمران عن إدريس قال : سمعت وهبا يقول : كان في بني إسرائيل رجالان بلغت بهما عبادتهما أنهما مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر إذاهما برجل يمشى في الهواء ، فقالا له : يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة ؟ قال : بيسير من البر فعلته ، ويسير من الشر تركته ، فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لساني عما لا يمتني ، ورغبت فيما دعاني إليه خالتي ، ولزمت الصمت فإن أقسمت على الله عز وجل أبرقمتي ، وإن سألته أعطاني . وقال : حدثني أبو العباس البصري الأزدي عن شيخ بن الأزدي . قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : علمني شيئا ينفعني الله به ، قال : أكثر من ذكر الموت ، واقصر أملك ، وخصلة ثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى ، وظفرت بالعبادة الكبرى قال : وما هي ؟ قال : التوكل .  
ومن توفى فيها من الأعيان

#### سليمان بن سعد

كان جميلا فصيحاً عالماً بالعبادة ، وكان يعلمها الناس هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، وتوفى صالح بعده بقليل ، وكان صالح فصيحاً جميلاً عارفاً بكتابة الديوان ، وبه يخرج أهل العراق من كتابة الديوان وقد ولاة سليمان بن عبد الملك خراج العراق .

#### أم الهليل

لها روايات كثيرة ، وقد قرأت القرآن وعمرها اثنتي عشر سنة ، وكانت قهبة عالة ، من خيار النساء ، عاشت سبعين سنة .

#### عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمي

أمها أم كلثوم بنت أبي بكر ، تزوجت بآب بن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بعده بمصعب بن الزبير ، وأصدقها مائة ألف دينار ، وكانت بارعة الجمال ، عظيمة الحسن لم يكن في زمانها أجمل منها . توفيت بالمدينة

#### عبد الله بن سعيد بن جبير

له روايات كثيرة ، وكان من أفضل أهل زمانه ،

#### عبد الرحمن بن أبان

ابن عثمان بن عفان . له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة

### ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة

ففيها غزى معاوية بن هشام الصائفة اليسرى<sup>(١)</sup> ، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى<sup>(٢)</sup> ، حتى بلغ قيسارية من بلاد الروم . وفيها عزل هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلمي عن إمرة خراسان وولى عليها الجنيد بن عبد الرحمن ، فلما قدم خراسان تلقته خيول الأتراك منزهين من المسلمين ، وهو في سبعة آلاف فتصافوا واقتتلوا قتالا شديداً ، وطعموا فيه وفيمن معه لقتلهم بالنسبة إليهم ، ومعهم ملكهم خاقان ، وكاد الجنيد أن يهلك ، ثم أظفره الله بهم فهزمهم هزيمة منكرة ، وأسر ابن أخى ملكهم ، وبعث به إلى الخليفة . وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام الخزومي ، وهو أمير الحرمين والطائف ، وأمير العراق خالد البصري ، وأمير خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المري .

### ثم دخلت سنة ثني عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح حصوناً من ناحية ملاطية . وفيها سارت الترك من اللان فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكى فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان ، فاقتتلوا قبل أن يتكامل إليه جيشه ، فاستشهد الجراح رحمه الله وجماعة معه بمرج أردبيل ، وأخذ العدو أردبيل . فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الجرشي بجيش وأمره بالاسراع إليهم ، فلحق الترك وهم يسيرون بأسارى المسلمين نحو ملكهم خاقان ، فاستنقذ منهم الأسارى ومن كان معهم من نساء المسلمين ، ومن أهل الذمة أيضاً ، وقتل من الترك مقتلة عظيمة جداً ، وأسر منهم خلقاً كثيراً فقتلهم صبراً ، وشفى ما كان تغلبت من القلوب ، ولم يكتف الخليفة بذلك حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك ، فسار إليهم في برد شديد وشتاء عظيم ، فوصل إلى باب الأبواب واستخلف عنه أميراً وسار هو بن معه في طلب الأتراك وملكهم خاقان ، وكان من أمره ما سنده . ونهض أمير خراسان في طلب الأتراك أيضاً في جيش كثيف ، فوصل إلى نهر بلخ ووجه إليهم سرية ثمانية عشر ألفاً ، وأخرى عشرة آلاف بينة ويسرة ، وجاشت الترك وجيشت ، فأتوا سمرقند فكتب أميرها إليه يملمه بهم ، وأنه لا يقدر على صون سمرقند منهم ، ومعهم ملكهم الاعظم خاقان ، فالغوث الذوث . فسار الجنيد مسرعاً في جيش كثيف هو نحو سمرقند حتى وصل إلى شنب سمرقند وبقى بينه وبينها أربعة فراسخ ، فصبحه خاقان في جمع عظيم ، لحمل خاقان على مقدمة الجنيد فانحازوا إلى المسكر والترك تتبعهم من كل جانب ، فترامى الجمعان والمسلمون يتغدون ولا يشعرون بالتهزم مقدمتهم وأحياها إليهم ، فهضوا إلى السلاح واصطفوا على منازلهم ، وذلك في مجال واسع ، ومكان بارز ، فالتقوا وحملت الترك على يمينه المسلمين وفيها بنو تميم والأزد ، فقتل منهم ومن غيرهم خلق

(١) أي البلاد الواقعة في ساحل بلاد الأناضول (٢) أي بر الأناضول من جهة البلاد الداخلية

كثير ، ممن أراد الله كرامته بالشهادة ، وقد برز بعض شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك فتمثلهم ، فناداه منادى خاقان : إن صرت إلينا يجعلناك من يرقص الصنم الأعظم فتمبذك ، فقال : وبحكم ، إنما أقاتلكم على أن تمبدوا الله وحده لا شريك له ، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ثم تناهى المسلمون وتداعت الأبطال والشجعان من كل مكان ، وصبروا وصابروا ، وحلوا على الترك حملة رجل واحد ، فهزهم الله عز وجل ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم عطفت الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقاً حتى لم يبق سوى ألفين ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل يومئذ سودة بن أبيجر واستأسروا من المسلمين جماعة كثيرة فحماهم إلى الملك خاقان فأمر بقتلهم عن آخرهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وهذه الوقعة يقال لها وقعة الشهبير . وقد بسطها ابن جرير جداً . ومن توفى فيها من الأعيان :

#### رجاء بن حيوة الكندي

أبو المقدم ، ويقال أبو نصر ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر ، ثقة فاضل ضادل ، وزير صدق للخلفاء بني أمية ، وكان مكحول إذا سئل يقول : سأولم شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه في الرواية ، وله روايات وكلام حسن رحمه الله .

#### شهر بن حوشب الأشعري المحصي

ويقال إنه دمشقي ، تابعي جليل ، روى عن مولاته أسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها ، وحدث عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وكان عالماً عابداً ناسكاً ، لكن تكلم فيه جماعة بسبب أخذه خريطة من بيت المال بغير إذن ولي الأمر ، فمأبوه وشكروه عرضة ، وتركوا حديثه وأشدوا فيه الشعر ، منهم شعبة وغيره ، ويقال إنه سرق غيرها فأنه أعلم . وقد وثقه جماعات آخرون وقبلوا روايته وأثروا عليه وعلى عبادته ودينه واجتهاده ، وقالوا : لا يقدح في روايته ما أخذه من بيت المال إن صح عنه ، وقد كان والياعليه متصرفاً فيه فأنه أعلم . قال الواقدي : توفى شهر في هذه السنة - أعني سنة اثنتي عشرة ومائة وقيل قبلها بسنة وقيل سنة مائة فأنه أعلم . ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش ، وفيها صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان وانتشروا فيها ، وقد أخذ أميرم رجلاً منهم فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك . وفيها غل مسلمة بن عبيد الملك في بلاد الترك فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودانت له تلك الممالك من ناحية بلنجبر وأعمالها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هاشم الخزرجي ، فأنه أعلم . ونواب البلاد المذكورون في التي قبلها . ومن توفى فيها من الأعيان قال ابن جرير : فيها كان مهلك

#### الأمير عبد الوهاب بن بخت

وهو مع البطل عبد الله بأرض الروم قتل شهيداً وهذه ترجمته

هو عبد الوهاب بن بخت أبو عبيدة ويقال أبو بكر ، مولى آل مروان مكي ، سكن الشام ثم تحول إلى المدينة ، روى عن ابن عمر وأنس وأبي هريرة وجماعة من التابعين . وعنه خلق منهم أبو بوب ومالك ابن أنس ويحيى بن سعيد الأنصاري وعبيد الله العمري ، حديثه عن أنس مرفوعاً « نصر الله امرأ سمع مقالتي هذه فوعاها ثم بلغها غيره ، فرب حامل نقسه إلى من هو أقره منه ، ثلاث لا يغفل عليهن صدر مؤمن ، إخلاص العمل لله ، ومناصحة أدي الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، كأن دعوتهم تحيط من ورائهم » . وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة ثم لقيه فليسلم عليه » . وقد وثق عبد الوهاب هذا جماعة من أئمة العلماء . وقال مالك : كان كثير الحج والعمرة والغزوة حتى استشهد ولم يكن أحق بما في رحله من رفاقه ، وكان ممحاً جواداً ، استشهد ببلاذ الروم مع الأمير أبي محمد عبد الله البطال ، ودفن هناك رحمه الله . توفي في هذه السنة فله خليفة وغيره ، وذلك أنه لقي العدو ففر بهض المسلمين ، فحمل ينادى ويركض فرسه نحو العدو : أن هلموا إلى الجنة ، ويحكم أفراراً من الجنة ؟ أتفرون من الجنة ؟ إلى أين ويحكم لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء ؟ ثم قاتل حتى قتل رحمه الله .

### مكحول الشامي

ثابت بن جابر القدر ، إمام أهل الشام في زمانه ، وكان مولى لامرأة من هذيل ، وقيل مولى امرأة من آل سعيد بن العاص ، وكان نوبياً ، وقيل من سبي كابل ، وقيل كان من الأبناء من سلالة الأكسرة وقد ذكرنا نسبه في كتابنا التكميل . وقال محمد بن إسحاق : سمعته يقول : طفت الأرض كلها في طلب العلم : وقال الزهري : العلماء أربعة ، سعيد بن المسيب بالحجاز ، والحسن البصري بالبصرة ، والشامي بالسكوفة ، ومكحول بالشام . وقال بعضهم : كان لا يستطيع أن يقول قل ، وإنما يقول كل وكان له وجهة عند الناس ، مهما أمر به من شيء يفعل . وقال سعيد بن عبد العزيز : كان أقره أهل الشام ، وكان أقره من الزهري . وقال غير واحد : توفي في هذه السنة ، وقيل بعدها فأنه أعلم :

[ مكحول الشامي هو ابن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم شهزاب بن شاذل . كذا نقلته من خط عبد الهادي ، وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زيد في عقله . وقال مكحول في قوله تعالى ( ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ) قال : بارد الشراب ، وظلال المساكين وشعب البطون ، واعتدال الخلق ، ولذاذة النوم . وقال : إذا وضع المجاهدون أقتلهم عن دوابهم أتتها الملائكة ، فسحبت ظهورها ودعت لها بالبركة ، إلا دابة في عنقها جرس ] (١) .

(١) زيادة من المصرية .

### ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وعلى اليمنى سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام : وفيها التقى عبد الله البطل وملك الروم المسمى فيهم قسطنطين ، وهو ابن هرقل الأول الذي كتب إليه النبي (ص) ، فأسره البطل ، فأرسله إلى سليمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه . وفيها عزل هشام عن إمرة مكة والمدينة والباقيات إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وولى عليها أخاه محمد بن هشام فنجح بالناس في هذه السنة في قول ، وقال الواقدي وأبو معشر : إنما حجج بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان والله أعلم . وعن توفى فيها من الأعيان :

#### عطاه بن أبي رباح

الغهمي مولاهم أبو محمد المسكي ، أحد كبار التابعين الثقات الرفعاء ، يقال إنه أدرك مائتي صحابي وقال ابن سعد : سمعت بعض أهل العلم يقول : كان عطاه أسود أعور أفتس أشل أعرج ، ثم عمى بعد ذلك ، وكان ثقة تقيها علما لكثير الحديث ، وقال أبو جعفر الباقر وغير واحد : ما بقي أحد في زمانه أعلم بالمناسك منه ، وزاد بعضهم ، وكان قد حج سبعمائة حجة ، وجرم مائة سنة ، وكان في آخر عمره يفطر في رمضان من السكر والضمف ويفدى عن إفطاره ، ويتأول الآية [ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ] وكان ينادى منادى بنى أمية في أيام منى : لا يفتي الناس في الحج إلا عطاه بن أبي رباح ، وقال أبو جعفر الباقر : ما رأيت فمين لقيت أفتقه منه ، وقال الأوزاعي : مات عطاه يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عندهم . وقال ابن جرير : كان في المسجد فراش عطاه عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس به صلاة . وقال قتادة : كان سعيد بن المسيب والحسن وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأمصار . وقال عطاه إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأنني لم أكن سمعته ، وقد سمعته قبل أن يولد ، فأريه أني إنما سمعته الآن منه . وفي رواية : أنا أحفظ منه له فأريه أني لم أسمعه . الجمهور على أنه مات في هذه السنة رحمه الله تعالى والله أعلم .

#### فضائله

أسند أبو محمد عطاه بن أبي رباح - واسم أبي رباح أسلم - عن عدد كثير من الصحابة ، منهم ابن عمر وابن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو هريرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو سعيد . وسمع من ابن عباس التفسير وغيره . وروى عنه من التابعين عدة ، منهم الزهري ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير ، وقتادة ، ويحيى بن كثير ، ومالك بن دينار ، وحبيب بن أبي ثابت ، والأعمش ، وأيوب السخيتي ، وغيرهم من الأئمة والأعلام كثير . قال أبو هريرة : سمعت عطاه بن أبي رباح يقول :

من مجلس مجلس ذكر كفر الله منه بذلك المجلس عشر مجالس من مجالس الباطل . قال أبو هريرة  
قلت لعطاء : ما مجلس الذكر ؟ قال : مجالس الحلال والحرام ، كيف تصلى ، كيف تصوم ، كيف  
تسبح وتطلق وتبسط وتشتري .

وقال العبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة الصنعاني .  
قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في قوله تعالى : [ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في  
الأرض ولا يصلحون ] قال : كانوا يقرضون الدرهم ، قيسل كانوا يقهون منها ويقطعونها . وقال  
الثوري عن عبد الله بن الوليد - يعني الوصافي - قال : قلت لعطاء : ما ترى في صاحب قلم إن هو  
كتب به طاش هو وعياله في سمة ، وإن هو تركه انتقر ؟ قال : من الرأس ؟ قلت القسري لخالد .  
قال عطاء : قال العبد الصالح : [ رب بما أنهت هل فإن أكون ظهيراً للمجرمين ] . وقال : أفضل  
ما أوتي العباد العقل عن الله وهو الدين . وقال عطاء : ما قال العبد : يا رب ، يا رب ، ثلاث مرات  
إلا نظر الله إليه ، قال : فذكرت ذلك لحسن فقال : أمانتكم القرآن [ ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي  
للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاعفوا لنا ذنوبنا وكفرنا عما سئنا ] إلى قوله : [ فاستجاب  
لهم ربهم ] الآيات .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عبد الله السلمي حدثنا ضمرة عن عمر بن الورد قال  
قال عطاء : إن استطلعت أن تخلو بنفسك عشية عرابة فافعل . وقال سميد بن سلام البصري : سمعت  
أبا حنيفة النعمان يقول : قبيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل  
الكوفة . قال : أنت من أهل القرية الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم . قال : فمن أي  
الأصناف أنت ؟ قلت : من لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً من أهل القبلة بدين :  
فقال عطاء : هزئت فلام . وقال عطاء : ما اجتمعت عليه الأمة أقوى عندنا من الاسناد . وقيل  
لعطاء : إن هاهنا قوما يقولون : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فقال : [ والذين اعتدوا زادهم هدى ]  
فأهذا الهدى الذي زادهم ؟ قلت : وبزعمهم أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله ، فقال : قال تعالى :  
[ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ]  
لجمل ذلك ديننا . وقال يعلى بن عبيد : دخلنا على محمد بن سروة فقال : ألا أحدنكم بحديث لله أن  
ينفمكم ، فإنه نفسي ، قال لي عطاء بن أبي رباح : يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول  
الكلام ، وكانوا يمدون فضول الكلام [ إنما ] ما عدا كتاب الله أن يقرأ ، وأسرهم ورف أو نهى عن  
منكر ، أو ينطق العبد بهاجته في مدينته التي لا بد له منها ، أتسكرون : [ وإن عليكم لحافظين كراما  
كاتبين ] و : [ عن الذين وعن الشهل لسيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ] أما يستحي أحدكم

لنشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره فرأى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ .  
 وقال : إذا أنت خفت الحر من الليل فاقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .  
 وروى الطبراني وغيره أن الحلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس ، فلما مات ابن عباس  
 كانت لعطاء بن أبي رباح . وروى عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن الفضل بن دكين عن سفيان عن  
 سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحداً يطلب بعمله ما عند الله تعالى إلا ثلاثة ، عطاء ، وطارس ،  
 ومجاهد . وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط ،  
 وما رأيت على عطاء قبصا قط ، ولا رأيت عليه ثوبا يساوي خمسة دراهم . وقال أبو بلال الأشغري :  
 حدثنا قيس عن عبد الملك بن جريج عن عطاء : أن يعلى بن أمية كانت له محبة ، وكان يقعد في  
 المسجد ساعة ينوي فيها الاعتكاف . وروى الأوزاعي عن عطاء قال : إن كانت فاطمة بنت رسول  
 الله (ص) لتحنن ، وإن كانت قصتها لتضرب بالجفنة . وعن الأوزاعي عنه قال : [ ولا تأخذكم بهما  
 رافة في دين الله ] قال : ذلك في إقامة الحد عليهما .

وقال الأوزاعي : كنت باليمامة وعليها رجل وال يتحنن الناس من أصحاب رسول الله (ص) ،  
 إنه منافق وما هو بمؤمن ، ويأخذ عليهم بالطلاق والعتاق أن يسمى المسرى منافقا وما يسميه مؤمنا ،  
 فأطاعوه على ذلك وجعلوه له ، قال : فلقيت عطاء فيما بعد فسألته عن ذلك فقال : ما أرى بذلك بأسا  
 يقول الله تعالى : [ إلا أن تتقوا منهم تقاة ] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت  
 فإذا تكلم تخيل الينا أنه يؤيد . وقال في قوله تعالى : [ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ] قال :  
 لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله تعالى التي افترضها عليهم أن يؤدوها في أوقاتها  
 وأوائلها . وقال ابن جرير : رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائمه : اسكوا احفظوا عني خمسا :  
 القدر خير ، وشرة ، حلوه ومره من الله عز وجل ، وليس للمعاد فيه مشيئة ولا تفويض . وأهل قبلتنا  
 مؤمنون حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقها . وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال والسلاح ، والشهادة  
 على الخوارج بالضلالة . وقال ابن عمر : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح .

وقال معاذ بن سعد : كنت جالسا عند عطاء فحدث بحديث ، ففرض رجل له في حديثه فضرب  
 عطاء وقال : ما هنه الأخلاق ؟ وما هنه الطبائع ؟ والله إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه  
 فأريه أنى لأحسن شيئا منه . وكان عطاء يقول : لأن أرى في بيتي شيطانا خيرا من أن أرى فيه  
 وسادة ، لأنها تدهو إلى النوم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن هلى بن المديني عن يحيى بن سميد  
 عن ابن جرير قال : كان عطاء بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة





قال أبو بلال الأشعري: حدثنا محمد بن مروان عن ثابت عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى: [أولئك يجزون الغرفة بما صبروا] قال: الغرفة الجنة بما صبروا على الفقر في الدنيا. وقال عبد السلام بن حرب عن زيد بن خيثمة عن أبي جعفر قال: الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذكور. قالت: وقد روى نحو هذا عن ابن عباس قال: لو نزل من السماء صواعق عدد النجوم لم تصب الذكور. وقال جابر الجعفي: قال لي محمد بن علي: يا جابر إني المحزون، وإني لمشتغل القلب. قلت: وما حزنك وشغل قلبك؟ قال: يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغله عما سواه، يا جابر بما الدنيا؟ وما عسى أن تكون؟ هل هي إلا مركبا ركبتة؟ أو ثوبا لبسته؟ أو امرأة أصبتها؟ يا جابر إني المؤمن لم يطمئنتوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصممهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الأبرار. إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة، وأكثرم لك معونة، إن نسيت ذكر وك، وإن ذكرت أعانوك، قولين بحق الله، قوامين بأمر الله، قطعوا المحبة بهم عز وجل، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم، وعلموا أن ذلك من أمر خالقهم، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها عليكم كمنزل نزوله ثم ارتحلوا عنه وتركوه، وكما أصبته في منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شيء، فاحفظ الله فيها استرعاك من دينه وحكته.

وقال خالد بن يزيد: سمعت محمد بن علي يقول: قال عمر بن الخطاب: إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص. وكان أبو جعفر يصلي كل يوم وليلة بالمكتوبة. وروى ابن أبي الدنيا عنه قال: سلاح اللثام قبيح الكلام. وروى أبو الأحوص عن منصور عنه قال: لسكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان. وقال لابنه: إياك والسكل والضجر فانهما مفتاح كل خبيثة، إنك إذا كسلت لم تؤد حقا، وإن ضجرت لم تصبر على حق. وقال: أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال، وإضافتك من نفسك، ومواساة الأخر في المال. وقال خلف بن حوشب: قال أبو جعفر: الأيمان ثابت في القلب، واليقين خطرات، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية، وما دخل قلب عبدا شيء من السكبر إلا نقص من عقله بقدرة أو أكثر منه.

وقال لجابر الجعفي: ما يقول فقهاء العراق في قوله تعالى: [لولا أن رأى برهان ربه]؟ قال: رأى يعقوب عاصاً على إبهامه. فقال: لا! حدثني أبي عن جدى علي بن أبي طالب أن البرهان الذي رآه أنها حين همت به وهم بها أى طمع فيها، قامت إلى صنم لها مكال بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض خشية أن يراها، أو استحياها منه. فقال لها يوسف: ما هذا؟ فقالت إلهى أستحي

منه أن برأى على هذه الصورة . فقال يوسف : تستحين من صنم لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، أفلا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ثم قال : والله لا تتنالين مني أبدا . فهو البرهان . وقال بشر بن الحارث الخافي : سمعت سفينان الثوري يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعت محمد بن علي يقول : الفنى والعز يجولان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أوطناه . وقال : إن الله يلقى في قلوب شيعتنا الرعب ، فإذا قام قائمنا ، وظهر مديننا كان الرجل منهم أجراً من ليث وأمضى من سيف . وقال : شيعتنا من أطاع الله عز وجل واتقاه . وقال : إياكم والخصومة فانها تفسد القلب ، وتورث النفاق ، وقال : [ الذين يخوضون في آيات الله ] هم أصحاب الخصومات .

وقال عروة بن عبد الله : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال : لا بأس به ، قد حلّى أبو بكر الصديق سيفه . قال : قلت : وتقول الصديق ؟ قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ! بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا ويقنأولون أبا بكر وعمر ويزعمون أني أسرتهم بذلك ، فأبلغهم عنى أني إلى الله منهم برئ ، والذي نفس محمد بيده - يعني نفسه - لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم ، لآلأتني شفاعته محمد بن علي . إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله لنافلون عن فضلهما وسابقتهما ، فأبلغهم أني برئ منهم ومن تبرأ من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما . وقال : من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة . وقال في قوله تعالى : [ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ] الآية ، قال : هم أصحاب محمد بن علي . قال : قلت : يقولون : هو علي قال : علي من أصحاب محمد بن علي .

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ، قال : رأيت الحكم عنده كأنه متعلم ، وقال : كان لي أخ في عيني عظيم ، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، وقال جعفر بن محمد : ذهبت بغلة أبي فقال : لئن ردها الله علي لأجندنه بمحامد يرضاه ، فما كان بأسرع من أن أتى بها بنسرجها لم يفقد منها شيء ، فقام فركبها ، فلما استوى عليها وجع إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله ، لم يزد علي ذلك ، فقيل له في ذلك ، فقال : فهل تركت أو أبقيت شيئاً ؟ جعلت الحمد كله لله عز وجل . وقال عبد الله بن المبارك : قال محمد بن علي : من أعطى الخلق والرفق فقد أعطى الخليل والراحة ، وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حرهما كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية ، إلا من عصمه الله . وقال : أينخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريه تاماً إلا قال : فلستم إخواناً كما تزعمون ، وقال : اعرف ، ودة أخيك لك بماله في قلبك من المودة

فان القلوب تنكافأ . وسمع عصفير يصحن فقال : أتدرى ماذا يقطن ؟ قلت : لا ! قال : يسبلن الله ويسألنه رزقهن يوما بيوم . وقال : تدعو الله بما تحب ، وإذا وقع الذي تكره لم تخالف الله عز وجل فيما أحب .

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل . وما يدفع القضاء إلا الدعاء . وإن أسرع الخير ثوابا البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع أن يفعله ، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه . وأن يؤذى جلسه بما لا يعنيه . هذه كلمات جوامع موانع لا ينبغي إماقل أن يفعلها . وقال القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق . وقال أبو جعفر : صحب عمر بن الخطاب رجلا إلى مكة فمات في الطريق ، فاحتبس عليه عمر حتى صلى عليه ودفنه ، فقل يوم إلا كان عمر يتمثل بهذا البيت :

وبالغ أمرٍ كان يأملُ دونهُ \* ومختلجٌ من دونٍ ما كان يأملُ

وقال أبو جعفر : والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد . وقال : ما اغرو رقت عين عبد بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار ، فان سألت على الخدين لم يرهق وجهه قطر ولا ذلعة ، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ، ولو أن با كيا بكى من خشية الله في أمة رحم الله تلك الأمة . وقال : بئس الأخ أخ يراك غنياً ويقطملك فقيراً . قلت : البيت الذي كان يتمثل به قبله بيتان وهو ثالثهما ، وهذه الأبيات تتضمن حكما وزهدا في الدنيا قال :

لقد غرث الدنيا رجلا فأصبحوا \* بمنزلة ما بعدها متحول

فساخطُ أمر لا يبدلُ غيره \* وراضٍ بأمرٍ غيره سيبطلُ

وبالغ أمرٍ كان يأملُ دونهُ \* ومختلجٌ من دونٍ ما كان يأملُ (١)

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة ، وفيها وقع طاعون عظيم بالشام والعراق ، وكان معظم ذلك في واسط . وفي الحرم منها توفى الجنيد بن عبد الرحمن المري أمير خراسان من مرض أصابه في بطنه ، وكان قد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فتغضب عليه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله على خراسان ، وقال له : إن أدركته قبل أن يموت فأزهق روحه . فاقدم عاصم بن عبد الله خراسان حتى مات الجنيد في الحرم منها بمرو ، وقال فيه أبو الجيرير عيسى بن عصمة يرميه :

هلك الجود والجنيد جيما \* فلى الجود والجنيد السلام

(١) زيادة من المصرية .

أصبحتاويين في بطن مرو • ما تفتى على النصوص الحام  
 كنتا زهة الكرام فلما • مت مات الندى ومات الكرام

ولما قدم عاصم خراسان أخذ نواب الجنيد بالضرب البليغ وأنواع العقوبات ، وعسفهم في المصادر والجنائيات ، فخرج عن طاعته الحارث بن شريح فبارزه بالحرب ، وجرت بينهما أمور يطول ذكرها ، ثم آل الأمر إلى أن انكسر الحارث بن شريح وظهر عاصم عليه . قال الواقدي : وفيها حج بالناس الوليد بن يزيد وهو ولي الأمر من بعد عمه هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام . وفيها بعث مروان بن محمد - وهو مروان الحمار - وهو على أرمينية بمئين ففتح حصونا من بلاد اللان ، ونزل كثير منهم على الايمان : وفيها عزل هشام عاصم بن عبد الله الهلالي الذي ولاه في السنة قبلها خراسان مكان الجنيد ، فعزله عنها وضمها إلى عبد الله بن خالد القسري مع العراق معادة اليه جريا على ما سبق له من العادة ، وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالي المعزول عنها ، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام : إن ولاية خراسان لا تصلح إلا مع ولاية العراق ، رجاء أن يضيفها إليه ، فانكس الأمر عليه فأجاب هشام إلى ذلك قبولا إلى نصيحته ، وأضافها إلى خالد القسري . وفيها توفي

قتادة بن دعامة السدوسي

أبو الخطاب البصري الأعمى ، أحد علماء التابعين ، والأئمة العاملين ، روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ، والبصري ، وأبو العالية ، وزرارة بن أوفى ، وعطاء ومجاهد ، ومحمد بن سيرين ، وسروق ، وأبو مجاز وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من السكبار كأبواب وحماد بن مسلمة ، وحسين الطويل ، وسعيد بن أبي عروبة ، والأعمش ، وشعبة ، والأوزاعي ، وسمر ، ومعمر ، وهمام . قال ابن المسيب : ماجاه في عراق أفضل منه . وقال بكر المزني : ما رأيت أحفظ منه . وقال محمد بن سيرين : هو من أحفظ الناس ، وقال مطر : كان قتادة إذا سمع الحديث يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه ، وقال الزهري : هو أعلم من مكحول . وقال معمور : ما رأيت أقمه من الزهري وحماد وقتادة . وقال قتادة : ما سمعت شيئا إلا وعاه قلبي . وقال أحمد بن حنبل : هو أحفظ أهل البصرة ، لا يسمع شيئا إلا حفظه . وقرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها . وذكر يوماً فأتى على علمه وقبه ومعرفة بالاختلاف والتفسير وغير ذلك ، وقال أبو حاتم : كانت وقاته بواسطة

في الطاعون - يعني في هذه السنة - وعمره ست أو سبع وخمسون سنة  
 [ قال قتادة : من وثق بالله كان الله معه ، ومن يكن الله معه تكن معه الفضة التي لا تغلب ،  
 والحارس الذي لا ينام ، والمهادى الذي لا يضل ، والعالم الذي لا ينسى . وقال : في الجنة كوة إلى النار  
 فيقولون : ما بال الأشقياء دخلوا النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديسكم ، فقالوا : إنا كنا نأمركم  
 ولا نأمر ، وننهاكم ولا ننهي . وقال : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح  
 دينه وصلاح الناس ، أفضل من عبادة حول كامل . وقال قتادة : لو كان يكتفي من العلم بشئ لا كتفى  
 موسى عليه السلام بما عنده ، ولكنه طلب الزيادة ] (١)  
 وفيها توفي : أبو الحباب سعيد بن يسار والأعرج ، وابن أبي مليكة ، وعبد الله بن أبي زكريا  
 الخزاعي ، وميمون بن مهران بن موسى بن وردان

### فضيلة الزهاد

فأما سعيد بن يسار فكان من العبادة الزهاد ، روى عن جماعة من الصحابة ، وكذلك الأعرج  
 وابن أبي مليكة . وأما ميمون بن مهران فهو من أجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وأئمتهم . كان  
 ميمون إمام أهل الجزيرة . روى الطبراني عنه أنه قيل له : مالك لا يفارقت أخ لك عن قلى ؟ قال :  
 لأنى لا أماريه ولا أشاربه . قال عمر بن ميمون : ما كان أبى يكثر الصلاة ولا الصيام ، ولكن كان  
 يكره أن يعصى الله عز وجل . وروى ابن أبي عدى عن يونس عنه قال : لا تمارين علما ولا جاهلا ،  
 فانك إن ماريت علما خزن عنك علمه ، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك . وقال عمر بن ميمون :  
 خرجت بأبى أقوده في بعض سكك البصرة ، فررنا بمجدول فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه ،  
 فاضطجعت له فر على ظهري ، ثم قت فأخذت بيده . ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب  
 فخرجت إلينا جارية سداسية ، فقالت : من هذا ؟ فقلت : هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن ،  
 فقالت : كاتب عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم ! قالت : يا شقى ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟  
 قال : فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقنا ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد إني  
 قد أنست من قلى غباظة فاستسكن لى منه ، فقرأ الحسن : [ أفرأيت إن تمنعنا سنين ثم جاءهم  
 ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنون ] فسقط الشيخ ومشيا عليه ، فرأيت يفضح برجليه  
 كما تنهص الشاة إذا ذبحت ، فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت : قد أتعبتهم الشيخ ، قوموا تفرقوا ،  
 فأخذت بيد أبى فخرجت فقلت : يا أبت أهذا هو الحسن ؟ قال : نعم . قلت : قد كنت أحسب في  
 (١) زيادة من المصرية .

ففسى أنه أكبر من هذا ، قال : فوكز في صدري وكزة ثم قال : يا بني لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألفيت لها فيه كلوما .

وروى الطبراني عنه أنه قال : ما أحب أنى أعطيت درهما في لحو وأن لى مكانه مائة ألف ، أخشى أن تصيبنى هذه الآفة : [ومن الناس من يشتري لحو الحديث لىضل عن سبيل الله] الآفة وقال جعفر بن بركان عن ميمون بن مهران قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فلما قت قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرا به لم يبق من الناس إلا مجاجة

وروى الامام أحمد عن معمر بن سليمان الرقى عن فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تلبون نفسك بهن : لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أهلها كتاب الله ، ولا تصنبن بسمك إلى ذى هوى طانك لا تدرى ما يملق بقلبك من هواه . وروى عبد الله بن أحمد عنه فى قوله تعالى : [إن جهنم كانت مرصادا] و [إن ربك لبالمرصاد] فقال : التمسوا هذين المرصدين جوازا . وفى قوله تعالى : [ولا تصحبوا الذين يفترون على الله الكفارات] فيها وعيد شديد للظالم ، وتمزية للمظلوم . وقال : لو أن أهل القرآن صأحوا لصلح الناس . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا عيسى بن سالم الشاشى حدثنا أبو المليلح قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : لا خير فى الدنيا إلا رجلين ، رجل تائب - أو قال : يتوب - من الخطيئات ، ورجل يعمل فى الدرجات ، فلا خير فى العيش والبقاء فى الدنيا إلا لهذين الرجلين ، رجل يعمل فى الكفارات ورجل يعمل فى الدرجات ، وبقاء ماسواهما وبأل عليه . وقال جعفر بن بركان : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن هذا القرآن قد خلق فى صدور كثير من الناس فالتمسوا ماسواه من الأحاديث ، وإن فىمن يتنبع هذا العلم قوما يتخذونه بضاعة ياتمس بها الدنيا ، ومنهم من يريد أن يمارى به ؛ وخيرهم من يتعلمه ويطبع الله عز وجل به . وقال : من اتبع القرآن قاده القرآن حتى يحل به الجنة ؛ ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن يتبعه حتى يقذفه فى النار .

وقال الامام أحمد : حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر بن بركان عن ميمون بن مهران قال : لا يسلم للرجل الحلال حتى يجمل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال . وقال ميمون : من كان يريد أن يعلم مامنزته عند الله فليتنظر فى عمله فانه تادم عليه كائنا ما كان . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن عثمان الحربى حدثنا أبو المليلح عن ميمون بن مهران . قال : نظر رجل من المهاجرين إلى رجل يصلى فأخفى الصلاة فعاتبه ، فقال : إنى ذكرت ضيعة لى . فقال : أ أكبر الضيعة أضمته . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا جعفر بن محمد الدسقى حدثنا أبو جعفر النبلى حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن عن طلحة بن زيد قال قال ميمون : لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه . وروى

عبد الله بن أحمد عنه أيضا قال : لأن أوتمن على بيت مال أحب إلى من أن أوتمن على امرأة .  
وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا هاشم بن الحارث حدثنا أبو المليح الرقي عن حبيب بن أبي مرزوق  
قال قال ميمون : وددت أن إحدى عيني ذهبت وبقيت الأخرى أتمتع بها ، وأنى لم آل عملاق .  
قلت : ولا لعمر بن عبد العزيز ؟ قال : ولا لعمر بن عبد العزيز ، لا خير في العمل لا لعمرو ولا لغيره .  
وقول أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثنا سفيان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران  
قال : ما عرضت قولي على علي إلا وجدت من نفسي اعتراضا . وقال الطبراني : حدثنا المقدم بن  
داود حدثنا علي بن معبد حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر عن ميمون قال : قال لي ميمون : قل  
لي في وجهي ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره . وروى عبد الله  
ابن أحمد عنه في قوله تعالى : [ خافضة رافعة ] قال : تنخفض أقواما وترفع آخرين . وقال عبد الله بن  
أحمد بن حنبل : حدثني عيسى بن سالم حدثنا أبو المليح حدثنا بعض أصحابي قال : كنت أمشي مع  
ميمون فنظر فرأى على ثوب كتان فقال : أما بلغك أنه لا يلبس الكتان إلا غنى أو غاؤ ؟ وبهذا  
الاسناد سمعت ميمون بن مهران يقول : أول من مشى الرجال معه وهو راكب الأشعث بن قيس  
الكندي ، ولقد أدركت السلف وهم إذا نظروا إلى رجل راكب ورجل يحضر معه ، قالوا : قاتله جبار .  
وقال عبد الله بن أحمد : بلغني عن عبد الله بن كريم بن حبان - وقد رأيته - حدثنا أبو المليح  
قال قال ميمون : ما أحب أن لي ما بين باب الرضا إلى حوران بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقول  
أحمد : اجلس في بيتك واغلق عليك بابك وانظر هل يأتيك رزقك ؟ نعم والله لو كان له مثل يقين  
مريم وإبراهيم عليهما السلام ، وأغلق عليه بابه ، وأرسل عليه ستره ، لجاءه رزقه . وقال : لو أن كل  
إنسان منا يتماهد كسبه فلم يكسب إلا طيبا ، فأخرج ما عليه ، ما احتجج إلى الأثنياء ، ولا احتج  
الفقراء . وقال أبو المليح عن ميمون قال : ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا كان إسقاط المكروه  
عنه أحب إلى من تخفيفه عليه ، فإن قال : لم أقل ، كان قوله لم أقل أحب إلى من ثمانية يشهدون  
عليه ، فإن قال : قلت ولم يستدر ، أبنضته من حيث أحببته . وقال : سمعت ابن عباس يقول : ما  
بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل ، إن كان فوق عرفت له قدره ، وإن  
كان نظيري تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل به . ههنا سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها  
فإن أرض الله واسعة .

وقال أبان بن أبي راشد الشبلي : كنت إذا أردت الصائفة أتيت ميمون بن مهران أو دعه ،  
فأزيدني على كلمتين . اتق الله ولا يتركك طمع ولا غضب . وقال أبو المليح عن ميمون قال : العلماء  
م ضالقي في كل بلدة ، وهم أحبتي في كل مصر ، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء . وقال في قوله



تعالى : [ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ] قال : عزقا . وقال : لأن أتصدق بدرهم في حياتي أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم بعد موتي . وقال : كنت يقال : الذكركران ، ذكر الله باللسان ، وأفضل من ذلك أن تذكره عند ما أحل وحرم ، وعند المعصية فتكف عنها وقد أشرفت . وقال : ثلاث الكافر والمؤمن فيهن سواء ، الأمانة تؤديها إلى من أئتمنتك عليها من مسلم وكافر ، وبر الوالدين وإن كانا كافرين ، والهدى تفي به للمؤمن والكافر . وقال صفوان عن خلف بن حوشب عن ميمون قال : أدركت من لم يكن بطلاً عيفيه من السماء فرقا من ربه عز وجل .

وقال أحمد بن بزيع : حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا هارون أبو محمد البربري أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة وعتلى قضائها وخراجها ، فكث حينئذ كتب إلى عمر يستغفبه عن ذلك ، وقال : كلتني مالا أطبق ، أفضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق فكاتب إليه عمر : اجب من الخراج الطيب ، واقض بما استبان لك ، فاذا التبس عليك أمر فارغه إلى ، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا .

وقال قتبية بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن العبد إذا أذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء ، فاذا تاب محبت من قلبه فترى قلب المؤمن مجليا مثل المرأة ، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره ، وأما الذي يقتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من أين يأتيه . وقال الامام أحمد : حدثنا علي بن ثابت حدثنا جعفر عن ميمون قال : ما أقل أكياس الناس : ألا يبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أدوا به ، وإلى ما قد أكبوا عليه من الدنيا ، فيقول : ما هؤلاء إلا أمثال الأباعر ، لاهم لها إلا ما تجعل في أجوافها ، حتى إذا أبصر غفلتهم نظر إلى نفسه فقال : والله إنى لأرأى من شرم بغيراً واحدا . وبهذا الأسناد عنه : ما من صدقة أفضل من كلمة حق عند إمام جائر . وقال : لا تمنب المملوك ولا تضرب به على كل ذنب ، ولكن احفظ ذلك له ، فاذا عصي الله عز وجل فعاقبه على معصية الله وذكره الذنوب التي أذنب بينك وبينه . وقال قتبية : حدثنا جعفر بن برقان سمعت ميمون بن مهران يقول : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، حتى يعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشربه ، أمن حلال ذلك أم من حرام ؟ .

وقال أبو زرعة الدارمي : حدثنا سعيد بن حفص النخعي حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : الناسق بمنزلة السبع فاذا كلمت فيه تغلقت سبيله فقد خليت سبعا على المسلمين . وقال جعفر بن برقان : قلت لميمون بن مهران : إن فلانا يسقطي نفسه في زيارتك ، قال : إذا ثبتت المودة في القلوب فلا

بأس وإن طال المكث . وقال أحمد : حدثنا ميمون الرقي حدثنا الحسن أبو المليح عن ميمون قال : لا تجرد غير مما أهون عليك من بطنك أو ظهرك . وقال الامام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الله بن ميمون حدثنا الحسن عن حبيب بن أبي مرزوق قال : رأيت على ميمون جبة صوف تحت ثيابه فقلت له : ما هذا ؟ قال : نعم ! فلا تخبر به أحدا . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني يحيى بن عثمان حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : من أساء سرّاً فليتب سرّاً ، ومن أساء علانية فليتب علانية ، فان الله يعفر ولا يعبر ، وإن الناس يعبرون ولا يغفرون .

وقال جعفر قال ميمون : في المال ثلاث آفات ، إن نجبا صاحبه من واحدة لم ينج من اثنتين ، وإن نجبا من اثنتين كان قينا أن لا ينجو من الثالثة ، ينبغي أن يكون حلالا طيبا ، فأبكم الذي يسلم كسبه فلم يدخله إلا طيبا ؟ فان سلم من هذه فينبغي أن يؤدي الحقوق التي تلزمه في ماله ، فان سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفقته ليس يمسرف ولا مقتر . وقال : سمعت ميمونا يقول : أهون الصوم ترك الطعام والشراب . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا يحيى بن عثمان الحربى حدثنا أبو المليح عن ميمون ابن مهران قال : ما نال رجل من جسيم الخير نبي أو غيره إلا بالصبر . وبهذا الاسناد قال : الدنيا حلوة خضرة قد حفت بالشهوات ، والشيطان عدو حاضر ، فيظن أن أمر الآخرة آجل ، وأمر الدنيا عاجل . وقال يونس بن عبيدة : كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران ، فكتبت إليه أسأله عن أهله ، فكتب إلى : بلغني كتابك تسألني عن أهلي ، وانه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنسانا ، وإني أكره البلاء إذا أقبل ، فاذا أدبر لم يسرنى أنه لم يكن ، وأما أنت فمليك بكتاب الله ، فان الناس قد بهتوا عنه - يعني أيسوا - واختاروا الأحاديث ، أحاديث الرجال ، وإياك والمرائي في الدين . قال أبو عبيد في الغريب بهتوا به مهموزاً ، ومعناه : أنسوا به .

وقال عمر بن ميمون : كنت مع أبي ونحن نطوف بالكعبة فلقى أبي شيخ فمانقه ، ومع الشيخ فتى نحو منى ، فقال له أبي : من هذا ؟ قال : ابني . فقال : كيف رضاك عنه ؟ فقال : ما بقيت خصلة يا أبا أيوب من خصال الخير إلا وقد رأيتها فيه ، إلا واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أن يموت فأوجر فيه - أو قال فأحتسبه - ثم فارقه أبي ، فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقال : مكحول . وقال : شر الناس الميابون ، ولا يلبس الكتان إلا غنى أو غوى .

وروى الامام أحمد عنه قال : يا ابن آدم خفف عن ظهرك فان ظهرك لا يطيق كل هذا الذي يحمل ، من ظم هذا ، وأكل مال هذا ، وغشم هذا ، وكل هذا على ظهرك تجعله ، تخفف عن ظهرك . وقال : إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل . وقال : ما أتى قوم في ناديتهم المنكر إلا حق هلاكهم . وروى عبد الله بن أحمد عنه أنه قرأ [ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ] ثم طارق حتى بكى ، ثم قال :

ما سمع الخلائق بنعت قط أشد منه . وقال أبو عوانة : حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا خالد بن حصين بن عبد الرحمن عن ميمون قال : أربعم لاتكلم فيهم : علي ، وعثمان ، والقدر ، والنجوم . وقال : احذر واكل هوى يسمى بذيير الاسلام . وروى شباة عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون أعلى أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ فارتد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت أظن أن أبقى الى زمان يعدل بهما غيرهما ، إنهما كأنما رداهوى الاسلام ، ورأس الاسلام ، ورأس الجماعة . فقلت : فأبو بكر كان أول إسلاما أم علي ؟ فقال : والله لقد آمن أبو بكر بالذي صلى الله عليه وسلم زمن يهيم الأهاب حين مر به ، وكان أبو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه . وذلك كله قبل أن يولد علي ، وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك . وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوثق به » . وروى عن ابن عمر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شر المال في آخر الزمان المماليك » . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : من طلب مرضاة الاخوان بلا شيء فليصادق أهل القبور . وقال : من ظلم أحدا ففاته أن يخرج من مظلمته فاستغفر له دبر كل صلاة خرج من مظلمته . وهذا إن شاء الله يدخل فيه الأعراس والأموال وسائر المظالم . وقال ميمون : القاتل والآمر بالمأور والظالم والراضى بالظلم ، كاهم في الوزر سواء . وقال : أفضل الصبر الصبر على ماتسكركه نفسك . من طاعة الله عز وجل .

روى ميمون عن جماعة من الصحابة ، وكان يسكن الرقة ، رحمه الله تعالى [ (١١) ]

#### نافع مولى ابن عمر

أبو عبد الله المدني أصله من بلاد المغرب ، وقيل من نيسابور ، وقيل من كابل ، وقيل غير ذلك . زوى عن مولاة عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، مثل رافع بن خديج ، وأبي سميد وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم : وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم ، وكان من الثقات النبلاء ، والأئمة الأجلاء ، قال البخارى : أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر ، وقال غيره . كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه ومات في هذه السنة على المشهور

#### فوالرمة الشاعر

واسمه غيلان بن عتبة بن بهيس ، من بني عبد مناة بن آد بن طابخة بن الياس بن مضر ، نزل الحارث أحد فحول الشعراء ، وله ديوان مشهور ، وكان يتنزل في مي بذت مقاتل بن طلحة بن قيس .

(١) زيادة من المصرية .

ابن عاصم المتقري ، وكانت جميلة ، وكان هو دميم الخلق أسود اللون ، ولم يكن بينهما فحش ولا خنا ولم يكن رأها قط ولا رأته ، وإنما كانت تسمع به ويسمع بها ، ويقال : إنها كانت تنذر إن هي رأته أن تذبج جزورا ، فلما رأته قالت : واسوأناه واسوأناه ، ولم تبد له وجهها قط إلا مرة واحدة ، فأنشأ يقول :

على وجهي ليحة من حلاوة \* وتحت الثياب العار لو كان ياديا  
قال فانسلخت من ثيابها فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه \* وإن كان لون الماء أبيض صافيا  
فقلت : تريد أن تذوق طعمه ؟ فقال : إي والله ، فقلت : تذوق الموت قبل أن تذوقه .  
فأنشأ يقول :

فواضية الشعر الذي راح وانقضى \* بمي ولم أملك ضلال فؤاديا  
قال ابن خلكان : ومن شعره السائر بين الناس ما أنشده :

إذا هبت الأرياح من نحو جانب \* به أهل مي هاج شوق هبوبها  
هوى تذرف العينان منه وإنما \* هوى كل نفس أين حل حبيبها  
وأنشد عند الموت :

يا قابض الأرواح في جسمي إذا احتضرت \* وغافر الذنب زحزحني عن النار  
ثم دخلت سنة ثمان مائة وعشرة ومائة

فيها غزا معاوية وسليمان ابنا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بلاد الروم ، وفيها قصد شخص يقال له : عمار بن يزيد ، ثم سمي بخداش ، إلى بلاد خراسان ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجاب له خلق كثير ، فلما التفوا عليه دعاهم إلى مذهب الخزمية الزنادقة ، وأباح لهم نساء بعضهم بعضا ، وزعم لهم أن محمد بن علي يقول ذلك ، وقد كتب عليه فأظهر الله عليه الدولة فأخذ فجى به إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق وخراسان ، فأمر به فقطعت يده وسل لسانه ثم صلب بعد ذلك . وفيها حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل أمير المدينة ، وقيل إن إمرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان ، والصحيح أنه كان قد عزل وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكان أمير العراق القسري . وفيها كانت وفاة :

علي بن عبد الله بن عباس

ابن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو الحسن ، ويقال أبو محمد ، وأمه زرعة بنت مسرح بن معديكرب الكندي ، أحد الملوك الأربعة الأقبال المذكورين في الحديث الذي رواه أحمد ، وهم مسرح ، وحمل ، ومغولس ، وأبضعة : وأختهم العمرة وكان مولد علي هذا يوم قتل علي بن أبي

طالب ، فسماه أبوه باسمه ، وكناه بكنيته ، وقيل إنه ولد في حياة علي وهو الذي سماه وكناه ولقبه بأبي  
 الأملاك ، فلما وفد على عبد الملك بن مروان أجلسه معه على السرير وسأله عن اسمه وكنيته فأخبره  
 فقال له : ألك ولد ؟ قال : نعم ولد لي ولد سميتة محمداً ، فقال له : أنت أبو محمد ، وأجزل عطية ،  
 وأحسن إليه . وقد كان على هذا في غاية العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل والمداولة والثقة  
 كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ، قال عمرو بن علي الفلاس : كان من خيار الناس ، وكانت وفاته  
 بالجمحة من أرض البلقاء في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين . وقد ذكر ابن خلدان أنه تزوج لبيابة  
 بنت عبد الله بن جعفر ، التي كانت تحت عبد الملك بن مروان ، فطلقها ، وكان سبب طلاقه إياها أنه  
 عرض تفاحة تمرى بها إليها فأخذت السكين فحزت من التفاحة مامس فيه منها ، فقال : ولم تفعلين  
 هذا ؟ فقالت : أزيل الأذى عنها - وذلك لأن عبد الملك كان أبخر - فطلقها عبد الملك ، فلما تزوجها  
 علي بن عبد الله بن عباس هذا نقم عليه الوليد بن عبد الملك لأجل ذلك ، فضر به بالسياط ، وقال  
 إنما أردت أن تذلل بنيتها من الخلفاء ، وضر به مرة ثانية لأنه اشتهر عنده أنه قال : الخلافة صائرة إلى  
 بيتي ، فوقع الأمر كذلك . وذكروا المبرد أنه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنه السفاح  
 والمنصور وهما صغيران ، فأكرمهم هشام وأدنى مجلسه ، وأطلق له مائة وثلاثين ألفاً ، وجعل علي بن  
 عبد الله يوصيه بابنيه خيراً ، ويقول : إنهما سيملكان الأمر ، فجعل هشام يتعجب من سلامة باطنه  
 وينسبه في ذلك إلى الحق ، فوقع الأمر كما قال . قالوا : وقد كان علي في غاية الجلال وتمام القامة ، كان  
 بين الناس كأنه راكب ، وكان إلى منكب أبيه عمسد الله ، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس ،  
 وكان العباس إلى منكب أبيه عمسد المطلب ، وقد بايع كثير من الناس لابنه محمد بالخلافة قبل أن  
 يموت علي هذا قبل هذه السنة بسنوات ، ولكن لم يظهر أمره حتى مات فقام بالأمر من بعده ولده  
 عبد الله أبو العباس السفاح ، وكان ظهوره في سنة اثنتين وثلاثين كما سيأتي إن شاء الله تعالى  
 عمرو بن شعيب ، وعبادة بن نسي ، وأبو صخرة جامع بن شداد ، وأبو عبيد المداغرى .

### ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ففيها غزا الوليد بن القممقع بلاد الروم . وفيها قتل أسد بن عبد الله القسري ملك الترك الأعظم  
 خاقان ، وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد الله أمير خراسان عمل نيابة عن أخيه خالد بن عبد الله  
 على العراق ، ثم سار بجيوشه إلى مدينة ختل فافتتحها ، وتفرقت في أرضها جنوده يقتلون ويأسرون  
 ويفتنون ، فجاءت العيون إلى ملك الترك خاقان أن جيش أسد قد تفرق في بلاد ختل ، فاعتزم  
 خاقان هذه الفرصة فركب من فوره في جنوده قاصداً إلى أسد ، وتزود خاقان وأصحابه سلاحاً كثيراً ،  
 وقد بدأ وملحاً ، وساروا في حلق عظيم ، وجاء إلى أسد فأعلموه بقصد خاقان له في جيش عظيم

كثيف ، فتجهز لذلك وأخذ أهبطه ، فأرسل من فوره إلى أطراف جيشه ، فلما وأشباع بعض الناس أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله فقتله وأصحابه ، ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعون إليه ، فردّ الله كيدهم في نحوهم ، وجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الاسلام وازدادوا حنقا على عدومهم ، وعزموا على الأخذ بالنار ، فقصدوا الموضع الذي فيه أسد ، فاذا هو حتى قد اجتمعت عليه المساكن من كل جانب ، وسار أسد نحو خاقان حتى أتى جبل الملح ، وأراد أن يخوض نهر بلخ ، وكان معهم أغنام كثيرة ، ففكر أسد أن يتركها وراء ظهره ، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة ، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد ، وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر ، فما خلمصوا منه جيءاً حتى دهمهم خاقان من وراءهم في خيل دم ، فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضمعة ، فلما وقفوا على حافة النهر أحجوا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر ، فتشاور الأتراك فيما بينهم ، ثم اتفقوا على أن يجملوا حملة واحدة - وكانوا خمسين ألفاً - فيقتحمون النهر ، فضربوا بكؤساتهم ضرباً شديداً حتى ظن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم ، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية واحدة ، فجمعت خيولهم تنخر أشد النخير ، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فنبت المسلمون في معسكرهم ، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقاً لا يخدسون إليهم منه ، فبات الجيشان تترامى نارهما ، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين فقتل منهم خلقاً وأسراً وأبلا موقرة ، ثم إن الجيشين تواجها في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن لا يصلوا صلاة العيد ، فما صلوا إلا على وجل ، ثم سار أسد بن معه حتى نزل مرج بلخ ، حتى انقضى الشتاء ، فلما كان يوم عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء خاقان ، أو في التحصن ببلخ . فنهض من أشار بالتحصن ، ومنهم من أشار بملتمته والتوكل على الله ، فوافق ذلك رأى أسد الأسد ، فقصد بجيشه نحو خاقان ، وصلى بالناس ركعتين أطال فيها ، ثم دعا بدعاء طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نصرتم إن شاء الله ، ثم سار بن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان ، فقتل المسلمون منهم خلقاً وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه ، ثم ساق أسد فأنتهى إلى أغنامهم فاستاقها ، فاذا هي مائة ألف وخمسون ألف شاة ، ثم التقى معهم ، وكان خاقان إنما معه أربعة آلاف أو نحوها ، ومعهم رجل من العرب قد خامر إليه ، يقال له الحارث بن شريح ، فهو يدلهم على عورات المسلمين ، فلما أقبل الناس هربت الأتراك في كل جانب ، وانهمز خاقان ومعهم الحارث ابن شريح بجميعة ويتبعه ، فتبعهم أسد ، فلما كان عند الظهيرة انخزل خاقان في أربعة مائة من أصحابه ، عليهم الخبز ومعهم الكؤسات ، فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤسات فضربت ضرباً شديداً ضرب الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف ، فتقدم المسلمون فاحتاطوا على معسكرهم فاحتازوه

بما فيه من الأمتعة العظيمة ، والأواني من الذهب والفضة ، والنساء والصبيان ، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم ، مما لا يحسد ولا يوصف لكثيرته وعظمه وقيمه وحسنه . غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته بمنجبر فقتلها ، فوصل المسلمون إلى المعسكر وهي في آخر رمق تتحرك ، ووجدوا قدورهم تملأ باطعماتهم ، وهرب : اتان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها ، فاتفق أنه لعب بالترد مع بعض الأمراء فغلبه الأمير فزعمه خاقان بقطع اليد ، فحرق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله ، وتفرقت الأتراك يمدو بعضهم على بعض ، وينهب بعضهم بعضا ، وبعث أسد إلى أخيه خالد يلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان ، وبعث إليه بطبول خاقان - وكانت كباراً لها أصوات كلرعيد ، وبشيء كثير من حواصله وأمتعته ، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال وقتل قال بعض الشعراء في أسد بمدحه على ذلك :-

لوسرت في الأرض تقيس الأرضا \* تقيس منها طولها والعرضا  
لم تلق خيراً إمرأةً وتقضا \* من الأمير أسدً وأمضى  
افضى إلينا الخبير حتى افضا \* وجمع الشمل وكان ارفضا  
ما فاته خاقان إلا ركضا \* قد فض من جموعه ما فضا  
يا ابن شريح قد لقيت حمضا \* حمضاً به تشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المنيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابعوه على باطله ، وكان هذا الرجل ساحراً فاجراً شيعياً خبيثاً ، قال ابن جرير : ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الأعمش قال : سمعت المنيرة بن سعيد يقول : لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً وقرناً بين ذلك لأحييهم . قال الأعمش : وكان المنيرة هذا يخرج إلى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور ، أو نحو هذا من الكلام . وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأشياء التي تدل على سحره ونجوره . ولما بلغ خالداً أمره أمر باحضاره فجئى به في ستة نفر أو سبعة نفر ، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد ، وأمر باحضار أطناب القصب والنفط فصب فوقها ، وأمر المنيرة أن يحتضن طنبا منها ، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنبا واحداً وصب فوق رأسه النفط ، ثم أضرم بالنار . وكذلك فعل ببقية أصحابه .

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكشارة ، واتبه جماعات من الخوارج دون المائة ، وقصدوا قتل خالد القسري ، فبعث إليهم بالبعوث فكسروا الجيوش واستفحل أمرهم جداً لشجاعتهم وجلدهم ، وقلة نصيح من يقاتلهم من الجيوش ، فردوا العساكر من الألوف المؤلفة ، ذوات الأساحة والخيال المسومة ، وهذا وهم لم يبلغوا المائة ، ثم إنهم راهوا قديم الشام لقتل الخليفة

هشام ، ففصدوا نحوها ، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة فاقتتلوا معهم قتالا عظيما ، وقتلوا عامة أصحاب  
بہلول الخارجي . ثم إن رجلا من جديلة يكنى أبا الموت ضرب بهلولا ضربة فصرعه وتفرقت عنه  
بقية أصحابه ، وكانوا جميعهم سبعين رجلا ، وقد رثاهم بعض أصحابهم <sup>(١)</sup> فقال :-

بَدَلْتُ بَعْدَ أَبِي بِشَرِّ وَصْحَبَتِهِ \* قَوْمًا عَلِيٍّ مَعَ الْأَحْزَابِ أَعْوَانَا  
بَانُوا كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا مِنْ صَحَابَتِنَا \* وَلَمْ يَكُونُوا لَنَا بِالْأَمْسِ خِلَانَا  
يَا عَيْنَ أَذْرَى دُمُوعًا مِنْكَ تَهْتَانَا \* وَأَبِي لَنَا صُحْبَةً بَانُوا وَجِيرَانَا  
خَلَاؤًا لَنَا ظَاهِرُ الدُّنْيَا وَبَاطِنُهَا \* وَأَصْبَحُوا فِي جِنَانِ الْخَلْدِ جِيرَانَا

ثم تجميع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم فقاتلوا وقتلوا ، وجهزت إليهم المسارك  
من عند خالد القسري ، ولم يزل حتى أباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية . وفيها غزا أسد القسري بلاد  
الترك ، فعرض عليه ملكهم طرخان خان ألف ألف فلم يقبل منه شيئا ، وأخذته قهرا فقتله صبرا بين  
يديه ، وأخذ مدينته وقلعته وحواصله ونساءه وأمواله . وفيها خرج الصحاري بن شبيب الخارجي  
واتبعه طائفة قليلة نحو من ثلاثين رجلا ، فبعث إليهم خالد القسري جندا فقتلوه وجميع أصحابه ، فلم  
يتركوا منهم رجلا واحدا . وحج بالناس في هذه السنة أبو شاذان مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحج  
معه ابن شهاب الزهري ليملمه مناسك الحج ، وكان أمير مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن  
إسماعيل ، وأمير العراق والمشرق وخراسان خالد القسري ، ونائبه على خراسان بكاملها أخوه أسد  
ابن عبد الله القسري ، وقد قيل إنه توفي في هذه السنة ، وقيل في سنة عشرين فله أعلم . ونائب  
أرمينية وأذربيجان مروان الحمار والله أعلم .

#### سنة عشرين ومائة من الهجرة

فيها غزا سليمان بن هشام بلاد الروم وافتتح فيها حصونا ، وفيها غزا إسحاق بن مسلم العقيلي  
تومان شاه ، وافتتحها وخرّب أراضيتها . وفيها غزا مروان بن محمد بلاد الترك ، وفيها كانت وفاة أسد  
ابن عبد الله القسري أمير خراسان ، وكانت وفاته بسبب أنه كانت له دُيْلِقُ في جوفه ، فلما كان  
مهرجان هذه السنة قدمت الدهاقين - وهم أمراء المدن الكبار - من سائر البلدان بالهدايا والتحف على  
أسد ، وكان فيمن قدم نائب هراة ودهقانها ، واسم دهقانها خراسان شاه ، فقدم بهدايا عظيمة وتحف  
عزيزة ، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وأباريق من ذهب ، وصحف من  
ذهب وفضة ، وتفصيل من جزير تلك البلاد أوان ملوثة فوضع ذلك كله بين يدي أسد حتى امتلأ  
الجلس ، ثم قام الدهقان خطيبا فامتدح أسداً بخصال حسنة ، على عقله ورياسته وعدله ومنعه أهله  
وخاصته أن يظلموا أحدا من الرعايا بشئ قليل أو كثير ، وأنه قهر الخان الأعظم ، وكان في مائة ألف

(١) هو الضحّاك بن قيس . أنظر الطبري (٢ : ١٦٢٧) طبع أوربا



فكسره وقتله ، وأنه يفرح بما يفند إليه من الأموال ، وهو بما خرج من يده أفرح وأشد سرورا ، فأثني عليه أسد وأجلسه ، ثم فرق أسد جميع تلك الهدايا والأموال وما هناك أجمع على الأمراء والأكابر بين يديه ، حتى لم يبق منه شيء ، ثم قام من مجلسه وهو عليل من تلك الدبيلة ، ثم أفاق إفاقة وجوه بهدية كثرى فجعل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة ، فألقى إلى دهقان خراسان واحدة فانجرت دبيلته وكان فيها حتمه ، واستخلف على عمله جعفر بن حنظلة البهراني ، فكث أميراً أربعة أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها ، فعلى هذا تكون وفاة أسد في صفر من هذه السنة ، وقد قال فيه ابن عرس العمدي يرثيه :

نعى أسد بن عبد الله ناع \* فريغ القلب للملك المطاع  
 يبلخ وافق المقدار يسرى \* وما لتضاء ربك من دفاع  
 فجودي عين بالعبرات سحاً \* ألم يحزنك تفریق الجماع  
 أنه زمامه في جوف ضيع \* وكم بالضيع من بطل شجاع  
 أنه حماته في جوف صيغ \* وكم بالصيغ من بطل شجاع  
 كتائب قد يجيبون المنادي \* على جرد مسومة سراع  
 سقيت النيث إنك كنت غنياً \* مريماً عند مراد النجاع

وفيها عزله هشام خالد بن عبد الله القسري عن نيابة العراق ، وذلك أنه انحصر منه لما كان يبلغه من إطلاق عبارة فيه ، وأنه كان يقول عنه ابن الحقاء ، وكتب إليه كتاباً فيه غلظة ، فرد عليه هشام ردّاً عنيفاً ، ويقال إنه حسده على سعة ما حصل له من الأموال والحواصل والغلات ، حتى قيل إنه كان دخله في كل سنة ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، وقيل درهم ، ولولده يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف ، وقيل إنه وفد إليه رجل من أئام المؤمنين من قریش يقال له ابن عمرو ، فلم يرحب به ولم يعأ به ، فكتب إليه هشام يعنفه ويبيته على ذلك ، وأنه حال وصول هذا الكتاب إليه يقوم من فورده بن حوله من أهل مجلسه فينطلق على قدميه حتى يأتي باب ابن عمرو وصاغراً ذليلاً مستأذناً عليه ، متنصلاً إليه مما وقع ، فإن أذن لك وإلا فقف على بابه حولا غير متحلل من مكانك ولا زائل ، ثم أمرك إليه إن شاء عزلك وإن شاء أبقاك ، وإن شاء انتصر ، وإن شاء عفا . وكتب إلى ابن عمرو يعلمه بما كتب إلى خالد ، وأمره إن وقف بين يديه أن يضربه بعشرين سوطاً على رأسه ، إن رأى ذلك مصالحة . ثم إن هشام عزله خالد وأخفى ذلك ، وبعث البريد إلى نائبه على اليمن وهو يوسف ابن عمر فولاه إمرة العراق ، وأمره بالسير إليها والقدوم عليها في ثلاثين راكباً ، فقدموا الكوفة وقت السحر ، فدخلوها ، فلما أذن المؤذن أمره يوسف بالاقامة : قال : إلى أن يأتي الأمام - يعني خالداً -

فاتنبره وأمره بالاقامة وتقديم يوسف فصلى وقرأ [إذا وقعت الواقعة] و [سأل سائل] ثم انصرف فبعث إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فاحضروا فأخذ منهم أموالا كثيرة ، صادر خالداً بمائة ألف ألف درهم ، وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ، وعزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة - أعنى سنة عشرين ومائة - وفي هذا الشهر قدم يوسف بن عمر على ولاية العراق مكان خالد بن عبد الله القسرى ، واستناب على خراسان جديع بن علي السكرماني ، وعزل جعفر بن حنظلة الذي كان استنابه أسد ، ثم إن يوسف بن عمر عزل جديعاً في هذه السنة عن خراسان ، وولى عليها نصر ابن سيار ، وذهب جميع ما كان اقتناه وحصله خالد من العقار والأموال وهلة واحدة ، وقد كان أشار عليه بعض أصحابه لما بلغهم عتب هشام عليه أن يبعث إليه يعرض عليه بعض أملاكه ، فما أحب منها أخذها وما شاء ترك ، وطالوا له : لأن يذهب البعوض خير من أن يذهب الجميع مع العزل والاختراق فاستنح من ذلك واغتر بالندى وعزت نفسه عليه أن يذل ، ففجأه العزل ، وذهب ما كان حصله وجمعه ومنه ، واستقرت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان ، واستقرت نيابة نصر بن سيار على خراسان ، فتمهدت البلاد وأمن العباد والله الحمد والمنة . وقد قال سوار بن الأشعري في ذلك :

أضحت خراسان بعد الخوفِ أمنةً \* من ظلم كل غشومٍ الحكم جبار  
لما أتى يوسفًا أخبارًا مالم يأت \* اختار نصرًا لها نصر بن سيار

وفي هذه السنة استبطنت شيعة آل العباس كتاب محمد بن علي إليهم ، وقد كان عتب عليهم في اتباعهم ذلك الزنديق الملقب بخداش ، وكان خرمياً ، وهو الذي أحل لهم المنكرات ودنس المحارم والمصاهرات ، قتله خالد القسرى كما تقدم ، فمتب عليهم محمد بن علي في تصديقهم له واتباعهم إياه على الباطل ، فلما استبطنوا كتابه إليهم بعث إليهم رسولا يخبرهم أمره ، وبعثوا هم أيضاً رسولا ، فلما جاء رسولهم أحله محمد بما ذا عتب عليهم بسبب الخرمي ، ثم أرسل مع الرسول كتاباً يخبرهما ، فلما فتحوه لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، فملوا أنه إنما عتبنا عليكم بسبب الخرمي . ثم أرسل رسولاً إليهم فلم يصدقوه كثير منهم وهموا به ، ثم جاءت من جهته عصي ملوياً عليها حديد ونحاس ، فملوا أن هذا إشارة لهم إلى أنهم عصاة ، وأنهم مختلفون كاختلاف ألوان النحاس والحديد . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها محمد بن هشام الخزومي فيما قاله أبو معشر ، قال : وقد قيل إن الذي حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل ابنه يزيد بن هشام فله سبحانه وتعالى أعلم ،

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ففيها غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح مطامير وهو حصن ، وافتتح مروان بن محمد بلاد صاحب الذهب ، وأخذ قلاعها وخرّب أرضه ، فأذعن له بالجزية في كل سنة بألف رأس يؤديها إليه ، وأعطاه

رها على ذلك . وفيها في صفر قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي تلبس  
 إليه الطائفة الزيدية ، في قول الواقدي ، وقال هشام الكلابي : إنما قتل في صفر من سنة ثنتين  
 وعشرين فاقه أعلم . وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعاً للواقدي ، وهو أن زيداً  
 هذا وفد على يوسف بن عمر فسأله هل أودع خالد القسري عندك مالا ؟ فقال له زيد بن علي : كيف  
 بددني مالا وهو يشتم آباي علي . نذره في كل جمعة ؟ فأخبره أنه ما أودع عنده شيئاً ، فأمر يوسف بن  
 عمر بإحضار خالد من السجن فجئ به في عباءة ، فقال : أنت أودعت هذا شيئاً نستخلصه منه ؟  
 قال : لا ، وكيف وأنا أشتم آباه كل جمعة ؟ فتركه عمر وأعلم أمير المؤمنين بذلك فمعا عن ذلك ، ويقال  
 بل استحضروهم لخلفوا بما خلّفوا . ثم إن طائفة من الشيعة الذمت علي زيد بن علي ، وكانوا نحو آ من  
 أربعين ألفاً ، فنهاهم بعض الصحابة عن الخروج ، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، ويقال له :  
 إن جسدك خير منك ، وقد الذمت علي بيته من أهل الدراق ثمانون ألفاً ، ثم خانوه أخرج ما كان  
 إليهم ، وإني أشدك من أهل الدراق . فلم يقبل بل استمر يباعد الناس في الباطن في الكوفة ، على  
 كتاب الله وسنة رسوله حتى استعمل أمره بهما في الباطن ، وهو يتحول من منزل إلى منزل ،  
 وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ، فكان فيها مقتله كما سنذكره قريباً . وفيها  
 غزا نصر بن سيار أمير خراسان غزوات متعددة في الترك ، وأمر ملكهم كور رسول في بعض  
 تلك الحروب وهو لا يعرفه ، فلما تيقنه وتمعنه ، سأل منه كور رسول أن يطلقه علي أن يرسل له ألف  
 بعير من إبل الترك . وهي البخاني . وألف رذون ، وهو مع ذلك شيخ كبير جداً ، فشاور نصر من  
 بحضورته من الأمراء في ذلك ، فنههم من أشار باطلاقه ، ومنهم من أشار بقتله . ثم سأله نصر بن سيار  
 كم غزوت من غزوة ؟ فقال : ثنتين وسبعين غزوة ، فقال له نصر : ما مثلك يطلق ، وقد شهدت  
 هذا كله ، ثم أمر به فضربت عنقه وصلبه ، فلما بلغ ذلك جيشه من قتلها أتوا تلك الليلة يجمعون  
 ويبكون عليه ، وجذوا لحام وشعورهم وقطعوا آذانهم وحرقوا خياما كثيرة ، وقتلوا أنما كثيرة ،  
 فلما أصبح أمر نصر باحراقه للنار يأخذوا جثته ، فكان حريقه أشد عليهم من قتله ، وانصرفوا  
 خائبين صاهرين خلسرين . ثم كر نصر على بلادهم قتل منهم خلقا وأسر أمما لا يحصون كثرة ،  
 وكان فيمن حضر بين يديه هجوز كبيرة جدا من الأعاجم أو الأتراك ، وهي من بيت مملكة ،  
 قتلت لنصر بن سيار : كل ذلك لا يكون عنده ستة أشياء فهو ليس بملك ، وزير صادق يفضل  
 خصوصيات الناس ويشاوره ويناصحه ، وطباخ يصنع له ما يشتهي ، وزوجة حسناء إذا دخل عليها  
 منها نظر إليها سرتة وذهب عنه ، وحصن منيع إذا فرغ رعاياه بلأوا إليه فيه ، وضيف إذا قارع به  
 الأقران لم يبخس شيئا منه ، وذخيرة إذا حملها فإين ما وقع من الأرض عاش بها .

وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف ، ونائب العراق يوسف بن عمر ، ونائب خراسان نصر بن سيار ، وعلى أرميلية مروان بن محمد .  
ذكر من توفي فيها من الأعيان :

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

والمشهور أنه قتل في التي بعدها كما سيأتي بيانه إن شاء الله

مسلمة بن عبد الملك

ابن مروان القرشي الأموي ، أبو سعيد وأبو الأصبع الدمشقي ، قال ابن عساکر : وداره بدمشق في حجة القباب عند باب الجامع القبلي ، ولي الموسم أيام أخيه الوليد ، وغزا الروم غزوات وخصر القسطنطينية ، وولاه أخوه يزيد إمارة المراقين ، ثم عزله وتولى أرميلية . وروى الحديث عن عمر بن عبد العزيز ، وعنه عبد الملك بن أبي عثمان ، وهبيل الله بن قزعة ، وهيبنة والد سفيان بن مينة وابن أبي هران ، ومعاوية بن خديج ، ويحيى بن يحيى النسائي .

قال الزبير بن بكار : كان مسلمة من رجال بني أمية ، وكان يلقب بالجرادة الصفراء ، وله آثار كثيرة ، وحروب ونكاية في العدو من الروم وغيرهم . قلت : وقد فتح حصونا كثيرة من بلاد الروم . ولما ولي أرميلية غزا الترك فباع باب الأبواب فهدم المدينة التي هنده ، ثم أعاد بنائها بمد تسع سنين . وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية فحاصرها وافتتح مدينة الصقالبة ، وكسر ملكهم البرجان ، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية . قال الأوزاعي : فأخذوا وهو ينازهم صداع عظيم في رأسه ، فبعث ملك الروم اليه بقلنسوة وقال : ضمها على رأسك يذهب صداعك ، فغشى أن تكون مكيدة فوضها على رأسه فبهم فلم ير إلا خيرا ، ثم وضها على رأسه فذهب صداعه ، ففتحتها فإذا فيها سبعون سطرا هذه الآية [ إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ] الآية مكررة لاغير ، رواه ابن عساکر .

وقد لقي مسلمة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة ، وجاع المسلمون عندها جوعا شديدا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أرسل إليهم البريد يأمرهم بالرجوع إلى الشام ، فحلف مسلمة أن لا يفلح عنهم حتى يبنوا له جامعا كبيرا بالقسطنطينية ، فبنوا له جامعا ومئذنة ، فوهبها إلى الآن يصل فيه المسلمون الجمعة والجماعة ، قلت : وهي آخر ما يفتحه المسلمون قبل خروج الدجال في آخر الزمان ، كما ستورده في الملاحم والفتن من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك ، وبالجملة كانت لمسلمة مواقف مشهورة ، ومسامي مشكورة ، وغزوات متتالية مشهورة ، وقد افتتح حصونا وقلاع ، وأحيا بزمه قصورا وبقاها ، وكان في زمانه في الغزوات نظير خالد بن الوليد

في أيامه ، في كثرة منازيه ، وكثرة فتوحه ، وقوة عزمه ، وشدة بأسه ، وجودة تصرفه في نقضه ، وإبرامه ، وهذا مع الكرم والفضاحة ، وقال يوماً لصديقه الشاعر : سلامي ، قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن كفتك بالجزيل أكثر من مسألتي باللسان . فأعطاه ألف دينار . وقال أيضاً : الأنبياء [ لا يتذابون كما يتذاب الناس ] ما ناب نبي قط [ وقد أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب ، وقال : إنها صنعة جندف أهلها . وقال الوابيد بن مسلم وغيره : توفي يوم الأربعاء السابع من المرم سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل في سنة عشرين ومائة ، وكانت وفاته بوضع يقال له الحانوت ، وقد رثاه بعضهم ، وهو ابن أخيه الوابيد بن يزيد بن عبد الملك قال :

أقول وما بعد إلا الردى \* أمس لم لا تبعدن مسلمة  
فقد كنت نوراً لنا في البلاد \* مضياً فقد أصبحت مظلمة  
ونكتم وتك نخشى اليقين \* فأبدي اليقين لنا الجملة

فغير بن قيس

الأشعري قاضي دمشق ، تابعي جليل ، روى عن حذيفة مرسلًا وأبي موسى مرسلًا ، وأبي الدرداء ، وعن معاوية مرسلًا وغير واحد من التابعين ، وحدث عنه جماعة كثيرون ، منهم الأوزاعي وسعيد ابن عبد العزيز ويحيى بن الحارث الذمري . وولد هشام بن عبد الملك القضاء بدمشق بعد عبد الرحمن ابن الخشاش المديني ، ثم استتم في هشاماً ففقد وولي مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك . وكان غير هذا لا يحكم باليمين مع الشاهد ، وكان يقول : الأدب من الآباء ، والصلاح من الله . قال غير واحد : توفي سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقيل سنة خمس عشرة ومائة ، وهو غريب والله سبحانه أعلم

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة

ففيها كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان سبب ذلك أنه لما أخذ البيعة ممن بايعه من أهل الكوفة ، أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له ، فشرعوا في أخذ الأهبة لذلك . فانطلق رجل يقال له سليمان بن سراقه إلى يوسف بن عمر نائب العراق فأخبره - وهو بالجزيرة بوشة - خبر زيد بن علي هذا ومن دمه من أهل الكوفة ، فبعث يوسف بن عمر يطلبه ويلجأ إلى طلبه ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له : ما قولك برحمتك الله في أبي بكر وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيها إلا خيراً ، قالوا : فلم تطلب إذا بدم أهل البيت ؟ فقال : إنما كنا أحق الناس بهننا الأمر ، ولكن القوم سألوا علينا به ودفنونا عنه ، ولم يبلغ ذلك حسدنا بهم كثيراً ، قد ولوا فعدلوا ، وعملوا بالسكتاب

والسنة . قالوا : فلم تقاتل هؤلاء إذا ؟ قال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم ، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) ، وإحياء السنن وإماتة البدع ، فان تسموا يكن خيراً لكم ولي ، وإن تابوا فلست عليكم بوكيل . فرفضوه وانصرفوا عنه وتفضوا بيمته وتركوه ، فلهذا سموا الرافضة من يومئذ ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية ، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة ، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية ، وفي مذهبهم حق ، وهو تعديل الشيخين ، وباطل وهو اعتقاد تقديم على عليهما ، وليس على مقدما عليهما ، بل ولا عثمان على أصح قولي أهل السنة الثابتة ، والآثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة ، وقد ذكرنا ذلك في سيرة أبي بكر وعمر فيما تقدم . ثم إن زيدا عزم على الخروج بمن بقي معه من أصحابه ، فوعدهم ليلة الأربعاء من مستهل صفر من هذه السنة ، فباع ذلك يوسف بن عمر ، فكتب إلى نائبه على الكوفة وهو الحكم بن الصلت يأمره بجمع الناس كلهم في المسجد الجامع ، فجمع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سلك الحرم ، قبل خروج زيد بيوم ، وخروج زيد ليلة الأربعاء في برد شديد ، ورفع أصحابه النيران ، وجعلوا ينادون يامنصور يامنصور ، فلما طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مائتان وثمانية عشر رجلا ، فحمل زيد يقول : سبحان الله ! أين الناس ؟ فقيل : هم في المسجد محصورون . وكتب الحكم إلى يوسف يعلمه بخروج زيد بن علي ، فبعث إليه سرية إلى الكوفة ، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة ، وجاء يوسف بن عمر أيضا في طائفة كبيرة من الناس ، فالتقى بمن معه جرثومة منهم فيمن خمسمائة فارس ، ثم أتى الكندامة فحل علي جمع من أهل الشام فهزمهم ، ثم اجتاز بيوسف بن عمر وهو واقف فوق تل ، وزيد في مائتي فارس ولو قصد يوسف بن عمر لقتله ، ولكن أخذ ذات اليمين ، وكلما لقي طائفة هزمهم ، وجعل أصحابه ينادون : يا أهل الكوفة اخرجوا إلى الدين والتمز والدنيا ، فانكم لستم في دين ولا عز ولا دنيا ، ثم لما أمسوا انضاف إليه جماعة من أهل الكوفة ، وقد قتل بنقض أصحابه في أول يوم ، فلما كان اليوم الثاني اقتتل هو وطائفة من أهل الشام فقتل منهم سيهين رجلا ، وانصرفوا عنه بشر حال ، وأمسوا فعبا يوسف بن عمر جيشه جدا ، ثم أصبحوا فالتقوا مع زيد فكشفهم حتى أخرجهم إلى السبخة ، ثم شد عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خيله ورجله حتى أخذوا على الساء ، ثم اقتتلوا هناك قتالا شديدا جدا ، حتى كان جنح الليل رمى زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فوصل إلى دماغه ، فرجع ورجع أصحابه ، ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا لأجل المساء والليل ، وأدخل زيد في دار في سكة البريد ، وجى بطبيب فانتزع ذلك السهم من جبهته ، فما عدا أن انتزعه حتى مات من ساعته رحمه الله .

فاختلف أصحابه أين يدفونه ، فقال بعضهم : ألبسوه درعه وألقوه في الماء ، وقال بعضهم :

أحزوا رأسه وأتركوا جثته في القنلى ، فقال ابنه : لا والله لأتأكل كل أذى الكلاب . وقال بعضهم : ادنوه في العباسية ، وقال بعضهم : ادنوه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ، ففعلوا ذلك وأجرى على قبره الماء لئلا يعرف ، وانفعل أصحابه حيث لم يبق لهم رأس يقاتلون به ، فما أصبح الفجر ولهم قائم ينهضون بها ، وتتبع يوسف بن عمر الجرحى هل يجيد زيدا بينهم ، وجاء مولى يزيد سندی قد شهد دفنه فدل على قبره فأخذ من قبره ، فأمر يوسف بن عمر بضلبيه على خشبة بالكناسة ، ومعه نصر بن خزيمية ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزيد النهدي ، ويقال إن زيدا مكث مصلوبا أربع سنين ، ثم أنزل بعد ذلك وأحرق فأنه أعلم . وقد ذكر أبو جعفر ابن جرير الطبري أن يوسف بن عمر لم يعلم بشيء من ذلك حتى كتب له هشام بن عبد الملك : إنك لغافل ، وإن زيد ابن علي غار ذنبه بالكوفة يبايع له ، فألح في طلبه وأعطاه الأمان ، وإن لم يقبل فقاتله ، فطلبه يوسف حتى كان من أمره ماتقدم ، فلما ظهر على قبره حز رأسه وبهته إلى هشام ، وقام من بعده الوليد ابن يزيد فأمر به فأنزل وحرق في أيامه قبض الله الوليد بن يزيد . فأما ابنه يحيى بن زيد بن علي فاستجار بعبد الملك بن بشر بن مروان ، فبعث إليه يوسف بن عمر يهدده حتى ينفسه ، فقال له عبد الملك ابن بشر : ما كنت لأوى مثل هذا الرجل وهو عدونا وابن عدونا . فصدقه يوسف بن عمر في ذلك ، ولما هدأ الطلب عنه سيره إلى خراسان فخرج يحيى بن زيد في جماعة من الزيدية إلى خراسان فأقاموا بها هذه المدة .

قال أبو مخنف : ولما قتل زيد خطب يوسف بن عمر أهل الكوفة فتهدهم وتوعدهم وشتتهم وقال لهم فيما قال : والله لقد استأذنت أمير المؤمنين في قتل خلق منكم ، ولو أذن لي لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريتكم ، وما صعدت لهذا المنبر إلا لأسميكم ما تكرهون .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم ، ولم يزد ابن جرير على هذا ، وقد ذكر هذا الرجل الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير فقال :

#### عبدالله ابو يحيى المعروف بالبطال

كان ينزل إنطاكية ، حكى عنه أبو مروان الأنطاكي ، ثم روى باسمه أنه عبد الملك بن مروان حين عقد لابنه مسلمة على غزو بلاد الروم ، ولحقه رؤساء أهل الجزيرة والشام البطال ، وقال لابنه : سيره على طلائعك ، وأمره فليهبس بالليل المسكر ، فإنه أمين ثقة مقدم شجاع . وخرج معهم عبد الملك يشيهم إلى باب دمشق . قال : فتقدم مسلمة البطال على عشرة آلاف يكونون بين يديه ترساً من الروم أن يصلوا إلى جيش المسلمين . قال محمد بن عائد الدمشقي : ثنا الوليد بن مسلمة حدثني أبو مروان - شيخ من أهل إنطاكية - قال : كنت أغازي مع البطال وقد أوطن الروم ذلاً ،

قال البطال فسألني بعض ولاة بني أمية عن أعجب ما كان من أمرى في مغازى فيهم ، فقلت له : خرجت في سرية ليلا فدفعتنا إلى قرية فقلت لأصحابي : ارجوا لجم خيلكم ولا تبحر كوا أحداً بقتل ولا بشئ حتى تستمکنوا من القرية ومن ساكنها ، ففعلوا وانفلقوا في أزقتها ، فدفعت في أناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراجة ، وإذا امرأة تسكت ابنها من بكائه ، وهي تقول له : لتسكتن أو لأدفعنك إلى البطال يذهب بك ، وانتشلته من سريريه وقالت : خذها يا بطل ، قال : فأخذته .

وروى محمد بن عائد عن الوليد بن مسلم عن أبي مروان الأنطاكي عن البطال قال : انفردت مرة ليس معي أحد من الجنود ، وقد سمطت خلفي مخللة فيها شمير ، ومعى منديل فيه خبز وشواء ، فبينما أنا أسير لملي ألقى أحدا منفرداً ، أو أطلع على خبر ، إذا أنا ببستان فيه بقول حسنة ، فنزلت وأكلت من ذلك البقل بالخبز والشواء مع النقل ، فأخذني إسهال عظيم فمت منه مراراً ، فنفخت أن أضعف من كثرة الاسهال ، فركبت فرسي والاسهال مستمر على حاله ، وجعلت أخشى إن أنا نزلت عن فرسي أن أضعف عن الركوب ، وأفرط في الاسهال في السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف ، فأخذت بعنان الفرس ونمت على وجهي لا أدري أين يسير الفرس بي ، فلم أشمر إلا بقرع لئلا يقرع نعله على بلاط ، فأرفع رأسي فإذا دهر ، وإذا قد خرج منه نسوة صعبية امرأة حسناء جميلة جسداً ، فجعلت تقول بلسانها : أنزلني ، فأنزلني ففسلن عني ثيابي وسرجي وفرسي ، ووضعني على سرير ووصلن لي طعاماً وشرباً ، فحككت يوماً وليلة مستويا ، ثم أقمت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلى حالي ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل البطريق وهو يريد أن يتزوجها ، فأمرت بفرسي فحول وعلق على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بطريق كبير فيهم ، وهو إنما جاء لخطبتهما ، فأخبره من كان هناك بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس ، فهم بالمهجوم على فئنته المرأة من ذلك ، وأرسلت تقول له : إن فتح عليه الباب لم أقض حاجته ، ففناه ذلك عن الهجوم على ، وأقام البطريق إلى آخر النهار في ضيافتهم ، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وانطلق . قال البطال : فمضت في أثرهم فممت أن تمنعني خوفاً على منهم فلم أقبل ، وسقت حتى لحقتهم ، فجعلت عليه فانفرج عنه أصحابه ، وأراد الفرار فأضرب عنقه واستابته وأخذت رأسه مسطاً على فرسي ، ورجعت إلى الدير ، فخرجن إلى وقفن بين يدي ، فقلت : اركبن ، فركبن ماهنالك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيش فدفعتن إليه ، فنفلتني ماشئت منهن ، فأخذت تلك المرأة الحسنة بعينها ، فهي أم أولادى . والبطريق في لغة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم ، وكان أبوها بطريقاً كبيراً فيهم - - - - - يعني تلك المرأة - وكان البطال بعد ذلك يكتب أباهاً ويهاديه .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما ولاء المصيصة بمث البطال سرية إلى أرض الروم ، فغاب عنه خبرها فلم يدرك ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له وسار حتى وصل عمورية ، فطرق بابها ليلاً



فقال له البواب : من هذا ؟ قال البطلال : فقلت أنا سياف الملك ورسوله إلى البطريق ، فأخذني طريقاً إليه ، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فجلست معه على السرير إلى جانبه ، ثم قلت له : إني قد جئتك في رسالة فر هؤلاء فلينصرفوا ، فأمر من عنده فذهبوا ، قال : ثم قام فأغلق باب الكنيسة على وعليه ، ثم جاء فجلس مكانه ، فاخترطت سيفي وضربت به رأسه صفحاً وقلت له : أنا البطلال فأصدقني عن السرية التي أرسلتها إلى بلادك وإلا ضربت عنقك الساعة ، فأخبرني ماخبرها ، فقال : هم في بلادى ينتهبون ماثمياً لهم ، وهذا كتاب قد جاءني يخبر أنهم في وادى كذا وكذا ، والله لقد صدقتك . فقلت : هات الأمان ، فأعطاني الأمان ، فقلت : إيتني بطعام ، فأمر أصحابه فجاءوا بطعام فوضع لي ، فأكلت فعمت لأنصرف فقال لأصحابه : اخرجوا بين يدي رسول الملك ، فانطلقوا يتعادون بين يدي ، وانطلقت إلى ذلك الوادى الذى ذكر فإذا أصحابي هنالك ، فأخبتهم ورجعت إلى المصيصة . فهذا أغرب ماجرى

قال الوليد : وأخبرني بعض شيوخنا أنه رأى البطلال وهو قافل من حجته ، وكان قد شغل بالجهاد عن الحج ، وكان يسأل الله دائماً الحج ثم الشهادة ، فلم يتمكن من حجة الاسلام إلا في السنة التي استشهد فيها رحمه الله تعالى ، وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس ، فبعث البطريق - الذى البطلال متزوج بابنته التي ذكرنا أمرها - إلى البطلال يخبره بذلك ، فأخبر البطلال أمير عساكر المسلمين بذلك ، وكان الأمير مالك بن شبيب ، وقال له : المصلحة تقتضى أن نتحصن في مدينة حران ، فنسكون بها حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فأبى عليه ذلك ودمهم الجيش ، فاتفقنا قتالاً شديداً والأبطال يحومون بين يدي البطلال ولا يتجاسر أحد أن ينوه باسمه خوفاً عليه من الروم ، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلظاً منه ، فلما سمع ذلك فرسان الروم حملوا عليه جملة واحدة ، فاقتلوه من سرجه برماحهم فألقوه إلى الأرض ، ورأى الناس يقتلون ويأسرون ، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب ، وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصنوا فيها ، وأصبح اليون فوقف على مكان المعركة فإذا البطلال بأخر رمق فقال له ليون : ما هذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هكنا تقتل الأبطال ، فاستدعى ليون بالأطباء ليدأوؤا فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله ، فقال له ليون : هل من حاجة يا أبا يحيى ؟ قال : نعم ، فأمر من ملك من المسلمين أن يلوا غسل والصلاة على ودفني ، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسارى ، وانطلق ليون إلى جيش المسلمين الذين تحصنوا فحاصروهم ، فبينما هم في تلك الشدة والحصار إذ جاءتهم البرد بقدم سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، ففر ليون في جيشه الخبيث هارباً راجعاً إلى بلاده ، فبهد الله ، فدخل القسطنطينية وتحصن بها .

قال خليفة بن خياط : كانت وفاة البطال ومقتله بأرض الزوم في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقال ابن جرير : في سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقال ابن خشان الزيادي : قتل في سنة ثلاث عشرة ومائة ، قيل وقد قاله غيره . وإنه قتل هو والأمر عبد الوهاب بن يثت في سنة ثلاث عشرة ومائة كما ذكرنا ذلك فأنه أعلم ، ولكن ابن جرير لم يورخ وفاته إلا في هذه السنة فأنه أعلم .

قلت : فهذا ما خص ابن عساكر في ترجمة البطال مع تفصيله للاخبار واطلاعه عليها ، وأما ما يذكره العسامة عن البطال من السيرة المنسوبة إلى دلومة والبطال والأمر عبد الوهاب والقاضي عقبة ، فكذب وافتراء ووضع بارد ، وجهل وتخبط فاحش ، لا يروج ذلك إلا على غبي أو جاهل ردي . كما يروج عليهم سيرة عنتره الهبسي المكنه به ، وكذلك سيرة البكري والدنف وغير ذلك ، والكذب المقتل في سيرة البكري أشد إثمًا وأعظم جرماً من غيرها ، لأن واضعها يدخل في قول النبي « من كذب على متعمداً فليتبوأ عقده من النار » . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

#### أياس الذكي

وهو أياس بن معاوية بن مرة بن أياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن دريد بن أوس بن سواه ابن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن أوس بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هكذا نسبه خليفة بن خياط ، وقيل غير ذلك في نسبه ، وهو أبو وأئمة المزيقي القاضي البصرة ، وهو تابعي ولجده صحبة ، وكان يضرب المثل بذكائه ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً في الحياء عن أنس وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ونافع وأبي مجاز ، وعنه الحدادان وشعبة والأصمعي وغيرهم . قال عنه محمد بن سيرين : إنه لفهم إنه لفهم ، وقال محمد بن سمد والمجلى وابن معين والنسائي : ثقة . زاد ابن سمد وكان عاقلاً من الرجال فطناً ، وزاد المجلى وكان قهياً عفيفاً . وقدم دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، ومرة أخرى حين عزله عدى بن أرطاة عن قضاء البصرة . قال أبو عبيدة وغيره : تحاكم أياس وهو صبي شاب وشيخ إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنه شيخ وأنت شاب فلا تساووه في الكلام ، فقال أياس : إن كان كبيراً فالحق أكبر منه ، فقال له القاضي : اسكت ، فقال : ومن ينكحكم بحق إذا سكت ؟ فقال القاضي : ما أحسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم ، فقال أياس : أشهد أن لا إله إلا الله ، زاد غيره فقال القاضي : ما أظنك إلا ظالماً له ، فقال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره فقال : اقض حاجته وأخرجه الساعة من دمشق لا يفسد على الناس .

وقال بعضهم : لما عزله عدى بن أرطاة عن قضاء البصرة فرمته إلى عمر بن عبد العزيز فوجده

قد مات ، فكان يجلس في حلقة في جامع دمشق ، فنكلم رجل من بني أمية فرد عليه إياس ، فأغلظ له الأمرى فقام إياس ، فقيل للأمرى : هذا إياس بن معاوية المزني ، فلما عاد من النداء اعتذرله الأمرى وقال : لم أعرفك ، وقد جلست إلينا بذياب السوق وكننا بكلام الاشراف فلم نحتمل ذلك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا نعيم بن حماد ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال : كان يقال يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل ، فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم . وقال المعجلى : دخل على إياس ثلاث نسوة فلما رآهن قال : أما لإحداهن فترضع ، والأخرى بكر ، والأخرى ثيب ، فقيل له بم علمت هذا ؟ فقال : أما المرضع فكلما قدمت أمسكت الثدي بيدها ، وأما البكر فكلما دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فكلما دخلت نظرت ورمت بعينها . وقال يونس بن صعلب (١) :

ثنا الأحنف بن حكيم بأصبهان ثنا حماد بن سلمة سمعت إياس بن معاوية يقول : أعرف الليلة التي ولدت فيها ، وضمت أمي على رأسي جفنة . وقال المسدائي قال إياس بن معاوية لأمه : ماشئ سميتيه وأنت حملت بي وله جلبة شديدة ؟ قالت : ذلك طستت من نحاس سقطت من فوق الدار إلى أسفل ، ففزعت فوضعتك تلك الساعة . وقال أبو بكر الخراطي عن عمر بن شيبه الخيمري قال : بلغني أن إياساً قال : ما يسرنى أن أكنب كذبة يطلع عليها أبي معاوية . وقال : ما خاصمت أحداً من أهل الاهواء بعقلي كله إلا القدرية ، قلت لهم أخبروني عن الظالم ما هو ؟ قالوا : أخذ الانسان ماليس له ، قلت : فأن الله له كل شيء . قال بعضهم عن إياس قال : كنت في الكتاب وأنا صبي فجعل أولاد النصراري يضحكون من المسلمين ويقولون : إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة ، فقلت للفقهاء - وكان نصرانياً - : ألسن تزعم أن في الطعام ما ينصرف في غذاء البدن ؟ قال : بلى ، قلت فما ينسرك أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم ؟ فقال له معلمه : ما أنت إلا شيطان .

وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بهقله قد ورد به الحديث الصحيح كما سنذكره إن شاء الله في أهل الجنة أن طعامهم ينصرف جشاه وعراً كما سألته ، فإذا البدين ضامر . وقال سفيان : وحين قدم إياس واسط فجاءه ابن شبرمة بمسائل قد أعدها ، فقال له : أتأذن لي أن أسألك ؟ قال : سل وقد ارتببت حين استأذنت ، فسأله عن سبعين مسألة يجيبه فيها ، ولم يختلما إلا في أربع مسائل ، رده إياس إلى قوله ، ثم قال له إياس : أقرأ القرآن ؟ قال : نعم . قال : أتفظ قوله [اليوم أكملت لكم دينكم] ؟ قال : نعم . قال : وما قبلها وما بعدها ؟ قال : نعم . قال : فهل أثبت هذه الآية لآل شبرمة رأياً ؟

وقال عباس بن يحيى بن معين : حدثنا سعيد بن عامر بن عمر بن علي قال قال رجل لإياس ابن معاوية : يا أبا وائلة حتى متى يبقى الناس ؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون ؟ فقال جلسائه : أجيبوه فلم يكن عندهم جواب ، فقال إياس : حتى تنكامل العبدتان ، وعدة أهل الجنة ، وعدة أهل النار .

وقال بعضهم: أكثرى إياس بن معاوية من الشام قاصدا للحج، فركب معه في الحارة غيلان القدرى، ولا يعرف أحدهما صاحبه، فكثنا ثلاثا لا يكلم أحدهما الآخر، فلما كان بعد ثلاث تحدانا فتمارفا وتعجب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه، لمباينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر، فقال له إياس: هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة: [الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله] ويقول أهل النار [ربنا غلبت علينا شقوتنا] وتقول الملائكة [سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا] ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال المعجم ما فيه إنبات القدر ثم اجتمع مرة أخرى إياس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فناظر بينهما فقهره إياس، وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالعجز وأظهر التوبة، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إن كان كاذبا، فاستجاب الله منه فأمكن من غيلان فقتل وصلب بعد ذلك والله الحمد والمنة.

ومن كلام إياس الحسن: لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله. وقال سفيان بن حسين: ذكرت رجلا بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهه وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا. قال: السنن والهند والترك؟ قلت: لا. قال: أفسلم منك الروم والسنن والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ قال: فلم أعد بعدها. وقال الأصمعي عن أبيه: رأيت إياس بن معاوية في بيت ثابت البناني، وإذا هو أحر طويل الذراع غليظ الثياب، يلون عمامته، وهو قد غاب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علاه، وقد قال له بعضهم: ليس فيك هيب سوى كثرة كلامك، فقال: بحق أتكلم أم بباطل؟ فقيل بل بحق، فقال: كلما كثرت الحق فهو خير، ولأنه بعضهم في لباسه الثياب الغليظة فقال: إنما ألبس ثوبا يجذمني ولا ألبس ثوبا أخدمه، وقال الأصمعي قال إياس بن معاوية: إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه. وقال بعضهم: سألت رجلا إياسا عن النبيذ فقال: هو حرام، فقال الرجل: فأخبرني عن الماء فقال: حلال، قال: فالكسور، قال: حلال، قال فالتمر قال حلال، قال فما باله إذا اجتمع حرم؟ فقال إياس: رأيت لورميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك؟ قال: لا، قال: فهذه الحفنة من التبن؟ قال لا توجعني، قال: فهذه العرقة من الماء؟ قال لا توجعني شيئا، قال: أفرايت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك أتوجعك؟ قال: إبي والله وتقتلني، قال: فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت. وقال المدائني: بعث عمر بن عبد العزيز عدى ابن أرتاة على البصرة نائبا وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الجوشني، فأبهما كان أقته فليوله القضاء، فقال إياس وهو يريد أن لا يتولى: أيها الرجل سل فقيمي البصرة، الحسن وابن سيرين، وكان إياس لا يأتيهما، فعرف القاسم أنه إن سألهما أشارا به - يعني بالقاسم - لأنه كان

يأتيهما ، فقال القاسم لعدى : والله الذى لا إله إلا هو إن إياساً أفضل منى وأقنه منى ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنت صادقاً فوله ، وإن كنت كاذباً فما ينبغى أن تولى كاذباً القضاء . فقال إياس : هذا رجل أوقف على شفير جهنم فانتدى منها يمين كاذبة يستغفر الله ، فقال عدى : أما إذ فطنت إلى هذا فقد ولينك القضاء . فكث سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم ، وإذا تبين له الحق حكم به ، ثم هرب إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق فاستغماه القضاء ، فولى عدى بعده الحسن البصرى .

قالوا : لما تولى إياس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أبوب : لقد رموها بحجرها ، وجاءه الحسن وابن سيرين فسلموا عليه ، فبكى إياس وذكر الحديث « القضاء ثلاثة ، قاضيان فى النار وواحد فى الجنة » . فقال الحسن [ وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث ] إلى قوله [ وكلا آتينا حكماً علماً ] قالوا : ثم جالس للناس فى المسجد واجتمع عليه الناس للخصومات ، فقام حتى فصل سبعين قضية ، حتى كان يشبه بشرح القاضى . وروى أنه كان إذا أشكل عليه شئ بعث إلى محمد بن سيرين فسأله منه . وقال إياس : إني لأكلم الناس بنصف عقلى ، فإذا اختصم إلى اثنين جمعت لهما دقتى كله . وقال له رجل : إنك لتمجيد برأيتك ، فقال : لو لا ذلك لم أفض به ، وقال له آخر : إن فيك خصالاً لا تهجبنى ، فقال : ما هى ؟ فقال : تحمق قبل أن تفهم ، ولا تجالس كل أحد ، وتلبس الثياب الغليظة . فقال له : أيها أكثر الثلاثة أو الاثنان ؟ قال : الثلاثة . فقال : ما أسرع ما فهمت وأجبت ، فقال أو يجبل هذا أحد ؟ فقال : وكذلك ما أحكم أنا به ، وأما مجالستي لكل أحد فلأن أجلس مع من يعرف لى قندرى أحب إلى من أن أجلس مع من لا يعرف لى قندرى ، وأما الثياب الغلاظ فأنا ألبس منها ما يقينى لا ما أقيه أنا . قالوا ، وتحاكم إليه اثنان فادعى أحدهما عند الآخر مالا ، وجعله الآخر ، فقال إياس للودع : أين أودعته ؟ قال : عند شجرة فى بستان . فقال : انطلق إليها قف عندها لملك تذكر ، وفى رواية أنه قال له : هل تستطيع أن تمنع إليها فتأتى بورق منها ؟ قال : نعم ! قال فانطلق ، وجلس الآخر فجعل إياس يحكم بين الناس ويلاحظه ، ثم استدعاه فقال له : أوصل صاحبك بعد إلى المسكان ؟ فقال : لا بعد أصلحك الله . فقال له : قم يا عدو الله فاد إليه حقه ، وإلا جملتك نكالا . وجاء ذلك الرجل فقام معه فدفع إليه وديمته بكاملها . وجاء آخر فقال له : إني أودعت عند فلان مالا وقد جحدنى ، فقال له : اذهب الآن واتق غدا ، وبعث من فوره إلى ذلك الرجل الجاحد فقال له : إنه قد اجتمع عندنا ههنا مال فلم نزله أميناً نضمه عنده إلا أنت ، فضمه عندك فى مكان حرير . فقال له ممما وطاعة ، فقال له اذهب الآن واتق غدا ، وأصبح ذلك الرجل صاحب الحق فجاء فقال له : اذهب الآن إليه فقل له أعطنى حتى وإلا رفعتك إلى القاضى ، فقال له ذلك يخاف أن لا يودع إذا سمع الحاكم خبره ، فدفع إليه ماله بكامله ، فجاء إلى

إياس فأعلمه ، ثم جاء ذلك الرجل من الغد رجاء أن يودع فأنشده إياس وطرده وقال له : أنت خائن .  
وتحاكم إليه إثنان في جارية فادعى المشتري أنها ضعيفة العقل ، فقال لها إياس : أى رجليك أطول ؟  
فقلت : هذه ، فقال لها : أتذكرين ليلة ولدت ؟ فقلت نعم . فقال للبايع رد رد .

وروى ابن غسلاكر أن إياسا سمع صوت امرأة من بيتها فقال : هذه امرأة حامل بصبي ، فلما  
ولدت ولدت كما قال ، فسئل بم عرفته ذلك ؟ قال : سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل ، وفي  
صوتها ضجول فعلمت أنه غلام . قالوا ثم مر يوماً ببعض المسكاتب فإذا صبي هنالك فقال : إن كنت  
أدرى شيئاً فهذا الصبي ابن تلك المرأة ، فإذا هو ابنها . وقال مالك عن الزهري عن أبي بكر قال شهد  
رجل عند إياس فيقال له : ما اسمك ؟ فقال أبو العنفر فلم يقبل شهادته . وقال الثوري عن الأعمش :  
دعوتني إلى إياس فإذا رجل كلبياً فرغ من حديث أخذ في آخر . وقال إياس : كل رجل لا يعرف عيب  
نفسه فهو أحمق ، فقيل له : ما عيبك ؟ فقال كثرة الكلام . قالوا : ولما ماتت أمه بكى عليها فقبل له  
في ذلك فقال : كان لي أبان . فتوجهنا إلى الجنة ففلق أحدهما . وقال له أبوه : إن الناس يلدون أبناء  
وولدت أنا أباً . وكان أصحابه يجاسون حوله ويكتبون عنه الفراسة ، فبينما هم حوله جلوس إذ نظر إلى  
رجل قد جاء فجلس على دكة حانوت ، وجعل كلما مر أحد ينظر إليه ، ثم قام فنظر في وجه رجل ثم  
عاد ، فقال لأصحابه : هذا فقيه كتاب قد أبق له غلام أعور فهو يتطلبه ، فقاموا إلى ذلك الرجل  
فسألوه فوجدوه كما قال إياس ، فقالوا لإياس : من أين عرفت ذلك ؟ فقال : لما جلس على دكة الحانوت  
علمت أنه ذو ولاية ، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفقهاء المكتب ، ثم جعل ينظر إلى كل من مر به  
فعرفت أنه قد فقد غلاماً ، ثم لما قام فنظر إلى وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر ، عرفت أن  
غلامه أعور . وقد أوزد ابن خلكان أشياء كثيرة في ترجمته ، من ذلك أنه شهد عند رجل في  
بستان فقال له : كم عدد أشجاره ؟ فقال له : كم عدد جذوع هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة  
سنتين ؟ فقلت : لا أدرى وأقررت شهادته .

### ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر المدائني عن شيوخه أن خاقان ملك الترك لما قتل في ولاية أسد بن عبد الله القسري على  
خراسان ، تفرق شمل الأتراك ، وجعل بعضهم يغير على بعض ، وبعضهم يقتل بعضاً ، حتى كادت  
أن تخرب بلادهم ، واشتغلوا عن المسلمين . وفيها سأل أهل الصفد من أمير خراسان نصر بن سيار  
أن يردمهم إلى بلادهم ، وسألوه شروطاً أنكرها العلماء ، منها أن لا يعاقب بمن ارتبه منهم عن الإسلام ،  
ولا يؤخذ أسير المسلمين منهم ، وغير ذلك ، فأراد أن يوافقهم على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين ،  
فصاب عليه الناس ذلك ، فكتب إلى هشام في ذلك فتوقف ، ثم لما رأى أن هؤلاء إذا استبروا على

معانديهم للمسلمين كان ضرورهم أشد ، أجاوبهم إلى ذلك ، وقد بعث يوسف بن عمر أمير العراق وفدا إلى أمير المؤمنين يسأل منه أن يضم إليه نيابة خراسان ، وتكلموا في نصر بن سيار بأنه وإن كان شهما شجاعا ، إلا أنه قد كبر وضمف بصره فلا يعرف الرجل إلا من قريب بصوته ، وتكلموا فيه كلاما كثيرا ، فلم يلتفت إلى ذلك هشام ، واستمر به على إمرة خراسان وولايتهما . قال ابن جرير : وخرج بالناس فيها يزيد بن هشام بن عبد الملك ، والعمال فيها من تقدم ذكرهم في التي قبلها . وتوفي في هذه السنة ربيعة بن يزيد التصير من أهل دمشق ، وأبو يونس سليمان بن جبير ، وصمك بن حرب ، ومحمد بن واسع بن حيان ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل والله الحمد

[ قال محمد بن واسع : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وقال : خمس خصال سميت القباب : الذنب على الذنب ، ومجالسة الموتى ، قيل له : ومن الموتى ؟ قال : كل غنى مترف ، وسلطان جائر . وكثرة مشافة النساء ، وحديثهن ، ومخالطة أهوله . وقال مالك بن دينار : إنى لأغبط الرجل يكون عيشه كغافا فيتع به . فقال محمد بن واسع : أغبط منه والله عندي من يصبح جائما وهو عن الله راض . وقال : ما آسى عن الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا عوججت قومى ، وصلاة في جماعة يحمل عن سورها وأقوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منة ، ولا لله على فيه تبة . وروى رواد بن الربيع قال : رأيت محمد بن واسع بسوق بزور وهو يعرض حمارا له للبيع ، فقال له رجل : أنرضة لى ؟ فقال لو رضيته لم أبه .

ولما ثقل محمد بن واسع كثر عليه الناس في العيادة ، قال بعض أصحابه : فدخلت عليه فاذا قوم يعودون وقوم قيام ، فقال : ماذا يفنى هؤلاء عنى إذا أخذ بناصيتى وقدمى غدا وألقت في النار ؟ وبعث به بعض الخلفاء مالا مستكثرا إلى البصرة ليفرق في فقراء أهلها ، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسع منه فلم يقبله ولم يلتبس منه شيئا ، وأما مالك بن دينار فانه قبل ما أمر له به ، واشترى به أرقاء وأعتقه ولم يأخذ لنفسه منه شيئا ، فجاءه محمد بن واسع يلومه على قبوله جوائز السلطان . فقال له : يا مالك قبأت جوائز السلطان ؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله أسأل أصحابي ماذا فعلت منه ، فقالوا له : إنه اشترى به أرقاء وأعتقه ، فقال له : سألتك بالله أفليك الآن لهم مثل ما كان قبل أن يصلوك . فقام مالك وحنى على رأسه التراب وقال : إنما يعرف الله محمد بن واسع ، إنما مالك حمار [ إنما مالك حمار ، وكلام محمد بن واسع كثير جدا رحمه الله ] (١)

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فلقى ملك الروم سقتاه مسلم سديان وغنم .

وفيها قدم جماعة من دعاة بني العباس من بلاد خراسان قاصدين إلى مكة فروا بالكوفة فبلغهم أن في السجن جماعة من الأمراء من نواب خالد القسري ، قد حبسهم يوسف بن عمر ، فاجتمعوا بهم في السجن فدعوم إلى البيعة لبني العباس ، وإذا عندهم من ذلك جانب كبير ، فقبلوا منهم ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلم الخراساني ، وهو إذ ذاك غلام يخدم عيسى بن مقبل العجلي ، وكان محبوبا فأعجبهم شهامته وقوته واستجابته مع مولاه إلى هذا الأمر ، فاشتراه بكر بن ماهان منه بأربعمائة درهم وخرجوا به معهم فاستنبدوه لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب وتنتج ما يوجهونه إليه ، ثم كان من أمره ما سئذكره إن شاء الله تعالى فيما بعد . قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعاة بني العباس ، فقام مقامه ولده أبو العباس السفاح ، والصحيح أنه إنما توفي في التي بعدها . قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ومعه امرأته أم مسلم بن هشام بن عبد الملك ، وقيل إنما حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل قاله الواقدي ، والأول ذكره ابن جرير والله أعلم . وكان نائب الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يقف على باب أم مسلم ويهدى إليها الأطفال والتحف ويمتدر إليها من التصير ، وهي لا تلتفت إلى ذلك ، ونواب البلاد هم المذكورين في التي قبلها . وفيها توفي :

#### القاسم بن أبي بزة (١)

أبو عبد الله المسكي القاري ، مولى عبد الله بن السائب ، تابعي جليل ، روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وعنه جماعة ، ووفقه الأئمة . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة فله أعلم

#### الزهري

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو بكر القرشي الزهري أحد الأعلام من أئمة الإسلام ، تابعي جليل ، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم . روى الحافظ ابن عساكر عن الزهري قال : أصاب أهل المدينة جسد شديد فأنحلت إلى دمشق ، وكان عندي عيال كثيرة ، فجلست جامعا فجلست في أعظم حلقة ، فإذا رجل قد خرج من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال : إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة - وكان قد سمع من سعيد بن المسيب فيها شيئا وقد شد عنه في أمهات الأولاد برويه عن عمر بن الخطاب - قلت : إني أحفظ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ، فأخذني فأدخلني هل عبد الملك : فسألني عن أنت ؟ فالتسبت له ، وذكر له حاجتي وعيالي ، فسألني هل تحفظ القرآن ؟ قلت : نعم والفرائض والسنن ،

(١) في نسخة القسطنطينية : القاسم بن أبي يسرة . وفي المصرية : القاسم بن مرة .



فسألني عن ذلك كله فأجبته ، قضى ديني وأمر لي بجائزة ، وقال لي : اطلب العلم فإني أرى لك عينا حافظا وقلبا ذكيا ، قال : فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه ، فبلغني أن امرأة بقاء رأت رؤيا عجيبة ، فأتيها فسألها عن ذلك ، فقالت : إن بدلي غاب وترك لنا خادما وداجنا ونخيلات ، نشرب من لبنها ، ونأكل من ثمرها ، فبينما أنا بين النائمة واليقظة رأيت كأن ابني الكبير وكان مشتدا - قد أقبل فأخذ الشفرة فذبح ولد الداجن ، وقال : إن هذا يضيق علينا الابن ، ثم نصب القدر وقطعها ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرة فذبح بها أخاه ، وأخوه صغيرا قد جاء ، ثم استيقظت مذعورة ، فدخل ولدي الكبير فقال : أين الابن ؟ فقلت : يا بني شر به ولد الداجن ، فقال : إنه قد ضيق علينا الابن ، ثم أخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر ، فبقيت مشغقة خائفة مما رأيت ، فأخذت ولدي الصغير فذبيته في بعض بيوت الجيران ، ثم أقبلت إلى المنزل وأنا مشغقة جدا مما رأيت ، فأخذتني عيني فتمت فرأيت في المنام قائلا يقول : مالك مغتمة ؟ فقلت : إني رأيت مناما فأنا أحذر منه فقال : يارؤيا يارؤيا ، فأقبلت امرأة حسناء جميلة ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ قالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال يا أحلام يا أحلام ، فأقبلت امرأة دونها في الحسن والجمال ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال : يا أضغاث يا أضغاث ، فأقبلت امرأة سرداء شليمة فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت إنها امرأة صالحة فأحببت أن أعلمها ساعة ، ثم استيقظت فجاه ابني فوضع الطعام وقال : أين أخي ؟ فقلت : درج إلى بيوت الجيران ، فذهب وراه فكأنما هدى إليه ، فأقبل به يقبله ، ثم جاء فوضعه وجلسنا جميعا فأكلنا من ذلك الطعام

ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية ، وكان قصيرا قليل اللحية ، له شعرات طوال خفيف المارزين . قالوا : وقد قرأ القرآن في نحو من ثمان وثمانين يوما ، وجالس سعيد بن المسيب ثمان سنين ، تمس ركبته ركبته ، وكان يختم عبيد الله بن عبد الله يستقي له الماء المالح ، ويأور على مشايخ الحديث ، ومنه ألواح يكتب عنهم فيها الحديث ، ويكتب عنهم كل ما سمع منهم ، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهل عصره إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر بن الزهري قال : كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأعراب ، فرأينا أن لا نمنه أحداً من المسلمين . وقال أبو إسحاق : كان الزهري يرجع من عند هريرة فيقول للجلارية عنده فيها الكنة : ثنا هريرة ثنا فلان ، ويسرد عليها ما سمع منه ، فتقول له الجلارية : والله ما أدرى ما تقول ، فيقول لها : اسكتي لكاع ، فإني لا أريدك ، إنما أريد نفسي . ثم وفد على عبيد الملك بدمشق كما تقدم فأكرمه وقضى دينه وفرض له في بيت المال ، ثم كان يمد من أصحابه وجلسائه ، ثم كان كذلك عند أولاده من بعده ، الوليد وسليمان ، ولكنها عند عمر

ابن عبد العزيز، وعند يزيد بن عبد الملك، واستقضاه يزيد مع سليمان بن حبيب، ثم كان حظيا عند هشام، وحج معه وجمعه معلم أولاده إلى أن توفي في هذه السنة، قبل هشام بسنة. وقال ابن وهب: سمعت الليث يقول: قال ابن شهاب: ما استودعت قلبي شيئا قط ففنيته، قال: وكان يكره أكل التناح وسور الفأرة، ويقول: إنه يفسد، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكي، وفيه يقول فايد بن أفرم.

زرذا وأتن على السكريم محمد \* واذا كر فواضله على الأصحاب

وإذا يقال من الجواد بماله \* قيل الجواد محمد بن شهاب

أهل المدائن يعرفون مكانه \* وربيع نادية على الأعراب

يشنوي وفاة جفانه ويمدها \* بكسور إنتاج وفتق لباب

وقال ابن مهدي: سمعت مالكا يقول: حدث الزهري يوماً بحديث فلما قام أخذت بلجام دابته فاستفهمته فقال: أنتستفهمني؟ ما استفهمت عالماً قط، ولا رددت على عالم قط، ثم جعل ابن مهدي يقول فتلك الطوال وتلك المغازي.

وروي يعقوب بن سفيان عن هشام بن خالد السلافي عن الوليد بن مسلم عن سميد - يعني ابن عبد العزيز - أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لبيه شيئاً من حديثه، فأملى على كاتبه أربعين حديثاً ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها، ثم إن هشاماً قال للزهري: إن ذلك الكتاب ضائع، فقال: لا عليك، فأملى عليهم تلك الأحاديث فأخرج هشام الكتاب الأول فإذا هو لم يقدح حرفاً واحداً، وإنما أراد هشام امتحان حفظه. وقال عمرو بن عبد العزيز: ما رأيت أحداً أحسن سواك للحدث إذا حدث من الزهري. وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أنص للحدث من الزهري، ولا أهون من الدينار والدرهم عنده، وما الدرهم والدينار عند الزهري إلا بمنزلة البهر. قال عمرو بن دينار: ولقد جالست جارا وابن عباس وابن عمرو وابن الزبير فمأ رأيت أحداً أسبق للحدث من الزهري.

وقال الامام أحمد: أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً الزهري، وقال النسائي: أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي عن رسول الله ص. وقال سميد عن الزهري: مكنت خمساً وأربعين سنة أختلف من الحجاز إلى الشام، ومن الشام إلى الحجاز، فما كنت أسمع حديثاً أشنطه. وقال الليث: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، ولو سمعته يحدث في الغريب والترهيب لقلت: ما يحسن غير هذا، وإن حدث عن الأئمة لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدءاً جامعا، وكان يقول: اللهم إني أسألك من كل خير أحط به عندك

وأعوز بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة . قال الليث : وكان الزهري أسخى من رأيت ، يعطى كل من جاء وسأله ، حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف . وكان يطعم الناس الثريد ويستقيم العسل ، وكان يستمر على شراب العسل كما يستمر أهل الشراب على شراهم ، ويقول استقونا وحسدونا ، فإذا نسي أحدهم يقول له : ما أنت من سبار قر يش ، وكانت له قبة معصرة ، وعليه ملحنة معصرة ، وتحتة بساط معصر ، وقال الليث قال يحيى بن سعيد : ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبأ معمر قال قال عمر بن عبد العزيز : عليكم باين شهاب فإنه ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية منه ، وكذا قال مكحول . وقال أيوب : ما رأيت أحداً أعلم من الزهري ، فقيل له : ولا الحسن ؟ فقال : ما رأيت أعلم من الزهري ، وقيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : الزهري ، قيل : ثم من قال الزهري ، قيل ثم من ؟ قال الزهري . وقال مالك : كان الزهري إذا دخل المدينة لم يتحدث بها أحداً حتى يخرج . وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة : محدثو أهل الحجاز ثلاثة ، الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج . وقال علي بن المديني : الذين أفتوا أربعة ، الزهري ، والحكم ، وحماد وقتادة ، والزهري أفتهم عندي . وقال الزهري : ثلاثة إذا كن في القاضى فليس بقاض ، إذا كره الملاوم وأحب الحماد ، وكره العزل . وقال أحمد بن صالح : كان يقال فصحاء زمانهم الزهري وعمر بن عبد العزيز وموسى بن طلحة وعبيد الله ، رحمهم الله . وقال مالك عن الزهري : أنه قال : إن هذا العلم الذي أدب الله به رسول الله (ص) ، وأدب رسول الله به أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى إليه ، فمن سمع علماً فليجمله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل .

وقال محمد بن الحسين عن يونس عن الزهري قال : الاعتصام بالسنة نجاة ، وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال : أمروا أحاديث رسول الله (ص) ، كما جاءت . وقال محمد بن إسحاق عن الزهري : إن من غوائل العلم أن يترك العالم حتى يذهب علمه ، وفي رواية أن يترك العالم العمل بالعلم حتى يذهب ، فان من غوائل قلة انتفاع العالم بعلمه ، ومن غوائله النسيان والكذب ، وهو أشد الغوائل . وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد عن محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال : القراءة على العالم والسماع عليه سواء إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طال الجاس كان للشيطان فيه حظ ونصيب ، وقد قضى عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم ، وفي رواية سبعة عشر ألفاً ، وفي رواية عشرين ألفاً . وقال الشافعي : عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الاسراف وكان يستدين ، فقال له : لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عنك فتكون قد حملت على أمانيك ، قال : فوعده الزهري أن يقصر ،

فمر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل ، فوقف به رجاء وقال : يا أبا بكر ما هذا بالذي  
 فارتقتنا عليه ، فقال له الزهري : انزل فان السخى لا تؤدبه التجارب . وقد أشد بعضهم في هذا المعنى  
 له سحائبٌ جودٍ في أناملِهِ \* أمطارها الفضةُ البيضاءُ والذهبُ  
 يقولُ في السريرِ إن أيسرتُ ثانيةً \* أقصرتُ عن بعضِ ما أعطى وما أهبُ  
 حتى إذا عادَ أيامُ اليسارِ له \* رأيتُ أموالَهُ في الناسِ تنهبُ

وقال الواقدي : ولد الزهري سنة ثمان وخمسين ، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله  
 بثلاث بشعب زبدا ، فأقام بها فرض هناك ومات وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، وكانت وفاته  
 سبع عشرة من رمضان في هذه السنة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، قالوا : وكان ثقة كثير الحديث  
 والعلم والرواية ، فقبها جامعا ، وقال الحسين بن المتوكل السقلاني : رأيت قبر الزهري بشعب زبدا  
 من فلسطين مسننا مجصصا ، وقد وقف الأوزاعي يوماً على قبره فقال : يا قبر كم فيك من علم ومن حلم  
 \* يا قبر كم فيك من علم ومن كرم \* وكم جمعت روايات وأحكاما . وقال الزبير بن بكار : توفي الزهري  
 بأمواله بشعب ثنين ، ليلة الثلاثاء لسبع عشر ليلة خلّت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، عن  
 ثنتين وسبعين سنة ، ودفن على قارعة الطريق ليدعوله المارة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وعشرين  
 ومائة ، وقال أبو مشر : سنة خمس وعشرين ومائة ، والصحيح الأول والله أعلم .

### قصة أبي بكر

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرني صالح بن  
 كيسان قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا : نحن نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء  
 عن النبي (ص) ، ثم قال لي : هلم فلنكتب ما جاء عن أصحابه فانه سنة ، قلت : إنه ليس بسنة فلا  
 نكتب ، قال : فكتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأصبح وضيمت . وروى الامام أحمد عن معمر  
 قال : كنا نرى أبا عبد الله عن الزهري حتى قتل الوليد ، فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من  
 خزائنه يقول : من علم الزهري . وروى عن الليث بن سعد قال : وضع الطست بين يدي ابن  
 شهاب فتذكر حديثاً فلم تنزل يده في الطست حتى طلع الفجر ومعه . وروى اصبح بن الفرج عن  
 ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : لعلم واد فاذا هبطت واديه فليلك بالنوذة حتى تخرج منه ،  
 فانك لا تقطعه حتى يقطع بك .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن بن  
 زبالة عن مالك بن أنس عن الزهري قال : خدمت عبيد الله بن عتبة ، حتى أن كان خادمه ليخرج  
 فيقول : من الباب ؟ فتقول الجارية : غلامك الأهبش ، فتظن أني غلامه ، وإن كنت لأخسه

حتى أستقي له وضوءه . وروى عبد القادر بن أحمد عن محمد بن عباد عن الثوري عن مالك بن أنس  
أراه عن الزهري . قال : تبعت سعيد بن المسيب ثلاثة أيام في طلب حديث . وروى الأوزاعي عن  
الزهري قال : كنا فأتى العالم فما نتلم من أدبه أحب إلينا من علمه . وكان سقيان : كان الزهري يقول  
حدثني فلان ، وكان من أوعية العلم ، ولا يقول كان علما . وقال مالك : أول من دون العلم ابن شهاب .  
وقال أبو المليح : كان هشام هو الذي أكره الزهري على كتابة الحديث ، فكان الناس يكتبون بمد  
ذلك . وقال رشيد بن سعد قال الزهري : العلم خزائن وتفتحها المسائل . وقال الزهري : كان يصطاد  
العلم بالمسألة كما يصاد الوحش . وكان ابن شهاب ينزل بالأعراب يعلمهم لئلا ينسى العلم ، وقال : إنما  
ينهب العلم النسيان وترك المذاكرة . وقال : إن هذا العلم إن أخذته بالكسابة غلبك ولم تظفر منه  
بشيء ، ولكن خذ مع الأيام والليالي أخذاً رفيقاً تظفر به . وقال : ما أحدث الناس مروءة أحب إلي  
من الفصاحة . وقال : العلم ذكر لا يجبه إلا الذكور من الرجال ويكرهه مؤنثوم . وروى الزهري عن أبي  
حازم وهو يقول : قال رسول الله ص ، ، فقال : مالي أرى أحاديث ليس لها خطم ولا أذنة ؟ . وقال :  
ما عبد الله بشيء أفضل من العلم .

وقال ابن مسلم أبي عاصم : حدثنا حديم حدثنا الوليد بن مسلم عن القاسم بن هزان أنه سمع الزهري  
يقول : لا يوثق الناس علم عالم لا يعمل به ، ولا يؤمن بقول عالم لا يرضى . وقال ضمرة عن يونس عن  
الزهري قال : إياك وغلول الكتب ، قلت : وما غلولها ؟ قال : حبسها عن أهلها . وروى الشافعي عن  
الزهري قال : حضور المجلس بلا نسخة ذل . وروى الأصمعي عن مالك بن أنس عن ابن شهاب  
قال : جلست إلى ثعلبة بن أبي معين فقال : أراك تحب العلم ؟ قلت : نعم ! قال : فعليك بذلك  
الشيخ - يعني سعيد بن المسيب - قال : فليزمت سعيداً سبع سنين ثم تحوات عنه إلى عروة فنجرت  
تبعج بجمه . وقال الليث : قال ابن شهاب : ما صبر أحد على العلم صبري ، وما نشره أحد قط نثري ،  
فأما عروة بن الزبير فيئر لا تكدره الدلاء ، وأما ابن المسيب فانتصب للناس فذهب اسمه كل مذهب .  
وقال مكى بن عبدان : حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الأوسى حدثنا مالك بن أنس أن  
ابن شهاب سأله بعض بني أمية عن سعيد بن المسيب فذكر علمه بخير وأخبره بحاله ، فبلغ ذلك  
سعيداً فلما قدم ابن شهاب المدينة جاء فعلم على سعيد فلم يرد عليه ولم يكلمه ، فلما انصرف سعيد  
مشى الزهري معه فقال : مالي سلت عليك فلم تكلمني ؟ ماذا بلغك عنى وما قلت إلا خيراً ؟ قال  
له : ذكرتني لبني مروان ؟ . وقال أبو حاتم : حدثنا مكى بن عبدان حدثنا محمد بن يحيى حدثني عطاء  
ابن خالد الخزمي عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن ابن شهاب قال : أصاب أهل  
المدينة حاجة زمان فتنة عبيد الملك بن مروان ، فعمت أهل البلد ، وقد خيل إلى أنه قد أصابنا أهل

البيت من ذلك مالم يصب أحداً من أهل البلد ، وذلك ليخبرني بأهلي ، فتذكريت : هل من أحيد  
 أمت إليه برحم أو مودة أرجو إن خرجت إليه أن اصيب عنده ؟ قال : فاعلمت من المسجد أخرج  
 إليه ، ثم قلت : إن الرزق بيد الله عز وجل ، ثم خرجت حتى قدمت دمشق فوضعت رجلي ثم أتيت  
 المسجد فنظرت إلى أعظم حلقة رأيتها وأكبرها فجلست فيها ، فبينما نحن على ذلك إذ خرج رجل  
 من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، كأجيب الرجال وأجملهم وأحسنهم هيئة ، فجاء إلى المجلس الذي  
 أنا فيه فتعشحوها له - أي أوسعوا - فجلس فقال : لقد جاء أمير المؤمنين اليوم كتاب ما جاءه مثله  
 منذ استخلفه الله ، قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إليه عامله على المدينة هشام بن إسماعيل يذكر أن ابنا  
 لمصعب بن الزبير من أم ولد مات ، فأرادت أمه أن تأخذ ميراثاً منه فذهبا عروة بن الزبير ، وزعم  
 أنه لا ميراث لها ، فتوهم أمير المؤمنين حديثاً في ذلك سمعه من سعيد بن المسيب يذكر عن أمير المؤمنين  
 عمر بن الخطاب في أمهات الأولاد ، ولا يحفظه إلا الآن ، وقد شد عنه ذلك الحديث . قال ابن شهاب  
 قتل : أنا أحدثه به ، فقام إلى قبيصة حتى أخذ بيدي ثم خرج حتى دخل الدار على عبد الملك فقال  
 السلام عليك ، فقال له عبد الملك مجيباً : وعليك السلام . فقال قبيصة : أندخل ؟ فقال عبد الملك  
 ادخل ، فدخل قبيصة على عبد الملك وهو أخذ بيدي وقال : هذا يا أمير المؤمنين يمدئك بالحديث  
 الذي سمعته من ابن المسيب في أمهات الأولاد . فقال عبد الملك : إيه ، قال الزهري قتل : سمعت  
 سعيد بن المسيب يذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بأمهات الأولاد أن يقرن في أموال  
 أبائهن بقيمة عمل ثم يمتقن ، فكاتب عمر بذلك صدرأ من خلفته ، ثم توفي رجل من قرين كان له  
 ابن من أم ولد ، وقد كان عمر يعجب بذلك الغلام ، فتر ذلك الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه  
 بليال ، فقال له عمر : ما فعلت يا ابن أخي في أمك ؟ قال : فعلت يا أمير المؤمنين خيراً ، خير و  
 بين أن يسترقوا أمي <sup>(١)</sup> فقال عمر : أولست إنما أمرت في ذلك بقيمة عدل ؟ ما أرى رأياً وما  
 أمرت بأمر إلا قلتم فيه ، ثم قام فجلس على المنبر فاجتمع الناس إليه حتى إذا رضى من جماعتهم قال :  
 أيها الناس ! إني قد كنت أمرت في أمهات الأولاد بأمر قد علمتموه ، ثم حدث رأي غير ذلك ،  
 فأبما امرئ كان عنده أم ولد فليسكنها بيمينه ما عاش ، فإذا مات فهي حرة لا سبيل له عليها .

فقال لي عبد الملك : من أنت ؟ قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب ، فقال : أما والله إن  
 كان أبوك لأباً نماراً في الفتنة مؤذياً لنا فيها . قال الزهري قتل : يا أمير المؤمنين قل كما قال العبد  
 الصالح : [ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ] فقال : أجل ! [ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله  
 لكم ] قال قتل : يا أمير المؤمنين افرض لي فاني منقطع من الديوان ، فقال : إن بلدك ما فرضنا فيه

(١) كذا بالأصل وهو ناقص .

لأحد منذ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قبضة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أوماً إليه أن افرض له ، فقال : قد فرض إليك أمير المؤمنين ، فقلت : إني والله ما خرجت من عند أهلي إلا وهم في شدة وحاجة ما يملها إلا الله ، وقد عمت الحاجة أهل البلد . قال : قد وصلت أمير المؤمنين . قال قلت : يا أمير المؤمنين وخادم بخدمننا ، فإن أهلي ليس لهم خادم إلا أختي ، فانها الآن تعجن وتخبز وأطحن قال : قد أخذتكم أمير المؤمنين .

وروى الأوزاعي عن الزهري أنه روى أن رسول الله (س) قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . فقلت للزهري : ما هذا ؟ فقال : من الله العلم ، وعلى برسوله البلاغ ، وعلينا التسليم ، أمرنا أحاديث رسول الله (س) ، كما جاءت . وعن ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : كان عمر بن الخطاب يأمر برواية قصيدة لبدي بن ربيعة التي يقول فيها :

إِن تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفَلُ \* وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَالْمَجْلُ  
أَحْمَرُ اللَّهِ فَلَئِنْ نَدَّ لَه \* بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلُ  
مَنْ هَدَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى \* نَاعَمَ الْبَالُ وَمَنْ شَاءَ أَضَلُ

وقال الزهري : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة منزله فاذا هو مغتاض ينفخ ، فقلت : مالي أراك هكذا ؟ فقال : دخلت على أميركم آتفاً - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبيد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت عليهما فلم يردا على السلام ، فقلت :

لَا تَعْجَبَا أَنْ تَوْتِيَا فَتَسْكَمَا \* فَمَا حَشَى الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنْ الْكَبْرِ  
وَمَسْتَرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ تَحَلُّقَتَا \* وَفِيهَا الْمَادُّ وَالْمَصِيرَةُ إِلَى الْخَشْرِ

فقلت : يزحك الله ! مثلك في قهرك وفضلك وسنك تقول الشعر ؟ قال : إن المصدور إذا نفث برأ . وجاء شيخ إلى الزهري فقال : حديثي ، فقال : إنك لا تعرف اللغة ، فقال الشيخ : لعلي أعرفها ، فقال : فما تقول في قول الشاعر :

صَرِيحٌ لَدَائِي يَرْفَعُ الشَّرِبَ رَأْعَهُ \* وَقَدِمَاتُ مِنْهُ كُلُّ عَضْوٍ وَمَنْفُصُ ؟

ما المنفصل ؟ قال : اللسان ، قال : عد على أحدثك . وكان الزهري يتمثل بكثيراً بهذا :

ذَهَبَ الشَّيْبَابُ فَلَا يَهُودُ جَهَانًا \* وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكْ كَانَا  
فَطَوَّيْتُ كَفِي يَاجِبَانُ عَلَى الْعَصَا \* وَكَفِي جِبَانُ يَطِيهَا حَدَنَانَا

وكان نقش خاتم الزهري : محمد يسأل الله الثافية . وقيل لابن أخي الزهري : هل كان عمك يتعاطب ؟ قال : كنت أشم ربح المسك من سوط دابة الزهري . وقال : استكثرنا من شيء لا تسمه النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المروف . وامتدحه رجل مرة فأعطاه قيصه ، فقيل له : أتعطى على كلام

الشیطان؟ فقال: إن من ابتغاه الخیر اتقاء الشر. وقال سفیان: سئل الزهري عن الزاهد فقال: من لم يمنع الحلال شكره، ولم يغلّب الحرام صبره. وقال سفیان: قالوا للزهري: لو أنك الآن في آخر عمرك أقت بالمدينة، فقمعت إلى مسجد رسول الله (ص)، ودرجت وجلسنا إلى عمود من أعمده فذكرت الناس وعلمتهم؟ فقال: لو أني فعلت ذلك لوطي عقي، ولا يبغني لي أن أفعل ذلك حتى أزهّد في الدنيا وأرغب في الآخرة. وكان الزهري يحدث أنه هلك في جبال بيت المقدس بضعة وعشرون نبيا، ما نوا من الجوع والعمل. كانوا لا يأكلون إلا ما عرفوا، ولا يلبسون إلا ما عرفوا وكان يقول: العبادة هي الورع والزهّد، والمسلم هو الحسنه، والصبر هو احتمال المسكاره، والدعوة إلى الله على العمل الصالح [١].

ومن توفي في خلافة هشام بن عبد الملك كما أورده ابن عساکر

بلال بن سعد

ابن تميم السكوني أبو عمرو، وكان من الزهاد الكبار، والعباد الصوام القوام، روى عن أبيه وكان أبوه له صحبة، وعن جابر وابن عمر وأبي الدرداء وغيرهم، وعنه جماعات منهم أبو عمرو والأوزاعي وكان الأوزاعي يكتب عنه ما يقوله من الفوائد العظيمة في قصصه وعظه، وقال: ما رأيت واعظا قط مثله. وقال أيضا: ما بلغني عن أحد من العبادة ما بلغني عنه، كان يصلي في اليوم واليلة ألف ركعة. وقال غيره وهو الأصمعي: كان إذا نفس في ليل الشتاء ألقى نفسه في ثيابه في البركة، فعاتبه بهض أصحابه في ذلك فقال: إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم. وقال الوليد بن مسلم: كان إذا كبر في المحراب مسموا تكبيره من الأوزاع. قلت: وهي خارج باب الفراديس. وقال أحمد بن عبد الله الجلي: هو شامي تابعي ثقة. وقال أبو زرعة اللمشقي: كان أحد العلماء قاماً حسن القمص، وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالتسدر حتى قال بلال يوماً في وعظه: رب مسرور ومفرور، ورب مفرور ولايشعر، فويل لمن له الويل وهو لايشعر، يأكل ويشرب، ويضحك، وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار، فياويل لك روحاً، ياويل لك جسداً، فلتبك ولتبك عليك البواكي لطول الأبد. وقد ساق ابن عساکر شيئاً حسناً من كلامه في مواظبه البليغة، فن ذلك قوله: والله إنكني به ذنبا أن الله يهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها، زاهدكم راغب، وعالمكم جاهل، ومجتهدكم مقصر. وقال أيضاً: أخ لك كلما تليك ذكرك بنصيبك من الله، وأخبرك بيبب فيك، أحب إليك، وخير لك من أخ كلما تليك وضع في كفك ديناراً. وقال أيضاً: لا تكن ولياً لله في الملاينة وعدوه في السر ولا تكن خدو إبليس والنفس والشهوات في الملاينة وصديقهم في السر، ولا تكن ذا وجهين وذا لسانين

(١) زيادة من المصرية.



فتظهر للناس أنك تحشى الله ليحمدوك وقلبك فاجر . وقال أيضا : أيها الناس إنكم لم تخلقوا للفناء وإنما خلقتم لبقاء ، ولكم تتفتلون من دار إلى دار ، كما نقلتم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى الموقف ، ومن الموقف إلى الجنة أو النار . وقال أيضا : عباد الرحمن إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال ، وفي دار زوال إلى دار مقام ، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، فمن لم يعمل على يقين فلا تنفعن ، عباد الرحمن لو قد غفرت خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون لكم شغلا ، ولو علمتم بما تعملون لكان لكم مقتدا وملتجا ، عباد الرحمن أماما وكلم به فتضيمونه ، وأما ماتكم الله لكم به فتطلبونه ، ما هكذا نعمت الله عباده الموقنين ، أذو وعقول في الدنيا وبه في الآخرة ، وعى عما خلقتهم له بصراء في أمر الدنيا ؟ فكما ترجون رحمة الله مما تؤدون من طاعته ، فكذلك اشفقوا من عذابه بما تتهكئون من معاصيه ، عباد الرحمن اهل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئا من أعمالكم قد تقبل منكم ؟ أو شيئا من خطاياكم قد غفر لكم ؟ [ أم حسبتم إنما خلقناكم عبداً وأنكم إلينا لا ترجعون ] والله لو عمل لكم الثواب في الدنيا لاستقلتم مافرض عليكم . أترغبون في طاعة الله لدار معمورة بالآفات ؟ ولا ترغبون وتنافسون في جنة أكلها دائم وظلها ، وعرضها عرض الأرض والسموات [ تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ] وقال أيضاً : الذكر ذكران ذكر الله باللسان حسن جميل ، وذكر الله عند ما أحل وحرم أفضل . عباد الرحمن يقال لأحدنا : نحب أن تموت ؟ فيقول : لا . يقال له : لم ؟ فيقول : حتى أعمل ، فيقال له : اعمل ، فيقول سوف أعمل ، فلا نحب أن تموت ، ولا نحب أن تعمل ، وأحب شيء إليه يجب أن يؤخر عمل الله ، ولا يجب أن يؤخر الله عنه عرض دنياه . عباد الرحمن إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضع مساوها ، فما يزال بينه الشيطان ويزين له حتى ما يرى شيئا دون الجنة ، مع إقامته على معاصي الله . عباد الرحمن قبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها ، فإن كانت خالصة فامضوها وإن كانت لغير الله فلا تشقوا على أنفسكم ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، فإنه قال [ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ] وقال أيضاً : إن الله ليس إلى عذابكم بالسريع ، يقبل المقبل ويدعو المدبر ، وقال أيضا : إذا رأيت الرجل متعرجا لحوحا مماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته . وقال الأوزاعي : خرج الناس بدمشق يستسقون فقام بهم بلال بن سعد فقال : يا معشر من حضر ! ألسنم مترين بالأساءة ؟ قالوا : نعم ، فقال : اللهم إنك قلت [ ما هل المحسنين من سبيل ] وقد أقررنا بالأساءة فاعف عنا واغفر لنا . قال : فسقوا يومهم ذلك : وقال أيضا : سمعته يقول : لقد أحركت أقواما يشنون بين الأفراس ، ويضحك بمضهم إلى بعض ، فإذا جنهم الليل كانوا رهباناً . وسمعته أيضا يقول : لا تنتظر إلى صفر الذئب وانظر إلى من عصيت . وسمعته يقول : من بادك بالود قد استرقك بالشكر .

وكان من دعائه : اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلوب ، ومن تبعات الذنوب ، ومن مرديات الأعمال ومضلات العين . وقال الأوزاعي عنه أنه قال : عباد الرحمن لو أنتم لم تدعوا إلى الله طاعة لإعمالتموها ولا معصية إلا اجتنبتموها ، إلا أنكم تحبون الدنيا لسكناكم ذلك عقوبة عند الله عز وجل . وقال : إن الله ينفر الذنوب لمن تاب منها ، ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف المبد عليها يوم القيامة .

### ترجمة الجعد بن درهم

هو أول من قال بخلق القرآن ، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي ، وهو مروان الحمار ، آخر خلفاء بني أمية . كان شيخه الجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، ويقال إنه من موالى بني مروان ، سكن الجعد دمشق ، وكانت له بها دار بالقرب من القلايين إلى جانب الكنيسة ، ذكره ابن عساکر . قلت : وهي محلة من الخواصين اليوم فر بها عند حمل القطانين الذي يقال له حمام قليس . قال ابن عساکر وغيره : وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمان ، وأخذها بيان عن طلوت ابن اخت لبيد بن أعسم ، زوج ابنته ، وأخذها لبيد بن أعسم الساجر الذي سحر رسول الله ص . عن يهودى بالبن ، وأخذ عن الجعد الجعدي بن صفوان انطزرى ، وقيل التزمذي ، وقد أقام ببلخ ، وكان يصلى مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران ، حتى نفى إلى ترمذ ، ثم قتل الجهم بأصبهان ، وقيل بمرود ، قتله نائبها سلم بن أحوز رحمه الله جزاء عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دواد عن بشر ، وأما الجعد فانه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة ، فلقبه أئمتها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ، ثم إن خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد يوم عيد الاضحى بالكوفة ، وذلك أن خلافاً خطب الناس فقال في خطبته تلك : أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم ينخذ إبراهيم خليلاً . ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فذبجه في أصل المنبر .

وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد الله بن أحمد وذكره ابن عساکر في التاريخ ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلما راح إلى وهب يفتسل ويقول : أجمع للمقل ، وكان يسأل وهباً عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوماً : ويلك يا جعد ، أقمع المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من المالكين ، لولم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك ، وأن له عيناً ما قلنا ذلك ، وأن له نفساً ما قلنا ذلك ، وأن له سمماً ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك ، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل . ذكره ابن عساکر ، وذكر في ترجمته أنه قال للحجاج بن يوسف و يروى لسمران بن حطان :

ليث على وفي الحروب فعامة \* فتخاء تجفل من صغير الصافر  
هلا برزت إلى غزالتي الوغى \* بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا رزق الله بن موسى ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال رسول الله (س): «ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة، وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي كريب عن ابن أبي فديك عن عبد الملك بن سعيد بن زيد بن نفيل عن مصعب بن مصعب عن الزهري به. قلت: وهذا حديث غريب منكر، ومصعب بن مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري تكلم فيه وضعفه علي بن الحسين بن الجنيد: وكذا تكلم في الراوى عنه أيضا والله أعلم. وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة من بلاد الروم، وفي ربيع الآخر منها توفى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان.

ذكر وفاته وترجمته رحمه الله

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي، أمير المؤمنين. وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل الحزومي، وكانت داره بدمشق عند باب الخواصين، وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد التي يقال لها النورية الكبيرة، وتعرف بدارالقبابين - يعني الذين يبيعون القباب وهي الخيام - فكانت تلك الحلة داره والله أعلم. وقد بويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بهد منه إليه، وذلك يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وكان له من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة، وكان جميلا أبيض أحول يخضب بالسواد، وهو الرابع من ولد عبد الملك الذين ولوا الخلافة، وقد كان عبد الملك رأى في المنام كأنه بال في الحراب أربع مرات، فندس إلى سعيد بن المسيب من سألها ففسرها له بأنه يلي الخلافة من ولده أربعة، فوقع ذلك، فكان هشام آخرهم، وكان في خلافته حازم الرأي جماعا للأموال يبخل، وكان ذكيا مدبرا له بصر بالأموال جليلها وحقيرها، وكان فيسه حلم وأناة، شتم مرة رجلا من الأشراف فقال: أنشتمني وأنت خليفة الله في الأرض؟ فاستحيا وقال: اقتص مني بدلها أو قال بمنلها، فقال: إذا أكون سفيها، ذلك، قال نخذ عوضا قال: لا أفعل، قال: فاركها الله، قال: هي لله ثم لك، فقال هشام عند ذلك: والله لا أعود إلى مثلها.

وقال الأصمى: أسمع رجل هشاما كلاما فقال له: أتقول لي مثل هذا وأنا خليفتك؟ وغضب مرة على رجل فقال له: اسكت وإلا ضربتك سوطا، وكان علي بن الحسين قيد اقترض من مروان

ابن الحكم مالا أربعة آلاف دينار ، فلم يتعرض له أحد من بني مروان ، حتى استخلف هشام فقال :  
ما فعل حقنا قبلك ؟ قال : موفور مشكور ، فقال هو لك .

[ قلت : هذا السلام فيه نظر ، وذلك أن علي بن الحسين مات سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع  
ونسمين ، قبل أن يلى هشام الخلافة بأحدى عشرة سنة ، فإنه إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، فقول  
المؤلف : إن أحداً من خلفاء بني مروان لم يتعرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولى هشام فضالاه ،  
بالمال المذكور ، فيه نظر ولا يصح ، لتقدم موت علي على خلافة هشام ، وأقفة سبحانه وتعالى أعلم ]  
وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء ، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى أمر  
شديد وقال : وددت أنى أنتدبتهما بجميع ما أمالك . وقال المدائني عن رجل من حبي عن بشر بن  
هشام قال : أتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال : أ كسروا الطنبور على رأسه  
فبكي الشيخ ، قال بشر : فضربه ، قال أنتراني أبكي للضرب ، إنما أبكي لاحتقارك البربط حتى سميت  
طنبوراً ، وأغلظ لهشام رجل يوماً في الكلام فقال : ليس لك أن تقول هذا لامالك . وتقدم أحد هؤلاء  
يوم الجمعة فبعث إليه مالك لم تشهد الجمعة ؟ فقال : إن بغلتي عجزت هني ، فبعث إليه أما كان يمكنك  
المشي ، ومنعه أن يركب سنة ، وأن يشهد الجمعة ماشياً

وذكر المدائني أن رجلاً أهدى إلى هشام طيرين فأوردهما السفير إلى هشام ، وهو جالس على  
سرير في وسط داره ، فقال له : أرسلهما في الدار ، فأرسلهما ، ثم قال : جأرتني يا أمير المؤمنين فقال :  
ويحك وما جأرتك على هدية طيرين ؟ خذ أحدهما ، فجعل الرجل يسي خلف أحدهما ، فقال :  
ويحك ما بالك ؟ فقال أختار أجودهما : قال : وتختار أيضاً الجيد وتترك الرديء ؟ ثم أمر له بأربعين  
أو خمسين درهما . وذكر المدائني عن محرم ، كاتب يوسف بن عمر . قال : بعثني يوسف إلى هشام  
بباقوتة حمراء ، ولؤلؤة كانتا لرابعة ، جارية خالد بن عبد الله القسري ، مشتري الباقوتة ثلاثة وسبعون  
ألف دينار ، قال : فدخات عليه وهو على سرير فوقه فرش لم أر رأس هشام من علو تلك الفرش ،  
فأوربته له ، فقال : كم زنتها ؟ فقلت : إن مثل هذه لا مثل لها ، فسكت . قالوا : ورأى قوما يفرطون  
الزيتون فقال القطوه لقطا ولا تنفضوه ففضا ، فتفتأ عيونهم وتكسر غصونه ، وكان يقول : ثلاثة  
لا يضمن الشريف : تعاهد الصنيعة ، وإصلاح المعيشة ، وطلب الحق وإن قل . وقال أبو بكر الخرازمي :  
يقال إن هشاماً لم يقل من الشعر سوى هذا البيت :

إذا أنت لم تهي الهوى فادك الهوى • إلى كل نافية عليك مقال

وقد روي له شعر غير هذا ، وقال المدائني عن ابن يسار الأهرجسي حدثني ابن أبي بيجية عن عقال بن

شبة قال : دخلت على هشام وعليه قباء فنك أخضر ، فوجهني إلى خراسان ، ثم جعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء ، ففطن فقال : مالك ؟ قلت : عليك قباء فنك أخضر ، [ وكنت رأيت عليك مثله ] قبل أن تلي الخلافة ، فجملك أتأمل هذا هو ذلك أم غيره ، قال : والله الذي لا إله غيره هو ذلك ، مالي قباء غيره ، وما ترون من جمى لهذا المال وصورته إلا لكم . قال عقاب : وكان هشام محشواً بخلا .

وقال عبيد الله بن علي عم السفياح : جمعت دواوين بنى أمية فلم أر أصلح للامة والسلاطن من ديوان هشام . وقال المدائني عن هشام بن عبيد الحميد : لم يكن أحد من بنى مروان أشد نظراً في أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام ، وهو الذي قتل غيلان التدرى ، ولما أخضر بنى يديه قال له : ويحك قل ما عندك ، إن كان حتماً انبغناه ، وإن كان باطلاً رجعت عنه ، فناظره ميمون بن مهران فقال لميمون أشياء فقال له : أيمسى الله كارهاً ؟ فسكت غيلان فتيده حينئذ هشام وقتله . وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن منذر بن أبي وقال : أصبنا في خزان هشام اثني عشر ألف قيص كلها قد أثر بها . وشكى هشام إلى أبيه ثلاثاً إلا أنه يهاب الصعود إلى المنبر ، والثانية قلته تناول الطعام ، والثالثة أن عنده في القصر مائة جارية من حسان النساء لا يكاد يصل إلى واحدة منهن . فكتب إليه أبوه : أما صودك إلى المنبر فاذا علوت فوقه فارم ببصرك إلى مؤخر الناس فإنه أهون عليك ، وأما قلته الطعام فليكثر الألوان فملك أن تتناول من كل لون لقمة ، وعليك بكل بيضاء بضة ، ذات جمال وحسن . وقال أبو عبد الله الشافعي : لما بنى هشام بن عبيد الملك الرصافة قال : أحب أن أخلو بها يوماً لا يأتيني فيه خبر غم ، فما انصمب النهار حتى أتته ريشة دم من بعض الثغور ، فقال : ولا يوماً واحداً ؟ ! وقال سفيان بن عيينة : كان هشام لا يكتب إليه بكتاب فيه ذكر الموت . وقال أبو بكر بن أبي خزيمة : ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا حسين ابن زيد عن شهاب بن عبيد ربه عن عمر بن علي قال : مشيت مع محمد بن علي - يعني ابن الحسين ابن علي بن أبي طالب - إلى داره عند الحمام فقلت له : إنه قد طال ملك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين سنة ، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ، ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي (ص) قال : « لن يعمر الله ملكاً في أمة نبي مضى قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر في أمته ، فإن الله عمر نبيه (ص) ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة » . وقال ابن أبي خزيمة : ليس حديث فيه توقيت غير هذا ، قرأه يحيى بن معين على كتابي فقال : من حدثك به ؟ قلت : إبراهيم ، فتلفت أن لا يكون سمعاً ، وقد رواه ابن جرير في تاريخه عن أحمد بن زهير عن إبراهيم بن المنذر الحزامي . وروى مسلم بن إبراهيم ثنا القاسم بن الفضل . حدثني عباد بن المعمر الفسكي (١) عن عاصم بن

المنذر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير أنه سمع علياً يقول : هلاك ملك بني أمية على رجل أحول - يعني هشاماً - .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النخعي عن أبيه عن عمرو بن كليب عن سالم كاتب هشام بن عبد الملك : قال خرج علينا يوماً هشام وعليه كآبة وقد ظهر [ عليه ] الحزن ، فاستدعى الأبرش بن الوليد فجاءه فقال : يا أمير المؤمنين مالي أراك هكذا ؟ فقال : مالي لا أكون وقد زعم أهل العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاث وثلاثين من بومي هذا . قال : فكتبنا ذلك ، فلما كان آخر ليلة من ذلك جاءني رسول في الليل يقول : احضر مملك دواء للذبيحة ، وكان قد أصابته قبل ذلك ، فاستعمل منه فعوفي ، فذهبت إليه ومعي ذلك الدواء فتناوله وهو في وجع شديد ، واستمر فيه عامة الليل ، ثم قال : ياسالم اذهب إلى منزلك فقد وجدت خفة وفر الدواء عندي ، فذهبت فإهو إلا أن وصلت إلى منزلي حتى سمعت الصباح عليه ، فنجت فإذا هو قد مات .

وذكر غيره أن هشاماً نظر إلى أولاده وهم يبكون حوله فقال : جادلتم هشاماً بالدينا وجدتم عليه بالبكاء ، وتركتم لكم ما جمع ، وتركتم له ما كسب ، ما أسوأ منقلب هشام إن لم ينفذ الله له . ولما مات جاءت الخنزرة فتفتتوا على حواصله وأرادوا تسخين الماء فلم يقدروا له على لحم حتى استعاروا له ، وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم . وكانت وفاته بالرصافة يوم الأربعاء لست بقين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن بضع وخمسين سنة ، وقيل إنه جاوز الستين ، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذي ولي الخلافة بعده ، وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشر يوماً ، وقيل وثمانية أشهر وأيام فإله أعلم .

وقال ابن أبي فديك : ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله (س) قال : « ترفع زينة الدنيا سنة خبز وعشرين ومائة » . قال ابن أبي فديك : زينتها نور الإسلام وبهجته ، وقال غيره - يعني الرجال - وإله أعلم .

قلت : لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية ، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً ، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحو من سبع سنين ، ولكن في اختلاف وهيج ، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم ، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذلك ، بسوطاً مقدراً في مواضع ، وإله سبحانه وتعالى أعلم .

❦❦❦

بحمد الله مدتم الجزء التاسع من البداية والنهاية ويليه الجزء العاشر  
وأوله خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

## فهرست

## الجزء الثاني

من كتاب البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
٣٣ جبير بن نفير	٢ ثم دخلت سنة اربع وسبعين
عبدالله بن جعفر بن ابي طالب	٢ ذكر من توفي فيها من الأعيان
٣٤ ابو ادريس الخولاني	٤ ابو سعيد الخدري
معبد الجهني القدري	٤ عبدالله بن عمر
ثم دخلت سنة احدى وثمانين	٥ عبيد بن عمير
٣٥ فتنة ابن الأشعث	٦ ابو جحيفة
٣٧ سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر	مالك بن ابي عامر ابو عبد الرحمن السلمي
عبدالله بن شداد ابن الهاد	ابو معمر الاسدي
٣٨ محمد بن علي بن ابي طالب	٧ بشر بن مروان
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين	ثم دخلت سنة خمس وسبعين
٤٠ وقعة دير الجماجم	١١ ابو ثعلبة الخشني
٤٣ اسماء بن خاروجة الغزاري الكوفي	١٢ لأسود بن يزيد حران بن ايان
المغيرة بن المهلب الحارث بن عبدالله	ثم دخلت سنة ست وسبعين
محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة	١٥ صلة بن اشيم العدوي
عبدالله بن ابي طلحة بن ابي الأسود	١٦ زهير بن قيس الهلوي
عبد الله بن كعب بن مالك	١٧ ثم دخلت سنة سبع وسبعين
٤٤ عفان بن وهب جميل بن عبدالله	١٩ مقتل شبيب عند ابن الكلبي
٤٦ عمر بن عبيد الله كميل بن زياد	٢١ عياض بن غنم الأشعري
٤٧ ذاذان ابو عمرو الكندي	مطرف بن عبدالله
ام الدرداء الصغري	ثم دخلت سنة ثمان وسبعين
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين	٢٢ شريح بن الحارث
٥١ بناء واسط عبد الرحمن بن جحيزة	٢٦ عبدالله بن غنم جنادة بن أمية الأزدي
طارق بن شهاب عبيدالله بن عدي	العلاء بن زياد البصري
٥٢ ثم دخلت سنة اربع وثمانين	ثم دخلت سنة تسع وسبعين
ايوب بن القرية	٣١ ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة
٥٣ روح بن زنباع الجذامي	٣٢ وعن توفي في هذه السنة من الأعيان
٥٤ ايوب بن القرية	اسلم مولى عمر بن الخطاب
روح بن زنباع	

محيمة

- ٥٥ ثم دخلت سنة خمس وثمانين  
 ٥٧ عبد العزيز بن مروان  
 ٦٠ بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم  
 من بعده لولده سليمان  
 ٦١ ثم دخلت سنة ست وثمانين  
 عبد الملك بن مروان والد الخلفاء  
 الأمويين  
 ٦٩ ارطاة بن زفر مطرف بن عبدالله  
 ٧٠ خلافة الوليد بن عبد الملك  
 ٧١ ثم دخلت سنة سبع وثمانين  
 ٧٣ نعتبة بن عبد السلمي  
 المقدم بن معدى كرب  
 ابو امامة الباهلي قبيصة بن زؤيب  
 عروة بن المغيرة بن شعبة  
 ٧٤ شريح بن الحارث بن قيس القاضي  
 ثم دخلت سنة ثمان وثمانين  
 ٧٥ ومن توفي فيها من الأعيان  
 عبدالله بن بسر بن ابي بسر المازني  
 عبدالله بن ابي اوفى  
 ٧٦ وفيها توفي هشام بن اسماعيل  
 عمير بن حكيم  
 ثم دخلت سنة تسع وثمانين  
 ٧٧ ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة  
 ٨٠ يتاذوق الطايب خالد بن يزيد بن معاوية  
 عبدالله بن الزبير  
 ٨١ ثم دخلت سنة احدى وتسعين  
 ٨٢ سهل بن سعد الساعدي  
 ٨٣ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين  
 ٨٤ طويس المغني

محيمة

- ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين  
 ٨٥ فتح سمرقند  
 ٨٨ انس بن مالك  
 ٩٢ عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة  
 ٩٣ بدل بن ابي الدرداء بشر بن سعيد  
 زرارة بن اوفى خبيب بن عبدالله  
 حفص بن عاصم سعيد بن عبد الرحمن  
 فروة بن مجاهد ابو الشعثاء جابر بن زيد  
 ٩٥ ثم دخلت سنة أربع وتسعين  
 ٩٦ مقتل سعيد بن جبير رحمه الله  
 ٩٨ ذكرى من توفي فيها من المشاهير  
 ٩٩ سعيد بن المسيب  
 ١٠١ طلق بن حبيب العنزي  
 عروة بن الزبير بن العوام  
 ١٠٣ علي بن الحسين  
 ١١٥ ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث  
 ١١٦ ثم دخلت سنة خمس وتسعين  
 ١١٧ تزوجة الحجاج بن يوسف الثقفي ووفاته  
 فضيلة  
 ١٢٨ فضيلة  
 فيا روى عنه من الكلمات النافعة  
 والجرأة البالغة .  
 ١٤٠ ومن توفي فيها من الأعيان  
 الحسن بن محمد بن الحنفية  
 حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري  
 ثم دخلت سنة ست وتسعين  
 فضيلة  
 ١٥٤ فيا روي في جامع دمشق من الآثار وما



ابو الزاهرة حدير بن كريب الحصي  
 ابو الطفيل عامر بن وائلة  
 ابو عثمان النهدي  
 ١٩١ ثم دخلت سنة احدى ومائة  
 ١٩١ وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز  
 الامام المشهور رحمه الله  
 ١٩٦ **فصل**  
 وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار  
 ٢٠٧ **فصل**  
 ٢٠٩ **فصل**  
 ٢٠٨ ذكر سب وفاته رحمه الله  
 ٢١٢ **فصل**  
 ٢١٩ خلافة يزيد بن عبد الملك  
 ٢٢٠ ثم دخلت سنة ثنتين ومائة  
 ٢٢٢ ولاية مسلمة على بلاد العراق  
 وخراسان  
 ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين  
 ٢٢٣ الضحاك بن مزاحم الهلالي  
 ابو المتوكل الناجي  
 ١٩١ ثم دخلت سنة ثلاث ومائة  
 يزيد بن ابي مسلم  
 ٢٢٤ مجاهد بن جبير المكي  
**فصل**  
 ٢٢٩ مصعب بن سعد بن ابي وقاص  
 ثم دخلت سنة اربع ومائة  
 ٢٣٠ خالد بن سعدان الكلاعي  
 عامر بن سعد بن ابي وقاص الليثي  
 عامر بن شراحيل الشهدي

ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من  
 السادة الأخبار  
 ١٥٦ الكلام على ما يتعلق برأس يحيى  
 بن زكريا عليها السلام  
 ١٥٨ ذكر الساعات التي على يابه  
 ١٥٩ ذكر ابتداء امر السبع بالجامع الاموي  
 ١٦٠ **فصل**  
 ١٦١ وهذه ترجمة الوايد بن عبد الملك باني  
 جامع دمشق وذكر وفاته في هذا العام  
 ١٦٦ عبدالله بن عمر بن عثمان  
 خلافة سليمان بن عبد الملك  
 ١٦٧ مقتل قتيبة مسلم رحمه الله  
 ١٦٩ ثم دخلت سنة سبع وتسعين  
 ١٧٠ الحسن بن الحسن بن علي  
 ١٧١ موسى بن نصير  
 ١٧٤ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين  
 ١٧٧ عبدالله بن عبدالله بن عتبة  
 ثم دخلت سنة تسع وتسعين  
 ١٨٤ خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه  
 ١٨٥ الحسن بن محمد بن الحنفية  
 عبدالله بن محيريز بن جنادة بن عبيد  
 ١٨٦ محمود بن لبيد بن عقبة  
 نافع بن جبير بن مطعم كريب بن مسلم  
 محمد بن جبير بن مطعم مسلم بن يسار  
 ١٨٧ حنش بن عمرو الصنعاني  
 خارجة بن زيد  
 سنة مائة من الهجرة النبوية  
 ١٨٩ وفيها كان بدو دعوة بني العباس  
 ومن توفي فيها من الأعيان  
 ١٩٠ ابو امامة سهل بن حنيف

## صحيفة

- ٢٣١ ابو بردة بن ابو موسى الأشعري  
ابو قلابة الجرهمي  
ثم دخلت سنة خمس ومائة  
٢٣٣ خادفة مشام بن عبد الملك بن مروان  
أبان بن عثمان بن عفان  
٢٣٤ ثم دخلت سنة ست ومائة  
٢٥٠ القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق  
وفيها توفي كثير عزة الشاعر المشهور  
٢٥٦ ثم دخلت سنة ثمان ومائة  
٢٥٧ محمد بن كعب القرظي  
٢٥٩ ثم دخلت سنة تسع ومائة  
٢٦٠ سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية  
٢٦٥ جرير الشاعر  
وأما الفرزدق  
٢٦٦ فأما الحسن بن ابي الحسن  
٢٦٧ وأما ابن سيرين  
فَضِيحَاتُ  
٢٦٨ أما الحسن  
٢٧٤ محمد بن سيرين  
٢٧٦ وهيب بن منبه الباني  
فَضِيحَاتُ  
٣٠٢ سليمان بن سعد  
أم الهذيل  
عائشة بنت طلحة بن عبدالله التميمي  
عبدالله بن سعيد بن جبير  
عبد الرحمن بن أبان  
٣٠٣ ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة  
ثم دخلت سنة ثني عشرة ومائة  
٣٠٤ رجاء بن حيوة الكندي

## صحيفة

- شهر بن حوشب الأشعري المحصي  
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة  
الأمير عبد الوهاب بن بخت  
٣٠٥ مكحول الشامي  
٣٠٦ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة  
عطاء بن ابي رباح  
٣٠٩ ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة  
ابو جعفر الباقر  
فَضِيحَاتُ  
٣١٢ ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة  
٣١٢ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة  
قتادة بن دعامة السدوسي  
٣١٤ فَضِيحَاتُ  
٣١٩ نافع مولى ابن عمر  
ذو الرمة الشاعر  
٣٢٠ ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة  
علي بن عبدالله بن عباس  
٣٢١ ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة  
٣٢٤ سنة عشرين ومائة من الهجرة  
٣٢٦ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة  
٣٢٨ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن  
أبي طالب  
مسلمة بن عبد الملك  
٣٢٩ نمير بن قيس  
ثم دخلت سنة ثنين وعشرين ومائة  
٣٣١ عبدالله ابو يحيى المعروف بالبطال  
٣٣٤ أياس اللادي

صحيحة

٣٣٨ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة  
 ٣٣٩ ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة  
 ٣٤٠ القاسم بن أبي بزة (١)  
 الزهري

٣٤٤ فضيلة

٣٤٨ بلال بن سعد

٣٥٠ ترجمة الجعد بن درهم

٣٥١ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة  
 ذكر وفاته وترجمته رحمه الله

انتهى القهرست





جميع الحقوق محفوظة

للمنشر

مكتبة الرحمان  
بيروت

الحافظ ابن كثير  
الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ

# الْبَيْدَاءُ وَالنَهَائِيَّةُ

الجزء العاشر

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح  
قامت بها هيئة باشراف الناشر

الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

بيروت - لبنان

مكتبة المحاريف

ص. ب. ١٧٦١ - ١١

بيروت

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## خلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك

قال الواقدي : بويغ له بالخلافة يوم مات عمه هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . وقال هشام بن السكابي : بويغ له يوم السبت في ربيع الآخر ، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة . وكان سبب ولايته أن أباه يزيد بن عبد الملك كان قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ثم من بعده لولده الوليد هذا ، فلما ولي هشام أكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخطاه سوءه وبجاس اللهو ، فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمره على الحج سنة ست عشرة ومائة ، فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه ، حتى يقال إنه جعلها في صناديق فسقط منها صندوق فينه كلب فسمع صوته فاحلوا ذلك على الجمال فضرب على ذلك . قالوا : واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة ، ومن عزوه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هناك ، واستصحب معه الخمر والآلات الملهي وغير ذلك من المنكرات ، فلما وصل إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه ، من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفاً من الناس ومن إنكارهم عليه ذلك ، فلما تحقق عمه ذلك منه نهاه مراراً فلم يفته ، واستمر على حاله التبيح ، وعلى فعله الردي ، فمزم عمه على خله من الخلافة - وليته فعل - وأن يولي بعده مسعدة بن هشام ، وأجابه إلى ذلك جماعة من الأمراء ، ومن أخواله ، ومن أهل المدينة ومن غيرهم ، وليت ذلك تم . ولكن لم ينتظم حتى قال هشام يوماً لوليد : ويحك والله ما أدرى أعلى الأسلام أنت أم لا ، فانك لم تدع شيئاً من

المنكرات إلا أتمته غير متحاش ولا مستتر . فكتب إليه الوليد :

يا أيها السائلُ عن ديننا \* ديني على دين أبي شاكِر  
نشرها صرفاً ومزوجةً \* بالسخن أحياناً وبالذائر

فغضب هشام على ابنه مسلمة ، وكان يسمى أباشاكر ، وقال له : تشبه الوليد بن يزيد وأنا أريد  
أن أرتيك إلى الخلافة ، وبعثه على الموسم سنة تسع عشرة ومائة فأظهر النساك والوقار ، وقسم بمكة  
والمدينة أموالاً ، فقال ، ولي لأهل المدينة :

يا أيها السائلُ عن ديننا \* نحنُ على دين أبي شاكِر  
الواهبِ الجردِ بأرسانها \* ليس بزنديقٍ ولا كافِرٍ

وقمت بين هشام وبين الوليد بن يزيد وحشة عظيمة بسبب تعاطي الوليد ما كان يتمناه من  
الفواحش والمنكرات ، فنشكر له هشام وعزم على خلعها وتولية ولده مسلمة ولاية العهد ، ففر منه الوليد  
إلى الصحراء ، وجعل يتراسلن بأقبح المراسلات ، وجعل هشام يتوعدده وعيناً شديداً ، وتهديده ،  
ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليد في البرية ، فلما كانت الليلة التي قدم في صبيحتها عليه البرد  
بالخلافة ، فأتى الوليد تلك الليلة قلقاً شديداً ، وقال لبعض أصحابه : ويحك قد أخطأني الليلة فأتى  
عظيم فاركب لعننا نبدط ، فساراً ميلين يتكلمان في هشام وما يتعلق به ، من كتيبه إليه بالتهديد  
والوعيد ، ثم رأيا من بعد رجما وأصواتاً وغباراً ، ثم انكشف ذلك عن برد يتصدده بالولاية ، فقال  
لصاحبه : ويحك إن هذه رسل هشام ، اللهم اعطنا خيرها ، فلما اقتربت البرد منه وتهدده ترجلها  
إلى الأرض وجازاً فسلخوا عليه بالخلافة ، فهبت وقال : ويحك أمات هشام ؟ قالوا : نعم ، قال : فمن  
بمشكم ؟ قالوا : سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل ، وأعطوه الكتاب فقرأه ثم سألم عن  
أحوال الناس وكيف مات عمه هشام ، فأخبروه . فكتب من فور : بالاحتياط على أموال هشام  
وحواله بالرصافة وقال :

ليت هشاماً عيش حتى يرى \* مكيله الأوفر قد طبعها  
كناهُ بالصاع الذي كاله \* وما ظلمناه به إصمها  
وما أتيننا ذلك عن بدعة \* أحله الفرقان لي أجمها

وقد كان الزهري يحث هشاماً على خلع الوليد هذا ويستترضه في ذلك ، فيجهم هشام عن ذلك  
خوف الفضيحة من الناس ، ولئلا تتنكر قلوب الأجناد من أجل ذلك ، وكان الوليد يهيم بذلك من  
الزهري ويهضه ويتوعدده وتهديده ، فيقول له الزهري : ما كان الله يساطك على يافاسق ، ثم مات  
الزهري قبل ولاية الوليد ، ثم فر الوليد من عمه إلى البرية فلم يزل بها حتى مات ، فأحاط على أموال

عنه ثم ركب من فورهِ من البرية وقصد دمشق ، واستعمل العمال وجاءته البيعة من الآفاق ، وجاءته الوفود ، وكتب إليه مروان بن محمد - وهو إذ ذاك نائب أرمينية - ببارك له في خلافة الله له على عباده والتمكين في بلاده ، وبهتته بموت هشام وظفروه به ، والتحكّم في أمواله وحواصله ، ويذكر له أنه جدد البيعة له في بلاده ، وأنهم فرحوا واستبشروا بذلك ، ولولا خوفه من الشغل لاستتاب عليه وركب بنفسه شوقاً إلى رؤيته ، ورغبة في مشافهته ، ثم إن الوليد سار في الناس سيرة حسنة بآدى الرأى وأمر باعطاء الزمنى والمجدومين والمعتمدين لكل إنسان خادماً ، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لعليات المسلمين ، وزاد في أعطيات الناس ، ولانسيا أهل الشام والوفود ، وكان كريماً بما صدحاً شاعراً مجيداً ، لا يسأل شيئاً قط فيقول لا ، ومن شعره قوله يمدح نفسه بالكرم :

ضمنت لكم إن لم تغنى عوائق \* بان ساء الضر عنكم ستلغ  
سيوشك الخلق ممّا وزيادة \* وأعطيه مني إليكم تبرع  
عزّمكم ديوانكم وعطاؤكم \* به يكتب الكتاب شهراً وتطبع

وفي هذه السنة عقد الوليد البيعة لابنه الحكم ثم عثمان ، على أن يكونا وليي العهد من بعده ، وبعث البيعة إلى يوسف بن عمر أمير العراق وخراسان ، فأرسلها إلى نائب خراسان نصر بن سيار ، فخطب بذلك نصر خطبة عصبية مدّته طويلة ، ساقها ابن جرير بكاملها ، واستوثق للوليد الممالك في المشارق والمغرب ، وأخذت البيعة بولديه من بعده في الآفاق ، وكتب الوليد إلى نصر بن سيار بالاستقلال بولاية خراسان ، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فسأله أن يرد إليه ولاية خراسان فردها إليه كما كانت في أيام هشام ، وأن يكون نصر بن سيار ونوابه من تحت يده ، فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يستوفده إلى أمير المؤمنين بأهله وعياله ، وأن يكثر من استصحاب الهدايا والتحف . فحمل نصر بن سيار ألف مملوك على الخليل ، وألف وصيفة وشيئا كثيراً من أباريق الفضة والذهب ، وغير ذلك من التحف ، وكتب إليه الوليد يستحثه سريعاً ويطلب منه أن يحمل معه طنابيراً وبرابطاً ومغنيات وبارات وبراذين فره ، وغير ذلك من آلات الطرب ، والفسق ، ففكره الناس ذلك منه وكرهوه . وقال المنجمون لنصر بن سيار : إن الفتننة قريباً ستقع بالشام ، فجعل يتشاقل في سيره ، فلما أن كان ببعض الطريق جاءته البرد فأخبروه بأن الخليفة الوليد قد قتل وهاجت الفتننة العظيمة في الناس بالشام ، فمدل بما معه إلى بعض المدن فأقام بها ، وبلغه أن يوسف بن عمر قد هرب من العراق واضطربت الأمور ، وذلك بسبب قتل الخليفة على ماسند كره ، وبالله المستعان .

وفي هذه السنة ولي الوليد يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى ولاية المدينة ومكة والطائف ، وأمره أن يقم إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل الخزومي بالمدينة مهانين لكونهما خالي هشام ، ثم بيث



بهما إلى يوسف بن عمر نائب العراق فبعثهما إليه . فما زال يعذبهما حتى ماتا وأخذ منهما أموالا كثيرة .  
 وفي هذه السنة ولى يوسف بن محمد بن يحيى بن سعيد الأنصارى قضاء المدينة ، وفيها بعث الوليد بن  
 يزيد إلى أهل قبرص جيشا مع أخيه وقال : خيرهم فمن شاء أن يتحول إلى الشام ، ومن شاء أن  
 يتحول إلى الروم ، فكان منهم من اختار جوار المسلمين بالشام ، ومنهم من انتقل إلى بلاد الروم .  
 قال ابن جرير : وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب  
 فلقوا - في قول بعض أهل السير - محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم فقال : أحر هو أم لا ؟ فقالوا :  
 أما هو فيزعم أنه حر ، وأما ولاء فيزعم أنه عبده ، فاشتروه فأعتوه ، ودفنوا إلى محمد بن علي مائتي  
 ألف درهم وكسوة بثلاثين ألفا ، وقال لهم : لعنكم لا تلتقوا بمد عامكم هذا ، فان مت فان صاحبكم  
 إبراهيم بن محمد - يعني ابنه - فانه ابني ، فأوصيكم به . كومات محمد بن علي في مستهل ذي القعدة في  
 هذه السنة بمد أبيه بسبع سنين . وفيها قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان . وجمع بالناس فيها يوسف  
 ابن محمد الثقفي أمير مكة والمدينة والطائف . وأمير العراق يوسف بن عمر ، وأمير خراسان نصر بن  
 سيار ، وهو في حمة الوفود إلى الوليد بن يزيد أمير المؤمنين بما معه من الهدايا والتحف ، قتل الوليد  
 قبل أن يجتمع به . ومن توفى فيها من الأعيان :

#### محمد بن علي

ابن عبد الله بن عباس أبو عبد الله المدني ، وهو أبو السفاح والمنصور ، روى عن أبيه وجده  
 وسعيد بن جبير وجماعة ، وحدث عنه جماعة منهم ابنه الخليفة ، أبو العباس عبد الله السفاح ،  
 وأبو جعفر عبد الله المنصور ، وقد كان عبد الله بن محمد بن الحنفية أوصى إليه بالأمر من بعده  
 وكان عنده علم بالأخبار ، فيشره بأن الخلافة ستكون في ولدك ، فدعا إلى نفسه في سنة سبع  
 وثمانين ، ولم يزل أمره يتزايد حتى توفى في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها ،  
 عن ثلاث وستين سنة ، وكان من أحسن الناس شكلا ، فأوصى بالأمر من بعده لولده إبراهيم ، فما  
 أبرم الأمر إلا لولده السفاح ، فاستلب من بني أمية الأمر في سنة ثنتين وثلاثين كما سيأتي .

#### وأما يحيى بن يزيد

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فانه لما قتل أبوه زيد في سنة إحدى وعشرين ومائة ،  
 لم يزل يحيى مخفيا في خراسان عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ ، حتى مات هشام ، فكتب  
 عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يخبره بأمر يحيى بن زيد ، فكتب نصر بن سيار إلى  
 نائب بلخ مع عقيل بن مقل العجلي ، فأحضر الحريش فماقه سنائة سوطة فلم يدل عليه ، وجاء ولد  
 الحريش فدلبهم عليه فجلس ، فكتب نصر بن سيار إلى يوسف بذلك ، فبعث إلى الوليد بن يزيد

يحيرد بذلك ، فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره بإطلاقه من السجن وإرساله إليه صحبة أصحابه ، فأطلقهم وأطلق لهم وجههم إلى دمشق ، فلما كانوا يمهض الطريق توسم نصر منه غدرآ ، فبعث إليه جيشا عشرة آلاف فكسرهم يحيى بن زيد ، وإنما معه سبعون رجلا ، وقتل أميرهم واستلب منهم أموالا كثيرة ، ثم جاءه جيش آخر فقتلوه واحتزوا رأسه وقتلوا جميع أصحابه رحمهم الله ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

فيها كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهذه ترجمته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحسك ، أبو العباس الأموي الدمشقي ، يوبع له بالخلافة بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه كما قدمنا . وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي . وكان مولده سنة تسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل سبع وثمانين ، وقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله ، ومع ذلك إنما قتل لفسقه ، وقيل وزندقته . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو المنيرة ثنا بن عياش حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : ولدناخي أم سلمة زوج النبي (س) ، غلام فسموه الوليد ، فقال النبي (ص) : « سميتموه باسم فراعيسكم ، ليكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، هو أشد فسادا لهذه الأمة من فرعون اقومه » . قال الحافظ ابن عساكر : وقد رواد الوليد بن مسلم ومقل بن زياد ومحمد بن كثير وبشر بن بكر عن الأوزاعي فلم يذكر وا عمر في إسناده وأرسلوه ، ولم يذكر ابن كثير سعيد بن المسيب ، ثم ساق طريقه هذه كلها بأسانيدها وألفاظها . وحكى عن البيهقي أنه قال : هو مرسل حسن ، ثم ساق من طريق محمد بن محمد بن عمر بن عطاء عن زيد بن بنت أم سلمة عن أمها قالت : « دخل النبي (ص) ، وعندى غلام من آل المنيرة اسمه الوليد ، فقال : من هذا يا أم سلمة ؟ قالت : هذا الوليد ، فقال النبي (ص) : قد اتخذتم الوليد خنانا (حسانا) غيروا اسمه ، فانه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد » . وروى ابن عساكر من حديث عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا محمد بن غالب الأنطاكي ثنا محمد بن سليمان بن أبي داود ثنا صدقة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة ابن الجراح عن النبي (ص) ، قال : « لا يزال هذا الأمر قائما بالتوسط حتى ينلته رجل من بني أمية » .

مقتله وزوال دولته

كان هذا الرجل مجاهرا بالزواحش مصرا عليها ، منهمك بحرام الله عز وجل ، لا يتعاشق من مصيبة . وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين ، فالله أعلم ، لكن الذي يظهر أنه كان عاضيا شاعرا ما جفا متعاطيا للماصي ، لا يتعاشاها من أحد ، ولا يستحي من أحد ، قبل أن يلى

الخليفة وبعده أن ولي ، وقد روى أن أخاه سليمان كان من جملة من سمى في قتله ، قال : أشهد أنه كان شروياً للخمر ما جئنا فاسقا ، ولقد أرادني على نفسى الفاسق . وحكى المعافى بن زكريا عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي أن الوليد بن يزيد نظر إلى نصرانية من حسان نساء النصارى اسمها سفري فأحبها ، فبعث يراودها عن نفسها فأبت عليه ، فألح عليها وعشقها فلا تطاوعه ، فاتفق اجتماع النصارى في بعض كنائسهم لعيد لهم ، فذهب الوليد إلى بستان هناك فتنكر وأظهر أنه مصاب ، فخرج النساء من الكنيسة إلى ذلك البستان ، فأرأينه فأحسقن به ، فجعل يكلم سفري ويحادثها وتضاحكه ولا تعرفه ، حتى اشتفى من النظر إليها ، فلما انصرفت قيل لها : ويحك أتدريين من هنا الرجل ؟ فقالت : لا ! فقيل لها هو الوليد . فلما تحققت ذلك حنت عليه بعهد ذلك وكانت عليه أحرص منه عليها قبل أن نحن عليه . فقال الوليد في ذلك أبياتا :

أضحك فؤادك يا وليدُ عميداً \* صبأ فديماً للحسان صيودا  
في حبِّ واطمة الموارضِ طفلةٍ \* برزت لنا نحو الكنيسة عيدا  
مازلتُ أرمقها بهيني واني \* حتى بصرتُ بها تقبلُ عودا  
عود الصليب فويح نفسي من رأى \* منكم صليباً مثله معبودا  
فسألتُ ربِّي أن أكون مكانه \* وأكون في هلب الجحيم وقودا

وقال فيها أيضا لما ظهر أمره وعلم بحاله الناس . وقيل إن هذا وقع قبل أن يلى الخلافة :

ألا حينما سزى وإن قيل إنني \* كلفت بنصرانية تشرب الخرا  
يهون علينا أن نظل نهارنا \* إلى الليل لاظهر أنصلي ولا عصرا

قال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طرار النهرواني بعد إبراده هذه الأشياء : لا وليد في نحو هذا من الخلاعة والمجون وسخافة الدين ما يطول ذكره ، وقد ناقضناه في أشياء من منظوم شعره المتضمن ريك ضلاله وكفره . وروى ابن عساكر بسنده أن الوليد سمع بخمار صاف بالحيرة فقصدته حتى شرب منه ثلاثة أرتال من الخمر ، وهو راكب على فرسه ، ومعه اثنان من أصحابه ، فلما انصرف أمر للخمار بخمسة دینار . وقال القاضي أبو الفرج : أخبار الوليد كثيرة قد جمعها الأخباريون مجموعة ومفردة ، وقد جمعت شيئا من سيرته وأخباره ، ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من جرأته وسفاهته وحمة وهزله ومجونه وسخافة دينه ، وما صرح به من الالحاد في القرآن العزيز ، والكفر بمن أنزله وأنزل عليه ، وقد عارضت شعره السخيف بشعر حصيف ، وباطله بحق نبيه شريف ، وترجبت رضاء الله عز وجل واستيجاب مغفرته .

وقال أبو بكر بن أبي خيشمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان ، قال : أراد الوليد

ابن يزيد الحج وقال : أشرب فوق ظهر الكعبة الحمر ، فهموا ان ينتسكوا به إذا خرج ، فجاؤا إلى خالد ابن عبد الله القسري فسألوه أن يكون معهم فأبى ، فقالوا له : فآتم علينا ، فقال : أما هذا فنعم ، فجاء إلى الوليد فقال : لا تخرج فاني أخاف عليك ، فقال : ومن هؤلاء الذين يخافهم علي ؟ قال : لا أخبرك بهم . قال : إن لم تخبرني بهم بعثت بك إلى يوسف بن عمر ، قال : وإن بعثت بي إلى يوسف ابن عمر ، فبعثه إلى يوسف فعاقبه حتى قتله . وذكر ابن جرير أنه لما امتنع أن يعلمه بهم سجنه ثم سلمه إلى يوسف بن عمر يستخلص منه أموال العراق فقتله ، وقد قيل إن يوسف لما وفد إلى الوليد اشترى منه خالد بن عبد الله القسري بخمسين ألف يخلصها منه ، فما زال يعاقبه ويستخلص منه حتى قتله ، ففضبت أهل اليمن من قتله ، وخرجوا على الوليد .

قال الزبير بن بكار : حدثنا مصعب بن عبد الله قال سمعت أبي يقول : كنت عند المهدي فذكر الوليد بن يزيد فقال رجل في المجلس : كان زنديقاً ، فقال المهدي : خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق . وقال أحمد بن عمير بن حوصاء الدمشقي : ثنا عبسد الرحمن بن الحسن ثنا الوليد ابن مسلم ثنا حصين بن الوليد عن الأزهرى بن الوليد قال : سمعت أم الدرداء تقول : إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والعراق ، ظلوماً لم يزل طاعة مستخف بها ودم مسفوك على وجه الأرض بغير حق . قال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري :

### قتل يزيد بن الوليد الناقص للوليد بن يزيد

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخسلاعه وبجائته وفسقه وما ذكر عن تهاونه بالصلوات واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته وبعدها . فانه لم يزد في الخلافة إلا شراً ولهاو والدة وركوبا للصيد وشرب المسكر ومنادمة الفساق ، فما زادت الخلافة على ما كان قبلها إلا تماديا وغرورا ، فنقل ذلك على الأمراء والرعية والجند ، وكرهوه كراهة شديدة ، وكان من أعظم ما جرى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه ، إفساده على نفسه بنى عميه هشام والوليد بن عبد الملك مع إفساده الجمانية ، وهي أعظم جند خراسان ، وذلك أنه لما قتل خالد بن عبد الله القسري وسلمه إلى غريمه يوسف بن عمر الذي هو نائب العراق إذ ذاك ، فلم يزل يعاقبه حتى هلك ، انقلبوا عليه وتنكروا له وساءم قتله كما سنذكره في ترجمته . ثم روى ابن جرير بسنده أن الوليد بن يزيد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمان فحبسه بها ، فلم يزل هناك حتى قتل الوليد ، وأخذ جارية كانت لآل عمه الوليد بن عبد الملك ، فكلمه فيها عمر بن الوليد فقال : لا أردّها ، فقال : إذا تكثرت لعداها حول عسكري . وحبس الأقم يزيد بن هشام ، وبايع لولديه الحكم وعثمان ، وكانا دون

البلوغ ، فشق ذلك على الناس أيضا وأصحوه فلم ينتصح ، ونهوه فلم يرتدع ولم يقبل .  
قال المدائني في روايته : نقل ذلك على الناس ورماه بنو هاشم وبنو الوليد بالسكفر والزندقة  
وغشيان أمهات أولاد أبيه ، وباللواط وغيره ، وقالوا : قد أخذ مائة جامعة على كل جامعة اسم رجل  
من بني هاشم ليقتهل بها ، ورموه بالزندقة ، وكان أشدم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان  
الناس إلى قوله أميل ، لأنه أظهر النسك والتواضع ، ويقول مايسعنا الرضا بالوليد حتى حمل الناس  
على الفتك به ، قالوا : وانتدب للقيام عليه جماعة من قضاة والعمامة وخلق من أعيان الأمراء وآل  
الوليد بن عبد الملك ، وكان القائم بأعباء ذلك كله والداعي إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ،  
وهو من سادات بني أمية ، وكان ينسب إلى الصلاح والدين والورع ، فبايحه الناس على ذلك ، وقد  
نهاه أخوه العباس بن الوليد فلم يقبل ، فقال : والله لولا أني أخاف عليك لقيدتك وأرسلتلك إليه ،  
واتفق خروج الناس من دمشق من وباء وقع بها ، فسكان ممن خرج الوليد بن يزيد أمير المؤمنين  
في طائفة من أصحابه نحو المائتين ، إلى ناحية مشارف دمشق ، فانظم إلى يزيد بن الوليد أمره وجمل  
أخوه العباس ينهاه عن ذلك أشد النهي ، فلا يقبل ، فقال العباس في ذلك :

إلى أعينكم بالله من قتين \* مثل الجبال تسامى ثم تندفع  
إن البرية قد ملت سياستكم \* فاستمسيكوا به ووالدين وارثدعوا  
لا تلجمن ذناب الناس أنفسكم \* إن الدباب إذا ما ألحرتعوا  
لا تبغرن بأيديكم بطونكم \* فم لا حسرة تغني ولا جزع

فدا استوثق ليزيد بن الوليد أمره ، وبايحه من بايحه من الناس ، قصد دمشق فدخلها في غيبة  
الوليد فبايحه أكثر أهلها في الليل ، وبلغته أن أهل المرة قد بايعوا كبيرهم معاوية بن مصدق ، فغضب  
إليه يزيد ماشيا في نفر من أصحابه ، فأصابهم في الطريق خطر شديد ، فأثرو فطرقوا بابه ليلا ثم دخلوا  
فكلمه يزيد في ذلك فبايحه معاوية بن مصدق ، ثم رجع يزيد من ليلته إلى دمشق على طريق القنطرة  
وهو على حمار أسود ، فحلف أصحابه أنه لا يدخل دمشق إلا في السلاح ، فلبس سلاحا من تحت ثيابه  
فدخلها ، وكان الوليد قد استناب على دمشق في غيبته عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف  
التقي ، وعلى شرطها أبو العجاج كثير بن محمد بن عبد الله السلمي ، فلما كان ليلة الجمعة اجتمع أصحاب يزيد  
بين الشائين عند باب الفراديس ، فلما أذن المشاء الآخرة دخلوا المسجد ، فلما لم يبق في المسجد  
غيرهم بعثوا إلى يزيد بن الوليد فجاءهم فقصوا لهم المقصورة ففتح لهم خادم ، فدخلوا فوجدوا أبا العجاج  
وهو سكران ، فأخذوا خزان بيت المال وتسلبوا الخواصل ، وتووا بالأسلحة ، وأمر يزيد بأغلاق  
أبواب البلد ، وأن لا يفتح إلا لمن يعرف ، فلما أصبح الناس قدم أهل الخواصر من كل جانب

فدخلوا من سائر أبواب البلد ، كل أهل محلة من الباب الذي يليهم ، فكثرت الجيوش حول يزيد ابن الوليد بن عبد الملك في نصرته ، وكلهم قد بايعة بالخلافة . وقد قال فيه بعض الشعراء في ذلك : -

لجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا \* سكاسكها أهل البيوت الصناديد  
وكلبها فجأؤهم بخيل وعدة \* من البيض والابدان ثم السواعد  
فأكرمها أحياء انصار سنة \* هم منعو حرمتها كل جاحد  
وجاءتهم شيبان والازد شرعاً \* وعبس ونلم بين حلم وذائد  
وغسان والحيتان قيس وتغلب \* واحجم عنها كل وان وزاهد  
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها \* قد استوثقوا من كل عات ومارد

وبعث يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد في مائتي فارس إلى قطننا ليأتوه بعبد الملك بن محمد ابن الحجاج نائب دمشق وله الأمان ، وكان قد تحصن هناك ، فدخلوا عليه فوجدوا عنده خرجين في كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار ، فلما مروا بالمزة قال أصحاب ابن مصاد : خذ هذا المال فهو خير من يزيد بن الوليد ، فقال : لا والله لا تحدث العرب أنى أول من خان ، ثم أتوا به يزيد بن الوليد فاستخدم من ذلك المال جنداً للقتال قريباً من ألفي فارس ، وبعث به مع أخيه عبدالعزیز بن الوليد بن عبد الملك خالف الوليد بن يزيد ليأتوا به ، وركب بعض والى الوليد فرسا سابقاً فساق به حتى انتهى إلى مولاه من الليل ، وقد نفق الفرس من السوق ، فأخبره الخبير فلم يصدق وأمر بضربه ، ثم تواترت عليه الأخبار فأشار عليه بعض أصحابه أن يتحول من منزله ذلك إلى حصن فانها حصينة . وقال الأبرش سعيد بن الوليد السكابي : انزل على قومي بتدمر ، فأبى أن يقبل شيئاً من ذلك ، بل ركب من معه ، وهو في مائتي فارس ، وقصد أصحاب يزيد فالتقوا بثقة في أثناء الطريق فأخذوه ، وجاء الوليد فقتل حصن البخراء الذي كان للنعمان بن بشير ، وجاء رسول العباس بن الوليد إلى أتيتك - وكان من أنصاره - فأمر الوليد بإبراز سريره فجلس عليه وقال : أعلی يتوئب الرجال وأنا أتب على الأسد وأتخصر الأعمى ؟ وقدم عبد العزيز بن الوليد من معه ، وإنما كان قد خلاص معه من الأفي فارس مائة فارس ، فتصافوا فاقتنلوا قتالاً شديداً ، فقتل من أصحاب العباس جماعة حملت رؤسهم إلى الوليد ، وقد كان جاء العباس بن الوليد لنصرة الوليد بن يزيد ، فبعث إليه أخوه عبد العزيز بن يحيى به قهراً حتى بايع أخيه يزيد بن الوليد ، واجتمعوا على حرب الوليد بن يزيد ، فلما رأى الناس اجتماعهم فروا من الوليد إليهم ، وبقى الوليد في ذل وقل من الناس ، فلجأ إلى الحصن فهاؤا إليه وأحاطوا به من كل جانب يحاصرونه ، فدنا الوليد من باب الحصن فدأى ليكلم في رجل شريف ، فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي ، فقال الوليد : ألم أدفع الموت عنكم ؟

ألم أعط فقراءكم ؟ ألم أخدم نساءكم ؟ فقال يزيد : إنما نقم عليك انتهاك المحرم وشرب الخمر  
 ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستغنائك بأمر الله عز وجل . فقال ، حسبك يا أبا السكاسك ، لقد  
 أكثرت وأغرقت ، وإن فيما أحل الله لي لسمة عما ذكرته . ثم قال : أما والله لئن قتلتوني لارتقتن  
 فتنفسكم ولا يلم شمسكم ولا يجتمع كلتكم . ورجع إلى القصر فجلس ووضع بين يديه مصحفا فنشره  
 وأقبل يقرأ فيه وقال : يوم كيوم عثمان ، واستسلم ، وتسور عليه أولئك الحائط ، فكان أول من نزل  
 إليه يزيد بن عنبسة ، فقدم إليه وإلى جانبه سيف فقال : معك ، فقال الوليد : لو أردت القتال  
 به لكان غير هذا ، فأخذ بيده وهو يريد أن يجلسه حتى يبعث به إلى يزيد بن الوليد ، فبادره  
 عليه عشرة من الأمراء فأقبلوا على الوليد يضربونه على رأسه ووجهه بالسيف حتى قتله ، ثم جروه  
 برجله ليخرجه ، فصاحت النسوة ففكره ، واحتز أبو عذابة القضاعي رأسه ، واحتاطوا على ما كان  
 معه مما كان خرج به في وجهه ذلك ، وبعثوا به إلى يزيد مع عشرة نفر ، منهم منصور بن جمهور  
 وروح بن مقبل وبشر مولى كنانة من بني كلب ، وعبد الرحمن الملقب بوجه الفليس ، فلما أتوا إليه  
 بشروه بقتل الوليد وسلوا عليه بالخلافة ، فأطلق لكل رجل من العشرة عشرة آلاف ، فقال له  
 روح بن بشر بن مقبل : أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق ، فسجد شكرا لله ورجعت  
 الجيوش إلى يزيد ، فكان أول من أخذ يده للبيعة يزيد بن عنبسة السكسي فانتزع يده من يده  
 وقال : اللهم إن كان هذا رضى لك فأعني عليه ، وكان قد جعل لمن جاءه رأس الوليد مائة ألف  
 درهم ، فلما جرى به - وكان ذلك ليلة الجمعة وقيل يوم الأربعاء - الليلتين بقيتا من جمادى الآخرة  
 سنة ست وعشرين ومائة . فأمر يزيد بنصب رأسه على ربح وأن يطاق به في البلد ، فقيل له إنما  
 ينصب رأس الخارجى ، فقال : والله لا نصبه ، فشهره في البلد على ربح ثم أودعه عند رجل شهراً ثم  
 بعث به إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فقال أخوه بعدئله : أشهد أنك كنت شروبا للخمر ما جئنا فاستما  
 والد أرادنى على نفسى هذا الفاسق وأنا أخوه ، لم يأنف من ذلك . وقد قيل إن رأسه لم يزل معلقا  
 بمحاطب جامع دمشق الشرق مما إلى الصحن حتى انقضت دولة بني أمية ، وقيل إنما كان ذلك أترده ،  
 وكان عمره يوم قتل ستا وثلاثين سنة ، وقيل ثمانيا وثلاثين ، وقيل إحدى وثلاثين ، وقيل ثنتان وقيل  
 خمس ، وقيل ست وأربعون سنة . ومدة ولايته سنة وستة أشهر على الأشهر ، وقيل ثلاثة أشهر . قال  
 ابن جرير : كان شديد البطح طويل أصابع الرجلين ، كانت تضرب له سكة الحديد في الأرض ويربط  
 فيها خيط إلى رجله ثم يثب على الفرس فيركبها ولا يمس الفرس ، فتنقلع تلك السكة من الأرض  
 مع وثيقته .  
 خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان  
 وهو الملقب بالناقص لنتقصه الناس من أعطياهم - م ما كان زاده الوليد بن يزيد في أعطياهم ،

وهي عشرة عشرة ، و رده إليهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام ، ويقال إن أول من لقبه بذلك مروان بن محمد ، بويح له بالخلافة بسد . مقتل الوليد بن يزيد ، وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة - حتى سنة ست وعشرين ومائة - وكان فيه صلاح وورع قبل ذلك ، فأول ما عمل انتقاصه من أرزاق الجند ما كان الوليد زادهم ، وذلك في كل سنة عشرة عشرة ، فسمى الناقص لذلك ، ويقال في المثل الأشج والناقص أعدلا خلفاء بني مروان - يعني عمر بن عبد العزيز وهذا - ولكن لم تطل أيامه ، فانه توفي من آخر هذه السنة ، واضطرت عليه الأمور ، وانفشرت العتق واختلفت كلمة بني مروان فنهض سليمان بن هشام ، وكان معتقلا في سجن الوليد بعمان فاستحوذ على أموالها وحواصلها ، وأقبل إلى دمشق فجعل يلعب الوليد ويغيبه ويرميه بالكفر ، فأكرمه يزيد ورد عليه أمواله التي كان أخذها من الوليد ، وتزوج يزيد أخت سليمان ، وهي أم هشام بنت هشام ، ونهض أهل حمص إلى دار العباس بن الوليد التي عندهم فهدموها ، وحبسوا أهلها وبنيها ، وهرب هو من حمص فلاحق يزيد بن الوليد إلى دمشق ، وأظهر أهل حمص الأخذ بهم الوليد بن يزيد ، وأغلقوا أبواب البلد ، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد ، وكاتبوا الأجناد في طلب الأخذ بالنار ، فأجابهم إلى ذلك طائفة كبيرة منهم ، على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد الذي أخذ له العهد هو الخليفة ، وخلصوا نائهم ، وهو مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ثم قتلوه وقتلوا ابنه وأمرؤا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد كتب إليهم كتابا مع يعقوب بن هاني ، وضمن الكتاب أنه يدعو إلى أن يكون الأمر شورى ، فقال عمرو ابن قيس : فإذا كان الأمر كذلك فقد رضينا بولي عهدنا الحكم بن الوليد ، فأخذ يعقوب بلحيته وقال : ويحك ! لو كان هذا الذي تدعو إليه يتبعنا تحت حجرك لم يجعل لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أمر الأمة ، فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم عنهم وأخرجوهم من بين أظهرهم . وقال لهم أبو محمد السفيناني : لو قدمت دمشق لم يختلف على منسب اثنين ، فركبوا معه وساروا نحو دمشق وقد أمرؤا عليهم السفيناني ، فتلقاهم سليمان بن هشام في جيش كثيف قد جهزهم معه يزيد ، وجهز أيضا عبد العزيز بن الوليد في ثلاثة آلاف يكونون عند ثنية العقاب ، وجهز هشام بن مصاد المزني في ألف وخمسمائة ليكونوا على عقبة السلية ، فخرج أهل حمص فساروا وتركوا جيش سليمان بن هشام ذات اليسار وتمدود ، فلما سمع بهم سليمان ساق في طلبهم فلحقهم عند السلجانية فجعلوا الزيتون عن أيامهم والجبل عن شمالهم والحيات من خلفهم ، ولم يبق فخلص إليهم إلا من جهة واحدة ، فاقتتلوا هنالك في قبالة الحر قتالا شديدا ، فقتل طائفة كثيرة من الفريقين ، فبينما هم كذلك إذ جاء عبد العزيز بن الوليد بمن معه فجعل على أهل حمص فاخترق جيشهم حتى ركب النبل الذي



في وسطهم ، وكانت الهزيمة ، فهرب أهل حصص وتفرقوا ، فاتبعهم الناس يقتلون ويأسرون ، ثم تبادلوا بالكف عنهم على أن يباعدوا يزيد بن الوليد ، وأسروا منهم جماعة ، منهم أبو محمد السعدي ويزيد ابن خالد بن معاوية ، ثم ارتحل سليمان وعبد العزيز فترلا عسكرا ومعهم الجيوش وأشرف الناس ، وأشرف أهل حصص من الأسارى ومن استجاب من غير أسرى ، بعد ما قتل منهم ثلاثمائة نفس ، فدخلوا بهم على يزيد بن الوليد ، فأقبل عليهم وأحسن إليهم وصفح عنهم ، وأطلق الأعتيات لهم ، لاسيا لأشرفهم ، وولى عليهم الذي اختاروه وهو معاوية بن يزيد بن الحصين ، وطابت عليه أنفسهم ، وأقاموا عنده في دمشق سامعين مطيعين له .

وفيها يابغ أهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك ، وذلك أن بنى سليمان كانت لهم أملاك هناك ، وكانوا يتكونها بيدلونها لهم ، وكان أهل فلسطين يحبون مجاورتهم ، فلما قتل الوليد بن يزيد كتب سعيد بن روح بن زنباغ - وكان رئيس تلك الناحية - إلى يزيد بن سليمان بن عبد الملك يدعوه إلى المباينة له ، فأجابوه إلى ذلك . فلما بلغ أهل الأردن خبرهم يابغوا أيضا محمد بن عبد الملك ابن مروان ، وأمره عليهم ، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد أمير المؤمنين بعث إليهم الجيوش مع سليمان بن هشام في الدماشقة وأهل حصص الذين كانوا مع العفياي ، فصالحهم أهل الأردن أولا ورجعوا إلى الطاعة ، وكذلك أهل فلسطين . وكتب يزيد بن الوليد ولاية الامرة بالمرلة وتلك النواحي إلى أخيه إبراهيم بن الوليد ، واستقرت الممالك هناك ، وقد خطب أمير المؤمنين يزيد ابن الوليد الناس بدمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، أما والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطرأ نفسي إلى لظوم نفسي ، إن لم يرحنى ربي فاني هالك ، ولكني خرجت غضبا لله ولرسوله ولدينه ، وداعيا إلى الله وكتابه وسنة نبيه محمد رس ، لما همت معالم الدين ، وأظنى نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة ، والراكب كل بدعة ، مع أنه والله ما كان مصدقا بالسكتاب ، ولا مؤمنا بيوم الحساب ، وإنه لابن عمي في النسب ، وكفوى في الحساب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره ، وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجباني من أهل ولايتي ، وصعبت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد ، بحول الله وقوته لا بحولي ولا بقوتي . أيها الناس ! إن لكم على أن لا أضع حجرا على حجر ، ولا لبننة على لبننة ، ولا أكرى نهرا ولا أكرى مالا ولا أعطي زوجة ، ولا ولدا . ولا أقتل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد ثمر ذلك البلد ، وخصاصة أهله بما يفتنهم ، فلن فضل عن ذلك فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه ، ولا أجزركم في ثمورك فأفتنكم ، وأفتن أهليكم ، ولا أغتاق بابي دونكم فيأكل قويمكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل

جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع سبلهم ، وإن لكم عندي أعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقتكم في كل شهر ، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصام كأذنانهم ، فإن أنا وفيت لكم بما قلت فمليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلموني وإلا أن تستتيبوني ، فإن ثبت قلبتم مني ، وإن علمتم أحدا من أهل الصلاح والدين يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايئوه فأنا أول من يبايئه ويدخل في طاعته . أيها الناس ! إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، إنما الطاعة طاعة الله فمن أطاع الله فأطيعوه ما أطاع الله ، فإذا عصى أو دعا إلى معصية فهو أهل أن يعصى ولا يطاع ، بل يقتل ويهان ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن إمرة العراق لما ظهر منه من الخلق على اليمانية ، وهم قوم خالد بن عبد الله القسري ، حتى قتل الوليد بن يزيد ، وكان قد سجن غالب من بيلاده منهم ، وجعل الأرصاء على الثنور خوفاً من جند الخليفة ، فمزله عنها أمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، وولى عليها منصور بن جمهور مع بلاد السند وسجستان وخراسان ، وقد كان منصور بن جمهور أعرابياً جلفاً ، وكان يدين بذهب الفيلانية القدرية ، ولكن كانت له آثار حسنة ، وعناء كثير في مقتل الوليد بن يزيد ، فخطى بذلك عند يزيد بن الوليد ، ويقال إنه لما فرغ الناس من الوليد ذهب من فوره إلى العراق فأخذ البيعة من أهلها إلى يزيد ، وقرر بالأقاليم نواباً وعمالاً وكر راجعاً إلى دمشق في آخر رمضان ، فذلك ولاء الخليفة ما ولاءه والله أعلم .

وأما يوسف بن عمر فانه فر من العراق فلحق ببلاد البلقاء ، فبعث إليه أمير المؤمنين يزيد فأحضره إليه ، فلما وقف بين يديه أخذ بدميته . وكان كبير اللحية جدا ، ربما كانت تجاوز سمرته وكان قصير القامة . فوبخه وأنبه ثم سجنه وأمر باستخلاص الحقوق منه . ولما انتهى منصور بن جمهور إلى العراق قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين إليهم في كيفية مقتل الوليد ، وأن الله أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وأنه قد ولى عليهم منصور بن جمهور لما يعلم من شجاعته ومعرفته بالحرب ، فبايع أهل العراق ليزيد بن الوليد ، وكذلك أهل السند وسجستان .

وأما نصر بن سيار نائب خراسان فانه امتنع من السمع والطاعة لمنصور بن جمهور ، وأبى أن يتقاد لأوامره ، وقد كان نصر هذا جهز هدايا كبيرة للوليد بن يزيد فاستمرت له . وفي هذه السنة كتب مروان الملقب بالحار كتاباً إلى عمر بن يزيد أخى الوليد بن يزيد ، يحثه على القيام بطلب دم أخيه الوليد ، وكان مروان يومئذ أميراً على أذربيجان وأرمينية ، ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور ابن جمهور عن ولاية العراق وولى عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وقال له : إن أهل العراق يحبون أباك فقد وليتكم ، وذلك في شوال ، وكتب له إلى أمراء الشام الذين بالعراق بوصيهم به

خشية أن يتمتع منصور بن جمهور من تسليم البلاد إليه ، فسلم اليه وسمع وأطاع وسلم . وكتب الخليفة إلى نصر بن سيار باستمراره بولاية خراسان مستقلا بها ، فخرج عليه رجل يقال له السكرماني ، لأنه ولد بكرمان ، وهو أبو علي جديع بن علي بن شبيب المغني ، واتبعه خلق كثير بحيث إنه كان يشهد الجمعة في نحو من ألف وخمسةائة ، وكان يسلم على نصر بن سيار ولا يجلس عنده ، فتحير نصر بن سيار وامراؤه فيما يصنع به ، فاتفق رأيهم بمشاهدة علي معجته ، فسجن قريبا من شهر ، ثم أطلقه فاجتمع إليه ناس كثير ، وجم غفير ، وركبوا معه ، فبعث إليهم نصر من قائلهم قتلهم وقهرم وكسرم واستخف جماعات من أهل خراسان بنصر بن سيار وتلاشوا أمره وحرمته ، وألحوا عليه في أعطياتهم وأسموه غليظ ما يكره وهو علي المنبر ، بسفارة سلم بن احوز أدى إليه ذلك ، وخرجت الباعة من المسجد الجامع وهو يخطب ، وانفض كثير من الناس عنه ، فقال لهم نصر فيما قال : والله لقد نشرتمكم وطويتكم وطويتكم ونشرتمكم فما عندي عشرة مشكم على دين ، فاتقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليتمنين الرجل منكم أن يتخلم من أهله وماله وولده ، ولم يكن رآها ، ثم تمثل بقول النابغة :

فإن يغلب شقاؤكم عليكم \* فإني في صلاحكم سبيت

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن الورد بن المذيرة الجمعد : -

أبيت أرمي النجوم مرتقما \* إذا استقلت نحوى أوائلها  
من فتنه أصبحت مجللة \* قد عم أهل الصلاة شاملها  
من بخراسان والعراق ومن \* بالشام كل شجاة شاغلها  
يمشى السفية الذي يعنف بال \* جهل سواة فيها وعافلها  
فالناس منها في لون مظلمة \* دهماء ملتجة غباطها  
والناس في كربة يكاد لها \* تنبذ أولادها حواملها  
يفدون منها في كل مبهمة \* عمياء تمنى لهم غوائلها  
لا ينظر الناس من عواقبها \* إلا التي لا بين قائلها  
كرفوة البكر أو كصيعة حبة \* لي طرقت حولها قوابلها  
فجاء فينا تزدى بوجهتم \* فيها خطوب حمز زلازلا

وفي هذه السنة أخذ الخليفة البيمة من الأمراء وغيرهم بولاية العهد من بعده لأخيه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ثم من بعد إبراهيم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ، وذلك بسبب مرضه الذي مات فيه . وكان ذلك في شهر الحجة منها ، وود حرضه على ذلك جماعة من الأمراء والأكابر والوزراء . وفيها عزل يزيد عن إمرة الحجاز يوسف بن محمد الثقفي وولى عليها

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فقدمها في أواخر ذي القعدة منها ، وفيها أظهر مروان الحمار الخلف ليزيد بن الوليد ، وخرج من بلاد أرمينية يظهر أنه يطلب بدم الوليد بن يزيد ، فلما وصل إلى حران أظهر الموافقة وبايع لأمر المؤمنين يزيد بن الوليد . وفيها أرسل إبراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكر بن ماهان إلى أرض خراسان ، فاجتمع بمجماعة من أهل خراسان بمر ، وقرأ عليهم كتاب إبراهيم بن محمد الإمام إليه وإليهم ، ووصيته ، فتلوا ذلك بالتبول ، وأرسلوا معه ما كان عندهم من النفقات . وفي سايخ ذي القعدة ، وقيل في سايخ ذي الحجة ، وقيل لعشر مضيئ منه ، وقيل بعد الأضحى منها كان وفاة أمير المؤمنين .

### يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحسك بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي . أبو خالد الأموي ، أمير المؤمنين ، بويع له بالخلافة أول ما بويع بها في قرية المزة ، من قرى دمشق ، ثم دخل دمشق فغلب عليها ، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله ، واستحوذ على الخلافة في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكان يلقب بالناقص لنتعه الناس العشرات التي زادهم إيها الوليد بن يزيد ، وقيل إنما سماه بذلك مروان الحمار ، وكان يقول : الناقص ابن اليد ، وأمه شاهزنده بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى ، كسروية .

وقال ابن جرير : وأمه شاه آفرید بنت فيروز بن يزدجرد بن شهر يار بن كسرى ، وهو القائل :

أنا ابن كسرى وأبي مروان \* وقيصر جدي وجدى خاقان

وإنما قال ذلك لأن جده فيروز ، وأم أمه بنت قيصر ، وأمه شيرويه وهى بنت خاقان ملك الترك ، وكانت قد سباها قتيبة بن مسلم ، هى وأخت لها فبعنهما إلى الحجاج ، فأرسل بهن إلى الوليد واستبق عنده الأخرى ، فولدت هذه الوليد بن يزيد الناقص هذا ، وهذه أخذها الحجاج فكانت عنده بال عراق ، وكان مولده في سنة تسعين ، وقيل في سنة ست وتسعين ، وقد روى عنه الأوزاعي مسألة السلم . وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة ، وأنه كان عادلاً ديناً محباً للخير مبغضاً للشر . فاصداً لاحق . وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة إلى صلاة العيد بين صفتين من الخيالة والسيوف مسللة عن يمينه وشماله ، ورجع من المصلى إلى الخضراء كذلك ، كان رجلاً صالحاً ، يقال فى المثل الأشج والناقص أعبداً بنى مروان ، والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا . وقد قال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنى إبراهيم بن محمد المروزي عن أبى عثمان الليثى قال قال يزيد بن الوليد الناقص : يا بنى أمية إياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر وينفل مايفعل المسكر ، فان كنتم لابد فاعلمين فجنبوه النساء فانه داعية الزنا . وقال ابن عبد الحكم

عن الشامي : لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب غيلان . قاله ابن عساكر . قال : ولعله قرب أصحاب غيلان ، لأن غيلان قتله هشام بن عبد الملك . وقال محمد بن المبارك : آخر ما تكلم به يزيد بن الوليد الناقص واحزنناه واشتقنا آه . وكان نقش خاتمه العظيمة لله . وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه ، وذلك يوم السبت لسبع مضين من ذى الحجة ، وقيل يوم الاضحى منه ، وقيل بعده بأيام ، وقيل لعشر بقين منه ، وقيل في سابعه ، وقيل في سلخ ذى القعدة من هذه السنة . وأكثر ما قيل في عمره ست وأربعون سنة ، وقيل ثلاثون سنة ، وقيل غير ذلك فإله أعلم . وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر ، وقيل خمسة أشهر وأيام . وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد ، وهو ولي المهدي من بعده رحمه الله . وذكر سديد بن كثير بن علقم أنه دفن بين باب الجابية وباب الصنير ، وقيل إنه دفن بباب الفرديس ، وكان أسمر نحيفا حسن الجسم حسن الوجه . وقال علي بن محمد المديني : كان يزيد أسمر طويل صغير الرأس بوجه خال ، وكان جميلا ، في فمه بعض السمعة وليس بالمفرط . وحج بالناس فيها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب الحجاز ، وأخوه عبد الله نائب العراق ، ونصر بن سيار على نيابة خراسان ، والله سبحانه أعلم . وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

**خالد بن عبد الله بن يزيد**

ابن أسد بن كرز بن عامر بن عبقرى ، أبو الهيثم البجلي القسرى الدمشقي ، أمير مكة والحجاز للوليد ثم لسليمان ، وأمير العراقين لهشام خمس عشرة سنة . قال ابن عساكر : كانت داره بدمشق في أربعة أقر وتعرف اليوم بدار الشريف البريدي ، وإليه ينسب الحمام الذي داخل باب توما ، روى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا أسد <sup>(١)</sup> أحب الجنة » قال : نعم ! قال : فأحب للمسلمين ما أحب لنفسك » . رواه أبو يعلى عن عثمان بن أبي شيبة عن هيثم عن سيار عن أبي الحكم أنه سمعه على المنبر يقول ذلك . وممن روى عنه إسماعيل بن أوسط وإسماعيل بن أبي خالد ، وحبيب بن أبي حبيب ، وحميد الطويل . وروى أنه روى عن جده عن النبي (ص) في تكفير المرض الذنوب . وكانت أمه نصرانية ، وذكره أبو بكر بن عياش في الأشراف ، فيمن أمه نصرانية . وقال المدائني : أول ما عرف من رياسته أنه وطأ صبيا بدمشق بفرسه فحمله فأشهد طائفة من الناس أنه هو صاحبه ، فان مات فعليه دية ، وقد استنابه الوليد على الحجاز من سنة تسع وثمانين إلى أن توفي الوليد ثم لسليمان ، وفي سنة ست ومائة استنابه هشام على العراق إلى سنة عشرين ومائة . وسلمه إلى يوسف بن عمر الذي ولاه مكانه فمأقبه وأخذ منه أموالا ثم أطلقه ، وأقام بدمشق إلى الحرم ممن هذه السنة فسلمه الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر يستخلص منه خمسين ألف ألف ، فمات تحت

(١) في تاريخ ابن عساكر (٥ : ٦٧) : « يا يزيد بن أسد » .

العقربة البليغة ، كسر قدميه ثم ساقيه ثم نخذيته ، ثم صدره ، فأت ولا يتكلم كلمة واحدة ، ولا تراه حتى خرجت روحه رحمه الله .

قال الأبي عن أبيه : خطب خالد القسري يوماً فأرتج عليه فقال : أيها الناس ! إن هذا الكلام يحمي أحياناً ويعزب أحياناً ، فيتسبب عند مجيئه سببه ويتمنر عند عز وبه مطلبه ، وقد يرد إلى السباط بيانه ويثيب إلى الحصر كلامه ، وسيمود إلينا ما يحبون ، ونمود لكم كما تريدون . وقال الأصمعي وغيره : خطب خالد القسري يوماً بواسطة فقال : يا أيها الناس تنافسوا في المنكر وساروا إلى المنان واشتروا الحد بالجلود ، ولا تتكسبوا بالمطل ذماً ، ولا تفتدوا بعروف لم تعجلوه ، ومهما تكن لأحد منكم نعمة عنده أحد لم يبلغ شكرها فإله أحسن له جراً ، وأجزل عطاءً ، واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم فلا تملوها فتحول نقماً ، فإن أفضل المال ما كسب أجراً وأورث ذكراً ، ولورأيتم المعروف لرأيتموه رجلاً حسناً جميلاً يسر الناس إذا نظروا إليه ، ويفوق العالمين . ولورأيتم البخل لرأيتموه رجلاً مشوهاً قبيحاً تنفر منه القلوب وتفض دونه الأبخار . إنه من جاد ساد ومن بخل ذل ، وأكرم الناس من أعطى من لا يرجوه ، ومن عفا عن قدرة ، وأفضل الناس من وصل عن قطيعة ، ومن لم يظب حرته لم يرك نفته ، والفروع عند ممارستها تنمو ، وبأصولها تسمر . وروى الأصمعي عن عمر ابن المهيم أن أعرابياً قدم على خالد فأنشده قصيدة امتدحه بها يقول فيها :

إليك ابن كرزٍ الخيزرٍ أقبلتُ راغباً \* لتجبرني ما وها وتبتددا  
إلى الماجد البهلول ذي الحلم والندى \* واكرم خلق الله فرعاً ومحتدا  
إذا ما أناسٌ قصرُوا بفعلهم \* نهضت فلم تلقى هنالك مقندا  
فيا لك بجرماً يفمرُ الناسَ موجهُ \* إذا يسألُ المعروفُ جاشٍ وأزبدا  
بلوتُ ابنَ عبدِ الله في كلِّ موطنٍ \* فألفيتُ خيرَ الناسِ نفساً وأمجدا  
فلو كان في الدنيا من الناسِ خالدٌ \* لجلودٍ بهرُوفٍ لكتبتُ مخلدا  
فلا تجرمني منك ما قد رجوتهُ \* فيصبح وجهي كالخِالونِ أربدا

قال : فحفظها خالد ، فلما اجتمع الناس عند خالد قام الأعرابي ينشد ما فابتدره إليها خالد فأنشدها قبله وقال : أيها الشيخ إن هذا شعر قد سبقناك إليه . فنهض الشيخ فولى ذاهباً فأتبعه خالد من بسمع ما يقول فاذا هو ينشد هذه الأبيات .

ألا في سبيل الله ما كنتُ أرتجى \* لديه وما لاقيتُ من نكدر الجهد  
دخلتُ على بحرٍ يجودُ بالملح \* ويعطى كثيرَ المالِ في طلب الحد  
نخالفني الجد المشوم لشتوتني \* وقاربتني نحسى وفارقتني سمدي

فلو كان لي رزق لدير لئلمته \* ولكنه أمر من الواحد الفرد  
فرده إلى خالد وأعلمه بما كان يقول فأمر له بمشرة آلاف درهم . وقال الأصمعي : سأل أعرابي  
خالداً القسري أن يسأله له جرابه دقيقتاً فأمر بملكه له دراهم ، فقيل للأعرابي حين خرج : ما فعل  
ملك ؟ فقال : سأته بما أشتبهى فأمر لي بما يشتهي هو . وقال بعضهم : بينا خالد يسير في موكبه إذ  
تفتاد أعرابي فسأله أن يضرب عنقه ، فقال ويحك ولم ؟ أقطعت السدول ؟ أخرجت يدا من طاعة ؟  
فكفل ذلك يقول لا ! قال : فلم ؟ قال : من الفقر والفاقة . فقال : سل حاجتك ، قال ثلاثين ألفاً . فقال  
خالد : ما ربح أحد مثل ما ربحت اليوم ، إني وضعت في نفسي أن يسألني ألف مائة ألف فسأل ثلاثين  
فربحت سبعين . ارجعوا بنا اليوم ، وأمر له بثلاثين ألفاً . وكان إذا جلس بوضع [ المال ] بين يديه  
ويقول . إن هذه الأموال ودائع لا بد من تفرقتها . وسقط خاتم لجرارته رابعة يساوي ثلاثين ألفاً ،  
في بالوعة الدار ، فسألت أن تؤتى بمن يخرجها ، فقال : إن يدك أكرم على من أن تلبسه بعد ماصار  
إلى هذا الموضع القدر ، وأمر لها بمخسة آلاف دينار بدله . وقد كان لرابعة هذه من الخلق شئ عظيم ،  
من جملة ذلك ياقوتة وجوهرة ، كل واحدة بثلاثة وسبعين ألف دينار .

وقد روى البخاري في كتاب أفعال العباد ، وابن أبي حاتم في كتاب السنة ، وغير واحد ممن  
صنف في كتب السنة أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحى فقال : أيها الناس ،  
ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجمع بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم  
يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجاهلون بالجهل . ثم نزل فأنبأه في أصل المنبر .  
قال غير واحد من الأئمة : كان الجمع بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا  
يقال له مروان الجمدي ، فنسب إليه ، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية  
الذين يقولون إن الله في كل مكان بذاته ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان الجمع بن درهم  
قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سحمان ، وأخذته أبان عن طالموت ابن أخت لبيد  
ابن أعصم ، عن خاله لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي (ص) ، في مشط ومانشة وجف طلعة  
ذكر له ، ونجت راعوفة بئر ذي اروان الذي كان ماؤها نقاعة الحناء . وقد ثبت الحديث بذلك في  
الصحيحين وغيرهما . وجاء في بعض الأحاديث أن الله أنزل بسبب ذلك سورتي المودنتين .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا محمد بن يزيد الرافعي سمعت أبا بكر بن عياش قال : رُبّت  
حالمًا القسري حين أتى بالمنيرة وأصحابه ، وقد وضع له سرير في المسجد ، فجلس عليه ثم أمر برجل  
من أصحابه فضربت عنقه ثم قال للمنيرة : أحبيه - وكان المنيرة يزعم أنه يحيى الموتي - فقال : والله  
صلحك الله ما أحى الموتي . قال : لتحيينه أولاً ضر بن عنقك . قال : والله ما أقدر على ذلك . ثم أمر

بطن قصب فأضرموا فيه ناراً ثم قال الهذيرة : اعتنقه ، فأنى ، فعدا رجل من أصحابه فاعتنقه ، قال أبو بكر : فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة . قال خالد : هذا والله أحق بالرياسة منك . ثم قتله وقتل أصحابه . وقال المدائني : أتى خالد بن عبد الله رجلاً تنهباً بالكوفة فقيل له ما علامة نبوتك ؟ قال : قد نزل على قرآن ، قال : إنا أعطيناك الكآهر ، فصل لربك ولا تجاهر . ولا تطع كل كافر وفاجر . فأمر به فصلب فقال وهو يصلب : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، فأنا ضامن لك ألا تعود . وقال المهدي : أتى خالد بشاب قد وجد في دار قوم وادعى عليه السرقة ، فسأله فاعترف فأمر بقطع يده فتمتدحت حسناء فقالت :

أخالدُ قد أوطأتَ واللهِ عترةٌ \* وما الناشقُ المسكينُ فينا بسارقِ

أفرُّ بما لم يجنوَ غيرُ أنهُ \* رأى القطعُ أولي من فضيحةِ عاشقِ

فأمر خالد بحضور أبيها فزوجهما من ذلك الغلام وأمرها عنه عشرة آلاف درهم . وقال الأصمعي : دخل أعرابي على خالد فقال : إني قد مدحتك بيتين ولست أنشدما إلا بمشرة آلاف وخادم ، فقال : نعم فأنشأ يقول :

لزمتَ نعمَ حتى كأنك لم تكن \* سمعتَ من الأشياءِ شيئاً سوى نعمِ

وأنكرتَ لا حتى كأنك لم تكن \* سمعتَ بها في سالفِ الدهرِ والأهمِ

قال : فأمر له بمشرة آلاف درهم وخادم يحملها . قال : ودخل عليه أعرابي فقال له : سل حاجتك فقال : مائة ألف . فقال : أ أكثرت حط منها . قال : أضع تسمين ألفاً ، فتمجج منه خالد فقال : أيها الأمير سألتك على قدرك ووضعت على قدرى ، فقال له : لن تغلبن أبداً ، وأمر له بمائة ألف ، قال : ودخل عليه أعرابي ، فقال : إني قد قلت فيك شعراً وأنا أستصغره فيك ، فقال : قل فأنشأ يقول :

تعرضتَ لي بالجوْدِ حتى لمشتني \* وأعطيتني حتى ظننتك تلمبِ

فأنتَ الندى وابنُ الندى وأخو الندى \* حلقتَ الندى ما للندى عنك مذهبِ

فقال : سل حاجتك . قال : على خمسون ألف دينار ، فقال : قد أمرت لك بها وأضعفها لك ، فأعطاه مائة ألف . قال أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الواسي : دخل أعرابي على خالد القسري .

فأنشده كتبتُ نعمَ ببابكِ فهي تدعو \* إليك الناسَ مسفرةً النقابِ

وقلتُ للاعليكِ ببابِ غيري \* فأنك لن ترى أبداً ببابي

قال فأعطاه على كل بيت خمسين ألفاً . وقد قال فيه ابن ميمون : كان رجل سوء يقع في علي بن

أبي طالب رضي الله عنه .

ودكر الأصمعي عن أبيه : أن خالداً حنر بثراً بمكة ادعى فضلها على ززم ، وله في رواية عنه



تفضيل الخليفة على الرسول ، وهذا كفر إلا أن يريد بكلامه غير ما يبدو منه والله أعلم .  
[والذى يظهر أن هذا لا يصح عنه ، فانه كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجمد  
ابن درهم وغيره من أهل الاحقاد ، وقد نسب إليه صاحب القصد أشياء لا تصح ، لأن صاحب القصد  
كان فيه تشيع وشيخ ومغلاة في أهل البيت ، وربما لا يفهم أحد من كلامه ما فيه من التشيع ، وقد  
اغتر به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ وغيره <sup>(١)</sup> .

وقد ذكر ابن جرير وابن عساكر وغيرهما أن الوليد بن يزيد كان قد عزم على الحج في إمارته  
فمن نيته أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة ، فلما بلغ ذلك جماعة من الأمراء اجتمعوا على قتله وتولية  
غيره من الجماعة ، فخنز خالد أمير المؤمنين منهم ، فسأله أن يسميهم فأبى عليه فمأقه عقاباً شديداً ،  
ثم بعث به إلى يوسف بن عمر فمأقه حتى مات شرقلة وأسوها ، وذلك في محرم من هذه السنة - أعنى  
سنة ست وعشرين ومائة - وذكره القاضى ابن خلصكان في الوفيات وقال : كان منهما في دينه ، وقد  
بنى لأمه كنيسة في داره ، قال فيه بعض الشعراء وقال صاحب الأعيان كان في نسبه يهود فانتموا  
إلى القرب ، وكان يقرب [ من ] شق وسطيح . قال القاضى ابن خلصكان : وقد كانا ابني خالة ،  
وعاش كل منهما ستائة ، وولدا في يوم واحد ، وذلك يوم مانت طريفة بنت الحر بعد ما تغلت في فم  
كل منهما وقالت : إنه سية يوم مقامى في السكانة ، ثم مانت من يومها .

ومن توفى في هذه السنة جبلة بن سحيم ودراج أبو السمح وسعيد بن مسروق في قول ، وسليمان  
ابن حبيب الحاربي ، قاضى دمشق ، وعبد الرحمن بن قاسم شيخ مالك وعبيد الله بن أبي يزيد  
وعمر بن دينار . وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل .

### ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

استهلت هذه السنة والخليفة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بوصية أخيه يزيد الناقص إليه ، وبإيمه  
الأمراء بذلك ، وجميع أهل الشام إلا أهل حمص فلم يبايعوه ، وقد تقدم أن مروان بن محمد الملقب  
بالحار كان نائباً بأذربيجان وأرمينية ، وتلك كانت لأبيه من قبله ، وكان نعم على يزيد بن الوليد في  
قتله الوليد بن يزيد ، وأقبل في طلب دم الوليد ، فلما انتهى إلى حران أناب وبايع يزيد بن الوليد ،  
فلم يلبث إلا قليلاً حتى بلغه موته ، فاقبل في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين فحاصر أهلها فنزحوا على  
طاعته ، ثم أقبل إلى حمص وعليها عبد العزيز بن الحجاج من جهة أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد  
فحاصرهم حتى يبايعوا لإبراهيم بن الوليد ، وقد أصروا على عدم مبايعته ، فلما بلغ عبد العزيز قرب  
مروان بن محمد ترحل عنها ، وقدم مروان إليها فبايعوه وساروا معه قاصدين دمشق ، ومعهم جنود

(١) وجدت هذه العبارة في نسخة ثانية بالاستانة .

الجزيرة وجنسد قنسرين ، فتوجه مروان إلى دمشق في ثمانين ألفا ، وقد بعث إبراهيم بن الوليد بن هشام بن عبيد الملك في مائة وعشرين ألفا ، فالتقى الجيشان عند عين الجر من البقاع ، فدعاهم مروان إلى الكف عن القتال وأن يتخلوا عن ابني الوليد بن يزيد وهما الحكيم وعثمان اللذان قد أخذ العهد لهما ، وكان يزيد قد سجنهما بدمشق ، فأبوا عليه ذلك ، فاقتتلوا قتالا شديدا من حين ارتفاع النهار إلى العصر ، وبعث مروان سرية تآنى جيش ابن هشام من ورأئهم ، فم لهم ما أرادوه ، وأقبلوا من ورأئهم يكبرون ، وحمل الآخرون من تلقاهم عليهم ، فسكات الهزيمة في أصحاب سليمان ، فقتل منهم أهل حمص خلقا كثيرا ، واستبيح سكرهم ، وكان مقدار ما قتل من أهل دمشق في ذلك اليوم قريبا من سبعة عشر ألفا أو ثمانية عشر ألفا وأسروا منهم مثلهم ، فأخذ عليهم مروان البيعة للغلامين ابني الوليد ، الحكيم وعثمان ، وأطلقهم كلهم سوى رجلين وهما يزيد بن العمار والوليد ابن مصاد الكلبيان ، فضر بهما بين يديه بالسياط وحبسهما فساتا في السجن ، لأنهما كانا ممن باشر قتل الوليد بن يزيد حين قتل . وأما سليمان وبقية أصحابه فانهم استمروا منهزمين ، فصار أصبح لهم الصبح إلا بدمشق فأخبروا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع ، فاجتمع معهم رؤس الامراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، وأبو علفة السكسكي ، والاصبغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم ، على أن يمددوا إلى قتل ابني الوليد الحكيم وعثمان ، خشية أن يلجأ الخلافة فيهلكا من عاداتهما وقتل أباهما ، فبعثوا إليهما يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، فعمد إلى السجن وفيه الحكيم وعثمان ابنا الوليد وقد بلغنا ، ويقال وولد لاحدهما ولد فشدخها بالعمد ، وقتل يوسف بن عمر - وكان مسجوناً معهما - وكان في سجنهما أيضاً أبو محمد السفياني فهرب فدخل في بيت داخل السجن وجعل وراء الباب ردما ، فحاصروه فامتنع ، فأثروا بنار ليحرقوا الباب . ثم اشتعلوا عن ذلك بقدوم مروان بن محمد وأصحابه إلى دمشق في طلب المنهزمين .

### دخول مروان الحمار دمشق وولايته الخلافة

لما أقبل مروان بن محمد مع من الجنود من عين الجر وأقرب من دمشق وقد انهزم أهلها بين يديه بالأسس ، هرب إبراهيم بن الوليد وعمد سليمان بن هشام إلى بيت المال ففتحته وأنفق ما فيه على أصحابه وهرب أتبعه من الجيوش ، وثار موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبيد العزيز بن الحجاج فقتلوه فيها وأنهبوها ونهبوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مروان بن محمد دمشق فقتل في أعمالها وأتى بالغلامين الحكيم وعثمان وهما مقتولان وكذلك يوسف بن عمر فدنفوه . وأتى بأبي محمد السفياني وهو في حبسه فسلم على مروان بالخلافة فقال مروان : مه ، فقال : إن هذين الغلامين جملاها لك من بعدهما ثم أنشد قصيدة قالها الحكيم في السجن وهي طويلة منها قوله :

الا من مبلغ مروان عني \* وعى الغمر طالَ بنا حيننا  
باني قد ظلمت وصار قومي \* على قتل الوليد متابعتنا  
فان أهلك أنا وولي عهدي \* فروان أمير المؤمنين

ثم قال أبو محمد السفيناني لمروان : ابسط يدك ، فكان أول من بايعه بالخلافة ، فعاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ثم بايعه رؤس أهل الشام من أهل دمشق وحمص وغيرهم ، ثم قال لهم مروان : اختاروا أمراء نوابهم عليكم ، فاختار أهل كل بلد أميراً فولاه عليهم ، فعلى دمشق زامل بن عمرو الجبرائي ، وعلى حمص عبد الله بن شجرة الكندي ، وعلى الأردن الوليد بن معاذ بن مروان ، وعلى فلسطين ثابت بن نعيم الجندامي . ولما استوت الشام لمروان بن محمد رجع إلى حران وعند ذلك طلب منه إبراهيم بن الوليد الذي كان خليفة وابن عمه سليمان بن هشام الأمان فأمنهما ، وقدم عليه سليمان بن هشام في أهل تدمر فبايعوه ، ثم لما استقر مروان في حران أقام فيها ثلاثة أشهر فانتقض عليه ما كان انبزم له من مبياعة أهل الشام ، فنقض أهل حمص وغيرهم ، فأرسل إلى أهل حمص جيشاً فوافقهم ليلة عيد الفطر من هذه السنة ، وقدم مروان إليها بعد الفطر بيومين ، فنازلها مروان في جنود كثيرة ، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد الخلويع ، وسليمان بن هشام ، وهما عنده مكرمان خصيصان لا يجلس إلا بهما وقت الغداء والعشاء ، فلما حاصر حمص نادوه إنا على طاعتك ، فقتال : افتحوا باب البلد ففتحوه . ثم كان منهم بعض القتال فقتل منهم نحو الخمسمائة أو الستائة ، فأمر بهم فصلبوا حول البلد ، وأمر بهم بعض سورها . وأما أهل دمشق فأما أهل الغوطة فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو وأمروا عليهم يزيد ابن خالد القسري وثبت في المدينة نائبها ، فبعث إليه أمير المؤمنين مروان من حمص عسكرياً نحو عشرة آلاف ، فلما اقتربوا من دمشق خرج النائب فيمن معه والقوام والمسكر بأهل الغوطة فهزموهم وحرقوا المزة وقرى أخرى معها ، واستجار يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكابي برجل من أهل المزة من نغم ، فدل عليهم زامل بن عمرو وقتلهم . وبعث برأسيهما إلى أمير المؤمنين مروان وهو بمحص . وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين على الخليفة وأنوا طبرية فحاصروها ، فبعث الخليفة إليهم جيشاً فأجلوهم عنها واستباحوا عسكريهم ، وفر ثابت بن نعيم هارباً إلى فلسطين فاتبعه الأمير أبو الورد فهزمه ثانية وتفرق عنه أصحابه ، وأسر أبو الورد ثلاثة من أولاده فبعث بهم إلى الخليفة وهم جرحى فأمر بمدواتهم ، ثم كتب أمير المؤمنين إلى نائب فلسطين وهو الرماحس بن عبد العزيز الكنتاني يأمره بطلب ثابت بن نعيم حيث كان ، فمزال يتلطف به حتى أخذه سيراً ، وذلك بعد شهرين ، فبعثه إلى الخليفة وأمر بتقطع يديه ورجليه ، وكذلك جماعة كانوا معه ، وبعث بهم إلى دمشق فأقيموا على باب مسجدتها ، لأن أهل دمشق كانوا قد أرجفوا بأن ثابت بن نعيم ذهب

إلى ديار مصر فقتل عليها وقتل نائب مروان فيها ، فأرسل إليهم مقطوع اليدين والرجلين ليعرفوا بطلان ما كانوا به أرجفوا . وأقام الخليفة مروان بدير أيوب عليه السلام مدة حتى بايع لابنه عبد الله ثم هب يد الله وزوجهما ابنتي هشام ، وهما أم هشام وعائشة ، وكان مجرماً حافلاً وعقد آهائلاً ، ومبايعة عامة ، ولكن لم تكن في نفس الأمر قامة . وقدم الخليفة إلى دمشق وأمر بثابت وأصحابه بمد ما كانوا تقطعوا أن يصلحوا على أبواب البلد ، ولم يستبق منهم أحداً إلا واحداً وهو عمرو بن الحارث السكبي ، وكان عنده قبا زعم علم بودايح كان ثابت بن نعيم أودعها عند أقوام . واستوسق أمر الشام لمروان ماصداً تدمر ، فسار من دمشق فنزل القسطل من أرض حصص ، وبلغه أن أهل تدمر قد غوروا ما بينه وبينهم من المياه ، فاشتد غضبه عليهم ومعه جعاقل من الجيوش ، فتكلم الأبرش بن الوليد وكانوا قومه فسأل منه أن يرسل إليهم أولاً ليصدر إليهم ، فبعث عمرو بن الوليد أخا الأبرش ، فلما قدم عليهم لم يلتفتوا إليه ولا سمعوا له قولاً فرجع ، فهم الخليفة أن يبعث الجنود فسأله الأبرش أن يذهب إليهم بنفسه فأرسله ، فلما قدم عليهم الأبرش كلهم واستألمهم إلى السمع والطاعة ، فأجابهم أكثرهم وامتنع بعضهم ، فكتب إلى الخليفة يعلمه بما وقع ، فأمره الخليفة أن يهدم بعض سورها ، وأن يقبل بمن أطاعه منهم إليه ، ففعل . فلما حضروا عنده سار بن معه من الجنود نحو الرصافة على طريق البرية ، ومعه من الرؤس إبراهيم بن الوليد الخلع ، وسليمان بن هشام ، وجماعة من ولد الوليد ويزيد وسليمان ، فأقام بالرصافة أياماً ثم شخصن إلى البرية ، فاستأذنه سليمان بن هشام أن يقيم هناك أياماً ليستريح ويجم ظهره فأذن له ، فأنحدر مروان فنزل عند واسط على شط الفرات فأقام ثلاثاً ثم مضى إلى قرقيسيا ، وابن هبيرة بها ليبيته إلى العراق لحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي الحاروري ، واشتغل مروان بهذا الأمر ، وأقبل عشرة آلاف فارس من كان مروان قد بعثهم في بعض السرايا ، فاجتازوا بالرصافة وفيها سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي كان استأذن الخليفة في المقام هناك للراحة ، فدعوه إلى البيعة له وخلع مروان بن محمد ومحاربه ، فاستزله الشيطان فأجابهم إلى ذلك ، وخلع مروان وسار بالجيوش إلى قنسرين ، وكان أهل الشام فانفضوا إليه من كل وجه ، وكتب سليمان إلى ابن هبيرة الذي جهزه مروان لقتال الضحاك بن قيس الخارجي يأمره بالمسير إليه ، فالتف إليه نحو من سبعين ألفاً ، وبعث مروان إليهم هيسى بن مسلم في نحو من سبعين ألفاً فالتقوا بأرض قنسرين فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وجاء مروان والناس في الحرب فقتلهم أشد القتال فهزمهم وقتل يوشع إبراهيم بن سليمان بن هشام ، وكان أكبر ولده ، وقتل منهم ثمانين وثمانين ألفاً ، وذهب سليمان مغلوباً فأتى حصص فالتف عليه من انهزم من الجيش فسكر بهم فيها ، وبني ما كان مروان هدم من سورها . فجاءهم مروان فحاصرهم بها ونصب عليهم ثمانين

منجنيقا، فكث كذلك ثمانية أشهر يرميهم ليلا ونهاراً، ويخرجون إليه كل يوم ويقاتلون ثم يرجعون. وهذا وقد ذهب سليمان وطائفة من الجيش معه إلى تدمر وقد اعترضوا جيش مروان في الطريق وهموا بالفتك به وأن يذبحوه فلم يمكنهم ذلك، ونهياً لهم مروان فقاتلهم فقتلوا من جيشه قريبا من ستة آلاف وهم تسعة، وانصرفوا إلى تدمر، ولزم مروان محاصرة حصن كمال عشرة أشهر، [ فلما تتابع عليهم الهلاك، ولزمهم الليل، سألوه أن يؤمنهم فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه، ثم سأله الأمان على أن يمكنهم من سعيد بن هشام ]<sup>(١)</sup> وابنيه مروان وعثمان ومن السكسكي الذي كان حبس معه، ومن أصحابه كان يغدرى عليه ويشتمه فأجابهم إلى ذلك فأمنهم وقتل أولئك، ثم سار إلى الضحاك، وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد صالح الضحاك الخارجي على ما بيده من الكوفة وأعمالها، وجاءت خيول مروان قاصدة إلى الكوفة، فنلقاهم نائبها من جهة الضحاك - ملحان الشيباني - فقاتلهم فقتل ملحان، واستناب الضحاك عليها المنشي بن عمران من بني عاتكة، وسار الضحاك في ذي القعدة إلى الموصل، وسار ابن هبيرة إلى الكوفة فانزعها من أيدي الخوارج، وأرسل الضحاك جيشا إلى الكوفة فلم يجد شيئا.

وفي هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيباني، وكان سبب خروجه أن رجلا يقال له سعيد بن بهدل - وكان خارجيا - اغتشم غفلة الناس واستغلمهم بمقتل الوليد بن يزيد، فنار في جماعة من الخوارج بالعراق، فالتف عليه أربعة آلاف - ولم تجتمع قبلها لخارجي - فقصدتهم الجيوش فقاتلوا معهم، فنارة يسكرون وقارة يسكرون، ثم مات سعيد بن بهدل في طاعون أصابه، واستخلف على الخوارج من بعده الضحاك بن قيس هذا، فالتف أصحابه عليه، والتقى هو وجيش كثير فنلبت الخوارج وقتلوا خلقا كثيرا، منهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز - أخو أمير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز - فرأه بأشعار، ثم قصد الضحاك بطائفة من أصحابه مروان فاجتاز بالكوفة، فنهض إليه أهلها فسكرهم ودخل الكوفة فاستحوذ عليها، واستناب بها رجلا اسمه حسان، ثم استناب ملحان الشيباني في شعبان من هذه السنة، وسار هو في طلب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراقي، فالتقوا لجرت بينهم حروب كثيرة يطول ذكرها وتفصيلها.

وفي هذه السنة اجتمعت جماعة من الدعاة إلى بني المباس عند إبراهيم بن محمد الامام ومعه أبو مسلم الخراساني، فبدعوا إليه فتقات كثيرة، وأعطوه خمس أموالهم، ولم ينظّم لهم أمر في هذه السنة لكثرة الشرور المنتشرة، والفتن الواقعة بين الناس. وفي هذه السنة خرج بالكوفة معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فدعا إلى نفسه وخرج إلى محاربة أمير العراق عبد الله بن عمر

ابن عبد العزيز ، فحرت بينهما حروب يطول ذكرها ، ثم أجلاه عنها فلحق بالجبال فتغلب عليها .  
وفي هذه السنة خرج الحارث بن سريج الذي كان لحق ببلاد الترك ومالاً ثم على المسلمين فن الله عليه  
بالمداية ووقه حتى خرج إلى بلاد الشام ، وكان ذلك عن دعاء يزيد بن الوليد إلى الرجوع إلى الاسلام  
وأهله فأجابه إلى ذلك ، وخرج إلى خراسان فأكرمه نصر بن سيار نائب سورة<sup>(١)</sup> ، واستمر الحارث  
ابن سريج على الدعوة إلى الكتاب والسنة وطاعة الامام ، وعنده بعض المناوأة لنصر بن سيار .

قال الواقدي وابو معشر : وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أمير  
الحجاز ومكة والمدينة والطائف ، وأمير العراق نصر بن سعيد الحرشي ، وقعد خرج عليه الضحاك  
الحروري ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز . وأمير خراسان نصر بن سيار ، وقد خرج عليه  
الكرماني والحارث بن سريج . ومن توفى في هذه السنة :

بكر بن الأشج وسعد بن إبراهيم وعبد الله بن دينار وعبد الملك بن مالك الجزري وعمير بن  
ماني ومالك بن دينار وهب بن كيسان وأبو إسحاق السبيعي .

### ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

فيها كان مقتل الحارث بن سريج ، وكان سبب ذلك أن يزيد بن الوليد الناقص كان قد كتب  
إليه كتاب أمان ، حتى خرج من بلاد الترك وصار إلى المسلمين ورجع عن موالاته المشركين إلى  
نصرة الاسلام وأهله . وأنه وقع بينه وبين نصر بن سيار نائب خراسان وحشة ومنازعات كثيرة  
يطول ذكرها ، فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد استوحش الحارث بن سريج من ذلك . وتولى  
ابن هبيرة نيابة العراق ، وجاءت البيعة لمروان ، فامتنع الحارث من قبولها وتكلم في مروان ، وجاءه  
مسلمة بن أحوز أمير الشرطة ، وجماعة من رؤس الأجناد والأمراء ، وطلبوا منه أن يكف لسانه  
ويده ، وأن لا يفرق جماعة المسلمين ، فأبى وبرز ناجية عن الناس ، ودعا نصر بن سيار إلى ما هو  
عليه من الدعوة إلى الكتاب والسنة فامتنع نصر من موافقته ، واستمر هو على خروجه على الاسلام .  
وأمر الجهم بن صفوان مولى بني راسب ويكنى بأبي محرز - وهو الذي نسبت إليه الفرقة الجهمية - أن  
يقرأ كتابا فيه سيرة الحارث على الناس ، وكان الحارث يقول أنا صاحب الرايات السود . فبعث إليه  
نصر يقول : لئن كنت ذاك فلمصرى إنكم الذين تخربون سور دمشق وتزيلون بني أمية ، فخذمني  
خمسائة رأس ومائة بعير ، وإن كنت غيره فقد أهلكك عشرينك . فبعث إليه الحارث ، بقول :  
لعصري إن هذا أسكن . فقال له نصر : فابدأ بالكرماني أولا ، ثم سر إلى الري ، وأنا في طاعتك  
إذا وصلتها . ثم تناظر نصر والحارث ورضيا أن يحكم بينهما ، فقاتل بن حيان والجهم بن صفوان [ حكما  
(١) كذا . ولعل فيه تحريفاً صوابه ( نائب خراسان ) .

أن يمزل نصر ويكرن الأمر شورى . فاستنصر نصر من قبول ذلك ، ولزم الجهم بن صفوان <sup>(١)</sup> وغير قراءة سيرة الحارث على الناس في الجامع والطرق ، فاستجاب له خلق كثير ، وجم غفير فعند ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن أمر نصر بن سيار ، فقصده فحارب دونه أصحابه ، فقتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان ، طعنه رجل في فيه فقتله ، ويقال بل أسر الجهم فأوقف بين يدي سلم بن أحوز فأمر بقتله ، فقال : إن لي أماناً من أبيك ، فقال : ما كان له أن يؤمنك ، ولو فعل ما أمنتك ، ولو ملأت هذه الملاة كواكب ، وأنزلت عيسى بن مريم ، ما نجوت ، والله ولو كنت في بطنى لشقت بطنى حتى أقتلك . وأمر ابن ميسر فقتله . ثم اتفق الحارث بن سريج والكرمانى على نصر ومخالفته ، والدعوة إلى الكتاب والسنة واتباع أئمة الهدى وتحريم المنكرات إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة ، ثم اختلفا فيها بينهما واقتتلا قتالا شديدا ، فغلب الكرمانى وانهمزم أصحاب الحارث . وكان راكبا على بئل فتحول إلى فرس فخرت أن تمشى ، وهرب عنه أصحابه ولم يبق معه منهم سوى مائة ، فأدركه أصحاب الكرمانى فقتلوه تحت شجرة زيتون ، وقيل تحت شجرة عبيرا . وذلك يوم الأحد لست بقين من رجب من هذه السنة ، وقتل معه مائة من أصحابه ، واحتاط الكرمانى على حواصله وأمواله ، وأخذ أموال من خرج معه أيضاً ، وأمر بصلب الحارث بلا رأس على باب مرو ، ولما بلغ نصر بن سيار مقتل الحارث : ذلك :

يا مدخلُ الذلِّ عني قومه \* بعداً وسحقاً لك من هالكِ  
شؤمكُ أردى مُضراً كلها \* وغضٌ من قومك بالحاركِ  
ما كانت الأزدُ وأشباؤها \* تطمَعُ في عمروٍ ولا مالكِ  
ولا بنى سعدٍ إذ ألبوا \* كلَّ طيرٍ لونه حالكِ

وقد أجاهه عباد <sup>(٢)</sup> بن الحارث بن سريج فيما قال :

ألا يا نصرُ قد برحَ العفاء \* وقد طالَ التقيُّ والرجاءُ  
وأصبحتَ المزونُ بأرضِ مرو \* تقضى في الحكومة ما تشاءُ  
بجورٍ قضاؤها في كلِّ حكمٍ \* على مضرٍ وإن جازَ القضاءُ  
وحبيرُ في مجالسها قعوداً \* تفرقُ في رقابهمُ الدماءُ  
فإن مضرٍ بذارضيتِ وذلتِ \* فطالَ لها المنلةُ والشقاءُ  
وإن هي أعتبتِ فيها وإلا \* فخلَّ على عساكرها العفاءُ

وفي هذه السنة بعث إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بأهلسلم الخراساني إلى خراسان

(١) زيادة من المصرية (٢) في المصرية عتاب وفي نسخة القسطنطينية غيث وصحاحه من

تاريخ ابن جرير الطبري ٩ : ٧٤

وكتب معه . كتبنا إلى شيعتهم بها : إن هذا أبا مسلم فاسموا له وأطيعوا ، وقد وليته على ماغلب عليه من أرض خراسان . فلما قدم أبو مسلم خراسان وقرأ على أصحابه هذا الكتاب ، لم يلتفتوا إليه ولم يعملوا به وأعرضوا عنه ونبدوه وراء ظهورهم ، فرجع إلى إبراهيم بن محمد أيام الموسم ، فاشتكاهم إليه وأخبره بما قالوه من الخالفة ، فقال له : يا عبد الرحمن ! إنك رجل منا أهل البيت ، إرجع إليهم وعليك بهذا الحى من الدين فأكرمهم وانزل بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم . ثم حذره من بقية الأحياء وقال له : إن استطعت أن لاتدع بتلك البلاد لسانا عربيا فافعل ، ولمن بلغ من أبنائهم خمسة أشبار واتهمته فاقتله ، وعليك بذلك الشيخ فلا تقصه - يعنى سليمان بن كثير - وسيأتى ما كان من أمر أبي مسلم الخراساني فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجي في قول أبي مخنف ، وكان سبب ذلك أن الضحاك حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وواقفه على محاصرته منصور بن جمهور ، فكتب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز إليه : إنه لافائدة لك في محاصرتي ولكن عليك بمروان بن محمد فسر إليه ، فان قتلتهم اتممتك . فاصطاحا على مخالفة مروان بن محمد أمير المؤمنين ، فلما اجتاز الضحاك بالموصل كاتبه أهلها فال إليهم فدخلها ، وقتل نائبيها واستحوذ عليها ، وبلغ ذلك مروان وهو محاصر حص ، ومشغول بأهلها وعدم مبايعتهم إياه ، فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان - وكان الضحاك قد التفت عليه مائة ألف وعشرون ألفا فحاصروا نصيبين - وساق مروان في طلبه فالتقى هنالك ، فاقتلا قتالا شديداً فقتل الضحاك في المركة وحجز الليل بين الفريقين ، وفقد أصحاب الضحاك الضحاك وشكروا في أمره حتى أخبرهم من رآه قد قتل ، فبكوا عليه وناحوا ، وجاء الخبر إلى مروان فبعث إلى المركة بالشاعل ومن يعرف مكانه بين القتلى ، وجاء الخبر إلى مروان وهو مقتول ، وفي رأسه ووجهه نحو من عشرين ضربة ، فأمر وأمر برأسه فطيف به في مدائن الجزيرة . واستخلف الضحاك على جيشه من بعده رجلا يقال له الخيبرى ، فالتفت عليه بقية جيش الضحاك ، والتفت مع الخيبرى سليمان ابن هشام بن عبد الملك وأهل بيته ومواليه ، والجيش الذين كانوا قد بايعوه في السنة الماضية على الخلافة ، وخلصوا مروان بن محمد عن الخلافة لأجله ، فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان ، فحمل الخيبرى في أربعمائة من شجمان أصحابه على مروان ، وهو في القلب ، فكر منهزما واتبعه حتى أخرجه من الجيش ، ودخلوا عسكره وجلس الخيبرى على فرشه ، هذا ويمينة مروان ثابتة وعليها ابنه عبد الله ، وميسرته أيضا ثابتة وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي . ولما رأى عبد الله العسكر فارين مع الخيبرى ، وأن اليمينة والميسرة من جهتهم باقيتان طعموا فيه فأقبلوا إليه بمعد الخيام فقتلوه بها ، وبلغ قتله مروان وقد سار عن الجيش نحواً من خمسة أميال أو ستة ، فرجع مسرورا واتهمزم أصحاب الضحاك ،



وقد ولوا عليهم شيبان ، فقصدهم مروان بعد ذلك ، فكان له الكراديس فهزمهم .  
 وفيها بعث مروان الحمار على إمارة العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقاتل من بها من الخوارج .  
 وفي هذه السنة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب المدينة ومكة والطائف ،  
 وأمير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وأمير خراسان نصر بن سيار .  
 ومن توفى في هذه السنة بكر بن سوادة وجابر الجعفي والحهم بن صفوان ، مقتولا كما تقدم ، والحارث  
 ابن سريح أحد كهراء الأراء ، وقد تقدم شئ من ترجمته ، وعاصم بن عبدلة ، وأبو حصين عثمان بن  
 عاصم ، ويزيد بن أبي حبيب ، وأبو التياح يزيد بن حميد ، وأبو حمزة النعنعبي ، وأبو الزبير المكي  
 وأبو عمران الجوني وأبو قبيل المغافري . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل .  
 ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

فيها اجتمعت الخوارج بعد الخيبري على شيبان بن عبد العزيز بن الحليس اليشكري الخارجي  
 فأشار عليهم سليمان بن هشام أن يتحصنوا بالموصل ويجعلوها منزلا لهم ، فتمحلوا إليها وتبعهم مروان  
 ابن محمد أمير المؤمنين ، فمكروا وبظاهاها وخدموا عليهم مما يلي جيش مروان . وقد خندق مروان  
 على جيشه أيضا من ناحيتهم ، وأقام سنة يحاصروهم ويقتلون في كل يوم بكرة وعشية ، وظفر مروان  
 بإبن أخ سليمان بن هشام ، وهو أمية بن معاوية بن هشام ، أسره بعض جيشه ، فأمر به فقطعت  
 يداه ثم ضرب عنقه ، وعمره سليمان والجيش ينظرون إليه . وكتب مروان إلى نائبه بالعراق يزيد بن  
 عمر بن هبيرة يأمره بقتال الخوارج الذين في بلاده . فجزت له معهم وقعات عديدة ، فظفر بهم  
 ابن هبيرة . وأباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية بالعراق ، واستنقذ الكوفة من أيدي الخوارج ، وكان  
 عليها المثنى بن عمران العائذي - عائذة قریش - في رمضان من هذه السنة ، وكتب مروان إلى ابن  
 هبيرة لما فرغ من الخوارج أن يمد بهار بن صبارة - وكان من الشجمان - فبعثه إليه في سبعة آلاف  
 أو ثمانية آلاف ، فأرسلت إليه سرية في أربعة آلاف فاشترووه في الطريق فهزمهم ابن صبارة  
 وقتل أميرهم الجون بن كلاب الشيباني الخارجي ، وأقبل نحو الموصل ، ورجع فل الخوارج إليهم .  
 فأشار سليمان بن هشام عليهم أن يرحلوا عن الموصل ، فانه لم يكن يمكنهم الإقامة بها ، ومروان من  
 أمامهم وابن صبارة من ورائهم ، قد قطع عنهم الميرة حتى لم يجدوا شيئا يأكلونه ، فارتحلوا عنها  
 وساروا على حلوان إلى الأهواز ، فأرسل مروان ابن صبارة في آثارهم في ثلاثة آلاف ، فاتبعهم يقتل  
 من تخلف منهم ويلحقهم في موطن فيقاتلهم ، وما زال وراءهم حتى فرق شملهم شذر مذر ، وهلك  
 أميرهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري بالأهواز في السنة الثمانية ، قبله خالد بن مسعود بن جعفر بن  
 خليد الأزدي . وركب سليمان بن هشام في مواليه وأهل بيته السفن وساروا إلى السند ، ورجع

مروان من الموصل فأقام بمنزله بجران وقد وجد سروراً بزوال الخوارج ، ولكن لم يتم سروره ، بل أعقبه القدر من هو أقوى شوكة وأعظم أتباعاً ، وأشد بأساً من الخوارج ، وهو ظهور أبي مسلم الخراساني الداعية إلى دولة بني العباس .

## أول ظهور أبي مسلم الخراساني

وفي هذه السنة ورد كتاب من إبراهيم بن محمد الامام العباسي بطلب أبي مسلم الخراساني من خراسان ، فسار إليه في سبعين من النقباء ، لا يمرون ببلد إلا سألوهم إلى أين تذهبون ؟ فيقول أبو مسلم : نريد الحج . وإذا توسم أبو مسلم من بعضهم ميلاً إليهم دعاهم إلى ما هم فيه فيجيبه إلى ذلك ، فلما كان ببعض الطريق جاء كتاب ثان من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم : إلى بهشت إليت براءة النصر فارجع إلى خراسان وأظهر الدعوة ، وأمر قحطبة بن شبيب أن يسير بما معه من الأموال والتحف إلى إبراهيم الامام فيوافيه في الموسم ، فرجع أبو مسلم بالكتاب فدخل خراسان في أول يوم من رمضان فرفع الكتاب إلى سليمان بن كثير وفيه : أن أظهر دعوتك ولا تتربص . فقدموا عليهم أبا مسلم الخراساني داعياً إلى بني العباس ، فبعث أبو مسلم دعاته في بلاد خراسان ، وأمير خراسان - نصر بن سيار - مشغول بقتال الكرماني ، وشيبان بن سلمة الحروري ، وقد بلغ من أمره أنه كان يسلم عليه أصحابه بالخلافة في طوائف كثيرة من الخوارج ، فظهر أمر أبي مسلم وقصده الناس من كل جانب ، فكان من قصده في يوم واحد أهل ستين قرية ، فأقام هناك اثنين وأربعين يوماً ، ففتحت على يديه أقاليم كثيرة . ولما كان ليلة الخميس لحس بقين من رمضان في هذه السنة ، عقد أبو مسلم اللواء الذي بعثه إليه الامام ، ويدعى الظل ، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وعقد الراية التي بعث بها الامام أيضاً ، وتدعى السحاب ، على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً ، وهما سوداوان ، وهو يتلو قوله تعالى [ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ] ولبس أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن أجاهم إلى هذه الدعوة ، السواد ، وصارت شعارهم ، وأوقدوا في هذه الليلة ناراً عظيمة يدعون بها أهل تلك النواحي ، وكانت علامة بينهم فجمعوا . ومعنى تسمية إحدى الرايتين بالسحاب أن السحاب كما يطبق جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم أهل الأرض ، ومعنى تسمية الأخرى بالظل أن الأرض كما أنها لا تخلو من الظل فكذلك بنو العباس لا تخلو الأرض من قائم منهم . وأقبل الناس إلى أبي مسلم من كل جانب ، وكثر جيشه .

ولما كان يوم عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس ، ونصب له منبراً ، وأن يخالف في ذلك بنو أمية ، ويعمل بالسنة ، فنودي للصلاة جامعة ، ولم يؤذن ولم يقرأ خلافاً

لهم . وبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، وكبر ستاً في الأولى قبل القراءة ، لا أربعاً . وخمساً في الثانية لا ثلاثاً ، خلافاً لهم . وابتدأ الخطبة بالذكر والتكبير وختمها بالقراءة ، وانصرف الناس من صلاة العبد . وقد أعد لهم أبو مسلم طعاماً فوضعه بين أيدي الناس ، وكتب إلى نصر بن سيار كتاباً بدأ فيه بنفسه ثم قال إلى نصر بن سيار . بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فإن الله غير أقواماً في كتابه فقال [ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ] إلى قوله [ تحملاً ] فمظم على نصر أن قدم اسمه على اسمه ، وأطال الفكر ، وقال : هذا كتاب له جواب .

قال ابن جرير : ثم بعث نصر بن سيار خيلاً عظيمة لمحاربة أبي مسلم ، وذلك بعد ظهوره بثانية عشر شهراً ، فأرسل أبو مسلم إليهم مالك بن الهيثم الخزاعي ، فالتقوا ، فدعاهم مالك إلى الرضا عن آل رسول الله - ﷺ ، فأبوا ذلك ، فتصافوا من أول النهار إلى العصر ، فجاء إلى مالك مدد فقوى فظفر بهم مالك ، وكان هذا أول موقف اقتتل فيه جند بني العباس وجند بني أمية .

وفي هذه السنة غلب خازم بن خزيمه على مرو الروذ وقتل عاملها من جهة نصر بن سيار ، وهو بشر بن جعفر الاعمدي ، وكتب بالفتح إلى أبي مسلم ، وكان أبو مسلم إذ ذاك شاباً حدثاً قد اختاره إبراهيم لدعوتهم . وذلك لشهامته وصرامته ، وقوة فهمه وجودة ذهنه ، وأصله من سواد الكوفة ، وكان مولى لادريس بن معقل العجلي ، فاشتره بعض دعاة بني العباس بأربعمائة درهم ، ثم أخذه محمد بن علي ثم آل ولاؤه لآل العباس ، وزوجه إبراهيم الامام بابنة أبي النجم إسماعيل بن عمران ، وأصدقها عنه وكتب إلى دعاةهم بخراسان والعراق أن يسمعوا منه ، فامتثلوا أمره ، وقد كانوا في السنة الماضية قبل هذه السنة ردوا عليه أمره لصغره فيهم ، فلما كانت هذه السنة أكد الامام كتابه إليهم في الوصاية به وطاعته ، وكان في ذلك الخبير له ولهم [ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ] ولما فشا أمر أبي مسلم بخراسان تماقدت طوائف من العرب الذين بها على حرب ومقاتلته ، ولم يكره الكرماني وشيبيان لأنهما خرجا على نصر وأبو مسلم مخالف لنصر كحالهما ، وهو مع ذلك يدعو إلى خلع مروان الحمار ، وقد طلب نصر من شيبيان أن يكون معه على حرب أبي مسلم ، أو يكف عنه حتى يتفرغ لحربه ، فاذا قتل أبا مسلم عادا إلى عداوتهما ، فأجاباه إلى ذلك ، فبلغ ذلك أبا مسلم فبعث إلى الكرماني يعلمه بذلك فلام الكرماني شيبيان على ذلك ، وثناه عن ذلك ، وبعث أبو مسلم إلى هراة النضر بن نعيم فأخذها من عاملها عيسى بن عقيل اللبيثي ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، وجاء عاملها إلى نصر هاربا ، ثم إن شيبيان وأدع نصر بن سيار سنة على ترك الحرب بينه وبينه ، وذلك عن كره من الكرماني ، فبعث ابن الكرماني إلى أبي مسلم إلى معك على قتال نصر ، وركب أبو مسلم في خدمة الكرماني فاتفقا على حرب نصر ومخالفته . ويحول أبو مسلم إلى موضع فسيح وكثر جنده وعظم جيشه ، واستعمل على الحرس والشرط

والرسائل والديوان وغير ذلك مما يحتاج إليه الملك عمالا ، وجعل القاسم بن مجاشع النخعي - وكان أحد النقباء - على القضاء وكان يصلي بأبي مسلم الصلوات ، ويقص بمض القصص فيذكر محاسن بني هاشم ويندم بني أمية . ثم تحول أبو مسلم إلى قرية يقال لها بالين ، وكان في مكان منخفض ، فحشى أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء ، وذلك في سادس ذى الحجة من هذه السنة ، وصلى بهم يوم النحر القاضي القاسم بن مجاشع ، وصار نصر بن سيار في جحافل كالحجاب فأصدا قتال أبي مسلم ، واستخلف على البلاد نوابا وكان من أمرهما ما سنذكر في السنة الآتية .

### مقتل ابن الكرماني

ونشبت الحرب بين نصر بن سيار وبين ابن الكرماني - وهو جديع بن علي الكرماني - فقتل بينهما من الفريقين خلق كثير ، وجعل أبو مسلم يكتب كلاما من الطائفين ويستميلهم إليه ، يكتب إلى نصر وإلى ابن الكرماني : إن الامام قد أوصاني بكم خيرا ولست أعدد رأيه فيكم ، وكتب إلى الكور يدعو إلى بني العباس فاستجاب له خلق كثير وجم غفير ، وأقبل أبو مسلم فنزل بين خندق نصر وخندق ابن الكرماني ، فهابه الفريقان جميعا ، وكتب نصر بن سيار إلى مروان يبله بأمر أبي مسلم ، وكثيرة من معه ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، وكتب في جملة كتابه :

أرى بين الرمادِ وميضَ جهرٍ \* وأحرى أن يكونَ لهُ ضرامُ

فإن النارَ بالعيدانِ تذكى \* وإنَّ الحربَ مبدؤها السكلامُ

فقلتُ من التمجيدِ ليت شعري \* أيقاظُ أميةٍ أمُ نيامُ

فكتب إليه مروان : الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، فقال نصر : إن صاحبكم قد أخبركم أن لا نصر عنده . وبعضهم يرونها بلفظ آخر :-

أرى خللَ الرمادِ وميضَ نارٍ \* فيوشكُ أن يكونَ لها ضرامُ

فإنَّ النارَ بالعيدانِ تذكى \* وإنَّ الحربَ أولها كلامُ

فإن لم يطفها عقلاءُ قومٍ \* يكونُ وقودها جنثٌ وهامُ

أقولُ من التمجيدِ ليت شعري \* أيقاظُ أميةٍ أمُ نيامُ

فإن كانوا لحينهم نياماً \* فقل قوموا فقد حان القيامُ

قال ابن خلدكان : وهذا كما قال بعض علوية الكوفة حين خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسين على المنصور وأخي السفاح :

أرى ناراً تشبُّ على بقاعٍ \* لها في كل ناحيةٍ شماغُ

وقد رقدت بنو العباس عنها \* وباتت وهي آمنَةٌ رناعُ

كما رقدت أميةٌ ثم هبت \* تدافعُ حين لا يفي الدفَاعُ

وكتب نصر بن سيار أيضا إلى نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يستمه وكتب إليه :  
أبلغ يزيد وخير القول صدقة \* وقد تمقت أن لاخير في الكنب  
بان أرض خراسان رأيت بها \* بيضا إذا أفرخت حدثت بالهجر  
فراخ عامين إلا أنها كبرت \* ولم يطرن وقد سر بلن بالزغب  
فان يطرن ولم يحتل لمن بها \* يلهن نيران حرب أيما لهر

بعث ابن هبيرة بكتاب نصر إلى مروان ، واتفق في وصول الكتاب إليه أن وجدوا رسولا  
من جهة إبراهيم الامام ومعه كتاب منه إلى أبي مسلم ، وهو يشتمه فيه ويسبه ، ويأمره أن يناهض  
نصر بن سيار وابن الكرماني ، ولا يترك هناك من يحسن العربية . فعند ذلك بعث مروان وهو مقيم  
بمران كتابا إلى نائبه بدمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، يأمره فيه أن يذهب إلى الحيمة ،  
وهي البلدة التي فيها إبراهيم بن محمد الامام ، فيقيدته ويرسله إليه . فبعث نائب دمشق إلى نائب  
البلقاء فذهب إلى مسجد البلدة المذكورة فوجد إبراهيم الامام جالسا فقيده وأرسل به إلى دمشق ،  
فبعثه نائب دمشق من فوره إلى مروان ، فأمر به فسجن ثم قتل كما سيأتي .

وأما أبو مسلم فإنه لما توسط بين جيش نصر وابن الكرماني ، كاتب ابن الكرماني : إني ملك فال  
إليه ، فكتب إليه نصر ويحك لا تغتر فانه إنما يريد قتلك وقتل أصحابك ، فلم حتى نكتب كتابا  
بيننا بالوادعة ، فدخل ابن الكرماني داره ثم خرج إلى الرحبة في مائة فارس ، وبعث إلى نصر هلم  
حتى تتكاتب ، فأبصر نصر غرة من ابن الكرماني فنهض إليه في خلق كثير ، فحملوا عليه فقتلوه  
وقتلوا من جماعته جماعة ، وقتل ابن الكرماني في المعركة ، طعنه رجل في خاصرته فخر عن دابته ، ثم  
أمر نصر بصلبه وصلب معه جماعة ، وصلب معه سمكة ، وانضاف ولده إلى أبي مسلم الخراساني ومعه  
طوائف من الناس من أصحاب ابن الكرماني ، فصاروا كتفا واحدا على نصر .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة تغلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على فارس وكرهاه  
وعلى حلوان وقومس واصبهان والري ، بعد حرب يطول ذكرها ، ثم التقى عامر بن ضبارة معه باصطخر  
فهزمه ابن ضبارة وأسر من أصحابه أربعين ألفا . فكان منهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ،  
فنسبه ابن ضبارة وقال له : ماجاه بك مع ابن معاوية وقد علمت خلافه لأمير المؤمنين ؟ فقال : كان  
على دين فأتيته فيه . فقام إليه [ حرب بن ] قطن بن وهب الهلالي فاستوجه منه وقال : هو ابن أختنا  
فوجه له ، وقال : ما كنت لأقدم على رجل من قريش ، ثم استعلم ابن ضبارة منه أخبار ابن معاوية  
فندمه ورماه هو وأصحابه باللواط ، وجس من الأسارى بمائة غلام عليهم الثياب المصبغة ، وقد كان  
يعمل معهم الفاحشة ، وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد لابن هبيرة ليخبره بما أخبر به

ابن ضبارة عن ابن معاوية . وقد كتب الله عز وجل أن زوال ملك بني أمية يكون هل يدي هذا الرجل ، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولا يشعر واحد منهم بذلك . قال ابن جرير : وفي هذه السنة دلى الموسم أبو حمزة الخارجي فأطاعه النعمان والحالمة ابنان . وتبرأ منه . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مكة والمدينة والطائف ، وإليه أمر الحجاج في هذه السنة ، ثم صالحهم على الأمان إلى يوم النفر ، فوقفوا هل حصدت من الناس بقرقات ، ثم تعجزوا عنهم ، فلما كان يوم النفر الأول لمجئ عبد الواحد وترك مكة فداره الخارجي بنهر قنبل ، قتال بعض الشعراء في ذلك :-

زار الحجاج عصابة قد خالفوا \* دين الإله ففر عبد الواحد

ترك الحلال والامارة هاربا \* ومضى يضبط كالبيبر الشارد

لو كان والده تنصل هرقه \* لصفنت موارد بريق الوارد

ولما رجع عبد الواحد إلى المدينة شرع في تجهيز السرايا إلى قتال الخارجي ، وبتل القنات وزاد في أهلية الأجداد ، وسبهم مرياً . وكان أمير العراق يزيد بن هبيرة ، وأمير خراسان نصر بن سيار ، وقد استحوذ هل بعض بلاده أبو مسلم الخراساني . ومن تولى فيها من الأعيان : سالم أبو النصر ، وعلي بن يزيد بن جديان ، في قول ، وبهي من أبي كثير . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله الحمد .

### سنة ثلاثين ومائة

في يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى منها ، دخل أبو مسلم الخراساني مرو ، ونزل دار الامارة بها ، وانزعها من يد نصر بن سيار ، وذلك بمساعدة علي بن الكرماني ، وهرب نصر بن سيار في شرفة قليلة من الناس ، نحو من ثلاثة آلاف ، وسمع امرأته أكرزبانة ، حتى لحق سرخس وترك امرأته وراعه ، ونجا بنفسه ، واستنحل أمر أبي مسلم حدة ، والنفت عليه العساكر .

### مقتل شيبان بن سلمة الحروري

ولما هرب نصر بن سيار إلى شيبان وكان بمائتاه هل أبي مسلم ، فبعث إليه أبو مسلم وصلاً لحبسهم فأرسل أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بن ليث يأمره أن يركب إلى شيبان فبغاه ، فصار إليه فالتلا فبزمه بسام فقتله واتبع أصحابه يقتلهم ويأسرهم ، ثم قتل أبو مسلم ولجأ عثمان بن الكرماني ، ثم رجع أبو مسلم إلى داود إلى بلخ فأخذ منها من زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وأخذ منهم أموالاً جزيئة . ثم إن أبا مسلم اتفق مع أبي داود هل قتل عثمان بن الكرماني في يوم كذا ، وفي ذلك اليوم لبث بقتل أبو مسلم هل بن جديع الكرماني ، فوقع ذلك كذلك .

وفي هذه السنة وجه أبو مسلم قحطبة بن شبيب إلى نيسابور لقتال نصر بن سيار، ومع قحطبة جماعة من كبار الأمراء، منهم خالد بن برمك. فالتقوا مع تميم بن نصر بن سيار وقد وجهه أبوه لقتالهم بطوس، فقتل قحطبة من أصحاب نصر نحواً من سبعة عشر ألفاً في المعركة، وقد كان أبو مسلم بعث إلى قحطبة مدداً نحو عشرة آلاف فارس، عليهم هلى بن معقل، فاقتتلوا فقتلوا من أصحاب نصر خلقاً كثيراً، وقتلوا تميم بن نصر، وغنمو له أموالاً جزيلة جداً، ثم إن يزيد بن عمر بن هبيرة نائب مروان على العراق بعث سرية مدداً لنصر بن سيار، فالتقى معهم قحطبة في مستهل ذى الحجة، وذلك يوم الجمعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز جنود بني أمية، وقتل من أهل الشام وغيرهم عشرة آلاف، منهم نباتة بن محظلة عامل جرجان، فبعث قحطبة برأسه إلى أبي مسلم.

### ذكر دخول أبي حمزة الخارجي المدينة النبوية واستلائه عليها

قال ابن جرير: وفي هذه السنة كانت وقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي الذي كان عام أول في أيام الموسم، فقتل من أهل المدينة من قريش خلقاً كثيراً، ثم دخل المدينة وهرب نائبها عبد الواحد ابن سليمان، فقتل الخارجي من أهلها خلقاً، وذلك لتسع عشرة ليلة خلت من صفر من هذه السنة، ثم خطب على منبر رسول الله (ص)، فويح أهل المدينة، فقال: يا أهل المدينة إني مررت بكم أيام الأحول - يعني هشام بن عبد الملك - وقد أصابتكم عاهة في تماركم فكنتم إليه تسألونه أن يضع الخرص عنكم فوضه، فزاد غنيكم غنى وزاد فقيركم فقراً، فكنتم إليه جزاك الله خيراً، فلا جزاه الله خيراً. في كلام طويل. فأقام عندهم ثلاثة أشهر بقية صفر وشهرى ربيع وبعض جمادى الأول فيما ظل الواقدي وغيره. وقد روى المدائني أن أبا حمزة رقى يوماً منبر رسول الله (ص)، ثم قال: تملكون يا أهل المدينة أننا لم نخرج من بلادنا بطراً ولا أشراً، ولا لدولة نريد أن نخوض فيها النار، وإنما أخرجنا من ديارنا أننا رأينا مصلييح الحق طمست، وضمف القائل بالحق، وقتل القائم بالنسب، فلما رأينا ذلك ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله [ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض] أقبلنا من قبائل شتى، والنفر منا على بعير واحد عليه زادم وأنفسهم، يتماورون لحافاً واحداً قليلاً مستضمفون في الأرض، فأنا والله وأيدنا بنصره، فأصبحنا والله بنعمة الله إخواناً، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعونا إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بني مروان، فشتان لعمر الله بين النقي والرشد، ثم أقبلوا نحونا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدماهم مراجله، وصدق عليهم ظنه فاتبعوه، وأقبل أنصار الله عصائب وكثائب، بكل مهند ذى رونق، فصدارت رحانا واستندارت رحام، بضرب يرتاب منه المبطون، وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان يستحكم الله بعذاب من عنده أو

بأيدتها ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، يا أهل المدينة أولسكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم ، إلا مشركا عابدا وثنا أو كافرا أهل كتاب ، أو إماما جاررا . يا أهل المدينة من زعم أن الله يكاف نفسا فوق طاعتها ، أو يسألها ما لم يؤتها ، فهو لله عدو ، وأنا له حرب . يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوى والضعيف ، فجاء ناسع ليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذها لنفسه ، مكابرا محاربا لربه ، يا أهل المدينة بلغني أنكم تلتفتصون أصحابي قلم شباب أحداث ، وأعراب جفاة أجلاف ، ويحكم فهل كان أصحاب رسول الله (س) ، إلا شبابا أحداثا ، شبابا والله مكتملون في شبابهم ، غضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن السمي في الباطل أقدامهم ، قد باعوا لله أنفسا تموت بأنفس لا تموت ، قد خالطوا كلامهم بكلامهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية اصلاهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار ، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقا إلى الجنة . فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت ، وإلى الرماح قد شرعت ، وإلى السهام قد فوقت ، وارهدت الكتيبة بصواعق الموت ، استخفوا والله وعيد الكتيبة لوعيد الله في القرآن ، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة ، فطوبى لهم وحسن مأب ، فكم من عين في مناقير الطير طال مافاضت في جوف الليل من خشية الله ، وطال ما بكثت خالية من خوف الله ، وكم من يد زالت عن مفصلها طال ما ضربت في سبيل الله وجاهدت أعداء الله . وطال ما اعتمدها صاحبها في طاعة الله . أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيري ، وما توفيقي إلا بالله .

ثم روى المدائني عن العباس عن هارون عن جده قال : كان أبو حمزة الخارجي قد أحسن السيرة في أهل المدينة فالوا إليه حتى صموه [ يقول ] برح انلغا أين عن هابك نذهب [ ثم قال ] من زنا فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، فمنسد ذلك أبعضوه ورجعوا عن محبته . وأقام بالمدينة حتى بعث مروان الحمار عبس الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد في خيل أهل الشام أربعة آلاف ، قد انتخبها مروان من جيشه ، وأعطى كل رجل منهم مائة دينار وفرسا رية ، وبنلا لتقله ، وأمره أن يقاتله ولا يرجع عنه ، ولو لم يلحقه إلا باليمن فليتبمه إليها ، وليقاتل نائب صنماء عبد الله بن يحيى . فسار ابن عطية حتى باغ وادي القرى فتلقيه أبو حمزة الخارجي قاصدا قتال مروان بالشام ، فاقتنلوا هنالك إلى الليل ، فقال له : ويحك يا ابن عطية إن الله قد جعل الليل سكنا فأخر إلى غد ، فأبى عليه أن يقلع عن قتاله ، فما زال يقاتلهم حتى كسرهم فولوا ورجع فلم يسم إلى المدينة ، فنهض إليهم أهل المدينة فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ودخل ابن عطية المدينة ، وقد انهزم جيش أبي حمزة عنها ، فيقال إنه أقام بها شهرا ثم استخلف عليها ، ثم استخلف على مكة وسار إلى اليمن فنفرج إليه عبد الله ابن يحيى نائب صنماء ، فاقتنلا فقتله ابن عطية وبعث برأسه إلى مروان وجاء كتاب مروان إليه



بأمره بإقامة الحج للناس في هذه السنة ، ويستعجله في المسير إلى مكة . فخرج من صنعاء في اثني عشر راجبا ، وترك جيشه بصنعاء ، وبعده خرج فيه أربعون ألف دينار ، فلما كان ببعض الطريق نزل منزلا إذ أقبل إليه أميران يقال لهما ابنا جمانة من سادات تلك الناحية ، فقالوا ويحك أنتم لصوص . فقال : أنا ابن عطية وهذا كتاب أمير المؤمنين إلى بأمره الحج ، فمدنا لنعجل السير لنندرك الموسم ، فقالوا : هذا باطل ، ثم حاولوا عليهم فقتلوا ابن عطية وأصحابه ولم يفلت منهم إلا رجل واحد ، وأخذوا ماعينهم من المال .

قال أبو موشر : وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان ، وقد جعلت إليه إمرة المدينة ومكة والطائف ، ونائب العراق ابن هبيرة ، وإمارة خراسان إلى نصر بن سيار ، غير أن أبا مسلم قد استمحوذ على مدن وقرى كثيرة من خراسان ، وقد أرسل نصر إلى ابن هبيرة يستمده بعشرة آلاف قبل أن لا يكفيه مائة ألف ، وكتب أيضا إلى مروان يستمده ، فكتب مروان إلى ابن هبيرة بعهده بما أراد .

ومن توفي فيها من الأعيان شبيب بن الحبحاب ، وعبد العزيز بن صهيب ، وعبد العزيز بن رفيع ، وكمب بن علقمة ، ومحمد بن المنكدر . والله سبحانه أعلم .

### ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

في المحرم منها وجه قحطبة بن شبيب ولده الحسن إلى قوميس لقتال نصر بن سيار ، وأردفه بالامداد ، فغار بعضهم إلى نصر وارتحل نصر فنزل الرى ، فأقام بها يومين ثم مرض فسار منها إلى همدان . فلما كان بساوه قريبا من همدان توفي لمضى ثلثي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة ، عن خمس وثمانين سنة . فلما مات نصر تمكن أبو مسلم وأصحابه من بلاد خراسان ، وقويت شوكتهم جدا ، وسار قحطبة من جرجان ، وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيري ، وكان قد ندم على اتباع أبي مسلم ، فترك الجيش وأخذ جماعة معه وسلك طريق أصبهان ليأتي ابن ضبارة ، فبعث قحطبة وراه جيشا فقتلوا عامة أصحابه ، وأقبل قحطبة وراه فقدم قومس وقد افتتحها ابنه الحسن فأقام بها ، وبعث ابنه بين يديه إلى الرى ثم ساق وراه فوجده قد افتتحها فأقام بها وكتب إلى أبي مسلم بذلك . وارتحل أبو مسلم من مرو فنزل نيسابور واستفحل أمره ، وبعث قحطبة بمد دخوله الرى ابنه الحسن بين يديه إلى همدان ، فلما اقترب منها خرج منها مالك بن آدم وجماعة من أجناد الشام وخراسان ، فنزلوا نهاوند ، فافتتح الحسن همدان ثم سار وراه إلى نهاوند ، وبعث إليه أبوه بالامداد فحاصرهم حتى افتتحها .

وفي هذه السنة مات عامر بن ضبارة ، وكان سبب ذلك أن ابن هبيرة كتب إليه أن يسير إلى

قحطبة وأمدته بالمسافر ، فسار ابن ضبارة حتى التقى مع قحطبة في عشرين ألفاً ، فلما تواجه الفريقان رفع قحطبة وأصحابه المصاحف ونادى المنادى : يا أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى مافي هذا المصحف ، فشتبوا المنادى وشتبوا قحطبة ، فأمر قحطبة أصحابه أن يجمعوا عليهم ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم أصحاب ابن ضبارة ، واتبعهم أصحاب قحطبة فقتلوا منهم خاتماً كثيراً ، وقتلوا ابن ضبارة في العسكر [ لشجاعته فإنه لم يول ] وأخذوا من عسكرهم مالا يحد ولا يوصف .

وفيها حاصر قحطبة نهاوند حصاراً شديداً حتى سأله أهل الشام الذين بها أن يهل أهلها حتى يفتحوا له الباب ، ففتحوا له الباب وأخذوا لهم منه أماناً ، فقال لهم من بها من أهل خراسان : ما فعلتم ؟ فقالوا : أخذنا لنا ولكم أماناً ، فخرجوا ظانين أنهم في أمان ، فقال قحطبة للامراء الذين معه : كل من حصل عنده أسير من الخراسانيين فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ، ففعلوا ذلك ولم يبق ممن كان حرب من أبي مسلم أحد ، وأطلق الشاميين وأوفى لهم عهدهم وأخذ عليهم الميثاق أن لا يمالثوا عليه عدواً . ثم بعث قحطبة أبا عون إلى شهر زور ، عن أمر أبي مسلم في الثلاثين ألفاً فانتصمها ، وقتل نائبا عثمان بن سفيان . وقيل لم يقتل بل تحول إلى الموصل والجزيرة وبعث إلى قحطبة بذلك ، ولما بلغ مروان خبر قحطبة وأبي مسلم وما وقع من أمرهما ، تحول مروان من حران فنزل بمكان يقال له الزاب الأكبر .

وفيها قصد قحطبة في جيش كثيف نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة . فلما اقترب منه تنهقر ابن هبيرة إلى ورائه ، وما زال يتقهقر إلى أن جاوز الفرات ، وجاء قحطبة فجازها وراه ، وكان من أمرهما ما سئد كره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

### ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة

في الحرم منها جاز قحطبة بن شبيب الفرات ومعه الجنود والفرسان ، وابن هبيرة مخيم على فم الفرات مما يلي الفلوجة ، في خلق كثير وجم غفير ، وقد أمده مروان بجنود كثيرة ، وانضاف إليه كل من انهزم من جيش ابن ضبارة . ثم إن قحطبة عدل إلى الكوفة ليأخذها ، فاتبعه ابن هبيرة . فلما كانت ليلة الأربعاء مضين من الحرم اقتتلوا قتالاً شديداً وكثراً القتل في الفريقين ، ثم ولى أهل الشام منزعين واتبعهم أهل خراسان ، وقد قحطبة من الناس فأخبرهم رجل أنه قتل وأوصى أن يكون أمير الناس من بعده ولده الحسن ، ولم يكن الحسن حاضراً ، فبايعوا حميد بن قحطبة لأخيه الحسن وذهب البريد إلى الحسن ليحضر . وقتل في هذه الليلة جماعة من الأمراء . والذي قتل قحطبة ممن ابن زائدة ، ويحيى بن حصين . وقيل بل قتل رجل ممن كان معه أخذاً بثأر ابني نصر بن سيار فآله أعلم . ووجد قحطبة في القتلى فدفن هنالك ، وجاء الحسن بن قحطبة فسار نحو الكوفة ، وقد خرج بها

محمد بن خالد بن عبد الله القسري ودعا إلى بني العباس وسوءد ، وكان خروجه ليلة عاشوراء المحرم من هذه السنة ، وأخرج عاملها من جهة ابن هبيرة ، وهو زياد بن صالح الحارثي ، ونحو محمد بن خالد إلى قصر الامارة فقصده حوثة في عشرين ألفاً من جهة ابن هبيرة ، فلما اقترب من الكوفة أصحاب حوثة يذهبون إلى محمد بن خالد فيبأيهونه لبني العباس ، فلما رأى حوثة ذلك ارتحل إلى واسط ، ويقال بل دخل الحسن بن قحطبة الكوفة ، وكان قحطبة قد جعل في وصيته أن تكون وزارة الخلافة إلى أبي سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع الكوفي الخلال ، وهو بالكوفة ، فلما قدموا عليه أشار أن يذهب الحسن بن قحطبة في جماعة من الأمراء إلى قتال ابن هبيرة بواسط ، وأن يذهب أخوه حميد إلى المدائن ، وبعث البهوث إلى كل جانب يفتتحونها ، وفتحوا البصرة ، افتتحها مسلم بن قتيبة لابن هبيرة ، فلما قتل ابن هبيرة جاء أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي فأخذ البصرة لأبي مسلم الخراساني .

وفي هذه السنة ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر منها ، أخذت البيعة لأبي العباس السفاح ، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . قاله أبو مبيشر وهشام بن الكلبي . وقال الواقدي : في جمادى الأولى من هذه السنة فاته أعلم .

## ذكر مقتل إبراهيم بن محمد السام

قد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة أن مروان اطلع على كتاب من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم الخراساني ، يأمره فيه بأن لا يبق أحداً بأرض خراسان ممن يتكلم بالعبودية إلا أباه ، فلما وقف مروان على ذلك سأل عن إبراهيم فقيل له هو باللقاء ، فكتب إلى نائب دمشق أن يحضره فبعث نائب دمشق بريداً معه صفته ولعته ، فذهب الرسول فوجد أخاه أبا العباس السفاح ، فاعتقد أنه هو فأخذته فقيل له : إنه ليس به ، وإنما هو أخوه ، فدل على إبراهيم فأخذته وذهب معه بأم ولد له كان يحبها ، وأوصى إلى أهله أن يكون الخليفة من بعده أخوه أبو العباس السفاح ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة ، فارتحلوا من يوفهم إليها ، منهم أعمامه الستة وهم : عبد الله ، وداود ، وعيسى ، وصالح ، وإسماعيل ، وعبد الصمد ، بنوا علي ، وأخوانه أبو العباس السفاح ، ومحمد ابنا محمد بن علي ، وابناه محمد وعبد الوهاب ابنا إبراهيم الامام المبسوك ، وخلق سواهم . فلما دخلوا الكوفة أنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعيد ، مولى بني هاشم ، وكنتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من القواد

والأمراء ، ثم ارتحل بهم إلى موضع آخر ، ثم لم يزل ينقلهم من مكان إلى مكان حتى فتحت البلاد . ثم بويع للسفاح . وأما إبراهيم بن محمد الامام فانه سير به إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان مروان ابن محمد وهو بخران نجسة ، وما زال في السجن إلى هذه السنة ، فمات في صفر منها في السجن ، عن ثمان وأربعين سنة . وقيل إنه غمّ بمرققة وضمت على وجهه حتى مات عن إحدى وخمسين سنة ، وصلى عليه رجل يقال له بهلول بن صفوان ، وقيل إنه هدم عليه بيت حتى مات ، وقيل بل سقى لبناً سمياً فمات ، وقيل إن إبراهيم الامام شهد الموسم عام إحدى وثلاثين ، واشتهر أمره هنالك لأنه وقف في أبهة عظيمة ، ونجائب كثيرة ، وحرمة وافرة ، فأنهى أمره إلى مروان وقيل له : إن أبا مسلم يدعو الناس إلى هذا ويسمونه الخليفة ، فبعث إليه في المحرم من سنة ثنتين وثلاثين وقتله في صفر من هذه السنة ، وهذا أصح مما تقدم : وقيل إنه إنما أخذه من الكوفة لامن حمية البلقاء فأنه أعلم . وقد كان إبراهيم هذا كريماً جواداً له فضائل وفواضل ، وروى الحديث عن أبيه عن جده ، وأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وعنه أخواه عبد الله السفاح ، وأبو جعفر عبد الله المنصور ، وأبو سلمة عبد الرحمن بن مسلم انظر اساني ، ومالك بن هاشم . ومن كلامه الحسن : السكامل المروءة من أحرز دينه ، ووصل رحمه ، واجتنب ما يلام عليه .

## خليفة النبي العباس السفاح

لما باغ أهل الكوفة مقتل إبراهيم بن محمد ، أراد أبو سلمة الخلال أن يحول الخلافة إلى آل علي ابن أبي طالب ، فغلبه بقية النقباء والأرءاء ، وأحضروا أبا العباس السفاح وسلوا عليه بالخلافة ، وذلك بالكوفة ، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة . وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة الخلال ، وذلك ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة ، فلما كان وقت صلاة الجمعة خرج السفاح على برذون أبيض ، والجنود ملبسة معه ، حتى دخل دار الامارة ، ثم خرج إلى المسجد الجامع وصلى بالناس ، ثم صعد المنبر ويايمه الناس وهو على المنبر في أهله ، وعنه داود ابن علي واقف دونه بثلاث درج ، وتكلم السفاح ، وكان أول ما نطق به أن قال : الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه ديناً ، وكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهنة والقوام به والذابين عنه والناصرين له ، وأزمننا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، خصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، ووضعنا بالاسلام وأهله في الموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابها يتلى عليهم . فقال تعالى [ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ] وقال [ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ] وقال : [ وأنذر عشيرتكم

الأقربين] وقال: [ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذی القربى واليتامى والمساكين] الآية. فأعلمهم عز وجل فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من النبی والغنيمة نصيبنا تكرمه لنا، وتفضلة علينا، والله ذو الفضل العظيم. وزعمت السبائية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم. أيها الناس بنا هدى الله الناس بعد ضلالهم، ونصرهم بعد جهالتهم، وأتقدم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة، وأتمم النقيصة وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دنياهم، وإخوانا على سرر متقابلين في آخرهم، فتح الله علينا ذلك منة ومنحة بحمد الله، فلما قبضه إليه قام بذلك الأمر بعنه أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحورا مواريث الأمم فمدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خصاصا منها. ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها لأنفسهم، وتداولوها. فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأولى الله لهم حيناً [فلما آسفونا انتقمنا منهم] فانزع منهم ما بأيديهم بأيدينا، ورد الله علينا حقنا، وتدارك بنا أمثنا، وتولى أمرنا والقيام بنصرنا لئلا يبن بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وإلى لأرجو [أن لا يأتيتكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الإصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله. يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، وأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدتم في أعطياتكم مائة درهم، فاستمدوا فانا السفاح الهاجج والشائر المبير. وكان به وعك فاشتد عليه حتى جلس على المنبر ونهض معه داود فقال: الحمد لله شكر آ الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراننا من بيتنا. أيها الناس الآن انقضت حنادس الظلمات وانكشفت غطاؤها، وأشرقت أرضها وساؤها، فطلعت شمس الخلافة من مطلعها، ورجع الحق إلى نصابه، إلى أهل نبيكم أهل الرأفة والرحمة والمطف عليهم، أيها الناس إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لتكثرت لجينا ولا غفينا، ولا لنحفر نهرآ ولا لنبنى قصرآ ولا لنجمع ذهباً ولا فضة، وإنما أخرجنا الأنفة من انزع حقنا والغضب لبني عمنا، ولسوء سيرة بني أمية فيكم، واستنلالهم لكم، واستئثارهم بفيضكم وصدقاتكم، فلنكم علينا ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس، أن نحمكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل بكتاب الله، ونسير في العامة والخلاصة بسيرة رسول الله، تبا تبا لبني أمية وبني مروان، آثروا العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام وظلموا الأثام، وارتكبوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تمسر بل الأوزار، ونجلبب الآصار، ومرحوا في أهنة المعاصي، وركضوا في ميادين النفي، جهلا منهم باستدراج الله، وعميا عن أخذ الله. وأمننا مسكر الله، فأنام بأس الله بيانا وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق،

فبعدا للقوم الظالمين . وأدان الله من مروان ، وقد غره بالله الفرور ، أرسل عبد الله في عنائه حتى  
عثر جواده في فضل خطامه ، أظن عبد الله أن لن يتدر عليه أحد ؟ فنادى حزبه وجمع جنده ورمى  
بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته من مكر الله وبأسه ونقمته  
ما أمات باطله ، ومحق ضلاله ، وأحل دائرة السوء به ، وأحاط به خطيئته ، ورد إلينا حقنا وآوانا .  
أيها الناس ! إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً ، وإنما عاد إلى المنبر بعد صلاة الجمعة لأنه  
كره أن يخاطب بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام الكلام شدة الروعك ، فادعوا الله  
لأمير المؤمنين بالعافية ، فقد أبدلكم الله بمروان عبد الرحمن ، وخليفة الشيطان ، المتبع للسلطة  
الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون المتوكل على الله المقتدى بالأبرار الأخيار الذين أصلحوا  
الأرض بعد فسادها بمبالم الهدى ، ومناهج التقى . قال فميج الناس له بالدعاء ثم قال : واعلموا يا أهل  
الكوفة أنه لم يصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله (ص) ، إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
وأمير المؤمنين هذا - وأشار بيده إلى السفاح - واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج عنا ، حتى  
نسله إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا . ثم نزل أبو  
العباس وداود حتى دخلا القصر . ثم دخل الناس يبأيعون إلى المعصر ، ثم من بعد المعصر إلى الليل .  
ثم إن أبا العباس خرج فمسكر بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود ، وبعث عمه عبد الله  
ابن علي إلى أبي عون بن أبي يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة . وهو  
يومئذ بواسط بمحاصر ابن هبيرة ، وبعث يحيى بن [ جعفر بن ] تمام بن العباس إلى حميد بن قحطبة  
بالمدان ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام  
بالأهواز ، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف . وأقام هو بالمسكر أشهراً ، ثم  
ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الامارة ، وقد تنكر لأبي سلمة الخلال ، وذلك لما كان بلغه عنه  
من المدول بالخلافة عن ابن العباس إلى آل علي بن أبي طالب والله سبحانه وتعالى أعلم .

#### مقتل مروان بن محمد بن مروان

آخر خلفاء بني أمية ، ونحول الخلافة إلى بني العباس مأخوذ من قوله تعالى [ والله يؤتي ملكه  
من يشاء ] وقوله [ قل اللهم مالك الملك ] الآية . وقد ذكرنا أن مروان لما بلغه خبر أبي مسلم وأتباعه  
وما جرى بأرض خراسان ، تحول من حران فنزل على نهر قريب من الموصل ، يقال له الزاب من  
أرض الجزيرة ثم لما بلغه أن السفاح قد بويع له بالكوفة والتفت عليه الجنود ، واجتمع له أمره ، شق  
عليه جداً ، وجمع جنوده فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف وهو أحد أمراء السفاح ،  
فنازله على الزاب وجاءته الأمداد من جهة السفاح ، ثم ندب السفاح الناس ممن يلى القتال من أهل

بيته . فانتدب له عبد الله بن علي فقال : سر على بركة الله ، فسار في جنود كثيرة فقدم على أبي  
عون فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه له وما فيه ، وجعل عبد الله بن علي على شرطته حياش  
ابن حبيب الطائي ، ونصير بن الحنفز ، ووجه ، أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلا على  
البريد إلى عبد الله بن علي يحثه على مهاجرة مروان ، والمبادرة إلى قتاله ونزاله قبل أن يحدث أمور ،  
وتهدد نيران الحرب . فتقدم عبد الله بن علي بجنوده حتى واجه جيش مروان ، ونهض مروان في  
جنوده وتصاف الفريقان في أول النهار ، ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مائة ألف وخمسون ألفا ،  
ويقال مائة وعشرون ألفا ، وكان عبد الله بن علي في عشرين ألفا . فقال مروان لعبد العزيز بن عمر  
ابن عبد العزيز : إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كنا نحن الذين نندفعها إلى عيسى بن مريم ،  
وإن قاتلونا قبل الزوال فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله  
المواذعة ، فقال عبد الله : كذب ابن زريق ، لا تز، ل الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله . وكان  
ذلك يوم السبت لاجددي عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة ، فقال مروان : قفوا  
لا تبتدون بقتال ، وجعل ينظر إلى الشمس يخالفه الوليد بن معاوية بن مروان - وهو ختن مروان  
على ابنته - فغضب مروان فشمته فقاتل أهل الميمنة فأنهز أبو عون إلى عبد الله بن علي ،  
فقاتل موسى بن كعب لعبد الله بن علي ، فأمر الناس فنزلوا ونودي الأرض الأرض ، فنزلوا وأشروعوا  
الرماح وجنوا على الركب وقاتلهم ، وجعل أهل الشام يتأخرون كأنما يدفون ، وجعل عبد الله يمشى  
قدما ، وجعل يقول : يارب حتى متى تقتل فيك ، ونادي : يا أهل خراسان ، ياشارات إبراهيم الامام ،  
يا محمد يا منصور ، واشتد القتال جدا بين الناس ، فلا تسمع إلا وقعاً كالرأب على النحاس ، فأرسل  
مروان إلى قضاعة يأمرهم بالنزول فقالوا : قل لبني سليم فليزلوا ، وأرسل إلى السكاسك أن أحلوا  
فقالوا : قل لبني عامر أن يحلوا ، فأرسل إلى السكون أن أحلوا فقالوا : قل إلى غطفان فليحلوا .  
فقال لصاحب شرطته : انزل فقال لا والله لا أجعل نفسي غرضا . قال : أما والله لأسوء نك . قال :  
وددت والله لو قدرت على ذلك .

ويقال : إنه قال ذلك لابن هبيرة . قالوا : ثم انهزم أهل الشام واتبعتهم أهل خراسان في أدبارهم  
يقتلون ويأسرون ، وكان من غرق من أهل الشام أكثر ممن قتل وكان في جملة من غرق إبراهيم بن  
الوليد بن عبد الملك الخلويع ، وقد أمر عبد الله بن علي بعقد الجسر ، واستخراج من غرق في الماء ،  
وجعل يتلو قوله تعالى [ إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ] وأقام عبد الله  
ابن علي في موضع المعركة سبعة أيام ، وقد قال رجل من ولد سعيد بن العاص في مروان وفراره يومئذ :  
لج الفرار بمروان فقلت له \* عاد الظلوم ظلماً همه الهرب

أبن الفرار وترك الملك إذ ذهبت \* عنك الهوينا فلا دين ولا حسب  
فراشة الحلم فرعون العقاب وإن \* تطلب نداءه فكلب دونه كلب

واحتاز عبد الله ماني ممسك مروان من الأموال والامتعة والحواصل ، ولم يجرد فيه امرأة سوى جارية كانت لعبد الله بن مروان ، وكتب إلى أبي العباس السفاح بما فتح الله عليه من النصر ، وما حصل لهم من الأموال . فصل السفاح ركبتهين شكراً لله عز وجل ، وأطلق لكل من حضر الوقعة خمسمائة خمسمائة ، ورفع في أرزاقهم إلى ثمانين ، وجعل يتلو قوله [فله فصل طالوت بالجنود] الآية

### صفة مقتل مروان

لما انهزم مروان سار لايولى على أحد ، فأقام عبد الله بن علي في مقام المعركة سبعة أيام ، ثم سار خلفه بن معه من الجنود ، وذلك عن أمر السفاح له بذلك ، فلما مر مروان بجران اجتازها وأخرج أبا محمد السفيناني من سجنه ، واستخلف عليها أبان بن يزيد - وهو ابن أخته ، وزوج ابنته أم عثمان - فلما قدم عبد الله على حران خرج إليه أبان بن يزيد مسوداً فأمنه عبد الله بن علي وأقره على عمله ، وهدم الدار التي سجن فيها إبراهيم الامام ، واجتاز مروان قنسرين قاصداً حصص ، فلما جاءها خرج إليه أهلها بالأسواق والمعاش ، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم شخص منها ، فلما رأى أهل حصص قلة من معه اتبعوه ليقتلوه ونهبوا ماله ، وقالوا : مرعوب مهزوم ، فأدركوه بواد عند حصص فأكن لهم أميرين ، فلما تلاحقوا بمروان عطف عليهم فنأشدهم أن يرجعوا فأبوا إلا مقاتلته ، فنار القتال بينهم ونار الحكيمان من ورأيهم ، فانهمز الخصبون ، وجاء مروان إلى دمشق وعلى نياتهما من جهته زوج ابنته الوليد ابن معاوية بن مروان ، فتركها واجتاز عنها قاصداً إلى الديار المصرية ، وجعل عبد الله بن علي لا يمر ببلد وقد سودوا قبيبايمونه ويمطيمهم الأمان ، ولما وصل إلى قنسرين وصل إليه أخوه عبد الصمد ابن علي في أربعة آلاف ، قد بهمتم السفاح مدداً له ، ثم سار عبد الله حتى أتى حصص ، ثم سار منها إلى بعلبك ، ثم منها حتى أتى دمشق من ناحية المزة فنزل بها يومين أو ثلاثة ، ثم وصل إليه أخوه صالح ابن علي في ثمانية آلاف مدداً من السفاح ، فنزل صالح بمرج عذراء ، ولما جاء عبد الله بن علي دمشق نزل على الباب الشرقي ، ونزل صالح أخوه على باب الجابية ، ونزل أبو عون على باب كيسان ، ونزل بسام على الباب الصغير ، وحميد بن قحطبة على باب توما ، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس ، فحاصرها أياماً ثم افتتحها يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان هذه السنة ، فقتل من أهلها خلقاً كثيراً وأباحها ثلاث ساعات ، وهدم سورها ، ويقال إن أهل دمشق لما حاصرم عبد الله اختلفوا فيما بينهم ، ما بين عباسي وأموي ، فاقتتلوا فقتل بعضهم بعضاً ، وقتلوا نائبهم ثم سلموا البلد ، وكان أول من صعد السور من ناحية الباب الشرقي رجل يقال له عبد الله الطائي ، ومن



ناحية الباب الصغير إسماعيل بن إبراهيم ، ثم أبيضت دمشق ثلاث ساعات حتى قيل إنه قتل بها في هذه المدة نحواً من خمسين ألفاً .

وذكر ابن عساکر في ترجمة عبيد بن الحسن الأعرج من ولد جعفر بن أبي طالب ، وكان أميراً على خمسة آلاف مع عبد الله بن علي في حصار دمشق ، أنهم أقاموا محاصرها خمسة أشهر ، وقيل مائة يوم ، وقيل شهراً ونصفاً ، وأقرب البلد كان قد حصنه نائب مروان تحصيناً عظيماً ، ولكن اختلف أهلها فيما بينهم بسبب العمانية والمضرية ، وكان ذلك سبب الفتح ، حتى إنهم جمعوا في كل مسجد محرابين للقبليين حتى في المسجد الجامع منبرين ، وإمامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين ، وهذا من عجيب ما وقع ، وغريب ما اتفق ، وكطبيع ما أحدث بسبب الفتنة والهوى والعصبية ، نسأل الله السلامة والعافية . وقد بسط ذلك ابن عساکر في هذه الترجمة المذكورة ، وذكر في ترجمة محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال : كنت مع عبد الله بن علي أول ما دخل دمشق ، دخلها بالسيف ، وأباح القتل فيها ثلاث ساعات ، وجعل جامعها سبعين يوماً أسطبلًا لدوابه وجماله ، ثم نبش قبور بني أمية فلم يجد في قبر معاوية إلا خيطاً أسود مثل الهباء ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجد جمجمة ، وكان يجرد في القبر العضو بعد العضو ، إلا هشام بن عبد الملك فإنه وجده صحيحاً لم يبل منه غير أرنبة أنفه ، فضربه بالسياط وهو ميت وصلبه أياماً ثم أحرقه ودق رماده ثم ذره في الريح ، وذلك أن هشاماً كان قد ضرب أخاه محمد بن علي ، حين كان قد اتهم بقتل ولد له صغير ، سبعمائة سوط ، ثم نفاه إلى الحيمة بالبلقاء . قال : ثم تقبّع عبد الله بن علي بنى أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم ، فقتل منهم في يوم واحد اثنين وتسعين ألفاً عند نهر بالرملة ، و بسط عليهم الأنطاع ومد عليهم بهاطاً فأكل وهم يجرسون تحته ، وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه ، وقد مضى ولم يدم له ما أراد ورجاه ، كما سيأتي في ترجمته . وأرسل امرأة هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية صاحبة الخال ، مع نفر من الخراسانية إلى البرية ماشية حافية حاسرة عن وجهها وجسدها عن ثيابها ثم قتلوها . ثم أحرق ما وجده من عظم ميت منهم . وأقام بها عبد الله خمسة عشر يوماً .

وقد استدعى بالأوزاعي فأوقف بين يديه فقال له : يا أبا عمر وما تقول في هذا الذي صنعناه ؟ قال فقلت له : لا أدري ، غير أنه قد حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله (ص) : « إنما الأعمال بالنيات » فذكر الحديث . قال الأوزاعي : وانتظرت رأسي أن يسقط بين رجلي ثم أخرجت ، وبعثت إلى بمائة دينار . ثم سار

وراء مروان فنزل على نهر الكسوة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي نائبا على دمشق ، ثم سار فنزل مرج الروم ، ثم أتى نهر أبي فطرس فوجد مروان قد هرب فدخل مصر ، وجاءه كتاب السفاح : ابعث صالح بن علي في طلب مروان وأقم أنت بالشام نائبا عليها ، فسار صالح يطلب مروان في ذى القعدة من هذه السنة ، ومعه أبو عمرو وعامر بن إسماعيل ، فنزل على ساحل البحر وجمع ما هناك من السفن وبلغه أن مروان قد نزل الفرما ، وقيل الفيوم ، فجعل يسير على الساحل والسفن تقاد معه في البحر حتى أتى العريش ، ثم سار حتى نزل على النيل ثم سار إلى الصعيد ، فعبر مروان النيل وقطع الجدير وحرق ما حوله من العلف والطعام ، ومضى صالح في طلبه . فالتقى بخيل مروان فهزمهم ، ثم جعل كلما التقوا مع خييل مروان يهزمونهم حتى سألوا بهض من أسروا عن مروان فدلهم عليه ، وإذا به في كنيسة أبو صير ، فوافوه من آخر الليل فأنزموه من معه من الجنود وخرج إليهم مروان في نفر يسير معه فأحاطوا به حتى قتلوه ، طعنه رجل من أهل البصرة يقال له معود ، ولا يعرفه حتى قال رجل صرع أمير المؤمنين . فابتدره رجل من أهل الكوفة كان يبيع الزمان فاحتز رأسه ، فبعث به عامر بن إسماعيل أمير هذه السرية إلى أبي عون ، فبعث به أبو عون إلى صالح بن علي ، فبعث به صالح مع رجل يقال له خزيمه بن يزيد بن هاني كان على شرطته ، لأمر المؤمنين السفاح .

وكان مقتل مروان يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة ، وقيل يوم الخميس لست مضين منها سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام على المشهور ، واختلفوا في سنة قبيل أربعون سنة ، وقيل ست وقيل ثمان وخمسون سنة ، وقيل ستون وقيل اثنان وقيل ثلاث وقيل تسع وستون سنة ، وقيل ثمانون فإله أعلم .

ثم إن صالح بن علي سار إلى الشام واستخاف على مصر فأبعث مروان بن أبي يزيد والله سبحانه أعلم .

### وهذا شيء من ترجمة مروان الحمار

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحنك بن أبي العاص بن أمية ، القرشي الأموي ، أبو عبد الملك أمير المؤمنين آخر خلفاء بني أمية ، وأمه أمة كردية يقال لها لبابة ، وكانت لابراهيم بن الأشتر النخعي ، أخذها محمد بن مروان يوم قتله فاستولدها مروان هذا ، ويقال إنها كانت أولا لمصعب بن الزبير ، وقد كانت دار مروان هذا في سوق الأكافين ، قاله ابن عساکر . بويع له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد ، وبعد موت يزيد بن الوليد ، ثم قدم دمشق وخلع إبراهيم بن الوليد ، واستمر له الأمر في نصف سنة سبعم وعشرين ومائة . وقال أبو معشر : بويع له بالخلافة في ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائة ، وكان يقال له مروان الجعدي ، نسبة إلى رأى الجعد بن درهم ، وتلقب بالحمار ، وهو آخر من ملك من بني أمية ، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وقيل

خمس سنين وشهراً ، و ربي بعد أن يبيع للسفاح تسعة أشهر ، وكان أبيض مشرباً حمرة ، ارقق العينين ، كبير اللحية ، ضخم الهامة ، ربعة ، ولم يكن بخضب . و لاه هشام نيابة أذر بيجان وأرمينية والجزيرة ، في سنة أربع عشرة ومائة ، ففتح بلاداً كثيرة وحصولاً متعددة في سنين كثيرة ، وكان لا يفارق الغزو في سبيل الله ، وقاتل طوائف من الناس الكفار ومن الترك والخزر واللان وغيرهم ، فكسروهم وقهرهم ، وقد كان شجاعاً بطلاً مقداماً حازم الرأي ، لولا أن جنده خذلوه بتقدير الله عز وجل لما له في ذلك من حكمة سلب الخلافة لشجاعته وصرامته . ولكن من يخذل الله يخذل ، ومن يهن الله فانه من مكرم .

قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله : كان بنو أمية يرون أنه تذهب منهم الخلافة إذا وليها من أمه أمة ، فلما وليها مروان هذا أخذت منهم في سنة ثنتين وثلاثين ومائة . وقد قال الحافظ ابن عساکر : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسين أخبرنا سهل بن بشر أنبأ الخليل بن هبة الله بن الخليل أنبأ عبد الوهاب الكلبي حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين أنبأ العباس ابن الوليد بن صبيح ثنا عباس بن يحيى أبو الخارث حدثني الهيثم بن حميد حدثني راشد بن داود عن أسماء عن ثوبان قال . قال رسول الله (س) : « لا تزال الخلافة في بني أمية يشلقونها تلقف الغلمان الكرة ، فاذا خرجت من أيديهم فلا خير في عيش » . هكذا أورد ابن عساکر وهو منكر جداً ، وقد سألت الرشيد أبا بكر بن عياش : من خير الخلفاء نحن أو بنو أمية ؟ فقال : هم كانوا أنفع للناس ، وأنتم أقوم للصلاة ، فأعطاه ستة آلاف . قالوا وقد كان مروان هذا كثير المروءة كثير العجب ، يعجبه اللهو والطرب ، ولكنه كان يشتغل عن ذلك بالحرب .

قال ابن عساکر : قرأت بخط أبي الحسين علي بن مقلد بن نصر بن منقذ بن الأمير في مجموع له : كتب مروان بن محمد إلى جارية له تركها بالرملة عند ذهابه إلى مصر منزماً :

وما زال يدعوني إلى الصبر ما أرى \* فأبى ويدني الذي لك في صدري  
وكان عزيزاً أن تبتقي وبيننا \* حجاب فقد أمسيت مني على عشر  
وأنكاهما والله للقلب فاعلمى \* إذا زدت مثابها فصرت على شهر  
وأعظم من هذين والله أنى \* أخاف بأن لانتقي آخر الدهر  
سأبكيك لاستبقياً فيض عبرة \* ولا طالباً بالصبر عاقبة الصبر

وقال بعضهم : اجتاز مروان وهو هارب براهب فاطلع عليه الراهب فسلم عليه فقال له : ياراهب هل عندك علم بالزمان ؟ قال : نعم اعندى من تلونه ألوان . قال : هل تبلغ الدنيا من الانسان أن نجعله مملوكاً بعد أن كان مالكا ؟ قال : نعم اقال : فكيف ؟ قال : يحبه لها وحرصه على نيل شهواتها

وتضييع الحزم وترك انتهاز الغرض . فان كنت تحبها فان عبدها من أحبها قال فما السبيل إلى امتق ؟ قال : يبنفها والتجاني عنها . قال : هذا مالا يكون . قال الرابع : اما إنه سيكون ، فبادر بالهرب منها قبل أن تسابها . قال : هل تعرفني ؟ قال : نعم ! أنت ملك العرب مروان ، تقتل في بلاد السودان : وتدفن بلا أكفان ، فلولا أن الموت في طلبك لدللتك على موضع هر بك . قال بعض الناس : كان يقال في ذلك الزمان يقتل ع بن ع بن ع م بن م بن م يمنون يقتل عبد الله بن علي بن عباس مروان بن محمد بن مروان .

وقال بعضهم : جلس مروان يوماً وقد أحيط به وعلى رأسه خادم له قائم ، فقال مروان لبعض من يخاطبه : ألا ترى ما نحن فيه ؟ هني على أيد ما ذكرت ، ونعم ماشكرت ، ودولة مانصرت . فقال له الخادم : يا أمير المؤمنين من ترك القليل حتى يكبر ، والصغير حتى يكبر ، والخطي حتى يظهر ، وأخر فعل اليوم لعد ، حل به أكثر من هذا . فقال مروان : هذا القول أشد على من فقد الخلافة . وقد قيل إن مروان قتل يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وقد جاوز الستين وبلغ الثمانين . وقيل إنما عاش أربعين سنة . والصحيح الأول . وهو آخر خلفاء بني أمية به انقضت دولتهم .

#### ما ورد في انقضاء دولة بني أمية وابتداء بني العباس من الأخبار النبوية

قال الملاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « إذا بلغ بنو العاص أربعين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً ، وعباد الله خولاً ، ومال الله دولا » . ورواه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوه ، وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن وهب أنه كان عند معاوية فدخل عليه مروان بن الحكم فتكلم في حاجة فقال : اقض حاجتي فاني لأبوعشرة ، وأخوعشرة وعم عشرة . فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس وهو معه على السرير : أما تعلم أن رسول الله (ص) قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباد الله خولاً ، وكتاب الله دغلاً ، فاذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة ، كان هلاكهم أسرع من لوك تمر » . فقال ابن عباس : اللهم نعم ؟ فلما أدبر مروان قال معاوية : أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله (ص) ذكر هذا فقال : « أبو الجبابرة الأربعة » . فقال ابن عباس : اللهم نعم . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا القاسم بن الفضل ثنا يوسف بن مازن الراسبي قال : قام رجل إلى الحسين بن علي فقال : يا مسود وجوه المؤمنين ! فقال الحسين : لا تؤذني رحمتك الله ، فان رسول الله (ص) رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فسأه ذلك فترلت [ إنا أعطيناك السكون ] وهو نهر في الجنة ، ونزلت [ إنا أنزلناه

في ليلة القدر [ السورة إلى قوله [ خير من ألف شهر ] مملكة بني أمية . قال : فحسبنا ذلك فاذا هو كما قال لا يزيد ولا ينقص . وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه بجي القطان وابن مهدي . قال : وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن ، رجل مجهول ، ولا يعرف هذا بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث القاسم بن الفضل الحداني ، وقد تكلمت على نكارة هذا الحديث في التفسير بكلام مبسوط ، وإنما يكون متجها إذا قيل إن دولتهم ألف شهر بأن أسقط منها أيام ابن الزبير ، وذلك أن معاوية يبيع به مستقلا بالملك في سنة أربعين ، وهي عام الجماعة حين سلم إليه الحسن بن علي الأمر بعد ستة أشهر من قتل علي ، ثم زالت الخلافة عن بني أمية في هذه السنة ، وهي سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وذلك ثنتان وتسعون سنة ، وإذا أسقط منها تسع سنين خلافة ابن الزبير بقي ثلاث وثمانون سنة ، وهي مبيّنة لما ورد في هذا الحديث ، ولكن ليس هذا الحديث صرفاً إلى النبي (ص) ، أنه فسر هذه الآية بهذا العدد ، وإنما هذا من قول بعض الرواة ، وقد تكلمنا على ذلك مطولا في التفسير ، وتقدم في الدلائل أيضا تقريره والله أعلم .

وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد بن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله (ص) قال : « رأيت بني أمية يصعدون منبري فشق ذلك علي » فأنزلات إنا أنزلناه في ليلة القدر » فيه ضعف وإرسال . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا يحيى بن معين ثنا عبد الله بن نمير عن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب في قوله [ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ] قال : رأى ناساً من بني أمية على المنابر فسأه ذلك ، فقيل له : إنما هي دنيا يملطونها وتضمحل عن قليل فسرى عنه . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع قال : لما أسرى برسول الله (ص) ، رأى فلاناً وهو من بعض بني أمية على المنبر يخطب الناس فشق ذلك عليه فأنزل الله [ وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ] وقال مالك بن دينار : سمعت أبا الجوزاء يقول والله كيعز بن الله ملك بني أمية كما أعز ملك من كان قبلهم ، ثم ليذلن ملسكم كما ذل ملك من كان قبلهم ، ثم تلا قوله تعالى [ وتلك الأيام نداولها بين الناس ] . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم بن سعيد ثنا أبو أسامة ثنا عمر بن حمزة أخبرني عمر بن سيف مولى لعثمان بن عفان قال سمعت سعيد بن المسيب وهو يقول لأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة - وذكروا بني أمية - فقال : لا يكون هلاكهم إلا بينهم . قالوا كيف ؟ قال : بهلك خلائمهم وبيد شرارهم فيقتافسوها ، ثم يذبح الناس عليهم فيهلكونهم . وقال يعقوب بن سفيان : أنبأ أحمد بن محمد الأزرق ثنا الزنجبي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « رأيت في النوم بني أبي

الحكم أو بنى أبي العاص ينزون على منبرى كما تنزوا القردة : قال فاروقى رسول الله (س) ، مستجماً ضاحكاً بعدها حتى توفى . قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارى [ لعنه الدارمى ] : حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا سعيد بن زيد - أخو حماد بن زيد - عن علي بن الحكم البنائى عن أبي الحسن هراخصى عن عمرو بن مرة - وكانت له صحبة - قال : جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن على رسول الله (س) ، فعرف كلامه فقال : « ائذنوا له صبت عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل مأم ، يشرفون فى الدنيا ويوضعون فى الآخرة ، ذرو دهاء وخديعة ، يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق » .

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي : أنبأ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد أنبأ محمد بن المطهر الحافظ أنبأ أبو القاسم تمام بن خريم بن محمد بن مروان الدمشقى أنبأ أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملايس ثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد [ مولى أم الحكم بنت عبد العزيز ، حدثنا يزيد ] (١) بن ربيعة حدثنا أبو الأشعث الصنعمانى عن ثوبان قال : « كان رسول الله (س) ، قائماً واضعاً رأسه على فخذه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فنحبت ثم تبسم ، فقالوا : يا رسول الله رأيناك نحبت ثم تبسمت ، فقال : رأيت بنى أمية يتماورون على منبرى فسأنى ذلك ، ثم رأيت بنى العباس يتماورون على منبرى فسررت ذلك » . وقال يعقوب بن سفيان : حدثنى محمد بن خالد بن العباس ثنا الوليد بن مسلم حدثنى أبو عبد الله عن الوليد بن هشام الميعطى عن أبان بن الوليد عن عقبة بن أبي معيط . قال : قدم ابن عباس على معاوية وأنا حاضر فأجازه فأحسن جائزته ، ثم قال : يا أبا العباس ! هل يكون لكم دولة ؟ فقال : اعفنى يا أمير المؤمنين ، فقال : لتخبرنى ، قال نعم ! قال فمن أنصاركم ؟ قال : أهل خراسان . ولبنى أمية من بنى هاشم نطحات .

وقال المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير : سمعت ابن عباس يقول : يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح ، والمنصور ، والمهدى . رواه البيهقى من غير وجه ، ورواه الأعمش عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً . وروى ابن أبي خيثمة عن ابن معين عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي معبد عن ابن عباس قال : كما افتتح الله بأولنا فأرجو أن يفتحنا بنا . وهذا إسناد صحيح إليه ، وكذا وقع ويقع للمهدى إن شاء الله . وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد . قال قال رسول الله (س) : « يخرج رجل من أهل بيتى عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن ، يقال له السفاح ، يعطى المال حشياً » . وقال عبد الرزاق : حدثنا الثورى عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول

(١) زيادة من المصرية .

الله (س) : « يقتتل عند حرتكم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة لا تصير إلى واحد منهم ، ثم تقبل  
البايات من خراسان فيتلونكم مقتلة لم ير مثلها . ثم ذكر شيئاً فاذا كان كذلك فاتوه ولو حبوا على  
الشام ، فانه خليفة الله المهدي . » ورواه بعضهم عن ثوبان فوقه وهو أشبه والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثني يحيى بن غيلان وقتيبة بن سعيد قالا : ثنا راشد بن سمع حدثني يونس  
ابن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة هو ابن ذؤيب عن أبي هريرة عن رسول الله (س) ، أنه قال :  
« يخرج من خراسان رايات سود لا يردنها شيء حتى تنهب بايليا . » وقد رواه البيهقي في الدلائل من  
حديث راشد بن سمع المصري ، وهو ضعيف . ثم قال : قد روى قريبا من هذا عن كعب الأخبار  
وهو أشبه . ثم رواه عن كعب أيضاً قال : « تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ، ويقتل  
الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم . » وروى إبراهيم بن الحسين عن ابن أبي أويس عن ابن أبي  
ذؤيب عن محمد بن عبيد الرحمن العامري عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة . أن رسول الله (س) ،  
قال للعباس : « فيكم النبوة وفيكم المملكة . » وروى عبد الله بن أحمد عن ابن معين عن عبيد بن  
أبي قررة عن الأيثر عن أبي قبيل عن أبي مسرة مولى العباس قال سمعت العباس يقول : كنت عند  
رسول الله (س) ، ذات ليلة فقال : « انظر هل ترى في السماء من شيء ؟ قلت : نعم ا قال : ماترى ؟  
قلت : الثريا ، قال : أما إنه سيملك هذه الأمة بعددها من صلبك . » قال البخاري : عبيد بن أبي  
قررة لا يتابع على حديثه . وروى ابن عسدي من طريق سويد بن سعيد عن حجاج بن تميم عن  
ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : « مرت برسول الله (س) ، ومعاه جبريل وأنا أظنه دحية  
السكبي ، فقال جبريل لرسول الله (س) : إنه لوسخ الثياب ، وسيلبس ولده من بعده السواد .  
وهذا منكر من هذا الوجه ، ولا شك أن بني العباس كان السواد من شعارهم ، أخذوا ذلك من دخول  
رسول الله (س) . مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء ، فأخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الأعياد  
والجمع والمحافل . وكذلك كان جندهم لا بد أن يكون على أحدهم شيء من السواد ، ومن ذلك الشرابوش  
الذي يلبسه الأمراء إذا خلع عليهم . وكذلك دخل عبد الله بن علي دمشق يوم دخلها وعليه  
السواد ، فجعل النساء والفلمان يعجبون من لباسه ، وكان دخوله من باب كيسان . وقد خطب الناس  
يوم الجمعة وصلى بهم عليه السواد . وقد روى ابن عساكر عن بعض الخراسانية قال : لما صلى  
عبد الله بن علي بالناس يوم الجمعة صلى إلى جانبي رجل فقال : الله أكبر ، سبحانك اللهم وبمحمدك  
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، أنظر وا إلى عبد الله بن علي ما أقبح وجهه وأشنع  
سواده ؟ ا وشعارهم إلى يومك هذا كما تراه على الخطباء يوم الجمعة والأعياد .

## استقلاله بالخلافة وما اعتمده في أيامه من السيرة الحسنة

استقلاله بالخلافة وما اعتمده في أيامه من السيرة الحسنة

قد تقدم أنه أول ما بويع له بالخلافة بالسكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر ، وقيل الأول من هذه السنة ، سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ثم جرد الجيوش إلى مروان فطرده عن المملكة وأجلوه عنها ، وما زالوا خلفه حتى قتلوه ببوصير من بلاد الصعيد ، بأرض مصر ، في الشهر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة على ما تقدم بيانه ، وحينئذ استقل السفاح بالخلافة واستقرت يده على بلاد العراق وخراسان والحجاز والشام والديار المصرية ، خلا بلاد الأندلس ، فإنه لم يحكم عليها ولا وصل سلطانه إليها ، وذلك أن بعض من دخلها من بني أمية استحوذ عليها وملكها كما سيأتي بيانه . وقد خرج على السفاح في هذه السنة طوائف ، فمنهم أهل قنسرين بمد ما يأموه على يدي عمه عبد الله بن علي وأقر عليهم أميرهم مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلبي ، وكان من أصحاب مروان وأمرائه ، فغلب السفاح ولبس البياض ، وحمل أهل البلد على ذلك فوافقوه ، وكان السفاح يومئذ بالحيرة ، وعبد الله بن علي مشغول باللقاء يقاتل بها حبيب بن مرة المزني ومن وافقه من أهل اللقاء والبغنية وهوران على خلع السفاح ، فلما بلغه عن أهل قنسرين ما فعلوا صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين ، فلما اجتاز بدمشق - وكان بها أهله ونقله - استخلف عليها أبا غانم عبد الحميد بن رمي الكشائي في أربعة آلاف ، فلما جاوز البلد وانتهى إلى حمص ، نهض أهل دمشق مع رجل يقال له عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه فغلبوا السفاح وبيضوا وقتلوا الأمير أبا غانم وقتلوا جماعة من أصحابه وانتهبوا نقل عبد الله بن علي وحواصله ، ولم يتعرضوا لأهله . وتفاقم الأمر على عبد الله وذلك أن أهل قنسرين ترأسوا مع أهل حمص وتزمروا واجتهدوا على أبي محمد السفياني ، وهو أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فبايأوه بالخلافة وقام معه نحو من أربعين ألفاً فقدم عبد الله بن علي فالتقوا بمرج الأخرم ، فالتقوا مع مقدمة السفياني وعلبها أبو الورد فالتقوا قتلاً شديداً وهزموا عبد الصمد وقتل من الفريقين ألف ، فقدم إليهم عبد الله بن علي ومعه حميد بن قحطبة فالتقوا قتلاً شديداً جداً ، وجعل أصحاب عبد الله يفرّون وهو ثابت هو وحيد . وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد ، وثبت أبو الورد في خمسمائة فارس من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً وهرب أبو عبد السفياني ومن معه حتى لحقوا بتدمر ، وأمن عبد الله أهل قنسرين وسودوا وبايأوه ورجعوا إلى الطاعة ، ثم كر عبد الله راجعاً إلى دمشق وقد بلغه ما صنعوا ، فلما دنا منها تفرقوا عنها ولم يكن منهم قتال فأمّنهم ودخلوا في الطاعة . وأما أبو محمد السفياني فإنه ما زال مضيقاً ومشقياً حتى لحق بأرض الحجاز فقاتله



نائب أبي جعفر المنصور في أيام المنصور، فقتله وبعث رأسه وبأيدن له أخذهما أسيرين فأطانما المنصور في أيامه . وقد قيل إن وقعة السفيناي يوم الثلاثاء آخر يوم من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة فالله أعلم .

ومن خلع السفاح أيضا أهل الجزيرة حين بلغهم أن أهل قنسرين خلعوا ، فواقوم وبيضوا وركبوا إلى نائب حران من جهة السفاح - وهو موسى بن كعب - وكان في ثلاثة آلاف قد اعتصم بالبلد ، فحاصروه قريبا من شهرين ، ثم بعث السفاح أخاه أبا جعفر المنصور فيمن كان بواسطة محاصرى ابن هبيرة ، فر في مسيره إلى حران بقرقيسيا وقد يبيضوا ففلقوا أبوابها دونه ، ثم مر بالرقه وعليها بكار بن مسلم وهم كذلك ، ثم مجازر عليها إسحاق بن مسلم فيمن معه من أهل الجزيرة بمحاصر ونها فرحل إسحاق عنها إلى الرها ، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من جنود حران فقتله المنصور ودخلوا في جيشه ، وقدم بكار بن مسلم على أخيه إسحاق بن مسلم بالرها فوجهه إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين ، ورتبهم حرورى يقال له بريكه ، فصارا حزبا واحداً ، فقصده إليهم أبو جعفر فقاتلهم قتالا شديداً ، فقتل بريكه في المعركة ، وهرب بكار إلى أخيه بالرها ، فاستخلفه بها ومضى بمعظم المسكر [ حتى نزل ] سميساط وخذلق على عسكره ، وأقبل أبو جعفر فحاصر بكاراً بالرها ، ووجرت له معه وقعات . وكتب السفاح إلى عمه عبد الله بن علي أن يسير إلى سميساط وقد اجتمع على إسحاق بن مسلم ستون ألفاً من أهل الجزيرة ، فسار إليهم عبد الله واجتمع إليه أبو جعفر المنصور ، فكاتبهم إسحاق وطلب منهم الأمان فأجابوه إلى ذلك ، على إذن أمير المؤمنين . وولى السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ، فلم يزل عليها حتى أفضت إليه الخلافة بعد أخيه ، ويقال إن إسحاق بن مسلم العقيلي إنما طلب الأمان لما تحقق أن مروان قد قتل ، وذلك بعد مضي سبعة أشهر وهو محاصر ، وقد كان صاحباً لأبي جعفر المنصور فأمنه .

وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن أمر أخيه السفاح إلى أبي مسلم انظراساني وهو أميرها ، ليستطلع رأيه في قتل أبي سلمة ، لأنه كان يريد أن يصرف الخلافة عنهم ، فيسأله هل ذلك كان عن جملة أبي مسلم لأبي سلمة في ذلك أم لا ؟ فسكت القوم ، فقال السفاح : لئن كان هذا عن رأيه إنا ليعمر بلاء عظيم ، إلا أنت يدفعه الله عنا . قال أبو جعفر فقال لى أخى : ما ترى ؟ قلت : الرأى رأيك . فقال : إنه ليس أحد أحسن بأبى مسلم منك ، فأذهب إليه فاعلم لى علمه ، فان كان عن رأيه احتلنا له ، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا . قال أبو جعفر : فخرجت إليه فاصفاً على وجل . قال المنصور : فلما وصلت إلى الرى إذا كتاب أبى مسلم إلى نائبنا يستحثنى إليه فى السير ، فازددت وجلاً ، فلما انتهيت إلى نيسابور إذا كتابه يستحثنى أيضاً وقال لناؤها : لاندعه يفر ساعة

واحدة . فان أرضك بها خوارج ، فانشرحت لذلك فلما صرت من مرو على فرسخين ، خرج يتلقاني ومعه الناس ، فلما واجهني ترجل فقبيل يدي ، فأمرته فركب . فلما دخلت مرو نزلت في داره فكنت ثلاثاً لا يسألني في أي شيء جئت ، فلما كان في اليوم الرابع سألني ما أفدماك ؟ فأخبرته بالأمر . فقال : أفعلمها أبو سلمة ؟ أنا أكفيكموه . فدعا مرار بن أنس الضبي فقال : اذهب إلى السكوفة فحيث لقيت أبا سلمة فاقضه ، وافته في ذلك إلى رأى الامام . فقدم مرار السكوفة الهاشمية ، وكان أبو سلمة يسمر عند السفاح ، فلما خرج قتله مرار وشاع أن انطوارج قتلوه ، وغامقت البلد . ثم صلى عليه يحيى بن محمد بن علي أخو أمير المؤمنين ، ودفن بالهاشمية ، وكان يقال له وزير آل محمد . ويقال لأبي مسلم أمير آل محمد . قال الشاعر : -

إن الوزير وزير آل محمد \* أودى فن يشنك كأن وزيراً

ويقال إن أبا جعفر إنما سار إلى أبي مسلم بعد قتل أبي سلمة وكان معه ثلاثون رجلاً على البريد ، منهم الحاجب بن أرتاة ، وإسحاق بن الفضل الهاشمي ، وجماعة من السادات . ولما رجع أبو جعفر من خراسان قال لأخيه : لست بخليفة مادام أبو مسلم حياً حتى تقتله ، لما رأى من طاعة المساكين له ، فقال له السفاح : اكتبها فسكت . ثم إن السفاح بعث أخاه أبا جعفر إلى قتال ابن هبيرة بواسطة ، فلما اجتاز بالحسن بن قحطبة أخذه معه ، فلما أحيط بابن هبيرة كتب إلى محمد بن عبد الله بن حسن ليبياع له بالخلافة فأبأ عليه جوابه ، فال إلى مصالحة أبي جعفر ، فاستأذن أبو جعفر أخاه السفاح في ذلك فأذن له في المصالحة ، فكتب له أبو جعفر كتاباً بالصلح ، فكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوماً . ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البغارية ، فلما دنا من سرادق أبي جعفر هم أن يدخل بفرسه فقال الحاجب سلام : انزل أبا خالد . فنزل . وكان حول السرادق عشرة آلاف من أهل خراسان ، ثم أذن له في الدخول فقال : أنا ومن معي ؟ قال : لا بل أنت وحدك ، فسخط ووضع له وسادة فجلس عليها ، فحادثه أبو جعفر ساعة ثم خرج من عنده فأتبعه أبو جعفر بصره ، ثم جعل يأتيه يوماً بعد يوم في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل ، فشكوا ذلك إلى أبي جعفر فقال أبو جعفر للحاجب : مره فليأت في حاشيته ، فكأن يأتي في ثلاثين نفساً ، فقال الحاجب : كأنك تأتي متأهباً<sup>(١)</sup> ؟ فقال : لو أمرتموني بالمشي لمشيت إليكم ، ثم كان يأتي في ثلاثة أنفس . وقد خاطب ابن هبيرة يوماً لأبي جعفر فقال له في غبون كلامه : يا هناه - أو قال يا أيها المرء - ثم اعتذر إليه بأنه قد سبق لسانه إلى ذلك ، فأعذره . وقد كان السفاح كتب إلى أبي مسلم يستشيريه في مصالحة ابن هبيرة فنهاه عن ذلك ، وكان السفاح لا يقطع أمراً دونه ، فلما وقع الصلح على يدي أبي جعفر لم يحب السفاح ذلك ولم يعجبه ، وكتب إلى أبي جعفر يأمره بقتله ، فراجعه أبو جعفر مراراً

(١) في تاريخ ابن جرير « مباهياً » .

لا يفيد ذلك شيئاً ، حتى جاء كتاب السفاح أن اقتله لا محالة لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كيف يعطى الامان وينسكث ؟ هذا فعل الجبارة وأقسم عليه في ذلك . فأرسل إليه أبو جعفر طائفة من الخراسانية فدخلوا عليه وعنده ابنه داود وفي حجره صبي صغير ، وحوله مواليه وحاجبه ، فدافع عنه ابنه حتى قتل وقتل خلق من مواليه ، وخلصوا إليه ، فألقى الصبي من حجره وخر ساجداً فقتل وهو ساجد ، واضطرب الناس ، فنادى أبو جعفر في الناس بالامان إلا عبد الملك بن بشر وخالده ابن سلمة الخزومي وعمر بن ذر . فسكن الناس ثم استؤمن لبعض هؤلاء وقتل بعضاً .

وفي هذه السنة بعث أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث إلى فارس وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة الخلال فيضرب أعناقهم ، ففعل ذلك . وفيها ولي السفاح أخاه يحيى بن محمد الموصل وأعمالها ، وولى عمه داود مكة والمدينة واليمن والهمامة ، وعزله عن الكوفة وولى مكانه عليها عيسى بن موسى ، وولى قضاءها ابن أبي ليلى ، وكان على نيابة البصرة سفيان بن معاوية المهلبى ، وعلى قضائها الحجاج ابن أرطاة ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى فارس محمد بن الأشعث . وعلى أرمينية وأذربيجان والجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى الشام وأعمالها عبد الله بن علي عم السفاح ، وعلى مصر أبو عون محمد بن يزيد . وعلى خراسان وأعمالها أبو مسلم الخراساني ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك . وحج بالناس فيها داود بن علي .

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموي ، آخر خلفاء بني أمية ، فقتل في العشر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة كما تقدم ذلك مبسوطاً ، ووزيره عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي ، الكاتب البليغ الذي يضرب به المثل ، فيقال فتحت الرسائل بمسد الحميد ، وختمت بابن العميد . وكان إماماً في الكتابة وجميع فنونها ، وهو القدوة فيها . وله رسائل في ألف ورقة ، وأصله من قيسارية ثم سكن الشام ، وتعلم هذا الشأن من سالم مولى هشام بن عبد الملك وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه ، وعليه تخرج ، وكان ابنه إسماعيل بن عبد الحميد ماهراً في الكتابة أيضاً ، وقد كان أولاً يعلم الصبيان ثم تقلبت به الأحوال أن صار وزيراً لمروان ، وقتله السفاح ومثل به ، وكان اللائق بمثله العفو عنه . ومن مستجاد كلامه : العلم شجرة ثمرتها الأنفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه وقد رأى رجلاً<sup>(١)</sup> يكتب خطاً رديئاً فقال : أطل جلفسة ففلك وأسمنها ، وحرّف فطنتك وأبعتها . قال الرجل : ففعلت ذلك فجاد خطي . وسأله رجل أن يكتب له كتاباً إلى بعض الأكارب يوصيه به ، فكتب إليه : حق موصل كتابي إليك كحقة على

(١) هو ابراهيم بن جبلة

إذراك، وضماً لأمله، ورآني أهلاً لحاجته، وقد قضيت أنا حاجته فصدق أنت أمله. وكان كثيراً ما ينشد هذا البيت :-

إذا خرج الكتابُ كانَ دويهم \* قسيّاً وأقلامُ القسي لها نبلا  
وأبوسلة حفص بن سليمان، هو أول من وزر لآل العباس، قتلته أبو مسلم بالأندلس من أمر السفاح، إمد ولايته بأربعة أشهر، في شهر رجب. وكان ذا هيئة فاضلا حسن المفاكة، وكان السفاح يأنس به ويحب مسامحته لطيب محاضرتيه، ولا يمكن توهم ميله لآل علي فندس أبو مسلم عليه من قبله غيلة كما تقدم، فأشدد السفاح عند قتله :

إلى النارِ فليذهبْ ومن كان مثله \* على أي شيءٍ فاتنا منه نأسفُ  
كان يقال له وزير آل محمد، ويعرف بالخلال، لسكنائه بدرب الخلالين بالكوفة، وهو أول من سمى بالوزير، وقد حكى ابن خلكان عن ابن قتيبة أن اشتقاق الوزير من الوزر وهو العمل، فكأن السلطان عمله أتمالا لاستناده إلى رأيه، كما يلجأ الخائف إلى جبل ينتم به .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

فيها ولي السفاح عمه سليمان البصرة وأعمالها، وكوردجلة والبحرين وعمان. ووجه عمه إسماعيل ابن علي إلى كور الأهواز. وفيها قتل داود بن علي من بمكة والمدينة من بني أمية، وفيها توفي داود ابن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول واستخلف ابنه موسى على عمله، وكانت ولايته على الحجاز ثلاثة أشهر، فلما بلغ السفاح موته استناب على الحجاز خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الدار الحارثي، وولي اليمن لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الدار، وجعل إمرة الشام لعلميه عبد الله وصالح بن علي، وأقر أباهون على الديار المصرية فأثابا. وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتحها. وفيها خرج شريك بن شيخ المهري ببخارى على أبي مسلم وقال : ما على هذا يا لصنا آل محمد، على سفك الدماء وقتل الأنفس واتبعه على ذلك نحو من ثلاثين ألفا، فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

وفيها عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل، وولى عليه عمه إسماعيل. وفيها ولي الصائفة من جهته صالح بن علي بن سعيد بن عبيد الله وغزا ما وراء الدروب. وحج بالناس خال السفاح زياد ابن عبيد الله بن عبد الدار الحارثي. ونواب البلاد هم الذين كانوا في التي قبلها سوى من ذكرنا أنه عزل .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

فيها خلع بسام بن إبراهيم بن بسام الطاعة وخرج على السفاح، فبعث إليه خازم بن خزيمه فقاتله فقتل عامة أصحابه، واستباح عسكره. ورجع فر بلاء من بني عبد الدار أخوال السفاح فسألهم

عن بعض ما فيه اصره للخليفة ، فلم يردوا عليه ، واستهانوا به ، وأمر بضرب أعناقهم - وكانوا قريباً من عشرين رجلاً ومثلهم من واليهم - فاستمدى بنو عبد الدار على خازم بن خزيمه إلى السفاح ، وقالوا : قتل هؤلاء بلا ذنب ، فهم السفاح يقتله فأشار عليه بعض الأمراء بأن لا يقتله ولكن ليبعثه بميثاق صعبا ، فان سلم فذاك ، وإن قتل كان الذي أراد . فبعثه إلى عمان وكان بها طائفة من الخوارج قد تمردوا وجهزهم سبعماية رجل ، وكتب إلى عمه سليمان بالبصرة أن يجمع لهم في السفن إلى عمان ففعل ، فقاتل الخوارج فكسروهم وقهرهم وأستحوذ على ما هنالك من البلاد ، وقتل أمير الخوارج الصفرية وهو الجلندي ، وقتل من أصحابه وأنصاره نحواً من عشرة آلاف ، وبعث برؤسهم إلى البصرة ، فبعث بها نائب البصرة إلى الخليفة . ثم بعد أشهر كتب إليه السفاح أن يرجع فرجع سالماً قائماً منصوراً .

وفيها غزا أبو مسلم بلاد الصند وغزا أبو داود أحد نواب أبي مسلم بلاد كس ، فقتل خلقاً كثيراً وغنم من الأواني الصينية المنقوشة بالذهب شيئاً كثيراً جداً . وفيها بعث السفاح موسى ابن كعب إلى منصور بن جمهور وهو بالهند في اثني عشر ألفاً ، فالتقاه موسى بن كعب وهو في ثلاثة آلاف فزهمه واستباح عسكره . وفيها مات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الدار ، فاستخلف السفاح عليها عمه ، وهو خال الخليفة . وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار وحج بالناس نائب الكوفة عيسى بن موسى ، ونواب الأقاليم هم م . وفيها توفي من الأعيان أبو هارون العبدي ، وعمارة بن جوين ، وبزید بن يزيد بن جابر الدمشقي والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

فيها خرج زياد بن صالح من وراء نهر بلخ على أبي مسلم فأظفروه الله بهم فبدد شملهم واستقر أمره بتلك النواحي . وحج بالناس فيها سليمان بن عيسى نائب البصرة . والنواب هم المذكورون قبلها . ومن توفي فيها من الأعيان : يزيد بن سنان ، وأبو عقيل زهرة بن معبد ، وعطاء الخراساني

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

فيها قدم أبو مسلم من خراسان على السفاح ، وذلك بعد استئذانه الخليفة في القدوم عليه ، فكتب إليه أن يقدم في خمسمائة من الجند ، فكتب إليه : إني قد ورتت الناس ، وإني أخشى من قلة الحسمائة . فكتب إليه أن يقدم في ألف ، فقدم في ثمانية آلاف ، فرقمه وأخذ معه من الأموال والتحف والهدايا شيئاً كثيراً . ولما قدم لم يكن معه سوى ألف من الجند ، فتلقه القواد والأمراء إلى مسافة بعيدة . ولما دخل على السفاح أكرمه وعظمه واحترمه وأنزله قريبا منه ، وكان يأتي إلى

الخلافة كل يوم ، واستأذن الخليفة في الحج فأذن له ، وقال : لولا أني عيذت الحج لأخى أبي جعفر لأمرتك على الحج . وكان الذي بين أبي جعفر وأبي مسلم خرابا وكان ينفذه ، وذلك لما رأى ما هو فيه من الحرمة حين قدم عليه نيسابور في البيعة للسفاح والمنصور بعده ، فخاف في أمره لذلك ، فخذ عليه المنصور وأشار على السفاح بقتله ، فأمره بكتف ذلك . وحين قدم أمره بقتله أيضا وحرضه على ذلك ، فقال له السفاح : قد علمت بلاءه معنا وخدمته لنا فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين إنما ذلك بدواتنا ، والله لو أرسلت سنورا لسمعوا لها وأطاعوا ، وإنك إن لم تتمش به تفسد بك هو . فقال له : كيف السبيل إلى ذلك ؟ فقال : إذا دخل عليك لخادته ثم أجبني أنا من ورائه فأضربه بالسيف . قال : كيف بمن معه ؟ قال : هم أذل وأقل . فأذن له في قتله ، فلما دخل أبو مسلم على السفاح ندم على ما كان أذن لأخيه فيه ، فبعث إليه الخادم يقول له : إن ذاك الذي بينك وبينه ندم عليه فلا تفعله . فلما جاءه الخادم وجده محتبيا بالسيف قد تهيأ لما يريد من قتل أبي مسلم . فلما نهاه عن ذلك غضب أبو جعفر غضبا شديدا . وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور عن ولاية أخيه السفاح ، وسار معه إلى الحجاز أبو مسلم الخراساني عن أمر الخليفة ، وأذن له في الحج ، فلما رجعا من الحج وكانا بذات عرق جاء الخبر إلى أبي جعفر - وكان يسير قبل أبي مسلم بمرحلة - بموت أخيه السفاح ، فكتب إلى أبي مسلم أن قد حدث أمر فالحجل العجل ، فلما استعلم أبو مسلم الخبر عجل السير وراه ، فلحقه إلى الكوفة . وكانت بيعة المنصور على ماسياتي بيانه وتفصيله قريبا والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ترجمة ابي العباس السفاح اول خلفاء بني العباس

هو عبد الله السفاح - ويقال له المرتضى ، والقاسم أيضا - ابن محمد ابن الامام ابن علي السجاد ابن عبد الله الخبير ابن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أمير المؤمنين ، وأمه ريطة - ويقال رايطة - بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبيد الدار الحارثي ، كان مولد السفاح بالحليمة من أرض الشراه من البلقاء بالشام ، ونشأ بها حتى أخذ مروان أخاه إبراهيم الامام فانقلوا إلى الكوفة . بويح له بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مروان يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول بالكوفة كما تقدم . وتوفي بالجدري بالأنبار يوم الأحد الحادي عشر ، وقيل الثالث عشر من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وكان عمره ثلاثا ، وقيل اثنتين ، وقيل إحدى وثلاثين سنة ، وقيل ثمان وعشرين سنة . قاله غير واحد . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، وكان أبيض جميلا طويلا ، أفنى الأنف ، جمد الشعر ، حسن اللحية ، حسن الوجه ، فصيح الكلام ، حسن الرأي ، جيد البديهة . دخل عليه في أول ولايته عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ومعه مصحف وعند السفاح وجوه بني هاشم من أهل بيته وغيرهم ، فقال له : يا أمير المؤمنين اعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا

المصحف . قال : فأشفق عليه الحاضرون أن يجعل السفاح عليه بشيء أو يترك جوابه فيبقى ذلك مسبة عليه وعليهم . فأقبل السفاح عليه غير منضب ولا منزعج ، فقال : إن جنك عليك كان خيراً مني وأعدل ، وقد ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيراً منك ، شيئاً قد أعطيتك زدتك عليه ، فما كان هذا جزائي منك . قال : فما رد عليه عبد الله بن حسن جواباً ، وتعجب الناس من سرعة جوابه وجدته وجودته على البديهة .

وقد قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدري . قال قال رسول الله -ص- : « يخرج عند انقضاء من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له السفاح ، يكون إعطاؤه المال حثياً ، وكذا رواه زائدة وأبو معاوية عن الأعمش به . وهذا الحديث في إسناد عطية العوفى وقد تكلموا فيه . وفي أن المراد بهذا الحديث هذا السفاح نظر والله أعلم . وقد ذكرنا فيما تقدم عند زوال دولة بني أمية أخباراً وآثاراً في مثل هذا المعنى . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلمة بن محمد بن هشام أخبرني محمد بن عبد الرحمن الخزومي حدثني داود بن عيسى عن أبيه عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وهو والد السفاح - قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من النصارى فقال له عمر : من تجدون الخليفة بعد سليمان ؟ قال له : أنت . فأقبل عمر بن عبد العزيز عليه فقال له : زدني من بيانك . فقال ثم آخر ، إلى أن ذكر خلافة بني أمية إلى آخرها . قال محمد بن علي : فلما كان بعد ذلك جمعت ذلك النصراني في بالي فرأيتني يوماً فأمرت غلامي أن يجبهه علي ، وذهبت إلى منزلي فسألته عما يكون في خلفاء بني أمية فذكرهم واحداً واحداً ، وتجاوز عن مروان بن محمد . قلت : ثم من ؟ قال : ثم ابن الحارثية ، وهو ابنك . قال : وكان ابني ابن الحارثية إذ ذاك حملاً . قال ووقد أهل المدينة على السفاح فبادروا إلى تقبيل يده غير عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع المدوي ، فإنه لم يقبل يده ، وإنما حياه بالخلافة فقط . وقال : والله يا أمير المؤمنين لو كان تقبيلها يزيدك رفعة ويزيدني وسيلة إليك ماسبقني إليها أحد من هؤلاء ، وإني لفتى عما لا أجر فيه ، وربما قادنا عمله إلى الوزر ثم جلس . قال : فوالله ما نقصه ذلك عنده حظاً من حظ أصحابه ، بل أحبه وزاده . وذكر القاضي المعافى بن زكريا أن السفاح بعث رجلاً ينادى في عسكر مروان بهذين البيتين ليلاً ثم رجع :

يا آل مروان إن الله مهلككم \* وبمبدل أنسكم خوفاً وتشريداً

لا عمر الله من أنسالكم - أحداً \* وبشكم في بلاد الخوف تطريداً

وروى الخطيب البغدادي أن السفاح نظر يوماً في المرأة - وكان من أجل الناس وجهاً - فقال :

اللهم لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك : أنا الخليفة الشاب ، ولكن أقول : اللهم عمرني طويلاً في

طاعتك ممناً بالعافية . فما استقم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لا آخر : الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام . فنتظير من كلامه وقال : حسبي الله لا قوة إلا بالله عليه توكلت وبه أستعين . فمات بعد شهرين وخمسة أيام . وذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخزازي أن الرشيد أمر ابنه أن يسمع من إسحاق بن عيسى بن علي ما يرويه عن أبيه في قصة السفاح ، فأخبره عن أبيه عيسى أنه دخل على السفاح يوم عرفة بكرة فوجده صائماً ، فأمره أن يمضاه في يومه هذا ثم يحتم ذلك بفضله عنه . قال : فماتته حتى أخذته النوم فمات عنه . وقلت : أقبل في منزلي ثم أجبني بعد ذلك . فذهبت فتمت قليلاً ثم قمت فأقبلت إلى داره فاذا على بابهِ بشر يبشر بفتح السند وبيعهم للخليفة وتسليم الأمور إلى نوابه . قال : فحمدت الله الذي وقفتي في الدخول عليه بهذه البشارة ، فدخلت الدار فاذا بشير آخر معه بشارة بفتح إفريقية ، فحمدت الله فدخلت عليه فبشرته بذلك وهو يسرح لحيته بعد الوضوء ، فسقط المشط من يده ثم قال : سبحان الله ، كل شيء بائد سواه ، نمت والله إلى نفسي ، حدثني إبراهيم الامام عن أبي هشام عن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن رسول الله (ص) ، أنه قال : « يقدم على في مدينتي هذه وافدان والسند والآخر وافد إفريقية بسمهم وطاعتهم وبيعهم ، فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أموت . قال : وقد أتاني الوافدان فأعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك . قلت : كلا ، يا أمير المؤمنين إن شاء الله . قال بلى إن شاء الله ! لئن كانت الدنيا حبيبية إلى فالآخر أحب إلي ، ولقاه ربي خير لي ، وصحة الرواية عن رسول الله بذلك أحب إلى منها ، والله ما كذبت ولا كذبت . ثم نهض فدخل منزله وأمرني بالجلوس ، فلما جاء المؤذن يمهله بوقت الظاهر خرج الخادم يمهلي أن أصلي عنه ، وكذلك العصر والمغرب والعشاء ، وبت هناك ، فلما كان وقت السحر أتاني الخادم بكتاب معه يأمرني أن أصلي عنه الصبح والعيد ثم أرجع إلى داره ، وفيه يقول : يا عم إذا مت فلا تعلم الناس موتي حتى تقرأ عليهم هذا الكتاب فيبأيهوا إن فيه . قال : فصليت بالناس ثم رجعت إليه فاذا ليس به بأس ، ثم دخلت عليه من آخر النهار فاذا هو على حاله غير أنه قد خرجت في وجهه حبتان صغيرتان ، ثم كبرتاه ، ثم صار في وجهه حب صفار بيض يقال إنه جدري ، ثم بكرت إليه في اليوم الثاني فاذا هو قد هجر وذهبت عنه معرفتي ومعرفة غيري ، ثم رجعت إليه بالمشي فاذا هو انتفخ حتى صار مثل الزق ، وتوفي اليوم الثالث من أيام التشريق ، فمسيته كما أمرني ، وخرجت إلى الناس فقرأت عليهم كتابه فاذا فيه : من عبد الله أمير المؤمنين إلى الأبد ، وجماعة المسلمين ، سلام عليكم أما بعد فقد قلد أمير المؤمنين الخلافة عليكم بعد وفاته أخاه فاسموا وأطيعوا ، وقد قلدها من بعده عيسى بن موسى كذا كان . قال : فاختار الناس في قوله « إن كان » قيل إن كان أهلاً لها ، وقال آخرون إن كان حياً . وهذا القول الثاني هو الصواب ، ذكره الخطيب



٦١  
وابن عساكر مطولا . وهذا ملخص منه . وفيه ذكر الحديث المرفوع وهو منكر جدا . وذكر ابن  
عساكر أن الطبيب دخل عليه فأخذ بيده فأنشأ يقول عند ذلك :  
انظر إلى ضعف الحرا \* كِ وذل بعد السكون \* ينبئك أن بيانه \* هذا مقدمة النون  
فقال له الطبيب : أنت صالح . فأنشأ يقول :

يبدى باني ذو صلاح \* يبين له وبى داء دفين \* لقد أيقنت أنى غير باقر \* ولا شك إذا وضع اليقين  
قال بعض أهل العلم : كان آخر ما تكلم به السفاح : الملك لله الحى القيوم ، ملك الملوك ، وجبار  
الجبابرة . وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله . وكان موته بالجدري في يوم الأحد الثالث عشر من  
ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأبواب العليقة ، عن ثلاث وثلاثين سنة . وكانت خلافته أربع  
سنتين وتسعة أشهر على أشهر الأقوال . وصلى عليه صه عيسى بن على . ودفن في قصر الإمارة من  
الأبواب . وترك تسع جبات وأربعة أقصه وخمسة سراويلات وأربعة طيلاسة وثلاثة مطارف خز . وقد  
ترجمه ابن عساكر فذكر بعض ما أوردهناه والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان السفاح كما تقدم ، وأشعث بن سوار ، وجعفر بن أبى ربيعة ، وحصين  
ابن عبد الرحمن ، وزبيدة الزاعى ، وزيد بن أسلم ، وعبد الملك بن عمير ، وعبد الله بن أبى جعفر ،  
وعطاء بن السائب . وقد ذكرنا تراجمهم فى التكميل والله الحمد .

#### خلافة أبى جعفر المنصور

واسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس

قد تقدم أنه لما مات السفاح كان فى الحجاز فبلغه موته وهو بذات عرق راجعا من الحج ، وكان  
معه أبو مسلم الخراسانى ، فمجل السير وعزاه أبو مسلم فى أخيه ، فهكى المنصور عنده ذلك ، فقال له :  
أتبكي وقد جاءتك الخلافة ؟ أنا أكفيكها إن شاء الله . فسرى عنه ، وأمر زياد بن عبيد الله أن  
يرجع إلى مكة واليا عليها ، وكان السفاح قد عزله عنها بالعباس بن عبد الله بن معبد بن عباس فأقره  
عليها . والنواب على أعمالهم حتى انساخت هذه السنة ، وقد كان عبد الله بن على قدم على ابن  
أخيه السفاح الأبواب فأمره على الصائفة ، فركب فى جيوش عظيمة إلى بلاد الروم ، فلما كان ببعض  
الطريق بلغه موت السفاح فذكر راجعا إلى حران ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أن السفاح كان عهد إليه  
حين بعثه إلى الشام أن يكون ولى العهد من بعده ، فالتفت عليه جيوش عظيمة ، وكان من أمره  
ما سئد كره فى السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

ذكر خروج عبد الله بن على ابن أخيه المنصور

لما رجع أبو جعفر المنصور من الحج بعد موت أخيه السفاح ، دخل الكوفة فخطب بأهلها يوم

الجمعة وصلى بهم ، ثم ارتحل منها إلى الأنبار وقد أخذت له البيعة من أهل العراق وخراسان وسائر البلاد سوى الشام ، وقد ضبط عيسى بن علي بيوت الأموال والحواصل للمنصور حتى قدم ، فسلم إليه الأمر ، وكتب إلى عمه عبد الله بن علي يعلمه بوفاة السفاح ، فلما بلغه الخبر نادى في الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الأمراء والناس ، فقرأ عليهم وفاة السفاح ، ثم قام فيهم خطيباً فذكر أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى مروان أنه إن كسره كان الأمر إليه من بعده ، وشهد له بذلك بعض أمراء العراق ، ونهضوا إليه فبايعوه ، ورجع إلى حران فنتسبها من نائب المنصور بعد محاصرة أربدين ليلة ، وقتل مقاتل العسكى نائبها . فلما بلغ المنصور ما كان من أمر عمه بعث إليه أبا مسلم الخراساني ومعه جماعة من الأمراء وقد تحصن عبد الله بن علي بخران ، وأرصد عنده مما يحتاج إليه من الأطعمة والسلاح شيئاً كثيراً جداً ، فسار إليه أبو مسلم الخراساني وعلى مقدمته مالك بن هيثم الخراساني ، فلما تحقق عبد الله قدام أبي مسلم إليه خشى من جيش العراق أن لا يئتموه ، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً ، وأراد قتل حميد بن قحطبة فهرب منه إلى أبي مسلم ، فركب عبد الله بن علي فنزل نصيبين وخندق حول عسكره ، وأقبل أبو مسلم فنزل ناحية وكتب إلى عبد الله : إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما بعثني أمير المؤمنين واليا على الشام فأنا أريد بها . فخاف جنود الشام من هذا الكلام فقالوا : إنا نخاف على ذرارينا وديارنا وأموالنا ، فنحن نذهب إليها نمنعهم منه . فقال عبد الله : ويحك ! والله إنه لم يأت إلاقتالنا . فأبوا إلا أن يرتحلوا نحو الشام ، فتنحول عبد الله من منزله ذلك وقصد ناحية الشام ، فنهض أبو مسلم فنزل موضعه وغور ما حوله من المياه - وكان موضع عبد الله الذي تنحول منه موضعاً جيداً جداً - فاحتاج عبد الله وأصحابه فنزلوا في موضع أبي مسلم فوجدوه منزلاً رديئاً ، ثم أنشأ أبو مسلم القتال فغاربهم خمسة أشهر ، وكان على خيل عبد الله أخوه عبد الصمد بن علي ، وعلى ميمنته بكار بن مسلم العقيلي ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي . وعلى يمينه أبي مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته أبو نصر خازم بن خزيم ، وقد جرت بينهم وقعتات وقتل منهم جماعات في أيام فحسات ، وكان أبو مسلم إذا حمل يرتجز ويقول :

من كان ينوي أهله فلا رجع \* فر من الموت وفي الموت وقع

وكان يعمل له عرش فيكون فيه إذا التقى الجيشان فإ رأى في جيشه من خلل أرسل فأصلحه . فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة التقوا فاقتتلوا قتلاً شديداً ، فكر بهم أبو مسلم ، بعث إلى الحسن بن قحطبة أمير الميمنة فأمره أن يتحول بمن معه إلا القليل إلى الميسرة ، فلما رأى ذلك أهل الشام انمازوا إلى الميمنة بازاء الميسرة التي تعمرت ، فأرسل حينئذ أبو مسلم إلى القلب أن يحمل بمن بقي في الميمنة على ميسرة أهل الشام لمخطوم ، فجاء أهل القلب

والمدينة من الشاميين فحمل الخراسانيون على أهل الشام وكانت الهزيمة : وانهرزم عبد الله بن علي  
بمسد تلوم ، واحتاز أبو مسلم ما كان في معسكرهم ، وأمن أبو مسلم بقية الناس فلم يقتل منهم أحداً ،  
وكتب إلى المنصور بذلك ، فأرسل المنصور ، وولاه أبا الخصب ليحصى ما وجدوا في معسكر عبد الله ،  
فغضب من ذلك أبو مسلم الخراساني . واستوسقت الممالك لأبي جعفر المنصور ، ومضى عبد الله بن  
علي وأخوه عبد الصمد على وجهيهما ، فلما مرا بالرافقة أقام بها عبد الصمد ، فلما رجع أبو الخصب  
وجسده بها فأخسده معه مقيداً في الحديد فأدخله على المنصور فدفعه إلى عيسى بن موسى فاستأمن له  
المنصور ، وقيل بل استأمن له إسماعيل بن علي . وأما عبد الله بن علي فإنه ذهب إلى أخيه سليمان  
ابن علي بالبصرة فأقام عنده زماناً محتفياً ، ثم علم به المنصور فبعث إليه فسجنه [ في بيت بني أسامة  
على الملح ثم أطلق عليه الماء فذاب الملح وسقط البيت على عبد الله فمات . وهذه من بعض دواهي  
المنصور والله سبحانه أعلم ] (١) . فلبث في السجن سبع سنين ثم سقط عليه في البيت الذي هو فيه  
فمات كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

## رسالة أبي مسلم الخراساني

في هذه السنة أيضاً لما فرغ أبو مسلم من الحج سبق الناس بمرحلة فجاءه خبر السفاح في الطريق  
فكتب إلى أبي جعفر يعزبه في أخيه ولم يهنئه بالخلافة ، ولا رجع إليه . فغضب المنصور من ذلك  
مع ما كان قد أضمر له من سوء إذا أفضت إليه الخلافة ، وقيل إن المنصور هو الذي كان قد تقدم  
بين يدي الحج بمرحلة ، وأنه لما جاءه خبر موت أخيه كتب إلى أبي مسلم يستعجله في السير كما  
قدمنا . فقال لأبي أيوب : اكتب له كتاباً غليظاً ، فلما بلغه الكتاب أرسل يهنئه بالخلافة واقمع  
من ذلك . وقال بعض الأمراء للمنصور : إنا نرى أن لانجامه في الطريق فان معه من الجنود من  
لا يخالفه . وهم له أهيب ، وعلى طاعته أحرص ، وليس مملك أحد ، فأخذ المنصور برأيه ثم كان من  
أمره في مبايعته لأبي جعفر ما ذكرنا ، ثم بعثه إلى عمه عبد الله فكسره كما تقدم ، وقد بعث في  
غيور ذلك الحسن بن قحطبة لأبي أيوب كاتب رسائل المنصور يشافهه ويخبره بأن أبا مسلم منهم عند  
أبي جعفر ، فإنه إذا جاءه كتاب منه يقرأه ثم يلوى شقيقه ويرى بالكتاب إلى أبي نصر ويضحكان  
استزاه ، فقال أبو أيوب : إن تهمة أبي مسلم عندنا أظهر من هذا . ولما بعث أبو جعفر مولاه أبا  
الخصيب يقطين ليحتاط على ما أصيب من معسكر عبد الله من الأموال والجواهر الثمينة وغيرها ،  
غضب أبو مسلم فشم أبا جعفر وممّ بأبي الخصب ، حتى قيل له : إنه رسول فتركه ورجع . فلما قدم  
أخبر المنصور بما كان وبما تم به أبو مسلم من قتله ، فغضب المنصور وخشى أن يذهب أبو مسلم إلى

(١) زيادة وجدت بهامش نسخة الاستانة .

خراسان فيشق عليه تحصيله بمسد ذلك ، وأن تحدث حوادث ، فكتب إليه مع يقطين بنى قد ولينك الشام ومصر وهما خير من خراسان . فابعث إلى مصر من شدت وأقم أنت بالشام ، لتكون أقرب إلى أمير المؤمنين ، إذا أراد لقاءك كنت منه قريباً . فغضب أبو مسلم وقال : قد ولاني الشام ومصر ، ولي ولاية خراسان ، فإذا أذهب إليها وأستخلف على الشام ومصر . فكتب إلى المنصور بذلك فغضب المنصور من ذلك كثيراً . ورجع أبو مسلم من الشام قاصداً خراسان وهو عازم على مخالفة المنصور . فخرج المنصور من الأنبار إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم بالمسير إليه ، فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزاب عازم على الدخول إلى خراسان : إنه لم يبق لأمر المؤمنين عدو إلا أمنكه الله منه ، وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء . فنحن نأفرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ، حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث يقارنها السلامة . فان أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك ، وإن أبيت

إلا أن تعطى نفسك إرادتها تقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسى عن مقامات الذل والاهانة . فلما وصل السكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمت كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة إلى ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم ، وإنما راحتهم في تبديد نظام الجماعة ، فلم سويت نفسك بهم وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطراحتك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ، وليس مع الشريعة التي أوجبت منك صمع ولا طاعة ، وقد حمل أمير المؤمنين عيسى بن موسى إليك رسالة ليسكن إليها قلبك إن أصغيت إليها ، وأسأله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك ، فانه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عنده من هذا ولا أقرب من طبه من الباب الذي فتحه عليك . ويقال إن أبا مسلم كتب إلى المنصور : أما بمسد فاني أفضت رجلا إماماً ودليلاً على ما افترض الله على خلقه ، وكان في محلة العلم نارلاً وفي قرابته من رسول الله -س- ، قريباً ، فاستجلبني بالقرآن فخره عن مواضع طمعا في قليل قد تماناه الله إلى خلقه ، وكان كالذي دلى بنور ، وأمرني أن أجرد السيف وأرفع المرحة ولا أقبل المندرة ولا أقبل المثرة . فضلت توطيداً لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يجهلكم ، وأطاعكم من كان عدوكم ، وأظهركم الله بن بمسد الاخفاء والخفارة والذل ، ثم استتذني الله بالتوبة . فان يصف عنى فقد بما عرف به ونسب إليه ، وإن يماقبنى فبا قدمت يداى ، وما الله بظلام للعبيد . ذكره المدائنى عن شيوخه .

وبعث المنصور إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله اليجلى - وقد كان أوحد أهل زمانه - في جماعة من الأمراء ، وأمره أن يكلم أبا مسلم بالابن كلاماً يقدر عليه ، وأن يكون في جملة ما يكلمه به

انه يريد رفع قسرك وعلو منزلتك ولإطلاقاتك ، فان جاء بهذا فذاك ، وإن أبى قتل هو برئ من العباس إن شقت العصا وذهبت على وجهك ليدركك بنفسه وليقاتلنك دون غيره ، ولو خضت البحر انخضم غلظته خلفك حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك . ولا تقل له هذا حتى تياس من رجوعه بالتي هي أحسن فلما قدم عليه أمراء المنصور بجلوان دخلوا عليه ولاموه فيما هم به من منابذة أمير المؤمنين ، وما هو فيه من مخالفته ، ورغبوه في الرجوع إلى الطاعة ، فشاور ذوي الرأي من أمرائه فكلهم نهاه عن الرجوع إليه ، وأشاروا بأن يقيم في الري فتكون خراسان تحت حكمه ، وجنوده طوعاً له ، فان استسلم له الخليفة والإلكان في عز ومنعة من الجند . فعند ذلك أرسل أبو مسلم إلى أمراء المنصور فقال لهم : ارجعوا إلى صاحبكم فليست ألقاه . فلما استياسوا منه قالوا له ذلك السلام الذي كان المنصور أمرهم به . فلما سمع ذلك كسره جداً وقال قوموا عنى الساعة .

وكان أبو مسلم قد استخاف على خراسان أبا داود إبراهيم بن خالد ، فكتب إليه المنصور في غيبة أبي مسلم حين اتهم : إن ولاية خراسان لك ما بقيت ، فقد وليتها وعزلت عنها أبا مسلم . فعند ذلك كتب أبو داود إلى أبي مسلم حين بلغه ما عليه من منابذة الخليفة : إنه ليس يليق بنا منابذة خلفاء أهل بيت رسول الله . ، فارجع إلى إمامك سامعاً مطيعاً والسلام . فزاده ذلك كسراً أيضاً فبعث إليهم أبو مسلم : إني سأبعث إليه أبا إسحاق وهو ممن أثق به . فبعث أبا إسحاق إلى المنصور فأكرمه ووعده ببقاية العراق إن هو رده . فلما رجع إليه أبو إسحاق قال له : ما وراك ؟ قال : رأيتهم معظمين لك يعرفون قسرك . ففره ذلك وعزم على الذهاب إلى الخليفة ، فاستشار أميراً يقال له نيزك ، فنهاه ، فصمم على الذهاب ، فلما رآه نيزك عازماً على الذهاب تمثل بقول الشاعر : -  
ما للرجال مع القضاء محالة \* ذهب القضاء بحيلة الأفرام

ثم قال له : احفظ عنى واحدة . قال : وما هي ؟ قال : إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع من شئت بالخلافة فان الناس لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم إلى المنصور يعلمه بقدمه عليه . قال أبو أيوب كاتب الرسائل : فدخلت على المنصور وهو جالس في خباء شعر جالس في مصلاه بعد العصر ، وبين يديه كتاب فالتاه إلى فاذا هو كتاب أبي مسلم يعلمه بالتقدم عليه ، ثم قال الخليفة : والله لئن ملأت عيني منه لأقتله . قال أبو أيوب : فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون . وبت تلك الليلة لا يأتي نومي : أفكر في هذه الواقعة ، وقلت : إن دخل أبو مسلم خائفاً ربما يبدو منه شر إلى الخليفة ، والمصلحة تقتضي أن يدخل آمناً لئلا يمكن منه الخليفة . فلما أصبحت طلبت رجلاً من الأمراء وقلت له : هل لك أن تتولى مدينة كسكر ظاهراً مغلّة في هذه السنة ؟ فقال : ومن لي بذلك ؟ فقلت له : فاذهب إلى أبي مسلم فتناقه في الطريق فاطلب منه أن يوليكَ تلك البلد ، فان أمير المؤمنين يريد أن يوليه ما وراء بابه

ويشرح لنفسه . واستأذنت المنصور له أن يذهب إلى أبي مسلم فأذن له ، وقال له : سلم عليه وقل له : إنا بالاشواق إليه . فسار ذلك الرجل - وهو سلمة بن فلان -<sup>(١)</sup> إلى أبي مسلم فأخبره بأشواق الخليفة إليه ، فسرّه ذلك وانشرح ، وإنما هو غرور ومكر به ، فلما سمع أبو مسلم بذلك عجل السير إلى منبته ، فلما قرب من المدائن أمر الخليفة القواد والامراء أن يتلقوه ، وكان دخوله على المنصور من آخر ذلك اليوم ، وقد أشار أبو أيوب على المنصور أن يؤخر قتله في ساعته هذه إلى الغد ، وقبل ذلك منه . فلما دخل أبو مسلم على المنصور من المشى أظهر له الكرامة والتعظيم ، ثم قال : اذهب فأرح نفسك وادخل الحام ، فإذا كان الغد فأنتي . فخرج من عنده وجاءه الناس يسلمون عليه ، فلما كان الغد طلب الخليفة بعض الأمراء فقال له : كيف بلائي عندهك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو أمرتني أن أقتل نفسي لقتلتها . قال : فكيف بك لو أمرتك بقتل أبي مسلم ؟ قال : فوجم ساعة ثم قال له أبو أيوب : مالك لا تتكلم ؟ فقال : قولة ضعيفة : أقتله . ثم اختار له من عيون الحرس أربعة فحرضهم على قتله ، وقال لهم : كونوا من وراء الرواق فإذا صفت بيدي فاخرجوا عليه فاقتلوه . ثم أرسل المنصور إلى أبي مسلم رسلا تترى يتبع بعضها بعضاً ، فأقبل أبو مسلم فدخل دار الخلافة ثم دخل على الخليفة وهو يبتسم ، فلما وقف بين يديه جعل المنصور يماثبه في الذي صنع واحدة واحدة ، فيمتدح عن ذلك كله . ثم قال : يا أمير المؤمنين أرجو أن تكون نفسك قد طابت علي . فقال المنصور : أما والله ما زادني هذا إلا غيظاً عليك . ثم ضرب باحدى يديه على الأخرى فخرج عثمان وأصحابه فضربوه بالسيف حتى قتلوه ولفوه في عباءة ثم أمر بالقائه في دجلة ، وكان آخر العهد به ، وكان مقتله في يوم الأربعاء بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة .

وكان من جملة ما عاتبه به المنصور ان قال : كتبت الى مرات تبدأ بنفسك ، وأرسلت تخطب عتي أمينة ، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس إلى غير ذلك . فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا يقال لي هذا وقد سميت في أمركم بما علمه كل أحد . فقال : ويحك لو قامت في ذلك أمة سوداء لأتمه الله لجدنا وحيطتنا . ثم قال : والله لأقتلنك . فقال : استبقتي يا أمير المؤمنين لأعدائك . فقال : وأي عدولي أعدى منك . ثم أمر بقتله كما تقدم : فقال له بعض الأمراء : يا أمير المؤمنين الآن صرت خليفة . ويقال إن المنصور أنشد عند ذلك :

فألقت عصاها واستقر بها النوى \* كما قرأ عينا بالأيام المسافر

وذكر ابن خلكان أن المنصور لما أراد قتل أبي مسلم تحير في أمره هل يستشير أحداً في ذلك أو يستبد هو به اسلاً يشيع وينشر ، ثم استشار واحداً من نصحاء أصحابه فقال : يا أمير المؤمنين

(١) كذا بالأصلين . وفي الطبري : سلمة بن سعيد بن جابر .

قال الله تعالى [ لو كان فيها آلمة إلا الله لفسدنا ] فقال له : لقد أودعتها أذناً واعية . ثم عزم على ذلك

## زوجته زبيبة بنت أبي سلمة بن محمد سافى

هو عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم صاحب دولة بني العباس ، ويقال له أمير آل بيت رسول الله ص . ، وقال الخطيب : يقال له عبد الرحمن بن شيرون بن اسفنديار أبو مسلم المروزي ، صاحب الدولة العباسية ، بروى عن أبي الزبير وثابت البناني وإبراهيم وعبد الله ابني محمد بن حلى بن عبد الله بن عباس ، زاد ابن عساكر في شيوخه محمد بن علي وعبد الرحمن بن حرملة وعكرمة مولى ابن عباس . قال ابن عساكر : روى عنه إبراهيم بن ميمون الصائغ ، وبشر والد مصعب بن بشر ، وعبد الله بن شهرمة وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن منيب المروزي وقديد بن منيع صهر أبي مسلم . قال الخطيب : وكان أبو مسلم فاتكاً ذا رأى وعقل وتدبير وحزم ، قتله أبو جعفر المنصور بالمداين . وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصفهان : كان اسمه عبد الرحمن بن عثمان بن يسار ، قيل إنه ولد بأصفهان ، وروى عن السدي وغيره ، وقيل كان اسمه إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس ابن حوزون ، من ولد بزرجمهر ، وكان يكنى أبا إسحاق ، ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى به إلى عيسى ابن موسى السراج ، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين ، فلما بعثه إبراهيم بن محمد الامام إلى خراسان قال له : غير اسمك وكنيتك . فتمسى عبد الرحمن بن مسلم ، واكنى بأبي مسلم ، فسار إلى خراسان وهو ابن سبع عشرة سنة راكباً على حمار با كاف ، وأعطاه إبراهيم بن محمد نفقة ، فدخل خراسان وهو كذلك ، ثم آل به الخليل حتى صارت له خراسان بأزمته وحنافيرها ، وذكر أنه في ذهابه إليها عدا رجل من بعض الخانات فقطع ذنب حماره ، فلما تمكن أبو مسلم جعل ذلك المكان دكاناً فكان يمد ذلك خراباً . وذكر بعضهم أنه أصابه سبي في صفراء وأنه اشتراه بعض دعة بني العباس بأربعمائة درهم ، ثم إن إبراهيم بن محمد الامام استوهبه واشتراه فأنتمى إليه وزوجه إبراهيم بنت أبي النجم إسماعيل الطائي ، أحد دعاهم ، لما بعثه إلى خراسان ، وأصدقها عنه أربعمائة درهم فولد لأبي مسلم بنتان إحداهما أسماء أعقبت ، واطلمة لم تعقب .

وقد تقدم ذكر كنية استقلال أبي مسلم بأموار خراسان في سنة تسع وعشرين ومائة ، وكيف نشر دعوة بني العباس ، وقد كان ذا هيئة وصرامة وإقدام وتسرع في الأمور . وقد روى ابن عساکر باسناده أن رجلاً قام إلى أبي مسلم وهو يخطب فقال : ما هذا السواد الذي أرى عليك ؟ فقال . حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله « أن رسول الله ص . دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء . » وهذه ثياب الهيثة وثياب الدولة . يا غلام اضرب عنقه . وروى من حديث عبد الله بن منيب عنه عن محمد بن علي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس . قال : قال رسول الله

س : « من أراد هوان قريش أهانه الله » . وقد كان إبراهيم بن ميمون الصائغ من أصحابه وجلسائه في زمن الدعوة ، وكان يعمده إذا ظهر أن يقيم الحدود ، فلما تمكن أبو مسلم ألح عليه إبراهيم ابن ميمون في القيام بما وعده به حتى أخرج ، فأمر بضرب عنقه ، وقال له : لم لا كنت تنسك على نصر بن سيار وهو يعمل أو أوائى الحمر من الذهب فيبئنها إلى بنى أمية ؟ فقال له : إن أولئك لم يقر بوفى من أنفسهم ويمدوني منها ما وعدتني أنت . وقد رأى بعضهم لإبراهيم بن ميمون هذا منازل عالية في الجنة بصبره على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانه كان آمراً ناهياً قائماً في ذلك ، فقتله أبو مسلم رحمه الله .

وقد ذكرنا طاعة أبي مسلم لاسفاح واعتناؤه بأمره وامتناله مراسيمه ، فلما صار الأمر إلى المنصور استخف به واحتره ، ومع هذا بعثه المنصور إلى عمه عبد الله إلى الشام فكسره واستنقذ منه الشام وردھا إلى حكم المنصور . ثم شجعت نفسه على المنصور وهم بقتله ، ففطن لذلك المنصور مع ما كان مبطناً له من البغضة ، وقد سأل أخاه السفاح غير مرة أن يقتله كما تقدم ذلك فأبى عليه ، فلما تولى المنصور ما زال بما كرهه ويخادعه حتى قدم عليه فقتله . قال بعضهم : كتب المنصور إلى أبي مسلم أما بعد فانه يرين على القلوب ويطلع عليها المماص ، فع أيها الطائش ، وأفق أيها السكران ، وانقبه أيها الثائم ، فانك مغرور بأضغاث أحلام كاذبة ، في برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوائف القرون [ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ] وإن الله لا يمجزه من هرب ، ولا يفوته من طلب ، فلا تغتر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي ، فكأنهم قد صالحوا عليك بعد أن صالحوا معك ، إن أنت خلعت الطاعة وطارقت الجماعة وبدالك من الله ما لم تكن تحتسب ، مهلاً مهلاً ، احذر البني أبا مسلم فانه من بنى واعتسدى بجعل الله عنقه ، ونصر عليه من يصرعه لليدين والفم ، واحذر أن تكون سنة في الذين قد خلوا من قبلك ، ومثله لمن يأتي بمدك ، فقد قامت الحججة وأهدرت إليك ، وإلى أهل طاعتي فيك . قال تعالى [ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ]

فأجابه أبو مسلم : أما بعد فقد قرأت كتابك فرأيتك فيه للصواب مجانباً ، وعن الحق حائداً إذ تضرب فيه الأمثال على غير أشكالها ، وكتبت إلى فيه آيات منزلة من الله للكافرين ، وما يستوى الذين يملكون والذين لا يعلمون ، وإني والله ما انسلخت من آيات الله ، ولكنني يا عبد الله بن محمد كنت رجلاً متاولاً فيكم من القرآن آيات أوجبت لكم بها الولاية والطاعة ، فأتممت بأخوين لك من قبلك ثم بك من بعدهما ، فكنت لهما شيعية متدينياً لحسيني هادياً مهتدياً ، وأخطأت في التأويل وقدماً أخطأ المتأولون ، وقد قال تعالى [ وإذا حاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على



نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم [ وإن أخاك السفاح ظهر في صورة مهدي وكان ضالاً فأمرني أن أجرد السيف وأقتل بالظننة وأقدم بالشبهة وأرغم الرحمة ولا أقبل العثرة ، فوترت أهل الدنيا في طاعتكم ، وتوطئة سلطانتكم ، حتى عرفكم الله من كان جهلكم . ثم إن الله سبحانه تداركني منه بالندم واستغفرتني بالتوبة ، فإن يمت غني ويصرفه فإنه كان للأوابين غفورا ، وإن يعاقبني فبذنوبي وما ربك بظالم للعبيد .

فكتب إليه المنصور : أما بعد أيها المجرم العاصي ، فإن أخى كان إمام هدى يدعو إلى الله على بينة من ربه ، فأوضح لك السبيل ، وحملك على المنهج السديد ، فلو بأخى اقتديت لما كنت عن الحق حائلاً ، وعن الشيطان وأوامره صادراً ، ولكنه لم يسئح لك أمران إلا كنت لأرشدكما تاركا ، ولأغواهما راكباً ، تقتل قتل الفراعنة ، وتبطن بطش الجبابرة ، وتحمك بالجرور حكم المفسدين ، وتبذر المال وتضعه في غير مواضعه فعل المسرفين ، ثم من خبرى أيها الفاسق أتى قد وليت موسى ابن كعب خراسان ، وأمرته أن يقيم بنيسابور ، فإن أردت خراسان لتليك بمن معه من قوادى وشيعى ، وأنا موجه للقائك أقرانك ، فاجمع كيدك وأمرك غير مسدد ولا موفق ، وحسب أمير المؤمنين ومن اتبعه الله ونعم الوكيل .

ولم يزل المنصور يرأسه نارة بالرغبة ونارة بالرهبة ، ويستخف أحلام من حوله من الأمراء والزسل الذين يبتهم أبو مسلم إلى المنصور ويمدحهم ، حتى حسنوا لأبي مسلم في رأيه القديوم عليه سوى أمير معه يقال له نيزك ، فإنه لم يوافق على ذلك ، فلما رأى أبا مسلم وقد انطاع لهم أشد عند ذلك البيت المتقدم ، وهو : بالرجال مع القضاء محالة ، ذهب القضاء بحيلة الأتوماء وأشار عليه بأن يقتل المنصور ويستخلف بدله فلم يمكنه ذلك ، فإنه لما قدم المدائن تلقاه الأمراء عن أمر الخليفة ، فما وصل إلا آخر النهار ، وقد أشار أبو أيوب كاتب الرسائل أن لا يقتله يومه هذا كما تقدم [ فلما وقف بين يدي الخليفة أكرمه وعظمه وأظهر احترامه ، وقال : اذهب الليلة فأذهب عنك وهناء السفر ثم التفتي من الغد . ] (١) فلما كان الغد أُرصد له من الأمراء من يقتله ، منهم عثمان بن نهيك ، وشيب بن واهج ، فقتلوه كما تقدم . ويقال بل أقام أياماً يظهر له المنصور الأكرام والاحترام ، ثم نشق منه الوحشة فخاف أبو مسلم واستشفع بعيسى بن موسى واستجار به ، وقال : إني أخافه على نفسى . فقال : لا بأس عليك فانطلق فاني آت وراك ، أنت في ذمتي حتى آتيك ، - ولم يكن مع عيسى خير مما يريد به الخليفة - فجاء أبو مسلم يستأذن على المنصور فقالوا له : اجلس ههنا فإن أمير المؤمنين يتوضأ ، فجلس وهو يود أن يطول مجلسه ليحى عيسى بن موسى فأبطأ ، وأذن له الخليفة

(١) زيادة من المصرية .

فدخل عليه فجعل يعاتبه في أشياء صدرت منه فيمتنر عنها جيداً ، حتى قال له : فلم قتلت سليمان بن كثير ، وإبراهيم بن ميمون ، وفلانا وفلانا ؟ قال : لأنهم عصوني وخالفوا أمرى . فغضب عند ذلك المنصور وقال : ويحك ! أنت تقتل إذا عصيت ، وأنا لا أقتلك وقد عصيتنى ؟ وصدق بيديه وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله - ، فنبادروا إليه ليقتلوه فضر به أحدم قطع حمائل سيفه : فقال : يا أمير المؤمنين استبقنى لأعدائك ، فقال : وأى عدوى أعدى منك . ثم زجر المنصور قطعوه قطعاً ولفوه في عباءة ، ودخل عيسى بن موسى على إثر ذلك فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا أبو مسلم ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له المنصور : احمد الله الذى هجت على نعمة ، ولم تهجم على نعمة ، ففى ذلك يقول أبو دلالة : -

أبا مسلم ما غيرَ الله نعمة \* على عبده حتى يفرها العبد  
أبا مسلم خوفنى القتل فانتخى \* عليك بما خوفنى الأسد الورد

وذكر ابن جرير أن المنصور تقدم إلى عثمان بن نهيك وشبيب بن واخ وأبى حنيفة حرب بن قيس وآخر من الحرس أن يكونوا قريباً منه ، فاذا دخل عليه أبو مسلم وخاطبه وضرب باحدى يديه على الأخرى فليقتلوه . فلما دخل عليه أبو مسلم قال له المنصور : ما فعل السيفان اللذان أصبتهما من عبد الله بن على ؟ فقال : هذا أحدهما . فقال : أرنيه ، فناوله السيف فوضعه تحت ركبته ثم قال له : ما حملك على أن تكتب لأبى عبد الله السفاح تنهاه عن الموات ، أردت أن تلعنا الدين ؟ قال : إنى ظننت أن أخنسه لا يجعل ، فلما جاءنى كتاب أمير المؤمنين علمت أنه وأهل بيته معدن العلم . قال : فلم تقدمت على فى طريق الحج ؟ قال : كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس ، فتقدمت التماس الرفق . قال : فلم لارجعت إلى حين أنك خبر موت أبى المباس ؟ قال : كرهت التضيق على الناس فى طريق الحج ، وعرفت أنا سنجتمع بالكوفة ، وليس عليك منى خلاف . قال : لجارية عبد الله بن على أردت أن تتخذها لنفسك ؟ قال : لا ، ولكن خفت أن تضيع لحماتها فى قبة وولدت بها من يحفظها . ثم قال له : ألسنت الكاتب إلى تبدأ بنفسك والكاتب إلى تخطب آمنة بنت على ؟ وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟ هذا كاه و يد المنصور فى يده يركها ويقبلها ويمتد ، ثم قال له : فما حملك على مراغمتى ودخولك إلى خراسان ؟ قال : خفت أن يكون دخلك منى شىء فأردت أن أدخل خراسان وأكتب إليك بمذرى . قال : فلم قتلت سليمان بن كثير وكان من نقبائنا ودعاتنا قبلك ؟ قال : أراد خلافى . فقال : ويحك وأنت أردت خلافى وعصيتنى ، قتلنى الله إن لم أقتلك . ثم ضربه بعمود الخيمة وخرج إليه أولئك فضر به عثمان قطع حمائل سيفه ، وضربه شبيب فقطع رجلاه ، وحل عليه بقتلهم بالسيف ، والمنصور يصيح : ويحك اضربوه قطع الله أيديكم . ثم ذبحوه

وقطموه قطعاً قطعاً ، ثم أتى في دجلة . و يروى أن المنصور لما قتله وقف عليه فقال : رحمك الله أبا مسلم ، يا بنتنا فبايمنائك ، وعاهدتنا وعاهدناك ، ووفيت لنا فوفيناك ، وإنا بإيمانك على أن لا يخرج علينا أحد في هذه الأيام إلا قتلناه ، فخرجت علينا فقتلناك ، وحكنا عليك حكك على نفسك لنا . ويقال إن المنصور قال : الحمد لله الذي أرانا يومك يا عدو الله . قال ابن جرير وقال المنصور عند ذلك : —

زعمت أن الدين لا يقتضى \* فاستوفى بالكيل أبا مجرم  
سقيت كأساً كنت تسقى بها \* أمراً في الخلق من الملقم

ثم إن المنصور خطب في الناس بعد قتل أبي مسلم فقال : أيها الناس ، لا تنفروا أطيار النعم بترك الشكر ، فتحل بكم النقم ، ولا تسروا غش الأئمة فان أحدا لا يسر منكم شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه ، وصفحات وجهه ، وطوالع نظره وإنا لن نجعل حقوقكم ما عرقم حننا ، ولا ندسى الاحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا ، ومن نازعنا هذا القميص أو طائفاً أم رأسه ، حتى يستقيم رجالكم ، وترتدح عمالكم . وإن هذا الغمر أبا مسلم بايع على أنه من ذكك ببعتنا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه ، فنكث وغدر وفجر وكفر ، فحكنا عليه لأنفسنا حكاه على غيره لنا ، وإن أبا مسلم أحسن مبتدياً وأسوأ منتهياً ، وأخذ من الناس بنا لنفسه أكثر مما أعطانا . ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره ، وعلنا من خبث سريره وفساد نيته ما لو علم اللائم لنا فيه لما لام ، ولو اطلع على ما اطلعنا عليه منه لعزنا في قتله ، وعنفنا في إمهاله ، وما زال ينقض بيمينه ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه ، فحكنا فيه حكاه في غيره ممن شق العصا ، ولم يمننا الحق له من إمضاء الحق فيه ، وما أحسن ما قال النابغة الذبياني للهمان - يعني ابن المنصور - :

فإن أطاعك فانعمه بطاعته \* كما أطاعك وأقر على الرشد  
ومن عصاك فمأقبة - مأقبة \* تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمير

وقد روى البيهقي عن الحاكم بسنده أن عبد الله بن المبارك سئل عن أبي مسلم أهو خير أم الحجاج ؟ فقال : لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكن كان الحجاج شرّاً منه ، قد آثمهم بعضهم على الاسلام ، ورموه بالزندقة ، ولم أرفها ذكره عن أبي مسلم ما يدل على ذلك ، بل على أنه كان ممن يخاف الله من ذنوبه ، وقد ادعى التوبة فيما كان منه من سفك الدماء في إقامة الدولة العباسية والله أعلم بأمره .

وقد روى الخطيب عنه أنه قال : ارتدبت الصبر ، وآثرت الكفاف ، وحالفت الأحراف والأشجان ، وشاحخت المقادير والأحكام ، حتى بلغت غاية همي ، وأدركت نهاية بنيتي . ثم أنشأ يقول :

فقد نلت بالجزم والكتان ما عجزت \* عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا  
مازلت أضر بهم بالسيف فالتجوا \* من رقبة لم ينمها قبلهم أحد  
وطفت أسمى عليهم في ديارهم \* والقوم في ملكهم في الشام قد رقدوا  
ومن رعى غنماً في أرض مسبعة \* ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقد كان قتل أبي مسلم بالمداين يوم الأربعاء لسبعمائة وخون ، وقيل لخمس بقين ، وقيل لأربع ،  
وقيل ليلتين بقيتا من شعبان من هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين ومائة - قال بعضهم : كان  
ابتداء ظهوره في رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل في شعبان سنة سبع وعشرين ومائة .  
وزعم بعضهم أنه قتل ببغداد في سنة أربعين ، وهذا غلط من قائله ، فإن بغداد لم تكن بنيت بعد  
كأذكرة الخطيب في تاريخ بغداد ، ورد هذا القول .

ثم إن المنصور شرع في تأليف أصحاب أبي مسلم بالأعطية والرغبة والرغبة والولايات ، واستدعى  
أبا إسحاق - وكان من أعز أصحاب أبي مسلم - وكان على شرطة أبي مسلم ، وهم بضرب عنقه قتال : يا أمير  
المؤمنين والله ما أمنت قط إلا في هذا اليوم ، وما من يوم كنت أدخل عليك إلا تخنطت ولبست  
كفني . ثم كشف عن ثيابه التي تلى جسده فاذا هو محنط وعليه أذراع أكفان ، فرق له المنصور وأطلقه  
وذكر ابن جرير أن أبا مسلم قتل في حروبه وما كان يتماطله لأجل دولة بني العباس ستمائة ألف  
صبراً زيادة عن من قتل بنير ذلك . وقد قال للمنصور وهو يعاتبه على ما كان يصنعه : يا أمير المؤمنين  
لا يقال لي هذا بعد بلائ وما كان مني . فقال له : يا ابن الخبيثة ، لو كانت أمة مكانك لأجزأت  
فاحيتها ، إنما عملت ما عملت بدولتنا وبريحتنا ، لو كان ذلك إليك لما وصلت إلى فنيل . ولما قتله  
المنصور لف في كساء وهو مقطوع إربا إربا ، فسئل عيسى بن موسى فقال : يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم ؟  
قال : قد كان هاهنا آنفاً . فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفت طمأنينه ونصيحته ورأى إبراهيم الإمام  
فيه . فقال له : يا أنوك والله ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه ، هاهو ذاك في البساط . فقال :  
إنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له المنصور : خلع الله قلبك ، وهل كان لك مكان أو سلطان أو أمر  
أونهى مع أبي مسلم ؟ ثم استدعى المنصور برؤس الأمراء فجعل مستشيرهم في قتل أبي مسلم قبل أن  
يطغوا بقتله ، فكلهم يشير بقتله ، ومنهم من كان إذا تكلم أسر كلامه خوفاً من أبي مسلم لئلا ينقل إليه ،  
فلما أطلعهم على قتله أفرغهم ذلك وأظهروا سزوراً كثيراً . ثم تحلب المنصور الناس بذلك كما تقدم .  
ثم كتب المنصور إلى نائب أبي مسلم على أمواله وحواسمه بكتاب على لسان أبي مسلم أن  
يقدم بجميع ما عنده من الحواصل والذخائر والأموال والجواهر ، وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم  
بكامله ، مطبوعاً بكل فص الخاتم ، فلما رآه الخازن استراب في الأمر ، وقد كان أبو مسلم تقدم إلى

خازنه أنه إذا جاءك كتابي فان رأيت مختوماً بنصف الفص فامض لما فيه ، فاني إنما أختم بنصف فصه على كني ، وإذا جاءك الكتاب مختوماً عليه بكامله فلا تقبل ولا تمض ما فيه . فامتنع عند ذلك خازنه أن يقبل ما بعث به المنصور ، فأرسل المنصور بعد ذلك إليه من أخذ جميع ذلك وقتل ذلك الرجل الخازن ، وكتب المنصور إلى أبي داود إبراهيم بن خالد بأمره خراسان كما وعده قبل ذلك عوضاً عن أبي مسلم .

وفي هذه السنة خرج سنباذ يطلب بدم أبي مسلم ، وقد كان سنباذ هذا مجوسياً تغلب على قوس وأصبهان ، ويسمى بغيروز اصهبند ، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً م عشرة آلاف فارس عليهم جهور بن مرار العجلي - فالتقوا بين همدان والري بالمغازة ، فهزم جهور لسنباذ وقتل من أصحابه ستين الفاً وسبى ذراريهم ونساءهم ، وقتل سنباذ بعد ذلك فكانت أيامه سبعين يوماً . وأخذ ما كان استحوذ عليه من أموال أبي مسلم التي كانت بالري . وخرج في هذه السنة أيضاً رجل يقال له ملبد [ بن حرمة الشيباني ] في ألف من الخوارج بالجزيرة فجهز إليه المنصور جيوشاً ممتدة كثيفة كلها تنفر منه وتنكسر ثم قاتله حميد بن قحطبة نائب الجزيرة ، فهزمه ملبد ونحصر منه حميد في بعض الحصون ثم صالحه حميد بن قحطبة على مائة ألف فدفعها إليه وقبلها ملبد وتلق عنه .

وحج بالناس في هذه السنة عم الخليفة اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس قاله الواقدي . وكان نائب الموصل - يعني عم المنصور - وعلى نيابة الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سليمان ابن علي ، وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة ، وعلى مصر صالح بن علي ، وعلى خراسان أبو داود إبراهيم ابن خالد ، وعلى الحجاز زياد بن عبد الله . ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل الخليفة بسنباذ وغيره . ومن مشاهير من توفى فيها أبو مسلم الخراساني كما تقدم ، ويزيد بن أبي زياد أحد من تكلم فيه كما ذكرناه في التكميل ، والله سبحانه أعلم .

### ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

فيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة فهدم سورها وعفا عن قدر عليه من مقاتلتها . وفيها غزا الصائفة صالح بن علي نائب مصر ، فبنى ما كان هدم ملك الروم من سور ملطية ، وأطلق لأخيه عيسى بن علي أربعين ألف دينار ، وكذلك أعطى لابن أخيه العباس بن محمد بن علي أربعين ألف دينار . وفيها بايع عبد الله بن علي الذي كسره أبو مسلم واتهمز إلى البصرة واستجار بأخيه سليمان بن علي ، حتى بايع للخليفة في هذه السنة ورجع إلى طاعته . ولكن حبس في سجن بغداد كما سيأتي . وفيها خلع جهور بن مرار العجلي الخليفة المنصور بعد ما كسر سنباذ واستحوذ على حواصله وعلى أموال أبي مسلم ، فقويت نفسه بذلك وظن أنه لا يقدر عليه بعد ، فأرسل إليه

الخليفة محمد بن الأشعث الخراساني في جيش كثيف فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزم جهور وقتل عامة من معه ، وأخذ ما كان معه من الأموال والحواصل والذخائر ، ثم لحقوه فقتلوه . وفيها قتل الملبد الخراساني على يدى خازم بن خزيمعة في ثمانية آلاف ، وقتل من أصحاب الملبد ما يزيد على ألف وانهمزم بقيتهم . قال الواقدي : وحج بالناس فيها الفضل بن علي ، والنواب فيها هم المذكورون بالتي قبلها

ومن توفي فيها من الأعيان زيد بن واقد ، والعلاء بن عبد الرحمن ، وليث بن أبي سليم في قول ، وفيها كانت خلافة الداخل من بني أمية إلى بلاد الأندلس وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان الهاشمي . قلت : ليس هو بهاشمي وإنما هو من بني أمية ويسمى أموياء ، كان قد دخل إلى بلاد المغرب فراراً من عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاجتاز بمن معه من أصحابه الذين فروا معه يقوم يقتتلون على عصبية اليمانية والمضرية ، فبعث مولاة بدرأ إليهم فاستألمهم إليه فبإيعاده ودخل بهم ففتح بلاد الأندلس واستحوز هليها وانزعها من نائبها يوسف بن عبد الرحمن ابن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وقتله . وسكن عبد الرحمن قرطبة واستمر في خلافته في تلك البلاد من هذه السنة إلى سنة ثنتين وسبعين ومائة . فتوفي فيها وله في الملك أربع وثلاثون سنة وأشهر . ثم قام من بعده ولده هشام ست سنين وأشهرأ . ثم مات فولى بعده الحكم بن هشام ستا وعشرين سنة وأشهرأ ثم مات . ثم ولي بعده عبد الرحمن بن الحكم ثلاثا وثلاثين سنة ثم مات . ثم ولي بعده محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ستا وعشرين سنة . ثم ابنة المنذر بن محمد ، ثم أخوه عبد الله بن محمد بن المنذر . وكانت أيامه بمد الثلاثمائة بدهر ، ثم زالت تلك الدولة كما سنذكره من زوال تلك السنون وأهلها وما قضوا فيها من النعيم والعيش الرغيد والنساء الحسان ثم انقضت تلك السنوات وأهلها كأنهم على ميماد ، ثم أضحوا كأنهم ورق جف ألوت عليه الصبا والذبول

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة  
فيها أكل صالح بن علي بناء ملطية ثم غزا الصائفة على طريق الحدث ، فوغل في بلاد الروم ، وغزا معه أخته أم عيسى ولبابة ابنتا علي ، وكانتا ندرتا إن زال ملك بني أمية أن يجاهدا في سبيل الله عز وجل . وفيها كان الفداء الذي حصل بين المنصور وبين ملك الروم ، فاستنقذ بعض أسرى المسلمين ثم لم يكن للناس صائفة في هذه السنة إلى سنة ست وأربعين ، وذلك لاشتغال المنصور بأمر ابني عبد الله بن حسن كما سنذكره . ولكن ذكر بعضهم أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام سنة أربعين فآله أعلم .

وفيها وسع المنصور المسجد الحرام ، وكانت هذه السنة خصبة جداً - أي كثيرة الخصب فكان

يقال لها السنة الخصبية - وقيل إنما كان ذلك في سنة أربعين . وفيها عزل المنصور عمه سليمان عن إمرة البصرة ، فاخفى عبد الله بن علي وأصحابه خوفاً على أنفسهم ، فبعث المنصور إلى نائبه على البصرة ، وهو سفيان بن معاوية ، يستحثه في إحضار عبد الله بن علي إليه ، فبعثه في أصحابه فقتل بعضهم . وسجن عبد الله بن علي معه ، وبعث بقية أصحابه إلى أبي داود نائب خراسان فقتلهم هناك وحبس بالناس فيها العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها توفى عمرو بن مجاهد ، ويزيد بن عبد الله بن الهاد ، ويونس بن عبيد ، أحد العباد وصاحب الحسن البصري .

#### ثم دخلت سنة أربعين ومائة

فيها نار جماعة من الجند على أبي داود نائب خراسان ، وحاصروا داره ، فأشرف عليهم وجعل يستغيث بجسده ليحضروا إليه ، واتكأ على آجرة في الحائط فانكسرت به فسقط فانكسر ظهره فمات ، خلفه على خراسان عاصم ، صاحب الشرطة حتى قدم الأمير من جهة الخليفة عليها ، وهو عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، فتسلم بلاد خراسان ، وقتل جماعة من الأمراء لأنه بلغه عنهم أنهم يدعون إلى خلافة آل علي بن أبي طالب ، وحبس آخرين ، وأخذ نواب أبي داود بجباية الأموال المنكسرة عندهم .

وفيها حج بالناس الخليفة المنصور أحرم من الحبرة ورجع بمد انقضاه الحج إلى المدينة ، ثم رحل إلى بيت المقدس فزاره ، ثم سلك الشام إلى الرقة ، ثم سار إلى الهاشمية - هاشمية الكوفة - ونواب الأقاليم هم المذكورون في التي قبلها ، سوى خراسان فانه مات نائبها أبو داود ، فخلفه مكانه عبد الجبار الأزدي . وفيها توفى داود بن أبي هند ، وأبو حازم سلمة بن دينار ، وسهيل بن أبي صالح ، وعمارة بن غزوية بن قيس السكوني .

#### ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

فيها خرجت طائفة يقال لها الراوندية على المنصور . ذكر ابن جرير عن المدائني أن أصلهم من خراسان ، وهم على رأي أبي مسلم الخراساني ، كانوا يقولون بالتناسخ ، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور . وأن الهيثم بن معاوية جبريل ، قبهم الله .

قال ابن جرير : فأتوا يوماً قصر المنصور فجملوا يطوفون به ويقولون : هذا قصر ربنا ، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين ، فنفضوا من ذلك وقالوا : علام تحبسهم ؟ ثم عمدوا إلى نقش حملوه على كواهلهم وليس عليه أحد ، واجتمعوا حوله كأنهم يشيرون جنازة ، واجتازوا بباب السجن ، فألقوا النمش ودخلوا السجن قهراً واستخرجوا من فيه من أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور

وم في سائمة ، فننادى الناس وغلقت أبواب البلد ، وخرج المنصور من القصر ماشياً ، لأنه لم يجد دابة يركبها ، ثم جرى بدابة فركبها وقصد نحو الراوندية وجاء الناس من كل ناحية ، وجاء ممن بن زائدة ، فلما رأى المنصور ترجل وأخذ بلجام دابة المنصور ، وقال : يا أمير المؤمنين أرجع ونحن نكفيكمهم . فأبى وقام أهل الأسواق إليهم فقاتلهم ، وجاءت الجيوش فالتفوا عليهم من كل ناحية فحصدوم عن آخرهم ، ولم يبق منهم بقية . وجرحوا عثمان بن نهيك بسهم بين كتفيه ، فرض أياماً ثم مات ، فصلى عليه الخليفة ، وقام على قبره حتى دفن ودعا له ، وولى أخاه عيسى بن نهيك على الحرس ، وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية من الكوفة .

ولما فرغ المنصور من قتال الراوندية ذلك اليوم صلى بالناس الظهر في آخر وقتها ، ثم أتى بالطعام فقال ابن ممن بن زائدة ؟ وأمسك عن الطعام حتى جاء ممن فأجلسه إلى جنبه ، ثم أخذ في شكره لمن بحضرته لما رأى من شهامته يمتد . فقال ممن : والله يا أمير المؤمنين لقد جئت وإني لوجل ، فلما رأيت استناتك بهم وإقدامك عليهم قوى قلبي واطمأن ، وما ظننت أن أحداً يكون في الحرب هكذا ، فذالك الذي شجعتني يا أمير المؤمنين . فأمر له المنصور بمشرة آلاف ورضى عنه وولاه اليمن . وكان ممن بن زائدة قبل ذلك مخنفياً ، لأنه قاتل المسودة مع ابن هبيرة ، فلم يظهر إلا في هذا اليوم . فلما رأى الخليفة صدقه في قتاله رضى عنه . ويقال : إن المنصور قال عن نفسه : أخطأت في ثلاث : قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة ، وحين خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبت الخلافة ، ويوم الراوندية لو أصابني سهم غرب لذهبت ضياعاً . وهذا من حزمه وصرامته .

وفي هذه السنة ولى المنصور ابنه محمداً المهدي من بعده ودعا به بالمهدي وولاه بلاد خراسان وعزل عنها عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وذلك أنه قتل خلقاً من شيعة الخليفة ، فشكاه المنصور إلى أبي أيوب كاتب الرسائل فقال : يا أمير المؤمنين أكتب إليه ليعث جيشاً كثيفاً من خراسان إلى غزو الروم ، فإذا خرجوا بعثت إليه من شئت فأخرجوه من بلاد خراسان ذليلاً . فكتب إليه المنصور بذلك ، فرد الجواب بأن بلاد خراسان قد عانت بها الأتراك ، ومتى خرج منها جيش خيف عليها وفسد أمرها . فقال المنصور لأبي أيوب : ماذا ترى ؟ قال : فكتب إليه : إن بلاد خراسان أحق بالمدد لشعور المسلمين من غيرها ، وقد جهزت إليك بالجنود . فكتب إليه أيضاً : إن بلاد خراسان ضيقة في هذا العام أقواتها ، ومتى دخلها جيش أفسدها . فقال الخليفة لأبي أيوب : ماتقول ؟ فقال : يا أمير المؤمنين هذا رجل قد أبدى صفحته وخلع فلا تناظره . فحينئذ بعث المنصور ابنه محمداً المهدي ليقيم بالرى ، فبعث المهدي بين يديه خازم بن خزيمه مقسمة إلى عبد الجبار ، فزال به بخدعه ومن معه حتى هرب من معه وأخفوه هو فأركبوه بغيراً محمولا وجهه إلى ناحية ذئب البعير . وسيره كذلك



في البلاد حتى أقدموه على المنصور ومعه ابنه وجماعة من أهله ، فضرب المنصور عنقه وسير ابنه ومن معه إلى جزيرة في طرف اليمن ، فأمرتهم الجنود بمد ذلك ، ثم فودى بعضهم بمد ذلك . واستقر المهدي نائبا على خراسان ، وأمره أبوه أن يفتزو طبرستان ، وأن يحارب الأصبهيند بن معه من الجنود وأمدته بجيش عليهم عمر بن العلاء ، وكان من أعلم الناس بحرب طبرستان ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِئْتَهُ \* نَصِيحًا وَلَا خَيْرَ فِي الْمَتَمِّ

إِذَا أَيَقْظَنُكَ حُرُوبَ الْمَدَى \* فَتَبَّ لَهَا عُمْرًا ثُمَّ نَمَّ

فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ \* وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا يَدْمًا

فلما توافقت الجيوش على طبرستان فتحوها وحصرها الأصبهيند حتى ألقوه إلى قلعتهم فصالحهم على ما فيها من الذخائر ، وكتب المهدي إلى أبيه بذلك ، ودخل الأصبهيند بلاد الديلم فمات هناك . وكسروا أيضا ملك الترك الذي يقال له المصمغان ، وأسروا أمما من الدراري ، فهذا فتح طبرستان الأول . وفيها فرغ بناء المصيصة على يدي جبريل بن يحيى الخراساني ، وفيها رابط محمد بن إبراهيم الامام ببلاد ملطية . وفيها عزل المنصور زياد بن عبيد الله عن إمرة الحجاز وولى المدينة محمد بن خالد القسري وقدمها في رجب . وولى مكة والطائف الهيثم بن معاوية المكي . وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرطة المنصور . وعلى مصر من كان عليها في السنة الماضية ، ثم ولى مصر محمد بن الأشعث ثم عزله عنها وولى عليها نوفل بن الفرات . وحج بالناس فيها صالح بن علي وهو نائب قلسرين وحمص ودمشق ، وبقية البلاد عليها من ذكرنا في التي قبلها والله أعلم .

وفيها توفي أبان بن تغلب ، وموسى بن عقبة ، صاحب المغازي ، وأبو إسحاق الشيباني في قول

والله سبحانه أعلم . ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائة

فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب نائب السند الخليفة ، فجهز إليه المسامر محبة عمر بن حفص ابن أبي صفرة ، وولاه السند والهند ، فخاربه عمر بن حفص وقهره على الأرض وتسلمها منه . وفيها نكث أصبهيند طبرستان العهد الذي كان بينه وبين المسلمين ، وقتل طائفة ممن كان بطبرستان ، فجهز إليه الخليفة الجيوش محبة خازم بن خزيمه ، وروح بن حاتم ، ومعهم مرزوق أبو الخصيب ، مولى المنصور ، محاصروه مدة طويلة ، فلما أعيام فتح الحصن الذي هو فيه احتالوا عليه ، وذلك أن أبا الخصيب قال : اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ، ففعلوا ذلك ، فذهب إليه كأنه مفاضب للمسلمين قد ضربوه وحلقوا لحيته ، فدخل الحصن ففرح به الأصبهيند وأكرمه وقربه ، وجعل أبو الخصيب يظهر له النصح والخدمة حتى خدعه ، وحظي عنده جدا وجعله من جملة من يتولى فتح الحصن وغلبته ، فلما تمكن من ذلك كاتب المسلمين وأعلمهم أنه في الليلة الثلاثية يفتح لهم ، فاقتربوا من الباب حتى

أفتنحه لكم ، فلما كانت تلك الليلة فتح لهم باب الحصن فدخلوا فقتلوا من فيه من المقاتلة وسبوا الذرية وامتص الأصبهنيذ خاتماً ، سموماً فبات . وكان فيمن أسروا يومئذ أم منصور بن المهدي ، وأم إبراهيم ابن المهدي ، وكاتنا من بنات الملوك الحسان .

وفيها بنى المنصور لأهل البصرة قبائهم التي يصلون عندها بالجبان ، وتولى بناءها سلمة بن سعيد ابن جابر نائب الفرات والأبلة . وصام المنصور شهر رمضان بالبصرة وصلى بالناس العيد في ذاب المصلى . وفيها عزل المنصور نوفل بن الفرات عن إمرة مصر وولى عليها حميد بن قحطبة . وحج بالناس فيها إسماعيل بن علي . وفيها توفي سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة ونائب البصرة . كان ذلك يوم السبت لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وصلى عليه أخوه عبد الصمد . روى عن أبيه وعكرمة وأبي بردة بن أبي موسى . وعنه جماعة منهم بنوه جعفر ، ومحمد ، وزينب والأصمى . وكان قد شاب وهو ابن عشرين سنة وخضب لحيته من الشيب في ذلك السن ، وكان كريماً جواداً مدمحاً . كان يعتق عشية عرفة في كل سنة مائة نسمة ، وبلغت صلواته ابني هاشم وسائر قرشي والألصار خمسة آلاف ألف واطلع يوماً من قصره فرأى نسوة ينزلن في دار من دور البصرة ، فاتفق في نظره هذا البهن أن قالت واحدة منهن : لو أن الأمير نظر إلينا واطلع على حالنا فأغنانا عن النزول ؟ فنهض من فوره فجعل يدور في قصره ويجمع من حلى نسائه من الذهب والجارهر وغيرها ما ملأ به منديلاً كبيراً ، ثم دلاه إليهن ونثر عليهن من الدنانير والدرهم شيئاً كثيراً ، فانت إحداهن من شدة الفرح ، فأعطى ديتهما وما تركته من ذلك لورثتها . وقد ولى الحج في أيام السفاح ، وولى البصرة أيام المنصور ، وكان من خيار بني العباس ، وهو أخو إسماعيل وداود وصالح وعبد الصمد وعبد الله وعيسى ومحمد ، وهو عم السفاح والمنصور .

ومن توفي فيها من الأعيان خالد الحذاء ، وعاصم الأحول ، وعمر بن عبيد القدرى في قول . وهو عمرو بن عبيد بن ثوبان ، ويقال ابن كيسان ، التميمي مولاهم أبو عثمان البصرى ، من أبناء فارس ، شيخ القدرية والمتمثلة . روى الحديث عن الحسن البصرى وعبيد الله بن أنس ، وأبي المالية وأبي قلابة ، وعنه الجمادان وسفيان بن عيينة والأعمش . وكان من أقرانه . وعبد الوارث ابن سعيد ، وهارون بن موسى ، ويحيى القطان ، ويزيد بن زريع . قال الامام أحمد بن حنبل : ليس بأهل أن يحدث عنه . وقال علي بن المديني ويحيى بن معين : ليس بشيء ، وزاد ابن معين وكان رجلاً سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع . وقال الفلاس : متروك صاحب بدعة . كان يحيى القطان يمدئنا عنه ثم تركه وكان ابن مهدي لا يحدث عنه . وقال أبو حاتم : متروك . وقال اللسائي ليس بثقة . وقال شعبة عن بونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكتب في الحديث .

وقال حماد بن سلمة : قال لي حميد : لاتأخذ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصرى . وكذا قال أيوب وعرف وابن عون . وقال أيوب : ما كنت أعده عقلا ، وقال مطر الوراق : والله لا أصدقه في شئ . وقال ابن المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر . وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل ، وأثنى عليه آخرون في عبادته ورهده وتشفه . قال الحسن البصرى : هذا سيد شباب القراء ما لم يحدث . قالوا : فأحدث والله أشد الحديث . وقال ابن حبان : كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسوا المعتزلة ، وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث ، وهما لاتعمداً . وقد روى عنه أنه قال : إن كانت تبت يدا أبي لب في الأرح المحفوظ فما تمد منه على ابن آدم حجة . وروى له حديث ابن مسعود : حدثنا الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً » حتى قال : « فيؤمر بأربع كلمات . رزقه وأجله ، وعمله ، وشقى أم سعيد » إلى آخره . فقال : لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته ، ولو سمعته من زيين وهب لمسا أحببته ، ولو سمعته من ابن مسعود لمسا قبلته ، ولو سمعته من رسول الله رس . لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت ما على هذا أخذت علينا الميثاق . وهذا من أفتيح الكفر ، لعنه الله إن كان قال هذا . وإذا كان مكنوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه وقد قال عبد الله ابن المبارك رحمه الله :

أهأ الطالبُ علماً \* إيت حماد بن زيد \* نخذ العلم بحلم \* ثم قيده بقيد  
وذو البدعة من \* آثار عمرو بن عبيد

وقال ابن عسدي : كان عمرو يفر الناس نتقشته ، وهو مذموم ضعيف الحديث جدا ، ملين بالبدع . وقال الدارقطني : ضعيف الحديث . وقال الخطيب البغدادي : جالس الحسن واشتهر بصحبته ثم أزاله [ واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه ، واعتزل أصحاب الحديث ، وكان له سمت وإظهار زهد . وقد قيل : إنه ]<sup>(١)</sup> واصل بن عطاء ولدا سنة ثمانين ، وحكى البخارى أن عمراً مات سنة ثنتين أو ثلاث وأربعين ومائة بطريق مكة ، وقد كان عمر ومخظياً عند أبي جعفر المنصور ، كان المنصور يحبه ويعظمه لأنه كان يفند على المنصور مع القراء فيمعاتهم المنصور فيأخذون ، ولا يأخذ عمرو منه شيئاً ، وكان يسأله أن يقبل كما يقبل أصحابه فلا يقبل منه ، فكان ذلك مما يفر المنصور و يروج به عليه حاله ، لأن المنصور كان بخيلاً وكان يعجبه ذلك منه وينشد :

كلكم يمشي رويده \* كلكم يطلب صيد \* غير عمرو بن عبيد

ولو تبصر المنصور لعل أن كل واحد من أولئك القراء خير من ملء الأرض مثل عمرو بن عبيد ،

والزهد لا يدل على صلاح ، فان بهض الرهبان قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه عمر ولا كثير من المسلمين في زمانه . وقد روينا عن إسحاق بن خالد التميمي قال : رأيت الحسن بن جعفر في المنام بعد ما مات بهبادة فقال لي : أبوب ويونس وابن عون في الجنة . قلت : فعمر و بن عبيد ؟ قال : في النار . ثم رآه مرة ثانية ويروي ثالثة ، فيسأله فيقول له مثل ذلك . وقد رؤيت له منامات قبيحة ، وقد أطال شيخنا في تهذيبه في ترجمته وخلصنا حاصلها في كتابنا التكميل ، وأشرنا ههنا إلى نبت من حاله ليعرف فلا يغتر به والله أعلم .

### ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

فيها نذب المنصور الناس إلى غزو الديلم ، لأنهم قتلوا من المسلمين خلقا ، وأمر أهل الكوفة والبصرة من كان منهم يقدر على عشرة آلاف فصاعداً فليذهب مع الجيش إلى الديلم ، فاتدب خلق كثير وجم غفير لذلك . وحجج بالناس فيها عيسى بن موسى نائب الكوفة وأعمالها . وفيها توفي حجاج الصواف ، وحيد بن روبة الطويل ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وقد ذكرناه في التي قبلها ، وعمر و بن عبيد في قول ، وليث بن أبي سليم على الصحيح . ويحيى بن سعيد الأنصاري .

### ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

فيها سار محمد بن أبي العباس السفاح عن أمر عمه المنصور إلى بلاد الديلم ومعهم الجيوش من الكوفة والبصرة واسط والموصل والجزيرة . وفيها قدم محمد بن جعفر المنصور المهدي على أبيه من بلاد خراسان ودخل بآبنة عمه رايدة بنت السفاح بالحيرة . وفيها حجج بالناس أبو جعفر المنصور واستخلف على الحيرة والعسكر خازم بن خزيمية ، وولى رباح بن عثمان المزني المدينة وعزل عنها محمد بن خالد القسري ، وتلقى الناس أبا جعفر المنصور إلى أثناء طريق مكة في حجة في سنة أربع وأربعين ومائة . وكان في جملة من تلقاه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، فأجلسه المنصور معه على السباط ، ثم جعل يحادثه باقبال زائد بحيث إن المنصور اشتغل بذلك عن عامة غدائه ، وسأله عن ابنه إبراهيم ومحمد لم لا جاآني مع الناس ؟ فحلف عبد الله بن حسن أنه لا يدرى أين صارا من أرض الله . وصدق في ذلك ، وما ذلك إلا أن محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايعه جماعة من أهل الحجاز في أواخر دولة مروان الحمار بالخلافة وخلع مروان ، وكان في جملة من بايعه على ذلك أبو جعفر المنصور ، وذلك قبل تحويل الدولة إلى بني العباس ، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً .

وذلك لأن المنصور توهم منهما أنهما لا بد أن يخرججا عليه كما أرادا أن يخرججا على مروان ، والذي توهم منه المنصور وقع فيه ، فذهب هرباً في البلاد الشاسمة فصارا إلى اليمن ، ثم سارا إلى الهند فاخترنيا

بها ، فدل على مكانتهما الحسن بن زيد فهربا إلى موضع آخر ، فاستبدل عليه الحسن بن زيد ودل عليهما ، ثم كذلك . وانتصب إليهما عند المنصور . والمعجب منه أنه من أتباعهما . واجتهد المنصور بكل طريق على تحصيلهما فلم يوفق له ذلك ، وإلى الآن . فلما سأل أباهما عنهما حلف أنه لا يدري أين صارا من أرض الله ، ثم ألح المنصور على عبد الله في طلب ولديه فغضب عبد الله من ذلك وقال : والله لو كانا تحت قدمي مادلتك عليهما . فغضب المنصور وأمر بسجنه وأمر ببيع رقيقته وأمواله ، فلبث في السجن ثلاث سنين ، وأشاروا على المنصور بحبس بنى حسن عن آخرهم فحبسهم ، وجد في طلب إبراهيم ومحمد جدا ، هذا وهما يحضران الحج في غالب السنين ويكنان في المدينة في غالب الأوقات ، ولا يشمر بهما من يتم عليهما والله الحمد . والمنصور يعزل نائبا عن المدينة ويولي عليها غيره ويحرضه على إمساكهما والفحص عنهما ، وبذل الأموال في طلبهما ، وتمجزه المقادير عنهما لما يريد الله عز وجل .

وقد واطأهما على أمرهما أمير من أمراء المنصور يقال له أبو العساكر خالد بن حسان ، فمزوا في بعض الحجرات على الفتك بالمنصور بين الصفا والمروة ، فنهام عبد الله بن حسن لشرف البقعة . وقد اطاع المنصور على ذلك وعلم بما مالا هما ذلك الأمير ، فمذبه حتى أفر بما كانوا تمالؤا عليه من الفتك به . فقال : وما الذي صرفكم عن ذلك ؟ فقال : عبد الله بن حسن نهانا عن ذلك ، فأمر به الخليفة فغيب في الأرض فلم يظهر حتى الآن . وقد استشار المنصور من يعلم من أمرائه ووزرائه من ذوى الرأي في أمر ابني عبد الله بن حسن ، وبعث الجواسيس والقصاد في البلاد فلم يقع لهما على خير ، ولا ظهر لهما على عين ولا أثر ، والله غالب على أمره . وقد جاء محمد بن عبد الله بن حسن إلى أمه فقال يا أمه إني قد شققت على أبي وعمومتي ، وقد هممت أن أضع يدي في يد هؤلاء لأربح أهلي . فذهبت أمه إلى السجن فعرضت عليهن ما قال ابنها ، فقالوا : لا ولا كرامة ، بل نصبر على أمره فلعل الله أن يفتح على يديه خيراً ، ونحن نصبر وفرجنا بيد الله إن شاء فرج عنا ، وإن شاء ضيق . وتمالؤا كلهم على ذلك رحمهم الله .

وفيها نقل آل حسن من حبس المدينة إلى حبس بالعراق وفي أرجلهم القيود ، وفي أعناقهم الأغلال . وكان ابتداء تهبيدهم من الرينة بأمر أبي جعفر المنصور ، وقد أشخص معهم محمد بن عبد الله الثماني ، وكان أخا عبد الله بن حسن لأمه ، وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وقد حملت قريباً ، فاستحضره الخليفة وقال : قد حلفت بالعتاق والطلاق إنك لم تفتني ، وهذه ابنتك حامل ، فإن كان من زوجها فقد حبست منه وأنت تعلم به ، وإن كان من غيره فأنت ديوث . فأجابته الثماني بجواب أحفظه به ، فأمر به فخردت عنه ثيابه فاذا جسمه مثل الغضة النقية ، ثم

ضربه بين يديه مائة وخمسين سوطاً ، منها ثلاثون فوق رأسه ، أصاب أحدها عينه فسالت ، ثم رده إلى السجن وقد بقي كأنه عبد أسود من زرقه الضرب ، وتراكم الدماء فوق جلده ، فأجلس إلى جانب أخيه لأنه عبد الله بن حسن ، فاستسقى ماءً فما جسر أحد أن يسقيه حتى سقاه خراساني من جملة الجلّالوزة الموكلين بهم . ثم ركب المنصور هودجه وأركبوا أولئك في محامل ضيقة ، وعليهم القيود والأغلال ، فاجتاز بهم المنصور وهو في هودجه ، فناداه عبد الله بن حسن : والله يا أبا جعفر ما هكذا صنعنا بأسرائكم يوم بدر ، فأخسأ ذلك المنصور وثقل عليه ونفر عنهم . ولما اتهموا إلى العراق حبسوا بالماشمية ، وكان فيهم محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وكان جميلاً فتياً ، فكان الناس يذهبون لينظروا إلى حسنه وجماله . وكان يقال له : الديباج الأصفر ، فأحضره المنصور بين يديه وقال له : أما لاقتلتك قتلة ما قتلتها أحداً . ثم ألقاه بين اسطواناتين وسد عليه حتى مات . فعلى المنصور ما يستحقه من عذاب الله ولعنته . وقد هلك كثير منهم في السجن حتى فرج عنهم بعد هلاك المنصور على ما سنذكره . فكان فيمن هلك في السجن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وقد قيل والأظهر أنه قتل صبراً ، وأخوه إبراهيم بن الحسن وغيرهما ، وقل من خرج منهم من الحبس ، وقد جعلهم المنصور في سجن لا يسمعون فيه أذاناً ، ولا يعرفون فيه وقت صلاة إلا بالتلاوة ، ثم بعث أهل خراسان يشتمون في محمد بن عبد الله العثماني ، فأمر به فضربت عنقه وأرسل برأسه إلى أهل خراسان ، لا جزاء الله خيراً ، ورحم الله محمد بن عبد الله العثماني .

وهو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي رحمه الله ، أبو عبد الله المدني المعروف بالديباج ، لحسن وجهه . وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي ، روى الحديث عن أبيه وأمه وخارجه بن زيد وطاوس وأبي الزناد والزهرى ونافع وغيرهم ، وحدث عنه جماعة ، ووثقه النسائي وابن حبان ، وكان أخا عبد الله بن حسن لأنه ، وكانت ابنته رقية زوجة ابن أخيه إبراهيم بن عبد الله ، وكانت من أحسن النساء ، وبسببها قتله أبو جعفر المنصور في هذه السنة . وكان كريماً جواداً ممدحاً . قال الزبير بن بكار : أنشدني سليمان بن عباس السعدي لأبي وجرة السعدي يمدحه .

وجدنا المحض الأبيض من قریش \* فتى بين الخليفة والرسول  
أناك المجد من هنا وهناك \* وكنت له بمعلج السيول  
فما للمجد دونك من مبيت \* وما للمجد دونك من مقيل  
ولا يمضى وراك بيتفیه \* ولا هو قابل بك من بدیل  
ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

فما كان فيها من الأحداث مخرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة ،

على ما سئبته إن شاء الله . أما محمد فانه خرج على أثر ذهاب أبي جعفر المنصور باهله بنى حسن من المدينة إلى العراق على الصفة والنمت الذى تقدم ذكره ، وسجنهم فى مكان ساء مستقراً ومقاماً ، لا يسمعون فيه أذاناً ولا يعرفون فيه دخول أوقات صلوات إلا بالأذكار والتلاوة . وقد مات أكثر أكابرهم هنالك رحمهم الله . هذا كله ومحمد الذى يطلبه مختلف بالمدينة ، حتى أنه فى بعض الأحيان اختفى فى بئر نزل فى مائه كله إلا رأسه ، وباقية مغمور بالماء ، وقد تواعد هو وأخوه وقتناً معيناً يظهران فيه ، هو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، ولم يزل الناس - أهل المدينة وغيرهم - يؤنبون محمد بن عبد الله فى اختفائه وعدم ظهوره حتى عزم على الخروج ، وذلك لما أضر به شدة الاختفاء . وكثرة الخلاج رياح نائب المدينة فى طلبه ليلًا ونهاراً ، فلما اشتد به الأمر وضاق الحال واعد أصحابه على الظهور فى الليلة الغلانية ، فلما كانت تلك الليلة جاء بعض الوشاة إلى متولى المدينة فأعلمه بذلك ، فضاق ذرعاً وانزعج لذلك انزعاجاً شديداً ، وركب فى جحافل فطاف بالمدينة وحول دار مروان ، وهم مجتمعون بها ، فلم يشمر بهم . فلما رجع إلى منزله بعث إلى بنى حسين بن على فجمعهم ومعهم رؤس من سادات قريش وغيرهم ، فوعظهم وأنهم وقال : يا معشر أهل المدينة ، أمير المؤمنين يتطلب هذا الرجل فى المشارق والمغرب وهو بين أظهركم ، ثم ما كناكم حتى بايعتموه على السمع والطاعة ؟ والله لا يبلغنى عن أحد منكم خرج معه إلا ضربت عنقه . فأبكر الذين هم هنالك حاضرون أن يكون عندهم علم أو شعور بشئ من هذا ، وقالوا : نحن نأتيك برجال مسلحين يقاوتون دونك إن وقع شئ من ذلك . فنهضوا ليلًا بمجموعة مسلحين فاستأذنوه فى دخولهم عليه ، فقال : لا إذن لهم ، إني أخشى أن يكون ذلك خديعة . فجلس أولئك على الباب ومكث الناس جالساً حول الأمير وهو واجم لا يتكلم إلا قليلاً حتى ذهبت طائفة من الليل ، ثم ما فجئى الناس إلا وأصحاب محمد بن عبد الله قد ظهروا وأعلنوا بالتكبير ، فانزعج الناس فى جوف الليل ، وأشار بعض الناس على الأمير أن يضرب أعناق بنى حسين ، فقال أحدهم : سلام ونحن مقرون بالطاعة ؟ واشتغل الأمير عنهم بما لجأه من الأمر ، فاغتنموا الغفلة ونهضوا سريعاً فتسوروا جدار الدار وألقوا أنفسهم على كناسة هنالك .

وأقبل محمد بن عبد الله بن حسن فى مائتين وخمسين ، فر بالسجن فأخرج من فيه ، وجاء دار الامارة فحاصرها فانفتحها ومسك الأمير رياح بن عثمان نائب المدينة فسجنه فى دار مروان ، وسجن معه ابن مسلم بن عقبة ، وهو الذى أشار بقتل بنى حسين فى أول هذه الليلة فنجوا وأحيط به . وأصبح محمد بن عبد الله بن حسن وقد استظهر على المدينة ودان له أهلها ، فصلى بالناس الصبح وقرأ فيها سورة إننا فتحنا لك فتحنا مبيناً . وأسفرت هذه الليلة عن مستهل رجب من هذه السنة . وقد خطب محمد بن عبد الله أهل المدينة فى هذا اليوم ، ونسكلم فى بنى العباس وذكر عنهم أشياء ذمهم

بها ، وأخبرهم أنه لم ينزل بلدًا من البلدان إلا وقد بايعوه على السمع والطاعة ، فبايعه أهل المدينة كلهم إلا القليل .

وقد روى ابن جرير عن الامام مالك أنه أفتى الناس بمبايعته ، فقيل له فان في أعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : إنما كنتم مكرهين وليس لمكره بيعة . فبايعه الناس عند ذلك عن قول مالك ، ولزم مالك بيته . وقد قال له إسماعيل بن عبد الله بن جعفر حين دعاه إلى بيعته : يا ابن أخي إنك مقتول . فارتدع بعض الناس عنه واستمر جمهورهم معه ، فاستناب عليهم عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائهما عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله الحزمي ، وعلى شرطتهما عثمان بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن مسور بن مخزومة ، وتلقب بالمهدى طمعاً أن يكون هو المذكور في الأحاديث فلم يكن به ، ولا يتم له مارجاه ولا ما تمناه ، فانا لله . وقد ارتحل بعض أهل المدينة عنها ليلة دخلها ، فطوى المراحل البعيدة إلى المنصور في سبع ليال ، فورد عليه فوجده نائماً في الليل ، فقال للربيع الحاجب : استأذن على الخليفة ، فقال : إنه لا يوقظ في هذه الساعة . فقال : إنه لا يد من ذلك فأخبر الخليفة بفرج فقال : ويحك ! ما وراءك ؟ فقال : إنه خرج ابن حسن بالمدينة . فلم يظهر المنصور لذلك أكثرًا وانزعاجًا ، بل قال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ! فقال : هلك والله وأهلك معه من اتبعه . ثم أمر بالرجل فسجن ، ثم جاءت الأخبار بذلك فتواترت . فأطلقه المنصور وأطلق له عن كل ليلة ألف درهم فأعطاه سبعة آلاف درهم .

ولما تحقق المنصور الأمر من خروجه ضاق ذرعاً ، فقال له بعض المنجمين : يا أمير المؤمنين لا عليك منه ، فوالله لو ملك الأرض بمخاضها فانه لا يقيم أكثر من سبعين يوماً . ثم أمر المنصور جميع رؤس الأمراء أن يذهبوا إلى السجن فيجتمعوا بمهد الله بن حسن - والد محمد - فيخبروه بما وقع من خروج ولده ويسمعوا ما يقول لهم . فلما دخلوا عليه أخبروه بذلك فقال : ما ترون ابن سلامة فاعلا ؟ - يعني المنصور - فقالوا : لا ندري . فقال : والله لقد قتل صاحبكم البخل يبنى له أن ينفق الأموال ويستخدم الرجال ، فان ظهر فاسترجع ما أنفق سهل ، وإلا لم يكن لصاحبكم شيء في الخزائن وكان ماخزن لغيره . فرجموا إلى الخليفة فأخبروه بذلك ، وأشار الناس على الخليفة بمناجزته ، فاستدعى عيسى بن موسى فندبه إلى ذلك ، ثم قال : إني سأكتب إليه كتاباً أنذره به قبل قتاله فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : [ إنما جزاء الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ] الآية إلى قوله [ فاعلموا أن الله غفور رحيم ] ثم قال : فلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ، إن أنت رجعت إلى الطاعة لأؤثرك



ومن اتبعتك ، ولأعطيتك أنت أنت ذرهم ، ولأدعيتك تقيم في أحب البلاد إليك ، ولأقضيتك لك جميع حوائجك ، في كلام طويل . فكتب إليه محمد جواب كتابه :

من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله بن حسن : [ بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين ، تنزل عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ، وزيد أن ممن على الذين استضعفوا في الأرض ونجمدهم أممته ونجمدهم الوارثين ] ثم قال : وإني أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليّ ، فأنا أحق بهذا الأمر منك ، وأنتم إنما وصلتم إليه بنا ، فان علياً كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ونحن أشرف أهل الأرض نسبا ، فرسول الله خير الناس وهو جسدنا ، وجدتنا خديجة وهي أفضل زوجاته ، وفاطمة ابنته أمنا وهي أكرم بناته ، وإن هاشما ولد عليا مرتين ، وإن حسنا ولده عبد المطلب مرتين ، وهو وأخوه سيدي شباب أهل الجنة ، وإن رسول الله (ص) ، ولد أبي مرتين ، وإني أوسط بني هاشم نسبا ، [ وأصرحهم أباً ، لم تترق في المعجم . ولم تنازع في أمهات الأولاد ] (١) فانا ابن أرفع الناس درجة في الجنة ، وأخفهم عذابا في النار . فانا أولى بالأمر منك ، وأولى بالمهد وأوفى به منك ، فانك تعطي المهدي ثم تتسكت ولا تفي ، كما فعلت بابن هبيرة فانك أعطيت المهدي ثم غدرت به ، ولا أشد عذابا من إمام غادر ، وكذلك فعلت بمعك عبد الله بن علي ، وأبي مسلم الخراساني . ولو أعلم أنك تصدق لأجبتك لما دعوتني إليه ، ولكن الوفاء بالمهد من مثلك لمثل بعيد والسلام .

فكتب إليه أبو جعفر جواب ذلك في كتاب طويل حاصله : أما بعد فقد قرأت كتابك فاذا جل فترك وإدلالك قرابة النساء لتضل به الجنة والغواية ، ولم يجعل الله النساء كالممومة والآباء ، ولا كالمصبية والأولياء ، وقد أنزل الله [ وأنذر عشيرتک الأقربين ] وكان له حيلند أربعة أعمام ، فاستجاب له اثنان أحدهما جدنا ، وكفر اثنان أحدهما أبوك - يعني جده أبا طالب - فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينهما إلا ولاذمة ، وقد أنزل الله في عدم إسلام أبي طالب [ إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ] وقد نغرت به وأنه أخف أهل النار عذابا ، وليس في الشرخيار ، ولا يلبي مؤمن أن يفخر بأهل النار ، ونغرت بأن عليا ولده هاشم مرتين . وأن حسنا ولده عبد المطلب مرتين ، فهذا رسول الله (ص) ، إنما ولده عبد الله مرة واحدة ، وقولك إنك لم تملك أمهات أولاد ، فهذا إبراهيم ابن رسول الله (ص) ، من مارية ، وهو خير منك ، وعلي بن الحسن من أم ولد وهو خير منك ، وكذلك ابنه محمد بن علي ، وابنه جعفر بن محمد ، جدتهما أمهات أولاد وهما خير منك ،

(١) زيادة من الطبري جئنا بها للناسبة .

وأما أولئك بنو رسول الله (ص)، فقد قال تعالى: [ما كان محمد أباً أحد من رجالكم] وقد جاءت السنة التي لا خلاف فيها بين المسلمين أن الجد أباً الأم والخال والخالة لا يورثون، ولم يكن لفاطمة ميراث من رسول الله (ص)، بنص الحديث؛ وقد مرض رسول الله (ص)، وأبوك حاضر فلم يأمره بالصلاة بالناس، بل أمر غيره. ولما توفي لم يمسد الناس بأبي بكر وعمر أحداً، ثم قدموا عليه عثمان في الشورى والخلافة، ثم لما قتل عثمان اتهمه بعضهم به، وقاتله طلحة والزبير على ذلك، وامتنع سعد من مبايعته ثم بعد ذلك معاوية، ثم طلبها أبوك وقاتل عليها الرجال، ثم اتفق على التحكيم فلزم به، ثم صارت إلى الحسن فباعها بمخزوم ودرهم، وأقام بالحجاز يأخذ مالا من غير حله، وسلم الأمر إلى غير أهله، وترك شيعته في أيدي بني أمية ومعاوية. فان كانت لسكم فقد تركتموها وبتموها بشمها. ثم خرج حرك حسين على ابن مرجانة وكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوك وصلبوك على جذوع النخل، وحرقوك بالنار، وحلوا نساءكم على الإبل كالسبايا إلى الشام، حتى خرجنا عليهم نحن فأخذنا بثأركم، وأدركنا بدمائكم، وأورثناكم أرضهم وديارهم، وذكركمنا فضل سلفكم، فجعلت ذلك حجة علينا، وظنفت أنا إنما ذكرنا فضله على أمثاله على حمزة والعباس وجعفر، وليس الأمر كما زعمت، فان هؤلاء مضوا ولم يدخلوا في الفتن، وسلبوا من الدنيا فلم تنقصهم شيئاً، فاستوفوا ثوابهم كاملاً، وابتلى بذلك أبوك. وكانت بنو أمية تلعننه كما تلعن الكفرة في الصلوات المكتوبات، فأحيينا ذكره وذكركمنا فضله وعنفانهم بما نالوا منه، وقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية بسقاية الحجيج الأعظم، وخدمة زمزم، وحكم رسول الله (ص)، لنا بها. ولما قعط الناس زمن عمر استسقى بأبينا العباس، وتوسل به إلى ربه وأبوك حاضر، وقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد رسول الله (ص)، إلا العباس، فالسقاية سقايته، والوراثة وراثته، والخلافة في ولده، فلم يبق شرف في الجاهلية والاسلام إلا والعباس وادته ومورثه، في كلام طويل فيه بحث ومناظرة وفصاحة. وقد استقصاه ابن جرير بطوله والله سبحانه أعلم.

### قصة أبي بكر

#### مقتل محمد بن عبد الله بن حسن

بعث محمد بن عبد الله بن حسن في غيرون ذلك رسولا إلى أهل الشام يدعوهم إلى بيعته وخلافته فأبوا قبول ذلك منه، وقالوا: قد ضجرتنا من الحروب وللنا من القتال. وجعل يستميل رؤس أهل المدينة، فتمهم من أجباه ومنهم من امتنع عليه، وقال له بعضهم: كيف أبائك وقد ظهرت في بلد ليس فيه مال تستعين به على استخدام الرجال؟ ولزم بعضهم منزله فلم يخرج حتى قتل محمد. وبعث محمد هذا الحسين بن معاوية في سبهم رجلا ونحواً من عشرة فوارس إلى مكة فأثبأ إن هو دخلها

فساروا إليها ، فلما بلغ أهلها قدومهم خرجوا إليهم في ألوف من المقاتلة ، فقال لهم الحسين بن معاوية :  
 علام تقاتلون وقد مات أبو جعفر ؟ فقال السري بن عبد الله زعيم أهل مكة : إن برده جاءتنا من  
 أربع ليال وقد أرسلت إليه كتاباً فأنا أنتظر جوابه إلى أربع ، فان كان ما تقولون حقاً سلمتكم البلد  
 وعلى مؤنة رجالكم وخيلكم . فامتنع الحسن بن معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة ، وحلف لا يبيت  
 الليلية إلا بمكة ، إلا أن يموت . وأرسل إلى السري أن ابرز من الحرم إلى الحل حتى لا تراق الدماء  
 في الحرم . فلم يخرج ، فتنهوا إليهم فصافوهم فحمل عليه الحسن وأصحابه حملة واحدة فهزموهم وقتلوا  
 منهم نحو سبعة ، ودخلوا مكة . فلما أصبحوا خطب الحسن بن معاوية الناس وأغرام بأبي جعفر ،  
 ودعاهم إلى محمد بن عبد الله بن حسن المهدي .

### خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن

وظهر بالبصرة أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وجاء البريد إلى أخيه محمد فأنهى إليه  
 ليلاً فاستؤذن له عليه وهو بدار مروان فطارق بابها . فقال : اللهم إني أعوذ بك من شر طوارق الليل  
 والنهار إلا طارقاً يطارق بخبر يا رحمن . ثم خرج فأخبر أصحابه عن أخيه فاستبشروا جداً وفرحوا  
 كثيراً ، وكان يقول للناس بعد صلاة الصبح والمغرب : ادعوا لله لاخوانكم أهل البصرة ، وللعسرين  
 ابن معاوية بمكة ، واستنصروه على أعدائكم .

وأما ما كان من المنصور فإنه جهز الجيوش إلى محمد بن عبد الله بن حسن ، وصحبة عيسى بن  
 موسى عشرة آلاف فارس من الشجمان المنتخبين ، منهم محمد بن أبي العباس السفاح وجعفر بن  
 حنظلة البهراني ، وحמיד بن قحطبة ، وكان المنصور قد استشاره فيه فقال : يا أمير المؤمنين ادع بمن  
 شئت ممن تثق به من مواليك فابث بهم إلى وادي القرى بمنهونهم من ميرة الشام ، فيموت هو ومن  
 معه جوعاً ، فإنه يبذل ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح . وقدم بين يديه كثير بن الحصين  
 العبدي وقد قال المنصور لعيسى بن موسى حين ودعه : يا عيسى ! إني أبعثك إلى جنبي هذين ، فان  
 ظفرت بالرجل فشم سيفك وناد في الناس بالأمان وإن تغيب فضعهم إياه حتى يأتوك به ، فانهم أعلم  
 بمذاهبه . وكتب معه كتباً إلى رؤساء قريش والأنصار من أهل المدينة يدفعها إليهم خفية يدعوم  
 إلى الرجوع إلى الطاعة . فلما اقترب عيسى بن موسى من المدينة بعث الكتب مع رجل فآخذه  
 حرس محمد بن عبد الله بن حسن فوجدوا معه تلك الكتب فدفعوها إلى محمد فاستحضر جماعة  
 من أولئك فماتهم وضمهم ضرباً شديداً وقيدهم قيوداً ثقالاً ، وأودعهم السجن . ثم إن محمد استشار  
 أصحابه بالقيام بالمدينة حتى يأتي عيسى بن موسى فيحاصروها ، أو أنه يخرج بمن معه فيقاتل أهل  
 العراق ؟ فنهى عن أشار بهذا ، ومنهم من أشار بذلك ، ثم اتفق الرأي على المقام بالمدينة ، لأن رسول

الله (س)، ندم يوم أحد على الخروج منها، ثم اتفقوا على حفر خندق حول المدينة كما فعل رسول الله (س)، يوم الأحزاب، فأجاب إلى ذلك كله، وحفر مع الناس في الخندق بيده اقتداء برسول الله (س)، وقد ظهر لهم لبنة من الخندق الذي حفره رسول الله (س)، وفرحوا بذلك وكبروا وبشروه بالنصر. وكان عهد حاضراً عليه قباه أبيض وفي وسطه منطقة، وكان شكلاً ضخماً أسمر عظيم الهامة.

ولما نزل عيسى بن موسى الأعوص واقترب من المدينة، صعد محمد بن عبد الله المنبر فخطب الناس وحثهم على الجهاد - وكانوا قريباً من مائة ألف - فقال لهم في جملة ما قال: إني جعلتكم في حل من بيعتي، فمن أحب منكم أن يقيم عليها فعل. ومن أحب أن يتركها فعل. ففسل كثير منهم أو أكثرهم عنه، ولم يبق إلا شذمة قليلة معه، وخرج أكثر أهل المدينة بأهلهم منها لثلاثين شهيداً القتال بها، فنزلوا الأعراس ورؤس الجبال. وقد بعث محمد أبا الليث ليردهم عن الخروج فلم يمكنه ذلك في أكثرهم، واستمر وا ذاهبين. وقال عهد لرجل أتأخذ سيفاً وريحاً وترد هؤلاء الذين خرجوا من المدينة؟ فقال: نعم إن أعطيتني ريحاً أطعمهم وهم بالأعراس، وسيفاً أضربهم وهم في رؤس الجبال فعلت. فسكت محمد ثم قال لي: ويحك؟ إن أهل الشام والعراق وخراسان قد بيضوا - يعني لبسوا البياض - موافقة لي وخلعوا السواد. فقال: وماذا ينفعني أن لو بقيت الدنيا زبدة بيضاء - وأنا في مثل صوفة الدواة، وهذا عيسى بن موسى نازل بالأعوص. ثم جاء عيسى بن موسى فنزل قريباً من المدينة، على ميل منها، فقال له دليله ابن الأصم: إني أخشى إذا كشفتموه أن يرجعوا إلى معسكرهم سريعاً قبل أن تدرهم الخليل. ثم ارتحل به فأنزله الجرف على سقاية سليمان بن عبد الملك على أربعة أميال من المدينة، وذلك يوم السبت لصباح اثنى عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة. وقال: إن الراجل إذا هرب لا يقدر على الهرولة أكثر من ميلين أو ثلاثة فتدركه الخليل.

وأرسل عيسى بن موسى خمسمائة فارس فنزلوا عند الشجرة في طريق مكة، وقال لهم هذا الرجل إن هرب فليس له ملجأ إلا مكة، فحولوا بينه وبينها. ثم أرسل عيسى إلى محمد يدعو به إلى السمع والطاعة لأمر المؤمنين المنصور، وأنه قد أعطاه الأمان له ولاهله بيته إن هو أجابه. فقال محمد للرسول: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك. ثم بعث إلى عيسى بن موسى يقول له: إني أدعوك إلى كتاب الله وسنة رسوله، فأحذر أن تمتنع فأقتلك فتكون شرقتيل، أو تقتلني فتكون قتلتك من دعاك إلى الله ورسوله. ثم جعلت الرسل تتردد بينهما ثلاثة أيام. هذا يدعو هذا، وهذا يدعو هذا. وجعل عيسى بن موسى يقف في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة على الثنية عند سلع فينادي: يا أهل المدينة إن دماءكم علينا حرام فمن جاءنا فوقف تحت رايقتنا فهو آمن، ومن خرج من المدينة فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن أتى سلاحه فهو آمن، فليس لنا في قتالكم أرب، وإنما نريد محمداً

وحده لنذهب به إلى الخليفة . فجعلوا يسبونونه وينالون من أمه ، ويكلمونه بكلام شنيع ، ويخاطبونه مخاطبة فظيمة . وقالوا له : هذا ابن رسول الله . منا ونحن معه ، مماثل دولته .

فلما كان اليوم الثالث أتاهم في خيـل ورجال وسلاح ورماح لم ير مثلها ، فناداه يا محمد ابن أمير المؤمنين أمرني أن لا أقاتلك حتى أدعوك إلى الطاعة ، فان فملت أمك وقضى دينك وأعطاك أموالاً وأراضى ، وإن أبيت قاتلتك فقد دعوتك غير مرة . فناداه محمد : إنه ليس لكم عندي إلا القتال . فندشبت الحرب حينئذ بينهم ، وكان جيش عيسى بن موسى فوق أربعة آلاف ، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة ، وعلى ميمنته محمد بن السباع ، وعلى ميسرته داود بن كرار ، وعلى الهيمن بن شعبة ، ومهمم عدد لم ير مثلها . وفرق عيسى أصحابه في كل قطر طائفة . وكان عهد وأصحابه على عدة أصحاب أهل بدر ، واقتتل الفريقان قتلاً شديداً جداً ، وترجل محمد إلى الأرض فيقتل إنه قتل بيده من جيش عيسى بن موسى سبعين رجلاً من أبطالهم ، وأحاط بهم أهل العراق فقتلوا طائفة من أصحاب محمد بن عبد الله بن حسن ، فاقتحموا عليهم الخندق الذي كانوا حفره وصلوا أبواباً على قدره ، وقيل إنهم ردموه بمخارج الجبال حتى أمكنهم أن يمحوروه ، وقد يكونون فعلوا هذا موضع منه ، وهذا في موضع آخر والله أعلم .

ولم تنزل الحرب ناشبة بينهم حتى صليت العصر . فلما صلى محمد العصر نزلوا إلى مسيل الوادي بسلم فكسر جنن سيفه وعقر فرسه وفعل أصحابه مثله وصبروا أنفسهم للقتال وحميت الحرب حينئذ جداً ، فاستنظر أهل العراق ورفعوا راية سوداء فوق سلع ، ثم دنوا إلى المدينة فدخلوها ونصبوا راية سوداء فوق مسجد رسول الله . . .

فلما رأى ذلك أصحاب محمد تنادوا : أخذت المدينة ، وهربوا وبقي محمد في شردمة قليلة جداً . ثم بقي وحده وليس معه أحد ، وفي يده سيف صلت يضرب به من تقدم إليه ، فكان لا يقوم له شيء إلا أنامه ، حتى قتل خلفاً من أهل العراق من الشجمان ، ويقال إنه كان في يده يومئذ ذو الفقار ثم تكاثر عليه الناس فتقدم إليه رجل فضر به بسيفه نحت شحمة أذنه اليمنى فسقط ركبته وجعل يحمى نفسه ويقول : ويحكم ابن نبيكم مجروح مظلوم . وجعل حميد بن قحطبة يقول : ويحكم دعوه لا تقتلوه ، فأحجم عنه الناس وتقدم إليه حميد بن قحطبة فحز رأسه وذهب به إلى عيسى بن موسى فوضعه بين يديه . وكان حميد قد حلف أن يقتله متى رآه ، فما أدركه إلا كذلك . ولو كان على حاله وقوته لما استطاعه حميد ولا غيره من الجيش .

وكان مقتل محمد بن عبد الله بن حسن هند أحجار الزيت يوم الاثنين بعد العصر ، لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال عيسى بن موسى لأصحابه حين وضع

رأسه بين يديه : ما تقولون فيه ؟ فقال منه أقوام وتكلموا فيه ، فقال رجل : كذبتم والله ! لقد كان صواما قواما ، ولسكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصي المسلمين فقتلناه على ذلك . فسكتوا حينئذ وأما سيفه ذو الفقار فانه صار إلى بني العباس يتوارثونه حتى جر به بعضهم فضرب به كلباً فانه طلع . ذكره ابن جرير وغيره . وقد بلغ المنصور في غيرون هذا الأمر أن محمداً فر من الحرب فقال : هذا لا يكون ، فانا أهل بيت لا نفر .

وقال ابن جرير : حدثني عبد الله بن راشد حدثني أبو الحجاج قال : إني لقائم على رأس المنصور وهو يسألني عن مخرج محمد ، إذ بلغه أن عيسى بن موسى قد انهزم وكان متسكناً بفلس فضرب بتضييب معه مصلاه وقال : كلا وأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ؟ ما أنى لذلك بمد . وبعث عيسى بن موسى بالبطيخ إلى المنصور مع القاسم بن الحسن وبالرأس مع ابن أبي الكرام ، وأمر بدفن الجثثة فدفن بالبطيخ ، وأمر بأصحابه الذين قتلوا معه فصلبوا صفين ظاهر المدينة ثلاثة أيام ثم طرحوا على مقبرة اليهود عند سلع . ثم نقلوا إلى خندق هناك . وأخذ أموال بني حسن كلها فسوغها له المنصور ، ويقال إنه ردها بعد ذلك إليهم ، حكاه ابن جرير . ونودي في أهل المدينة بالأمان فأصبح الناس في أسواقهم ، وترفع عيسى بن موسى في الجيش إلى الجرف من مطر أصاب الناس يوم قتل محمد ، وجعل ينتاب المسجد من الجرف ، وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسع عشر من رمضان ، ثم خرج منها قاصداً مكة وكان بها الحسن بن معاوية من جهة محمد ، وكان محمد قد كتب إليه يقدم عليه ، فلما خرج من مكة وكان ببعض الطريق تلقته الأخبار بقتل محمد ، فاستمر فاراً إلى البصرة إلى أخى محمد إبراهيم بن عبد الله ، الذي كان قد خرج بها ثم قتل بعد أخيه في هذه السنة على ما سنذكره . ولما جرى المنصور برأس محمد بن عبد الله بن حسن فوضع بين يديه أمر به فطيف به في طبق أبيض ثم طيف به في الأقاليم بعد ذلك ، ثم شرع المنصور في استدعاء من خرج مع محمد من أشرف أهل المدينة ، فقتلهم من قتلهم ومنهم من ضربه ضرباً مبرحاً ، ومنهم من عفا عنه . ولما توجه عيسى إلى مكة استناب على المدينة كثير بن حصين ، فاستمر بها شهراً حتى بعث المنصور على نيابتها عبد الله بن الربيع ، فعاث جنده في المدينة فصاروا إذا اشتروا من الناس شيئاً لا يملكونه ثمنه ، وإن طولبوا بذلك ضربوا المطالب وخوفوه بالقتل ، فثار عليهم طائفة من السودان واجتمعوا ونفخوا في بوق لهم فاجتمع على صوته كل أسود في المدينة ، وحملوا عليهم حملة واحدة وهم ذاهبون إلى الجمعة : لسبع بقين من ذي الحجة من هذه السنة ، وقيل لخمس بقين من شوال منها ، فقتلوا من الجند طائفة كثيرة بالمزاريق وغيرها ، وهرب الأمير عبد الله بن الربيع وترك صلاة الجمعة . وكان رؤس السودان : وثيق ويعقل ورمقة وحديا وعنفود ، ومسر ، وأبو النار . فلما رجع عبد الله بن الربيع ركب في جنوده

والتقى مع السودان فهزموه أيضا فلهحقوه بالبيع فألقى لهم رداه يشغلهم فيه حتى يحا بنفسه ومن اتبعه ، فلحق ببطن نخل على ليلتين من المدينة ، ووقع السودان على طمام المنصور كان مخزونا في دار مروان قد قدم به في البحر فتمهوه ونهبوا ما للجنود الذين بالمدينة من دقيق وسويق وغيره ، وبعاء ذلك بأرض نمن . وذهب الخبر إلى المنصور بما كان من أمر السودان ، وخاف أهل المدينة من ممة ذلك ، فاجتمعوا بخطبهم ابن أبي سبرة - وكان مسجوناً - فصعد المنبر وفي رجله القيود ، خطبهم على السمع والطاعة للمنصور ، وخوفهم شرماضه مواليمهم ، فاتفق رأيهم على أن يكفوا مواليمهم ويفرغهم ويذهبوا إلى أميرهم فيردوه إلى عمله ، ففعلوا ذلك ، فسكن الأمر وهدأ الناس وانطقت الشرور ، ورجع عبد الله بن الربيع إلى المدينة فقطع يد وثيق وأبى النار ويقتل ومسر .

### ذكر خروج ابراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة

كان ابراهيم قد هرب إلى البصرة فنزل في بني ضبيمة من أهل البصرة ، في دار الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالتهار ، وكان قدومه إليها بعد أن طاف بلاداً كثيرة جداً ، وجرت عليه وعلى أخيه خطوب شديدة هائلة ، وانعمد أسباب هلاكهما في أوقات متعددة ، ثم كان آخر ما استقر أمره بالبصرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة ، بعد منصرف الحجيج . وقيل إن قدومه إليها كان في مستهل رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، بعثه أخوه إليها بعد ظهوره بالمدينة ، قاله الواقدي . قال : وكان يدعو في السر إلى أخيه ، فلما قتل أخوه أظهر الدعوة إلى نفسه في شوال من هذه السنة ، والمشهور أنه قدمها في حياة أخيه ودعا إلى نفسه كما تقدم والله أعلم .

ولما قدم البصرة نزل عند يحيى بن زياد بن حسان النبطي ، فاخفى عنده هذه المدة كلها ، حتى ظهر في هذه السنة في دار أبي فروة ، وكان أول من بايعه نميلة بن مرة ، وعبد الله بن سفيان ، وعبد الواحد بن زياد ، وعمر بن سلمة المهجبي ، وعبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي . وندبوا الناس إليه فاستجاب له خلق كثير فتحول إلى دار أبي مروان في وسط البصرة ، واستفحل أمره ، وبايعه فثام من الناس ، وتفاقم الخطب به ، وبلغ خبره إلى المنصور فازداد غمّاً إلى غمه بأخيه محمد ، وذلك لأنه ظهر قبل مقتل أخيه وإنما كان سبب تعجيله الظهور كتاب أخيه إليه فامتثل أمره ودعا إلى نفسه ، فانظم أمره بالبصرة ، وكان قائمها من جهة المنصور سفيان بن معاوية وكان ممالئاً لابراهيم هذا في الباطن ، ويبلغه أخباره فلا يكثرث بها ، ويكذب من أخبره به ويود أن يتضح أمر ابراهيم ، وقد أمده المنصور بأمرين من أهل خراسان معهما ألفا فارس وراجل ، فأنزلهما عنده لينتقوا بهما على محاربة ابراهيم ، وتحول المنصور من بغداد - وكان قد شرع في عمارتها - إلى الكوفة ، وجعل كما اتهم رجلا من أهل الكوفة في أمر ابراهيم بمث إليه من يقتله في الليل في منزله ، وكان الفرافصة

العجلى قدم بالوثوب بالكوفة فلم يمكنه ذلك لسكان المنصور بها ، وجعل الناس يقصدون البصرة من كل فيج لمبايعة إبراهيم ، ويدعون إليها جماعات وفرادى ، وجعل المنصور يرصد لهم المسالح فيقتلونهم في الطريق ويأتونه برؤسهم فيصلبها بالكوفة ليعتظ بها الناس . وأرسل المنصور إلى حرب الراوندى - وكان مرابطاً بالجزيرة في أنفى فارس لقتال الخوارج - يستدعيه إليه إلى الكوفة ، فأقبل بمن معه فاجتاز ببلدة بها أنصار لا إبراهيم فقالوا له : لا ندعك تجتاز ، لأن المنصور إنما دعاك لقتال إبراهيم . فقال : ويحكم دعوى ، فأبوا فقاتلهم فقتل منهم خمسمائة وأرسل برؤسهم إلى المنصور . فقال : هذا أول الفتح . ولما كانت ليلة الاثنين مستهل رمضان من هذه السنة ، خرج إبراهيم في الليل إلى مقبرة بنى يشكر في بضعة عشر فارساً ، وقدم في هذه الليلة أبو حماد الأبرص في أنفى فارس مدداً سفيان ابن معاوية ، فأنزلهم الأمير في القصر ، ومال إبراهيم وأصحابه على دواب أولئك الجيش وأسلحتهم فأخذوها جميعاً ، ففتروا بها ، فكان هذا أول ما أصاب . وما أصبح الصباح إلا وقد استظهر جداً ، فصل بالناس صلاة الصبح في المسجد الجامع ، والتف الخلائق عليه ما بين ناظر وناصر ، وتحصن سفيان بن معاوية نائب الخليفة بقصر الامارة وحبس عنده الجنود فحاصروا إبراهيم ، فطلب سفيان ابن معاوية من إبراهيم الأمان فأعطاه الأمان ، ودخل إبراهيم قصر الامارة فبسطت له حصير ليجلس عليها في مقدم إيوان القصر ، فهبت الريح فقلبت الحصير ظهراً لبطن ، فتهبط الناس بذلك ، فقال إبراهيم : إنا لا نتطير . وجلس على ظهر الحصير ، وأمر بحبس سفيان بن معاوية قيداً . وأراد بذلك براة ساحته عند المنصور ، واستحوذ على ما كان في بيت المال فاذا فيه ستمائة ألف ، وقيل ألفا ألف . فقوى بذلك جداً .

وكان في البصرة جعفر ومجد ابنا سليمان بن علي ، وهما أبنا عم الخليفة المنصور ، فركبا في ستمائة فارس إليه فهزهما ، وأركب إبراهيم المضاء بن القاسم في ثمانية عشر فارساً وثلاثين راجلاً فهزم ستمائة فارس كانت لهما . وآمن من بقى منهم ، وبعث إبراهيم إلى أهل الاهواز فبايعوه وأطاعوه ، وأرسل إلى نائبها مائتي فارس عليهم المنيرة نخرج إليه مجد بن الحصين نائب البلاد في أربعة آلاف فارس فهزمه المنيرة واستحوذ على البلاد ، وبعث إبراهيم إلى بلاد فارس فأخذها ، وكذلك واسط والمدائن والسواد ، واستفحل أمره جداً ، ولكن لما جاءه نبي أخيه مجد انكسر جداً ، وصلى بالناس يوم العيد وهو مكسور . قال بعضهم : والله لقد رأيت الموت في وجهه وهو يحطب الناس فنسي إلى الناس أخاه محمداً ، فازداد الناس حنقا على المنصور وأصبح فمسكر بالناس واستناب على البصرة نائلة وخلف ابنه حسنا معه .

ولما بلغ المنصور خبره تهيير في أمره وجعل يتأسف على ما فرق من جنده في الممالك ، وكان قد



بعث مع ابنه المهدي ثلاثين ألفاً إلى الري ، وبعث مع محمد بن الأشعث إلى إفريقية أربعين ألفاً والباقيون مع عيسى بن موسى بالحجاز ، ولم يبق مع المنصور سوى ألفي فارس . وكان يأمر بالنيران الكثيرة فتوقد ليلاً ، فيحسب الناظر إليها أن ثم جنوداً كثيراً . ثم كتب المنصور إلى عيسى بن موسى : إذا قرأت كتابي هذا فأقبل من فورك ودع كل ما أنت فيه . فلم يذهب أن أقبل إليه فقال له : اذهب إلى إبراهيم بالبصرة ولا يهولك كثرة من معه ، فانهم جملا بنى هاشم المقتولان جميعاً ، فابسط يدك وثق بما عندهك وستذكر ما أقول لك فكان الأمر كما قال المنصور . وكتب المنصور إلى ابنه المهدي أن يوجه خازم بن خزيمه في أربعة آلاف إلى الأهواز ، فذهب إليها فأخرج منها نائب إبراهيم - وهو المغيرة - وأباحها ثلاثة أيام ، ورجع المغيرة إلى البصرة ، وكذلك بعث إلى كل كورة من هذه الكور التي نقضت بيئته جنداً يردون أهلها إلى الطاعة . قالوا : ولزم المنصور موضع مصلاه فلا يبرح منه ليلاً ونهاراً في ثياب بدلة قد اتسخت ، فلم يزل مقبلاً هناك بضعا وخسين يوماً حتى فتح الله عليه . وقد قيل له في غيوب ذلك : إن نساءك قد خبثت نفسهن لغيبتك عنهن . فانهر القائل وقال : ويحك ليست هذه أيام نساء ، حتى أرى رأس إبراهيم بين يدي ، أو يحمل رأسى إليه . وقال بعضهم : دخلت على المنصور وهو مهوم من كثرة ما وقع من الشرور ، وهو لا يستطيع أن يتابع الكلام من كثرة همه ، وما تمنق عليه من الفتوق والخروق ، وهو مع ذلك قد أعد لكل أمر ما يسد خلله به ، وقد خرجت عن يده البصرة والأهواز وأرض فارس والمدائن وأرض السواد ، وفي الكوفة عنده مائة ألف مفعدة سيوفها تنظر به صيحة واحدة ، فيقبون مع إبراهيم ، وهو مع ذلك يعرك النوائب ويمرسها ولم تعتمد به نفسه وهو كما قال الشاعر :

نفسُ عصامٍ سودتْ عَصاماً \* وعلتهُ الكركُ والإقداما \* فصيرتُهُ مُلكاً هُمَاماً

وأقبل إبراهيم بمسار من البصرة إلى الكوفة في مائة ألف مقاتل فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً ، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف . وجاء إبراهيم فنزل في باخرى في جحافل عظيمة ، فقال له بعض الأمراء : إنك قد اقتربت من المنصور فلو أنك سرت إليه بطائفة من جيشك لأخذت بقناه فانه ليس عنده من الجيوش ما يردون عنه . وقال آخرون : إن الأولى أن نناجز هؤلاء الذين بازائنا ، ثم هو في قبضتنا . فنشاهم ذلك عن الرأي الأول . ولو فعله لم لهم الأمر . ثم قال بعضهم : خندق حول الجيش . وقال آخرون : إن هذا الجيش لا يحتاج إلى خندق حوله ، فترك ذلك . ثم أشار بعضهم أن يبني جيش عيسى بن موسى قتال إبراهيم : أنا لا أرى ذلك ، فتركه . ثم أشار آخرون بأن يجعل جيشه كراديس فان غلب كردوس ثبت الآخر . قال آخرون : الأولى أن نقاتل صغوفاً لقوله تعالى [ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً

كانهم بليان مرصوص] . والامر لله وما شاء فعل ولو ساروا إلى الكوفة وبيتوا الجيش أو جعل جيشه كراديس لم له الأمر مع تقدير الله تعالى

وأقبل الجيشان فتصافوا في باخرى وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة فاقتتلوا بها قتالاً شديداً فانهم حميد بن قحطبة بن معه من المقدمة ، فجعل عيسى يناشدهم الله في الرجوع والسكره فلا يلوى عليه أحد ، وثبت عيسى بن موسى في مائة رجل من أهله ، فقيل له : لو تضحيت من مكانك هذا لئلا يحطملك جيش إبراهيم فقال : والله لا أزول منه حتى يفتح الله لي أو أقتل هاهنا . وكان المنصور قد تقدم إليه بما أخبره به بعض المنجمين أن الناس يكون لهم جولة عن عيسى بن موسى ثم يقومون إليه وتكون العاقبة له ، فاستمر المنهزمون ذاهبين فاتموا إلى نهر بين جبلين فلم يكنهم خوضه فكروا راجعين بأجمعهم ، وكان أول راجع حميد بن قحطبة الذي كان أول من انهزم . ثم اجتلدوا هم وأصحاب إبراهيم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم انهزم أصحاب إبراهيم وثبت هو في خمسمائة ، وقيل في أربعمائة : وقيل في تسعين رجلاً ، واستظهر عيسى بن موسى وأصحابه ، وقتل إبراهيم في جملة من قتل واختلط رأسه مع رؤس أصحابه ، فجعل حميد يأتي بالرؤس إلى عيسى بن موسى حتى عرفوا رأس إبراهيم فبعثوه مع البشير إلى المنصور ، وكان نبيخت المنجم قد دخل على المنصور قبل مجيء الرأس فأخبره أن إبراهيم مقتول فلم يصدقه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لم تصدقني فأحسني فإن لم يكن الأمر كما ذكرت فاقتلني . فبينما هو عنده إذ جاء البشير بهزيمة جيش إبراهيم ، ولما جرى بالرأس تمثل المنصور ببيت معتر بن أوس بن حمار البارق : فالتقت عصاها واستقر بها النوى \* كما قرء عينا بالأياب المسافر

وقيل إن المنصور لما رأى الرأس بكى حتى جعلت دموعه تسقط على الرأس وقال : والله لقد كنت لهذا كارها ، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك . ثم أمر بالرأس فنصب بالسوق . وأقطع نبيخت المنجم الكذاب ألفي جريب .

فهذا المنجم إن كان قد أصاب في قضية واحدة فقد أخطأ في أشياء كثيرة ، فهم كذبه كفره وقد كان المنصور في ضلال مع منجمه هذا ، وقد ورث الملوك اعتقاد أقوال المنجمين وذلك ضلال لا يجوز

وذكر صالح مولى المنصور قال : لما جرى برأس إبراهيم جلس المنصور مجلساً عاماً وجعل الناس يدخلون عليه فيهنشونه وينالون من إبراهيم ويقبحون الكلام فيه ابتغاء مرضاة المنصور ، والمنصور ساكت متغير اللون لا يتكلم ، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فوقف فسلم ثم قال : أعظم الله

أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حثك . قال فاصفر لون المنصور وأقبل عليه وقال له : يا أبا خالد مرحباً وأهلاً ، ههنا فاجلس . فسلم الناس أن ذلك وقع منه موقعاً جيداً . فجلس كل من جاءه يقول كما قال جعفر بن حنظلة . قال أبو نعيم الفضل بن دكين : كان مقتل إبراهيم في يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة من هذه السنة .

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمن أعيان أهل البيت عبد الله بن حسن وابناه محمد وإبراهيم ، وأخوه حسن بن حسن ، وأخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالديباج . وقد تقدمت ترجمته . وأما أخوه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي فتابعي ، روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو صحابي جليل ، وغيرهم . وروى عنه جماعة منهم سفیان الثوري والدراوردي ومالك ، وكان معظماً عند العلماء ، وكان عابداً كبير القدر . قال يحيى بن معين : كان ثقة صدوقاً ، وفد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه ، وفد على السفاح فمظمه وأعطاه ألف ألف درهم ، فلما ولي المنصور عامله بعكس ذلك ، وكذلك أولاده وأهله ، وقد مضوا جميعاً والتقوا عند الله عز وجل ، وأخذ المنصور وأهل بيته مقيدين مغلولين مهانين من المدينة إلى الهاشمية ، فأودعهم السجن الضيق كما قدمنا ، فمات أكثرهم فيه ، فسكان عبد الله بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج ولده محمد بالمدينة ، وقد قيل إنه قتل في السجن عمداً . وكان عمره يوم مات خمسا وسبعين سنة ، وصلى عليه أخوه لأمه الحسن بن الحسن بن علي . ثم مات بعده أخوه حسن فصلى عليه أخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . ثم قتل بعدهما وحمل رأسه إلى خراسان كما تقدم .

وأما ابنه محمد الذي خرج بالمدينة فروى عن أبيه ونافع ، وعن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة في كيفية الهوى إلى السجود وحدث عنه جماعة ، ووثقه النسائي وابن حبان وقال البخاري : لا يتابع على حديثه . وقد ذكر أن أمه حملت به أربع سنين ، وكان طويلاً سمياً أسمر ضخماً ذا همة سامية ، وسطوة عالية وشجاعة باهرة ، قتل بالمدينة في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وله خمس وأربعون سنة . وقد حملوا برأسه إلى المنصور ، وطيف به في الأقاليم . وأما أخوه إبراهيم فكان ظهوره بالبصرة بعد ظهور أخيه بالمدينة وكان مقتله بعد مقتل أخيه في ذى الحجة من هذه السنة وليس له شيء في الكتب الستة ، وحكى أبو داود السجستاني عن أبي عوانة أنه قال : كان إبراهيم وأخوه محمد خارجين . قال داود : ليس كما قال ، هذا رأى الزيدية . قلت : وقد حكى عن جماعة من العلماء والأئمة أنهم مالوا إلى ظهورهما .

### وفيهما توفي من المشاهير والأعيان

الأجلح بن عبد الله ، وإمامغيل بن أبي خالد في قول ، وحبيب بن الشهيد ، وعبد الملك بن أبي سليمان ، وعمر و مولى عفرة ، ويحيى بن الحارث الذماری ، ويحيى بن سعيد أبو حيان النخعي ، ورؤبة بن الحجاج والحجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة ، وأبو محمد التميمي البصري ، الراجز بن الراجز ، ولكل منهما ديوان رجز ، وكل منهما بارع في فنسه لا يجاري ولا يساري ، عالم باللغة . وعبد الله بن المقفع الكتاب المفوه ، أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور ، وكتب له ، وله رسائل وألفاظ صحيحة ، وكان متبها بالزندقة ، وهو الذي صنف كتاب كفاية ودمية ، ويقال : بل هو الذي عربها من الجوسية إلى العربية . قال المهدي : ما وجد كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المقفع ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد . قالوا ونسى الجاحظ وهو رايعهم . وكان مع هذا فاضلا بارعا فصيحاً . قال الأصمعي : قيل لابن المقفع من أدبك ؟ قال : نفسي ، إذا رأيت من غبري قبيحاً أبيته ، وإذا رأيت حسناً أتيت به . ومن كلامه : شربت من الخطب رياء ، ولم أضبط هأرويا ، ففاضت ثم فاضت ، فلا هي نظاما ، ولا نسيت غيرها كلاما ،

وكان قتل ابن المقفع على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة نائب البصرة ، وذلك أنه كان يعيث به ويسب أمه ، وإنما كان يسميه ابن المعلم ، وكان كبير الانف ، وكان إذا دخل عليه يقول : السلام عليكم - على سبيل التهمك - وقال لسفيان بن معاوية مرة : ما ندمت على سكوت قط . فقال : صدقت ، الخرس لك خير من كلامك . ثم اتفق أن المنصور غضب على ابن المقفع فكتب إلى نائبه سفيان بن معاوية هذا أن يقتله ، فأخذته فأحى له تنورا وجعل يقطعه ربا ربا ، ويلقيه في ذلك التنور حتى حرقه كله وهو ينظر إلى أطرافه كيف تقطع ثم تحرق ، وقيل غير ذلك في صفة قتله . قال ابن خلكان : وبنهم من يقول إن ابن المقفع نسب إلى بيع القناع وهم من الجزيد كالزنبيل بلا آذان ، والصحيح أنه ابن المقفع وهو أبو دارويه كان الحجاج قد استعمله على الخراج فغان فعاقبه حتى تقفمت يده والله أعلم .

وفيهما خرج الترك والحزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة . وحين بالناس في هذه السنة نائب المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي . وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة مسلم بن قتيبة ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

### ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

فيها تكامل بناء مدينة السلام ببغداد ، وسكنها المنصور في صفر من هذه السنة ، وكان مقما قبل

ذلك بالهاشمية المتاخمة للكوفة ، وكان قد شرع في بنائها في السنة الخارجة ، وقيل في سنة أربع وأربعين ومائة فالله أعلم .

وقد كان السبب الباعث له على بنائها أن الراوندية لما وثبوا عليه بالكوفة وقاته الله شرهم ، بقيت منهم بقية نخشي على جنده منهم ، فخرج من الكوفة برناد لهم ، موضعا لبناء مدينة ، فسار في الأرض حتى بلغ الجزيرة فلم ير موضعا أحسن لوضع المدينة من موضع بغداد الذي هي فيه الآن ، وذلك بأنه موضع يتدا باليد ، ويراح بخيرات ما حوله في البر والبحر ، وهو محصن بدجلة والفرات من ههنا وههنا ، لا يقدر أحد أن يتوصل إلى موضع الخليفة إلا على جسر ، وقد بات به المنصور قبل بنائه ليالي فرأى الرياح تهب به ليلا ونهاراً من غير أنجمار ولا غبار ، ورأى طيب تلك البقعة وطيب هوائها ، وقد كان في موضعها قرى وديور لعباد النصارى وغيرهم . ذكر ذلك مفصلاً بأسمائه وتعداده أبو جعفر ابن جرير . فحينئذ أمر المنصور باختطاطها فرسموها له بالراماد فشي في طرقها ومسالكها فأعجب ذلك ، ثم سلم كل ربيع منها لأمير يقوم على بنائه ، وأحضر من كل البلاد فعالا وصناعاً ومهندسين ، فاجتمع عنده ألوف منهم ، ثم كان هو أول من وضع لبنة فيها بيده وقال : بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنوا على بركة الله . وأمر ببنائها مسدورة صمك سورها من أسفله خمسون ذراعاً ، ومن أعلاه عشرون ذراعاً ، وجعل لها ثمانية أبواب في السور البراني ، ومثلها في الجواني ، وليس كل واحد نجاه الآخر ، ولكن جملة أزور عن الذي يليه ، ولهذا سميت ببغداد الزوراء ، لازرار أبوابها بعضها عن بعض ، وقيل سميت بذلك لانحراف دجلة عندها .

وبني قصر الامارة في وسط البلد ليكون الناس منه على حد سواء ، واختط المسجد الجامع إلى جانب القصر ، وكان الذي وضع قبلته الحجاج بن أرطاة . وقال ابن جرير : ويقال إن في قبلته انحرافاً يحتاج المصل في فيه أن ينحرف إلى ناحية باب البصرة ، وذكر أن مسجد الرصافة أقرب إلى الصواب منه لأنه بنى قبل القصر ، وجامع المدينة بنى على القصر ، فاختلت قبلته بسبب ذلك . وذكر ابن جرير عن سليمان بن مجالد أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء بها فأبى وامتنع فغلف المنصور أن يتولى له ، وحلف أبو حنيفة أن لا يتولى له ، فولاه القيام بأمر المدينة وضرب اللبن ، وأخذ الرجال بالعمل ، فتولى ذلك حتى فرغوا من استتمام حائط المدينة مما يلي الخندق ، وكان استتمامه في سنة أربع وأربعين ومائة . قال ابن جرير : وذكر عن الهيثم بن عدي أن المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع ، فغلف أن لا يقلع عنه حتى يعمل له ، فأخبر بذلك أبو حنيفة فدما بقهصة فمد اللبن لبيبر بذلك بمين أبي جعفر ، ومات أبو حنيفة ببغداد بعد ذلك . وذكر أن خالد بن برمك هو الذي أشار على المنصور ببنائها ، وأنه كان مستحثاً فيها للصناع ، وقد شاور المنصور

الأبراء في نقل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد لأجل قصر الامارة بها ، فقالوا : لا تفعل فإنه آية في العالم ، وفيه مصلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب . فخالفهم ونقل منه شيئاً كثيراً فلم يبق ما تحصل منه بأجرة ما يصرف في حمله فتركه ، ونقل أبواب قصر واسط إلى أبواب قصر الامارة ببغداد . وقد كان الحجاج نقل حجارتها من مدينة هناك كانت من بناء سليمان بن داود ، وكانت الجن قد عملت تلك الأبواب ، وهي حجارة هائلة . وقد كانت الأسواق وضجيجها تسمع من قصر الامارة ، فكانت أصوات الباعة وهوسات الأسواق تسمع منه ، فعاب ذلك بعض بطارقة النصارى من قدم في بعض الرسائل من الروم ، فأمر المنصور بنقل الأسواق من هناك إلى موضع آخر ، وأمر بتوسمة الطرقات أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً ، ومن بني في شيء من ذلك هدم .

قال ابن جرير : وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدت في خزائن المنصور في الكتب أنه أنفق على بناء مدينة السلام ومسجدها الجامع وقصر الذهب بها والأسواق وغيرها ذلك ، أربعة آلاف ألف وثماني مائة ألف وثلاثة وثمانين ألف درهم ، وكان أجرة الأستاذ من البنائين كل يوم قهراط فضة ، وأجرة الصانع من الحبتين إلى الثلاثة . قال الخطيب البغدادي : وقد رأيت ذلك في بعض الكتب ، وحكى عن بعضهم أنه قال : أنفق عليه ثمانية عشر ألف ألف فأنفق الله أعلم .

وذكر ابن جرير أن المنصور ناقص أحد المهندسين الذي بنى له بيتاً حسناً في قصر الامارة فنقصه درهما عما ساومه ، وأنه حاسب بعض المستحقين على الذي كان عنده ففضل عنده خمسة عشر درهما فحبسه حتى جاء بها وأحضرها وكان شحيحاً . قال الخطيب : وبنائها مدورة ، ولا يعرف في أقطار الأرض مدينة مدورة سواها ، ووضع أساسها في وقت اختاره له نوبخت المنجم . ثم ذكر عن بعض المنجمين قال قال لي المنصور لما فرغ من بناء بغداد : خذ الطالع لها ، فنظرت في طالعها - وكان المشتري في القوس - فأخبرته بما تدل عليه النجوم ، من طول زمانها ، وكثرة عمارتها ، وانصباب الدنيا إليها وقر الناس اليها فيها . قال : ثم قلت له : وأبشرك يا أمير المؤمنين أنه لا يموت فيها أحد من الخلفاء أبداً . قال : فرأيت أنه يتسم ثم قال : الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وذكر عن بعض الشعراء أنه قال في ذلك شعراً منه :

قضى ربها أن لا يموت خليفة \* بها لأنه ما شاء في خلقه يقضي

وقد قرره على هذا الخطأ الخطيب وسلم ذلك ولم ينتفضه بشيء بل قرره مع اطلاعه ومعرفته . قال : وزعم بعض الناس أن الأمين قتل بدرب الأنبار منها فذكر ذلك للقاضي أبي القاسم علي بن حسن التنوخي فقال : محمد الأمين لم يقتل بالمدينة ، وإنما كان قد نزل في سفينة إلى دجلة ليتنزه فقبض عليه في وسط دجلة وقتل هناك . ذكر ذلك الصولي وغيره .

وذكر عن بعض مشايخ بغداد أنه قال : اتساع بغداد مائة وثلاثون جريباً ، وذلك بقدر ميلين في ميلين ، قال الامام أحمد : بغداد من الصرّة إلى باب التبن . وذكر الخطيب أن بين كل بابين من أبوابها الثمانية ميلاً ، وقيل أقل من ذلك . وذكر الخطيب صفة قصر الامارة وأن فيه القبة الخضراء طولها ثمانون ذراعاً ، على رأسها تمثال فرس عليه فارس في يده رمح يدور به فأى جهة استقبلها واستمر مستقبلها ، علم الساطان أن في تلك الجهة قد وقع حدث فلم يلبث أن يأتي الخليفة خبره . [ وهذه القبة وهي على مجلس في صدر إوان المحكمة وطوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً . وقد سقطت هذه القبة في ليلة برد ومطر ورعد وبرق ، ليلة الثلاثاء لسبع خلون من شهر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ] . (١)

وذكر الخطيب البغدادي أنه كان يباع في بغداد في أيام المنصور الكبش الغنم بدرم والحمل بأربعة دواقي ، وينادي على لحم الغنم كل ستين رطلا بدرم ، ولحم البقر كل تسعين رطلا بدرم ، والتمر كل ستين رطلا بدرم ، والزيت ستة عشر رطلاً بدرم ، والسمن ثمانية أرطال بدرم ، والعسل عشرة أرطال بدرم . ولهذا الامن والرخص كثير ساكنوها وعظم أهلها وكثر الدارج في أسواقها وأزقتها ، حتى كان المار لا يستطيع أن يجتاز في أسواقها لكثرة زحام أهلها . قال بعض الأمراء وقد رجع من السوق : طال والله ما طردت خلف الأرانب في هذا المكان .

وذكر الخطيب أن المنصور جلس يوماً في قصره فسمع ضجة عظيمة ثم أخرى ثم أخرى فقال لاربيع الحاجب : ما هذا ؟ فكشف فإذا بقرة قد نفرت من جازرها هاربة في الأسواق ، فقال الرومي : يا أمير المؤمنين إنك بنيت بناء لم يبنه أحد قبلك ، وفيه ثلاثة عيوب ، بعده من الماء ، وقرب الأسواق منه ، وليس عنده خضرة ، واليمين خضرة تحب الخضرة . فلم يرفع بها المنصور رأساً ثم أمر بتغيير ذلك ، ثم بعد ذلك ساق إليها الماء وبني عندها البساتين ، وحول الأسواق من ثم إلى الكرخ . قال يعقوب بن سفيان : كمل بناء بغداد في سنة ست وأربعين ومائة ، وفي سنة سبع وخمسين حول الأسواق إلى باب الكرخ وباب الشمير وباب المحول وأمر بتوسعة الأسواق أربعين ألفاً ، وبعد شهرين من ذلك شرع في بناء قصره المسمى بالخلد ، فكل سنة ثمان وخمسين ومائة .

وجعل أمر ذلك إلى رجل يقال له الوضاح ، وبني للعمامة جامعاً للصلاة والجمعة لتلا يدخلوا إلى جامع المنصور ، فأما دار الخلافة التي كانت ببغداد بعهد ذلك فاتها كانت للحسن بن سهل ، فانتقلت من بعده إلى بوران زوجة المأمون ، فطلبها منها المعتضد - وقيل المنتمد - فأنعمت له بها ، ثم استنظرتها أياما حتى تنتقل منها فأنظرها ، فشرعت في تلك الأيام في ترميمها وتبييضها وتحسينها ، ثم فرشتها

بأنواع الفرش والبسط ، وعلقت فيها أنواع الستور ، وأرصدت فيها ما ينبئ للخلافة من الجوارى والخدم ، وألبستهم أنواع الملابس ، وجعلت في الخزائن ما ينبئ من أنواع الأطعمة والمأكول ، وجعلت في بعض بيوتها من أنواع الأموال والذخائر ، ثم أرسلت بماتبعها إليه ، ثم دخلها فوجد فيها ما أرصدته بها ، فهاله ذلك واستعظمه جداً ، وكان أول خليفة سكنها وبني عليها سوراً . ذكره الخطيب .

وأما التاج فبناه المكتفى على دجلة وحوله القباب والمجالس والميادين والأثيريا وحير الوحوش . وذكر الخطيب صفة دار الشجرة التي كانت في زمن المقتدر بالله ، وما فيها من الفرش والستور والخدم والممالك والحشمة الباهرة ، والدنيا الظاهرة ، وأنها كان بها إحدى عشر ألف طواشي ، وسبعمائة حاجب . وأما الممالك فألوف لا يحصون كثرة ، وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في أيامهم ودولهم التي ذهبت كأنها أحلام نوم ، بعد سنة ثلثمائة . وذكر الخطيب دار الملك التي بالحرم ، وذكر الجوامع التي تقام فيها الجمع ، وذكر الأنهار والجسور التي بها ، وما كان في ذلك في زمن المنصور ، وما أحدث بعده إلى زمانه ، وأنشد لبعض الشعراء في جسور بغداد التي على دجلة :

يوم سرقنا العيش فيه خلصة \* في مجلس ببناء دجلة مفرد  
رق الهواء برقة وقدامة \* فندوت رقاً للزمان المسعد  
فكان دجلة طيلسان أبيض \* والجسر فيها كالطراز الأسود  
وقال آخر : يا حبذا جسر على متن دجلة \* باقتان تأسيس وحسن وروني  
جمال وحسن للعراق ونزهة \* وسلوة من أضناء فرط القشوني  
تراه إذا ما جنته متاملاً \* كسطر عبير خط في وسطهم رقي  
أو العاج فيه الأبنوس مرقش \* مثال فيول تحنها أرض زئبق

وذكر الصولي قال : ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد أن ذرع بغداد من الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جريب ، وأن الجانب الشرقي ستة وعشرون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً وأن عدة حماماتها ستون ألف حمام ، وأقل ما في كل حمام منها خمسة نفر حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقاء ، وأن بازاء كل حمام خمسة مساجد ، فذلك ثلاثمائة ألف مسجد ، وأقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر - يعني إماماً وقيماً ومأذوناً ومأمومين - ثم تناقصت بعد ذلك ، ثم دثرت بعد ذلك حتى صارت كأنها خربة صورة ومعنى . على ما سيأتي بيانه في موضعه .

وقال المحافظ أبو بكر البغدادي : لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلاله قدرها ، ونفامه أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة أطرارها ،



وكثيرة دورها ودروبها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وخاناتها ، وطيب هوائها وعنوبه ماثها وبرد ظلالها واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة رييها وخريفها ، وأكثر ما كانت عمارة وأهلاني أيام الرشيد ، ثم ذكرتنا قص أحوالها وهلم جرا إلى زمانه . قلت : وكذا من بعده إلى زماننا هذا ، ولا سببا في أيام هولاء كور بن تولى بن جنكز بن خان التركي الذي وضع معالمها وقتل خليفتها وعالمها وخرب دورها وهدم قصورها وأباد الخواص والعوام من أهلها في ذلك العام ، وأخذ الأموال والخراسل ، ونهب الدراري والأصائل ، وأورث بها حزنا يمدد به في المبكرات والأصائل ، وصيرها مثلة في الأقاليم ، وعبرة لكل معتبر عليهم ، وقد كره لكل ذي عقل مستقيم ، وبدلت بمد تلاوة القرآن بالنهات والألحان ، وإنشاد الأشعار ، وكان ، وكان . وبعد سماع الأحاديث النبوية بدرس الفلسفة اليونانية ، والمناهج الكلامية والتأويلات الترمطية ، وبعد العلماء بالأطباء ، وبعد الخليفة العباسي بشر الولاية من الاناسي ، وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة ، وبعد الطلبة المشتغلين بالظلمة والعمارين ، وبعد العلم بالفقه والحديث وتعبير الرؤيا ، بالموشح ودوبيت ومواليا . وما أصابهم ذلك إلا بيمض ذنوبهم [ ومار بك بظلام للعبيد ] والتحول منها في هذه الأزمان لكثرة ما فيها من المنكرات الحسية والمعنوية ، وأكل الحشيشة ، والانتقال عنها إلى بلاد الشام الذي تكفل الله بأهلها أفضل وأكل وأجل . وقد روى الامام أحمد عن رسول الله (ص) ، أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام ، وشرار أهل الشام إلى العراق » .

### ما ورد في مدينة بغداد من الآثار ومافياها من الأخبار

فيها أربع لغات بغداد وبنداد باعمال الذال الثانية وإجماعها ، وبندان بالنون آخره والميم مع ذلك أولا مضدان ، وهي كلمة أمجية قيل إنها مركبة من بئج وداد فقيل بئج بستان وداد اسم رجل ، وقيل بئج اسم صنم وقيل شيطان وداد عطية أي عطية الصنم ، ولهذا كره عبد الله بن المبارك والأصمعي وغيرهما تسميتها ببنداد وإنما يقال لها مدينة السلام ، وكذا أسماها بانها أبو جعفر المنصور ، لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام ، ومنهم من يسميها الزوراء .

فروى الخطيب البغدادي من طريق حمار بن سيف - وهو منهم - قال : سمعت طاحم الأجل يحدث عن سفیان الثوري عن أبي عثمان عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) : « بيني مدينة بين دجلة ودجيل وقطر بل والصرافة فبهي إليها خزائن الأرض ، وملوكها جبارة ، فلهي أسرع ذهابا في الأرض من الرند الحديد في الأرض الرخوة » . قال الخطيب : وقد رواه عن طاحم الأجل سيف ابن أخت سفیان الثوري ، وهو أخو حمار بن سيف . قلت : وكلاهما ضعيف منهم برى بالكذب ، ومحمد بن جابر الجعفي ضعيف ، وأبو شهاب الخنطلي ضعيف . وروى عن سفیان الثوري

عن عاصم من طرق ثم أسند ذلك كله . وأورد من طريق يحيى بن معين عن يحيى بن أبي كثير عن  
 عماد بن سيف عن الثوري عن عاصم عن أبي عثمان عن جرير عن النبي (ص) . وقال أحمد ويحيى :  
 يس لهذا الحديث أصل . وقال أحمد : ما حدثت به إنسان ثقة ، وقد علاه الخطيب من جميع طرقه  
 وسقه أيضاً من طريق عماد بن سيف عن الثوري عن أبي عبيدة حميد الطويل ، عن أنس بن  
 مالك ، ولا يصح أيضاً . ومن طريق عمر بن يحيى عن سفیان عن قيس بن مسلم عن ربي عن حذيفة  
 مرفوعاً بنحوه ، ولا يصح . ومن غير وجه عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وثوبان وابن عباس ،  
 وفي بعضها ذكر السفينائي « وأنه يخرجها » ولا يصح إسناد شيء من هذه الأحاديث . وقد أوردتها  
 الخطيب بأسانيدھا وألفاظھا ، وفي كل منها نكارة ، وأقرب ما فيها عن كعب الأخبار وقد جاء في  
 آثار عن كتب متقدمة أن بانها يقال له مقلص وذو الدوايق لبخله .

### فصل في فضل بغداد

#### عاصم بن بغداد ومساويها وما روى في ذلك عن الأئمة

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي : قال لي الشافعي : هل رأيت بغداد ؟ قلت لا ائقتال : مارأيت  
 الدنيا . وقال الشافعي : ما دخلت بلدا قط إلا عدته سفرا ، إلا ببغداد فاني حين دخلتها عدتها  
 وطني . وقال بعضهم : الدنيا يادية و ببغداد حاضرتها . وقال ابن عليّة : ما رأيت أعقل في طلب  
 الحديث من أهل ببغداد ، ولا أحسن دعة منهم . وقال ابن مجاهد : رأيت أبا جمر و بن السلاء في  
 النوم قلت : ما فعل الله بك ؟ فقال لي : دعني من هذا ، من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات  
 نقل من جنة إلى جنة . وقال أبو بكر بن عياش : الاسلام ببغداد ، وإنها لصيادة تصيد الرجال ،  
 ومن لم يرها لم ير الدنيا . وقال أبو معاوية : ببغداد دار دنيا وآخرة . وقال بعضهم : من محاسن الاسلام  
 يوم الجمعة ببغداد ، وصلاة التراويح بمكة ، ويوم العيد بطرسوس . قال الخطيب : من شهد يوم  
 الجمعة بمدينة السلام عظم الله في قلبه محل الاسلام ، لأن مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم  
 العيد في غيرها من البلاد . وقال بعضهم : كنت أوأظب على الجمعة بمجامع المنصور فعرض لي شغل  
 فصليت في غيره فرأيت في المنام كأن قائلا يقول : تركت الصلاة في جامع المدينة وإنه ليصلي فيه  
 كل جمعة سبعون ولياً . وقال آخر : أردت الانتقال من ببغداد فرأيت كأن قائلا يقول في المنام :  
 أنتنقل من بلد فيه عشرة آلاف ولي لله عز وجل ؟ وقال بعضهم : رأيت كأن ملكين أتيا ببغداد  
 فقال أحدهما لصاحبه : اقلبا . فقد حق القول عليها : فقال الآخر كيف أقلب ببلد يختم فيها  
 القرآن كل ليلة خمسة آلاف ختمة ؟ وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز بن سليمان بن موسى  
 قال : إذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وصلاته شامية فقد كل . وقالت زبيدة المنصور

التمرى قل شعرا تحبب فيه بغداد إلى . فقد اختار عليها الراقعة فقال :  
 ما ذا ببغداد من طيب الأمانين \* ومن منازة للدينيا ولدين  
 تحبب الرياح بها المرضى إذا نسمت \* وجوشت بين أغصان الرياحين  
 قال . فأعطته أئني دينار . وقال الخطيب : وقرأت في كتاب طاهر بن مظفر بن طاهر الخازن  
 بخله من شعره :

سقى الله صوب الغاديات محلة \* ببغداد بين الكرخ والخلد والجسر  
 هي البلدة الحسنة خصت لأهلها \* بأشياء لم يجمن مذكن في مصر  
 هواء رقيق في اعتدال وصحة \* وماء له طعم اللذ من الحر  
 ودجلتها شيطان قد نظا لنا \* بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر  
 تراها كسك والمياه كفضة \* وحصباؤها مثل اليواقيت والدر  
 وقد أورد الخطيب في هذا أشماراً كثيرة وفيها ذكرنا كفاية . وقد كان الفراغ من بناء بغداد  
 في هذه السنة - أعنى سنة ست وأربعين ومائة - وقيل في سنة ثمان وأربعين ، وقيل إن خندقها  
 وسورها كلاً في سنة سبع وأربعين ، ولم يزل المنصور يزيد فيها ويتأنق في بنائها حتى كان آخر ما بنى  
 فيها قصر الخلد ، فظن أنه يخلد فيها ، أو أنها تخلد فلا تخرب ، فمعد كاله مات . وقد خربت بغداد  
 مرات كما سيأتي بيانه .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل المنصور سلم بن قتيبة عن البصرة وولى عليها محمد بن  
 سليمان بن علي ، وذلك لأنه كتب إلى سلم يأمره بهدم بيوت الذين بايعوا إبراهيم بن عبد الله بن حسن  
 فتوانى في ذلك فزله ، وبعث ابن عمه محمد بن سليمان فعاتبها فساداً ، وهدم دوراً كثيرة . وعزل  
 عبد الله بن الربيع عن إمرة المدينة وولى عليها جعفر بن سليمان ، وعزل عن مكة السري بن  
 عبد الله وولى عليها عبد الصمد بن علي . قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم  
 ابن محمد بن علي قاله الواقدي وغيره . قال : وفيها غزا الصائفة من بلاد الروم جعفر بن حنظلة  
 البهراني . وفيها توفي من الأعيان أشعث بن عبد الملك ، وهشام بن السائب الكلابي ، وهشام بن  
 عروة . ويزيد بن أبي عبيد في قول .

### ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

فيها أغار اشترخان الخوارزمي في جيش من الأتراك على ناحية أرمينية فدخلوا تغليس وقتلوا  
 خلقاً كثيراً وأسروا كثيراً من المسلمين وأهل القعة ، ومن قتل يومئذ حرب بن عبد الله الراوندي  
 الذي تنسب إليه الحربية ببغداد ، وكان مقبلاً بالموصل في ألفين لمقابلة الخوارج ، فأرسله المنصور

لمساعدة المسلمين ببلاد أرمينية ، وكان في جيش جبريل بن يحيى ، فهزم جبريل وقتل حرب رحمه الله . وفي هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علي عم المنصور .

وهو الذي أخذ الشام من أيدي بني أمية ، كان عليها واليا حتى مات السفاح ، فلما مات دعا إلى نفسه فبعث إليه المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه أبو مسلم وهرب عبد الله إلى عند أخيه سليمان ابن علي وإلى البصرة فاختفى عنده مدة ثم ظهر المنصور على أمره فاستدعى به وسجنه ، فلما كان في هذه السنة عزم المنصور على الحج فطلب عمه عيسى بن موسى - وكان ولي العهد من بعد المنصور عن وصية السفاح - وسلم إليه عمه عبد الله بن علي وقال له : إن هذا عدوى وعدوك ، فاقتله في غيبتي عنك ولا تتواني . وسار المنصور إلى الحج وجعل يكتب إليه من الطريق يستخفه في ذلك ويقول له : ماذا صنعت فيما أودعت إليك فيه ؟ مرة بعد مرة . وأما عيسى بن موسى فإنه لما تسلم عمه حار في أمره وشاور بعض أهله فأشار بعضهم ممن له رأى أن المصلحة تقتضي أن لا تقتله وأبقه عندك وأظهر قتله فإنا نحشى أن يطالبك به جبهة فتقول : قتلته ، فيأمر بالتؤد فندعي أنه أمرك بقتله بالسر بينك وبينه فتعجز عن إثبات ذلك فيقتلك به ، وإنما يريد المنصور قتله وقتلك ليستريح منك ما . فتذير عيسى بن موسى عند ذلك وأخفى عمه وأظهر أنه قتله . فلما رجع المنصور من الحج أمر أهله أن يدخلوا عليه ويشفوا في عمه عبد الله بن علي ، وألحوا في ذلك فأجابهم إلى ذلك ، واستدعى عيسى بن موسى وقال له : إن هؤلاء شفوا في عمه عبد الله بن علي وقد أوجبهم إلى ذلك فسله إليهم . فقال عيسى : وأين عبد الله ؟ ذاك قتلته منذ أمرتني . فقال المنصور : لم أرك بذلك ، وجحد ذلك وأن يكون تقدم إليه منه أمره في ذلك ، فأحضر عيسى الكتب التي كتبها إليه المنصور مرة بعد مرة في ذلك فأنكر أن يكون أراد ذلك ، وصمم على الإنكار ، وصمم عيسى ابن موسى أنه قد قتله ، فأمر المنصور عند ذلك بقتل عيسى بن موسى قصاصاً بعبد الله ، فخرج به بنو هاشم ليقتلوه ، فلما جاؤا بالسيف قال : ردوني إلى الخليفة ، فردوه إليه فقال له : إن عمك حاصر ولم أقتله ، فقال : هلم به . فأحضره فسقط في يد الخليفة وأمر بسجنه بدار جدرانها مبلية على ملح ، فلما كان من الليل أرسل على جدرانها الماء فسقط عليه البناء فهلك . ثم إن المنصور خلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقدم عليه ابنه المهدي ، وكان يجاسه فوق عيسى بن موسى عن يمينه ، ثم كان لا يلتفت إلى عيسى بن موسى ويهينه في الأذن والمشورة والدخول عليه والخروج من عنده ، ثم ما زال يقصيه ويمده ويهدده ويتوعده حتى خلع نفسه بنفسه ، وبإيعاز محمد بن منصور وأعطاه المنصور على ذلك نحواً من اثني عشر ألف ألف درهم ، وانفصل أمر عيسى بن موسى وبليه عند

المنصور، وأقبل عليه بعد ما كان قد أعرض عنه . وكان قد جرت بينهما قبل ذلك مكاتبات في ذلك كثيرة جداً ، ومراديات في تهديد البيعة لابنه المهدي وخلع عيسى نفسه ، وأن العامة لا يستدلون بالمهدي أحداً . وكذلك الأمراء والخواص . ولم يزل به حتى أجاب إلى ذلك مكرها ، فموضه عن ذلك ما ذكرنا ، وسارت بيعة المهدي في الآفاق شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، وفرح المنصور بذلك فرحاً شديداً ، واستقرت الخلافة في ذريته إلى زماننا هذا ، فلم يكن خليفة من بني العباس إلا من سلالة [ ذلك تقدير العزيز العليم ] .

وفيها توفى عبيد الله بن عمر العمري ، وهاشم بن هاشم ، وهشام بن حسان صاحب الحسن البصري .

### ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

فيها بعث المنصور حميد بن قحطبة لغزو الترك الذين عاثوا في السنة الماضية ببلاد تغليس ، فلم يجد منهم أحداً فانهم انشروا إلى بلادهم . وحج بالناس فيها جعفر بن أبي جعفر ، ونواب البلاد فيها هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفى جعفر بن محمد الصادق المنسوب إليه كتاب اخلاج الأعضاء وهو مكذوب عليه . وفيها توفى سليمان بن مهران الأعشى أحد مشايخ الحديث في ربيع الأول منها وعمر بن الحارث ، والعوام بن حوشب ، والزيدي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى . ومحمد بن عجلان .

### ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

فيها فرغ من بناء سور بغداد وخذنها . وفيها غزا الصائفة العباس بن محمد فدخل بلاد الروم ومعه الحسين بن قحطبة ومحمد بن الأشعث . ومات محمد بن الأشعث في الطريق . وفيها حج بالناس محمد بن إبراهيم بن علي وولاه المنصور على مكة والحجاز عوضاً عن عمه عبد الصمد بن علي . وعمال الأمصار فيها هم الذين كانوا في السنة قبلها . وفيها توفى زكريا بن أبي زائدة ، وكهمس بن الحسن ، والمثنى بن الصباح . وعيسى بن عمر أبو عمرو الثقفي البصري النحوي شيخ سيبويه . يقال إنه من موالى خالد بن الوليد ، وإنما نزل في تقيف فنسب إليهم . كان إماماً كبيراً جليلاً في اللغة والنحو والقراءات ، أخذ ذلك عن عبيد الله بن كثير وابن الخيصر . وعبد الله بن أبي إسحاق ، وسمع الحسن البصري وغيرهم . وعنه الخليل بن أحمد والأصمعي وسيبويه . ولزمه وعرف به وانتفع به ، وأخذ كتابه الذي سماه بالجامع فزاد عليه وبسطه ، فهو كتاب سيبويه اليوم ، وإنما هو كتاب شيخه ، وكان سيبويه يسأل شيخه الخليل بن أحمد عما أشكل عليه فيه ، فسأله الخليل أيضاً عما صنف عيسى بن عمر فقال : جمع بضعاً وسبعين كتاباً ذهب كلها إلا كتاب الأكل ،

وهو بأرض فارس . وهو الذي أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه ، فاطرق الخليل ساعة ثم أنشد :

ذهبَ النحرُ جميعاً كله \* غيرَ ما أحدثَ عيسى بن عمر

ذاكَ إكمالَ وهذا جامع \* وهما للناسِ شمسٌ وقرصٌ

وقد كان عيسى يفرّب ويتعمرّ في عبارته جنباً . وقد حكى الجوهري عنه في الصحاح أنه سقط يوماً عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال : مالك تكأ كأتّم على تكأ كؤم على ذي مرة ؟ افرقوا عني . معناه : مالك تجتمع على تجتمع على مجنون ؟ انكشفوا عني . وقال غيره : كان به ضيق النفس فسقط بسببه فاعتقد الناس أنه مصروع . فجعلوا يعدونه وقرؤن عليه ، فلما أفق من غشيته قال ، ما قال . فقال بعضهم : إني حسبتّه - يتكلم بالفارسية - وذكر ابن خلكان أنه كان صاحباً لأبي عمرو بن العلاء ، وأن عيسى بن عمر قال يوماً لأبي عمرو بن العلاء : أنا أفصح من معدّ بن عدنان . فقال له أبو عمرو كيف تقرأ هذا البيت .

قد كُنَّ يخبّانُ الوجوهَ تسترّاً \* فاليومَ حينَ بدأنا للنظارِ

أو بدين ؟ فقال بدين . فقال أبو عمرو : أخطأت ، ولو قال : بدأنا لأخطأ أيضاً . وإنما أيراد

أبو عمرو تغليطه ، وإنما الصواب بدون من بدا يبد وإذا ظهر ، وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء .

ثم دخلت سنة خمسين ومائة من الهجرة

فيها خرج رجل من الكفرة يقال له استاذسيس في بلاد خراسان فاستحوذ على أكثرها ، والتف معه نحو من ثلاثمائة ألف ، وقتلوا من المسلمين هنالك خلقاً كثيراً ، وهزموا الجيوش التي في تلك البلاد ، وسبوا خلقاً كثيراً ، وتحكّم الفساد بسببهم ، وتفانم أمرهم ، فوجه المنصور خازم بن خزيمه إلى ابنه المهدي ليوليّه حرب تلك البلاد ، ويضم إليه من الأجناد ما يقاوم أولئك . فنهض المهدي في ذلك نهضة هاشمية ، وجمع لخازم بن خزيمه الامرة على تلك البلاد والجيوش ، وبعثه في نحو من أربعين ألفاً ، فسار إليهم وما زال يراوهم وبما كرم ويميل الخديعة فيهم حتى فاجأهم بالحرب ، وواجههم بالطنم والضرب ، فقتل منهم نحواً من سبعين ألفاً ، وأسر منهم أربعين ألفاً ، وهرب ملكهم استاذسيس فتحرز في جبل ، فجاء خازم إلى تحت الجبل وقتل أولئك الأسرى كلهم ، ولم يزل يحاصره حتى نزل على حكم بعض الأمراء ، فحكّم أن يقيد بالحديد هو وأهل بيته ، وأن يعتق من معه من الأجناد . وكانوا ثلاثين ألفاً - ففعل خازم ذلك كله وأطلق لكل واحد من كان مع استاذسيس ثوبين ، وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدي ، فكتب المهدي بذلك إلى أبيه المنصور . وفيها عزل الخليفة عن إمرة المدينة جعفر بن سليمان وولاه الحسن بن زيد بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن علي عم الخليفة . وتوفي فيها

جعفر ابن أمير المؤمنين المنصور ودفن أولاً بمقابر بني هاشم من بغداد ، ثم نقل منها إلى موضع آخر .  
وفيهما توفى عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أحد أئمة أهل الحجاز ، ويقال إنه أول من جمع  
السنن . وعثمان بن الأسود ، وعمر بن محمد بن زيد . وفيها توفى الامام أبو حنيفة .

### ذكر ترجمته

هو الامام أبو حنيفة واسمه النعمان بن ثابت النيسبي مولاهم الكوفي ، فقيه العراق ، وأحد أئمة  
الاسلام ، والسادة الأعلام ، وأحد أركان العلماء ، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة ،  
وهو أقدمهم وفاة ، لأنه أدرك عصر الصحابة ، ورأى أنس بن مالك ، قيل وغيره . وذكر بعضهم  
أنه روى عن سبعة من الصحابة فأنه أعلم .

وروى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحماد بن أبي سليمان ، وسلمة بن كهيل ، وعامر  
الشمي ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة ، والزهرى ، ونافع مولى ابن عمر ، ويحيى بن سعيد الأنصاري  
وأبو إسحاق السبيعي . وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان ، وإسحاق بن يوسف  
الأزرق ، وأسد بن عمرو والقاضي ، والحسن بن زياد اللؤلؤي ، وحمزة الزيات ، وداود الطائي ، وزفر ،  
وعبد الرزاق ، وأبو نعيم ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وهشيم ، وكيع ، وأبو يوسف القاضي . قال  
يحيى بن معين : كان ثقة ، وكان من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب ، ولقد ضربه ابن هبيرة على  
القضاء فأبى أن يكون قاضياً . وقد كان يحيى بن سعيد يختار قوله في الفتوى ، وكان يحيى يقول :  
لا نكذب الله ، أما سمعنا أحسن من رأى أبي حنيفة ، وقد أخذنا بأكثر أقواله . وقال عبد الله بن  
المبارك : لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس . وقال في الشافعي :  
رأيت رجلاً لو لك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقم بحجته : وقال الشافعي : من أراد الفقه فهو  
عيال على أبي حنيفة ، ومن أراد السير فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد الحديث فهو  
عيال على مالك ، ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان . وقال عبد الله بن داود الحاربي :  
ينبغي للناس أن يدعوا في صلاحهم لأبي حنيفة ، لحفظه الفقه والسنن عليهم . وقال سفيان الثوري  
وابن المبارك : كان أبو حنيفة أقره أهل الأرض في زمانه . وقال أبو نعيم : كان صاحب غوص في  
المسائل . وقال مكى بن إبراهيم : كان أعلم أهل الأرض . وروى الخطيب بسنده عن أسد بن عمرو  
أن أبا حنيفة كان يصل بالليل ويقرأ القرآن في كل ليلة ، ويبكى حتى يرجمه جيرانه . ومكث أربعين  
سنة يصل الصبح بوضوء العشاء ، وختم القرآن في الموضع الذي توفى فيه سبعين ألفاً مرة ، وكانت  
وفاته في رجب من هذه السنة - أعني سنة خمسين ومائة - وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين .  
وقال غيره : سنة ثلاث وخمسين . والصحيح الأول .

وكان مولده في سنة ثمانين قتم له من العمر سبعون سنة ، وصلى عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزحام ، وقبره هناك رحمه الله .

### ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

فيها عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وولى عليها هشام بن عمرو والتغلي ، وكان سبب عزله عنها أن محمد بن عبد الله بن حسن لما ظهر بعث ابنه عبد الله الملقب بالأشتر ومعه جماعة بهدية وخبول عتاق إلى عمر بن حفص هذا إلى السند فقبلها ، فدعوه إلى دعوة أبيه محمد بن عبد الله بن حسن في السرفأجابهم إلى ذلك ولبسوا البياض . ولما جاء خبر مقتل محمد بن عبد الله بالمدينة سقط في أيديهم وأخذوا في الاعتذار إلى عبد الله بن محمد ، فقال له عبد الله : إني أخشى على نفسي . فقال : إني سأبعثك إلى ملك من المشركين في جوار أرضنا ، وإنه من أشد الناس تعظيماً لرسول الله . ، وإنه متى عرفك أنك من سلالة أحبك . فأجابه إلى ذلك ، وسار عبد الله ابن محمد إلى ذلك الملك وكان عنده آمناء ، وصار عبد الله يركب في موكب من الزيدية ويتصيد في جحفل من الجنود ، وانضم إليه خلق وقدم عليه طوائف من الزيدية .

وأما المنصور فانه بعث يمتب على عمر بن حفص نائب السند ، فقال رجل من الأمراء ابغضني إليه واجعل القضية مسندة إلى ، فاني سأعتذر إليه من ذلك ، فان سلمت وإلا كنت فداءك وفداء من عنديك من الأمراء . فأرسله سفيراً في القضية إلى المنصور ، فلما وقف بين يدي المنصور أمر بضرب عنقه ، وكتب إلى عمر بن حفص بعزله عن السند وولاه بلاد إفريقية عوضاً عن أميرها ، ولما وجه المنصور هشام بن عمرو إلى السند أمره أن يجتهد في تحصيل عبد الله بن محمد ، فجعل يتوآى في ذلك ، فبعث إليه المنصور يستحثه في ذلك ، ثم اتفق الحال أن سيفاً أخا هشام بن عمرو لقي عبد الله بن محمد في بعض الأماكن فاقتنلوا قتل عبد الله وأصحابه جميعاً واشتبه عليهم مكانه في القتلى فلم يقدروا عليه . فكتب هشام بن عمرو إلى المنصور يعلمه بقتله ، فبعث يشكره على ذلك ويأمره بقتال الملك الذي آواه ، ويعلمه أن عبد الله كان قد تسرى بجارية هنالك وأولدها وللاً أسماه محمداً ، فاذا نظرت بالملك فاحتفظ بالغلام فتمض هشام بن عمرو إلى ذلك الملك فقاتله فغلبه وقبره على بلاده وأمواله وحواسله ، وبعث بالفتح والأخماس وبذلك الغلام والملك إلى المنصور ، ففرح المنصور بذلك وبعث بذلك الغلام إلى المدينة ، وكتب المنصور إلى نائبها يعلمه بصحة نسبه ، ويأمره أن يلحقه بأهله يكون عندهم لثلاً يضيع نسبه ، فهو الذي يقال له أبو الحسن بن الأشتر . وفي هذه السنة قدم المهدي بن المنصور على أبيه من خراسان فتلقاها أبوه والأمراء والأكابر



إلى أثناء الطريق ، وقدم بعد ذلك نواب البلاد والشام وغيرها للسلام عليه وتمنئته بالسلامة والنصر .  
وجعل إليه من الهدايا والتحف ما لا يحصى ولا يوصف .

### بناء الرصافة

قال ابن جرير : وفي هذه السنة شرع المنصور في بناء الرصافة لابنه المهدي بعد مقدمه من خراسان ، وهي في الجانب الشرق من بغداد ، وجعل لها سوراً وخذقا ، وعمل عندها ميادانا وبساتينا ، وأجرى إليها الماء من نهر المهدي . قال ابن جرير :

وفيها جدد المنصور البيعة لنفسه ثم لولده المهدي من بعده ، ولعيسى بن موسى من بعدهما ، وجاء الأمراء والخوارج فبايعوا وجعلوا يقبلون يد المنصور ويد ابنه ويلبسون يد عيسى بن موسى ولا يقبلونها . قال الواقدي : وولى المنصور معن بن زائدة سجستان .

وحجج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، وهو نائب مكة والطائف ، وعلى المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة جابر بن زيد الكلابي ، وعلى مصر يزيد بن حاتم . ونائب خراسان حميد بن قحطبة ، ونائب سجستان معن بن زائدة . وغزا الرصافة فيها عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد .

وفيها توفي حنظلة بن أبي سفيان ، وعبد الله بن عون ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علما هنديا ، به ، ونفرا يستجلى به ، والناس كلهم عيال عليه في ذلك ، كما قال الشافعي وغيره من الأئمة .

### ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة

فيها عزل المنصور عن إمرة مصر يزيد بن حاتم وولاه محمد بن سعيد ، وبعث إلى نائب إفريقية وكان قد بلغه أنه عصى وخالف ، فلما جرى به أمر بضرب عنقه . وعزل عن البصرة جابر ابن زيد الكلابي وولاه يزيد بن منصور . وفيها قتلت الخوارج معن بن زائدة بسجستان . وفيها توفي عباد بن منصور ، وبونس بن يزيد الأيلي .

### ثم دخلت سنة ثلاث وخمسون ومائة

وفيها غضب المنصور على كاتبه أبي أيوب المورياتي وسجنه وسجن أخاه خالداً وبنى أخيه الأربعة سجيناً ومسوداً ومخلداً ومحمداً ، وطالبهم بالأموال الكثيرة . وكان سبب ذلك ما ذكره ابن عساکر في ترجمة أبي جعفر المنصور ، وهو أنه كان في زمن شببته قد ورد الموصل وهو فقير لا شيء له ولا معه شيء ، فأجر نفسه من بعض الملاحين حتى اكتسب شيئاً تزوج به امرأة ، ثم جعل يهدمها ويهدمها ، فأتى بيت سيصير الملك إليهم سريراً ، فاتفق حبيلها منه ، ثم طلبه بنو أمية فهرب عنها

وتركها حاملاً ، ووضع عندها رقعة فيها نسبهته ، وأنه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمرها إذا بلغت أمره أن تأتيه ، وإذا ولدت غلاماً أن تسميه جعفرآ . فولدت غلاماً فسماه جعفرآ . ونشأ الغلام فتعلم الكتابة وغوى العربية والأدب ، وأتمن ذلك إتقاناً جيداً ، ثم آل الأمر إلى بني الهيبس ، فسألت عن السفاح فاذا هو ليس صاحبها ، ثم قام المنصور وصار الولد إلى بغداد فاختلف بكتّاب الرسائل فأعجب به أبو أيوب المورياتي صاحب ديوان الانشاء للمنصور ، وحظي عنده وفداه على غير ه ، فاتفق حضوره معه بين يدي الخليفة فحمل الخليفة يلاحظه ، ثم بعث يوماً الخادم ليأتيه بكتّاب فدخل ومعه ذلك الغلام ، فكتب بين يدي المنصور كتاباً وجمل الخليفة ينظر إليه ويتأمله ، ثم سأله عن اسمه فأخبره أنه جعفر ، فقال : ابن من ؟ فسكت الغلام ، فقال : مالك لا تتكلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن من خبري كيت وكيت ، فتغير وجه الخليفة ثم سأله عن أمه فأخبره ، وسأله عن أحوال بلد الموصل فجعل يخبره والغلام يتعجب . ثم قام إليه الخليفة فاحتضنه وقال : أنت ابني . ثم بعثه بهقدهم ومن مال جزيل وكتاب إلى أمه يعلمها بحقيقة الأمر وحال الولد . وخرج الغلام ومعه ذلك من باب سر الخليفة فأحرز ذلك ثم جاء إلى أبي أيوب فقال : ما بطأ بك عند الخليفة ؟ فقال : إنه استكنبني في رسائل كثيرة ، ثم تناولوا ، ثم فارقه الغلام مضطرباً ونهض من فورهِ فاستأجر إلى الموصل ليعلم أمه ويحملها وأهلها إلى بغداد ، إلى أبيه الخليفة . فسار مراحل ، ثم سأل عنه أبو أيوب فقبل سافر فظن أبو أيوب أنه قد أفضى شيئاً من أسراره إلى الخليفة وفر منه ، فبعث في طلبه رسولاً وقال : حيث وجدته فرده على . فسار الرسول في طلبه فوجده في بعض المنازل فحققه وألقاه في بئر وأخذ ما كان معه فرجع به إلى أبي أيوب . فلما وقف أبو أيوب على الكتاب أسقط في يده وندم على بعثه خلفه . وانتظر الخليفة عود ولده إليه واستبطأه وكشف عن خبره فاذا رسول أبي أيوب قد لحقه وقتله . فحينئذ استحضر أبا أيوب وألزمه بأموال عظيمة ، وما زال في العقوبة حتى أخذ جميع أمواله وحواصله ثم قتله ، وجعل يقول : هذا قتل حبيبي . وكان المنصور كلما ذكر ولده حزن عليه حزناً شديداً .

وفيها خرجت الخوارج من الصفرية وغيرهم ببلاد إفريقية . فاجتمع منهم ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً ، ما بين فارس وراجل ، وعليهم أبو حاتم الاعمالي ، وأبو عباد . وانضم إليهم أبو قرة الصفرى في أربعين ألفاً ، فقاتلوا نائب إفريقية فهزموا جيشه وقتلوه ، وهو عمر بن عثمان بن أبي صفرة الذي كان نائب السند كما تقدم ، قتله هؤلاء الخوارج رحمه الله . وأكثر الخوارج الفساد في البلاد ، وقتلوا الحريرم والأولاد . وفيها ألزم المنصور الناس بلبس قلانس سود طوال جسداً ، حتى كانوا بسندينوز على رفقها من داخلها بالقضيب ، فقال أبو دلالة الشاعر في ذلك :

وكنا نرجى من إمام زيادة \* فزاد الامام المنجى في القلائس  
 تراها على هام الرجال كأنها \* دنان يهودي جللت بالبرانس  
 وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحجورى فأسر خلقاً كثيراً من الروم يئيف على سنة  
 آلاف أسير ، وغنم أموالاً جزيلة . وحجج بالناس المهدي بن المنصور [ وهو ولي العهد الملقب بالمهدي .  
 وكان على نيابة مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن  
 سليمان وعلى البصرة يزيد بن منصور ، وعلى مصر محمد بن سميد . وذكر الواقدي أن يزيد بن  
 منصور كان ولاء المنصور في هذه السنة اليمن . فإله أعلم ] (١)  
 وفيها توفي أبان بن صمعة ، وأسامة بن زيد الليثي ، وثور بن يزيد الحمصي ، والحسن بن عمارة ،  
 وقطر بن خليفة ، ومعر وهشام بن الغازي والله أعلم .

### ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

فيها دخل المنصور بلاد الشام وزار بيت المقدس وجهز يزيد بن حاتم في خمسين ألفاً وولاه بلاد  
 إفريقية ، وأمره بقتال الخوارج ، وأنفق على هذا الجيش نحواً من ثلاث وستين ألف درهم ، وغزا  
 الصائفة زفر بن عاصم الهلالى . وحجج بالناس فيها محمد بن إبراهيم . ونواب البلاد والأقاليم هم  
 المذكورون في القى قبلها ، سوى البصرة فعليها عبد الملك بن أيوب بن غلبان . وفيها توفي أبو  
 أيوب الكاتب وأخوه خالد ، وأمر المنصور ببني أخيه أن تقطع أيديهم وأرجلهم ثم تضرب بعد  
 ذلك أعناقهم ففعل ذلك بهم . وفيها توفي :

### أشعب الطامع

وهو أشعب بن جبير أبو العلاء ، ويقال أبو إسحاق المديني ، ويقال له أبو حميدة . وكان أبوه  
 مولى لآل الزبير ، قتله الخنار ، وهو خال الواقدي . روى عن عبد الله بن جعفر « أن رسول الله  
 (س) كان يتختم في اليمن » . وأبان بن عثمان ، وسالم وعكرمة ، وكان ظريفاً ماجناً يحبه أهل زمانه  
 لثلاعه وطيمه ، وكان حميد الفناء ، وقد وفد على الوليد بن يزيد دمشق فترجمه ابن عساكر ترجمة  
 ذكر عنه فيها أشياء مضحكة ، وأسند عنه حديثين . وروى عنه أنه سئل يوماً أن يحدث فقال :  
 حدثني عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (س) قال : « خصلتان من عمل بهما دخل الجنة » ثم  
 سكت فقيل له : وما هما ؟ فقال : نسى عكرمة الواحدة ونسيت أنا الأخرى . وكان سالم بن عبد الله  
 ابن عمر يستخفه ويستحليه ويضحك منه يأخذه معه إلى الغابة ، وكذلك كان غيره من أكابر  
 الناس . وقال الشافعي : عبت الولدان يوماً بأشعب فقال لهم : إن ههنا أناساً يفرقون الجوز - ليطر دم

(١) زيادة من المصرية .

عنه - فتسارع الصبياني إلى ذلك ، فلما رآهم مسرعين قال : لعله حق فنبههم . وقال له رجل : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما زلت عروس بالمدينة إلا رجوت أن تزف إلى فأكسح دارى وأنظف بأبي رأكس يبق . واجتاز يوماً برجل يصنع طبقاً من قش فقال له : زد فيه طورا أو طورين لعله أن يمدى يوماً لنافسه هدية . وروى ابن عساكر أن أشعب غنى يوماً لسلم بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعراء :

مضين بها والبدر يشبه وجهها \* مطهرة الأتواب والدين وافر  
لها حسب زاك وعرض مهذب \* وعن كل مكره من الأمر زاجر  
من الخفرت البيض لم تلق ربيته \* ولم يستملها عن ثقي الله شاعر

فقال له سالم : أحسنت فزدنا . ففناه :

ألت بنا والليل داج كأنه \* جناح غراب عنه قد نهض القعرا  
فقلت أعتار نوى في رحالنا \* وما علمت ليلي سوى ريمها عطرا

فقال له : أحسنت ولولا أن يتحدث الناس لأجزت لك الجائزة ، وإنك من الأمر لمبكان . وفيها توفى جعفر بن برقان ، والحكم بن أبان ، وعبد الرحمن بن زيد بن جابر ، وقرّة بن خالد ، وأبو عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء ، واسمه كنيته ، وقيل اسمه ريان والصحيح الأول .

وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن المريان بن عبد الله بن الحصين التيمي المازني البصرى ، وقيل غير ذلك في نسبه ، كان علامة زمانه في الفقه والنحو وعلم القراءات ، وكان من كبار العلماء العاملين ، يقال إنه كتب ملء بيت من كلام العرب ، ثم تزهد فأحرق ذلك كله ، ثم راجع الأمر الأول فلم يكن عنده إلا ما كان يحفظه من كلام العرب ، وكان قد لقي خلقاً كثيراً من أعراب الجاهلية ، كان مقدماً أيام الحسن البصرى ومن بعده . ومن اختياراته في العربية قوله في تفسيره الغرة في الجنين : إنها لا يقبل فيها إلا أبيض غلاماً كان أو جارية . فهم ذلك من قوله عليه السلام : « غرة عبد أو أمة » ولو أريد أى عبد كان أو جارية لما قيده بالغرة ، وإنما الغرة البياض . قال ابن خلكان : وهذا غريب ولا أعلم هل بواقفه قول أحد من الأئمة المجتهدين أم لا . وذكر عنه أنه كان إذا دخل شهر رمضان لا ينشد بيتاً من الشعر حتى ينسلخ ، وإنما كان يقرأ القرآن وأنه كان يشتري له كل يوم كوزاً جديداً وريحاناً طرياً ، وقد صحبه الأصمعي نحواً من عشر سنين .

كانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في سنة ست وخمسين . وقيل تسع وخمسين فأنه أعلم . وقد قارب التسعين ، وقيل إنه جاوزها فأنه أعلم ، وقبره بالشام وقيل بالكوفة فأنه أعلم .

وقد روى ابن عساكر في ترجمة صالح بن شلى بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عبد الله

ابن عباس مرفوعاً « لأن برى أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جرو وكتب خير له من أن يربي ولداً لصنبيه ». وهذا منكر جداً وفي إسناده نظر . ذكره من طريق تمام عن خيشمة بن سليمان عن محمد ابن عوف الحصى عن أبي المنيرة عبد الله بن السمط عن صالح به ، وعبد الله بن السمط هذا لأعرufe ، وقد ذكره شيخنا الحافظ الذهبي في كتابه الميزان وقال : روى عن صالح بن علي حديثاً موضوعاً .

### ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

فيها دخل يزيد بن حاتم بلاد إفريقية فافتتحها عوداً على بدء ، وقتل من كان فيها من تغلب عليها من الخوارج ، وقتل أمراءهم وأسر كبارهم وأذل أشرفهم واستبدل أهل تلك البلاد بالخوف أمناً وسلاماً ، وبالأهانة كرامة ، وكان من جملة من قتل من أمراءهم أبو حاتم وأبو عباد الخاريجيين . ثم لما استقامت له وبه الأمور في البلدان دخل بعد ذلك بلاد القيروان فهدمها وأقر أهلها وقرر أمورها وأزال محنورها والله سبحانه أعلم .

### بناء الرافقة وهي المدينة المشهورة

وفيها أمر المنصور ببناء الرافقة على منوال بناء بغداد في هذه السنة ، وأمر فيها ببناء سور وعمل خندق حول الكوفة ، وأخذ ما غرم على ذلك من أموال أهلها ، من كل إنسان من أهل اليبسار أربعين درهما . وقد فرضها أولاً خمسة دراهم ، خمسة دراهم ، ثم جباها أربعين أربعين ، فقال في ذلك بعضهم يا لقوى ما رأينا • في أمير المؤمنين • قسم الخسة فينا • وجباها أربعين وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلي . وفيها طلب ملك الروم الصلح من المنصور على أن يحمل إليه الجزية . وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه أموالاً كثيرة . وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي عن إمرة الكوفة ، فقيل لأورد بلغته عنه في تعاطى منكرات ، وأمر لانتليق بالمال ، وقيل لقتله محمد بن أبي الموجه . وقد كان ابن أبي الموجه هذا زنديقاً . يقال إنه لما أمر بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع أربعة آلاف حديث يحمل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ، ويصوم الناس يوم الفطر ويفطروهم في أيام الصيام ، فأزاد المنصور أن يحمل قتله له ذنباً فمزله به ، وإتما أراد أن يقيده منه ، فقال له عيسى بن موسى : يا أمير المؤمنين لا تمزله بهذا ولا تقتله به ، فانه إنما قتله على الزندقة ، ومتى عزلته به شكركه العامة ودموك ، فتركه حينئذ عزله وولى مكانه على الكوفة عمرو بن زهير . وفيها عزل عن المدينة الحسن بن زيد وولى عليها عمه عبد الصمد بن علي ، وجعل معه فليح بن سليمان مشرفاً عليه . وعلى إمرة مكة محمد بن إبراهيم بن محمد ، وعلى البصرة الهيثم بن معاوية ، وعلى مصر محمد بن سعيد ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم . وفيها توفي عفوان

ابن عمرو وعثمان بن أبي العاتكة الدمشقيان ، وعثمان بن عطاء ، ومسر بن كدام .

### حماد الراوية

وهو ابن أبي ليلي ميسرة - ويقال سهاور - بن المبارك بن عبيد الدليس الكوفي ، مولى بكير ابن زيد الخليل الطائي ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وألفاتها ، وهو الذي جمع السمع المملقات الطوال ، وإنما سمي الراوية لكثرة روايته الشعر عن العرب ، اختبره الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين في ذلك فأشده تسمياً وعشرين قصيدة على حروف المعجم ، كل قصيدة نحواً من مائة بيت ، وزعم أنه لا يسمي شاعر من شعراء العرب إلا أشده له مالا يحفظه غيره . فأطلق له مائة ألف درهم . وذكر أبو محمد الحريري في كتابه درة الغواص ، أن هشام بن عبد الملك استعاه من العراق من نائبه يوسف بن عمر ، فلما دخل عليه إذا هو في دارقوراء مرخصة بالرخام والذهب ، وإذا عنده جاريستان حسنتان جدآ ، فاستنشد شيتاً فأشده ، فقال له : سل حاجتك : فقال : كائنة ما كانت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : وما هي ؟ فقال تطلق لي إحدى هاتين الجاريتين . فقال : هما وما عليهما لك ، وأخلاه في بعض داره وأطلق له مائة ألف درهم . هذا ملخص الحكاية ، والظاهر أن هذا الخليفة إنما هو الوليد بن يزيد ، فانه ذكر أنه شرب معه الخمر ، وهشام لم يكن يشرب . ولم يكن نائبه على العراق يوسف بن عمر ، إنما كان نائبه خالد بن عبيد الله القسري ، وبعده يوسف بن عمر بن عبد العزيز . كانت وفاة حماد في هذه السنة عن ستين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه أدرك أول خلافة المهدي في سنة ثمان وخمسين فأنه أعلم .

وفيها قتل حماد مجرد على الزندقة . وهو حماد بن عمر بن يوسف بن كليب الكوفي ، ويقال إنه واسطي ، مولى بني سواد ، وكان شاعراً ماجناً نظرياً زنديقاً متهماً على الاسلام ، وقد أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في أيام بني العباس ، وكان بينه وبين بشار بن برد مهاجاة كثيرة ، وقد قتل بشار هذا على الزندقة أيضاً كما سيأتي ، ودفن مع حماد هذا في قبره ، وقيل إن حماداً مجرد مات سنة ثمان وخمسين ، وقيل إحدى وستين ومائة فأنه أعلم .

### ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

فيها ظفر الهيثم بن معاوية نائب المنصور على البصرة ، بعمرو بن شداد الذي كان عاملاً لابراهيم ابن محمد على فارس . فقتل أسر قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه ثم صلب . وفيها عزل المنصور الهيثم بن معاوية هذا الذي فعل هذه الفعلة عن البصرة وولى عليها قاضيها سوار بن عبد الله ، فجمع له بين القضاء والصلاة ، وجعل على شرطتها وأحداثها سميد بن دعلج ، ورجع الهيثم بن معاوية قاتل عمرو بن شداد إلى بغداد فمات فيها فجأة في هذه السنة ، وهو على بطن جارية له ، وصلى عليه

المنصور ودفن في مقابر بني هاشم ، ويقال إنه أصابته دعوة عمر بن شداد الذي قتله تلك القتلة ، فليثق العبدُ الظلم .

وحج بالناس العباس بن محمد أخو المنصور . ونواب البلاد المذكورون في التي قبلها . وعلى فارس والأهواز وكور دجلة عمارة بن حمزة ، وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو . وفيها توفى حمزة الزيت في قول . وهو أحد القراء المشهورين والعباد المذكورين ، وإليه تلسب المدود الطويلة في القراءة اصطلاحاً من عنده ، وقد تكلم فيه بسببها بعض الأئمة وأنكرها عليه . وسعيد بن أبي عروبة ، وهو أول من جمع السنن في قول ، وعبد الله بن شوذب ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنم الأفرقي ، وعمر بن ذر . ثم دخات سنة سبع وخمسين ومائة .

فيها بنى المنصور قصره المسمى بالخلد في بغداد ، تفاؤلاً بالتخليد في الدنيا ، فمئذ كاله مات وخرب القصر من بعده ، وكان المستح في عمارته أن يأن بن صدقة ، والربيع مولى المنصور وهو حاجبه . وفيها حول المنصور الأسواق من قرب دار الامارة إلى باب الكرخ . وقد ذكرنا فيما تقدم سبب ذلك . وفيها أمر بتوسعة الطرقات . وفيها أمر بممل جسر عند باب الشعير . وفيها استعرض المنصور جنده وهم ملبسون السلاح وهو أيضاً لابس سلاحاً عظيماً ، وكان ذلك عند دجلة . وفيها عزل عن السند هشام بن عمرو وولى عليها سعيد بن الخليل . وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلي فأوغل في بلاد الروم ، وبث سنانا مولى البطال مقدمة بين يديه ففتح حصونا وسبي وغنم . وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي . ونواب البلاد المذكورون في التي قبلها . وفيها توفى الحسين بن واقد ، والامام الجليل علامة الوقت أبو عمرو وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام وإمامهم . وقد بقى أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة . شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله

هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو الأوزاعي . والاوزاع بطن من حمير وهم من أنفسهم ، قاله محمد بن سعد . وقال غيره : لم يكن من أنفسهم وإنما نزل في محلة الأوزاع ، وهي قرية خارج باب الفراديس من قرى دمشق ، وهو ابن عم يحيى بن عمرو الشيباني . قال أبو زرعة : وأصله من سبي السند فنزل الأوزاع فغلب عليه النسبة إليها . وقال غيره : ولد ببعلبك ونشأ بالبقاع يتما في حجر أمه ، وكانت تلتقل به من بلد إلى بلد ، وتأدب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك واحفاناً . والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أروع ولا أعلم ، ولا أفصح ولا أوفر ولا أحلم ، ولا أكثر صمتاً منه ، مات تكلم بكلمة إلا كان المتعبين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه ، من حسنها ،

وكان ينادى الرسائل والكنابة ، وقد اكتب مرة في بحث إلى الإمامة فسمع الحديث من يحيى بن  
أبي كثير واقطع إليه فأرشده إلى الرحلة إلى البصرة ليدسمع من الحسن وابن سيرين . فسار إليها  
فوجد الحسن قد توفي من شهرين ووجد ابن سيرين مريضاً ، فجعل يتردد لعبادته ، فقوى المرض  
به ومات ولم يسمع منه الأوزاعي شيئاً . ثم جاء فنزل دمشق بمحلة الأوزاع خارج باب الفرائيس ،  
وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام . وقد  
أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين ، كمالك بن أنس والثوري  
والزهري ، وهو من شيوخه . وأثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وأجمع المسلمون على عدلته وإمامته .  
قال مالك : كان الأوزاعي إماماً يقصدى به . وقال سفيان بن عيينة وغيره : كان الأوزاعي إمام  
أهل زمانه ، وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثوري أخذ بزمام جملة ، ومالك بن أنس يسوق به ،  
والثوري يقول : افسحوا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه . وقد  
تذاكر مالك والأوزاعي مرة بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر ، ومن العصر حتى صليا المغرب ،  
فتمره الأوزاعي في المغازي ، وغمره مالك في الفقه . أو في شيء من الفقه . وتتأخر الأوزاعي  
والثوري في مسجد الخيف في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه . فاحتج الأوزاعي على الرفع  
في ذلك بما رواه عن الزهري عن سالم عن أبيه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الركوع  
والرفع منه » . واحتج الثوري على ذلك بحديث يزيد بن أبي زياد . فضنب الأوزاعي وقال :  
تعارض حديث الزهري بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف ؟ فاجار وجه الثوري ، فقال  
الأوزاعي : لملك كرهت ما قلت ؟ قال : نعم . قال : قم بنا حتى نلتن عند الركن أينما على الحق .  
فسكت الثوري . وقال رهق بن زياد : أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة بحدثننا . وأخيرنا . وقال  
أبو زرعة : روى عنه ستون ألف مسألة . وقال غيرهما : أفتى في سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره إذ  
ذلك خمس وعشرون سنة ، ثم لم يزل يفتي حتى مات وعقله زاك . وقال يحيى القطان عن مالك :  
اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة فقلت : أيهم أرجح ؟ قال : الأوزاعي . وقال محمد بن  
عجلان : لم أر أحداً أنصح للمسلمين من الأوزاعي . وقال غيره : ما روي الأوزاعي ضاحكاً مقهها  
قط ، ولقد كان يمظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه ، وما رأيناه يبكي في مجلسه  
قط وكان إذا خلى بكى حتى يرحم . وقال يحيى بن معين : العلماء أربعة : الثوري ، وأبو حنيفة ،  
ومالك ، والأوزاعي . قال أبو حاتم : كان ثقة منبهاً لما سمع . قالوا : وكان الأوزاعي لا يلحن في  
كلامه ، وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها ويتمتع من فصاحتها وحلاوة عبارتها .



وقد قال المنصور يوما لأحظى كتابه عنده - وهو سليمان بن بحالد - : ينبغي أن نجيب الأوزاعي على ذلك دائما ، لنستعين بكلامه فيما نكتب به إلى الآفاق إلى من لا يعرف كلام الأوزاعي . فقال : والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه ولا على شيء منه . وقال الوابدة ابن مسلم : كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله سبحانه حتى تطلع الشمس ، وكان يأثر عن السلف ذلك . قال : ثم يقومون فينثأرون في الفقه والحديث . وقال الأوزاعي : رأيت رب العزة في المنام فقال : أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقلت : بفضلك أي رب . ثم قلت : يا رب أمتي على الإسلام . فقال : وعلى السنة . وقال محمد بن شعيب بن شابور : قال لي شيخ بجامع دمشق : أناميت في يوم كذا وكذا . فلما كان في ذلك اليوم رأيت في صحن الجامع يتغلى ، فقال لي : اذهب إلى سرير الموتى فاحرزه لي عندك قبل أن تسبق إليه . فقلت : ما تقول ؟ فقال : هو ما أقول لك ، وإني رأيت كأن قائلا يقول فلان قدرى ، وفلان كذا وعثمان بن العاتكة نعم الرجل ، وأبو عمرو الأوزاعي خير من يمشي على وجه الأرض ، وأنت ميت في يوم كذا وكذا . قال محمد بن شعيب : فما جاء الظهر حتى مات وصلينا عليه بمدحا وأخرجت جنازته . ذكر ذلك ابن عساکر . وكان الأوزاعي رحمه الله كثير العبادة حسن الصلاة ورهبا ناسكا طويلا الصمت ، وكان يقول : من أطال القيام في صلاة الليل حوّن الله عليه طول القيام يوم القيامة ، أخذ ذلك من قوله تعالى [ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ، إن هؤلاء بحجرون العاجلة وينثرون وراءهم يوما ثقيلا ] وقال الوليد بن مسلم : ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة . وقال غيره : حج فانا مع على الراحلة ، إنما هو في صلاة ، فإذا نس استند إلى القتب ، وكان من شدة الخشوع كأنه أمي . ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرأت الحصيد الذي يصل عليه مبلولا فقالت لها : لعل الصبي بال هينا . فقالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده ، هكذا يصبح كل يوم . وقال الأوزاعي : عليك بأثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه ، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم . وقال أيضا : اصبر على السنة وقف حيث يقف القوم ، وقل ما قالوا وكف عما كفوا ، وليسك ما وسهمهم . وقال : السلم ما جاء عن أصحاب محمد ، وما لم يجهنهم فليس بعلم . وكان يقول : لا يجتمع حب عليّ وعثمان إلا في قلب مؤمن . وإذا أراد الله بقوم شرآ فتح عليهم باب الجدل وسد عنهم باب العلم والميل . قالوا : وكان الأوزاعي من أكرم الناس وأسخام ، وكان له في بيت المال على الخلفاء أقطاع صار إليه من بني أمية وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأثارهم وبني العباس نحو من سبعين ألف دينار ، فلم يسك منها شيئا ، ولا اتقى شيئا من عقار ولا غيره ، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه ، بل

كان ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين .

ولما دخل عبد الله بن علي - عم السفاح الذي أجلي بني أمية عن الشام ، وأزال الله سبحانه دولتهم على يده - دمشق فطلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه . قال الأوزاعي : دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خبز رانة والمسودة عن يمينه وشماله ، معهم السيوف مصلثة - والعمد الحديد - فسلمت عليه فلم يرد ونكت بتلك الخبز رانة التي في يده ثم قال : يا أوزاعي ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد ؟ أجاباً ورباطاً هو ؟ قال : فقلت : أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله (س) يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . قال فنكت بالخبز رانة أشد مما كان ينكت ، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم ، ثم قال : يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية ؟ فقلت : قال رسول الله (س) : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فنكت بها أشد من ذلك ثم قال : ما تقول في أموالهم ؟ فقلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً ، وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي . فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال : ألا نوليك القضاء ؟ فقلت : إن أسلافك لم يكونوا يشقون على في ذلك ، وإني أحب أن يتم ما ابتدؤني به من الاحسان . فقال : كأنك تحب الانصراف ؟ فقلت : إن ورأى حرماً وهم محتاجون إلى القيام عليهم وسترهم ، وقلوبهم مشغولة بسببي . قال : وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي ، فأمرني بالانصراف . فلما خرجت إذا برسوله من ورأى ، وإذا معه مائتا دينار ، فقال يقول لك الأمير : استنفق هذه . قال : فنصدمت بها ، وإنما أخذتها خوفاً . قال : وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً فيقال إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده .

قالوا : ثم رحل الأوزاعي من دمشق فنزل بيروت مرابطاً بأهله وأولاده ، قال الأوزاعي : وأعجبني في بيروت أني مررت بقبورها فإذا امرأة سوداء في القبور فقلت لها : أين العارة ياهنتاه ؟ فقلت : إن أردت العسارة فهي هذه - وأشارت إلى القبور - وإن كنت تريد الخراب فأمامك - وأشارت إلى البلد - فعزمت على الإقامة بها . وقال محمد بن كثير : سمعت الأوزاعي يقول : خرجت يوماً إلى الصحراء فإذا رجل جراد وإذا شخص راكب على جراد منها وعليه سلاح الحديد ، وكذا قال بيده هكذا إلى جهة مال الجراد مع يده ، وهو يقول : الدنيا باطل باطل باطل ، وما فيها باطل

باطل باطل . وقال الأوزاعي : كان عندنا رجل يخرج يوم الجمعة إلى الصيد ولا ينتظر الجمعة فحسب ببغشته فلم يبق منها إلا أذناها ، وخرج الأوزاعي يوماً من باب مسجد بيروت وهناك دكان فيه رجل يبيع الناطف وإلى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول : يا بصل أحلى من السسل ، أو قال أحلى من الناطف . فقال الأوزاعي : سبحان الله ! أيعظن هذا أن شيئاً من الكذب يباح ؟ فكأن هذا ما يرى في الكذب بأساً .

وقال الواقدي قال الأوزاعي : كنا قبل اليوم نضرب ونلعب ، أما إذ صرنا أئمة يقتدى بنا فلا نرى أن يسمنا ذلك ، ويلبغى أن نتحفظ . وكتب إلى أخ له : أما بعد فقد أحبط بك من كل جانب ، وإنه يسار بك في كل يوم وليلة ، فاحذر الله والقيام بين يديه ، وأن يكون آخر العهد بك والسلام .  
وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إدريس سمعت أبا صالح - كاتب الليث - يذكر عن المهمل بن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في مرعظته : أيها الناس ، تفقروا بهذه النعم التي أسبغتم فيها على العرب من نار الله الموقدة ، التي تطلع الأفتنة ، فانكم في دار النواء فيها قليل ، وأنتم عما قليل همها راحلون ، وخلاف بعد القرون الماضية الذين استقبلوا من الدنيا آتقها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أصهاراً وأمد أجساماً ، وأعظم أحلاماً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، فغدودوا الجبال وجابوا الصخر بالواد ، وتنقلوا في البلاد ، مؤيدين ببطش شديد ، وأجساد كالعماد ، فالبتت الأيام والليالي أن طوت آثارهم ، وأخرت منازلهم وديارهم ، وأنست ذكركم ، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزاً ؟ كانوا بلهو الأمل آمنين ، وعن ميقات يوم موتهم غافلين ، فأبوا ليلب قوم ناديين ، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بيانا من عقوبة الله ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين ، وأصبح الباقون المتخلفون يبصرون في نعمة الله وينظرون في آتار نقشته ، وزوال نعمته عن تقدمهم من المالكين ينظرون والله في مساكن خالية خاوية ، قد كانت بالعرز مخفوفة ، وبالنعم مرفوفة ، والقلوب إليها مصروفة ، والأعين نحوها ناظرة ، فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم ، وعبرة لمن يخشون . وأصبحتهم بدمهم في أجل منقوص ودنيا منقوصة ، في زمان قد ولي عفوهم وذهب رجاؤهم وخيرهم وصفوهم ، فلم يبق منه إلا جهة شر ، وصباية كدر ، وأهاويل عبر ، وعقوبات غير ، وإرسال قتن ، وتتابع زلازل ، ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر ، يضيقون الديار وينفون الأسمار بما يرتكبونه من العار والشار ، فلا تذكروا أشباهها لمن خدعه الأمل ، وغدوه طول الأجل ، ولعبته الأمانى ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن إذا دعى بدر ، وإذا نهى انتهى ، وعقل مثواه فهد نفسه .  
وقد اجتمع الأوزاعي بالمنصور حين دخل الشام وعظه وأحبه المنصور وعظمه ، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له ، فلما خرج قال المنصور للربيع

الحاجب : الحقه فأسأله لم كره لبس السواد ؟ ولا تعلمه أنى قلت لك . فسأله الربيع فقال : لأنى لم أرمحما أحرم فيه ، ولا ميتا كفن فيه ، ولا عروسا جليت فيه ، فلهذا أكرهه . وقد كان الأوزاعى فى الشام معظما مكرما أمره أعز عندهم من أمر السلطان ، وقد هم به بمضى الولاية مرة فقال له أصحابه : دعه عنك والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لتقتلوك . ولما مات جلس على قبره بمضى الولاية فقال : رحمك الله ، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذى ولاى - يعنى المنصور - . وقال ابن أبى العشرين : مات الأوزاعى حتى جلس وحده وسمع شتمه بأذنه .

وقال أبو بكر بن أبى خيشمة : حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى قال : كنت جالسا عند الثورى فجاء رجل فقال : رأيت كأن ربحانة من المغرب - يعنى قلمت - . قال : إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى . فكتبوا ذلك فجاء موت الأوزاعى فى ذلك اليوم . وقال أبو مسهر : بلغنا أن سبب موته أن امرأته أغلقت عليه باب حمام فات فيه ، ولم تكن عامدة ذلك ، فأمرها سميد بن عبد العزيز بتق رقبة . قال : وما خلف ذهب ولا فضة ولا عقاراً ، ولا متاعا إلا ستة وثمانين ، فضلت من عطائه . وكان قد اكتتب فى ديوان الساحل . وقال غيره : كان الذى أغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام ، أغلقه وذهب لحاجة له ثم جاء ففتح الحمام فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة رحمه الله .

قلت : لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً ، واختلفوا فى سنه ووفاته ، فروى يعقوب بن سفيان عن سلمة قال قال أحمد : رأيت الأوزاعى وتوفى سنة خمسين ومائة . قال العباس بن الوليد البيرونى : توفى يوم الأحد أول النهار ليلتين بقينا من صفر سنة سبع وخمسين ومائة ، وهو الذى عليه الجمهور وهو الصحيح ، وهو قول أبى مسهر وهشام بن عمار والوليد بن مسلم - فى أصح الروايات عنه - ويحى بن معين ودحيم وخليفة بن خياط وأبى عبيد وسميد بن عبد العزيز وغير واحد . قال العباس بن الوليد : ولم يبلغ سبعين سنة . وقال غيره : جاوز السبعين ، والصحيح سبع وستون سنة ، لأن ميلاده فى سنة ثمان وثمانين على الصحيح . وقيل إنه ولد سنة ثلاث وسبعين ، وهذا ضعيف . وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له : دلنى على عمل يقربنى إلى الله . فقال : ما رأيت فى الجنة درجة أعلا من درجة العلماء العاملين ، ثم المحزونين .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

فيها تكامل بناء قصر المنصور المسمى بالخلد وسكنه أياماً يسيرة ثم مات وتركه ، وفيها مات طاغية الروم . وفيها وجه المنصور ابنه المهدي إلى الرقة وأمره بمزل موسى بن كعب عن الموصل ، وأن يولى عليها خالد بن برمك ، وكان ذلك بمسئدة نكتة غريبة اتفقت ليحيى بن خالد ، وذلك أن

المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك ، وألزمه بحمل ثلاثة آلاف ألف ، فضاق ذرعا بذلك ، ولم يبق له مال ولا حال ومجز عن أكثرها ، وقد أجله ثلاثة أيام ، وأن يحمل ذلك في هذه الثلاثة الأيام وإلا فدمه هدر فجعل يرسل ابنه يحيى إلى أصحابه من الأمراء يستقرض منهم ، فكان منهم من أعطاه مائة ألف ، ومنهم أقل وأكثر . قال يحيى بن خالد : فبينما أنا ذات يوم من تلك الأيام الثلاثة على جسر بغداد ، وأنا مهوم في تحصيل ما طلب منا مما لا طاقة لنا به ، إذ وثب إلى زاجر من أولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقية ، فقال لي : ابشر ، فلم ألتفت إليه ، فتقدم إلى حق أخذ بلجام فرسى ثم قال لي : أنت مهوم ، ليفرجن الله همك وتفرغ غمك في هذا الموضع واللواء بين يديك ، فإن كان ما قلت لك حقا فلي عليك خمسة آلاف . فقلت : نعم . ولو قال خمسون ألفا لقلت نعم ، لبعده ذلك عندي . وذهبت لشأني ، وقد بقي علينا من الحل ثلاثمائة ألف فورد الخبر إلى المنصور بانتقاض الموصل وانتشار الأكراد فيها ، فاستشار المنصور الأمراء من يصلح للموصل ؟ فأشار بعضهم بخالد بن برمك ، فقال له المنصور : أو يصلح لذلك بعد ما فعلنا به ؟ فقال : نعم ، وأنا الضامن أنه يصلح لها ، فأمر باحضاره فولاه إياها ووضع عنه بقية ما كان عليه ، وعقد له اللواء ، وولى ابنه يحيى أذربيجان وخرج الناس في خدمتهما . قال يحيى : فرزنا بالجسر فنار لي ذلك الزاجر فطالبني بما وعدته به ، فأمرت له به فقبض خمسة آلاف .

وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج فساق الهدى معه ، فلما جاوز الكوفة بمراحل أخذته وجمة الذي ملت به وكان عنده سوء مزاج فاشتد عليه من شدة الحر وركوبه في المواجر ، وأخذته إسهال وأفرط به ، فقوى مرضه ، ودخل مكة فتوفي بها ليلة السبت لست مضين من ذي الحجة ، وصلى عليه ودفن بكندا عند ثنية باب العملاء التي بأعلا مكة ، وكان عمره يومئذ ثلاثا وقليل أربما وقليل خسا وستين ، وقيل إنه بلغ ثمانيا وستين سنة فآله أعلم . وقد تم الربيع الحاجب موته حتى أخذ البيعة للمهدي من القواد ورؤس بني هاشم ، ثم دفن . وكان الذي صلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، وهو الذي أقام للناس الحج في هذه السنة .

## ترجمته المنصور

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو جعفر المنصور . وكان أكبر من أخيه أبي العباس السفاح ، وأمه أم ولد اسمها سلامة . روى عن جده عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يشتم في بيته » أوردته ابن عساكر من طريق محمد بن إبراهيم السلمي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به ، ويؤيد له بالخلافة بعد أخيه في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة ، لأنه ولد في سنة خمس وتسعين

على المشهور في صفر منها بالحريمة من بلاد البلقاء ، وكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة إلا أياماً ، وكان أسمر اللون موافر اللمة خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، أقى الأنف ، أعين كأن عينيه لسانان ناطقان ، يخالطه أهبة الملك ، وتقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في مواضعه ، والعنف في صورته ، والليث في مشيته ، هكذا وصفه بعض من رآه . وقد صح عن ابن عباس أنه قال : « منا السفاح والمنصور » وفي رواية « حتى نسلها إلى عيسى بن مريم » . وقد روى مرفوعاً ولا يصح ولا وقفه أيضاً . وذكر الخطيب أن أمه سلامة قالت : رأيت حين حملت به كأنه خرج مني أسد فزأر واقفا على يديه ، فما بقي أسد حتى جاء فسجد له . وقد رأى المنصور في صغره مناما غربيا كان يقول : ينبغي أن يكتب في ألواح الذهب ، ويملق في أعناق الصبيان . قال : رأيت كأنى في المسجد الحرام وإذا رسول الله ص ، في الكعبة والناس مجتمعون حولها ، فخرج من عنده مناد : أين عبد الله ؟ فقام أخى السفاح يتخطى الرجال حتى جاء باب الكعبة فأخذ بيده فأدخله إياها ، فما لبث أن خرج ومعه لواء أسود . ثم نادى أين عبد الله ؟ فقامت أنا وعمى عبد الله بن على نستبق ، فسبقته إلى باب الكعبة فدخلتها ، فاذا رسول الله ص ، وأبو بكر وعمر وبلال ، فمقدنى لواء وأوصانى بأمنه وعمنى عمامة كورها ثلاثة وعشرون كوراً ، وقال : « خنفا إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة » . وقد اتفق سجن المنصور في أيام بنى أمية فاجتمع به نوبخت المنجم وتوسم فيه الرياسة فقال له : ممن تكون ؟ فقال : من بنى العباس ، فلما عرف منه نسبه وكنيته قال : أنت الخليفة الذى تلى الأرض . فقال له : ويحك ماذا تقول ؟ فقال : هو ما أقول لك ، فضع لى خطك فى هذه الرقعة أن تعطينى شيئاً إذا وليت . فكتب له ، فلما ولى أكرمه المنصور وأعطاه وأسلم نوبخت على يديه ، وكان قبل ذلك مجوسياً . ثم كان من أخص أصحاب المنصور . وقد حج المنصور بالناس سنة أربعين ومائة ، وأحرم من الحيرة ، وفى سنة أربع وأربعين ، وفى سنة سبع وأربعين . وفى سنة ثنتين وخمسين ، ثم فى هذه السنة التى مات فيها . وبني بندااد والرصافة والرافقة وقصره الخلد .

قال الربيع بن يونس الحاجب : سمعت المنصور يقول : الخلفاء أربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى . والملوك أربعة معاوية وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك ، وأنا . وقال مالك : قال لى المنصور : من أفضل الناس بعد رسول الله ص ؟ قلت : أبو بكر . وعمر . فقال : أصبت وذلك رأى أمير المؤمنين . وعن إسماعيل البهرى قال سمعت المنصور على منبر عرفة يوم عرفة يقول : أيها الناس ! إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ورشده ، وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه باذنه ، وقد جعلنى الله قفلاً فان شاء أن يفتحنى لأعطياتكم وقسم أرزاقكم فتحى ، وإذا شاء أن يقفلنى عليه قفلنى . فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه فى هذا اليوم الشريف الذى

وهبكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه ، إذ يقول : [ اليوم أكلت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ] . أن يوفى الصواب ويسدنى للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والاحسان إليكم ويفتحني لاعطيائكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم ، فانه مسموع مجيب .

وقد خطب يوماً فاعترضه رجل وهو يثني على الله عز وجل ، فقال : يا أمير المؤمنين اذكر من أنت ذا كره ، واثق الله فيما تأتيه وتندره . فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال : أعوذ بالله أن أكون من قال الله عز وجل فيه [ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ] أو أن أكون جباراً عصبياً ، أيها الناس إن الموعظة علينا نرات ومن عندنا نبتت . ثم قال للرجل : ما أظنك في مقاتلتك هذه تريد وجه الله ، وإنما أردت أن يقال عنك وعظ أمير المؤمنين ، أيها الناس لا يفرنكم هذا فتتملوا كفضله ثم أمر به فاحتفظ به وعاد إلى خطبته فأكلها ، ثم قال لمن هو عنده : أعرض عليه الدنيا فان قبلها فأعلمني ، وإن ردّها فأعلمني ، فما زال به الرجل الذي هو عنده حتى أخذ المال ومال إلى الدنيا فولاه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزة حسنة ، وثياب وشارية وهيئة دنيوية ، فقال له الخليفة : ويحك لو كنت محمّاً صريداً وجه الله بما قلت على رؤس الناس لما قبلت شيئاً مما أرى ، ولكن أردت أن يقال عنك إنك وعظت أمير المؤمنين ، وخرجت عليه ، ثم أمر به فضربت عنقه . وقد قال المنصور لابنه المهدي : إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة . والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعمو أقدرهم على العبوة ، وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه . وقال أيضاً : يا بني استدم النعمة بالشكر ، والقسرة بالعمو ، والطاعة بالتأليف ، والتصر بالتواضع والرحمة للناس ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله .

وحضر عنده مبارك بن فضالة يوماً وقد أمر برجل أن يضرب عنقه وأحضر النطع والسيف ، فقال له مبارك : سمعت الحسين يقول قال رسول الله (ص) : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا » فأمر بالعمو عن ذلك الرجل . ثم أخذ يعدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وما صنمه . وقال الأصمعي : أتى المنصور برجل ليعاقبه فقال : يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والعمو فضل ، وتعود أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، وأدنى القسمين ، دون أرفع الدرجتين . قال فمعا عنه .

وقال الأصمعي : قال المنصور لرجل من أهل الشام : احمد الله يا أعرابي الذي دفع عنكم الطاعون بولايتنا . فقال إن الله لا يجمع علينا حسفاً وسوء كيل ، ولا يتكّم والطاعون . والحكايات في ذكر حلمه وعفوه كثيرة جداً . [ ودخل بعض الزهاد على المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها ، واذا كر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة ، واذا كر ليلة تمخض عن

يوم ليلية بعده . قال : فأغم المنصور قوله وأمر له بمال فقال : لو احتجت إلى مالك لما وعظنتك<sup>(١)</sup> ودخل عمرو بن عبيد القدرى على المنصور فأكرمه وعظمه وقر به وسأله عن أهله وعياله ، ثم قال له : عطفى . فقرأ عليه سورة الفجر إلى [ إن ربك بالمرصاد ] فبكى المنصور بكاء شديداً حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات قبل ذلك ، ثم قال له : زدنى . فقال : إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها ، وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك ثم هو صار لمن بعدك ، وأذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة . فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت أجنافه . فقال له سليمان بن مجاهد : رفقا بأمر المؤمنين . فقال عمرو : وماذا على أمير المؤمنين أن يبكى من خشية الله عز وجل . ثم أمر له المنصور بمشرة آلاف درهم فقال : لا حاجة لى فيها . فقال المنصور : والله لتأخذنها . فقال : والله لا تأخذنها . فقال له المهدي وهو جالس في سواده وسيفه إلى جانب أبيه : أيجلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت إلى المنصور فقال : ومن هذا ؟ فقال : هذا ابنى محمد ولى العهد من بهدى . فقال عمرو : إنك سميتك أما لم يستحقه لعمله ، وألبسته لبوساً ما هو لبوس الأبرار ، ولقد مهنت له أمراً أنتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه . ثم التفت إلى المهدي فقال : يا ابن أخى إذا حلف أبوك وحلف عمك فلأن يحنث أبوك أيسر من أن يحنث عمك ، لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك . ثم قال المنصور : يا أبا عثمان هل من حاجة ؟ قال : نعم . قال : وما هى ؟ قال : لا تبعث إلى حقي آتيتك . ولا تعطني حقي أسألك . فقال المنصور : إذا والله لا نلتقي . فقال عمرو : من حاجتي سألتنى . فودعه وانصرف . فلما ولى أمده بصره وهو يقول :

كلمكم يمشى رويد \* كلكم يطلب صيد \* غير عمرو بن عبيد

ويقال إن عمرو بن عبيد أشد المنصور قصيدة في موعظته إياه وهي قوله :

يا أيها الذى قد غره الأمل \* ودون ما يامل التنغيص والأجل  
ألا ترى أنما الدنيا وزينتها \* كنزل الركب حلوا نمت ارتحلوا  
حتوتها رصت وعيشها نكد \* وصفوها كدر وملسها دول  
نظلت تفرع بالرويات ساكنها \* فا يسوغ له لين ولا جنل  
كأنه للنيا والردى غرض \* تظلل فيه بنات الدهر تنتقل  
تدبره ما تدور به دوائرها \* منها المصيب ومنها الخطى الزلل  
والنفس هاربة والموت يطلبها \* وكل عسرة رجل عندها جلل  
والمرء يسمى بما يسى لوارثه \* والقبر وارث ما يسى له الرجل

(١) زيادة من المصرية .



وقال ابن دريد عن الريشي عن محمد بن سلام قال : رأيت جارية للمنصور فوبه مرقوعاً فقالت :  
خليفة وقيص مرقوع ؟ فقال : ويحك أما سمعت ما قال ابن هريرة

قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه \* خلق وبعض قيص مرقوع

وقال بعض الزهاد للمنصور : اذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة مثلها ، واذكر ليلة  
تمنح عن يوم القيامة لاليلة بعدها فأفهم المنصور قوله فأمر له بمال . فقال : لو احتجت إلى مالك  
ما وعظمتك . ومن شعره لما عزم على قتل أبي مسلم : -

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة \* فان فسدت الرأي أن يترددا

ولا تمهل الأعداء يوماً لغدرة \* وبأدرهم أن يملكوا مثلها غدا

ولما قتله ورآه طريحاً بين يديه قال : -

قد اكتنفتك خلأت ثلاث \* جلبن عليك محتوم الحمام

خلافك وامتناعك من يميني \* وقودك للجماهير المظالم

ومن شعره أيضاً : -

المرء يأمل أن يمد \* ش وطول عمره قد يضره

تبلى بشاشته وبي \* في بعد حلو العيش مرة

وتخونه الأيام حتى \* لا يرى شيئاً يسره

كم شملت بي إن هلكت \* ت وقائل لله دره

قالوا : وكان المنصور في أول النهار يتصدى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات والعزل  
والنظر في مصالح العامة ، فإذا صلى الظهر دخل منزله واستراح إلى العصر ، فإذا صلاها جلس لأهل  
بيته ونظر في مصالحهم الخاصة ، فإذا صلى العشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الأقطاف ،  
وجلس عنده من يسأره إلى ثلث الليل ، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر ،  
فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح ، ثم يخرج فيصلي بالناس ، ثم يدخل فيجلس في إخوانه .  
وقد ولي بعض العمال على بلد فبلغه أنه قد تصدى للصيد وأعد لذلك كلاباً وبزاة ، فكتب إليه  
تكلتك أمك وعشيرتك ، ويحك إنا إنما استكفيناك واستعملناك على أمور المسلمين ، ولم نستكفك  
أمور الوحوش في البراري ، فبلم ماتلى من عملنا إلى فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً .

وأتى يوماً بخارجي قد هزم جيوش المنصور فغير مرة فلما وقف بين يديه قال له المنصور : ويحك  
يا ابن الفاعلة امثلك يهزم الجيوش ؟ فقال الخارجى : ويحك سوأة لك يدي وبينك أمس السيف  
والقتل واليوم القذف والسب ، وما يؤمنك أن أرد عليك وقد يئست من الحياة فما أستقبلها أبداً .

قال فاستحي منه المنصور وأطلقه . فما رأى له وجها إلى الجول [ وقال لابنه لما ولاه المهدي : يا بني ائتمم النعمة بالشكر ، والقدرة بالعمو ، والنصر بالتواضع ، والتألف بالطاعة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله ] (١)

وقال أيضا : يا بني ليس العاقل من يحتال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه ، ولكن العاقل الذي يحتال للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه . وقال المنصور : يا بني لا تجلس مجلساً إلا وعندك من أهل الحديث من يحدثك ، فان الزهري قال : علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران الرجال ، ولا يكرهه إلا مؤنثوم ، وصديق أخو زهرة . وقد كان المنصور في شببته يطلب العلم من مظانه والحديث والفتنة فقال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً ، وقد قيل له يوماً : يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنله ؟ قال : شيء واحد ، قالوا : وما هو ؟ قال : قول الحديث للشيخ من ذكرت رحمتك الله . فاجتمع وزيارته وكتابه وجلسوا حوله وقالوا : لئيل علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث ، فقال : لستم بهم ، وإنما هم اللذنة ثيابهم ، المشقة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، وواد الآفاق وقطاع المسافات ، تارة بالمرق وتارة بالحجاز ، وتارة بالشام ، وتارة باليمن . فهؤلاء نقلة الحديث .

وقال يوماً لابنه المهدي : كم عندك من دابة ؟ فقال لا أدري . فقال : هذا هو التقصير ، فأنت لأمر الخلافة أشد تضيقاً فائق الله يا بني . وقالت خالصة إحدى حظيات المهدي : دخلت يوماً على المنصور وهو يشتكي ضره ويداه على صدره فقال لي : كم عندك من المال يا خالصة ؟ فقلت ألف درهم . فقال : ضعي يدك على رأسي واحلني ، فقلت : عندي عشرة آلاف دينار . قال : اذهبي فاحلبها إلي . قالت : فذهبت حتى دخلت على سيدي المهدي وهو مع زوجته الخبززان فشكوت ذلك إليه فوكزني برجله وقال : ويحك ! إنه ليس به وجع ولكني سألته بالأمس مالا فتأرض ، وإنه لا يسعك إلا ما أمرك به . فذهبت إليه خالصة ومهما عشرة آلاف دينار ، فاستدعي بالمهدي فقال له : تشكو الحاجة وهذا كله عند خالصة ؟ وقال المنصور لخازنه : إذا علمت بمجيء المهدي فأتني بخلتان الثياب قبل أن يجيء ، فجاه بها فوضعها بين يديه ودخل المهدي والمنصور يقبلها ، فجعل المهدي يضحك ، فقال : يا بني من ليس له خلق ليس له جديد ، وقد حضر الشتاء فنتحتاج ثمين العيال والولد . فقال المهدي : على كسوة أمير المؤمنين وعياله ، فقال : دونك فافعل .

وذكر ابن جرير عن الهيثم أن المنصور أطلق في يوم واحد لبيض أعلامه ألف ألف درهم . وفي هذا اليوم فرق في بيته عشرة آلاف درهم ، ولا يعلم تخليفة فرق مثل هذا في يوم واحد . وقراً بفض القراء شهد المنصور [ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ] فقال : والله لولا أن المسال حتم (١) زيادة من المصرية .

للسلطان ودعامة للدين والدنيا وعزتها مابت ليلة واحدة وأنا أحرز منه ديناراً ولا درهما لما جد لبذل المال من اللذة ، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة . وقرأ عنده قارئ آخر [ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ] الآية . فقال : ما أحسن ما أدبنا ربنا عز وجل . وقال المنصور : هممت أبي يقول سمعت علي بن عبد الله يقول : سادة أهل الدنيا في الدنيا الأسغيا ، وسادة أهل الآخرة في الآخرة الأتقياء .

ولما عزم المنصور على الحج في هذه السنة دعا ولده المهدي فأوصاه في خاصة نفسه وبأهل بيته وبسائر المسلمين خيراً ، وعلمه كيف تفعل الأشياء وتسد الثغور ، وأوصاه بوصايا يطول بسطها وخرج عليه أن لا يفتح شيئاً من خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته فان بها من الأموال ما يكفي المسلمين لو لم يُجب إليهم من الخراج درهم عشرين ، وعهد إليه أن يقضي ما عليه من الدين وهو ثلاثمائة ألف دينار ، فإنه لم يرضهاها من بيت المال . فانتقل المهدي ذلك كله . وأحرم المنصور بجمع وعمرة من الرصافة وساق يده وقال : يا بني إني ولدت في ذى الحجة وتعدى ل أن أموت في ذى الحجة ، وهذا الذي جرأتني على الحج عامي هذا . وودعه وسار واعتراه مرض الموت في أثناء الطريق فسا دخل مكة إلا وهو ثقيل جداً ، فلما كان بآخر منزل نزله دون مكة إذا في صدر منزلته مكتوب :

( بسم الله الرحمن الرحيم ) .

أهاجعز حانت وفاتك وانقضت \* سنوك وأمر الله لا بد واقع  
أهاجعز هل كاهن أو منجم \* لك اليوم من كرب المنية مانع  
فدعا بالحجة فأقرأهم ذلك فلم يروا شيئاً فعرف أن أجله قد نعى إليه . قالوا : وراى المنصور في منامه ويقال بل هتف به هاتف وهو يقول : -

أما ورب السكون والحرك \* إن المنايا كثيرة الشرك  
عليك يا نفس إن أسأت وإن \* أحسنت يا نفس كان ذلك لك  
ما اختلف الليل والنهار ولا \* دارت مجوم السماء في العالم  
إلا ينقل السلطان عن ملك \* إذا انقضى ملكه إلى ملك  
حتى يصير أنه إلى ملك \* ما عز سلطانهم بمشرك  
ذاك بدين السماء والأرض والمر \* سى الجبال انخرت النلك

فقال المنصور : هذا أو ان حضور أجلى وانقضاه عمري . وكان قد رأى قبل ذلك في قصره الخلد لذي بناء وتأتق فيه مناماً أفزعه فقال للربيع : ويحك يا ربيع لقد رأيت مناماً هالتي ، رأيت قائلاً يقف في باب هذا القصر وهو يقول :

كأني بهذا القصر قد بادأ أهله \* وأوحش منه أهله ومنازله  
 وصار رئيس القصر من بعد هجرة \* إلى جدث يبني عليه جنادله  
 فما أقام في الخلد إلا أقل من سنة حتى مرض في طريق الحج ، ودخل مكة مدناً ثقيلًا . وكانت  
 وفاته ليلة السبت لست وقيل لسيح . مضين من ذى الحجة ، وكان آخر ما تكلم به أن قال : اللهم  
 بارك لي في ثنائك . وقيل : إنه قال يارب إن كنت عفتك في أمور كثيرة فقد أظفرتك في أحب  
 الأشياء . إليك شهادة أن لا إله إلا الله مخلصا . ثم مات . وكان نقش خاتمه . الله ثقة عبد الله وبه  
 يؤمن . وكان عمره يوم وفاته ثلاثا وستين سنة على المشهور ، منها ثنتان وعشرون سنة خليفة . ودفن  
 بباب الملاة رجه الله . قال ابن جرير : ومما روي به قول سلم الخراسي الشاعر :

عجبا للذي نسي الناعمين \* كيف فاهت بموته الشفتان  
 ملك أن عدا على الدهر يوماً \* أصبح الدهر ساقطاً للجران  
 ليت كفأحت عليه تراباً \* لم تعد في يمينها يمينان  
 حين دانت له البلاد على المد \* فر وأغضى من خوفه الثقلان  
 أين رب الزوراء قد قلده الـ \* حلك عشرين حجة واثنتان  
 إنما المرة كالزناد إذا ما \* أخذته قوادح النيران  
 ليس يفتى هواه زجر ولاية \* مدح في حيله ذوو الأذهان  
 قلده أعنة الملك حتى \* قاد أعداءه بغير عنان  
 يكسر الطرف دونه وتري الأير \* دعى من خوفه على الأذقان  
 ضم أطراف ملكه ثم أضحي \* خلقت أقصام ودون الداني  
 هاشمي التشهير لا يحمل التـ \* ل على غارب الشرود المدان  
 ذو أناة ينسى لها الخائف الخو \* ف وعزم يلوى بكل جنان  
 ذهب دونه النفوس حذاراً \* غير أن الأرواح في الأبدان

وقد دفن عند باب الملاة بمكة ولا يعرف قبره لأنه أمي قبره ، فان الربيع الحاجب جفر مائة  
 قبر ودفنه في غيرها لتلا يعرف .

### أولاد المنصور

محمد المهدي وهو ولي عهد ، وجعفر الأكبر مات في حياته ، وأمهما أروى بنت منصور .  
 وعيسى ، ويعقوب ، وسليمان ، وأمههم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله . وجعفر الأصغر  
 من أم ولد كردية ، وصالح المسكين من أم ولد رومية . يقال لها قلى الفراشة . والقاسم من أم

ولد أيضاً . وعالية من امرأة من بني أمية .

### خلافة المهدي بن المنصور

لما مات أبوه بمكة است أو لسبع مضين من ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة أخذت البيعة للمهدي من رؤس بني هاشم والقواد الذين هم مع المنصور في الحج قبل دفنه ، وبعث الربيع الحاجب بالبيعة مع البرد إلى المهدي وهو ببغداد ، فدخل عليه البريد بذلك يوم الثلاثاء النصف من ذى الحجة ، فسلم عليه بالخلقة وأعطاه الكعب بالبيعة ، وبأيمه أهل بغداد ، ونفذت بيعة إلى سائر الآفاق . وذكر ابن جرير أن المنصور قبل موته يوم نحمل وتساند واستدعى بالأمراء فجهد البيعة لابنه المهدي ، فتسارعوا إلى ذلك وتبادروا إليه . وحج بالبس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس عن وصية عمه المنصور ، وهو الذي صلى عليه ، وقيل إن الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى ولي العهد من بسد المهدي ، والصحيح الأول ، لأنه كان نائب مكة والطائف ، وعلى إمرة المدينة عبد الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي - أخو المسيب ابن زهير أمير الشرطة للخليفة - وعلى خراسان حميد بن قحطبة ، وعلى خراج البصرة وأرضها عمارة ابن حمزة ، وعلى صلاتها وقضائها عبد الله بن الحسن العنبري ، وعلى أحداثها سميد بن دعلج .

قال الواقدي : وأصاب الناس في هذه السنة وباء شديد فتوفي فيه خلق كثير وجم غفير ، منهم أفلح بن حميد ، وحيوة بن شريح ، وعمارية بن صالح بمكة ، وزفر بن الهديل بن قيس بن سليم ثم ساق نسبه إلى محمد بن عدنان ، يقال له التميمي العنبري الكوفي الفقيه الحنفي ، أقدم أصحاب أبي حنيفة وفاة ، وأكثرم استعماله للقياس ، وكان عابداً ، اشتغل أولاً بعلم الحديث ثم غلب عليه الفقه والقياس . ولد سنة ست عشرة ومائة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة عن ثنتين وأربعين سنة رحمه الله وإيانا .

### ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

استهلت هذه السنة وخليفة الناس أبو عبد الله محمد بن المنصور المهدي ، فبعث في أولها العباس ابن محمد إلى بلاد الروم في جيش كثيف ، وركب معهم مشيماً لهم ، فساروا إليها فالتحقوا بمدينة عظيمة للروم ، وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا . الذين لم يفتقد منهم أحد . وفيها توفي حميد بن قحطبة نائب خراسان ، فولى المهدي مكانه الهارون عبد الملك بن يزيد ، وولى حمزة بن مالك سجستان ، وولى جبريس بن يحيى سمرقند . وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة وشنتها . وفيها جهز جيشاً تشيخاً إلى بلاد الهند فوصلوا إليها في السنة الآتية ، وكان من أمرهم ما سنذكره . وفيها توفي نائب السند محمد بن الخليل فولى المهدي مكانه ربيع بن حاتم بمشورة وزيره أبي عبد الله . وفيها أطلق المهدي من كان في السجن إلا أن كان محبوباً على دم ، أو من سمى في الأرض فساداً ، أو من كان عنده

حق لأحد . وكان في جملة من أخرج من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم ، والحسن بن إبراهيم ابن عبد الله بن حسين ، وأمر بصيرورة حسن هذا إلى نصير الخادم ليحترز عليه . وكان الحسن قد عزم على الهرب من السجن قبل خروجه منه ، فلما أخرج يعقوب بن داود ناصح الخليفة بما كان عزم عليه فنقله من السجن وأودعه عند نصير الخادم ليحتاط عليه ، وحظي يعقوب بن داود عند المهدي جداً حتى صار يدخل عليه في الليل بلا استئذان ، وجعله على أمور كثيرة ، وأطلق له مائة ألف درهم . وما زال عنده كذلك حتى تمكن المهدي من الحسن بن إبراهيم فستطت منزلة يعقوب عنده . وقد عزل المهدي نواباً كثيرة عن البلاد وولى بدلهم . وفي هذه السنة تزوج المهدي بابنة عمه أم عبد الله بنت صالح بن علي ، وأعتق جاريته الخيزران وتزوجها أيضاً ، وهي أم الرشيد . وفيها وقع حريق عظيم في السفن التي في دجلة بفداد . ولما ولي المهدي سأل عيسى بن موسى - وكان ولي المهدي من بعده - أن يخلع نفسه من الأمر فامتنع على المهدي ، وسأل المهدي أن يقيم بأرض الكوفة في ضيعة له فأذن له ، وكان قد استقر على إمرة الكوفة روح بن حاتم ، فكتب إلى المهدي : إن عيسى بن موسى لا يأتي الجمعة ولا الجمعة مع الناس إلا شهرين من السنة ، وإنه إذا جاء يدخل بدوابه إلى داخل باب المسجد فتروث دوابه حيث يصل الناس . فكتب إليه المهدي أن يعمل خشباً على أفواه السكك حتى لا يصل الناس إلى المسجد إلا مشاة . فعلم بذلك عيسى بن موسى فاشترى قبل الجمعة دار المختار بن أبي عبيدة من ورثته - وكانت ملاصقة للمسجد - وكان يأتي إليها من يوم الخميس ، فإذا كان يوم الجمعة ركب حماراً إلى باب المسجد فنزل إلى هناك وشهد الصلاة مع الناس وأقام بالسككية بالكوفة بأهله ، ثم ألع المهدي عليه في أن يخلع نفسه وتوعده إن لم يفعل ، ووعده إن فعل فأجابته إلى ذلك فأعطاه أقطاعاً عظيمة ، وأعطاه من المال عشرة آلاف ألف ، وقيل عشرين ألف ألف ، وبايع المهدي لولديه من بعده موسى الهادي ، ثم هارون الرشيد كما سيأتي .

وحجج بالناس يزيد بن منصور خال المهدي ، وكان نائباً على اليمن فولاه الموسم واستقدمه عليه شوقاً إليه ، وغالب نواب البلاد عزلمهم المهدي ، غير أن إفريقية مع يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة ، وعلى خراسان أبو عون ، وعلى السند بسطام بن عمرو ، وعلى الأهواز وپارس عمارة بن حمزة ، وعلى اليمن رجاء بن روح ، وعلى اليمامة بشر بن المنذر ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح . وعلى المدينة عبيد الله بن صذبان الجمحي ، وعلى مكة والعلائف إبراهيم بن يحيى ، وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح السكندی ، وعلى خراجها ثابت بن موسى ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي ، وعلى أحداث البصرة عمارة بن حمزة وعلى صلاتها عبد الملك بن أيوب بن ظبيان الثميري ، وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن العنبري .

وفيهما توفي عبد العزيز بن أبي رواد ، وعكرمة بن عمار ، ومالك بن مغول ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب المدني : نظير مالك بن أنس في الفقه ، وربما أنكر على مالك أشياء ترك الأخذ فيها ببعض الأحاديث ، كان يراها مالك من إجماع أهل المدينة وغير ذلك من المسائل .

ثم دخلت سنة ستين ومائة

فيها خرج رجل بخراسان على المهدي منكرآ عليه أحواله وسيربه وما يتعاطاه ، يقال له يوسف البرم ، والتف عليه خلق كثير ، وتفانم الأمر وعظم الخطب به ، فتوجه إليه يزيد بن يزيد فلقبه فاقنتلا قتالا شديداً حتى تنازلا وتماقتا ، فأسر يزيد بن يزيد يوسف هذا ، وأسر جماعة من أصحابه فبعثهم إلى المهدي فأدخلوا عليه ، وقد حملوا على جمال محولة وجوهمهم إلى ناحية أذنان الأبل ، فأمر الخليفة هرمة أن يقطع يدي يوسف ورجليه ثم تضرب عنقه وأعناق من معه وصلبهم على جسر دجلة الأمامي مما يلي عسكر المهدي وأطلقا الله نائزتهم وكفى شرهم .

## البيعة لموسى الكوفي

ذكرنا أن المهدي ألح على عيسى بن موسى أن يخلع نفسه وهو مع كل ذلك يمتنع وهو مقيم بالكوفة ، فبعث إليه المهدي أحد القواد الكبار وهو أبو هريرة محمد بن فروخ في ألف من أصحابه لاحضاره إليه ، وأمر كل واحد منهم أن يحمل طبلا ، فإذا واجهوا الكوفة عند إضاءة الفجر ضرب كل واحد منهم على طبله ، ففعلوا ذلك فانجبت الكوفة ، وخاف عيسى بن موسى ، فلما انتهوا إليه دعوه إلى حضرة الخليفة فأظهر أنه يشتكي ، فلم يقبلوا ذلك منه بل أخذوه معهم فدخلوا به على الخليفة في يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم من هذه السنة ، فاجتمع عليه وجوه بني هاشم والقضاة والأعيان وسألوه في ذلك وهو يمتنع ، ثم لم يزل الناس به بالرغبة والرغبة حتى أجاب في يوم الجمعة لأربع مضي من المحرم بمسد العصر . وبيع لولدى المهدي موسى وهارون الرشيد صباحة يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم وجلس المهدي في قبة عظيمة في إيوان الخلافة ، ودخل الأمراء فبايعوا ثم نهض فصعد المنبر وجلس ابنه موسى الهادي تحته ، وقام عيسى بن موسى على أول درجة ، وخطب المهدي فأعلم الناس بما وقع من خلع عيسى بن موسى نفسه وأنه قد حلل الناس من الإيمان التي له في أعناقهم وجعل ذلك إلى موسى الهادي . فصديق عيسى بن موسى ذلك وبايع المهدي على ذلك . ثم نهض الناس فبايعوا الخليفة على حسب مراتبهم وأسنانهم ، وكتب على عيسى بن موسى مكتوبا مؤكدا بالإيمان البالغة من العالاق والعتاق ، وأشهد عليه جماعة الأمراء والوزراء ، وأعيان بني هاشم وغيرهم وأعطاه ما ذكرنا من الأموال وغيرها .

وفيهما دخل عبيد الملك بن شهاب المسمى مدينة باربد من الهند في جحفل كبير فحاصرهما

ونصبوا عليها المجانيق ، ورموها بالنفط فأحرقوا منها طائفة ، وهلك بشر كثير من أهلها ، وفتحوها عنوة وأرادوا الانصراف فلم يمكنهم ذلك لاعتلاء البحر ، فأقاموا هناك فأصابهم داء في أفواههم يقال له حمام قرّ فمات منهم ألف نفس منهم الربيع بن صبيح ، فلما أمكنهم السير ركبوا في البحر فهاجت عليهم ريح ففرق طائفة أيضا ، ووصل بقيتهم إلى البصرة ومهم سبي كثير ، فيهم بنت ملكهم . وفيها حكم المهدي بالحق ولد أبي بكره الثمالي إلى ولاء رسول الله ص . وقطع نسبهم من تقيت ، وكتب بذلك كتابا إلى والي البصرة . وقطع نسبه من زياد ومن نسب نافع ففى ذلك يقول بعض الشعراء وهو خالد النجار : —

إن زياداً وناقماً وأبا \* بكره عندي من أعجب العجب

ذا قرشي كما يقول وذا \* مولى وهذا بزعم عربي

وقد ذكر ابن جرير أن نائب البصرة لم ينفذ ذلك .

وفى هذه السنة حج بالناس المهدي واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي ، واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وخلقاً من الأمراء ، منهم يعقوب بن داود على منزله ومكاته ، وكان الحسن ابن إبراهيم قد هرب من الخادم فلحق بأرض الحجاز ، فاستأمن له يعقوب بن داود فأحسن المهدي صلته وأجزل جائزته ، وفرق المهدي في أهل مكة مالا كثيراً جداً ، كان قد قدم معه ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف ثوب ، وجاء من مصر ثلاثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فأعطاهما كلها في أهل مكة والمدينة . وشكت الحجة إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تنهم من كثرة ما عليها من الكساوى ، فأمر بتجريدها ، فلما انتهوا إلى كساوى هشام بن عبد الملك وجدها من ديباج مخين جداً ، فأمر بإزالتها وبقيت كساوى الخلفاء قبله وبعده ، فلما جردها طلائها بالخلوف وكساها كسوة حسنة جداً ، ويقال إنه استفتى مالكا في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه من بناء ابن الزبير ، فقال مالك : دعها فاني أخشى أن يتخذها الملوك ملامبة . فتركها على ما هي .

وحمل له محمد بن سليمان نائب البصرة الثلج إلى مكة ، وكان أول خليفة حمل له الثلج إليها . ولما دخل المدينة وسع المسجد النبوى ، وكان فيه مقصورة فأزالها وأراد أن ينقص من المنبر ما كان زاده معاوية بن أبى سفيان فقال له مالك : إنه يخشى أن ينكسر خشبه العتيق إذا زرع ، فتركه . وتزوج من المدينة رقية بنت عمرو العثمانية ، وانتخب من أهلها خمسمائة من أعيانها ليكونوا حوله حرسا بالمراق وأنصاراً وأجرى عليهم أرزاقاً غير أعطياتهم وأقطعهم أقطاعاتاً معروفة بهم .

وفيها توفي الربيع بن صبيح ، وسفيان بن حسين ، أحد أصحاب الزهري ، وشعبة بن الحجاج بن الورد التمشي الأزدي أبو بسطام الواسطي ، ثم انتقل إلى البصرة . رأى شعبة الحسن وابن سيرين ،



وروى عن أمم من التابعين ، وعرضت عنه خلق من مشايخه وأقرانه وأئمة الاسلام . وهو شيخ  
المحدثين الملقب فيهم بأبیر المؤمنین قاله الثوري . وقال يحيى بن معين : هو إمام المنتبين ، وكان في  
غاية الزهد والورع والتشف والحفظ وحسن الطريقة . وقال الشافعي : لولاه ما عرف الحديث بالعراق .  
وقال الامام أحمد : كان أمة وحده في هذا الشأن ، ولم يكن في زمانه مثله . وقال محمد بن سعد : كان  
ثقة مأمونا حجة صاحب حديث . وقال وكيع : إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنة درجات بذبه  
عن حديث رسول الله (س) . وقال صالح بن محمد بن حرزة : كان شعبة أول من تكلم في الرجال  
وتبمه يحيى القطان ثم أحمد وابن معين . وقال ابن مهدي : ما رأيت أعدل من مالك ، ولا أشد  
تشفاً من شعبة ، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك ، ولا أحفظ للحديث من الثوري . وقال مسلم بن  
إبراهيم : ما دخلت على شعبة في وقت صلاة الا ورأيتة يصل ، وكان أبا للفقراء وأماً لهم . وقال النضر  
ابن سميل : ما رأيت أرحم بمسكين منه ، كان إذا رأى مسكيناً لا يزال ينظر إليه حتى يغيب عنه .  
وقال غيره : ما رأيت أعبد منه لقد عبد الله حتى لصق جلده بسطمه . وقال يحيى القطان : ما رأيت  
أرق للمسكين منه ، كان يدخل المسكين في منزله فيعطيه ما أمكنه . قال محمد بن سعد وغيره : مات  
في أول سنة ستين ومائة في البصرة عن ثمان وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

فيها غزا الصائفة ثمانية بن الوليد فتزل دابق ، وجاشت الروم عليه فلم يتمكن المسلمون من  
الدخول إليها بسبب ذلك . وفيها أمر المهدي بحفر الزكيا وحمل المصانع وبناء القصور في طريق مكة  
وولى يعقوب بن موسى على ذلك ، فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومائة ، مقدار  
عشر سنين ، حتى صارت طريق الحجاز من العراق من أرفق الطرق وآمنها وأطيبها . وفيها وسع  
المهدي جامع البصرة من قبلته وغربه . وفيها كتب إلى الآفاق أن لا تبقى مقصورة في مسجد  
جماعة ، وأن تقصر المنابر إلى مقدار منبر رسول الله (س) ، ففعل ذلك في المدائن كلها . وفيها  
اتضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي وظهرت عنده خيانتة فضم إليه المهدي من يشرف عليه ،  
وتان عن ضم إليه إسماعيل بن علي ، ثم أبسده وأقصاه وأخرجه من مملكته . وفيها رلى القضاء  
حافية بن يزيد الأزدي وكان يحكم هو وابن علاتة في عسكر المهدي بالرافقة . وفيها خرج رجل يقال  
له المقنع بخراسان في قرية في قرى مرو ، وكان يقول بالناسخ واتبعه على ذلك خلق كثير فجز  
إليه المهدي عدة من أمراه وأفند إليه جيوشاً كثيرة ، منهم معاذ بن مسلم أمير خراسان ، وكان من  
أمره وأمرم ماسند كره .

وحج بالناس فيها موسى الهادي بن المهدي . وفيها توفي إسرائيل بن يونس بن إسحاق السبيعي

وزائدة بن قدامة و سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أحد أئمة الاسلام وعبادهم والمتقدمي به أبو عبد الله الكوفي . روى عن غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم ، قال شعبة وأبو حاتم وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وغير واحد : هو أمير المؤمنين في الحديث . وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ هو أفضلهم . وقال أبو بصير : ما رأيت كوفياً أفضله عليه . وقال بولس بن عبيد : ما رأيت أفضل منه . وقال عبد الله : ما رأيت أقبحه من الثوري . وقال شعبة : ساد الناس بالورع والعلم . وقال أصحاب المذاهب الثلاثة : ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه ، والثوري في زمانه . وقال الامام أحمد : لا يتقدمه في قلبي أحد . ثم قال : تدرى من الامام ؟ الامام سفيان الثوري . وقال عبد الرزاق : سمعت الثوري يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط يخافني حتى إني لأمر بالهلك يتخفى فأسد أذني مخافة أن أحفظ ما يقول . وقال : لأن أترك عشرة آلاف دينار بحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس .

قال محمد بن سعد : أجمعوا أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة ، ورآه بعضهم في المنام يطير في الجنة من نخلة إلى نخلة ، ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقرأ [ الحمد لله الذي صدقنا وعده ] الآية . وقال : إذا ترأس الرجل سريراً آخر بكثير من العلم . ومن توفي فيها : أبو دلالة

زيد بن الجون الشاعر الماجن ، أحد الظرفاء ، أصله من الكوفة وأقام ببغداد وحظي عند المنصور لأنه كان يضحك ويفسده الأشعار ويمدحه ، حضر يوماً جنازة امرأة المنصور - وكانت ابنة عمه - يقال لها حادة بنت عيسى ، وكان المنصور قد حزن عليها ، فلما سورا عليها التراب وكان أبو دلالة حاضراً ، فقال له المنصور : ويحك يا أبا دلالة ، ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : ابنة عم أمير المؤمنين . فضحك المنصور حتى استلقى ، ثم قال : ويحك فضحنتنا . ودخل يوماً على المهدي بهنئه بقدمه من سفره وأنشده :

إني حلفتُ لئن رأيتك سالماً \* بقرى العراق وأنت ذو وفرٍ  
لتصلين على النبي محمدٍ \* ولنفلانٍ دراهماً حجري

فقال المهدي : أما الأول فنعم ، نصلى على النبي محمد - ، ، وأما الثاني فلا . فقال : يا أمير المؤمنين هما كلتان فلا تفرق بينهما . فأمر أن يعلأ حجره دراهم ، ثم قال له : قم اقتال : ينخرق منها قبصى فأفرغت منه في أكياسها ثم قام يحملها وذهب . وذكر عنه ابن خلدكان أنه مرض ابن له فداواه طبيب فلما عوفي قال له : ليس عندنا ما نعطيك ، ولكن ادع على فلان اليهودي بمبلغ ما تستحقه عندنا من أجرتك حتى أشهد أنا وولدي عليه بالمبلغ المذكور . قال : فذهب الطبيب إلى قاضي الكوفة محمد

ابن عبد الرحمن بن أبي ليل - وقيل ابن شبرمة - فادهى عليه عنده فأنكر اليهودي فشهد عليه أبو دلامة وابنه ، فلم يستطع القاضي أن يرد شهادتهما وخاف من طلب التزكية فأعطى الطبيب المدعي المال من عنده وأطلق اليهودي . وجمع القاضي بين المصالح . تولى أبو دلامة في هذه السنة ، وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة سبعين فآلمه أهل .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومازاة

فبها خرج عبد السلام بن هاشم البشكري بأرض قلنسر بن واتبه خلق كثير ، وقويت شوكرته فقاتله جماعة من الأمراء فلم يقدروا عليه ، وجبر إليه المهدي جيوشا وألفق فيهم أموالا فهزمهم مرات ثم آل الأمر به أن قتل بمسد ذلك . وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا من المرتزقة سوى المنطوعة ، فدمر الروم وحرق بلدانا كثيرة ، وخرب أمانكن وأسر خلقا من الذراري . وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلمي بلاد الروم من باب قاليبلا فغنم وسلم وسبي خلقا كثيرا .  
وفيها خرجت طائفة بمرجان فلبسوا الحرمة مع رجل يقال له عبد القهار ، فنزاه هو وبن العلاء من طبرستان ففهر عبد النهار وقتله وأصحابه . وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المهذبين والمحجوبين ، وهنئه من ثوبة عظيمة ومكرمة جسيمة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور . وفيها توفي من الأعيان :

### إبراهيم بن آدم

أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد . كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله . فهو إبراهيم بن آدم بن منصور بن يزيد بن حاصر بن إسحاق التميمي ، ويقال له البعلج ، أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق ، وروى أهديث عن أبيه والأعشى ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبيعي وخلق . وحديث عنه خلق منهم بقية والثوري وأبو إسحاق الفزاري ومحمد بن حديد . وحكى عنه الأوزاعي . وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجزري عن إبراهيم بن آدم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة . قال : « دخلت على رسول الله ص ، وهو يصلي جالسا فقلت : يا رسول الله إنك تصلي جالسا فما أصابك ؟ قال : الجوع يا أبا هريرة . قال : فبكت فقال : لا نبتك فان شدة يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا » . ومن طريق بقية عن إبراهيم بن آدم حدثني أبو إسحاق الهمداني عن عمارة بن غزوية عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ص : « إن الفتننة نجى فتتسلف العباد تسفا ، وينجو العالم منها بلمه » .

قال النسائي : إبراهيم بن آدم ثقة مأمون أحد الزهاد . وذكر أبو نعيم وغيره أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان ، وكان قد حبس إليه الصيد ، قال : فخرجت مرة فأثرت ثعلما فتهتف بي هاتف

من قبر بوس سرجى : ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت . قال : فوفقت وقلت : انهيته انهيته ، جاءني  
 نذير من رب الملئيين . فرجعت إلى أهلي فغليت عن فرسى وجئت إلى بعض رعاة أبي فأخذت منه  
 جبة وكساء ثم ألقيت ثيابي إليه ، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً فلم يصف لي بها الحلال ،  
 فسألت بعض المشايخ عن الحلال فأرشدني إلى بلاد الشام فأتيته طرسوس فعملت بها أياماً أنظر  
 البسائين وأحصد الحصاد ، وكان يقول : ما تهينيت بالعيش إلا في بلاد الشام . أفر بهديني من شاهق  
 إلى شاهق ومن جبل إلى جبل ، فمن براز ، يقول هو موسوس . ثم دخل البادية ودخل مكة وصحب  
 الثوري والنضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه مثل الحصاد  
 وعمل الفاعل وحفظ البسائين وغير ذلك . وما روى عنه أنه وجد رجلاً في البادية فعلمه اسم الله  
 الأعظم فكان يدعو به حتى رأى الخضر فقال له : إنما علمك أخى داود اسم الله الأعظم ، ذكره  
 القشيري وابن عساكر عنه باسناد لا يصح . وفيه أنه قال له : إن إلياس علمك اسم الله الأعظم .  
 وقال إبراهيم : أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار .

وذكر أبو نعيم عنه أنه كان أكثر دعائه اللهم انقلني من ذلك مصيبتك إلى عز طاعتك . وقيل له  
 إن اللحم قد غلا فقال : ارنصوه أى لا تشتروه فإنه يرنص . وقال بعضهم : هتف به الهاتف من  
 فوقه يا إبراهيم ما هذا المبت [أخسبتم أنما خلقناكم عبنا وأنكم إلينا لا ترجعون] اتق الله وعليك  
 بالزاد . ليوم القيامة . فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة . وروى ابن عساكر  
 باسناد فيه نظر في ابتداء أمره قال : بينما أنا يوماً في منظره لى بيلخ وإذا شيخ حسن الهيئة حسن  
 اللحية قد استظل بظلها فأخذ بمجامع قلبي ، فأمرت غلاماً فدعاه فدخل فمرضت عليه الطعام فأبى  
 فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من وراء النهر . قلت : أين تريد ؟ قال الحج . قلت في هذا  
 الوقت ؟ - وقد كان أول يوم من ذى الحجة أو ثمانيه - فقال : يقول الله ما يشاء . فقلت : الصعبة .  
 قال : إن أحببت ذلك فوعدك الليل ، فلما كان الليل جاءني فقال : قم بسم الله فأخست ثياب  
 سفرى وسرنا نمشى كأنما الأرض تجذب من تحتنا ، ونحن نمر على البلدان ونقول : هذه فلانة هذه  
 فلانة ، فإذا كان الصباح فارقتى ويقول : موعدك الليل ، فإذا كان الليل جاءني فعملنا مثل ذلك .  
 فأتيناها إلى مدينة النبي (ص) ، ثم سرنا إلى مكة فجبناها ليلاً فقضينا الحج مع الناس ثم رجعنا إلى الشام  
 فزرتنا بيت المقدس وقال : إنى عازم على المقام بالشام ، ثم رجعت أنا إلى بلدى بليخ كسائر الضمماء  
 حتى رجعنا إليهما ولم أسأله عن اسمه ، فكان ذلك أول أمرى .

[ وروى من وجه آخر فيه نظر . وقال أبو حاتم الرازى عن أبي نعيم عن سفیان الثورى قال :  
 كان إبراهيم بن آدم يشبه إبراهيم الخليل ، ولو كان في الصحابة كان رجلاً فاضلاً له سر أثر وما رأيته

يظهر تسبيحاً ولا شيئاً ولا أكل مع أحد طامناً إلا كان آخر من يرفع يديه . (١)

وقال عبد الله بن المبارك : كان إبراهيم رجلاً فاضلاً له سرائر ومعاملات بينه وبين الله عز وجل وما رأيته يظهر تسبيحاً ولا شيئاً من عمله ، ولا أكل مع أحد طامناً إلا كان آخر من يرفع يده . قال بشر بن الحارث الخافي : أربعة رفعهم الله بطيب المطعم ، إبراهيم بن آدم ، وسليمان بن النخوص وهيب بن الورد ، ويوسف بن أسباط . وروى ابن عساكر من طريق معاوية بن حفص قال : إنما سمع إبراهيم بن آدم حديثاً واحداً فأخذ به فساد أهل زمانه . قال : حدثنا منصور عن ربه بن خراش قال : جاء رجل إلى رسول الله (ص) ، فقال : يا رسول الله داني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس قال : « إذا أردت أن يحبك الله فابض الدنيا ، وإذا أردت أن يحبك الناس فما كان عندك من فضولها فابضه إليهم » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو الربيع عن إدريس قال : جلس إبراهيم إلى بعض العلماء فجلسوا يتذاكرون الحديث وإبراهيم ساكت ، ثم قال : حدثنا منصور ثم سكت فلم يتعاقب بحرف حتى قام من ذلك المجلس : فمات به بعض أصحابه في ذلك فقال : إني لأخشى مضرة ذلك المجلس في قاي إلى البرم . وقال رشدين بن سعد : مر إبراهيم بن آدم بالأوزاعي وحوله حلقة فقال : لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لمجز عنهم . فقام الأوزاعي وتركهم . وقال إبراهيم بن بشر قيل لابن آدم : لم تركت الحديث ؟ فقال : إني شغول عنه بثلاث ، بالشكر على النعم ، والاستغفار من الذنوب ، والاستعداد للدوت ، ثم صاح وغشى عليه فسمعوا هاتماً يقول : لا تدخلوا بيبي وبين أوليائي . وقال أبو حنيفة يوماً لإبراهيم بن آدم : قد رزقت من العبادة شيئاً صالحاً فليكن انك من بالك فانه رأس العبادة وقوام الدين . فقال له إبراهيم : وأنت فليكن العبادة والعمل بالسلم من بالك وإلا هلكت . وقال إبراهيم : ماذا أنعم الله على الفقراء ، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم ، إنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين الاغنياء . وقال شقيق بن إبراهيم : لتبت ابن آدم بالشام وقد كنت رأيته بالمرق وبين يديه ثلاثون شاكر يا . فقلت له : تركت ملك خراسان ، وخرجت من نعمتك ؟ فقال : اسكت ما تهنيت بالعيش إلا ههنا ، أفر بديني من شاحق إلى شاحق ، فن يرائي يقول « موسوس أو حال أو ملاح ، ثم قال : بلغني أنه يولئ بالفقير يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له : يا عبدي مالك لم تهجج ؟ فيقول : يا رب لم تمنعني شيئاً أحجج به . فيقول الله : صدق عبدي اذهبوا به إلى الجنة . وقال أقت بالشام أربماً وعشرين سنة لم أقم بها لجهاد ولا رباط إنما نزلتها لأشبع من خبز حلال . وقال : الحزن حزنان حزن لك وحزن عليك ، فحزنك على الآخرة لك ، وحزنك على الدنيا وزينتها عليك . وقال : الزهد ثلاثة ، واجب ،

ومستحب ، و زهد سلامة ، فأما الواجب فالزهد في الحرام ، والزهد عن الشهوات الحلال مستحب ،  
والزهد عن الشهوات سلامة . وكان هو وأصحابه ينعون أنفسهم الحمام والماء البارد والخذاء ولا يجلبون  
في أصحابهم أوزاراً ، وكان إذا جلس على سفرة فيها طعام طيب رعى بطيها إلى أصحابه وأكل هو الخبز  
والزيتون . وقال قتلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطمع تورث النعم  
والجزع . وقال له رجل : هذه جبة أحب أن تقبلها مني . فقال : إن كنت غنياً قبلتها ، وإن كنت  
فقيراً لم أقبلها . قال : أنا غني . قال : كم عندك ؟ قال ألفان . قال : تود أن تكون أربعة آلاف ؟  
قال : نعم ، قال فأنت فقير ، لا أقبلها منك . وقيل له : لو تزوجت ؟ فقال : لو أمكنني أن أطلق  
نفسى لطلقتها . ومكث بمكة خمسة عشر يوماً لا شيء له ولم يكن له زاد سوى الرمل بالماء ، وصلّى وضوءه  
واحد خمس عشرة صلاة ، وأكل يوماً على حافة الشريعة كسيرات مبلولة بالماء وضماها بين يديه أبو  
يوسف النسوي ، فأكل منها ثم قام فشرب من الشريعة ثم [ جاء واستلقى على قفاه وقال : يا أبا يوسف  
لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعم لجلالدينا بالسيرف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيق  
العيش . فقال له أبو يوسف : طلب القوم الراحة والنعم فأخطأوا الطريق المستقيم . فتبسم إبراهيم  
وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ وبينما هو بالمصيصة في جماعة من أصحابه إذ جاءه راكب فقال :  
أيكم إبراهيم بن آدم ؟ فأرشد إليه ، فقال : يا سيدي أنا غلامك ، وإن أباك قدمات وترك ما لا هو  
عند القاضى ، وقد جئتكم بمشرة آلاف درهم لنفقتها عليكم إلى بلخ ، وفرس وبغلة . فسكت  
إبراهيم طويلاً ثم رفع رأسه فقال : إن كنت صادقاً فالدرهم والفرس والبغلة لك ، ولا تخبر به أحداً .  
ويقال : إنه ذهب بعد ذلك إلى بلخ وأخذ المال من الحاكم وجعله كله في سبيل الله .

وكان معه بعض أصحابه فكثروا شهرين لم يحصل لهم شيء يأكلونه ، فقال له إبراهيم : ادخل إلى  
هذه الفيضة - وكان ذلك في يوم شات - قال : فدخلت فوجدت شجرة عليها خوخ كثير فملأت  
منه جرابي ثم خرجت ، فقال : ما معك ؟ قلت : خوخ . فقال : يا ضيف اليقين اوصبرت لوجدت  
رطباً جنياً ، كما رزقت مريم بنت عمران . وشكاً إليه بعض أصحابه الجوع فصلى ركعتين فإذا حوله  
دنانير كثيرة فقال لصاحبه : خذ منها ديناراً ، فأخذها واشترى لهم به طعاماً . وذكروا أنه كان  
يعمل بالفاعل ثم يذهب فيشترى البيض والزبدة وتارة الشواء والجوزبان والخبيص فيطعمه أصحابه  
وهو صائم ، فإذا أفطر يأكل من ردى الطعام ويحرم نفسه المظعم الطيب لير به الناس تأليفاً لهم  
وتحبيبا وتودداً إليهم .

وأضاف الأوزاعي إبراهيم بن آدم قصص إبراهيم في الأكل فقال : مالك قصرت ؟ فقال :  
لأنك قصرت في الطعام . ثم عمل إبراهيم طعاماً كثيراً ودعا الأوزاعي فقال الأوزاعي : أما تخاف

أن يكون سرًا ؟ فقال : لا ! إنما السرف ما كان في مصيبة الله ، فأما ما أنفته الرجل على إخوانه فهو من الدين . وذكروا أنه حصده مرة بعشرين دينارًا ، فجلس مرة عند حجام هو وصاحب له ليحلق رؤسهم ويحجمهم ، فكأنه تبرم بهم وأشتت عليهم ، فتأذى صاحبه من ذلك ثم أقبل عليهم الحجام فقال : ماذا تريدون ؟ قال إبراهيم : أريد أن تحاق رأسي وتحجمني ، ففعل ذلك فأعطاه إبراهيم العشرين دينارًا ، وقال : أردت أن لا تحقر بعدها فقيرًا أبدًا . وقال مضاء بن عيسى : ما فات إبراهيم أصحابه بصوم ولا صلاة ولكن بالصدق والسخاء .

وكان إبراهيم يقول : فرأى من الناس كفراركم من الأسد الضاري ، ولا تخلفوا عن الجماعة والجماعة . وكان إذا سافر مع أحد من أصحابه يمدته إبراهيم ، وكان إذا حضر في مجلس فكأنما على رؤسهم الطير هيبه له وإجلالا . وربما تسامر هو وسفيان الثوري في الليلة الشاتية إلى الصباح ، وكان الثوري يتحرز منه في الكلام . ورأى رجلا قيل له : هذا قاتل خالك ، فذهب إليه فسلم عليه وأهدى له وقال : بلغنى أن الرجل لا يبلغ درجة اليقين حتى يأمنه عدوه . وقال له رجل : طوبى لك أفذيت عمرك في العبادة وتركت الدنيا والزوجات . فقال : ألك عيال ؟ قال : نعم . فقال : لروعة الرجل بعياله - يعنى في بعض الأحيان من الفاقة - أفضل من عبادة كذا وكذا سنة . ورآه الأوزاعي ببيروت وعلى عنقه حزمة حطب فقال : يا أبا إسحاق إن إخوانك يكتفونك هذا . فقال له : اسكت يا أبا عمرو فقد بلغنى أنه إذا وقف الرجل موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة . وخرج ابن آدم من بيت المقدس فر بطريق فأخذته المسلحة في الطريق فقالوا : أنت عبد ؟ قال : نعم . قالوا : آبق ؟ قال نعم . فسجنوه . فبلغ أهل بيت المقدس خبره فجأوا برمتهم إلى نائب طبرية فقالوا : غلام سجن إبراهيم بن آدم ؟ قال : ما سجنته . قالوا : بلى هو في سجنك . فاستحضره فقال : سلام سجنك . فقال : سل المسلحة ، قالوا : أنت عبد ؟ قلت نعم وأنا عبد الله . قالوا : آبق ؟ قلت نعم وأنا عبد آبق من ذنوبى . نقل سبيله .

وذكروا أنه مر مع رفقة فاذا الأسد على الطريق نتقدم إليه إبراهيم بن آدم فقال له : يا قسورة إن كنت أبرت فينا بشئ فاهض لما أمرت به وإلا فودك على بدئك . قالوا : فولى السبع ذاهبا يضرب بذنيه ، ثم أقبل علينا إبراهيم فقال : قولوا : اللهم راهنا بعينك التى لا تنام ، واكنفنا بكنفك الذى لا يرام ، وارحنا بقدرتك هلبنا ، ولا تترك وأنت رجاؤنا يا الله ، يا الله ، يا الله . قال خلف بن نعيم : فإزلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لى أص ولا غيره .

وقد روى لهذا شواهد من وجوه أخر . وروى أنه كان يصلى ذات ليلة فجاءه أسد

ثلاثة فتقدم إليه أحدهم فشم ثيابه ثم ذهب فربض قريباً منه ، وجاء الثاني ففعل مثل ذلك ، وجاء الثالث ففعل مثل ذلك ، واستمر إبراهيم في صلاته ، فلما كان وقت السحر قال لهم : إن كنتم أمرتم بشئ فلهوا ، وإلا فالصرفوا فالصرفوا . وصعد مرة جبلاً بمكة معه جماعة فقال لهم : لو أن ولياً من أولياء الله قال لجبل زل لزال . فتحرك الجبل تحته فوكزه برجله وقال : اسكن فإنا ضربتك مثلاً لأصحابي . وكان الجبل أبا قبيس . وركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلما فإبراهيم رأسه بكسائه واضطجع وعج أصحاب السفينة بالضجيج والدعاء ، وأية ظروء وقالوا : ألا ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس هذه شدة ، وإنما الشدة الحاجة إلى الناس . ثم قال : اللهم أريتنا قدرتك فأرنا عفوك . فصار البحر كأنه قدسح زيت . وكان قد طالبه صاحب السفينة بأجرة حمله دينارين وألح عليه ، فقال له : اذهب ممي حتى أعطيك دينارينك ، فأتى به إلى جزيرة في البحر فتوضأ إبراهيم وحلى زكمتين ودعا إذا ما حوله قد ملي دنائير ، فقال له : خذ حتمك ولا تزد ولا تذكر هذا لأحد . وقال حذيفة المرعشي : أريت أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة ، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئاً ، فقال لي : كأنك جائع . قلت : نعم . فأخذ رقعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال ، المشار إليه بكل معنى ،

أنا حامدٌ أنا ذاكرٌ أنا شاكرٌ \* أنا جائعٌ أنا حاسرٌ أنا عارى  
 هي ستة وأنا الضمين لنصفها \* فكن الضمين لنصفها يا باري  
 مدحى لتبرك وهج نار خضتها \* فأجز عبيدك من دخول النار

ثم قال لي : اخرج بهذه الرقعة ولا تعلق قلبك بنير الله سبحانه وتعالى ، وادفع هذه الرقعة لأول رجل تلقاه . فخرجت فإذا رجل على بئلة فدفعتها إليه فلما قرأها بكى ودفع إلى ستائة دينار وانصرف ، فسألت رجلاً من هذا الذي على البئلة ؟ فقالوا : هو رجل نصراني . فجزت إبراهيم فأخبرته فقال : الآن يجي فيسلم . فما كان غير قريب حتى جاء فأكب على رأس إبراهيم وألم . وكان إبراهيم يقول : دارنا أماننا وحياتنا بدم وقاتنا . فاما إلى الجنة وإما إلى النار . مثل لبصرك حضور ملك الموت وأعرانه لقبض روحك وانظر كيف تكوّن : حيثئذ ، ومثل له هول المضجع ومساءلة منكر ونكير وانظر كيف تكوّن . ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها والعرض والحساب ، وانظر كيف تكوّن . ثم صرخ صرخة خر منشياً عليه . ونظر إلى رجل من أصحابه يضحك فقال له : لا تطمع فيها لا يكون ، ولا تلس ما يكون . فقيل له : كيف هذا يا أبا إسحاق ؟ فقال : لا تطمع في البقاء والموت يطلبك ، فكيف يضحك من يموت ولا يدري أين ينهب به إلى جنة أم إلى نار ؟ ولا تفسر ما يكون الموت يأتيك صباحاً أو مساءً . ثم قال : أوه أوه ! ثم خر منشياً عليه . وكان يقول : مالنا نشكركمنا إلى



فلما ولا نسأل كشفه من ربنا . ثم يقول : نكثت عهداً أمه أحب الدنيا ونسب ما في خزائن مولاه  
وقال : إذا كنت بالليل نائمًا وبالنهار هائمًا وفي المصاحف دائمًا فكيف ترضى من هو بأمرورك قائمًا .  
ورآه بهض أحمابه وهو بمسجد بيروت وهو يبكي ويضرب يديه على رأسه ، فقال : ما يبكيك ؟  
فقال : ذكرت يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . وقال : إنك كلما أمعنت النظر في مرآة التوبة  
بان لك قبح شين المعصية .

وكتب إلى الثوري : من سرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ، ومن  
أطلق أمه ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه . وسأله بعض الزوالة من أين ميمشتك ؟ فأشأ يقول :

نزعُ دنيانا بتزويقي دنيانا \* فلا ديلنا يبقى ولا ما نزعُ  
وكان كثيراً ما يمثل بهذه الأبيات :

لما توعد الدنيا به من شرورها \* يكون بكاء العليل ساعة بوضع  
والآفا يبكيه منها وإنما \* لأرواح بما كان فيه وأوسع  
إذا أبصر الدنيا استهل كأنما \* يرى ما سيلقى من أذاها ويسمع

وكان يمثل أيضا :

رأيت الذنوب تجبت القلوب \* وبورثها الذل إدمانها  
وترك الذنوب حياة القلوب \* وخيرٌ لنفسك عصيانها  
وما أفسد الدين إلا ملوك \* وأحبارٌ سوء ورهبانها  
وباعوا النفوس فلم يربحوا \* ولم يزل بالبيع أمثانها  
لقد رجع التوم في جيفة \* تبين لدى اللب أثنانها

قال : إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق في قلبك ، والاشتغال عن عيوبهم بذكرك ، وعليك  
بالنظ الجليل من قلب ذليل لرب جليل ، ففكر في ذنبك وتب إلى ربك يذبت الورع في قلبك ،  
واقطع الطمع إلا من ربك . وقال : ليس من أعلام الحب أن تحب ما يفضه حبيبك ، ذم ، ولانا  
الدنيا فمدحناها ، بأنفضها فأحببناها ، وزهدنا فيها فآثرناها ورغبنا في طلبها ، ووعدك خراب  
الدينا فخصمناها ، ونهاك عن طلبها فطلبناها ، وأنذرك الكنوز فكنتزعموها ، دعيتك إلى هدمه  
السرارة دواعيها ، فأجبت مسرعين مندبها ، خدعتك بفرورها ، ومنتك فأنقذتم خاضعين لأمانها  
تسرخون في زهراتها وزخارفها ، وتثتمون في لذاتها وتقلبون في شهواتها ، وتتلونون بلبانها ،  
تسبون بمخالب الخوص عن خزائنها ، وتعمرون بممول الطمع في مادنما . وشكى إليه رجل كبرة  
عياله فقال : ابعد إلى منهم من لا رزقه على الله . فسكت الرجل . وقال : مررت في بعض جبال  
فاذا حجر مكتوب عليه بالعربية :

كلُّ حَيٍّ وَإِنْ بَقِيَ • فَمَنْ الْعَيْشِ يَسْتَقِي

فَاعْمَلِ الْيَوْمَ وَاجْتَهِدْ \* وَاحْذِرِ الْمَوْتَ يَا شَقِي

قال : فبينما أنا واقف أقرأ وأبكي ، وإذا برجل أشعر أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم وقال : مم تبكي ؟ فقلت : من هذا . فأخذ يبدى ومضى غير بعيد فاذا بصخرة عظيمة مثل الحراب قتال أقرأ وابلك ولا تقصر . وقام هو يصلي فاذا في أعلاه نقش بين عربي :

لَا تَبْنِيَنَّ جَاهَاً وَجَاهَاًكَ سَاقِطٌ \* عِنْدَ الْمَلِيكِ وَكُنْ جَاهَاًكَ مُصْلِحَا

وَفِي الْجَانِبِ الْآخِرِ نَقَشَ بَيْنَ عَرَبِي :

مَنْ لَمْ يَتَّقِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ \* لَا قِي هُمُومًا كَثِيرَةً الضَّرُّ

وَفِي الْجَانِبِ الْآيْسَرِ مِنْهُ نَقَشَ بَيْنَ عَرَبِي :

مَا أُرِيَنَّ التَّقِيَّ وَمَا أَقْبِحَ الْخُلُقَا \* وَكَلِّ مَا خُوذَ بِمَا جُنَا \* وَعَسَدَ اللَّهِ الْجَزَا

وَفِي أَسْفَلِ الْحَرَابِ فَوْقَ الْأَرْضِ بِنِزَاعٍ أَوْ أَكْثَرِ :

إِنَّمَا الْفَوْزُ وَالْفَوْزِيُّ \* فِي تَقَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ

قال : فلما فرغت من القراءة التفت فاذا ليس الرجل هناك ، فما أدرى انصرف أم حجب عنى . وقال : أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان ، ومن وفى العمل وفى له الأجر ، ومن لم يعمل وحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير . وقال : كل سلطان لا يكون عادلاً فهو والوص بمنزلة واحدة ، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب بمنزلة واحدة ، وكل من خدم سوى الله فهو والكلاب بمنزلة واحدة . وقال : ما ينبغي لمن ذل لله في طاعته أن يذل لعير الله في مجامعته ، فكيف بمن هو يتقلب في نعم الله وكفائته ؟ وقال : أعر بنا في كلامنا فلم نلحن ، ولحنا في أعمالنا فلم نعر ب . وقال : كنا إذا رأينا الشاب يتكلم في المجلس أينسنا من خيره . وقال : جانبوا الناس ولا تنقطعوا عن جمعة ولا جماعة .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسن بن محمد بن زامين الأسترابادى قال : أنبأ عبد الله بن محمد الحميدى الشيرازى أنبأ القاضي أحمد بن خرزاد الأجوازى حدثنى على بن محمد القمصى حدثنى أحمد بن محمد الحلبي سمعت سرياً السقطي يقول سمعت بشر ابن الحارث الخفاني يقول : قال إبراهيم بن آدم : وقفت على راهب فأشرف على قلعت له : عظمى فأنشأ يقول :

خُذْ عَنِ النَّاسِ جَانِبًا • كُنْ بِمِدْوَكِ رَاهِبَا

إِنْ دَهْرًا أَظْلَمِي \* قَدْ أَرَانِي الْمَجَانِبَا  
 قَلْبُ النَّاسِ كَيْفَ شُدَّ \* تَنْجِمُهُمْ عَقَابَا  
 قَالَ بِيْشْرِ فَقُلْتُ لِأَبِرَاهِيمَ هَذِهِ مَوْعِظَةُ الرَّاهِبِ لَكَ ، فَمَعْظِي أَنْتَ . فَأَنْشَأُ يَقُولُ :  
 نُوْحِشْ مِنَ الْإِخْوَانِ لَا تَبِغْ مَوْلَسًا \* وَلَا تَتَّخِذْ خَلَاوِلًا تَبِغْ صَاحِبَا  
 وَكُنْ سَامِرِي الْعَمَلِ مِنْ نَسْلِ آدَمِ \* وَكُنْ أَوْحَدِيَا مَا قَدَرْتُكَ مَجَانِبَا  
 فَقَدْ فَسَدَ الْإِخْوَانُ وَالْحُبُّ وَالْإِخَا \* فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا مَذْوِقًا وَكَذَابَا  
 فَقُلْتُ وَوَلَا أَنْ يَقَالَ مَدْمَدَةً \* وَتَنْكُرُ حَالَاتِي لَقَدْ صَرَّتْ رَاهِبَا

قَالَ سُرَى : قُلْتُ لِبِشْرِ : هَذِهِ مَوْعِظَةُ إِبْرَاهِيمَ لَكَ فَمَعْظِي أَنْتَ ، قُلْتُ : عَلَيْكَ بِالْحَوْلِ وَزُومِ  
 بَيْتِكَ . قُلْتُ بِلَغْنِي عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : لَوْلَا الْإِيلُ وَمِلَاقَةُ الْإِخْوَانِ مَا بَالَيْتُ مَتَى مَتَى . فَأَنْشَأُ بِشْرُ  
 يَقُولُ : يَا مَنْ يَسُرُّ بَرُؤِيَةَ الْإِخْوَانِ \* مَهْلًا أَمَنْتُ مَكْيَدَ الشَّيْطَانِ  
 خَلْتُ التَّلَوُّبَ مِنَ الْمَعَادِ بِذِكْرِهِ \* وَتَشَاغَلُوا بِالْحَرْصِ وَالْحَسْرَانِ  
 صَارَتْ مَجَالِسُ مَنْ تَرَى وَحَدِيثُهُمْ \* فِي هُنَاكَ مَسْتَوْرٍ وَمَوْتِ جَنَّانِ  
 قَالَ الْحَلْبِيُّ فَقُلْتُ لِسُرَى : هَذِهِ مَوْعِظَةُ بِيْشْرِ فَمَعْظِي أَنْتَ . فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالْإِخْمَالِ فَقُلْتُ  
 أَحِبُّ ذَاكَ ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

يَا مَنْ يَرُومُ بِزَعْمِهِ إِخْمَالًا \* إِنْ كَانَ حَقًّا فَاسْتَعِدَّ خِصَالَا  
 تَرَكَ الْمَجَالِسَ وَالتَّذَاكُرَا يَا أُخِي \* وَاجْعَلْ خُرُوجَكَ لِلصَّلَاةِ خِيَالَا  
 بَلْ كُنْ بِهَا حَيًّا كَأَنَّكَ مَيِّتٌ \* لَا يَرْتَجِي مِنْهُ الْقَرِيبُ وَصَالَا

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَصْرِيُّ : قُلْتُ لِلْحَلْبِيِّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ سُرَى لَكَ فَمَعْظِي أَنْتَ . فَقَالَ : يَا أُخِي  
 أَحِبُّ الْأَعْمَالَ إِلَى اللَّهِ مَا صَمَدٌ إِلَيْهِ مِنْ قَلْبٍ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا ، فَزَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا يَجِبُكَ اللَّهُ . ثُمَّ أَنْشَأُ يَقُولُ :  
 أَنْتَ فِي دَارِ شَتَاتٍ \* فَتَأْهَبُ لِشَتَاتِكَ \* وَاجْعَلِ الدُّنْيَا كِيَوْمٍ \* صَمْتُهُ عَنْ شَهْوَاتِكَ  
 وَاجْعَلِ النَّظْرَ إِذَا \* مَا صَمْتُهُ يَوْمَ وَفَاتِكَ

قَالَ ابْنُ خَيْرِ زَادٍ فَهَاتِ لِعَلِّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ الْحَلْبِيِّ لِأَنَّ فَمَعْظِي أَنْتَ . فَقَالَ لِي : احْفَظْ وَقْتِكَ  
 وَاسْحَبْ بِسَمْتِكَ نَهْ عَنِ وَجْعِ ، وَانزِيمِ قَسَمَةِ الْأَشْيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ بِصَفْوَتِكَ بِذَلِكَ مَسْرُوكٍ وَيَدُ كَوْبِهِ  
 ذَكَرَكَ . ثُمَّ أَنْشَأُ يَقُولُ :

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تَمُوتُ فَكَلِمَا \* نَضَى مِنْهَا انْتَقَصَتْ بِدَجْوَا  
 فَتَصْبِيحٌ فِي نَقْصٍ وَتَمْسَى بِمَنْتَهَى \* وَمَالِكَ مَقُولٌ نَحْسُ بِهِ رِزْوَا  
 بِمَيْتِكَ مَا بِمَيْتِكَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ \* وَبِحَدْوِكَ حَادٍ مَا بِرَيْدِكَ الْمَرْوَا

قال أبو محمد قلت لأحمد : هذه وعظة على لك فعضي . فقال : يا أخي عليك بلزوم الطاعة  
وإيك أن تغارق باب القناعة ، وأصلح ميثاك ، ولا تؤثر هواك ، ولا تتبع آخرتك بدنياك ، واشتغل  
بما يعينك بترك ما لا يعينك . ثم أنشدني :

ندمت على ما كان مني ندامة \* ومن يتبع ما تشتهي النفس يندم  
نخافوا لكيما تأمنوا بمد موتكم \* سئلون رباً عادلاً ليس يظلم  
فليس لغرور بدنياه زاجر \* سيندم إن زلت به العمل فاعلموا

قال ابن زامين فقلت لأبي محمد : هذه وعظة أحمد لك فعضي أنت . فقال : اعلم رحمك الله أن  
الله عز وجل ينزل المبيد حيث نزلت قلوبهم بهومها ، فانظر أين ينزل قلبك ، واعلم أن الله  
سبحانه يقرب من القلوب على حسب ما تقرب منه . وتقرب منه على حسب ما قرب إليها . فانظر  
من القريب من قلبك . وأنشدني :

قلوب رجال في الحجاب نزول \* وأرواحهم فيها هناك حلول  
تروح نعيم الأنس في عز قر به \* بافراد توحيد الجليل تحول  
لهم بقاء القرب من محض بره \* عوائد بدل خطبهن جليل

قال الخطيب : فقلت لابن زامين : هذه وعظة الحميدي لك فعضي أنت . فقال : اتق الله وثق  
به ولا تهمة فان اختياره لك خير من اختيارك لنفسك وأنشدني :

أخذ الله صاحباً \* ودع الناس جانباً  
جرب الناس كيف شئت \* نت نجدهم عقارباً

قال أبو الفرج غيث الصوري : فقلت للخطيب : هذه وعظة ابن زامين لك فعضي أنت .  
فقال : احذر نفسك التي هي أعدى أعدائك أن تنابها على هواها ، فذاك أعضل دائك ، واستشرف  
الخطوف من الله تعالى بخلافها ، وكرر على قلبك ذكر نعمتها وأوصافها ، فانها الأمانة بالسوء والنحشاء ،  
والمرودة من أطاعها موارد العطب والبلاء ، واعمد في جميع أمورك إلى تحرى الصدق ، ولا تتبع  
الهوى فيضلك عن سبيل الله . وقد ضمن الله لمن خالف هواه أن يجعل جنسة الخلد قراره ومأواه  
ثم أنشد نفسه :

إن كنت تبغى الرشاد محضاً \* في أمر دنياك والمعاد  
نغالف النفس في هواها \* إن الهوى جامع الفساد

قال ابن عساكر : المحفوظ أن إبراهيم بن آدم توفي سنة ثنتين وستين ومائة . وقال غيره : إحدى  
وسنتين وقيل سنة ثلاث . والصحيح ما قاله ابن عساكر والله أعلم . وذكروا أنه توفي في جزيرة من

جزائر بحر الروم وهو مرايط ، وأنه ذهب إلى الخلاء ليلة مات نحواً من عشرين مرة ، وفي كل مرة يجدد الوضوء بعد هذا ، وكان به البطن ، فلما كانت غشبية الموت قال : أوتروا لي قوسى ، فأوتروه فقبض عليه فمات وهو قابض عليه يريد الرى به إلى المدور رحمة الله وأكرم مثواه .

وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي : حدثنا محمد بن عيسى بن يزيد الصائغ قال سمعت الشافعي يقول : كان سفيان متهجياً به :

[ أجاغهم الدنيا فغافوا ولم يزل \* كذلك ذوالنقوى عن العيش ملجما  
أخو طيء داود منهم ومسر \* ومنهم وهيب والرقيب ابن أدهما  
وفي ابن سعيد قدوة البر والنهي \* وفي الوارث الفاروق صدقاً مقدما  
وحسبك منهم بالنضيل مع ابنه \* ويوسف أن لم يأن أن يتسلا  
أولئك أمهاني وأهل مردى \* فصلى عليهم ذو الجلال وسلا  
فما ضرر ذا النقوى لصال أسنة \* وما زال ذو النقوى أهر وأكرما  
وما زالت النقوى تربك على الفنى \* إذا محض النقوى من المرز ميسا

وروى البخاري في كتاب الأدب عن إبراهيم بن آدم وأخرج الترمذي في جامعه حديثنا معلفاً في المسح على الخفين . والله سبحانه أعلم ، [ (١)

وفيها توفى أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد ، أخذ الفقه عن أبي حنيفة . قال سفيان بن عيينة : ثم ترك داود الفقه وأقبل على العبادة ودفن كتبه . قال عبد الله بن المبارك : وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائي . وقال ابن معين : كان ثقة ، وفد على المهدي ببغداد ثم عاد إلى الكوفة . ذكره الخطيب البغدادي . وقال : مات في سنة ستين ومائة ، وقيل في سنة ست وخمسين ومائة . وقد ذكر شيخنا الذهبي في تاريخه أنه توفى في هذه السنة . أعنى سنة ثنتين وستين ومائة  
فإنه أعلم .  
ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

فيها حصر المقفع الزنديقي الذي كان قد نبغ بخراسان وقال بالتناسخ ، واتبعه على جهالته وضلته خلق من الطعام وسفهاء الأنام ، والسفلة من العوام ، فلما كان في هذا العام لجأ إلى قلعة كش لحاصره سديد الحرثي فألح عليه في الحصار ، فلما أحس بالغبلة تحصى سما وسم نساء فأتوا جميعاً ، عليهم لعائن الله . ودخل الجيش الاسلامي قلعة فاحتزوا رأسه وبشوا به إلى المهدي ، وكان المهدي بحلب . قال ابن خلدكان : كان اسم المقفع عطاء ، وقيل جكيم ، والأول أشهر . وكان أولاً قصاراً ثم ادعى البربرية ، مع أنه كان أهور قبيح المنظر ، وكان يتخذ له وجهاً من ذهب ، وتابعه على جهالته خلق (١) زيادة من المصرية .

كثير ، وكان يرى الناس قرأ يرى من مسيرة شهر بن ثم يفتيب ، فمظم اعتقادهم له ومنعوه بالسلاح ، وكان يزعم لعنه الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً أن الله ظهر في صورة آدم ، ولهذا سجدت له الملائكة ، ثم في نوح ، ثم في الأنبياء واحداً واحداً ، ثم تحول إلى أبي مسلم الخراساني ، ثم تحول إليه . ولما حاصره المسلمون في قلعة التي كان جنددها بناحية كرش مما وراء النهر ويقال لها سنم ، نحسب هو ونساؤه سمياً فاتوا واستحوذ المسلمون على حواصله وأمواله

وفيها جهز المهدي البوثر من خراسان وغيرها من البلاد لغزو الروم ، وأمر على الجميع ولده هارون الرشيد ، وخرج من بغداد مشيعاً له ، فسار معه مراحل واستخلف على بغداد ولده موسى الهادي ، وكان في هذا الجيش الحسين بن قحطبة والربيع الحاجب وخالد بن برمك - وهو مثل الوزير للرشيد ولي العهد - ويحيى بن خالد - وهو كاتبه وإليه النفقات - وما زال المهدي مع ولده مشيعاً له حتى بلغ الرشيد إلى بلاد الروم ، وارتاد هناك المدينة المسماة بالمهدية في بلاد الروم ، ثم رجع إلى الشام وزار بيت المقدس ، فسار الرشيد إلى بلاد الروم في جمافل عظيمة ، وفتح الله عليهم فتوحات كثيرة ، وغنموا أموالاً جزيلة جداً ، وكان لخالد بن برمك في ذلك أثر جميل لم يكن لغيره ، وبهتوا بالبشارة مع سليمان بن برمك إلى المهدي فأكرمه المهدي وأجزل عطائه .

وفيها عزل المهدي عمه عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى عليها زفر بن عاصم الهلالي ، ثم عزله وولى عبد الله بن صالح بن علي . وفيها ولى المهدي ولده هارون الرشيد بلاد المغرب وأذربيجان وأرمينية ، وجعل على رسائله يحيى بن خالد بن برمك ، وولى وعزل جماعة من النواب . وحج بالناس فيها علي بن المهدي .

وفيها توفي إبراهيم بن طهمان ، وحر بن عثمان الحمصي الرحبي ، وموسى بن علي اللخمي المصري وشيب بن أبي حمزة ، وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وإليه ينسب قصر عيسى ، ونهر عيسى ببغداد ، قال يحيى بن معين : كان له مذهب جميل ، وكان معتزلاً للسلطان . توفي في هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة . وهمام بن يحيى ، ويحيى بن أبي أيوب المصري ، وعبيدة بنت أبي كلاب العبادة ، بكت من خشية الله أربعين سنة حتى عميت . وكانت تقول : أشتهى الموت فإني أخشى أن أجنى لحي نفسي جناية تكون سبب هلاكي يوم القيامة .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

فيها قرا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بلاد الروم ، فأقبل إليه ميهائيل البطريق في نحو من تسعين ألفاً ، فهم طازاذا الأرمني البطريق فقتل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف راجعاً - فأراد المهدي ضرب عنقه فكلم فيه فحبسه في المطبق .

وفي يوم الأربعاء في أواخر ذي القعدة أسس المهدي قصرآ من ابن بيسا هاذ ، ثم عزم على الذهاب إلى الحج فأصابه حمى فرجع من أثناء الطريق ، فطش الناس في الرجعة حتى كاد بعضهم يهلك ، فغضب المهدي على يقعين صاحب المصانع ، وبعث من حيث رجع المهلب بن صالح بن أبي جعفر ليحج بالناس لحج بهم عائذ . وفيها توفي شيبان بن عبد الرحمن النحوي ، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، ومبارك بن فضالة صاحب الحسن البصري .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

فيها جهز المهدي ولده الرشيد لغزو الصائفة ، وأخذ معه من الجيوش خمسة وتسعين ألفاً وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلاً ، وكان معه من النفقة مائة ألف دينار ، وأربعة وتسعون ألف دينار ، وأربعمائة وخمسون ديناراً ، ومن الغنم إحدى وعشرون ألفاً وأربعمائة ألف ، وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم . قال ابن جرير . فبلغ بمجنوده خليج البحر الذي على القسطنطينية ، وصاحب الرم يوتد أغسطس امرأة اليون ، وولدها ابنتها في حجرها من الملك الذي توفي عنها ، فطلبت الصلح من الرشيد على أن تدفع له سبعمائة ألف دينار في كل سنة ، وقبل ذلك منها ، وذلك بعد ما قتل من الروم في الواقع أربعة وخمسين ألفاً وأسر من الذراري خمسة آلاف رأس وستمائة وأربعة وأربعين رأساً ، وقتل من الأسرى ألفي قتيل صبرآ ، وغنم من الدواب بأدواتها عشرين ألف فرس ، وذبيح من البقر والغنم مائة ألف رأس . وبيع البرذون بدرهم والبخل بأقل من عشرة دراهم ، والدرج بأقل من درهم وعشرون سيفاً بدرهم . قتال في ذلك مروان بن أبي حفصة :

أطقت بة طاعنطينية الروم مسنداً • إليها القنا حتى اكتسى اللؤلؤ سورها  
وما وثبتها حتى أنتك ملكها • بجزيتها والحرب تفل قدورها

وحج بالناس صالح بن أبي جعفر المنصور ، وفيها توفي سليمان بن المنيرة ، وعبيد الله بن العلاء ابن دبر ، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان . ووهب بن خالد .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

في المحرم منها قدم الرشيد من بلاد الروم فدخل بغداد في أهبة عظيمة ومعه الروم يحملون الجزية من الذهب وغيره . وفيها أخذ المهدي البيعة لولده هارون من بعد موسى الهادي ، ولقب بالرشيد . وفيها سخط المهدي على يةوب بن داود وكان قد حظي عنده حتى استوزره وارتفعت منزلته في الوزارة حتى فوض إليه جميع أمر الخلافة ، وفي ذلك يقول بشار بن برد :

بنى أميةً هبوا طال نومكم • إن الخليفة يعقوب بن داود  
ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا • خليفة الله بين الخمر والعود

(١) رواية ابن جرير : بين اللؤلؤ والعود .

فلم نزل السماء والوشاة بينه وبين الخليفة حتى أخرجه عليه ، وكما سمعوا به إليه دخل إليه فأصلىح أمره معه ، حتى وقع من أمره ما سأذكره ، وهو أنه دخل ذات يوم على المهدي في مجلس عظيم قد فرش بأنواع الفرش وألوان الحرير ، وحول ذلك المكان أصحاب مزهرة بأنواع الأزهير ، فقال : يا يعقوب كيف رأيت مجلسنا هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما رأيت أحسن منه . فقال : هو لك بما فيه ، وهذه الجارية لتيتم بها سرورك ، ولي إليك حاجة أحب أن ترضيها . قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حتى تقول نعم . فقلت : نعم اوعلى السمع والطاعة . فقال : الله ؟ فقلت : الله . قال : وحياتة رأسي قلت وحياتة راسك . فقال : ضع يدك على رأسي وقل ذلك ، فضلت . فقال : إن ههنا رجلا من العلويين أحب أن تكفني به ، والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب . فقلت : نعم ، فقال : ومجمل علي ، ثم أمر بتحويل ما في ذلك المجلس إلى منزلي وأمر لي بمائة ألف درهم وتلك الجارية ، فما فرحت بشئ فرح بها . فلما صارت بمنزلي حجبتها في جانب الدار في خدر ، فأمرت بذلك العلوي نجى به فجلس إلى فتكلم ، فما رأيت أعقل منه ولا أفهم . ثم قال لي : يا يعقوب تلتق الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله (ص) . فقلت : لا والله ولكن اذهب حيث شئت وأين شئت . فقال : إني أختار بلاد كذا وكذا . فقلت : اذهب كيف شئت ، ولا يظهرن عليك المهدي فتملك وأهلك . فخرج من عندي وجهزت معه رجلين يسفرانه ويوصلانه بعض البلاد ، ولم أشعر بأن الجارية قد أحاطت علما بما جرى ، وأنها كالجاسوس على ، فبعثت بخادمها إلى المهدي فأعلمته بما جرى ، فبعث المهدي إلى تلك الطريق فردوا ذلك العلوي فخبسه عنده في بيت من دار الخلافة ، وأرسل إلي من اليوم الثاني فذهبت إليه ولم أشعر من أمر العلوي بشئ ، فلما دخلت عليه قال : ما فعل العلوي ؟ قلت : مات . قال : الله اقلت الله . قال : فضع يدك على رأسي واحلف بحياته ، ففعلت . فقال : يا غلام أخرج ما في هذا البيت ، فخرج العلوي فأسقط في يدي ، فقال المهدي : دمك لي حلال . ثم أمر به فألقى في بئر في المطبق . قال يعقوب : فكنت في مكان لا أسمع فيه ولا أبصر ، فذهب بصري وطال شمري حتى صرت مثل البهائم ، ثم مضت على مدد متطاولة ، فبينما أنا ذات يوم إذ دعيت فخرجت من البئر فقيل لي : سلم على أمير المؤمنين . فسلمت وأنا أظنه المهدي ، فلما ذكرت المهدي قال : رحم الله المهدي . فقلت : الهادي ؟ فقال : رحم الله الهادي . فقلت : الرشيد ؟ قال نعم . فقلت : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما حل بي من الضعف والعملة ، فان رأيت أن تطلقني . فقال : أين تريد ؟ قلت : مكة . فقال : اذهب راشداً ، فسار إلى مكة فابلث بها إلا قليلا حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد كان يعقوب هذا يعظ المهدي في تماطيه شرب النبيذ بين يديه ، وكثرة سماع الغناء فكان



يلوه على ذلك ويقول : ما على هذا استوزرتي ، ولا على هذا صحبتك ، أبعد الصلوات الحسن  
في المسجد الحرام يشرب الخمر ويفنى بين يديك ؟ فيقول له المهدي : فقد سمع عبيد الله بن جعفر :  
فقال له يعقوب : إن ذلك لم يكن له ، من حسناته ، ولو كان هذا قرية لسكان كما داوم عليه العبد  
أفضل . وفي ذلك يقول بعض الشعراء حسناً للمهدي على ذلك :

فدع عنك يعقوب بن داود جانباً \* وأقبل على صهباة طيبة النشر

وفيها ذهب المهدي إلى قصره المسمى بيمسا باذ - بنى له بالأجر بعد القصر الأول الذي بناه  
بالابن - فسكنه وضرب هناك لدرام والدنانير . وفيها أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة والمدينة  
والبحرين ولم يفعل أحد هذا قبل هذه السنة . وفيها خرج موسى الهادي إلى جرجان . وفيها ولي القضاء  
أبا يوسف صاحب أبي حنيفة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد عامل الكوفة . ولم يكن في هذه  
السنة صائفة للهدنة التي كانت بين الرشيد وبين الروم . وفيها توفى صدقة بن عبيد الله السمين ،  
وأبو الأشهب المطاردي ، وأبو بكر النهشلي ، وعففر بن معدان .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

فيها وجه المهدي ابنه موسى الهادي إلى جرجان في جيش كثيف لم ير مثله ، وجعل على رسالته  
أبان بن صدقة . وفيها توفى عيسى بن موسى الذي كان ولي العهد من بعد المهدي : مات بالكوفة  
فأشهد نائبها روح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الأعيان . ثم دفن . وكان قد امتنع من  
الصلاة عليه فكتب إليه المهدي يذمعه أشد الذميمة ، وأمر بحماسته على عمله . وفيها عزل المهدي  
أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع بن يونس الحاجب ، فاستخلف  
فيه سعيد بن واقد وكان أبو عبيد الله يدخل على مراتبه . وفيها وقع وباء شديد وسال كثير ببنداد  
والبصرة ، وأغلقت الدنيا حتى كانت كالليل حتى تمالى النهار ، وكان ذلك قتيلاً بقين من ذى الحجة  
من هذه السنة . وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين  
يديه ، وكان المتولى أمر الزنادقة عمر السكاوذي . وفيها أمر المهدي بزيادة كثيرة في المسجد الحرام ،  
فدخل في ذلك دور كثيرة ، وولى ذلك لبطنين بن موسى الموكل بأمر الحرمين ، فلم يزل في عمارة ذلك  
حتى مات المهدي كاسياني . ولم يكن للناس صائفة للهدنة . وحج بالناس نائب المدينة إبراهيم بن محمد .  
وتوفى بعد فراقه من الحج بأيام . وولى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس .  
ومن توفى فيها من الأعيان .

بشار بن برد أبو معاذ الشاعر مولى هذيل ، ولد أحمى ، وقال الشعر وهو دون عشر سنين ، وله  
التشبهات التي لم يهتد إليها البصراء . وقد أنشئ عليه الأصبغى والجاحظ وأبو تمام وأبو عبيدة ، وقال

له ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر . لما بلغ المهدي أنه هاجم وشهد عليه قوم أنه زنديق أمر به بضرب  
حتى مات من بضع وسبعين سنة . وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات ، فقال : بشارة بن برد بن  
برجوخ الشبلي مولاهم ، وقد نسيه صاحب الأغانى فأطال نسيه . وهو بصري قدم بغداد أسلمه من  
طخارستان ، وكان ضخما عظيم الملق ، وشعره في أول طبقات المولدين ، ومن شعره البيت المشهور :

هل تظنين ورواة الحب منزلة \* تُدنَى إليك هل الحب أوصال

وفرقه : أنا والله أشبهى سحر عبيد \* لثو وأخشى مصارع العشاق

وله : يا قوم أذن لبعض الملى عانفت \* والأذن تشق قلب العين أحيانا

قالوا لم لا ترى عيبك قلت لهم \* الأذن كالعين ترى القلب كالكلام<sup>(١)</sup>

وله : إذا بلغ الرأي الشاؤز فاستمن \* بجزم نصيح أو نصيحة حزم

ولأنه الشورى عليك فضاغرة \* فريش الخواص نوبة القوام

وما خير كفا أسك الليل أنما \* وما خير سيف لم يابض بغير

كان بشارة يمدح المهدي حتى وثى إليه الوزير<sup>(٢)</sup> أنه هاجم وقدمه إليه إلى شي من الزندقة ،

وأنه يقول بتفضيل النار على القراب ، وعسر إبليس في السجود لآدم ، وأنه أشد :

الأرض مظلة والنار شرفة \* والنار معبودة منذ كانت للبر

فأمر المهدي بضربه بضرب حتى مات . ويقال : إنه غرق ثم نقل إلى البحرة في هذه السنة .

وفيها توفي الحسن بن صالح بن حمي ، وحماد بن سلمة ، والربيع بن مسلم ، وسعيد بن عبد العزيز

ابن سلم ، وعنه التلام : وهو عتبة بن أبيان من سبعة أمراء العبادة المشهورين السكاكين المذكورين ،

كان يأكل من عمل يده في الخوص ، ويصوم الدهر ، ويحلق على الخبز والملح . والقاسم الجلاء ،

وأبو حلال محمد بن سليم ، ومحمد بن طلحة ، وأبو حمزة البشكري محمد بن محبوب .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

فيها في رمضان منها قصت الروم ما بينهم وبين المسلمين من الصالح الذي خلفه هارون الرشيد

عن أمر أبيه المهدي ، ولم يسنه . وأبى الصالح إلا ثنتين وثلاثين شهرا ، فبقيت الحرب

تدور إلى الروم قتلوا وأسروا وضربوا وسلبوا . وفيها أخذ المهدي دواوين الأئمة<sup>(٣)</sup> ولم يكن سوا أبيه

يعرفون ذلك . وفيها حج بالناس على بن محمد المهدي الذي يقال له ابن ربيعة . وفيها توفي الحسن

(١) في هذا البيت تحريف (٢) بهاشم التركية : أي نائب الوزير لبشارة .

(٣) ويسمى واحدها (ديوان الزمام) . ويرى أنه لما جمعت الدواوين لسمر بن بزيح فسكر فإذا

هو لا يضبطها إلا برمام يكون له على كل ديوان فأنه دواوين الأئمة في خلافة المهدي .

ابن يزيد بن حسين بن علي بن أبي طالب ، ولاء المنصور المدينة خمس سنين ، ثم غضب عليه فصر به وجسه وأخذ جميع ماله . [ وهما محمد ] . كان ظريفاً ماجناً شاعراً ، وكان ممن يماثر الوليد ابن يزيد ويهاجى بشار بن برد . وقدم على المهدي ونزل الكوفة واتهم بالزندقة . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : ثلاثة حمادون بالكوفة يرمون بالزندقة حماد الراوية ، وحماد مجرد ، وحماد بن الزبرقان النهوي . وكانوا يتشاعرون ويتهاجون . (١) وخارجه بن مصعب ، وعبد الله بن الحسن ابن الحسين بن أبي الحسل البصري ، قاضي البصرة بعد سوار . سمع خالداً الحذاء وداود بن أبي هند ، وسعيداً الجري . وروى عنه ابن مهدي . وكان ثقة فتيماً له اختيارات تميز إليه غريبة في الأصول والفروع ، وقد سئل عن مسألة فأخطأ في الجواب فقال له قائل : الحكيم فيها كذا وكذا . فأطرق ساعة ثم قال : إذا أرجع وأنا صاغر ، لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل . توفي في ذي القعدة من هذه السنة ، وقيل بعد ذلك بمشرب سنين فأنه أعلم . غوث ابن سليمان بن زياد بن ربيعة أبو يحيى الجرمي ، قاضي مصر ، كان من خيار الحكماء ، وولي الديار المصرية ثلاث مرات في أيام المنصور والمهدي . وفليح بن سليمان ، وقيس بن الربيع في قول ، ومحمد بن عبد الله بن علاثة بن علقمة بن مالك ، أبو اليسر العقيلي ، قاضي الجانب الشرقي من بغداد للمهدي ، هو وعافية بن يزيد . وكان يقال لابن علاثة قاضي الجن ، لأنه كان يثر يصاب من أخذ منها شيئاً فقال : أيها الجن إنا حكمنا أن لكم الليل ولنا النهار . فكان من أخذ منها شيئاً في النهار لم يصبه شيء . قال ابن معين : كان ثقة . وقال البخاري : في حفظه شيء .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

فيها في الحرم منها توفي المهدي بن المنصور بمكان يقال له ماسبدان ، بالحلي ، وقيل مسموماً وقيل عضه فرس فمات . وهذه ترجمته

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أبو عبد الله المهدي ، أمير المؤمنين وإمام لقب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به ، وإن اشترك في الاسم فقد افترقا في الفعل ، ذلك يأتي في آخر الزمان عند فساد الدنيا فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . وقد قيل إن في أيامه ينزل عيسى بن مريم بنمشق كما سيأتي ذلك في أحاديث الفتن والملاحم . وقد جاء في حديث من طريق عثمان بن عفان أن المهدي من بني العباس ، وجاء موقوفاً على ابن عباس وكعب الأحمق ولا يصح ، ويتقدم برحمة ذلك لا يلزم أن يكون علي النعمين ، وقد ورد في حديث آخر أن المهدي من ولد فاطمة فهو يمرض هذا والله أعلم . وأم المهدي بن المنصور أم موسى

(١) زيادة من المصرية .

بنت منصور بن عبد الله الحبري . روى عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم دمشق فجهر في السورتين بالبسملة ، وأسند ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه غير واحد عن يحيى بن حمزة ، ورواه المهدي عن المبارك بن فضالة ، ورواه عنه أيضا جعفر ابن سليمان الضبي ، ومحمد بن عبد الله الرقاشي ، وأبو سنيان سميد بن يحيى بن مهدي .

وكان مولد المهدي في سنة ست أو سبع وعشرين ومائة ، أو في سنة إحدى وعشرين ومائة وولى الخلافة بعد موت أبيه في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وعمره إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة ، ولد بالحليمة من أرض البلقاء ، وتوفى في المحرم من هذه السنة . أعنى سنة تسع وستين ومائة عن ثلاث أو ثمان وأربعين سنة ، وكانت خلافته عشرين وشهراً وبعض شهر ، وكان أسمر طويلاً جمد الشعر ، على إحدى عينيه نكتة بيضاء ، قيل على عينه اليمنى ، وقيل اليسرى . قال الربيع الحاجب : رأيت المهدي يصل في ليلة مقمرة في بهوله عليه ثياب حسنة ، فما أدري هو أحسن أم القعر ، أم بهوه ، أم ثيابه . فقرأ [ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ] الآية . ثم أمرني فأحضرت رجلاً من أقاربه كان مسجوناً فأطلقه . ولما جاء خبر موت أبيه بمكة كما تقدم ، كنتم الأمر يودين ثم نودي في الناس يوم الخميس الصلاة جامعة ، فقام فيهم خطيباً فأعلمهم بموت أبيه وقال : إن أمير المؤمنين دعى فأجاب فعند الله أحسب أمير المؤمنين وأستمينه على خلافة المسلمين . ثم بايه الناس بالخلافة يومئذ . وقد عزاه أبو دلالة وهنأه في قصيدة له يقول فيها :

عيناي واحدة ترى مسرورة \* بأهـرها جندلاً وأخرى تنرف  
تبكي وتضحك تارة ويسوءها \* ما أنكرت ويسرها ما تعرف  
فيسوءها موت الخليفة محرماً \* ويسرها أن قام هذا الأرائ  
ما إن رأيت كما رأيت ولا أرى \* شعراً أرجله وأخرى ينف  
هلك الخليفة يال أمرة أحمد \* وأنا كم من بسدم من يخلف  
أهدى لهذا الله فضل خلافة \* ولذلك جنسات النعيم تزحرف

وقد قال المهدي يوماً في خطبة : أيها الناس أسروا مثلما تملنون من طاعتنا تهتمكم العاقبة ، وتحمديا العاقبة ، واخفضوا جناح الطاعة لمن ينشر مدانته فيكم ، ويطوى ثوب الاصر عنكم . وأمال عليكم السلامة وابن المعيشة من حيث أراه الله ، مقدماً ذلك على فعل من تقدمه ، والله لأعفين عمرى من عقوبتكم ، ولأحملن نفسى على الاحسان إليكم . قال : فأشرقت وجوه الناس من حسن كلامه . ثم استخرج حواصل أبيه من الذهب والفضة التي كانت لا تعد ولا توصف كثرة ، ففرقها

في الناس ، ولم يعط أهله ومواليه منها شيئاً ، بل أجرى لهم أرزاقاً بحسب كفايتهم من بيت المال ، لسكل واحد خمسمائة في الشهر غير الأعطيات وقد كان أبوه حريصاً على توفير بيت المال ، وإنما كان ينفق في السنة ألفي درهم من مال السراة . وأمر المهدي ببناء مسجد الرصافة وعمل خندق وسور حولها ، وبني مدناً ذكرناها فيما تقدم .

وذكر له عن شريك بن عبد الله النخعي أنه لا يرى الصلاة خلفه ، فأحضره فتكلم معه ثم قال له المهدي في جملة كلامه : يا ابن الزانية ! فقال له شريك : مه مه يا أمير المؤمنين . فلقد كانت صوامع قوامة . فقال له : يا زنديق لأقتلك . فضحك شريك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لفرزادقة علامات يعرفون بها ، شربهم القهوات ، وأنخاذم القينات . فأطرق المهدي وخرج شريك من بين يديه . وذكروا أنه حاجت ربح شديدة ، فدخل المهدي بيتاً في داره فألقى خده بالتراب وقال : اللهم إن كنت أنا المطلوب بهتة المقربة درن الناس فما أناذا بين يديك ، اللهم لا تسمت بي الأعداء من أهل الأديان . فلم يزل كذلك حتى أنجلت . ودخل عليه رجل يوماً معه نعل فقال : هذه نعل رسول الله . قد أهديتها لك . فقال : هاتها ، فناوله إيها ، وقبلها ووضعها على عينيه وأمر له بمشرة آلاف درهم . فلما انصرف الرجل قال المهدي : والله إني لأعلم أن رسول الله . لم ير هذه النعل ، فضلاً عن أن يلبسها ، ولكن لوردته لذهب يقول للناس : أهديت إليه نعل رسول الله . فردها علي ، فتصدقته الناس ، لأن العامة تميل إلى أمثالها ، ومن شأنهم نصر الضعيف على القوى وإن كان ظالماً ، فاشترينا لسانه بمشرة آلاف درهم ، ورأينا هذا أرجح وأصلح .

واشتهر عنه أنه كان يحب اللعب بالحمام والسباق بينها ، فدخل عليه جماعة من المحدثين فيهم عتاب بن إبراهيم فحدثه بحديث أبي هريرة : « لا سبق إلا في خف أو نعل أو حافر » . وزاد في الحديث « أو جناح » فأمر له بمشرة آلاف . ولما خرج قال : والله إني لأعلم أن عتاباً كذب على رسول الله . ثم أمر بالحمام فذبح ولم يذكر عتاباً بعدها . وقال الواقدي : دخلت على المهدي يوماً فحدثته بأحاديث فكتبها عنى ثم تام فدخل بيوت نسائه ثم خرج وهو عمتلى غيظاً قلت : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : دخلت على الخبزبان فقامت إلى ومزقت ثوبي وقالت : ما رأيت منك خيراً ، وإني والله يا واقدي إنما اشتريتها من نخاس ، وقد نالت عندي ما نالت ، وقد باعدت لولديها بامرة المؤمنين من بعدى . قلت : يا أمير المؤمنين إن رسول الله . قال : « إنهن يفلن الكرام وينلبن اللثام » . وقال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله ، وقد خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومته كسرته » . وحدثته في هذا الباب بكلام حضري . فأمر لي بألثي دينار ، فلما وافيت المنزل إذا رسول الخبزبان قد لطفني بألثي دينار إلا عشرة دنانير ، وإذا معه أثواب أخر ، وبعثت تشكرني وتثنى على معروف .

وذكروا أن المهدي كان قد أهدر دم رجل من أهل الكوفة وجعل لمن جاء به مائة ألف ، فدخل الرجل بغداد متنكراً فلقبته رجل فأخذ بمجامع ثوبه وفادى : هذا طلبة أمير المؤمنين . وجعل الرجل يريد أن ينفلت منه فلا يقدر ، فبينهما ، يتجاذبان وقد اجتمع الناس عليهما ، إذ مر أمير في موكبه - وهو معن بن زائدة - فقال الرجل يا أبا الوليد خائف مستجير . فقال معن : وبلك مالك وله ؟ فقال هذا طلبة أمير المؤمنين ، جعل لمن جاء به مائة ألف . قال معن : أما علمت أني قد أجرته ؟ أرسله من يدك . ثم أمر بعض غلمانه فترجل وأركبه وذهب به إلى منزله ، وانطلق ذلك الرجل إلى باب الخليفة وأتمى إليهم الخبر ، فبلغ المهدي فأرسل إلى معن فدخل عليه فسلم فلم يرد عليه السلام وقال : يا معن أبلغ من أمرك أن نجبر على ؟ قال : نعم قال : وانعم أيضا قال : نعم لقد قتلت في دولتك أربعة آلاف مصف فلا يجار لي رجل واحد ؟ فأطرق المهدي ثم رفع رأسه إليه وقال : قد أجرنا من أجرته يا معن . فقال : يا أمير المؤمنين إن الرجل ضعيف ، فأمر له بثلاثين ألفا . فقال : إن جرمته عظيمة وإن جوائز الخلفاء على قدر جرائم الرعية . فأمر له بمائة ألف ، فحملت بين يدي من إلى ذلك الرجل ، فقال له معن : خذ المال وادع لأمر المؤمنين وأصلح نيتك في المستقبل .

وقدم المهدي مرة البصرة فخرج ليصلي بالناس فجاء أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين مر هؤلاء فلينتظروني حتى أتوا - يعني المؤذنين - فأمرهم بانتظاره ، ووقف المهدي في الحراب لم يكبر حتى قيل له هذا لأعرابي قد جاء . فكبر ، فتهجى الناس من ساحة أخلاقه . وقدم أعرابي ومعه كتاب مخنوم فحمل يقول : هذا كتاب أمير المؤمنين إلى ، أين الرجل الذي يقال له الربيع الحاجب ؟ فأخذ الكتاب وجاء به إلى الخليفة وأوقف الأعرابي وفتح الكتاب فإذا هو قطعة أديم فيها كتابة ضعيفة ، والأعرابي يزعم أن هذا خط الخليفة ، فتهجى المهدي وقال : صدق الأعرابي ، هذا خطي ، إني خرجت يوماً إلى الصيد فضعمت عن الجيش وأقبل الليل فتموذت بتعويذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففرغ لي نار من بعيد فقصدتها فإذا هذا الشيخ وامرأته في خباء يوقدان نارا ، فسلمت عليهما فردا السلام وفرش لي كساء وسقاني مذقة من لبن مشوب بماء ، فما شربت شيئاً إلا وهي أطلب منه ، وتمت نومة على تلك العباءة ما أذكر أني نمت أحلى منها . فقام إلى شوية له فذبحها فسمعت امرأته تقول له : عدت إلى مكسبك ومعيشة أولادك فذبحتها ، هلكت نفسك وعيالك . فما التفت إليها ، واستيقظت فاشتويت من لحم تلك الشوية وقلت له : أحضرك شيء أكتب لك فيه كتاباً ؟ فأناهي بهذه القطعة فكتبته له بعدد من ذلك الرماد خمسمائة ألف ، وإنما أردت خسين ألفا ، والله لأنفذنا له كلها ولو لم يكن في بيت المال سواها . فأمر له بخمسمائة ألف فقبضها الأعرابي واستمر مقبياً في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الأنبار ، فجعل يقرى الضيف ومن مر به من الناس ، فحرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي .

وعن سوار - صاحب رجة سوار - قال : انصرفت يوماً من عند المهدي فجلت منزلي فوضع لي الغداء فلم تقبل نفسي عليه ، فدخلت خلوتي لأنام في القائلة فلم يأخذني نوم ، فاستدعيت بعض حظاياي لأنامى بها فلم تنبسط نفسي إليها ، فهضت فخرجت من المنزل وركبت بغلتي فما جاوزت الدار إلا قليلاً حتى لقيتني رجل ومعه ألف درهم ، قلت : من أين هذه ؟ قال : من ملكك الجديد . فاستصحبته ممي وسرت في أزقة بغداد لأتسأغل عما أنا فيه من الضجر ، فحانت صلاة المصير عند مسجد في بعض الحارات ، فزلت لأصلي فيه ، فلما قضيت الصلاة إذا برجل أعمى قد أخذ بثيابي فقال : إن لي إليك حاجة ، قلت : وما حاجتك ؟ قال : إني رجل ضريب ولكنني لما شئمت راحة طيبك ظننت أنك من أهل النعمة والذروة ، فأحببت أن أفضي إليك بما جئني . قلت : وما هي ؟ قال : إن هذا القصر الذي نجاه المسجد كان لأبي فساخر منه إلى خراسان فباعه وأخذني معه وأنا صغير ، فانفردنا هناك وأصابني أنا الضرر ، فرجعنا إلى بغداد بعد أن مات أبي ، فجلت إلى صاحب هذا القصر أطلب منه شيئاً أتبلغ به لملي أجمع بسوار ، فانه كان صاحباً لأبي ، فلمله أن يكون عنده سمة يجوز منها على . قلت : ومن أبوك ؟ فذكر رجلاً كان أصعب الناس إلي ، قلت : إني أنا سوار صاحب أبيك ، وقد منى الله بومك هذا النوم والقرار والأكل والراحة حتى أخرجني من منزلي لأجتمع بك ، وأجلسني بين يديك ، وأمرت وكيلي فدفعت له الألفي درهم التي معه ، وقلت له : إذا كان القدر فأت منزلي في مكان كذا وكذا . وركبت فجلت دار الخليفة وقلت : ما أنحف المهدي الليلة في السر بأغرب من هذا . فلما قصصت عليه القصة تعجب من ذلك جداً وأمر لذلك الأعمى بألفي دينار ، وقال لي : هل عليك دين ؟ قلت نعم 1 قال : كم ؟ قلت : خمسون ألف دينار . فسكت وحادثني ساعة ثم لما قتت من بين يديه فوصلت إلى المنزل إذا الحالون قد سبقوني بخمسين ألف دينار وألفي دينار للأعمى ، فانتظرت الأعمى أن يجيئني في ذلك اليوم فتأخر فلما أمسيت عدت إلى المهدي فقال : قد فكرت في أمرك فوجدتك إذا قضيت دينك لم يبق معك شيء ، وقد أمرت لك بخمسين ألف دينار أخرى . فلما كان اليوم الثالث جاءني الأعمى قلت : قد رزقني الله بسببك خيراً كثيراً ، ودفعت له الألفي الدينار التي من عند الخليفة وزدته ألفي دينار من عندي أيضاً .

ووقفت امرأة للمهدي فقالت : يا عصابة رسول الله أقض حاجتي . فقال المهدي : ما سمعتها من أحد غيرها ، اقضوا حاجتها واعطوها عشرة آلاف درهم . ودخل ابن الخياط على المهدي فامتدحه فأمر له بخمسين ألف درهم ففرقها ابن الخياط وأنشأ يقول :-

أخذتُ بكفى كفى أبنتى الغنى • ولم أجد أن الجود من كفى يُشوي  
فلا أنا منسأ ما أفاد ذوو الغنى • أفدتُ وأعداني فبددتُ ما عندي

قال : فبلغ ذلك المهدي فأعطاه بدل كل درهم ديناراً . وبالجملة فإن المهدي مآثر ومحاسن كثيرة ، وقد كانت وفاته بما سبذان ، كان قد خرج إليها ليمت إلى ابنه الهادي ليحضر إليه من جرجان حتى يجلبه من ولاية العهد ويجمعه بمسد هارون الرشيد ، فامتنع الهادي من ذلك ، فركب المهدي إليه قاصداً إخضاره ، فلما كان بماسبذان مات بها . وكان قد رأى في النوم وهو يقصره ببغداد - المسمى بقصر السلامة - كأن شيئاً وقف بباب القصر ، ويقال إنه سمع هاتفاً يقول : -

كأني بهذا القصر قد بادُ أهلهُ \* وأوحشُ نُه ربهُ ومنازلهُ  
وصارَ حميدُ التوم من بعد بهجةٍ \* وملكِ إلى قبرِ عليه جنادلهُ  
ولم يبق إلا ذكْرُه وحديثه \* تنادى عليه مِعولاتِ حلاللهُ  
فما حاش بعدها إلا عشرًا حتى مات . وروى أنه لما قال له الهاتف : -

كأني بهذا القصر قد بادُ أهلهُ \* وقد درست أعلامه ومنازلهُ  
فأجابه المهدي : كذلك أمور الناس يبلى جديدها \* وكلُّ فتى يوماً سبقه فمائلهُ  
فقال الهاتف : تزود من الدنيا فانك ميت \* وإنك مسئول فما أنت قائلهُ  
فأجابه المهدي : أقول بأن الله حق شهادته \* وذلك قول ليس تصحى فضائله  
فقال الهاتف : تزود من الدنيا فانك راحل \* وقد أذف الأمر الذي بك نازل  
فأجابه المهدي : متى ذاك خبرني هديت فاني \* سأفعل ما قد قلت لي وأجابه  
فقال الهاتف : تلبث ثلاثاً بعد عشرين ليلة \* إلى منتهى شهر وما أنت كامله  
قالوا : فلم يمش بعدها إلا تسعاً وعشرين يوماً حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير اختلافاً في سبب موته ، فقيل إنه ساق خلف ظبي والكلاب بين يديه فدخل الظبي إلى خربة فدخلت الكلاب وراءه وجاء الفرس فجعل يشواره فدخل الخربة فكسر ظهره ، وكانت وفاته بسبب ذلك . وقيل إن بعض حظايه بعثت إلى أخرى ابناً مسموماً ثم رسول بالمهدي فأكل منه فمات . وقيل بل بعثت إليها بصينية فيها السكرى وفي أعلاها واحدة كبيرة مسمومة ، وكان المهدي يعجبه السكرى ، فمرت به الجارية ومعه تلك الصينية فأخذ التي في أعلاها فأكلها فمات من ساعته ، فجعلت الحظية تبديه وتقول : وأمير المؤمنين ، أردت أن يكون لي وحدي فقتلته بيدي . وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة - أعني سنة تسع وستين ومائة - وله من العمر ثلاثاً ، وأربعون سنة على المشهور ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وكسوراً ، ورثاه الشمران برائي كثيرة قد ذكرها ابن جرير وابن عساكر .

وفيها توفي عبيد الله بن زياد ، ونافع بن عمر الجمحي ، ونافع بن أبي نعيم القاري .



## مخبرته موسى الراهب بن المهدي

توفي أبوه في الحرم من أول سنة تسع وستين ومائة وكان ولي العهد من بعد أبيه ، وكان أبوه قد عزم قبل موته على تقديم أخيه الرشيد عليه في ولاية العهد ، فلم يتم ذلك حتى مات المهدي بمسبذان . وكان الهادي إذ ذاك بجرجان ، فهم بعض الدولة منهم الربيع الحجاب وطائفة من القواد على تقديم الرشيد عليه والمبايعة له ، وكان الرشيد حاضراً ببغداد ، وعزموا على النفقة على الجند لذلك تنفيذاً لما رآه المهدي من ذلك . فأسرع الهادي السير من جرجان إلى بغداد حين بلغه الخبر ، فساق منها إليها في عشرين يوماً ، فدخل بغداد وقام في الناس خطيباً ، وأخذ البيعة منهم فبايعوه ، وتغيب الربيع الحجاب فطلبه الهادي حتى حضر بين يديه ، فمعا عنسه وأحسن إليه وأقره على حجر بيته ، وزاده الوزارة وولايات أخر . وشرع الهادي في تطلب الزنادقة من الآفاق فقتل منهم طائفة كثيرة ، واقتدى في ذلك بأبيه ، وقد كان موسى الهادي من أفكك الناس مع أصحابه في الخلافة ، فاذا جلس في تمام الخلافة كانوا لا يستطيعون النظر إليه ، لما يعلوه من المهابة والرياسة ، وكان شاباً حسناً وقوراً مهيباً .

وفيها - أعنى سنة تسع وستين ومائة - خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وذلك أنه أصبح يوماً وقد لبس البياض وجلس في المسجد النبوي ، وجاء الناس إلى الصلاة فلما رأوه ولوا راجعين ، والنف عليه جماعة فبايعوه على الكتاب والسنة والرضى من أهل البيت . وكان سبب خروجه أن متولها خرج منها إلى بغداد ليهنئ الخليفة بالولاية ويعزبه في أبيه . ثم جرت أمور اقتضت خروجه ، والنف عليه جماعة وجملوا مأواهم المسجد النبوي ، ومنعوا الناس من الصلاة فيه ، ولم يجبه أهل المدينة إلى ما أرادوه ، بل جعلوا يدعون عليه لانهاكه المسجد ، حتى ذكر أنهم كانوا يقتدرون في جنبات المسجد ، وقد اقتتلوا مع المسودة مرات فقتل من هؤلاء وهؤلاء . ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها إلى زمن الحج ، فبعث إليه الهادي جيشاً فقاتلوه بهد فراغ الناس من الموسم فقتلوه وقتلوا طائفة من أصحابه ، وهرب بقيتهم وتفرقوا شذر منذر . فكان مدة خروجه إلى أن قتل تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقد كان كرمياً من أجود الناس ؛ دخل يوماً على المهدي فأطلق له أربعين ألف دينار ففرقها في أهله وأصدقائه من أهل بغداد والكوفة ، ثم خرج من الكوفة وما عليه قميص ، وإنما كان عليه فروة وليس تحتها قميص .

وفيها حج بالناس سليمان بن أبي جعفر عم الخليفة . وغزا الصائفة من طريق درب الراهب معتوق بن يحيى في جعل كثيف ، وقد أقبلت الروم مع بطريقها قبلوا الحدث . وفيها توفي الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب قتل في أيام التشريق كما تقدم .

والربيع بن يونس الحجاب، وولى المنصور، وكان حاجبه ووزيره، وقد ورر للمهدى والهادى، وكان بعضهم يظمن في نسبه. وقد أورد الخطيب في ترجمته حديثاً من طريقه ولكنه منكر، وفي صحته عنه نظر. وقد ولى الحجو بية بعده ولده الفضل بن الربيع، ولاء إياها الهادى.

ثم دخلت سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية

وفيها عزم الهادى على خلع أخيه هارون الرشيد من الخلافة وولاية العهد لابنه جعفر بن الهادى فانقاد هارون لذلك ولم يظهر منازعة بل أجاب، واستدعى الهادى جماعة من الأمراء فأجابوه إلى ذلك، وأبى ذلك أمهما الخيزران، وكانت تميل إلى ابنتها هارون أكثر من موسى، وكان الهادى قد منعها من التصرف فى شئ من المملوكة لذلك، بعد ما كانت قد استحوذت عليه فى أول ولايته، واقبلت الدول إلى بابها والأمراء إلى جنبها، فخلع الهادى لئن عاد أمير إلى بابها ليضرب عنقه ولا يقبل منه شفاعة، فاستنعت من الكلام فى ذلك، وحلفت لا تكلمه أبداً، وانتقلت عنه إلى منزل آخر. وألح هو على أخيه هارون فى الخلع وبعث إلى يحيى بن خالد بن برمك - وكان من أكبر الأمراء الذين هم فى صف الرشيد - فقال له: ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتولية ابني جعفر؟ فقال له خالد: إني أخشى أن تهون الايمان على الناس، ولكن المصلحة تقتضى أن تجعل جعفرأ ولى العهد من بعد هارون، وأيضاً فاني أخشى أن لا يجيب أكثر الناس إلى البيعة لجعفر، لأنه دون البلوغ، فيتفاهم الامر ويختلف الناس. فأطرق ملياً - وكان ذلك ليلاً - ثم أمر بسجنه ثم أطلقه. وجاء يوماً إليه أخوه هارون الرشيد فجلس عن يمينه بعيداً، فجعل الهادى ينظر إليه ملياً ثم قال: يا هارون! اطمع أن تكون ولياً للمهدى حقاً؟ فقال: إي والله، وأئن كان ذلك لأصلن من قطعت، ولأنصفن من ظلمت، ولأزوجن بنيك من بناتي. فقال ذلك الظن بك. فقام إليه هارون ليقبل يده فخلع الهادى ليجلس معه على السرير فجلس معه، ثم أمر له بألف دينار، وأن يدخل الخيزران فأتخذ منها ما أراد، وإذا جاء الخراج دفع إليه نصفه. ففعل ذلك كله ورضى الهادى عن الرشيد. ثم سافر الهادى إلى حديثه الموصل بعد الصلح، ثم عاد منها فمات بميساباذ ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول، وقيل لآخر سنة سبعين ومائة، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، وكانت خلافته ستة أشهر<sup>(١)</sup> وثلاثة وعشرون يوماً. وكان طويلًا جميلاً، أبيض، بشفته العليا تملص. وقد توفى هذه الليلة خليفة وهو الهادى، وولى خليفة وهو الرشيد، وولد خليفة وهو المأمون بن الرشيد. وقد قالت الخيزران أمهما فى أول الليل: إنه بلغنى أن يولد خليفة ويموت خليفة ويولى خليفة. يقال إنها سمعت ذلك من الأوزاعي قبل ذلك بمدة، وقد سرها ذلك جداً. ويقال: إنها

(١) فى المصرية: سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يوماً.

سمت ولدها الهادي خوفاً منه على ابنها الرشيد ، ولأنه كان قد أبدها وأقصاها وقرب حظيته خالصة وأدناها فله أعلم .

وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي

هو موسى بن محمد المهدي بن عبيد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو محمد الهادي . ولي الخلافة في محرم سنة تسع وستين ومائة . ومات في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنة سبعين ومائة ، وله من العمر ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل ست وعشرون سنة ، والصحيح الأول ، ويقال إنه لم يزل الخلافة أحد قبله في سنه ، وكان حسناً جميلاً طويلاً ، أبيض ، وكان قوي البأس يثب على الدابة وعليه درعان ، وكان أبوه يسميه ريمحاني . ذكر عيسى بن دأب قال : كنت يوماً عند الهادي إذ جرى بطست فيه رأس جاريتين قد ذبحا وقطعا ، لم أر أحسن صوراً منهما ، ولا مثل شعورهما ، وفي شعورهما اللآليء والجواهر منضدة ، ولا رأيت مثل طيب ريمحما . فقال لنا الخليفة : أتدرون ما شأن هاتين ؟ قلت : لا . فقال : إنه ذكر أنه تركب إحداهما الأخرى يفعلان الفاحشة ، فأمرت الخادم فرصدتهما ثم جاءني فقال : إيهما مجتمعتان ، فحذت فوجدهما في لحاف واحد وهما على الفاحشة ، فأمرت بجز رقابهما . ثم أمر برفع رؤسهما من بين يديه ورجع إلى حديثه الأول كأنه لم يصنع شيئاً . وكان شهياً خبيراً بالملك كريباً ، ومن كلامه : ما أصلح الملك بمثل تمجيل العقوبة للجاني ، والعفو عن الزلات ، ليقبل الطمع عن الملك . وغضب يوماً على رجل فاسترضى عنه فرضى ، فشرع الرجل يعتذر فقال الهادي : إن الرضا كفاك مؤنة الاعتذار . وعزى رجلاً في ولد ، فقال له : سرّك وهو عدو وفنته ، وساء لك وهو ضلالة ورحة . وروى الزبير بن بكار أن مروان بن أبي حفصة أنشد الهادي قصيدته له منها قوله : -

تشابها يوماً بأسو ونوالو \* فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي : أيما أحب إليك ؟ ثلاثون ألفاً معجلة أو مائة ألف تدور في الدواوين ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أو أحسن من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : تكون ألفاً معجلة ومائة ألف تدور بالدواوين . فقال الهادي : أو أحسن من ذلك ، نعمل الجميع لك . فأمر له بمائة ألف وثلاثين ألفاً معجلة . قال الخطيب البغدادي : حدثني الأزهرى ثنا سهل بن أحمد الديباجي ثنا الصولي ثنا الغلابي حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي المسكي حدثني المطلب بن عكاشة المزني قال : قدمنا على أبي محمد الهادي شهوداً على رجل منا أنه شتم قریشاً ونحط إلى رسول الله -ص- ، فجلس لنا مجلساً أحضر فيه فقهاء أهل زمانه ومن كان بالحضرة على يابه ، وأحضر الرجل وأحضرنا فشهدنا عليه بما سمعنا منه . فتغير وجه الهادي ثم فكس رأسه ثم رفعه ثم قال : إني سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور

عن أبيه علي بن عبد الله بن عباس قال : من أهان قریشاً أهانه الله ، وأنت يا عدو الله لم ترض بأن ذبت قریشاً حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله (ص) ؟! اضربوا عنقه : فما برحنا حتى قتل .  
توفي الهادي في ربيع الأول من هذه السنة ، وصلى عليه أخوه هارون ، ودفن في قصر بناه وسماه الأبيض بعيساباذ من الجانب الشرقي من بغداد ، وكان له من الولد تسعة ، سبعة ذكور وابتنان ، فالذكور جعفر ، وعباس ، وعبد الله ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وسليمان ، وموسى الأعشى ، الذي ولد بعد وفاته فسمى باسم أبيه . والبتنان هما أم عيسى التي تزوجها المؤمنون ، وأم العباس تلافياً لتوبة .

## خوفته هارون الرشيد بن المهدي

بويح له بالخلافة ليلة مات أخوه ، وذلك ليلة الجمعة لل نصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة وكان عمر الرشيد يومئذ ثمان وعشرين سنة ، فبعث إلى يحيى بن خالد بن برمك فأخبره من السجن ، وقد كان الهادي عزم تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد ، وكان الرشيد ابنه من الرضاة ، فولاه حينئذ الوزارة ، وولى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الأرشاء . وكان هو الذي قام خطيباً بين يديه حتى أخذت البيعة له على المنبر بعيساباذ ، ويقال إنه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى ابن خالد بن برمك إلى الرشيد فوجده نائماً فقال : قم يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : كم تروعي ، لو سمعت هذا الرجل لكان ذلك أكبر ذنوبي عنده ؟ فقال : قد مات الرجل . فجلس هارون فقال : أشتر على في الولايات . فجعل يذكر ولايات الأقاليم لرجال يسميهم فيولهم الرشيد ، فبينهما كذلك إذ جاء آخر فقال : أبشر يا أمير المؤمنين فقد ولد لك الساعة غلام . فقال : هو عبد الله وهو المؤمن . ثم أصبح فصلى على أخيه الهادي ، ودفنه بعيساباذ ، وحلف لا يصل الظهر إلا ببغداد . فلما فرغ من الجنائزة أمر بضرب عنق أبي عصمة القائم لأنه كان مع جعفر بن الهادي ، فزاحوا الرشيد على جسر فقال أبو عصمة : اصبر وقف حتى يجوز ولي المهدي . فقال الرشيد : السمع والطاعة للأمر . فجاز جعفر وأبو عصمة ووقف الرشيد مكسوراً ذليلاً . فلما ولى أمر بضرب عنق أبي عصمة ، ثم سار إلى بغداد . فلما انتهى إلى جسر بغداد استدعى بالنواصب فقال إنى سقطت منى ههنا خاتم كان والدي المهدي قد اشتراه لي بمائة ألف ، فلما كان من أيام بعث إلى الهادي يطلبه فألقته إلى الرسول فسقط ههنا . ففأصاب النواصب وراه فوجدوه فسر به الرشيد سروراً كثيراً . ولما ولى الرشيد يحيى بن خالد الوزارة قال له : قد فوضت إليك أمر الرعية وخلعت ذلك من عنق وجعلته في عنقك ، فول من رأيت واعزل من رأيت . ففي ذلك يقول إبراهيم بن الموصلي : -

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة \* فلما ولى هارون أشرق نورها  
بين أمين الله هارون ذي الندى \* فهارون واليهما ويحيى وزيرها

ثم إن هارون أمر يحيى بن خالد أن لا يقطع أمراً إلا بمشاورة والدته الخيزران . فكانت هي المشاورة في الأور كلها ، فتبرم وتحمل وتمضى وتحكم .

وفيهما أمر الرشيد بإسم ذوى القربى أن يقسم بين بنى هاشم على السواء . وفيها تتبع الرشيد خنثاً من الزنادقة فقتل منهم طائفة كثيرة . وفيها خرج عليه بعض أهل البيت . وفيها ولد الأمين محمد بن الرشيد ابن زبيدة . وذلك يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة . وفيها كمل بناء مدينة طرسوس على يدي فرج الخادم التركي ونزلها الناس . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين الرشيد ، وأعطى أهل الحرمين أموالاً كثيرة ، ويقال إنه غزا في هذه السنة أيضاً . وفي ذلك يقول داود بن رزين الشاعر :

بهارونَ لاحَ النورُ في كلِّ بلدَةٍ \* وقامَ بهِ في عدلٍ سيرتهُ التهجُّ  
إمامَ بذاتِ اللهِ أصبحَ شغلُهُ \* وأكثُرَ ما يعنى بهِ الغزوُ والحجُّ  
تضيقُ عيونَ الناسِ عن نورِ وجهِهِ \* إذا ما بدا للناسِ منظرُ البليغِ  
وإنَّ أمينَ اللهِ هارونَ ذا النداءِ \* يذيلُ الذي يرجوهُ أضعافَ ما يرجو  
وغزا الصائفةَ فيها سليمانُ بنُ عبدِ اللهِ البكائى .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي ، ويقال الفرهودي الأزدي ، شَيْخٌ لِلنَّحَاةِ ، وَعِنَهُ أَخَذَ سَيُودِيهِ وَالنَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَكْبَرِهِمْ ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَرَعَ عِلْمَ الْعُرُوضِ . قَسَمَهُ إِلَى خَمْسِ دَوَائِرٍ وَفَرَعَهُ إِلَى خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا ، وَزَادَ الْأَخْفَشُ فِيهِ بَحْرًا آخَرَ وَهُوَ الْخَبَبُ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ : -

قَدْ كَانَ شَمْرُ الْوَرِيِّ صَحِيحًا \* بِنِ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلِيلُ

وقد كان له معرفة بعلم النغم ، وله فيه تصنيف أيضاً ، وله كتاب العين في اللغة ، ابتداءه وأمله النضر بن شميل وأضرابه من أصحاب الخليل ، كزورج السدوسي ، ونضر بن علي الجهمضي . فلم يناسبوا ما وضعه الخليل . وقد وضع ابن درستويه كتاباً وصف فيه ما وقع لهم من الخلال فأفاد . وقد كان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً وقوراً كاملاً ، وكان متمللاً من الدنيا جداً ، صبوراً على خشونة العيش وضيقة ، وكان يقول : لا يجاوز هي ما وراء بابي ، وكان ظريفاً حسن الخلق ، وذكر أنه اشتغل رجل عليه في العروض وكان بعيد الذهن فيه ، قال فقلت له يوماً : كيف تقطع هذا البيت ؟

إذا لم تستطع شيئاً فدعه \* وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ

فشرح معي في تقطيعه على قدر معرفته ، ثم إنه نهض من عندي فلم يمد لي ، وكأنه فهم ما أشرت

إليه . ويقال إنه لم يسم أحد بعد النبي (ص) ، بأحمد سوى أبيه . روى ذلك عن أحمد بن أبي خيثمة والله أعلم . ولد الخليل سنة مائة من الهجرة ، ومات بالبهرة سنة سبعين ومائة على المشهور ، وقيل سنة ستين ، وزعيم ابن الجوزي في كتابه شذور المقود أنه توفي سنة ثلاثين ومائة ، وهذا غريب جداً . والمشهور الأول .

وفيها توفي الربيع بن سليمان بن عبيد الجبار بن كامل المرادي مولا م ، المصري المؤدب راوية الشافعي ، وآخر من روى عنه . وكان رجلاً صالحاً تفرس فينه الشافعي وفي البويطي والمزني وابن عبد الحكم العلم فوافق ذلك ما وقع في نفس الأمر . ومن شعر الربيع هذا :

صبراً جليلاً ما أسرع الفرجا \* من صدق الله في الأمور نجبا  
من خشى الله لم ينله أذى \* ومن رجا الله كان حيث رجا

فأما الربيع بن سليمان بن داود الجيزي فإنه روى عن الشافعي أيضاً . وقد مات في سنة ست وخمسين ومائتين والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

فيها أضاف الرشيد الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة . وفيها قتل الرشيد أباه هريرة محمد بن فروخ نائب الجزيرة صبراً في قصر الخلد بين يديه . وفيها خرج الفضل بن سميد الحروري قتل . وفيها قدم روح بن حاتم نائب إفريقية . وفيها خرجت الخيزران إلى مكة فأقامت به إلى أن شهدت الحج ، وكان الذي حج بالناس فيها عبد الصمد بن علي عم الخلفاء .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة

فيها وضع الرشيد عن أهل العراق العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف منه وفيها خرج الرشيد من بغداد يراد له موضعاً يسكنه غير بغداد فتشوش فرجع . وفيها حج بالناس يعقوب بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد . وفيها غزا الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

فيها توفي بالبصرة محمد بن سليمان فأمر الرشيد بالاحتياط على حواصله التي تصلح للخلفاء ، فوجدوا من ذلك شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والأمتعة وغير ذلك ، فنضدوه ليستأن به على الحرب وعلى مصالح المسلمين . وهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن علي ، وكان من رجال قريش وشجعانهم . جمع له المنصور بين البصرة والكوفة ، وزوجه المهدي ابنته العباسية ، وكان له من الأموال شيء كثير ، كان دخله في كل يوم مائة ألف . وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم ير مثله . وروى الحديث عن أبيه عن جده الأكبر ،

وهو حديث مرفوع في مسح رأس اليتيم إلى مقدم رأسه ، ومسح رأس من له أب إلى مؤخر رأسه .  
وقد وفد على الرشيد فهناه بالخلافة فأكرمه وعظمه وزاده في عمله شيئاً كثيراً . ولما أراد الخروج  
خرج معه الرشيد يشيحه إلى كواذا . توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين  
سنة ، وقد أرسل الرشيد من اصطفى من ماله الصامت فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار ،  
ومن الدرهم ستة آلاف ألف ، خارجا عن الأملك .

وقد ذكر ابن جرير أن وفاته و وفاة الخيزران في يوم واحد ، وقد وقعت جارية من جواريه على  
قبره فأنشأت تقول :

أمسى التراب لمن هويت مبيتنا \* اتقى التراب قفل له حيتنا  
إنا نحبك يا تراب وما بنا \* إلا كرامة من عليه حيتنا

وفيها توفيت الخيزران جارية المهدي وأم أمير المؤمنين الهادي والرشيد ، اشتراها المهدي  
وحظيت عنده جداً ثم أعتقها وتزوجها وولدت له خليفين : موسى الهادي والرشيد . ولم يتفق هذا  
لغيرها من النساء إلا الولادة بنت العباس العباسية ، زوجة عبد الملك بن مروان ، وهي أم الوليد  
وسليمان . وكذلك لشاه فرند بنت فيروز بن بردجرد ، ولدت لمولها الوليد بن عبد الملك : مروان  
وإبراهيم . وكلاهما ولي الخلافة . وقد روى من طريق الخيزران عن مولها المهدي عن أبيه عن  
جده عن ابن عباس عن النبي (ص) ، قال : « من اتقى الله وقاه كل شيء » . ولما عرضت الخيزران  
على المهدي ليشتريها أحببته لإدافة في ساقها ، فقال لها : يا جارية إنك لعل غاية المنى والجمال لولا  
دقة ساقيك وخوشهما . فقالت : يا أمير المؤمنين إنك أحوج مما تكون إليهما لا تراهما فاستحسن  
جوابها واشتراها وحظيت عنده جداً . وقد حجت الخيزران مرة في حياة المهدي فكتب إليها وهي  
بكرة يستوحش لها ويتشوق إليها بهذا الشعر : -

نحن في غاية السرور ولكن \* ليس إلا بكم يتم السرور  
عيب . ونحن فيه يا أهل ودي \* أنكم غيب ونحن حضور  
فأجدوا في السير بل إن قدرتم \* أن تعيروا مع الرياح فطيروا

فأجابته أو أمرت من أجاهه :

قد أتانا الذي وصفت من الشو \* ق فكندا وما قدرنا نظير  
ليت أن الرياح كن يودين \* إليكم ماقد يكن الضمير  
لم أزل صبة فان كنت بعدى \* في سرور فدام ذاك السرور

وذكروا أنه أهدى إليها محمد بن سليمان نائب البصرة الذي مات في اليوم الذي ماتت فيه مائة

وصيفة ، مع كل وصيفة جام من فضة مملوء مسكاً . فكسبت إليه : إن كان ما بعثته بمناعن فظننا فيك فظننا فيك أكثر مما بعثت ، وقد بخصتنا في الثمن ، وإن كنت تريد به زيادة المودة فقد اتهمتني في المودة . وردت ذلك عليه . وقد اشترت الدار المشهورة بها بمكة المعروفة بدار الخبزران ، فزادتها في المسجد الحرام .

وكان مغلّ ضياعها في كل سنة ألف الف وستين ألفاً واتفق موتها ببغداد ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة . وخرج ابنها الرشيد في جنازتها وهو حامل سريرها يجنب في الطابن . فلما انتهى إلى المقبرة أتى بماء فغسل رجليه ولبس خفاً وصلى عليها ، ونزل لحدها . فلما خرج من القبر أتى بسرير نجاس عليه واستدعى بالفضل بن الربيع فولاه الخاتم والنقعات . وأنشد الرشيد قول ابن نوية حين دفن أمه الخبزران :

وكنا كندمائي جذيمةً برهةً \* من الدهر حتى قيل لن يتصدقا  
فلما تفرقنا كأني ومالكاً \* لطلول اجتماع لم نبت ليلةً معا

غادر

وفيهما توفيت :

جارية كانت لموسى الهادي ، كان يحبها حباً شديداً جداً ، وكانت تحسن الغناء جداً ، فبينما هي يوماً تغنيه إذ أخذته فكرة غيبته عنها وتغير لونه ، فسأله بعض الحاضرين : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أخذتني فكرة أني أموت وأخى هارون يتولى الخلافة بعدي ويتزوج جاريق هذه . ففداه الحاضرون ودعوا له بطول العمر . ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع فعوذ الرشيد من ذلك ، فاستحلفه الهادي بالآيمان المغلظة من الطلاق والعناق والحج ماشياً حافياً أن لا يتزوجها ، فحلف له واستحلف الجارية كذلك فحلفت له ، فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات ، ثم خطبها الرشيد فقالت : كيف بالآيمان التي حلفناها أنا وأنت ؟ فقال : إنني أكفر عنى وعنك . فتروجها وحظيت عنده جداً ، حتى كانت تنام في حجره فلا يتحرك خشية أن يزعجها . فبينما هي ذات ليلة نائمة إذ انقلمت مذعورة تبكي ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين رأيت الهادي في منامي وهذا وهو

يقول :  
أخلفت عهدي بعد ما \* جاورت سكان المقابر  
ونسيتني وحننت في \* أيمانك الكذب الفواجر  
ونكحت غادرة أخى \* صدق الذي سماك غادر  
أمسيت في أهل الجلي \* وعددت في الموتى الغواجر  
لا بينك الألف الجديد \* دولا تدر عنك الدوائر  
ولحقت بي قبل الصبا \* صح وصرحت حيث غدوت صائر



فقال لها الرشيد : أضغاث أحلام . فقالت : كلا والله يا أمير المؤمنين ، فكأنما كتبت هذه الأبيات في قلبي . ثم ما زالت تترعد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح . وفيها ماتت :  
 هيلانة جارية الرشيد ، وهو الذي سماها هيلانة لكثرة قولها هي لانه . قال الأصمعي : وكان  
 هذا محباً ، وكانت قبيلة خالد بن يحيى بن برمك ، فدخل الرشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في  
 طريقه وقالت : أماننا منك نصيب ؟ فقال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ فقالت : استوهبني من هذا  
 الشيخ . فاستوهبها من يحيى بن خالد فوهبها له وحظيت عنده ، ومكثت عنده ثلاث سنين ثم  
 توفيت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها وكان من قوله فيها : -

قد قلت لما ضحكك الثرى \* وجالت الحسرة في صدري  
 اذهب فلاق الله لا سرني \* بمدك شيئا آخر الدهر  
 وقال العباس بن الأحنف في موتها :

يامن تباشرت القبور بموتها \* قصد الزمان مساهتي فرماكِ  
 ابني الأنيس فما أرى لي مؤنساً \* إلا التردد حيث كنت أراكِ  
 قال : فأمر له الرشيد بأربعين ألفاً ، لكل بيت عشرة آلاف ، فأنه أعلم .  
 ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة من الهجرة

فيها وقعت عصبية بالشام وتخبيط من أهلها . وفيها استقضى الرشيد يوسف ابن القاضي أبي  
 يوسف وأبوه يحيى . وفيها غزا الصائفة عبد الملك بن صالح فدخل بلاد الروم . وفيها حج بالناس  
 الرشيد ، فلما اقترب من مكة بلغه أن فيها وباء فلم يدخل مكة حتى كان وقت الوقوف وقف ثم جاء  
 المزدلفة ثم منى ثم دخل مكة فطاف وسعى ثم ارتحل ولم ينزل بها .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

فيها أخذ الرشيد بولاية المهدي من بعده لولده محمد بن زبيدة وسماه الأمين ، وعمره إذ ذاك خمس  
 سنين ، فقال في ذلك سلم الخاسر :

قد وفق الله الخليفة إذ بني \* بيت الخلافة للهجان الأزهري  
 فهو الخليفة عن أبيه وخدم \* شهدا عليه بمنظر وبمخبر  
 قد بايع الثقلان في مهدي المهدي \* محمد بن زبيدة ابنه جعفر

وقد كان الرتبة يتوسم النجاة والرجاحة في عبد الله المؤمن ، ويقول : والله إن فيه حزم  
 المنصور ، ونسك المهدي ، وعرة نفس الهادي . ولو شئت أن أقول الرابعة منى لقلت ، وإني لأقدم  
 محمد بن زبيدة وإني لأعلم أنه متبع هواه ولكن لا أستطيع غير ذلك . ثم أنشأ يقول :

لقد بان وجه الرأي لي غير أنني \* غلبت على الأمر الذي كان أحزما  
وكيف رد الدر في الضرع بعدما \* نوزع حتى سارَ نهياً مقسماً  
أخاف التواء الأمر بعد أستوائه \* وأن ينقض الأمر الذي كان أبرما  
وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح ، في قول الواقدي . وحجج بالناس الرشيد . وفيها سار يحيى  
ابن عبد الله بن حسن إلى الديلم ونحرك هناك . وفيها توفى من الأعيان .

### شعوانة العابدة الزاهدة

كانت أمة سوداء كثيرة العبادة ، روى عنها كلمات حسان ، وقد سأها الفضيل بن عياض الدعا  
فقلت : أما بينك وبينه ما إن دعوته استجاب لك ؟ فشق الفضيل ووقع ممشياً عليه . وفيها توفى  
الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاها . قال ابن خلكان : كان مولى قيس بن ربيعة  
وهو مولى عبد الرحمن بن مسافر الفهمي ، كان الليث إمام الديار المصرية بلا مدافعة ، وولد  
بقرقشدة من بلاد مصر سنة أربع وتسعين . وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة ، ونشأ بالديار  
المصرية . وقال ابن خلكان : أصله من قرقشدة وضبطه بلامين الثانية متحركة . وحكى عن بعضهم  
أنه كان جيد الذهن ، وأنه ولي القضاء بمصر فلم يحمدا ذنبه بعد ذلك ، ولد سنة أربع وعشرين  
ومائة ، وذلك غريب جداً كروا أنه كان يدخله من ملكه في كل سنة خمسة آلاف دينار .  
وقال آخرون : كان يدخله من الغلة في كل سنة ثمانون ألف دينار ، وما وجبت عليه زكاة ، وكان  
إماماً في الفقه والحديث والعربية . قال الشافعي : كان الليث أقره من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه .  
وبعث إليه مالك يستهديه شيئاً من العصف لأجل جهاز ابنته ، فبعث إليه بثلاثين حملاً ، فاستعمل  
منه مالك حاجته وباع منه بخمسة دینار ، وبقيت عنده منه بقية . وحج مرة فأهدى له مالك طبقاً .  
فيه رطب فرد الطبق وفيه ألف دينار . وكان يهب للرجل من أصحابه من العلماء الألف دينار وما  
يقارب ذلك . وكان يخرج إلى الاسكندرية في البحر هو وأصحابه في مركب ومطبخه في مركب .  
ومناقبه كثيرة جداً . وحكى ابن خلكان أنه سمع قائلاً يقول يوم مات الليث :

ذهب الليث فلليث لكم \* ومضى العلم غريباً وقبر

فالتفتوا فلم يروا أحداً . وفيها توفى :

### المنذر بن عبد الله بن المنذر

القرشي ، عرض عليه المهدي أن يلى القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم ، فقال : إني  
عاهدت الله أن لا ألى شيئاً ، وأعيد أمير المؤمنين بالله أن أخيس بهدي . فقال له المهدي : الله ؟  
قال : الله . قال : انطلق فقد أعفيتك .

### ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

فيها كان ظهور يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ببلاد الديلم ، واتبعه خاق كثير وجم غفير ، وقويت شوكته ، وارتحل إليه الناس من السكور والأمصار ، فانزعج لذلك الرشيد وخلق من أمره ، فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين ألفاً ، وولاه كور الجبل والري وجرجان وطبرستان وقومس وغير ذلك . فسار الفضل بن يحيى إلى تلك الناحية في أبهة عظيمة ، وكتب الرشيد تلحقته مع البرد في كل منزلة ، وأنواع التحف والبر ، وكاتب الرشيد صاحب الديلم ووعده بألف ألف درهم إن هو سهل خروج يحيى إليهم ، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يمدد ويمنيه ويؤمله ويرجيه ، وأنه إن خرج إليه أن يقيم له المنذر عند الرشيد . فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان بيده . فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك ففرح الرشيد ووقع منه موقعا عظيما . وكتب الأمان بيده وأشهد عليه القضاة الفقهاء ومشايخه بنى هاشم ، منهم عبد الصمد بن علي ، وبعث الأمان وأرسل معه جوائز وتحفا كثيرة إليهم ، ليدفعوا ذلك جيمه إليه . ففعلوا وسلمه إليه فدخلوا به بغداد ، وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجزل له في العطاء ، وخدمه آل برمك خدمة عظيمة ، بحيث إن يحيى بن خالد كان يقول : خدمته بنفسى وولدى : وعظم الفضل عند الرشيد جداً بهذه الفعلة حيث سعى بالصلح بين العباسيين والفاطميين ، ففي ذلك يقول مروان ابن أبي حفصة يمدح الفضل بن يحيى ويشكره على صلبيه هذا :

ظفرت فلا شلت يد برمكية \* رقت بها الفتق الذى بين هاشم  
على حين أعيا الراتبين الثنائة \* فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم  
فأصبحت قد طازت بدالك بخطية \* من المجد باق ذكرها فى المواسم  
وما زال قدح الملك يخرج فازاً \* لكم كلما ضمت قداح المسام

قالوا : ثم إن الرشيد تنكر ليحيى بن عبد الله بن حسن وتغير عليه ، ويقال : إنه سجنه ثم استحضره وعنده جماعات من الهاشميين ، وأحضر الأمان الذى بعث به إليه فسأل الرشيد محمد بن الحسن عن هذا الأمان أم صحيح هو ؟ قال : نعم افتغيظ الرشيد عليه . وقال أبو البخترى : ليس هذا الأمان بشئ فاحكم فيه بما شئت ، ومزق الأمان . ولبصق فيه أبو البخترى ، وأقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله فقال : هيه هيه ، وهو يبسم تبسم الغضب ، وقال : إن الناس يزعمون أنا سمناك . فقال يحيى : يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة ورحما وحقا ، فسلام تمدبني وتمبسنى ؟ فرق له الرشيد ، فاعترض بكر بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال : يا أمير المؤمنين لا يترك هذا الكلام من هذا ، فانه عاص شاق ، وإنما هذا منه مكر وخبث . وقد أفسد علينا مدينتنا وأظهر

فيها العصيان فقال له يحيى : ومن أنتم عاقلكم الله ؟ وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بآبائي وآباءه هذا ثم قال يحيى : يا أمير المؤمنين لقد جاءني هذا حين قتل أخى محمد بن عبد الله فقال : لعن الله قاتله ، وأشدنى فيه نحواً من عشرين بيتاً ، وقال لى ، إن تحركت إلى هذا الأمر فأنا أول من يبايعك ، وما يمنعك أن تملق بالبصرة وأيدينا معك ؟ قال : فتنير وجه الرشيد ووجه الزبيرى وأنكر وشرع يحلف بالأيمان المغلظة إنه لكاذب في ذلك ، ونحير الرشيد . ثم قال ليحيى : انحفظ شيئاً من الرثية ؟ قال : نعم . وأنشده منها جانباً . فازداد الزبيرى في الانكار ، فقال له يحيى بن عبد الله : فقل : إن كنت كاذباً فقد برئت من حول الله وقوته ، ووكلى الله إلى حولى وقوتى . فامتنع من الحلف بذلك ، فعزم عليه الرشيد وتفيظ عليه ، فحلف بذلك فما كان إلا أن خرج من عند الرشيد فرماه الله بالفالج فمات من ساعته . ويقال إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتله الله .

ثم إن الرشيد أطلق يحيى بن عبد الله وأطلق له مائة ألف دينار ، ويقال إنما حبسه بعض يوم وقيل ثلاثة أيام . وكان جلده ما وصله من المال من الرشيد أربعمائة ألف دينار من بيت المال ، وعاش بعد ذلك كاه شهراً واحداً ثم مات رحمه الله .

وفيها وقعت فتنة عظيمة بالشام بين النزارية ، وهم قيس ، واليمانية وهم يمن ، وهذا كان أول بدو أمر العشرين بحوران ، وهم قيس و يمن ، أعادوا ما كانوا عليه في الجاهلية في هذا الآن . وقتل منهم في هذه السنة بشر كثير . وكان على نيابة الشام كلها من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى ، وقيل عبد الصمد بن علي فأنه أعلم . وكان على نيابة دمشق بخصوصها سندی بن سهل أحد موالى جعفر المنصور ، وقد هدم سور دمشق حين نارت الفتنة خوفاً من أن يتغلب عليها أبو الهيثم المزي رأس القيسية ، وقد كان مزي هذا دميم الخلق . قال الجاحظ : وكان لا يحلف المكارى ولا الملاح ولا الحائك ، ويقول : القول قولهم ، ويستخبر الله في الحال ومعلم الكتاب . وقد توفى سنة أربع ومائتين . فلما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من التواد ورؤس الكتاب ، فأصلحوا بين الناس وهدأت الفتنة واستقام أمر الرعية ، وحلوا جماعات من رؤس الفتنة إلى الرشيد فرد أمرهم إلى يحيى بن خالد فعفا عنهم وأطلقهم ، وفي ذلك يقول بعض

الشراء : قد هاجت الشام هيجاً \* يشيب رأس وليدة

فصب موسى عليها \* بخيسلر وجنودة

فدان الشام لما \* أتى بسنح وحيدة

هذا الجواد الذى ؛ \* ذك كل جود بجودة

أعداهُ جودُ أبيسر \* يحيى وجردُ جدوده  
 نجادُ موسى بن يحيى \* بطارفٍ وتليده  
 ونالُ موسى ذرى الحج \* يد وهو حشوُ مهوده  
 خصصته . بمديحي \* منشوره وقصيده  
 ون البراءك عوداً \* له فأكرمُ بعوده  
 حووا على الشعرِ طراً \* خفيفه ومسديده

وفيهما عزل الرشيد الفطريف بن عطاء عن خراسان وولاهما حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي الملقب بالعرس . وفيها ولي الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد نيابة مصر ، فاستناب عليها جعفر عمر بن مهران ، وكان ردئ الخلق ردئ الشكل زمن الكف أحول ، وكان سبب ولايته إياها أن نائبا موسى ابن عيسى كان قد عزم على خلع الرشيد . فقال الرشيد : والله لأعزلنه ولأوبن عليها أحسن الناس . فاستدعى عمر بن مهران ههنا فولاه عليها عن نائبه جعفر بن يحيى البرمكي . فسار إليها على بطل وغلامه أبو درة على بطل آخر ، فدخلها كذلك فاتمى إلى مجلس نائبا موسى بن عيسى لمجلس في أخريات الناس ، فلما انفض الناس أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو ، فقال : ألك حاجة يا شيخ ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير . ثم دفع الكتب إليه فلما قرأها قال : أنت عمر بن مهران ؟ قال : نعم ا قال : لعن الله فرعون حين قال : أليس لي ملك مصر ؟ ثم سلم إليه العمل وارتحل منها ، وأقبل عمر بن مهران على عمله ، وكان لا يقبل شيئاً من الهدايا إلا ما كان ذهباً أو فضة أو قماشاً ، ثم يكتب على كل هدية اسم مهديها ، ثم يطالب بالخراج ويلج في طلبه عليهم ، وكان بعضهم يماطله به ، فأقسم لا يماطله أحد إلا قتل به وفعل . فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، وكان يبعث ما جمعه إلى بغداد ، ومن ماضله يمشه إلى بغداد . فتأدب الناس معه . ثم جاءهم القسط الثاني فمعجز كثير منهم عن الأداء فجعل يستحضر ما كانوا أدوه إليه من الهدايا ، فإن كان نقداً أداه عنهم ، وإن كان برأ باعه وأداه عنهم ، وقال لهم : إني إنما ادخرت هذا لكم إلى وقت حاجتكم . ثم أكل استخراج جميع الخراج بديار مصر ولم يفعل ذلك أحد قبله ، ثم انصرف عنها لأنه كان قد شرط على الرشيد أنه إذا مهد البلاد وجب الخراج ، فذاك إذنه في الانصراف . ولم يكن معه بالديار المصرية جيش ولا غيره سوى مولاه أبو درة وحليبه ، وهو منفذ أمورهم . وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك ففتح حصناً . وفيها حجّت زبيدة زوجة الرشيد ومعهما أخوها ، وكان أمير الحج سليمان بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد . وفيها توفى :

إبراهيم بن صالح

ابن علي بن عبد الله بن مهران ، كان أميراً على مصر ، توفى في شعبان . وإبراهيم بن هورمة

كان شاعراً . وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عاصم بن هرمة أبو إسحاق الفهرى المديني ، وقد على المنصور في وفد أهل المدينة حين استوفدم عليه ، فجلسوا إلى ستر دون المنصور ، يرى الناس من ورائه ولا يرونه ، وأبو الخصيب الحاجب واقف يقول : يا أمير المؤمنين هذا فلان الخطيب ، فيأمره فيخطب ، ويقول : هذا فلان الشاعر فيأمره فينشد . حتى كان من آخرهم ابن هرمة هذا ، فسمعتة يقول : لا مرحباً ولا أهلاً ولا أنعم الله بك حيناً . قال : قتلته ، هلكت ، ثم استندتني فأنتدته قصيدتي التي أقول فيها :  
سرى ثوبه عند العبا المنجابل<sup>(١)</sup> \* وقرب للبين الخليل المزايل  
حتى انتهيت إلى قولتي :

فأما التي أمنتها يأمن الردي \* وأما الذي حاولت بالشكل فأكل

قال : فأمر برفع الحجاب فإذا وجهه كأنه فلقه قر ، فاستندتني بقية القصيدة وأمر لي بالترب بين يديه ، والجلوس إليه ، ثم قال : ويحك يا إبراهيم ! لولا ذنوب بلغتني عنك لفضلتك على أصحابك ، قتلته : يا أمير المؤمنين كل ذنب بلغتني عنى لم تف عنه فأنا مقربه . قال : فنأول المحصرة فضررتني بهاضرتين وأمر لي بمشرة آلاف وخلمة وعفا عنى وألحقني بنظرائى . وكان من جملة ما نغم المنصور عليه قوله :  
ومهما ألام على جبههم \* طاقى أحب بنى قاطمة  
بنى بلغت من جاءه بالمحكما \* ترو بالدين وبالسننة القائمة  
فلست أبالى بحجى لهم \* سواهم من النعم السائمة

قال الأحنس . قال لنا ثعلب قال الأصمى : ختمت الشعراء بابن هرمة . ذكر وفاته في هذه السنة .  
أبو الفرج ابن الجوزى . وفيها توفى الجراح بن مليح والد وكيع بن الجراح ، وسعيد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن جميل أبو عبد الله المديني ، ولى قضاء بغداد سبعة عشر سنة لمسكر المهدي ، وثقه ابن معين وغيره . وفيها توفى :  
صالح بن بشير المورى

أحد العباد الزهاد ، كان كثير البكاء وكان يهظ فيحضر مجلسه سفيان الثورى وغيره من العلماء ، ويقول : سفيان هذا نذير قوم ، وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده فجاء إليه راكباً على حمار فدنا من بساط الخليفة وهو راكب فأمر الخليفة ابنه . ولى العهد من بعده موسى الهادى وهارون الرشيد . أن يقوموا إليه لينزلوه عن دابته ، فابتدراه فأنزلوه ، فأقبل صالح على نفسه فقال : لقد خبت وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم ، وفي هذا اليوم . . . . . بس إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه ، ثم قال له : اعلم أن رسول الله (س) ، خصم من خالفه في أمته ، ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه ، فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججاً تضمن لك النجاة ، وإلا فاستسلم للهلكة ، واعلم أن أبطأ الصرع نهضة صريع هوى بدعته ، واعلم أن الله قاهر فوق عباده ، وأن أثبت الناس قدما  
(١) كذا ولعل فيه تحريفاً .

أخذهم بكتاب الله وسنة رسوله ، وكلام طويل . فبكى المهدي وأمر بكتابة ذلك الكلام في دواوينه .  
وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن محمد بن أبي بكر عمرو بن حزم قدم قاضياً بالعراق . وفرج بن  
فضالة التنوخي الحمصي ، كان على بيت المال ببغداد في خلافة الرشيد ، فنوفى في هذه السنة ، وكان  
مولده سنة ثمان وثمانين فمات وله ثمان وثمانون سنة . ومن مناقبه أن المنصور دخل يوماً إلى قصر  
الذهب فقام الناس إلا فرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه : لم لم تقم ؟ قال : خفت أن يسألني الله  
عن ذلك ويسألك لم رضيت بذلك ، وقد كره رسول الله (ص) ، القيام للناس . قال : فبكى المنصور  
وقر به وقضى حوائجه . والمسيد بن زهير بن عمرو أبو سلمة الضبي ، كان والي الشرطة ببغداد في أيام  
المنصور والمهدي والرشيد ، وولي خراسان مرة للمهدي . عاش ستاً وتسعين سنة . والوضح بن عبد الله  
أبو عوانة السري مولاهم ، كان من أئمة المشايخ في الرواية . توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

### ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

فيها عزل الرشيد جعفر البرمكي عن مصر وولى عليها إسحاق بن سليمان ، وعزل حمزة بن مالك  
عن خراسان وولى عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافاً إلى ما كان بيده من الأعمال بالرى وسجستان  
وغير ذلك . وذكر الواقدي أنه أصاب الناس ريح شديدة وظلمة في أواخر المحرم من هذه السنة ،  
وكذلك في أواخر صفر منها . وفيها حج بالناس الرشيد . وفيها توفي ( شريك بن عبد الله ) القاضي  
الكوفي النخعي ، سمع أبا إسحاق وغير واحد ، وكان مشكوراً في حكمه وتنفيذ الأحكام ، وكان لا يجلس  
للحكم حتى يتغدى ثم يخرج ورقة من خفه فينظر فيها ثم يأمر بتقديم الخصومة إليه ، فحرص بعض أصحابه  
على قراءة ما في تلك الورقة فاذا فيها يا شريك بن عبد الله اذكر الصراط وحدته يا شريك بن عبد الله  
اذكر الموقف بين يدي الله عز وجل . كانت وفاته يوم السبت مستهل ذي القعدة منها .  
وفيها توفي عبد الواحد بن زيد ، ومحمد بن مسلم وموسى بن أعين .

### ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

فيها وثبت طائفة من الحوفية من قيس وقضاة على عامل مصر إسحاق بن سليمان فقاتلوه وجرت  
فتنة عظيمة فبعث الرشيد هرثمة بن أعين نائب فلسطين في خالق من الأمراء مدداً لإسحاق ، فقاتلوه  
حتى أذعنوا بالطاعة وأدوا ما عليهم من الخراج والوظائف ، واستمر هرثمة نائباً على مصر نحواً من  
شهر عوضاً عن إسحاق بن سليمان ، ثم عزله الرشيد عنها وولى عليها عبد الملك بن صالح . وفيها  
وثبت طائفة من أهل إفريقية فقتلوا الفضل بن روح بن حاتم وأخرجوا من كان بها من آل المهلب ،  
فبعث إليهم الرشيد هرثمة فرجعوا إلى الطاعة على يديه . وفيها فوض الرشيد أمور الخلافة كلها إلى  
يحيى بن خالد بن برمك . وفيها خرج الوليد بن طريف بالجزيرة وحكم بها وقتل خلقاً من أهلها ، ثم

مضى منها إلى أرمينية فكان من أمره ما سنذكره . وفيها سار الفضل بن يحيى إلى خراسان فأحسن  
السيرة فيها وبنى فيها الرباط والمساجد ، وغزا ما وراء النهر ، وأخذ بها جنسداً من المعجم منهم  
العباسية ، وجعل ولائهم له ، وكانوا نحواً من خمسمائة ألف ، وبعث منهم نحواً من عشرين ألفاً إلى  
بغداد ، فكانوا يعرفون بها بالكرمينية ، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

ما الفضلُ إلا شهابٌ لا أنزلُ له \* عند الحروب إذا ما نأهلُ الشهب  
حاصر على ملك قوم غرُّ سهمهم \* من الوراثة في أيديهم سبب  
أست يدري لبي ساق الحجاج بها \* كمنائب ما لما في غيرهم أوب  
كمنائب لبي العباس قد هرفت \* ما ألفت الفضل منها المعجم والعرب  
أثبتت خمس مشين في عداهم \* من الألف التي أحصت لها الكتب  
يقارعون عن القوم الذين هم \* أولي بأحد في الفرغان إن أسروا  
إن الجواد ابن يحيى الفضل لا رقب \* يبق على جود كفيه ولا ذهب  
ما مع يوم له مذ شدة مثره \* إلا يقول أقوام بما يبب  
كم غاية في الندى والبأس أحرزها \* لاطالبين مداها كوثها فعب  
يمطى النهى حين لا يمل الجواد ولا \* يدور إذا سلَّت الهندية الفصب  
ولا الرضى والرضى فقد غابته \* إلى سوى الحق يدعو ولا الفصب  
قد فاض عرفك حتى ما يدادله \* غبت مغيث ولا يجر له حسب

وكان قد أنشده قبل خروجه إلى خراسان :

ألم تر أن الجود بن يدر آدم \* تحدر حق صار في راحة الفضل  
إذا ما أبو العباس سحت سهاؤه \* فبالك من هطل وبالك من وطر

وقال فيه أيضاً :

إذا أم طفل راها جوع طفلها \* دعته باسم الفضل فاعتصم الطفل  
ليحى بك الإسلام إنك عزه \* وإنك من قوم صنيرم كحل  
قال فأمر له بمائة ألف درهم ذكره ابن جرير . وقال سلم الخراسانيهم أيضاً :

وكيف تخاف من بؤس بدار \* يجاورها البرامكة البعور  
وقوم منهم الفضل بن يحيى \* نصير ما يوازنه نصير  
له يومان يوم ندى وبأس \* كان الدهر بينهما أسير

(١) في المصرية والعلبري : تكلفها .



إذا ما البرمكي غدا ابنَ عشرٍ • فهتمته أميرٌ أو وزيرٌ

وقد اتفق للفضل في هذه السفارة إلى خراسان أشياء غريبة ، وفتح بلادا كثيرة ، منها كابل وما وراء النهر ، وقهر ملك الترك وكان ممنما ، وأطلق أموالا جزيلة جدا ، ثم قفل راجعا إلى بغداد ، فلما اقترب منها خرج الرشيد وأجوه الناس إليه ، وقدم عليه الشعراء والخطباء وأكابر الناس ، فجعل يطلق الألف ألف ، والحسمائة ألف ونحوها ، وأنفذ في ذلك من الأموال شيئا كثيرا لا يمكن حصره إلا بتعب وكافة ، وقد دخل عليه بعض الشعراء والبدر موضوعة بين يديه وهي تفرق على الناس فقال :

كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالدٍ \* وجود يديه بجمل كل بخيل

فأمر له بمال جزيل . وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفر بن عاصم . وغزا الشامية سليمان ابن راشد . وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس نائب مكة . وفيها توفي جعفر بن سليمان ، وعنتر بن القاسم ، وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم القاض ، ببغداد ، وصلى عليه الرشيد ودفن بها ، وقد قيل إنه مات في التي قبلها فآله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

فيها كان قدوم الفضل بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمر بن جميل ، فوفى الرشيد عليها منصور بن يزيد بن منصور الحميري . وفيها عزل الرشيد خالد بن برمك عن الحجابة وردها إلى الفضل بن الربيع . وفيها خرج بخراسان حمزة بن أترك السجستاني ، وكان من أمره ما سياتي طرف منه . وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكته وكثر أتباعه ، فبعث إليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني فراهقه حتى قتله وتفرق أصحابه ، فقالت الفارعة في أخيها الوليد ابن طريف ترميه :

أيا شجرَ الخابورِ مالكٌ موقفاً \* كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحبُّ الزادَ إلا من التقي \* ولا المالَ إلا من قنأ وسُيوف

وفيها خرج الرشيد ممترا من بغداد شكراً لله عز وجل ، فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج بالناس في هذه السنة ، فشى من مكة إلى منى ثم إلى عرفات ، وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشياً ، ثم انصرف إلى بغداد على طريق البصرة . وفيها توفي :

اسماعيل بن محمد

ابن يزيد بن ربيعة أبو هاشم الحميري الملقب بالسعيد ، كان من الشعراء المشهورين المبرزين فيه ، ولكنه كان رافضياً خبيثاً ، وشهيداً غثيثاً ، وكان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجسة - أي بالدور - قال أبو هريرة : أقرضني ديناراً ولك عندي مائة دينار إذا رجعتنا إلى الدنيا . فقال له

الرجل : إني أخشى أن تعود كلباً أو خنزيراً فيذهب دينارى .

وكان تبحه الله يسب الصحابة في شعره . قال الأصمعي : ولولا ذلك ما قدمت عليه أحدآ في طبقتة ، ولا يسب الشيعيين والبيهميا . وقد أورد ابن الجوزى شيئاً من شعره في ذلك كرهت أن أذكره لبشاعته وشناعته ، وقد أسود وجهه عند الموت وأصابه كرب شديد جداً . ولما مات لم يدفنه لسبه الصحابة رضى الله عنهم . وفيها توفي . حماد بن زيد

أحد أئمة الحديث . وخالد بن عبد الله أحد الصالحاء ، كان من سادات المسلمين ، اشترى نفسه من الله أربع مرات . ومالك بن أنس الامام ، والهقل بن زياد صاحب الأوزاعي ، وأبو الأحرص . وكلهم قد ذكرناهم في التكميل .  
**والامام مالك**

هو أشهرهم وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ، فهو مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غسيلان بن حششد بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح الحميرى ، أبو عبد الله المدنى إمام دار الهجرة في زمانه ، روى مالك عن غير واحد من التابعين ، وحدث عنه خلق من الأئمة ، منهم السفينانان ، وشعبة ، وابن المبارك ، والأوزاعي ، وابن مهدي وابن جريج والليث والشافعى والزهرى شيخه ، ويحيى بن سعيد الأنصارى وهو شيخه ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويحيى بن يحيى الأندلسى ، ويحيى بن يحيى النيسابورى . قال البخارى : أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر . وقال سفينان بن عيينة : ما كان أشد انتقاده للرجال . وقال يحيى بن معين : كل من روى عنه مالك فهو ثقة ، إلا أبا أمية . وقال غير واحد : هو أثبت أصحاب نافع والزهرى . وقال الشافعى : إذا جاء الحديث فمالك النجم . وقال : من أراد الحديث فهو عيال على مالك . ومناقبه كثيرة جداً ، وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر في هذا المكان . قال أبو مصعب : سمعت مالكا يقول : ما أتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك . وكان إذا أراد أن يحدث تنظف وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن ثيابه ، وكان يلبس حسناً . وكان نقش خاتمه حسبي الله ونعم الوكيل ، وكان إذا دخل منزله قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . وكان منزله مبسوطاً بأنواع المفارش . ومن وقت خروجه محمد بن عبد الله بن حسن لزم مالك بيته فلم يكن يأتي أحدآ لا لعزاه ولا لهناء ، ولا يخرج الجمعة ولا الجمعة ، ويقول : ما كل ما يعلم يقال ، وليس كل أحد يقدر على الاعتذار ولما احتضر قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم جعل يقول : لله الأمر من قبل ومن بعد ، ثم قبض في ليلة أربعة عشر من صفر ، وقيل من ربيع الأول من هذه السنة ، وله خمس وثمانون سنة . قال الواقدى : بلغ سبعين سنة ودفن بالقيح . وقد روى الترمذى عن سفينان بن عيينة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة : « يوشك أن يضرب الناس أكباد الأبل

يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة . ثم قال : هذا حديث حسن . وقد روى عن ابن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس . وكذا قال عبد الرزاق . وعن ابن عيينة رواية أنه عبد العزيز بن عبد الله العمري . وقد ترجمه ابن خلدكان في الوفيات فأطنب وأتى بفوائد جمة .

### ثم دخلت هنة ثمانين ومائة

فيها هاجت الفتنة بالشام بين النزارية واليمية ، فانزعج الرشيد لذلك فندب جعفر البرمكي إلى الشام في جماعة من الأمراء والجنود ، فدخل الشام فانقاد الناس له ولم يدع جعفر بالشام فرساً ولا سيفاً ولا رماً إلا استلبه من الناس ، وأطلقاً الله به نار تلك الفتنة . وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

لقد أوقفت بالشام نيران فتنة \* فهذا أوان الشام تحمد تارها  
إذا جاش موج البحر من آل برمك \* عليها خبت شهبانها وشرارها  
رماها أمير المؤمنين بجعفر \* وفيه تلاف صدعها وانكسارها  
رماها بيمين النقيب ماجد \* تراضى به قحطانها ونزارها

ثم كر جعفر راجعاً إلى بغداد بعد ما استخلف على الشام عيسى العمري ، ولما قدم على الرشيد أكرمه وقر به وأدناه ، وشرع جعفر يذ كر كثرة وحشسته له في الشام ، ويحمد الله الذي من عليه برجوعه إلى أمير المؤمنين ورؤيته وجهه . وفيها ولي الرشيد جعفر أخراسان وسجستان فاستعمل على ذلك محمد بن الحسن بن قحطبة ، ثم عزل الرشيد جعفر أخراسان بعد عشرين ليلة . وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب كثرة الخوارج ، وجعل الرشيد جعفر أخراسان على الحرس ، ونزل الرشيد الرقة واستوطنها واستناب على بغداد ابنه الأمين محمداً وولاه العراقيين ، وعزل هرمة عن إفر يقية واستدعاه إلى بغداد فاستنابه جعفر على الحرس . وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة سقط منها رأس منارة الاسكندرية . وفيها خرج بالجزيرة خراشة الشيباني فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العقيلي . وفيها ظهرت طائفة بمرجان يقال لها الحمرة لبسوا الحمرة واتبعوا رجلاً يقال له عمرو بن محمد العمري ، وكان ينسب إلى الزندقة ، فبعث الرشيد يأمر بقتله فقتل وأطلقاً الله نارهم في ذلك الوقت . وفيها غزا الصنفعة زفر بن عاصم . وحج بالناس موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها كانت وفاة جمة من الأعيان :

إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري

قارى أهل المدينة ومؤدب علي بن المهدي ببغداد . وقد مات علي بن المهدي في هذه السنة أيضا . وقد ولي إمارة الحج غير مرة ، وكان أسن من الرشيد بشهور .

حسان بن أبي سنان

ابن أبي أوفى بن عوف التنوخي الأتباري ، ولد سنة ستين ، ورأى أنس بن مالك ودعا له نجاه من

نسله قضاة ووزراء وصلحاء ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية . وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه . وكان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية ، وكان يعرب الكتب بين يدي ربيعة لما ولاه السفاح الأتبار . وفيها توفي : عبد الوارث بن سعيد البيروتي أحد الثقات

### وعافية بن يزيد

ابن قيس القاضي المهدي على جانب بغداد الشرقي ، هو ابن علاتة ، وكانا يحكيان بجمع الرصافة ، وكان عافية عابداً زاهداً ورعاً ، دخل يوماً على المهدي في وقت الظهيرة فقال : يا أبا المومنين اعفني ، فقال له المهدي : ولم أعفك ؟ هل اعترض عليك أحد من الأمراء ؟ فقال له : لا ولكن كان بين اثنين خصومة عندي فعمد أحدهما إلى رطب السكر - وكانه سمع أني أحبه - فأهدى إلى منه طبقاً لا يصلح إلا لأمر المؤمنين ، فرددته عليه ، فلما أصبحنا : وجلسنا إلى الحكومة لم يستويا عندي في قلبي ولا نظري ، بل مال قلبي إلى المهدي منهما ، هنا مع أني لم أقبل منه ما أهدها فكيف لو قبلت منه ؟ فأعفني غفاً الله عنك فأعفاه . وقال الأصمعي : كنت عند الرشيد يوماً وعنده عافية وقد أحضره لأن قوماً استمدوا عليه إلى الرشيد ، فجعل الرشيد يوقفه على ما قيل عنه وهو يجيب عما يسأله . وطال المحاسن فمطس الخليفة فشمته الناس ولم يشمه عافية ، فقال له الرشيد : لم تشمتني مع الناس ؟ فقال : لأنك لم تحمد الله ، واحتج بالحديث في ذلك . فقال له الرشيد : ارجع لعملك فوالله ما كنت لتفعل ما قيل عنك ، وأنت لم تسأحن في عطسة لم أحد الله فيها . ثم رده رداً جميلاً إلى ولايته .

### سيبويه

وفيهاتوفى :

إمام النحاة ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، المعروف بسيبويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل مولى آل الربيع بن زياد ، وإنا سمي سيبويه لأن أمه كانت ترقصه وتقول له ذلك ، ومعنى سيبويه رائحة التفاح ، وقد كان في ابتداء أمره يصحب أهل الحديث والفقهاء ، وكان يستملي على حماد بن سلمة ، فلحن يوماً فرد عليه قوله فأنف من ذلك ، فلزم الخليل بن أحمد فبرع في النحو ، ودخل بغداد وناظر الكسائي . وكان سيبويه شاباً حسناً جميلاً نظيفاً ، وقد تعلق من كل علم بسبب ، وضرب مع كل أهل أدب بسهم ، مع حداثة سنه . وقد صنف في النحو كتاباً لا يلحق شأوه ، وشرحه أئمة النحاة بعده فأنعموا في بلج بجره ، واستخرجوا من درره ، ولم يبلغوا إلى قعره . وقد زعم ثعلب أنه لم ينفرد بتصنيفه ، بل ساعده جماعة في تصنيفه نحواً من أربعين نفساً هو أحدهم ، وهو أصول الخليل ، فادعاه سيبويه إلى نفسه . وقد استبعد ذلك السيرافي في كتاب طبقات النحاة . قال : وقد أخذ سيبويه اللغات عن أبي الخطاب والأخفش وغيرهما ، وكان سيبويه يقول : سمعت بن أبي العروبة ، والعروبة يوم الجمعة ، وكان يقول : من قال عروبة فقد أخطأ . فذكر ذلك ليونس فقال

أصابه الله دمه ، وقد ارتحل إلى خراسان ليحظى عند طلحة بن طاهر فإنه كان يحب النحو فمرض هناك مرضه الذي توفي فيه فتمثل عند الموت :

يؤملُ دنيا لتبقى له \* فأتَ المؤملُ قبلَ الأملِ

يربى فسيلًا ليبقى له \* فماشُ الفسيلُ وماتَ الرجلُ

ر يقال : إنه لما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فدهمت عين أخيه فاستنقأ فرآه يبكي فقال :

وكنا جميعاً فرقَ الدهرُ بيننا \* إلى الأمدِ الأقصى فنُ يأمنُ الدهرا

قال الخطيب للبغدادي : يقال إنه توفي وعمره ثمانون وثلاثون سنة . وفيها توفيت :

### عفيرة العابدة

كانت طويلة الحزن كثيرة البكاه . قدم قريب لها من سفر فجعلت تبكي ، فقيل لها في ذلك فقالت : لقد ذكرني قدوم هذا الفتي يوم القدوم على الله ، فسروور ومشهور . وفيها مات مسلم بن خالد الزنجي شيخ الشافعي ، كان من أهل مكة ، ولقد تكلموا فيه لسوء حفظه .

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة .

فيها غزا الرشيد بلاد الروم فافتتح حصناً يقال له الصفصاف ، فقال في ذلك مروان بن أبي حفصة :

إن أمير المؤمنين المنصفا \* قد ترك الصفصاف قاعاً صفصفا

وفيها غزا عبد الملك بن صالح بلاد الروم فبلغ أقرة وافتتح مطورة . وفيها تغلبت الحمرة على جرجان . وفيها أمر الرشيد أن يكتب في صدور الرسائل الصلاة على رسول الله . بعد الثناء على الله عز وجل . وفيها حج بالناس الرشيد وتمجّل بالبنف ، وسأله يحيى بن خالد أن يغميه من الولاية فأعفاه وأقام يحيى بمكة . وفيها توفي : الحسن بن قحطبة

لتحد أكبر الأمراء ، وحمزة بن مالك ، ولى إمرة خراسان في أيام الرشيد ، وخلف بن خليفة شيخ الحسن بن عرفة عن مائة سنة : وعبدالله بن المبارك

أبو عبد الرحمن المروزي ، كان أبوه تركياً مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان ، وكان ابن المبارك إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم ، وكانت أمه خوارزمية ، وولد ثمان عشرة ومائة ، وسمع إسماعيل بن خالد ، والأعمش ، وهشام بن عروة ، وحמיד الطويل ، وغيرهم من أئمة التابعين . وحدث عنه خلائق من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ والفقه والعزيمة والزهد والكرم والشجاعة والشعر ، له التصانيف الحسان ، والشعر الحسن المتضمن حكماً جمة ، وكان كثير الغزو والحج ، وكان له رأس مال نحو أربع مائة ألف يدور يتجر به في البلدان ، فحيث اجتمع به المأل أحسن إليه ، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العبادة والزهد والعلم ، وربما أنفق من رأس ماله . قال

سفيان بن عيينة : نظرت في أمره وأمر الصحابة فما رأيتمهم يفضلون عليه إلا في صحبتهم رسول الله (ص) . وقال إسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثله ، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك ، ولقد حدثني أصحابي أنهم محبوبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . وقدم مرة الرقة وبهاهارون الرشيد ، فلما دخلها احتفل الناس به وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد الرشيد من قصر هناك فقالت : ما للناس ؟ فقيل لها : قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فانهجفل الناس إليه . فقالت المرأة : هذا هو الملك ، لأملاك هارون الرشيد الذي يجمع الناس عليه بالسوط والمصا والرغبة والرهبة .

وخرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فبات طائر مهم فامر بالقائه على منزلة هناك ، وسار أصحابه أمامه وتحلف هو وراءهم ، فلما مر بالزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعت به إلى الدار ، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة ، فقالت : أنا وأختي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الأزار ، وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة ، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام ، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل . فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله : كم مملك من النفقة ؟ قال : ألف دينار . فقال : عدد منها عشرين ديناراً تكفيني إلى مرو واعطها الباقي . فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع .

وكان إذا عزم على الحج يقول لأصحابه : من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتني بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه ، فكان يأخذ منهم نفقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها في صندوق ، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب ، وحسن الخلق ، التيسير عليهم ، فإذا قضوا حاجتهم فيقول لهم : هل أوصاكم أهلوكم بهدية ، فيشتري لسكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المسكية والجمنية وغيرها ، فإذا جاؤا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية ، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبيضت أبوابها ورسم شتمها ، فإذا وصلوا إلى البلد عمل ولية بعد قدومهم ودعاهم فأكلوا وكساهم ، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه ، فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الشناه الجميل . وكانت سفرته تحمل على بعير وحدها ، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وتحير ذلك ، ثم يطعم الناس ، وهو الدهر صائم في الحر الشديد . وسأله مرة سائل فأعطاه درهما فقال له بعض أصحابه : إن هؤلاء يأكلون الشواء والفالودج ، وقد كان يكفيه قطعة . فقال : والله ما ظننت أنه يأكل إلا البقل والخبز ، فأما إذا كان يأكل الفالودج والشواء فانه لا يكفيه درهم . ثم أمر بعض غلماناه فقال : رده وادفع إليه عشرة دراهم . فضأ الله ومناقبه كثيرة جداً .

قال أبو عمر بن عبد البر : أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله . توفي عبد الله بن المبارك بهيت في هذه السنة في رخصتها عن ثلاث وستين سنة

### ومفضل بن فضالة

و لي قضاء مصر مرتين ، وكان ديناً ثقة ، فسأل الله أن يذهب عنه الأمل فأذهب ، فكان بعد ذلك لا يهتبه العيش ولا شيء من الدنيا ، فسأل الله أن يرده عليه فرده فرجع إلى حاله .

### ويعقوب التائب

العابد الكوفي ، قال علي بن الموفق عن منصور بن عمار : خرجت ذات ليلة وأنا أظن أني قد أصبحت ، فاذا على ليل ، فجلست إلى باب صغير وإذا شاب يبكي وهو يقول : وعزتك وجلالك ما أردت بمصيبتك مخالفتك ولكن سولت لي نفسي ، وغلبتني شقوتي ، وغرني سترك المرخي على فلا ز من عندنا بك من يستنقذني ؟ وبجبل من أنصل إن أنت قطعت جبلك عني ؟ واسوأناه على ما مضى من أيامي في مصيبة ربي ، يا ويلي كم أتوب وكم أعود ، قد حان لي أن أستحي من ربي عز وجل . قال منصور فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقد هداها للناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ) قال : فسمعت صوتا واضعابا شديدا فذهبت لحاجتي ، فلما رجعت مررت بذلك الباب فاذا جنازة موضوعة ، فسألت عنه فاذا ذلك الفتى قد مات من هذه الآية .

### ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة

فيها أخذ الرشيد لولده عبد الله المأمون ولاية العهد من بعد أخيه محمد الأمين بن زبيدة ، وذلك بالرفقة بعد مرجعه من الحج ، وضم ابنه المأمون إلى جعفر بن يحيى البرمكي وبهته إلى بغداد ومعه جماعة من أهل الرشيد خدمة له ، وولاه خراسان وما يتصل بها ، وسماه المأمون . وفيها رجع يحيى بن خالد البرمكي من مجاورته بمكة إلى بغداد . وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبأغ مدينة أصحاب الكهف . وفيها سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن اليون وملكوا عليهم أمه ريفي وثلاث أعشقه . وخرج بالناس موسى بن عيسى بن العباس .

وفيها توفي من الأعيان إسماعيل بن عياش الحمصي أحد المشاهير من أئمة الشاميين بموفيه كلام . ومروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور المشكور ، كان يمدح الخلفاء والبرامكة .

### ومعن بن زائدة

حصل من الأموال شيئا كثيرا جدا ، وكان مع ذلك من أبخل الناس ، لا يكاد يأكل اللحم من بخله ، ولا يشعل في بيته سراجا ، ولا يلبس من الثياب الا الكرباسي والفرو والفليظ ، وكان رفيقه

سلم الخناس إذا ركب إلى دار الخلافة يأتي على بردون وعليه حلة تساوي ألف دينار، والطيب ينفخ من ثيابه، ويأتي هو في شر حالة وأسوئها. وخزج يوماً إلى المهدي فنالت امرأة من أهله: إن أطلق لك الخليفة شيئاً فاجعل لي منه شيئاً. فقال: إن أعطاني مائة ألف درهم فلك درهم. فأعطاه ستين ألفاً فأعطها أربعة دوايق. توفي ببغداد في هذه السنة، ودفن في مقبرة نصر بن مالك.

### والقاضي أبو يوسف

واسمه يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة، وهي أمه، وأبوه بجير بن معاوية، استصغر يوم أحد، وأبو يوسف كان أكبر أصحاب أبي حنيفة، روى الحديث عن الأعمش وهمام ابن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد وغيرهم. وعنه محمد بن الحسن وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين. قال علي بن الجهم: سمعته يقول: توفي أبي وأنا صغير فأسلتني أمي إلى قصار فكنت أمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة: إن هذا صبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من منزلي، وإنك قد أفسدته علي. فقال لها: اسكتي يارعناء، هاهوذا يتعلم العلم وسياً كل الفالوج بدهن الفستق في صحون الفير وزج فقالت له: إنك شيخ قد خرفت. قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء - وكان أول من ولاء القضاء الهادي وهو أول من لقب قاضي القضاء، وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا، لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة... قال أبو يوسف: فبينما أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتني بالفالوج في صحون فيروزج فقال لي: كل من هذا، فإنه لا يصنع لنا في كل وقت. وقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الفالوج. قال فتبسمت فقال: مالك تبسم؟ قلت: لا شيء أبق الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني. فتقصت عليه القصة فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة. ثم قال: رحم الله أبا حنيفة، فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه. وكان أبو حنيفة يقول عن أبي يوسف: إنه أعلم أصحابه. وقال المزني: كان أبو يوسف أتبعهم للحديث. وقال ابن المديني: كان صدوقاً. وقال ابن معين: كان ثقة. وقال أبو زرعة: كان سليماً من التجهم. وقال بشار الخفاف: سمعت أبا يوسف يقول: من قال القرآن مخلوق فحرام كلامه، وفرض مبايلته، ولا يجوز السلام ولا رده عليه. ومن كلامه الذي ينفي كتابته بماه الأهاب قوله: من طلب المال بالكفا أفسس، ومن تتبع شرائب الحديث كتب؛ ومن طلب العلم بالكلام تزندق. ولما تناظر هو ومالك بالمدينة بمحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الخضراوات احتج مالك بما استدعى به من تلك الصيغ المنقولة عن آبائهم وأسلافهم، وبأنه لم يكن الخضراوات يخرج فيها شيء في زمن الخلفاء الراشدين. فقال:



أبو يوسف : لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت . وهذا انصاف منه .

وقد كان يحضر في مجلس حكمة العلماء على طبقاتهم ، حتى إن أحمد بن حنبل كان شابا وكان يحضر مجلسه في أثناء الناس فيتناظرون ويتباحثون ، وهو مع ذلك يحكم ويصنف أيضا . وقال : وليت هذا الحكم وأرجو الله أن لا يسأني عن جور ولا ميل إلى أحد ، إلا يوما واحدا جاءني رجل فذكر أن له بستانا وأنه في يد أمير المؤمنين ، فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال : البستان لي اشتراه لي المهدي . فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره لأسمع دعواه . فأحضره فادعى بالبستان فقلت : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هو بستاني . فقلت للرجل : قد سمعت ما أجاب . فقال الرجل : بخلف ، فقلت ، أنخلف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا ، فقلت سأعرض عليك الهين ثلاثا فإن حلقت وإلا حكمت عليك يا أمير المؤمنين . فعرضها عليه ثلاثا فامتنع فحكمت بالبستان للدعي . قال : فكنت في أثناء الخوصومة أو دأن ينفصل ولم يمكني أن أجلس الرجل مع الخليفة . وبث القاضي أبو يوسف في تسليم البستان إلى الرجل .

وروى المعافي بن زكريا الجري عن محمد بن أبي الأزهر عن حماد بن أبي إسحاق عن أبيه عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف . قال : بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش ، إذا رسول الخليفة يطرق الباب ، فخرجت منزعها فقال : أمير المؤمنين يدعوك ، فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى ابن جعفر فقال لي الرشيد : إن هذا قد طلبت منه جارية مهبذها فلم يفعل ، أو يمينها ، وإني أشهدك إن لم يجيني إلى ذلك قتلته . فقلت لعيسى : لم لم تفعل ؟ فقال : إني حالف بالطلاق والعتاق وصدقة مالي كله أن لا أبيعها ولا أهبها . فقال لي الرشيد : فهل له من مخلص ؟ فقلت : نعم بيبك نصفها وبهبك نصفها . فوهبه النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار ، فقبل منه ذلك وأحضرت الجارية ، فلما رآها الرشيد قال : هل لي من سبيل عليها الليلة ؟ قلت : إنها مملوكة ولا بد من استبرائها ، إلا أن تعتمها وتزوجها فإن الحرية لا تستبرأ . قال فأعتقها وتزوجها منه بعشرين ألف دينار ، وأمر لي بمائتي ألف درهم وعشرين نختما من ثياب ، وأرسلت إلى الجارية بعشرة آلاف دينار .

وقال يحيى بن معين : كنت عند أبي يوسف فجاءته هدية من ثياب ديبق وطيب وغانبل ند وغير ذلك ، فذا كرتي رجل في إسناد حديث «من أهديت له هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه» فقال أبو يوسف : إنما ذاك في الأقط والنمر والزبيب ، ولم تكن الهدايا في ذلك الوقت ماترون ، يا فلام ارفع هذا إلى الخزان ، ولم يطعمهم منها شيئا . وقال بشر بن غياث المريسي : سمعت أبا يوسف يقول : سمعت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت على الدنيا سبع عشرة سنة ، وما أظن أجلى إلا أن اقترب . فما مكث بعد ذلك إلا شهورا حتى مات .

وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة عن سبع وستين سنة، ومكث في القضاء بعده ولده يوسف . وقد كان نائبه على الجانب الشرقي من بغداد . ومن زعم من الرواة أن الشافعي اجتمع بأبي يوسف كما يقوله عبد الله بن محمد البلوي الكذاب في الرحلة التي ساقها الشافعي فقد أخطأ في ذلك ، إنما ورد [ الشافعي ] بغداد في أول قدمه قدمها إليها في سنة أربع وثمانين . وإنما اجتمع الشافعي بمحمد بن الحسن الشيباني فأحسن إليه وأقبل عليه ، ولم يكن بينهما شئان كما يذكره بعض من لا خبرة له في هذا الشأن والله أعلم . وفيها توفي :

### يعقوب بن داوود بن طهمان

أبو عبد الله ، مولى عبد الله بن حازم السلمي ، استوزره المهدي وحظى عنده جداً ، وسلم إليه أزمته الأمور ، ثم لما أمر بقتل ذلك العلوي كما تقدم فأطلقه ونمت عليه تلك الجارية سجنه المهدي في بئر وبذبت عليه قبة ، ونبت شعره حتى صار مثل شعور الأنعام ، وصمى ، ويقال بل غشى بصره ، ومكث نحواً من خمسة عشر سنة في ذلك البئر لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً إلا في أوقات الصلوات يعلمونه بذلك ، ويدلى إليه في كل يوم رغيف وكوز ماء ، فكث كذلك حتى انقضت أيام المهدي وأيام الهادي وصدر من أيام الرشيد ، قال يعقوب : فأناني آت في منامي فقال :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه \* يكون وراءه فرج قريب  
فيأمن خائفه ويفك عان \* ويأتي أهله الناني الغريب

فلما أصبحت نوديت فظننت أني أعلم بوقت الصلاة ، ودلى إلي حبل وقيل لي : اربط هذا الحبل في وسطك ، فأخرجوني ، فلما نظرت إلى الضياء لم أبصر شيئاً ، وأوقفت بين يدي الخليفة فقيل لي : سلم على أمير المؤمنين ، فظننته المهدي فسلمت عليه باسمه ، فقال : لست به ، فقلت الهادي ؟ فقال : لست به . فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد . فقال : نعم ، ثم قال : والله إنه لم يشفع فيك عندي أحد ، ولكنني البارحة حملت جارية لي صغيرة على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك فرحمت ما أنت فيه من الضيق فأخرجتك . ثم أنعم عليه وأحسن إليه . فغار منه يحيى بن خالد بن برمك ، وخشى أن يميده إلى منزله التي كان عليها أيام المهدي . وفهم ذلك يعقوب فاستأذن الرشيد في الذهاب إلى مكة فأذن له ، فكان بها حتى مات في هذه السنة رحمه الله . وقال يخشى يحيى أن أرجع إلى الولايات لا والله ما كنت لأفعل أبداً ، ولوردت إلى مكاني . وفيها ( توفي يزيد بن زريع ) أبو معاوية شيخ الامام أحمد بن حنبل في الحديث ، كان ثقة عالماً عابداً ورعاً ، توفي أبوه وكان والي البصرة وترك من المال خمسمائة درهم ، فلم يأخذ منها يزيد درهما واحداً ، وكان يعمل الخوص بيده ويقتات منه هو وعياله . توفي بالبصرة في هذه السنة ، وقيل قبل ذلك فأنه أعلم .

### ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

فبها خرجت الخزر على الناس من نلعة أرمينية فقاتوا في تلك البلاد فساداً، وسبوا من المسلمين وأهل الذمة نحواً من مائة ألف، وقتلوا بشراً كثيراً، وانهمزم نائب أرمينية سميد بن مسلم، فأرسل الرشيد إليهم خازم بن خزيمية ويزيد بن يزيد في جيوش كثيرة كثيفة، فأصلحوا ما فسد في تلك البلاد. وحج بالناس العباس بن موسى الهادي.

وفيهما توفي من الأعيان علي بن الفضيل بن عياض في حياة أبيه. كان كثير العبادة والورع والخوف والخشية. ومحمد بن صبيح أبو العباس مولى بني عجل المذكر. ويعرف بابن السمك. روى عن إسماعيل بن أبي خالد والأعمش والنوري وهشام بن عروة وغيرهم، ودخل يوماً على الرشيد فقال: إن لك بين يدي الله وقفاً فانظر أين منصرفك، إلى الجنة أم النار؟ فبكى الرشيد، حتى كاد يموت.

#### وموسى بن جعفر

ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الهاشمي، ويقال له الكاظم، ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة، وكان كثير العبادة والورع، وإذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل إليه بالذهب والتحف، ولد له من الذكور والانات أربعون نسمة. وأهدى له مرة عبد عبيدة فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار وأعتقه، ووهب المزرعة له. وقد استتداه المهدي إلى بغداد فحبسه، فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب وهو يقول له: يا محمد [فهل عسيتم إن توايتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم] فاستيقظ مذعوراً وأمر به فأخرج من السجن ليلاً فأجلسه معه وعانقه وأقبل عليه، وأخذ عليه العهد أن لا يخرج عليه ولا على أحد من أولاده، فقال: والله ما هذا من شأنى ولا حدثت فيه نفسى، فقال: صدقت. وأمر له بثلاثة آلاف دينار، وأمر به فرداً إلى المدينة، فما أصبح الصباح إلا وهو على الطريق، فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد فخرج، فلما دخل ليسلم على قبر النبي (ص) ومعه موسى بن جعفر الكاظم، فقال الرشيد: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم. فقال موسى: السلام عليك يا أبت. فقال الرشيد: هنا هو الفخر يا أبا الحسين. ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استتداه في سنة تسع وستين وسجنه فأطال سجنه، فكتب إليه موسى رسالة يقول فيها: أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عنى يوم من البلاء إلا انتضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضى بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون. توفي لخمس بقين من رجب من هذه السنة ببغداد وقبره هناك مشهور. وفيها توفي:

#### هاشم بن بشير بن أبي حازم

القاسم بن دينار أبو معاوية السلمي الواسطي، كان أبوه طباطباً للحجاج بن يوسف الثقفي، ثم كان

بعد ذلك يبيع الكواخخ ، وكان يمنع ابنه من طلب العلم ليساعده على شغله ، فابى إلا أن يسمع الحديث . فاتفق أن هاشما مرض فجاءه أبو شيبة قاضى واسط عائداً له ومعه خاق من الناس ، فلما رآه بشير فرح بذلك وقال : يا بنى أبلغ من أمرك أن جاء القاضى إلى منزلى ؟ لا أمنحك بعد هذا اليوم من طلب الحديث . كان هاشم من سادات العلماء ، وحدث عنه مالك وشعبة والثورى وأحمد بن حنبل وخلق غير هؤلاء ، وكان من الصلحاء العباد . ومكث يصلى الصبح بوضوء المشاء قبل أن يموت بعشر سنين .

### ويحيى بن زكريا

ابن أبى زائدة قاضى المدائن ، كان من الأئمة الثقات . ويونس بن حبيب أحد النحاة النجباء ، أخذ النحو عن أبى عمرو بن العلاء وغيره ، وأخذ عنه الكسائى والفراء ، وقد كانت له حلقة بالبصرة ينتسبها أهل العلم والأدب والفصحاء من الحاضرين والفراب . توفى فى هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة .

### ثم دخلت سنة اربع وثمانين ومائة

فيها رجع الرشيد من الرقة إلى بغداد فأخذ الناس بأداء بقايا الخراج الذى عليهم ، وولى رجلا يضرب الناس على ذلك ويحبسهم ، وولى على أطراف البلاد . وعزل وولى وقطع ووصل . وخرج بالجزيرة أبو عمرو الشارح فبعث إليه الرشيد من قبله شهر زور . وحج بالناس فيها إبراهيم بن محمد العباسى . وفيها توفى :

### احمد بن الرشيد

كان زاهداً عابداً قد تنسك ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده فى الطين ، كان يعمل فأعلافه ، وليس يملك الاثرواً وزنبيلاً - أى مجرفة وقفة - وكان يعمل فى كل جمعة بدرهم ودانق يتقوت بهما من الجمعة إلى الجمعة ، وكان لا يعمل إلا فى يوم السبت فقط . ثم يقبل على العبادة بقية أيام الجمعة . وكان من زبيدة فى قول بعضهم ، والصحيح أنه من امرأة كان الرشيد قد أحبها فتزوجها فحملت منه بهذا النلام ، ثم إن الرشيد أرسلها إلى البصرة وأعطهاها خاتماً من ياقوت أحمر ، وأشياء نفيسة ، وأمرها إذا أفضت إليه الخلافة أن تأتيه . فلما صارت الخلافة إليه لم تأته ولا ولدها ، بل اختفيا ، وبلغه أنهما ماتا ، ولم يكن الأمر كذلك ، فخص عنهما فلم يطلع لهما على خبر ، فكان هذا الشاب يعمل بيده ويأكل من كدها ، ثم رجع إلى بغداد ، وكان يعمل فى الطين ويأكل مدة زمانية . هذا وهو ابن أمير المؤمنين ، ولا يذكر للناس من هو إلى أن اتفق مرضه فى دار من كان يستعمله فى الطين فرضه عنده ، فلما احتضر أخرج الخاتم وقال لصاحب المنزل : اذهب بهذا إلى الرشيد وقل له : صاحب هذا الخاتم يقول لك : إياك أن تموت فى سكرتك هذه فنندم . حيث لا ينفع نادماً ندمه ، واحذر انصرفك من بين يدي الله إلى الدارين ، وأن يكون آخر العهد بك ، فان ما أنت فيه لو دام لغيرك لم يصل إليك ، وسيصير إلى غيرك وقد بلغك أخبار من مضى

قال : فلما مات دفنته وطلبت الحضور عند الخليفة ، فلما أوقفت بين يديه قال : ما حاجتك ؟ قلت : هذا الخاتم دفعه إلى رجل وأمرني أن أدفعه إليك ، وأوصاني بكلام أقوله لك ، فلما نظر الخاتم عرفه فقال : ويحك وأين صاحب هذا الخاتم ؟ قال فقلت : مات يا أمير المؤمنين . ثم ذكرت الكلام الذي أوصاني به ، وذكرت له أنه كان يعمل بالفاعل في كل جمعة يوماً بدرهم وأربع دنانير ، أو بدرهم ودانق ، يتقوت به سائر الجمعة ، ثم يقبل على العبادة . قال : فلما سمع هذا الكلام قام فضرب بنفسه الأرض وجعل يترغ ويتقلب ظهراً لبطن ويقول : والله لقد نصحتني يا بني ، ثم بكى ، ثم رفع رأسه إلى الرجل وقال : أتعرف قبره ؟ قلت : نعم أنا دفنته . قال : إذا كان المشي فائتني . قال : فأتيته فذهب إلى قبره فلم يزل يبكي دنده حتى أصبح ، ثم أمر لذلك الرجل بعشرة آلاف درهم . وكتب له ولعاليه رزقاً . وفيها مات :

### عبدالله بن مصعب

ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، والد بكار . أزمه الرشيد بولاية المدينة فقبلها بشروط عدل اشترطها ، فأجابه إلى ذلك ، ثم أضاف إليه نيابة اليمن ، فكان من أعدل الولاة ، وكان عمره يوم تولى نحواً من سبعين سنة .

### عبدالله بن عبد العزيز العمري

أدركها طوالة ، وروى عن أبيه وإبراهيم بن سعد ، وكان عابداً زاهداً ، وعظ الرشيد يوماً فأطرب وأطرب . قال له وهو واقف على الصفا : أنتظركم حولها - يعني الكعبة - من الناس ؟ فقال : كثير . فقال : كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت تسأل عنهم كلهم . فبكى الرشيد بكاءً كبيراً ، وجهلوا يأتونه بمنديل بعد منديل ينشف به دموعه . ثم قال له : ياهارون إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في أموال المسلمين كلهم ؟ ثم تركهم وانصرف الرشيد يبكي . وله معه مواقف محمودة غير هذه . توفى عن ست وستين سنة .

### ومحمد بن يوسف بن معدان

أبو عبد الله الأصهباني ، أدرك التابعين ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة . كان عبد الله بن المبارك يسميه عمروس الزهاد . وقال يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت أفضل منه ، كان كأنه قد طين . وقال ابن مهدي : ما رأيت مثله ، وكان لا يشتري خبزه من خباز واحد ، ولا بقله من بقل واحد ، كان لا يشتري إلا من لا يعرفه ، يقول : أخشى أن يجابوني فأكون ممن يعيش بدينه . وكان لا يضع وجهه للنوم صيفاً ولا شتاء . ومات ولم يجاوز الأربعين سنة رحمه الله .

### ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

فيها قتل أهل طبرستان متواليهم . هرويه الرازي ، فولى الرشيد عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي . وفيها قتل عبد الرحمن الأنباري أبان بن قحطبة الخارجي مرج العلقمة . وفيها عاث حمزة الشاري ببلاد باذغيس من خراسان ، فهض عيسى بن علي بن عيسى إلى عشرة آلاف من جيش حمزة فقتلهم ، وسار وراء حمزة إلى كابل وزابلستان . وفيها خرج أبو الخصيب فتغلب على أبيورد وطوس ونيسابور وحاصر مرو وقوى أمره . وفيها توفي يزيد بن يزيد بهرذعة ، فولى الرشيد مكانه ابنه أسد بن يزيد . واستأذن الوزير يحيى بن خالد الرشيد في أن يتمر في رمضان فأذن له ، ثم رابط بجنده إلى وقت الحج . وكان أمير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها توفي :

#### عبد الصمد بن علي

ابن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور . ولد سنة أربع ومائة ، وكان ضخم الخلق جدآ ولم يبدل أسنانه ، وكانت أصولها صفيحة واحدة ، قال يوما للرشيد : يا أمير المؤمنين هذا المجلس اجتمع فيه عم أمير المؤمنين ، وعم عمه ، وعم عم عمه ، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد ، والعباس بن محمد بن علي عم سليمان ، وعبد الصمد بن علي عم السفاح ، وتلخيص ذلك أن عبد الصمد عم عم الرشيد لأنه عم جده . روى عبد الصمد عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس عن النبي (س) أنه قال : « إن البر والصلة ليظليلان الأعمار ، ويعمران الديار ، ويثران الأموال ، ولو كان القوم نجارآ » . وبه أن رسول الله (س) قال : « إن البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيامة » ثم تلا رسول الله (س) : [والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب] . وغير ذلك من الأحاديث .

ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، المعروف بالامام ، كان على إمارة الحاج ، وإقامة سقايته في خلافة المنصور عدة سنين . توفي ببغداد فصلى عليه الأئمة في شوال من هذه السنة ، ودفن بالعباسية .

وفيها توفي من مشايخ الحديث تمام بن إسماعيل ، وعمر بن عبيد . والمطلب بن زياد . والمعافى ابن عمران . في قول . ويوسف بن الماجشون . وأبو إسحاق الفزاري إمام أهل الشام بعد الأوزاعي في المغازي والعلم والعبادة . ورابعة العدوية .

وهي رابعة بنت إسماعيل مولاة آل عتيك ، العدوية البصرية العابدة المشهورة . ذكرها أبو نعيم في الحلية والرسائل ، وابن الجوزي في صفوة الصفوة ، والشيخ شهاب الدين السهروردي في المعارف ، والقشيري . وأتفق عليها أكثر الناس ، وتكلم فيها أبو داود السجستاني ، واتهما بالزندقة ،

فعله بانته عنها أمر . وأشهد لها السهر وردى في المعارف : -

إني جملتك في الفؤادِ محبتي \* وأبحثُ جسمي من أرادِ جلوسي

فاجلسم مني للجلوسِ مواسم \* وحببتُ قلبي في الفؤادِ أنيسى

وقد ذكرها لها أحوالاً وأعمالاً سالحة ، وصيام نهار وقيام ليل ، ورؤيت لها منامات سالحة فأنه أعلم . توفيت بالقدس الشريف وقبرها شرقيه بالطور والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

فيها خرج علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الخصب إلى نسا فقاتله بها ، وسبي لسانه وذراعيه . واستقامت خراسان . وحبج بالناس فيها الرشيد ومعه ابنه محمد الأمين ، وعبد الله المأمون ، فبلغ جملة ما أعطى لأهل الحرمين ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وذلك أنه كان يعطي الناس فيذهبون إلى الأمين فيعطيهم ، فيذهبون إلى المأمون فيعطيهم . وكان إلى الأمين ولاية الشام والعراق ، وإلى المأمون من همدان إلى بلاد المشرق . ثم تابع الرشيد لولده القاسم من بعد ولديه ، ولقبه المؤمن ، وولاية الجزيرة والشدور والمواصم ، وكان الباعث له على ذلك أن ابنه القاسم هذا كان في حجر عبد الملك بن صالح ، فلما بايع الرشيد لولديه كتب إليه :

يا أيها الملك الذي \* لو كان نجماً كان سعدا

اعتقدت للقاسم بيعة \* واقدح له في الملك زندا

فإنه فرد واحد \* فاجعل ولاية المهدي فردا

ف فعل الرشيد ذلك ، وقد حمده قوم على ذلك ، وذمه آخرون . ولم ينتظم للقاسم هذا أمر ، بل اختلطت المذون والأمدار عن بلوغ الأمل والأوطار . ولما قضى الرشيد حجه أحضر من معه من الأمراء والوزراء ، وأحضر واهي المهدي محمد الأمين وعبد الله المأمون . وكتب بعضهم ذلك صحيفة ، وكتب فيها الأمراء والوزراء خطوطهم بالشهادة على ذلك ، وأراد الرشيد أن يعلمها في الكعبة لم تقبل فتقول : هذا أمر سريع انتقاضه . وكذا وقع كما سيأتي . وقال إبراهيم الموصلي في عقد هذه البيعة في الكعبة :

خيرُ الأمور مذبة \* وأحقُّ أمرٍ بالتمساق

أمرٌ قضى أحكامه الر \* حنُّ في البلدِ الحرام

وقد أطلال القول في هذا المقام أبو جعفر بن جرير وتبعه ابن الجوزي في المنتظم .

وفيها توفي من الأعيان

أصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو ريان في رمضان منها . وحسان بن إبراهيم قاضي

كرمان عن مائة سنة . وسلم الخاسر الشاعر

وهو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء ، وإنما قيل له الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى به ديوان  
شمر لأمير القيس ، وقيل لأنه أففق مائتي ألف في صناعة الأدب . وقد كان شاعراً منطيقاً له  
قدرة على الإنشاء على حرف واحد ، كما قال في موسى الهادي :

موسى المطر غيث بكر ثم أنمزم كم اعتبر ثم فترز وم قدر ثم غفر عدل السير باقي الأثر  
خير البشر فرع مضر بدر بدر لمن نظر هو الوزر لمن حضر والمفتخر لمن غير  
وذكر الخطيب أنه كان على طريقة غير مرضية من المجون والفسق ، وأنه كان من تلاميذ بشار  
ابن برد ، وأن نظمه أحسن من نظم بشار ، فما غلب فيه بشاراً قوله :

مَنْ راقِبَ النَّاسَ لَمْ يُظْفَرْ بِمَاجِئِهِ \* وَفازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْغَائِكُ اللَّهِجُ

فقال سلم مَنْ راقِبَ النَّاسَ ماتَ غمًّا \* وَفازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

فغضب بشار وقال : أخذ معاني كلامي فكساها ألفاظاً أخف من ألفاظي . وقد حصل له من  
الخلفاء والبرامكة نحواً من أربعين ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك . ولما مات ترك ستة وثلاثين  
ألف دينار وديعة عند أبي الشمر الغساني ، ففنى إبراهيم الموصلي يوماً الرشيد فأطرب به فقال له : سل .  
فقال : يا أمير المؤمنين أسألك شيئاً ليس فيه من مالك شيء ، ولا أرأوك شيئاً سواه . قال : وما هو ؟  
فذكر له وديعة سلم الخاسر ، وأنه لم يترك وارثاً . فأمر له بها . ويقال إنها كانت خمسين ألف دينار .

#### والعباس بن محمد

ابن علي بن عبد الله بن عباس عم الرشيد ، كان من سادات قریش ، ولى إمارة الجزيرة  
في أيام الرشيد ، وقد أطلق له الرشيد في يوم خمسة آلاف ألف درهم ، و إليه تنسب العباسية ، وبها  
دفن وعمره خمس وستون سنة ، وصلى عليه الامين .

#### ويقطين بن موسى

كان أحد الدعاة إلى دولة بني العباس ، وكان داهية ذا رأى ، وقد احتال مرة حيلة عظيمة لما حبس  
مر وان الحمار إبراهيم بن محمد بخرآن ، فتحيرت الشيعة العباسية فيمن يولون ، ومن يكون ولى الأمر  
من بعدهم إن قتل ؟ فذهب يقطين هذا إلى مروان فوقف بين يديه في صورة تاجر فقال : يا أمير  
المؤمنين إنى قد بعث إبراهيم بن محمد بضاعة ولم أقبض ثمنها منه حتى أخذته رسلك ، فان رأى أمير  
المؤمنين أن يجمع بينى وبينه لأطالبه بمالى فعل . قال : نعم فأرسل به إليه مع غلام ، فلما رآه قال :  
يا عبد الله إلى من أوصيت بمسك آخذ مالى منه ؟ فقال له : إلى ابن الحارثية - يعنى أخاه عبد الله  
السفاح - فرجع يقطين إلى الدعاة إلى بني العباس فأعلمهم بما قال ، فبايعوا السفاح ، فكان من أمره



### ما ذكرناه . ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

فيها كان مهلك البرامكة على يدى الرشيد ، قتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، ودمر ديارم واندرست آثارهم ، وذهب صغارهم وكبارهم . وقد اختلفت في سبب ذلك على أقوال ذكرها ابن جرير وغيره ، قيل إن الرشيد كان قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البرمكي ليسجنه عنده ، فما زال يحيى يترفق له حتى أطلقه ، فتم الفضل بن الربيع ذلك إلى الرشيد فقال له الرشيد : ويالك لا تدخل بيتي ، وبين جعفر ، فلمله أطلقه عن أمرى وأنا لا أشمر . ثم سأل الرشيد جعفراً عن ذلك فصدفه فتعيط عليه وحلف ليقنتله ، وكره البرامكة ، ثم قتلهم وقلامهم بما كانوا أحظى الناس عنده ، وأحبهم إليه ، وكانت أم جعفر والفضل أم الرشيد من الرضاعة ، وقد جعلهم الرشيد من الرفعة في الدنيا وكثرة المال بسبب ذلك شيئاً كثيراً لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء ولأول من بعدهم من الأكارم والرؤساء ، بحيث إن جعفراً بنى داراً غرم عليها عشرين ألف ألف درهم ، وكان ذلك من جملة ما قومه عليه الرشيد . ويقال : إنما قتلهم الرشيد لأنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بلدان إلا قيل لهذا الجعفر ، ويقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة . وقيل إنما قتلهم بسبب العباسية . ومن العلماء من أنكروا ذلك وإن كان ابن جرير قد ذكره .

وذكر ابن الجوزي أن الرشيد سئل عن سبب قتله البرامكة فقال : لو أعلم أن قيصي يعلم ذلك لأحرقته . وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو في الفراش مع حظائله - وهذه وجهة ومثلة عالية - وكان عنده من أحظى العشاء على الشراب المسكر - فان الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر - وكان أحب أهله إليه أخته العباسية بنت المهدي ، وكان يحضرها معه ، وجعفر البرمكي حاضر أيضاً معه ، فزوجه بها ليحل النظر إليها ، واشترط عليه أن لا يطأها . وكان الرشيد ربما قام وتركها وهما يملآن من الشراب فرجما وأقعها جعفر فحبلت منه فولدت ولدأ وبنته مع بعض جوارها إلى مكة ، وكان يربي بها .

وذكر ابن خلدكان أن الرشيد لما زوج أخته العباسية من جعفر أحبها حباً شديداً ، فراودته عن نفسه فامتنع أشد الامتناع خوفاً من الرشيد ، فاحتالت عليه - وكانت أمه تهدي له في كل ليلة جمعة جارية حسناء بكرأ - فقالت لأمه : أدخليني عليه بصفة جارية . فهابت ذلك فهدتها حتى فعلت ذلك . فلما دخلت عليه لم يتحقق وجهها فواقمها فقالت له : كيف رأيت خديمة بنات الملوك ؟ وحملت من تلك الليلة ، فدخل على أمه فقال : بعثيني والله برخيصة . ثم إن والد يحيى بن خالد جعل يضيئ على عيال الرشيد في النفقة حتى شككت زبيدة ذلك إلى الرشيد مرات ، ثم أفشت له سر العباسية ، فاستشاط غيظاً ، ولما أخبرته أن الولد قد أرسلت به إلى مكة حجج عام ذلك حتى تحقق الأمر . ويقال :

إن بعض الجوارى نمت عليها إلى الرشيد وأخبرته بما وقع ، وأن الولد بمكة وعنده جزار وأمّال وعلى كثيرة . فلم يصدق حتى حج في السنة الخالية ، ثم كشف الأمر عن الحال ، فاذا هو كما ذكر . وقد حج في هذه السنة التي حج فيها الرشيد يحيى بن خالد ، فجعل يدعو عند الكعبة : اللهم إن كان برضيك عنى سلب جميع مالى وولدى وأهلى فافعل ذلك وأبق على منىم الفضل ، ثم خرج . فلما كان عند باب المسجد رجح فقال : اللهم والفضل معهم فاقى راض برضاك عنى ولا تستن منىم أحداً .

فلما قفل الرشيد من الحج صار إلى الحيرة ثم ركب فى السفن إلى الفمر من أرض الأنبار ، فلما كانت ليلة السبت سلخ المحرم من هذه السنة أرسل مسروراً الخادم ومنه حماد بن سالم أبو عصمة فى جماعة من الجنيد ، فأطافوا بجمهر بن يحيى ليلاً ، فدخل عليه مسرور الخادم وعنده بختيشوع المتطبيب ، وأبوركانة الأعمى الكلوذانى ، وهو فى أمره وسروره ، وأبوركانة يفتنيه :

فلاتبهم فكل فنى سياتى \* عليه الموت يطرق أو يفادى

فقال الخادم له : يا أبا الفضل هذا الموت قد طرقتك ، أجب أمير المؤمنين . فقام إليه يقبل قدميه ويدخل عليه أن يمكنه فيدخل إلى أهله فيوصى إليهم ويدعهم ، فقال : أما الدخول فلا سبيل إليه ، ولكن أوص . فأوصى وأعتق جميع مماليكه أو جماعة منىم ، وجاءت رسل الرشيد تستحثه فأخرج إخراجاً عنيفاً ، فجعلوا يقودونه حتى أتوا به المنزل الذى فيه الرشيد ، فحبسه وقيده بقيد حمار ، وأعلموا الرشيد بما كان يفعل ، فأمر بضرب عنقه ، فجاء السيف إلى جعفر فقال : إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن آتية برأسك . فقال : يا أبا هاشم لعل أمير المؤمنين سكران ، فاذا صحا عاتبك فى ، فمأوده . فرجع إلى الرشيد فقال : إنه يقول : لملك مشغول . فقال : يا ماص بظر أمه اثنتى برأسه . ففكر رعليه جعفر المقالة فقال الرشيد فى الثالثة : برئت من المهدى إن لم تأتني برأسه لأبعثن من يأتيني برأسك ورأسه . فرجع إلى جعفر فحز رأسه وأتى به إلى الرشيد فألقاه بين يديه ، وأرسل الرشيد من ليلته البرد بالاحتياط على البرامكة جميعهم ببغداد وغيرها ، ومن كان منىم بسبيل . فأخذوا كلمهم عن آخرهم . فلم يفلت منىم أحد . وحبس يحيى بن خالد فى منزله ، وحبس الفضل بن يحيى فى منزل آخر وأخذ جميع ما كانوا يملكونه من الدنيا ، وبعث الرشيد برأس جعفر وجثته فنصب الرأس عند الجسر الأعلى ، وشقت الجثة باثنتين فنصب نصفها الواحد عند الجسر الأسفل ، والآخر عند الجسر الآخر ، ثم أحرقت بعد ذلك . ونودى فى بغداد : أن لا أمان للبرامكة ولا لمن آوام ، إلا محمد بن يحيى بن خالد فإنه مستثنى منىم لنصحه للخليفة . وأتى الرشيد بانس بن أبى شيخ كان يتمم بالزندقة ، وكان مصاحباً لجعفر ، فدار بينه وبين الرشيد كلام ، ثم أخرج الرشيد من تحت فراشه سيفاً وأمراً بضرب عنقه به . وجعل يتمثل ببيت قيل فى مثل أنس . قبل ذلك :

تلطَّ سيفٌ من شوقٍ إلى أنسٍ • فالسيفُ يلحظُ والأقدارُ تنتظرُ

فضربت عنق أنس فسبق سيف الدم فقال الرشيد : رحم الله عبد الله بن مصعب ، فقال الناس : إن السيف كان للزبير بن العوام . ثم شحنت السجون بالبرامكة واستلبت أموالهم كلها ، وزالت عنهم النعمة . وقد كان الرشيد في اليوم الذي قتل جعفرًا في آخره ، هو وإياه راكبين في العبيد في أوله ، وقد خلا به دون ولاية المهدي ، وطيبه في ذلك بالغالية بيده ، فلما كان وقت المغرب ودعه الرشيد وضه إليه وقال : لولا أن الليلة ليست خلوتى بالنساء ما فارقتك ، فاذهب إلى منزلك واشرب وطرب وطب ديشا حتى تتكون على مثل حالي ، فأكون أنا وأنت في اللذة سواء . فقال : والله يا أمير المؤمنين لا أشتهي ذلك إلا معك . فقال : لا ! انصرف إلى منزلك . فانصرف عنه جعفر فما هو إلا أن ذهب من الليل . بهضه حتى أوقع به من البأس والنكال ما تقدم ذكره . وكان ذلك ليلة السبت آخر ليلة من المحرم ، وقيل إنها أول ليلة من صفر في هذه السنة ، وكان عمر جعفر إذ ذاك سبعاً وثلاثين سنة ، ولما جاء الخبر إلى أبيه يحيى بن خالد بقتله قال : قتل الله ابنه . ولما قيل له : قد خربت دارك قال : خرب الله دوره . ويقال : إن يحيى لما نظر إلى دوره وقد هتكت ستورها واحتبيحت قصورها ، وانتهب ما فيها . قال : هكذا تقوم الساعة . وقد كتب إليه بعض أصحابه يمزيه فيما جرى له ، فكتب إليه جواب التمزية : أنا بقضاء الله راض ، وباختياره عالم ، ولا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم ، وما الله بظلام للعبيد . وما يفر الله أكثر الله الحمد . وقد أكثر الشعراء من المرائي في البرامكة فن ذلك قول الرقاشي ، وقيل إنها لأبي نواس :

الآن استرخنا واستراحت ركابنا \* وأمسك من مجدي ومن كان يجتدي  
نقلٌ للمطايا قد أجت من الشرى \* وطى الفياض فدفداً بمد فدفدي  
وقلٌ للدنيا قد ظفرت بجعفر \* ولن تظفري من بعد بمسود  
وقلٌ للمطايا بمد فضل تطلي \* وقلٌ للزاياء كل يوم تجتدي  
ودونك سيماً برمكياً مهتداً \* أصيب بسيف هاشمي مهتدي

وقال الرقاشي ، وقد نظر إلى جعفر وهو على جذعه :

أما والله لولا خوف واش \* وعين للخليفة لا تنام .  
لطفنا حول جذعك واستلنا \* كما للناس بالحجر استلام  
فأبصرت قبلك يا ابن يحيى \* حساماً فله السيف الحسام  
على اللذات والدنيا جميعاً \* ودولة آل برمك السلام

قال فاستدعاه الرشيد فقال له : كم كان يملكك جعفر كل عام ؟ قال : ألف دينار . قال : فأمر له

بأبي دينار . وقال الزبير بن بكار عن عمه مصعب الزبيري قال : لما قتل الرشيد جعفرًا وقفت امرأته على حمار غاره فقالت باسان فصيح : والله يا جعفر لئن صرت اليوم آية لقد كنت في المسكارم غاية ، ثم أنشأت تقول :

ولما رأيت السيف خالط جعفرًا • ونادى متأدي للخلبة في يحي  
بكيت على الدنيا وأيقنت أنما • قصارى الفتى يوماً ، مذاقة الدنيا  
وما هي إلا دولة تمهد دولة \* تحوّل ذا نعى وقعب ذا بلوى  
إذا أنزلت هذا منازل رفعة \* من الملك حطت ذال إلى الغاية القوي

قال : ثم حركت حمارها فذهبت فكأنها كانت ربحاً لا أثر لها ، ولا يعرف أين ذهبت .

وذكر ابن الجوزي أن جعفرًا كان له جارية يقال لها فتينة مصرية ، لم يكن لها في الدنيا نظير ، كان يشتراها عليه بمن معها من الجوارى مائة ألف دينار ، فطلبها منه الرشيد فامتنع من ذلك ، فلما قتله الرشيد اصطفى تلك الجارية فأحضرها ليلة في مجلس شرا به وعنده جماعة من جلسائه وسأره ، فأمر من معها أن يغنين فاندفعت كل واحدة تغنى ، حتى انتهت الليلة إلى فتينة ، فأمرها بالإنشاء فأسبلت دمعها وقالت : أما بعد السادة فلا . فغضب الرشيد غضباً شديداً ، وأمر بعض الخضرين أن يأخذها إليه فقد وهبها له ، ثم لما أراد الانصراف قال له فيما بينه وبينه : لا تطأها ، ففهم أنه إنما يريد بذلك كسرها . فلما كان بعد ذلك أحضرها وأظهر أنه قد رضى عنها وأمرها بالإنشاء فامتنعت وأرسلت دمعها وقالت : أما بعد السادة فلا . فغضب الرشيد أشد من غضبه فزير المرة الأولى وقال : الطبع والسياف ، وجاء السياف فوقف على رأسها فقتل له الرشيد : إذا أمرتك ثلاثاً وعقدت أصابعي ثلاثاً فاضرب . ثم قال لها غن : قبكت وقالت : أما بعد السادة فلا . فمعد أصبعه الخنصر ، ثم أمرها الثانية فامتنعت ، فمعد اثنتين ، فأرعدت الخافرون وأشفقوا غاية الأشفقين وأقبلوا عليها يسألونها أن تغنى لئلا تقتل نفسها ، وأن تحيى أمير المؤمنين إلى ما يريد . ثم أمرها الثالثة فاندفعت تغنى كراهة :

لما رأيت الدنيا قد دُرست \* أيقنت أن النعيم لم يبع

قال فوثب إليها الرشيد وأخذ العود من يدها وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تكسر ، وأقبلت الدماء وتطايرت الجوار من حولها ، وحملت من بين يديه فارت بعد ثلاث .

وروى أن الرشيد كان يقول : لعن الله من أغرائى بالبراهكة ، فما وجدت بعدهم لذة ولا راحة ولا رجاء ، وددت والله أنى شطرت نصف عمرى وملكت وأنى تركتهم على حالهم .

وحكى ابن خلكان أن جعفرًا اشترى جارية من رجل بأربعمائة ألف دينار ، فالتفتت إلى بأمها وقالت : أذكر المهدي الذي بينى وبينك ، لا تأكل من ثمنى شيئاً . فبكى سيدها وقال : اشهدوا أنها

حرة ، وأنى قد تزوجتها . فقال جعفر : اشهدوا أن النزن له أيضا . وكتب إلى نائب له : أما بعد فقد كثرت شاكوك ، وقل شاكوك ، فأما أن تعمل ، وإما تعزل . ومن أحسن ما وقع منه من اللطاف في إزالة هم الرشيد ، وقد دخل عليه . منجم يهودى فأخبره أنه سيموت في هذه الليلة ، فحمل الرشيد همًا عظيمًا ، فدخل عليه جعفر فسأله : ما الخبر ؟ فأخبره بقول اليهودى فاستدعى جعفر اليهودى فقال له : كم بقي لك من العمر ؟ فذكر مدة طويلة . فقال : يا أمير المؤمنين اقتله حتى تعلم كذبه فيما أخبر عن عمره . فأمر الرشيد باليهودى فقتل ، وسرى عن الرشيد الذى كان فيه .

وبعد مقتل البرامكة قتل الرشيد إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، وذلك أنه حزن على البرامكة ، ولا سيما على جعفر ، كان يكثر البكاء عليهم ، ثم خرج من حيز البكاء إلى حيز الانتصار لهم والأخذ بثأرهم ، وكان إذا شرب في منزله يقول لجاريته : ائتني بسيفي ، فيسله ثم يقول : والله لأقتلن قائله ، فأكثر أن يقول ذلك ، ونفى ابنه عثمان أن يطلع الخليفة على ذلك فبهلكم عن آخرهم ، ورأى أن أباه لا ينزع عن هذا ، فذهب إلى الفضل بن الربيع فأعلمه ، فأخبر الفضل الخليفة ، فاستدعى به فاستخبره فأخبره ، فقال : من يشهد معك عليه ؟ فقال : فلان الخادم . فجاء به فشهد ، فقال الرشيد : لا يحل قتل أمير كبير بمجرد قول غلام وخصى ، ولهما قد تواطأ على ذلك . فأحضره الرشيد معه على الشراب ثم خلا به فقال : ويحك يا إبراهيم ، إن عندى سرًّا أحب أن أطلعك عليه ، أفلتفى في الليل والنهار . قال : وما هو ؟ قال : إنى ندمت على قتل البرامكة ووددت أنى خرجت من نصف ملكى ونصف عمرى ولم أكن فعلت بهم ما فعلت ، فإنى لم أجدهم بعدم لذة ولا راحة . فقال : رحمة الله على أبى الفضل - يعنى جعفرًا - وبكى ، وقال : والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله . فقال له : قم لعنك الله ، ثم حبسه ثم قتله بعد ثلاثة أيام . وسلم أهله وولده .

وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بسبب أنه بلغه أنه يريد الخلافة ، واشتد غضبه بسببه على البرامكة الذين هم في الحبوس ، ثم سجنه فلم يزل في السجن حتى مات الرشيد فأخرجته الأمين وعمد له على نيابة الشام . وفيها ثارت العصبية بالشام بين المضرية والزرارية ، فبعث إليهم الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالمصيصة فانهدم بعض سورها ونضب ماؤها ساعة من الليل . وفيها بعث الرشيد ولده القاسم على الصائفة ، وجعله قربانًا وسيلة بين يديه ، وولاه العوامم ، فسار إلى بلاد الروم فحاصرم حتى اقتصدوا بخلق من الأسارى يطلقونهم ويرجع عنهم ، ففعل ذلك . وفيها نقضت الروم الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين ، الذى كان عقده الرشيد بينه وبين رضى ملكة الروم الملقبة أعضطه . وذلك أن الروم عزلوها عنهم وملكوا عليهم الذنفور ، وكان شجاعا ، يقال إنه

من سلافة آل جفنة ، فغداوا ربي وسلموا عليها . فكتب قنور إلى الرشيد : من قنور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبل أمانك مقام الرخ ، وأهملت نفسها مقام البيدق ، ولحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها ، وذلك من ضعف النساء وحتمن ، فإذا قرأت كتابي هذا فردد إلى صاحبك من الأموال وافند نفسك به ، وإلا فالسيف بيننا وبينك . فلما قرأ هارون الرشيد كتابه أخفاه النضب الشديد حتى لم يشكر أحد أن يظهر إليه ، ولا يستطيع مخاطبته ، وأشفق عليه جلساءه خوفاً منه ، ثم استدعى بمواة وكتب هل ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى قنور ملك الروم . قد قرأت كتابك يا ابن الكفرة ، والجواب ما تراه دون ما نسبه والسلام . ثم شخص من فوره وسار حتى نزل بيلب هرقة ففتحها وأصلط ابنة ملكها ، ونهغ من الأموال شيئاً كثيراً ، ونحرب وأحرق ، فطلب قنور منه المراجعة هل خراج يؤديه إليه في كل سنة ، فأجاب الرشيد إلى ذلك . فلما رجع من غزواته وصار بالقرعة قضى الكافر المهدي وخان البيهقي ، وكان البرد قد اشتد جداً ، فلم يقدر أحد أن يهيئ فيخبر الرشيد بذلك فطلبهم على أنفسهم من البرد ، حتى يخرج فصل الشتاء . وجمع الناس إليها عبد الله بن عباس بن محمد بن علي .

### ذكر من تولى فيها من الأهلين

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل البرمكي الوزير ابن الوزير ، ولاء الرشيد الشام وغيرها من البلاد ، وبنه إلى دمشق لما كثرت الفتنة المشركان بصوران بين قيس وبين ، وكان ذلك أول مرة ظهرت بين قيس وبين في بلاد الاسلام ، كان خلفه من زمن الجاهلية فأثروه في هذا الأوان ، فلما قدم جعفر بعيشه خدمت الشرور وظهر السرور ، وقيلت في ذلك أشد حسناً ، قد ذكر ذلك ابن عسكرك في حروجه جعفر من تولى فيها منها . -

قد أوقف في الشام نيران فتنة • فيها أوان الشام فخذ لها  
إذا جالس من البحر من البرمك • عليها خبت شباتها وشرارها  
رماها أمير المؤمنين بصير • وفيه ثلاث صدعها وأجبرها  
من الملك الأموال لغير والفق • وصولاً لا يستطيع خطارها

وهي قصيدة طويقة ، وكانت له فصاحة وبلاغة وذكاء وكرم زائد ، كان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف فتقعه عليه ، وصار له اختصاص بالرشيد ، وقد وقع لبة بمحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع ، ولم يخرج في شيء منها من موجب الفتنة . وقد روى الحديث عن أبيه عن عبد الحميد الكاتب عن عبد الملك بن مروان كاتب عثمان عن زيد بن ثابت كاتب الرسي . قال قال رسول الله

«ب» : « إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السنين فيه » . رواه الخطيب وابن عساكر من طريق أبي القاسم الكمي المتكلم ، واسمه عبد الله بن أحمد البلخي - وقد كان كاتباً لحمد بن زيد - عن أبيه عن عبد الله بن طاهر عن طاهر بن الحسين بن زريق عن الفضل بن سهل ذي الرياستين عن جعفر بن يحيى به . وقال عمر بن بحر الجاحظ قال جعفر الرشيد : يا أمير المؤمنين ! قال لي أبي يحيى : إذا أقبلت الدنيا عليك فاعط ، وإذا أدبرت فاعط ، فانها لا تبقى ، وأنشدني أبي :

لا تبخلنْ دنيا وهي مقبلَةٌ \* فليس ينقصها التبذيرُ والسرفُ  
فإن تولتْ فأجرى أن تجودَ بها \* فالحلمُتها إذا ما أدبرتْ جَلْفُ

قال الخطيب : ولقد كان جعفر من علو القدر وفضاذا الأمر وعظم المحل وجمالة المنزلة عند الرشيد على حالة انفرادها ، ولم يشاركه فيها أحد . وكان سمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر . أما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فأشهر من أن يذكر . وكان أيضاً من ذوى الفصاحة والمذكورين بالبلاغة . وروى ابن عساكر عن مهذب حاجب العباس بن محمد صاحب قطعة العباس والعباسية أنه أصابته فاقة وضائقة ، وكان عليه ديون ، فألح عليه المطالبون وعنده سنفط فيه جواهر شراؤه عليه ألف ألف ، فأنى به جعفراً فرضه عليه وأخبره بما هو عليه من الثمن ، وأخبره بالخالص المطالبين بديونهم ، وأنه لم يبق له سوى هذا السنفط . فقال : قد اشتريته منك بألف ألف ثم أقبضه المال وقبض السنفط منه ، وكان ذلك ليلاً . ثم أمر من ذهب بالمال إلى منزله وأجلسه معه في السر تلك الليلة ، فلما رجع إلى منزله إذا السنفط قد سبقه إلى منزله أيضاً . قال فلما أصبحت غدوت إلى جعفر لأتشكر له فوجدته مع أخيه المنضل على باب الرشيد يستأذنان عليه ، فقال له جعفر : إني قد ذكرت أمرك للفضل ، وقد أمر لك بألف ألف ، وما أظنهما إلا قد سبقتهما إلى منزلك ، وسأفاوض فيك أمير المؤمنين . فلما دخل ذكر له أمره ومناخلة من الذين فأمر له بثلاثمائة ألف دينار .

وكان جعفر ليلة في سمره عند بعض أصحابه لجنات الخنفساء فركبت ثياب الرجل فألقاها عنه جعفر وقال : إن الناس يقولون : من قصده الخنفساء يبشر بمال يصيبه . فأمر له جعفر بألف دينار . ثم عادت الخنفساء ، فرجعت إلى الرجل فأمر له بألف دينار أخرى

وحج مرة مع الرشيد فلما كانوا بالمدينة قال لرجل من أصحابه : انظر جارية أشتريها تكون فاقمة في الجمال والثناء والدعابة ، ففتش الرجل فوجد [جارية] على الذمت فطلب سيدها فيها مالا كثيراً على أن يراها جعفر ، فذهب جعفر إلى منزل سيدها فلما رآها أعجب بها ، فلما غنته أعجبت أكثر ، فسأومه صاحبها فيها ، فقال له جعفر : قد أحضرتنا مالا فإن أعجبك وإلا زدناك ، فقال لها سيدها : إني كنت في نعمة وكنت عندي في غاية السرور ، وإنه قد انقبض حل حالي ، وإني قد أحبيت أن

أيملك لهذا الملك ، لكي تكفوني عنده كما كنت عندي . فقالت له الجارية : والله يا سيدي لو ملكت منك كما ملكت مني لم أملك بالدنيا وما فيها ، وأين ما كنت عاهدتني أن لا تبغيني ولا تأكل من نمحي . فقال سيدها لجعفر وأصحابه : أشهدكم أنها حرة لوجه الله ، وأني قد تزوجتها . فلما قال ذلك نهض جعفر وقام أصحابه وأمروا الحمال أن يحمل المال . فقال جعفر : والله لا يقبضني ، وقال للرجل : قد ملكت هذا المال فأنته على أهلك ، وذهب وتركه .

هذا وقد كان يبخل بالنسبة إلى أخيه الفضل . إلا أن الفضل كان أكثر منه مالا . وروى ابن عساکر من طريق الدارقطني بسنده أنه لما أصيب جعفر وجسدوا له في جرة ألف دينار ، زنة كل دينار مائة دينار ، مكتوب على صفحة الدينار جعفر

وأصغر من ضرب دار الملوك \* يلوح على وجه جعفر  
يزيد على مائة واحداً \* متى تعطر معسراً بوسر

وقال أحمد بن المولى الراوية : كتبت عنان جارية الناطقي لجعفر تطلب منه أن يقول لأبيه يحيى أن يشير على الرشيد بشرائها ، وكتبت إليه هذه الأبيات من شعرها في جعفر : -

يا لأمي جهلاً ألا تقصُر \* من ذا على حر الهوى يصبر  
لا تلحنى إذا شربت الهوى \* صرفاً فمزوج الهوى سكر  
أحاط بي الحب تغلفي له \* بحر وقد آوى له أبحر  
تخفق رأيت الهوى بالردى \* فوق وحول للهوى عسكر  
سيان عندي في الهوى لائم \* أقل فيه والذي يكثر  
أنت المصق من بنى برمك \* يا جعفر الخيرات يا جعفر  
لا يبلغ الواصف في وصفه \* ما فيك من فضل ولا يشتر  
من وفر المال لأغراضه \* لجعفر أغراضه أوفر  
ديباجة الملك على وجهه \* وفي يديه العارض المطر  
سحت علينا منها ديمة \* ينهل منها الذهب الأحمر  
لو مسحت كفاء جلوده \* نضرت فيها الورق الأخضر  
لا يستم الهد إلا فقى \* يصبر للبذل كما يصبر  
بهتر نأج الملك من فوقه \* نقرأ ونزهى نعت المنبر  
أشبه البدر إذا ما بدا \* أو غرة في وجهه ينهر  
وأفرو ما أدري أبرد الدجى \* في وجه أم وجه أنور



يستعطر الزوار منك الندى \* وأنت بالزوار تستبشر  
وكتبت تحت أبياتها حاجتها ، فركب من فورهِ إلى أبيه فأدخله على الخليفة فأشار عليه بشرائها  
فقال : لا والله لأشترها ، وقد قال فيها الشراء فأكثروا ، واشتهر أمرها وهي التي يقول فيها أبو نواس :  
لا يشتر بها إلا ابن زانية \* أو قلوبان يكون من كانا  
وعن ثمامة بن أشرس قال : بت ليلة مع جعفر بن يحيى بن خالد ، فانتبه من منامه يبكي مذموراً  
فقلت : ما شأنك ؟ قال : رأيت شيخاً جاء فأخذ بعضادتي هذا الباب وقال :  
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا \* أنيس ولم يسر بمكة سامر  
قال فأجبتني : بلى نحن كنا أهلها فأبادنا \* صروف الليالي والجدود العوائر  
قال ثمامة : فلما كانت الليلة القابلة قتله الرشيد ونصب رأسه على الجسر ثم خرج الرشيد فنظر  
إليه فتأمله ثم أنشأ يقول .

تفاضك دهرك ما أسلفنا \* وكدر عيشك بمد الصفا  
فلا تمجبن فان الزمان \* رهين بتفريق ما ألنا  
قال : فنظرت إلى جعفر وقلت : أما لئن أصبحت اليوم آية فلقد كنت في الكرم والجدود غاية ،  
قال : فنظر إلى كأنه جعل صؤول ثم أنشأ يقول : -

ما يعجب العالم من جعفر \* ما عابنوه فبنا كانا  
من جعفر أو من أبوه ومن \* كانت بنو بردك لولانا  
ثم حول وجه فرسه وانصرف .

وقد كان مقتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر من سنة سبع وثمانين ومائة ، وكان عمره سبعاً  
وثلاثين سنة ، ومكث وزيراً سبع عشرة سنة . وقد دخلت عبادة أم جعفر على أناس في يوم عيد  
أضحي تستمنحهم جلد كبش تدفأ به ، فسألوها عن ما كانت فيه من النعمة فقالت : لقد أصبحت في  
مثل هذا اليوم وإن على رأسي أربعمائة وصيفة ، وأقول إن ابني جعفر آفاق لي . وروى الخطيب  
البغدادي بإسناده أن سفيان بن عيينة لما بلغه قتل الرشيد جعفرًا وما أحل بالبرامكة ، استقبل القبلة  
وقال : اللهم إن جعفرًا كان قد كفاني مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الآخرة .

## حكاية غريبة

ذكر ابن الجوزي في المنتظم أن المأمون بلغه أن رجلاً يأتي كل يوم إلى قبور البرامكة فيبكي  
عليهم ويندبهم ، فبعث من جاء به فدخل عليه وقد يئس من الحياة ، فقال له : ويحك أما يحملك على  
صديقك هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنهم أسدوا إلى معرفاً وخيراً كثيراً . فقال : وما الذي

أسدوه إليك ؟ فقال : أنا المذنب من المفيرة من أهل دمشق ، كنت بدمشق في نعمة عظيمة واسعة ، فرالت عني حتى أفضى بي الحال إلى أن بمت داري ، ثم لم يبق لي شيء ، فأشار بعض أصحابي على بقصد البرامكة ببغداد ، فأتيت أهلي وتحملت بعيمالي ، فأتيت ببغداد ومعى نيف وعشرون امرأة فأنزلتن في مسجد مهجور ثم قصصت مسجدا مأهولا أصلى فيه . فدخلت مسجداً فيه جماعة لم أر أحسن وجوهاً منهم ، فجلست إليهم فجعلت أدبر في نفسي كلاماً أطلب به منهم قوتاً للعيال الذين معى ، فيمنعني من ذلك السؤال الحياء ، فبينما أنا كذلك إذا بخادم قد أقبل فدعاهم فقاموا كلهم وقت معهم ، فدخلوا داراً عظيمة ، فإذا الوزير يحيى بن خالد جالس فيها فجلسوا حوله ، فمقد عقد ابنته عائشة على ابن عم له ونثروا فلق المسك وبنادق المنبر ، ثم جاء الخدم إلى كل واحد من الجماعة بصينية من فضة فيها ألف دينار ، ومعها فئات المسك ، فأخذها القوم ونهضوا وبقيت أنا جالساً ، وبين يدي الصينية التي وضعوها لي ، وأنا أهاب أن آخذها من عظمتها في نفسي ، فقال لي بعض الحاضرين : ألا تأخذها وتذهب ؟ فددت يدي فأخذتها فأفرغت ذهبها في جيبى وأخذت الصينية تحت إبطى وقت ، وأنا خائف أن تؤخذ منى ، فجعلت أتلفت والوزير ينظر إلى وأنا لا أشعر ، فلما بلغت الستارة أمرم فردوني فيئست من المسال ، فلما رجعت قال لي : ما شأنك خائف ؟ فقصصت عليه خبرى ، فبكي ثم قال لأولاده : خذوا هذا فضموه إليكم . فجاءني خادم فأخذ منى الصينية والذهب وأقت عندهم عشرة أيام من ولد إلى ولد ، وخاطرى كله عند عيالى ، ولا يمكننى الانصراف ، فلما انقضت العشرة الأيام جاءني خادم فقال : ألا تذهب إلى عيالك ؟ فقلت : بلى والله ، فقام يمشى أمامى ولم يعطنى الذهب ولا الصينية ، فقلت : يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ منى الصينية والذهب ، ياليت عيالى رأوا ذلك . فسار يمشى أمامى إلى دار لم أر أحسن منها ، فدخلتها فإذا عيالى يتمرغون في الذهب والحريز فيها ، وقد بثوا إلى الدار مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ، وكتابا فيه تمليك الدار بما فيها ، وكتابا آخر فيه تمليك قريتين جليلتين ، فكننت مع البرامكة فى أطيب عيش ، فلما أصيبوا أخذ منى عمرو بن مسعدة القرينين وأزمنى بخراجهما ، فكلما لحقتني فاقة قصصت دورم وقبورم فبكيك عليهم . فأمر المأمون برد القرينتين ، فبكي الشيخ بكاء شديداً فقال المأمون : مالك ؟ ألم استأنف بك جيلاً ؟ قال : بلى ! ولكن هو من بركة البرامكة . فقال له المأمون : امض مصاحباً فان الوفاء مبارك ، ومراعاة حسن العهد والصحبة من الايمان . وفيها توفى :

### الفضيل بن عياض

أبو على التميمي أحد أئمة العباد الزهاد ، وهو أحد العلماء والأولياء ، ولد بخراسان بكورة دينور وقدم الكوفة وهو كبير ، فسمع بها الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحمصين بن

عبد الرحمن وغيرهم . ثم انتقل إلى مكة فتمعبد بها ، وكان حسن التلاوة كثير الصلاة والصيام ، وكان سيداً جليلاً ثقة من أئمة الرواية رحمه الله ورضي عنه . وله مع الرشيد قصة طويلة ، وقد روينا ذلك مطولاً في كيفية دخول الرشيد عليه منزله ، وما قال له الفضيل بن عياض ، وعرض عليه الرشيد المال فأبى أن يقبل منه ذلك . توفي بمكة في المحرم من هذه السنة . وذكرنا أنه كان شاعراً يقطع الطريق ، وكان يتعشق جارية ، فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جداراً إذ سمع قارئاً يقرأ [ أم بأن للذين آمنوا أن نخشع قلوبهم لذكر الله ] فقال : بلى ! وناب وأفزع عما كان عليه . ورجع إلى خربة فبات بها فسمع سفاهاً يقولون : خذوا حذركم إن فضيلاً أمامكم يقطع الطريق ، فأمنهم واستمر على توبته حتى كان منه ما كان من السيادة والعبادة والزهادة ، ثم صار علماً يقتدى به ويهتدى بكلامه وفعاله . قال الفضيل : لو أن الدنيا كلها حلال لا أحاسب بها لكننت أقتنرها كما يقتنر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقال : العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل لأجل الناس رياء ، والاختلاص أن ينسبك الله منهما . وقال له الرشيد يوماً : ما أزهديك ، فقال : أنت أزهدي مني ، لأنني أنا زهدت في الدنيا التي هي أقل من جناح بعوضة ، وأنت زهدت في الآخرة التي لا قيمة لها ، فأنا زاهد في الفاني وأنت زاهد في الباقي ، ومن زهد في درة أزهدي من زهد في برة . وقد روى مثل هذا عن أبي حازم أنه قال ذلك لسليمان بن عبد الملك .

وقال : لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للامام ، لأن به صلاح الرعية ، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد . وقال : إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حمارى وخادمى وامرأتى وفأربيتى [ وقال في قوله تعالى : [ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ] . قال : يميني أخلصه وأصوبه ، إن العمل يجب أن يكون خالصاً لله ، وصواباً على متابعة النبي (ص) ]<sup>(١)</sup> وفيها توفي :

بشربن المفضل . وعبد السلام بن حرب . وعبد العزيز بن محمد الدراوردي . وعبد العزيز العمى . وعلى بن عيسى ، الأمير ببلاد الروم مع القاسم بن الرشيد في الصائفة . ومعتز بن سليمان وأبو شعيب البراني الزاهد ، وكان أول من سكن برأنا في كوخ له يتعبد فيه ، فهيرته امرأة من بنات الرؤساء فانحلمت مما كانت فيه من الدنيا والسعادة والحشمة ، وتزوجته وأقامت معه في كوخه تتعبد حتى ماتا ، يقال إن اسمها جوهرة .

### ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

فيها غزا إبراهيم بن إسرائيل الصائفة فدخل بلاد الروم من درب الصنصاف فخرج النفور لقتاله فخرج النفور ثلاث جراح ، وانهزم ، وقتل من أصحابه أكثر من أربعين ألفاً ، وغنموا أكثر من

(١) زيادة من المضرية .

أربعة آلاف دابة . وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق . وفيها حج بالناس الرشيد ، وكانت آخر حجاته . وقد قال أبو بكر حين رأى الرشيد منصرفاً من الحج - وقد اجتاز بالكوفة - لا يبيع الرشيد بعدها ، ولا يبيع بعده خليفة أبداً . وقد رأى الرشيد بهلول الموله فوعظه موعظة حسنة ، فزويها من طريق الفضل بن الربيع الحاجب قال : حججت مع الرشيد فررنا بالكوفة فاذا بهلول المجنون يهذي ، فقلت : اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين ، فسكت . فلما حاذاه الهودج قال : يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن نائل ثنا قدامة بن عبد الله المامري قال . رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - على جبل وتحتة رحل رث ، ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك . قال الربيع فقلت : يا أمير المؤمنين إنه بهلول ، فقال : قد عرفته ، قل يا بهلول فقال :

هَبْ أَنْ قَدْ مَلَكْتَ الْأَرْضَ طَرَأَ \* وَدَانَ لَكَ الْعِبَادُ فَكَانَ مَاذَا

أَلَيْسَ غَدَاً مَصِيرَكَ جَوْفَ قَبْرِ \* وَيَحْنُو عَلَيْكَ التَّرَابُ هَذَا ثُمَّ هَذَا

قال : أجهت يا بهلول ، أفذيره ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! من رزقه الله مالا وجهالا فنف في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الله من الأبرار . قال : فظن أنه يريد شيئاً ، فقال : إنا أمرنا بقضاء دينك . فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين ، اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك . قال : إنا أمرنا أن يجرى عليك رزق تقنات به . قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين فانه سبحانه لا يطيك وينسأني . بها أنا قد عشت عمرآ لم نجر على رزقا ، انصرف لاحاجة لي في جرايتك . قال : هذه ألف دينار خننها . فقال : ارددها على أصحابها فهو خير لك ، وما أصنع أنا بها ؟ انصرف عنى فقد آذنتني . قال : فالصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا . ومن توفى فيها من الأعيان :

ابو اسحاق الفزاري

إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة ، إمام أهل الشام في المغازي وغير ذلك . أخذ عن الثوري والأوزاعي وغيرهما ، توفى في هذه السنة . وقيل قبلها .

وإبراهيم الموصلي

النديم ، وهو إبراهيم بن ماهان بن بهمن أبو إسحاق ، أحد الشعراء والمفنين والندماء للرشيد وغيره ، أصله من الفرس وولد بالكوفة ومحب شبانها وأخذ عنهم الفناء ، ثم سافر إلى الموصل ثم عاد إلى الكوفة فقالوا : الموصلي . ثم اتصل بالخلفاء أولهم المهدي وحظي جند الرشيد ، وكان من جملة ساره وندمائيه ومغنييه ، وقد أنرى وكثر ماله جسداً ، حتى قيل إنه ترك أربعة وعشرين ألف ألف

درهم ، وكانت له طرف وحكايات غريبة ، وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة في الكوفة ، ونشأ في كفالة بني تميم ، فتعلم منهم ونسب إليهم ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الغناء ، وكان مزوجاً بأخت المنصور الملقب بزئز ، الذي كان يضرب معه ، فاذا غنى هذا وضرب هذا اهتز المجلس . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وحكى ابن خلكان في الوفيات أنه توفي وأبو الغضائرية وأبو عمرو الشيباني ببغداد في يوم واحد من سنة ثلاث عشرة ومائتين . وصحح الأول . ومن قوله في شعره عند احتضاره قوله :

ملّ والله طيبى \* بن مقاساة الذى بنى

سوف أنى عن قريب \* لسدو وحبيب

وفيهما مات جرير بن عبد الحميد . ورشد بن سعد . وعبد بن سليمان . وعقبة بن خالد . وعمر ابن أيوب العابد أحد مشايخ أحمد بن حنبل . وعيسى بن يونس في قول .

### م دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

فيها رجع الرشيد من الحج وسار إلى الرى فولى وعزل . وفيها رد على بن عيسى إلى ولاية خراسان ، وجاءه نواب تلك البلاد بالهدايا والتحف من سائر الأشكال والألوان ، ثم عاد إلى بغداد فأدركه عيد الأضحى بقصر اللصوص فضحى عنده ، ودخل إلى بغداد لثلاث بقين من ذى الحجة ، فلما اجتاز بالجسر أمر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي فأحرقت ودفنت ، وكانت مصلوقة من حين قتل إلى هذا اليوم ، ثم ارتحل الرشيد من بغداد إلى الرقة ليسكنها وهو متأسف على بغداد وطيبها ، وإنما مراده بتمامه بالركة رجع المفسدين بها ، وقد قال العباس بن الأحنف في خروجهم من بغداد مع الرشيد :

ما أنحنأ حتى ارتحلنا فما ؛ \* فرق بين المناخ والارتحال

سأولونا عن حالنا إذ قدمنا \* فقرناً وداعهم بالسؤال

وفيها قادى الرشيد الأسارى من المسلمين الذين كانوا ببلاد الروم ، حتى يقال إنه لم يترك بها أسيراً من المسلمين . فقال فيه بعض الشعراء :

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها \* محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعيى المسلمين فكأكها \* وقالوا سجون المشركين قبورها

وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق يحاصر الروم . وفيها حج بالناس العباس بن موسى ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس .

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

على بن حمزة بن عبد الله بن فيروز أبو الحسن الأسدى مولاهم ، الكوفي المعروف بالكسائي لاحرامه في كسائه ، وقيل لاشتغاله على حمزة الزييات في كسائه ، كان نحوياً لغوياً أحد أئمة القراء ، أصله

من الكوفة ثم استوطن بباداد ، فأدب الرشيد وولده الأمين ، وقد قرأ على حمزة بن حبيب الزيات قراءته ، وكان يقرئ بها ، ثم اخنار لنفسه قراءة وكان يقرأ بها . وقد روى عن أبي بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وغيرهما ، وعنه يحيى بن زياد الفراء وأبو عبيد . قال الشافعي : من أراد النحو فهو عيال على الكسائي . أخذ الكسائي عن الخليل صناعة النحو فسأله يوماً : عن من أخذت هذا العلم ؟ قال : من بوادي الحجاز . فرحل الكسائي إلى هناك فكتب عن العرب شيئاً كثيراً ، ثم عاد إلى الخليل فاذا هو قد مات وتصدر في موضعه يونس ، فجرت بينهما مناظرات أقر له فيها يونس بالفضل ، وأجلسه في موضعه .

قال الكسائي : صليت يوماً بالرشيد فأعجبني قراءتي ، فنلقت غلظة ، ما غلظها صبي ، أردت أن أقول لعلمهم يرجعون ، فقلت لعلمهم ترجمين ، فما تجاسر الرشيد أن يردّها . فلما سلمت قال : أي لغة هذه ؟ فقلت : إن الجواد قد يمتز . فقال : أما هذا فنعم . وقال بعضهم : لقيت الكسائي فاذا هو مهموم ، فقلت : مالك ؟ فقال : إن يحيى بن خالد قد وجه إلى ليسألني عن أشياء فأخشى من الخطأ ، فقلت : قل ما شئت فأنت الكسائي ، فقال : قطعته الله - يعني لسانه - إن قلت ما لم أعلم . وقال الكسائي يوماً قلت لنجار : بكم هذان البابان ؟ فقال : بسالجيان يا مصفغان .

توفي الكسائي في هذه السنة على المشهور ، عن سبعين سنة . وكان في صحبة الرشيد ببلاد الري فات بنواحيها هو ومحمد بن الحسن في يوم واحد ، وكان الرشيد يقول : دفنت الفقه والعربية بالري . قال ابن خلكان : وقيل إن الكسائي توفي بطوس سنة ثنتين وثمانين ومائة ، وقد رأى بعضهم الكسائي في المنام ووجهه كالسدر فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي بالقرآن . فقلت : ما فعل حمزة ؟ قال : ذاك في عليين ، ما نراه إلا كما نرى الكوكب . وفيها توفي :

#### محمد بن الحسن بن زفر

أبو عبد الله الشيباني مولاهم ، صاحب أبي حنيفة . أصله من قرية من قرى دمشق ، قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة ومسر والثوري وعمر بن ذر ومالك بن مغول ، وكتب عن مالك بن أنس والأوزاعي وأبي يوسف ، وسكن بفسداد وحدث بها ، وكتب عنه الشافعي حين قدمها في سنة أربع وثمانين ومائة ، وولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله . وكان يقول لأهله : لا تسألوني حاجة من حاجات الدنيا فتشغلوا قلبي . وخذوا ما شئتم من مالي فإنه أقل لهمي وأفرغ قلبي . وقال الشافعي : ما رأيت جبراً سمياً مثله ، ولا رأيت أخف روحاً منه ، ولا أفصح منه . كنت إذا سمعته يقرأ القرآن كأنما ينزل القرآن بلغته . وقال أيضاً : ما رأيت أعقل منه ، كان بلاء الدين والقلب ، قال الطحاوي : كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن

كتاب السير فلم يجبه إلى الاعارة فكتب إليه :-

قل للذي لم ترَ عيائى مثله \* حتى كأن من رآه قد رأى من قبله  
العالم ينهى أهله أن يمنوه أهله \* لعله يبذلهم لأهله لعله

قال : فوجهه به إليه في الحال هدية لاعارية . وقال إبراهيم الحربى : قيل لأحمد بن حنبل : هذ  
المسائل الدقاق من أين هي لك ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن رحمه الله . وقد تقدم أنه مات هو  
والكسائى في يوم واحد من هذه السنة . فقال الرشيد : دفنت اليوم اللغة والفقه جميعاً . وكان عمره  
ثمانية وخمسين سنة . ثم دخلت سنة تسعين ومائة من الهجرة

فيها خلع رافع بن ليث بن نصر بن سيار نائب سمرقند الطاعة ودعا إلى نفسه ، وتابمه أهل بلده  
وطائفة كثيرة من تلك الناحية ، واستفحل أمره ، فسار إليه نائب خراسان على بن عيسى فنهزمه  
رافع وتفاقم الأمر به . وفيها سار الرشيد ليز وبلاد الروم لعشر بقين من رجب ، وقد لبس على رأسه  
قلنسوة فقال فيها أبو المعلا السكلابى :

فإن يطلب لقاءك أو برده \* فبالحرمين أو أقصى النور  
ففى أرض العدو على طمر \* وفى أرض الترفه فوق كور  
وما حاز الثنور سواك خلق \* من المتخلفين على الأمور

فسار حتى وصل إلى الطوانة فسكر بها وبعث إليه نغفور بالطاعة وحمل الخراج والجزية حتى عن  
رأس ولده ورأسه ، وأهل مملكته ، فى كل سنة خمسة عشر ألف دينار ، وبعث يطلب من الرشيد  
جارية قد أسروها وكانت ابنة ملك هرقة ، وكان قد خطبها على ولده ، فبعث بها الرشيد مع هدايا  
ونحف وطيب بعث يطلبه من الرشيد ، واشترط عليه الرشيد أن يحمل فى كل سنة ثلثمائة ألف دينار ،  
وأن لا يهرق دمه . ثم انصرف الرشيد راجعاً واستتاب على الغزو عقبة بن جعفر . ونقض أهل قيس  
المهد فزاهم معيوف بن يحيى ، فسبى أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً . وخرج رجل من عبد القيس  
فبعث إليه الرشيد من قتله . وحج بالناس فيها عيسى بن موسى الهادى .

من توفي فيها من الأعيان والمشاهير

أسد بن عمرو بن عمرو أبو المنذر البجلي الكوفى صاحب أبي حنيفة ، حكم ببغداد وبواسط ،  
فلما انكف بصره عزل نفسه عن القضاء . قال أحمد بن حنبل : كان صدوقاً . ووفقه ابن معين ،  
وتكلم فيه على بن المدينى والبخارى وسعدون الجنون وصام ستين سنة نخف دماغه فسماه الناس  
مجنوناً ، وقف يوماً على حلقة ذى النون المصرى فسمع كلامه فصرخ ثم أنشأ يقول :  
ولا خير فى شكوى إلى غير مشتكى \* ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

وقال الأصمعي : مررت به وهو جالس عند رأس شيخ سكران يذب عنه ، فقلت له : مالي أراك عند رأس هذا الشيخ ؟ فقال : إنه مجنون . فقلت : أنت مجنون أو هو ؟ قال : لا بل هو ، لأنني صليت الظهر والمغرب في جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى . وهو مع هذا قد شرب الخمر وأنا لم أشربها . قلت : فهل قلت في هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشأ يقول : —  
 تركت النبيذ لأهل النبيذ \* وأصبحت أشرب ماء قراحا  
 لأن النبيذ يذل المزير \* ويكسو السواد الوجوه الصباحا  
 فإن كان ذا جائزاً للشباب \* فما العذر منه إذا الشيب لاحا  
 قال الأصمعي : فقلت له : صدقت ، أنت العاقل وهو المجنون :

وعبيدة بن حميد ، أبو عبد الرحمن التميمي الكوفي ، مؤدب الأمين . روى عن الأعمش وغيره ، وعنه أحمد بن حنبل . وكان يفتي عليه . وفيها توفي :

## يحيى بن خالد بن برمك

أبو علي الوزير والد جعفر البرمكي ، ضم إليه المهدي ولده الرشيد فرباه ، وأرضعته امرأته مع الفضل بن يحيى ، فلما ولي الرشيد عزف له حقه ، وكان يقول : قال أبي ، قال أبي . وفوض إليه أمور الخلافة وأزمتهما ، ولم يزل كذلك حتى نكبت البرامكة فقتل جعفر وخلد أباه يحيى في الحبس حتى مات في هذه السنة . وكان كرمياً فصيحاً ، ذا رأي سديد ، يظهر من أمره خير وصلاح . قال يوماً لولده : خذوا من كل شيء طرفاً ، فإن من جهل شيئاً عاذه . وقال لأولاده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون . وكان يقول لهم : إذا أقيمت الدنيا فأنفقوا منها فانها لا تبقى ، وإذا أدبر فأنفقوا منها فانها لا تبقى ، وكان إذا سأله سائل في الطريق وهو راكب أقل ما يأمر له بجائتي درهم فقال رجل يوماً : ب

يا سمى الحصور يحيى \* أتيتك لك بمن فضل ربنا جنتان  
 كل من مر في الطريق عليكم \* فله من نوالكم مائتان  
 مائتا درهم لثلى قليله \* هي للفرس المجلان

فقال : صدقت . وأمر فسبق به إلى البزار ، فلما رجع سأل عنه فإذا هو قد تزوج وهو يريد أن يدخل على أهله فأعطاه صدقها أربعة آلاف ، وعن دار أربعة آلاف ، وعن الأمتعة أربعة آلاف . وكلفة الدخول أربعة آلاف ، وأربعة آلاف يستظهر بها . وجاء رجل يوماً فسأله شيئاً فقال : ويحك لقد جيتني في وقت لا أملك فيه مالا ، وقد بعثت إلى صاحب لي يطلب مني أن يهدي إلى ما أحب ، وقد بلغني أنك تريد أن تبيع جارية لك ، وأنت قد أعطيت فيها ثلاثة آلاف دينار ، وإني سأطلبها



فلا تبهما منه بأقل من ثلاثين ألف دينار . فجأزى فبلغوا معي بالدمية إلى عشرين ألف دينار ، فلما سمعتها ضمت قلبي عن ردها ، وأجبت إلى بيها ، فأخذها وأخذت العشرين ألف دينار . فأهداها إلى يحيى ، فلما اجتمعت بي يحيى قال : بكم بعتمها ؟ قلت : بعشرين ألف دينار . قال : إنك تلهيس خذ جاريته إليك وقد بعث إلى صاحب فارس يطلب مني أن أسئديه شيئاً ، وإني سأأهبها منه فلا تبهما بأقل من خمسين ألف دينار . فجأزى فوصلوا في ثمنها إلى ثلاثين ألف دينار ، فبعتمها منهم . فلما جئته لأمي أيضاً وردها عليّ ، فقلت : أشهدك أنها حرة وأني قد تزوجتها ، وقلت : جارية قد أفادتني خمسين ألف دينار لا أفرط فيها بعد اليوم .

وذكر الخطيب أن الرشيد طلب من منصور بن زياد عشرة آلاف ألف درهم ، ولم يكن عنده منها سوى ألف ألف درهم ، فضايق ذرعاً ، وقد توعد بالقتل وخراب الديار إن لم يحملها في يومه ذلك ، فدخل على يحيى بن خالد وذكر أمره فأطلق له خمسة آلاف ألف ، واستطلق له من ابنه الفضل ألفي ألف ، وقال لابنه : يا بني بلغني أنك تريد أن تشتري بها ضيعة . وهذه ضيعة تغل الشكر وتبقى مدى الدهر . وأخذت له من ابنه جعفر ألف ألف ، ومن جاريته دنانير عتقاً اشتراه بمائة ألف دينار ، وعشرون ألف دينار ، وقال للترسم عليه : قد حسبناه عليك بألفي ألف . فلما عرضت الأموال على الرشيد رد المقتد ، وكان قد وهبه لجارية يحيى ، فلم يمد فيه بمد إذ وهبه . وقال له بعض بذي وم في السجن والقيود : يا أبت بمد الأمر والنهي والنعمة صرنا إلى هذا الحال ، فقال : يا بني دعوة مظلوم سرت بليل ونجمن عنها غافلون ولم يغفل الله عنها . ثم أنشأ يقول :

ربِّ قومٍ قد غدوا في نعمة \* زناً والدهر ريانٌ غسق  
سكت الدهر زماناً عنهم \* ثم أبكاهم دما حين نطق

وقد كان يحيى بن خالد هذا يجري على سفیان بن عيينة كل شهر ألف درهم ، وكان سفیان يده له في سجوده يقول : اللهم إنه قد كذاني المؤنة وفرغني للسبادة فاكفه أمر آخرته . فلما مات يحيى رآه بعض أصحابه في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بدعاء سفیان .

وقد كانت وفاة يحيى بن خالد رحمه الله في الحبس في الراقعة لثلاث خلون من المحرم من هذه السنة عن سبعين سنة ، وصلى عليه ابنه الفضل ، ودفن على شط الفرات ، وقد وجد في جيبه رقعة مكتوب فيها بخطه : قد تقدم الخضم والمدعا عليه بالأثر ، والحاكم الحكم العدل الذي لا يحير ولا يحتاج إلى بينة . فحملت إلى الرشيد فلما قرأها بكى بومه ذلك ، وبكى أياماً يتبين الأسى في وجهه وقد نال بعض الشعراء في يحيى بن خالد : -

سألت النداء هل أنت حرٌّ فقال لا \* ولكنني عبده يحيى بن خالد

فقلتُ شراءه قال لا بلن وراثته \* توارث رقي والداه بعد والد  
ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة

فيها خرج رجل بسواد العراق يقال له ثروان بن سيف ، وجعل يتنقل فيها من بلد إلى بلد ، فوجه إليه الرشيد طوق بن مالك فهزمه وجرح ثروان وقتل عامة أصحابه ، وكتب بالفتح إلى الرشيد . وفيها خرج بالشام أبو النداء فوجه إليه الرشيد يحيى بن معاذ واستنابه على الشام . وفيها وقع الثلج ببغداد . وفيها غزا بلاد الروم يزيد بن مخلد الهبيري في عشرة آلاف ، فأخذت عليه الروم المضيق فقتلوه في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس ، وانهمز الباقون ، وولى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين ، وضم إليه ثلاثين ألفاً فيهم مسرور الخادم ، وإليه النفقات . وخرج الرشيد إلى الحدث ليكون قريباً منهم . وأمر الرشيد بهدم الكنائس والديور ، وألزم أهل الذمة بتمييز لباسهم وهياتهم في بغداد وغيرها من البلاد . وفيها عزل الرشيد على بن موسى عن إمرة خراسان وولاهها هرثمة بن أعين . وفيها فتح الرشيد هرقة في شوال وخرّبها وسي أهلها وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم إلى عين زربة ، والكنيسة السوداء . وكان دخل هرقة في كل يوم مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق ، وولى حميد بن معيوف سواحل الشام إلى مصر ، ودخل جزيرة قبرص فسي أهلها وحملهم حتى باعهم بالرافقة ، فبلغ ثمن الأسقف ألفي دينار ، باعهم أبو البخترى القاضي .

وفيها أسلم الفضل بن سهل على يدى المأمون . وحج بالناس فيها الفضل بن عباس بن محمد بن على العباسي ، وكان والى مكة ، ولم يكن للناس بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين . وفيها توفى من الأعيان :

سلمة بن الفضل الأبرش . وعبد الرحمن بن القاسم الفقيه الراوى عن مالك بن يونس بن أبي إسحاق ، قدم على الرشيد فأمر له بمال جزيل ، نحواً من خمسين ألفاً فلم يقبله . والفضل بن موسى الشيباني . ومحمد بن سلمة . ومحمد بن الحسين المصيصي أحد الزهاد الثقات . قال لم أتكلم بكلمة أحتاج إلى الاعتذار منها منذ خمسين سنة . وفيها توفى معمر الرقي .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة

فيها دخل هرثمة بن أعين إلى خراسان نائباً عليها ، وقبض على على بن عيسى فأخذ أمواله وحواصله وأركبه على بعير وجهه لذنه ونادى عليه ببلاد خراسان ، وكتب إلى الرشيد بذلك فشكره على ذلك ، ثم أرسله إلى الرشيد بعد ذلك فحبس بداره ببغداد . وفيها ولى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك نيابة الثغور فدخل بلاد الروم وفتح مطمورة . وفيها كان الصلح بين المسلمين والروم على يد ثابت

ابن نصر . وفيها خرجت الخرمية بالجليل وبلاد أذربيجان . فوجه الرشيد إليهم عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزازي في عشرة آلاف فارس فقتل منهم خلقا وأسر سبى ذراريهم ، وقدم بهم بغداد فأمر له الرشيد بقتل الرجال منهم ، وبالذرية فبيعوا فيها . وكان قد غزاهم قبل ذلك خزيمه بن خازم . وفي ربيع الأول منها قدم الرشيد من الرقة إلى بغداد في السفن وقد استخلف على الرقة ابنه القاسم وبين يديه خزيمه بن خازم ، ومن زية الرشيد الذهاب إلى خراسان لغزو رافع بن ليث الذي كان قد خلع الطاعة واستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد سمرقند وغيرها ، ثم خرج الرشيد في شعبان قاصداً خراسان ، واستخلف على بغداد ابنه محمداً الأمين ، وسأل المأمون من أبيه أن يخرج معه خوفاً من غدر أخيه الأمين ، فأذن له فسار معه وقد شبكا الرشيد في أثناء الطريق إلى بعض أمراءه جفاه بنيه الثلاثة الذين جعلهم ولاية العهد من بعده ، وأراه داء في جسده ، وقال إن لكل واحد من الأمين والمأمون والقاسم عندي عينا على ، وهم يعدون أنفاسي و يتنون انقضاء أيامي ، وذلك شر لهم لو كانوا يعلمون . ففساه ذلك الأمير ثم أمر له الرشيد بالانصراف إلى عمله وودعه ، وكان آخر العهد به .  
وفيها تحرك ثروان الحروري وقتل عامل السلطان بطف البصرة . وفيها قتل الرشيد الهيصم الهيماني . ومات عيسى بن جعفر وهو يريد اللحاق بالرشيد فمات في الطريق . وفيها حج بالناس العباس ابن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور . وفيها توفي :

### اسماعيل بن جامع

ابن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة أبو القاسم ، أحد المشاهير بالفناء ، كان ممن يضرب به المثل ، وقد كان أولاً يحفظ القرآن ثم صار إلى صناعة الفناء وترك القرآن ، وذكر عنه أبو الفرج بن علي بن الحسين صاحب الأغاني حكايات غريبة ، من ذلك أنه قال كنت يوماً مشرفاً من غرفة بمران إذ أقبلت جارية سوداء معها قرابة تستقي الماء ، فجلست ووضعت قربتها واندمت لفتى :

إلى الله أشكو بخلها وسباحتي \* لها عسلٌ مِنِّي وتبذلُ عَلَمتي

فردّني مصابِ القلبِ أنتِ قتلتي \* ولا تتركه هائم القلبِ مغرماً

قال : فسمعت مالا صبر لي عنه ورجوت أن تعيده فقامت وانصرفت ، فنبذت وانطلقت وراءها وسألتها أن تعيده فقالت : إن على خراجاً كل يوم درهمين ، فأعطيتها درهمين فأعادته فحفظته وسلكته يومئذ ، فلما أصبحت أنسيته فأقبلت السوداء فسألتها أن تعيده فلم تفعل إلا بدرهمين ، ثم قالت : كأنك تستكثر أربعة دراهم ، كأنني بك وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار . قال فنسيته ليلة للرشيد فأعطاني ألف دينار ، ثم استعادنيه ثلاث مرات أخرى وأعطاني ثلاثة آلاف دينار ، فبسمت فقال : مم تبسمت ؟ فذكرت له القصة فضحك وألقى إلى كيسه آخر فيه ألف دينار . وقال :

لا أكتب السوداء. وحكى عنسه أيضاً قال : أصبحت يوماً بالمدينة وليس معي إلا ثلاثة دراهم، فاذا جارية على رقبتهما جرة تريد الركي وهي تسمى وتترنم بصوت شجي : -

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا \* فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا  
وذلك لأنَّ النومَ يفتش عيونهم \* سريراً ولا يفتش لنا النومَ أعينا  
إذا ما دنا الليلَ المضرَ بنى الهوى \* جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا  
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلنا \* نلاقى لكانوا في المضاجع مثلنا

قال : فاستمدته منها وأعطيتها الدرهم الثلاثة فقالت : لناخذن بدلها ألف دينار، وألف دينار وألف دينار. فأعطاني الرشيد ثلاثة آلاف دينار في ليلة على ذلك الصوت. وفيها توفي :

بكر بن النطاح أبو وائل الحنفي البصري الشاعر المشهور، نزل بغداد زمن الرشيد، وكان يخاطب أبا العتاهية. قال أبو عمار : أشعر أهل المدل من المحدثين أربعة، أولهم بكر بن النطاح. وقال المبرد : سمعت الحسن بن رجاء يقول اجتمع جماعة من الشعراء ومعهم بكر بن النطاح يقنأشدون، فلما فرغوا من طوالهم أنشد بكر بن النطاح لنفسه :

ما ضرها لو كتبت بالرضى \* لجفت جفنُ العينِ أو انحصا  
شفاعاً مردودةً عندها \* في عاشقٍ يودُّ لو قد قفى  
يانفسَ صبراً واعلى أنما \* ياملُ منها مثلما قد مضى  
لم تمرضِ الأجفانُ من قاتلٍ \* بلحظو إلا لأنَّ أمرضا

قال : فابتدوه يقبلون رأسه. ولما مات رثاه أبو العتاهية فقال :

ماك ابنُ نطاحِ أبو وائلٍ \* بكرٍ فأسمى الشعرُ قد بانا

وفيها توفي بهلول المجنون، كان يأوي إلى مقابر الكوفة، وكان يشكلم بكلمات حسنة، وقد وعظ الرشيد وغيره كما تقدم. وعبد الله بن إدريس.

الأودي الكوفي، سمع الأعمش وابن جريج وشعبة ومالكاً وخلقاً سرام. وروى عنه جماعات من الأئمة، وقد استدعاه الرشيد ليؤديه القضاء فقال : لا أصلح، وامتنع أشد الامتناع، وكان قد سأل قبله وكياً فامتنع أيضاً، فطلب حفص بن غياث فقبل. وأطلق لكل واحد خمسة آلاف عوضاً عن كلمته التي تكلفها في السفر، فلم يقبل وكيع ولا ابن إدريس، وقبل ذلك حفص، فحلف ابن إدريس لا يكلمه أبداً. وحجج الرشيد في بعض السنين فاجتاز بالكوفة ومعه القاضي أبو يوسف والأمين والمأمون، فأمر الرشيد أن يجتمع شيوخ الحديث ليسمعوا ولديه، فاجتمعوا إلا ابن إدريس هذا، وعيسى بن يونس. فركب الأمين والمأمون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من

الشايع إلى ابن إدريس فأصمهما مائة حديث ، فقال له المأمون : يا عم إن أردت أعدتهما من حفظي ، فأذن له فأعدها من حفظه كما سمعها ، فتمعجب لحفظه . ثم أمر له المأمون بمال فلم يقبل منه شيئا ، ثم سارا إلى عيسى بن يونس فسمعا عليه ثم أمر له المأمون بعشرة آلاف فلم يقبلها ، فظن أنه استقلها فأضمنها فقال : والله لو ملأت لي المسجد مالا إلى سقفه ما قبلت منه شيئا على حديث رسول الله (ص) . ولما احتضر ابن إدريس بكت ابنته فقال : علام تبكي ؟ فقد ختمت في هذا البيت أربعة آلاف ختمة .

### صمصمة بن سلام

ويقال ابن عبد الله أبو عبد الله الدهشقي ، ثم تحول إلى الأندلس فاستوطنها في زمن عبد الملك ابن معاوية وابنه هشام ، وهو أول من أدخل علم الحديث ومذهب الأوزاعي إلى بلاد الأندلس ، وولى الصلاة بقرطبة ، وفي أيامه غرست الأشجار بالمسجد الجامع هناك كما يراه الأوزاعي والشاميون ويكرهه مالك وأصحابه . وقد روى عن مالك والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز . وروى عنه جماعة منهم عبد الملك بن حبيب الفقيه ، وذكره في كتاب الفقهاء ، وذكره ابن يونس في تاريخه - تاريخ مصر - والحيدى في تاريخ الأندلس ، وحرر وفاته في هذه السنة . وحكى عن شقيقه ابن حزم أن صمصمة هذا أول من أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس . وقال ابن يونس : أول من أدخل علم الحديث إليها . وذكر أنه توفي قريبا من سنة ثمانين ومائة ، والذي حرره الحيدى في هذه السنة أثبت

### علي بن ظبيان

أبو الحسن العبسي قاضي الشرقية من بغداد ، ولاء الرشيد ذلك . كان ثقة عالما من أصحاب أبي حنيفة ، ثم ولاء الرشيد قضاء القضاة ، وكان الرشيد يخرج معه إذا خرج من عنده ، مات بمومسين في هذه السنة .

### العباس بن الأحنف

ابن الأسود بن طلحة الشاعر المشهور ، كان من عرب خراسان ونشأ ببغداد ، وكان لطيفا ظريفا مقبولا حسن الشعر . قال أبو العباس قال عبد الله بن المعتز : لو قيل لي من أحسن الناس شعرا تعرفه ؟ لقلت العباس : —

قد سحِبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا • وفرَّقَ الناسُ فينا قولهم فرقا  
فكأنبٍ قد رمى بالظنِّ غيركم • وصادقٌ ليسَ يَدري أنه صدقا

وقد طلبه الرشيد ذات ليلة في أثناء الليل فانزعج لذلك وخاف نساؤه ، فلما وقف بين يدي الرشيد قال له : ويحك إنه قد عن لي بيت في جارية لي فأحببت أن تشغمه بمثله ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خفت أعظم من هذه الليلة ، فقال : ولم ؟ فذكر له دخول الحرس عليه في الليل ، ثم جلس حتى سكن روعه ثم قال : ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ فقال :

حناناً قد رأيناها فلم نر مثلها بشراً • يزيدك وجهها حسناً إذا مازدته نظراً  
 فقال الرشيد: زد. فقال:

إذا ما الليل مال عليك بالاطلام مواعتكرا • ودج فلم تر فجراً طبرزها تر قرا  
 فقال: إنا قد رأيناها، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم. ومن شعره الذي أقر له فيه بشار  
 ابن برد وأثبتته في سلك الشعراء بسببه قوله:

أبكي الذين أذاقوني مودتهم • حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا  
 واستمضوني فلما قت منتصباً • بشقل ما حلوني منهم قعدوا  
 وله أيضاً وحديثي يا سعد عنها فردتني • جنونا فزدني من حديثك ياسعد  
 هواها هو لم يدر في القلب غيره • فليس له قبل وليس له بعد

قال الأصمعي: دخلت على النباس بن الأحنف بالبصرة وهو طريح على فراشه يجود بنفسه وهو  
 يقول:  
 يا بيميد الدار عن وطنه • مفرداً يبكي على شجنته  
 كلما جد النحيب به • زادت الأسماء في بدنة  
 ثم أغى عليه ثم اتقه بصوت طائر على شجرة فقال:

ولقد زاد الفؤاد شجاً • هاتفت يبكي على فننه  
 شاقه ما شاقني فبكي • كلنا يبكي على سكنه

قال ثم أغى عليه أخرى فحركته فاذا هو قد مات. قال الصولي: كانت وفاته في هذه السنة،  
 وقيل بعدها، وقيل قبلها في سنة ثمان وثمانين ومائة فاقه أعلم. وزعم بعض المؤرخين أنه بقى بعد  
 الرشيد. عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور

أخو زبيدة، كان نائباً على البصرة في أيام الرشيد فمات في أثناء هذه السنة. وفيها توفي:

## الفضل بن يحيى

ابن خالد بن برمك أخو جعفر وأخوته، كان هو والرشيد يتراضعان. أرضعت الخيزران فضلاً،  
 وأرضعت أم الفضل وهي زبيدة بنت بن بريحه هارون الرشيد. وكانت زبيدة هذه من مولدات بتبين  
 البرية، وقد قال في ذلك بعض الشعراء:

كفي لك فضلاً أن أفضل حرة • غدتك بشدى والغليفة واحدة  
 لقد زنت يحيى في المشاهر كلها • كما زان يحيى خالدآ في المشاهر

قالوا: وكان الفضل أكرم من أخيه جعفر، ولكن كان فيه كبر شديد، وكان عبوساً، وكان  
 جعفر أحسن بشراً منه وأطلق وجهها، وأقل عطاء. وكان الناس إليه أميل، ولكن خصلة الكرم

تمنئ جميع القبائح ، فهي تستر تلك الخصلة التي كانت في الفضل . وقد وهب الفضل لطلبه مائة ألف درهم فمابه أبوه على ذلك ، فقال : يا أبت إن هذا كان يصحبنى في العسر واليسر والعيش والخصن ، واستمر معي في هذا الحال فأحسن صحبتي ، وقد قال بعض الشعراء :

إِنَّ السَّكْرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا • مَنْ كَانَ يَتَادَمُّ فِي الْمَنْزِلِ الْخَلِيشِ

وهب يوماً لبعض الأدياء عشرة آلاف دينار فبكى الرجل فقال له : مم تبكي ، أستهلتها ؟ قال : لا والله ، ولكنني أبكي أن الأرض تأكل مثلك ، أو نواري مثلك .

وقال علي بن الجهم عن أبيه : أصبحت يوماً لا أم لك شيئاً حتى ولا علف الدابة ، فقصدت الفضل ابن يحيى ، فاذا هو قد أقبل من دار الخلافة في موكب من الناس ، فلما رأى رجب بن يحيى : هلم . فسرت معه ، فلما كان ببعض الطريق سمع غلاماً يدعو جارية من داره ، وإذا هو يدعوه باسم جارية له مجها ، فانزعج لذلك وشكا إلى ما لقي من ذلك ، فقالت : أصابك ما أصاب أخى بنى عامر حيث يقول :  
وَدَاعَ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَلِيفِ مِنْ مِئَةٍ • فَهَيَّجَ أَحْرَانَ الْفَوَادِ وَلَا يَدْرِ  
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا وَكَأَنَّمَا • أَطَارَ بَلْبَلَى طَائِرًا كَأَنَّ فِي صَدْرِي

قال : اكتب لي هذين البيتين . قال : فنهبت إلى بقال فرهنت عنده خاتمي على ثمن ورقة وكتبتهما له ، فأخذهما وقال : انطلق راشداً . فرجعت إلى منزلي فقال لي غلامي : هات خاتمك حتى نرهنه على طعام لنا وعلف للدابة ، فقالت : إني رهنته . فما أسيننا حتى أرسل إلى الفضل بثلاثين ألفاً من الذهب ، وعشرة آلاف من الورق ، أجراه على كل شهر ، وأسلفني شهراً .

ودخل على الفضل يوماً بعض الأكارم فأكرمه الفضل وأجلسه معه على السرير ، فشكا إليه الرجل ديناً عليه وسأله أن يكلم في ذلك أمير المؤمنين . فقال : نعم ، وكم دينك ؟ قال ثلاثمائة ألف درهم . فخرج من عنده وهو مهوم اضعف رده عليه ، ثم مال إلى بعض إخوانه فاستراح عنده ثم رجع إلى منزله فاذا المال قد سبغه إلى داره . وما أحسن ما قال فيه بعض الشعراء :

لَكَ الْفَضْلُ يَا فَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ • وَمَا كُلُّ مَنْ يَدْعِي بِفَضْلٍ لَهُ فَضْلٌ

رَأَى اللَّهُ فَضْلًا مِنْكَ فِي النَّاسِ وَأَسْمًا • فَسَمَّاكَ فَضْلًا فَالتَّقَى الْأَسْمُ وَالْفَضْلُ

وقد كان الفضل أكبر رتبة عند الرشيد من جعفر ، وكان جعفر أحظى عند الرشيد منه وأخص . وقد ولي الفضل أعمالاً كباراً ، منها نيابة خراسان وغيرها . ولما قتل الرشيد البرامكة وحبسهم جلد الفضل هذا مائة سوط وخلده في الحبس حتى مات في هذه السنة ، قبل الرشيد بشهر خمسة في الرقة وصلى عليه بالقصر الذي مات فيه أصحابه ، ثم أخرجت جنازته فصلى عليها الناس ، ودفن هناك وله خمس وأربعون سنة ، وكان سبب موته ثقل أصابه في لسانه اشتد به يوم الخميس ويوم الجمعة ، ونوفى

قبل أذان النداء من يوم السبت . قال ابن جرير : وذلك في الحرم من سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقال ابن الجوزي : في سنة ثنتين وتسعين فأنه أعلم .

وقد أطلال ابن خلكان ترجمته وذكر طرفاً صالحاً من محاسنه ومكارمه ، من ذلك أنه ورد بلخ حين كان نائباً على خراسان ، وكان بها بيت النار التي كانت تعبدها الجوس ، وقد كان جده برمك من خدامها ، فهدم بعضه ولم يتمكن من هدمه كله ، لقوة إحكامه ، وبني مكانه مسجداً لله تعالى . وذكر أنه كان يتمثل في السجن بهذه الأبيات ويصيح :

إلى الله فيما نالنا نرفع الشكوى • ففي يدو كشف المصرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها • فلانحن في الأموات فيها ولا الأحياء

إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة • مجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ومحمد بن أمية الشاعر الكاتب ، وهو من بيت كلهم شعراء ، وقد اختلط أشعار بعضهم في بعض

#### ومنصور بن الزرقان

ابن سلمة أبو الفضل الثمري الشاعر ، امتدح الرشيد ، وأصله من الجزيرة وأقام ببغداد ويقال لبدنه معلم الكباش الرخم ، وذلك أنه أضاف قوماً لمعلم الرخم بحوم حوهم ، فأمر بكباش يذبح للرخم حتى لا يتأذى بها ضيفانه ، ففعل له ذلك . فقال الشاعر فيه :

أبرك زعيم بن قاسط • وخالك ذو الكباش يذني الرخم

وله أشعار حسنة ، وكان يروى عن كلثوم بن عمرو ، وكان شيخه الذي أخذ عنه الفناء .

#### يوسف بن القاضي أبي يوسف

سمع الحديث من السري بن يحيى وبنس بن أبي إسحاق ، ونظر في الرأي وفقه ، وولى قضاء الجانب الشرقي ببغداد في حياة أبيه أبي يوسف ، وصلى بالناس الجمعة بجامع المنصور عن أمر الرشيد . توفى في رجب من هذه السنة وهو قاض ببغداد .

#### ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

قال ابن جرير : في الحرم منها توفى الفضل بن يحيى ، وقال ابن الجوزي توفى الفضل في سنة ثنتين وتسعين كما تقدم . وما قاله ابن جرير أقرب . قال : وفيها توفى سعيد الجوهري ، قال : وفيها وأفي الرشيد جرجان وانتهت إليه خزائن علي بن عيسى تجعل على ألف وخمسمائة بدير ، وذلك في صفر منها ، ثم تحول منها إلى طوس وهو عليل ، فلم يزل بها حتى كانت وفاته فيها . وفيها تواقع هرمة نائب العراق هو ورافع بن الليث فكسره هرمة وافتتح بخاري وأسر أخاه بشير بن الليث ، فبعثه إلى الرشيد وهو بطوس قد ثقل عن السير ، فلما وقف بين يديه شرع يترقق له فلم يقبل منه ، بل قال :



والله لو لم يبق من عمرى إلا أن أحرك شفتى بفتلك لفتلتك ، ثم دعا بقصاب فجزأه بين يديه أربعة عشر عضواً ، ثم رفع الرشيد يديه إلى السماء يدعو الله أن يمكنه من أخيه رافع كما يمكنه من أخيه بشرى .

## وفاة الرشيد

كان قد رأى وهو بالكوفة رؤيا أفزعته وغم ذلك ، فدخل عليه جبريل بن مجتهد شوع فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيت كفا فيها تربة حراء خرجت من تحت سريرى وقائلا يقول : هذه تربة هارون . فهون عليه جبريل أمرها وقال : هذه من أضغاث الأحلام من حديث النفس ، فتناسها يا أمير المؤمنين . فلما سار يريد خراسان ومر بطوس واعتقلته الملة بها ، ذكر رؤياه فماله ذلك وقال لجبريل : ويحك ! أما تذكر ما قصصته عليك من الرؤيا ؟ فقال : بلى . فدعا مسروراً الخادم وقال : اتنى بشئ من تربة هذه الأرض ، فجاءه بتربة حراء فى يده ، فلما رآها قال : والله هذه الكف التى رأيت ، والتربة التى كانت فيها . قال جبريل : فوالله ما أتت عليه ثلاث حتى توفى ، وقد أمر بحفر قبره قبل موته فى الدار التى كان فيها ، وهى دار حميد بن أبى غانم الطائى ، فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول : يا ابن آدم تصير إلى هنا . ثم أمر أن يقرأوا القرآن فى قبره ، فقرءوه حتى ختموه وهو فى محفة على شفير القبر . ولما حضرته الوفاة احتجى بملاءة وجلس يقامى سكرات الموت ، فقال له بعض من حضر : لو اضطجعت كان أهون عليك . فضحك ضحكا صحيحاً ثم قال : أما سمعت قول الشاعر :

وإني من قوم كرام يزيدهم • شماساً وصبراً شدة الحدائير

مات ليلة السبت ، وقيل ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، سن خمس ، وقيل سبع وأربعين سنة . وكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة .

وهذه ترجمته

هو هارون الرشيد أمير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشى الهاشمى ، أبو محمد ، ويقال أبو جعفر . وأمه الخيزران أم ولد . كان مولده فى شوال سنة ست وقيل سبع ، وقيل ثمان وأربعين ومائة ، وقيل إنه ولد سنة خمسين ومائة ، ويبيع له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادى فى ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، بعهد من أبيه المهدي . روى الحديث عن أبيه وجده ، وحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن بن أنس بن مالك أن رسول الله ص . قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » . أورده وهو على المنبر وهو يخطب الناس ، وقد حدث عنه ابنه وسليمان الهاشمى والد إسحاق ، ونباتة بن عمرو . وكان الرشيد أبيض طويلاً سميناً جميلاً ، وقد غزا الصائفة فى حياة أبيه مراراً ، وعقد الهدنة بين المسلمين والروم بعد محاصرته القسطنطينية ، وقد لقي المسلمون . ذلك جهماً آجهداً وخوفاً شديداً ، وكان

الصلح مع امرأة ليون وهي الملقبة بأغسطه على حمل كثير تبذله للمسلمين في كل عام ، ففرح المسلمون  
ببنتك ، وكان هذا هو الذي حدا أباه على البيعة له بعد أخيه في سنة ست وستين ومائة ، ثم لما أفضت  
إليه الخلافة في سنة سبعين كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزوا وحجا ، ولهذا قال فيه أبو  
السعدي :  
فمن يطلب لقاءك أو يرده \* فبالحرمين أو أقصى الثغور  
ففي أرض العدو على طمر \* وفي أرض الترفه فوق كور  
وما حار الثغور سواك خلقه \* من المتخلفين على الأمور

وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم ، وإذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم  
وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السابقة والكسوة التامة ، وكان يحب التشبه بجده أبي جعفر المنصور  
إلا في العطاء ، فإنه كان سريع العطاء جزيله ، وكان يحب الفقهاء والشعراء ويعطيهم ، ولا يضيع لديه  
بر ومعرفة ، وكان نقش خاتمه لا إله إلا الله . وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة تطوعا ، إلى أن فارق  
الدنيا ، إلا أن تعرض له علة ، وكان ابن أبي مريم هو الذي يضحكه ، وكان عنده فضيلة بأخبار الحجاز  
وغيرها ، وكان الرشيد قد أنزله في قصره وخلطه بأهله . نبه الرشيد يوماً إلى صلاة الصبح فقام  
فتوضأ ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ [ وما لي لا أعبد الذي فطرني ] فقال ابن أبي مريم : لا أدرى والله .  
فضحك الرشيد وقطع الصلاة ، ثم أقبل عليه وقال : ويحك اجتنب الصلاة والقرآن وقل فيها عدا  
ذاك . ودخل يوماً العباس بن محمد على الرشيد ومعه برنية من فضة فيها غالية من أحسن الطيب ،  
فجعل يمدحها ويزيد في شكرها ، وسأل من الرشيد أن يقبلها منه فقبلها فاستوهبها منه ابن أبي مريم  
فوهبها له ، فقال له العباس : ويحك اجئت بشئ منعته نفسي وأهلي وآترت به أمير المؤمنين سيدي  
فأخذته . فحلف ابن أبي مريم ليطيبين به استه ، ثم أخذ منها شيئاً فطلى به استه ودهن جوارحه كلها  
منها ، والرشيد لا يتمالك نفسه من الضحك . ثم قال لخدام قائم عندهم يقال له خاقان : اطلب لي  
غلامي . فقال الرشيد : ادع له غلامه . فقال له : خذ هذه الغالية واذهب بها إلى ستك فرها  
فلتطيب منها إستها حتى أرجع إليها فأنيكها . فذهب الضحك بالرشيد كل منذهب ، ثم أقبل ابن  
أبي مريم على العباس بن محمد فقال له : جئت بهذه الغالية تمدحها عند أمير المؤمنين الذي ما تمطر  
السما شيئاً ولا تلبت الأرض شيئاً إلا وهو تحت تصرفه وفي يده ؟ وأعجب من هذا أن قيل لملك  
الموت : ما أمرك به هذا فأفنده . وأنت تمدح هذه الغالية عنده كأنه يقال أو خباز أو طباخ أو تمار ،  
فكاد الرشيد يهلك من شدة الضحك . ثم أمر لابن أبي مريم بمائة ألف درهم .

وقد شرب الرشيد يوماً دواء فسأله ابن أبي مريم أن يلى الحجابة في هذا اليوم ، ومهما حصل له  
كان بينه وبين أمير المؤمنين ، فولاه الحجابة ، فجاءت الرسل بالهدايا من كل جانب ، من عند زبيدة

والبرامكة وكبار الأمراء ، وكان حاصله في هذا اليوم ستين ألف دينار ، فسأله الرشيد في اليوم الثاني عما تحصل فأخبره بذلك ، فقال له : فأين نصيبي ؟ فقال ابن أبي مرزوق : قد صالحتك عليه بعشرة آلاف تنفحة .

وقد استدعى إليه أبا معاوية الضرير محمد بن حازم ليسمع منه الحديث قال أبو معاوية : ماذا كنت عنده حديثاً إلا قال صلى الله وسلم على سيدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبيل الزرى ، وأكلت عنده يوماً ثم قلت لأغسل يدي فصب الماء على وأنا لا أراه . ثم قال : يا أبا معاوية أتدرى من يصب عليك الماء ؟ قلت : لا . قال : يصب عليك أمير المؤمنين . قال أبو معاوية : فدعوت له ، فقال : إنما أردت أعظم العلم . وحديثه أبو معاوية يوماً عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بمحدث احتجاج آدم وموسى ، فقال عم الرشيد : أين التقيا يا أبا معاوية ؟ فنصّب الرشيد من ذلك غضباً شديداً ، وقال : أتمرض على الحديث ؟ على بالنطع والسيوف ، فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشفون فيه فقال الرشيد : هذه زندقة . ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من أتى إليه هذا ، فأقسم عمه بالآيمان المأظفة ما قال هذا له أحد ، وإيما كانت هذه الكلمة بادرة منى وأنا أستغفر الله وأتوب إليه منها . فأطلقه .

وقال بعضهم : دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول ، فقال الرشيد : قتلته لأنه قال القرآن مخلوق ، فقتله على ذلك قرابة إلى الله عز وجل . وقال بعض أهل العلم : يا أمير المؤمنين انظر هؤلاء الذين يحبون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فأكرمهم بمن سلطانك ، فقال الرشيد : أولست كذلك ؟ أنا والله كذلك أحبهما وأحب من يحبهما وأعاقب من يبغضهما . وقال له ابن السماك : إن الله لم يجعل أحداً فوقك فاجتهد أن لا يكون فيهم أحد أطوع إلى الله منك . فقال : لئن كنت أقصرت في الكلام لقد أبلغت في الموعظة .

وقال له الفضيل بن عياض - أو غيره - إن الله لم يجعل أحداً من هؤلاء فوقك في الدنيا ، فاجهد نفسك أن لا يكون أحد منهم فوقك في الآخرة ، فأكده لنفسك وأعملها في طاعة ربك . ودخل عليه ابن السماك يوماً فاستسقى الرشيد فأنى بقلة فيها ماء مبرد فقال لابن السماك : عظاني . فقال : يا أمير المؤمنين ! بك كنت مشترياً هذه الشرية لو منعتها ؟ فقال : بنصف ملكي . فقال : اشرب هنيئاً ، فلما شرب قال : أرايت لو منعت خر وجها من بذلك بك كنت تشتري ذلك ؟ قال بنصف ملكي الآخر . فقال : إن ملكاً قيمة نصفه شرية ماء ، وقيمة نصفه الآخر بولة ، فخلق أن لا يتنافس فيه . فبكى هارون .

وقال ابن قتيبة : ثنا الرياشي سمعت الأصمعي يقول : دخلت على الرشيد وهو يقلم أطفاله يوم الجمعة فقات له في ذلك فقال : أخذ الأطفال يوم الخميس من السنة ، وبلغني أن أخذها يوم الجمعة ينفي الفقر . فقلت : يا أمير المؤمنين أو تخشى الفقر ؟ فقال : يا أصمعي وهل أحد أخشى للفقر مني ؟ . وروى ابن عساکر عن إبراهيم المهدي قال : كنت يوماً عند الرشيد فدعا طبائخه فقال : أعندك في الطعام لحم جزور ؟ قال : نعم ، ألوان منه . فقال : أحضره مع الطعام فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضعا في فيه فضحك جعفر البرمكي ، فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال : مم تضحك ؟ قال : لا شيء يا أمير المؤمنين ، ذكرت كلاماً بيني وبين جاريتي البارحة . فقال له : بحق عليك لما أخبرتني به . قال : حق تأكل هذه اللقمة ، فألقاها من فيه وقال : والله لتخبرني . فقال : يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك ؟ قال : بأربعة دراهم . قال : لا والله ، يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنك طلبت من طبائخك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده ، فقلت : لا يخلون المطبخ من لحم جزور ، فنحن نتحر كل يوم جزوراً لأجل مطبخ أمير المؤمنين ، لأننا لا نشترى من السرقة لحم جزور . فصرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف درهم ، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا هذا اليوم . قال جعفر : فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة . فهي على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف

قال : فبكى الرشيد بكاء شديداً وأمر برفع السباط من بين يديه ، وأقبل على نفسه يبجها ويقول : هلكت والله يا هارون . ولم يزل يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة الظهر ، فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة العصر ، وقد أمر بألفي ألف تصرف إلى فقراء الحرمين في كل حرم ألف ألف صدقة ، وأمر بألفي ألف يتصدق بها في جانبي بغداد الغربي والشرقي ، وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة . ثم خرج إلى صلاة العصر ثم رجع يبكي حتى صلى المغرب ، ثم رجع ، فدخل عليه أبو يوسف القاضي فقال : ما شأنك يا أمير المؤمنين يا كيا في هذا اليوم ؟ فذكر أمره وما صرف من المال الجزيل لأجل شهوته ، وإتمامه منها لقمة . فقال أبو يوسف لجعفر : هل كان ما تنبؤونه من الجزور يفسد ، أو يأكله الناس ؟ قال : بل يأكله الناس . فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المسال الذي أكله المسلمون في الأيام الماضية ، وبما يسره الله عليك من الصدقة ، وبما رزقك الله من خشيته وخوفه في هذا اليوم ، وقد قال تعالى [ ولئن خاف مقام ربه جناناً ] . فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف . ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم هشاه .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : اجتمع للرشيدي من الجسد والهزل ما لم يجتمع لغيره من بدمه ، كان أبو يوسف قاضيه ، والبرامكة وزراءه ، وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس وأشدهم تعاضدا ، وندبه عمر بن العباس بن محمد صاحب العباسية . وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ومغنيه إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته ، ومضحكه ابن أبي مریم ، وزامره برصوما . وزوجته أم جعفر - یعنی زبيدة - وكانت أرغب الناس في كل خير وأسرعهم إلى كل بر ومعرف ، أدخلت الماء الحرم بمد امتناعه من ذلك ، إلى أشياء من المعروف أجزاها الله على يدها .

وروى الخطيب البغدادي أن الرشيد كان يقول : إنا من قوم عظمت رزيتهم ، وحسنت بمتهمهم ، ورفنا رسول الله (ص) ، وبقيت فينا خلافة الله . وبينما الرشيد يطوف يوماً بالبيت إذ عرض له رجل فقال : يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلك بكلام فيه غلظة ، فقال لا ولا نعمت عين قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره أن يقول له قولاً لينا . وعن شعيب بن حرب قال : رأيت الرشيد في طريق مكة فقلت في نفسي : قد وجب عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففوتني فقالت : إنه الآن يضرب عنقك . فقلت : لا بد من ذلك ، فناديته فقلت : يا هارون اقد أتعبت الأمة والبهائم . فقال : خذوه . فأدخلت عليه وفي يده لت من حديد يلعب به وهو جالس على كرسي ، فقال : ممن الرجل ؟ فقلت : رجل من المسلمين . فقال شكلك أك من أنت ؟ فقلت : من الأنبار . فقال : ما حملك على أن دعوتني باسمي ؟ قال : فخطر ببالي شيء لم يخطر قبل ذلك ، فقلت : أنا أدعو الله باسمه يا الله ، أفلا أدعوك باسمك ؟ وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه بأسمائهم : يا آدم ، يا نوح ، يا هود ، يا صالح ، يا إبراهيم ، يا موسى يا عيسى ، يا محمد ، وكفى أفض خلقه إليه فقال : ثبت يدا أبي لهب . فقال الرشيد : أخرجوه أخرجوه .

وقال له ابن السماك يوماً : إنك تموت وحدك ، وتدخل القبر وحدك ، وتبعث منه وحدك ، فأحذر المقام بين يدي الله عز وجل ، والوقوف بين الجنة والنار ، حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم ، ويقع الندم ، فلا توبة تقبل ، ولا عثرة تقال ، ولا يقبل فداء بمال . فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته فقال يحيى بن خالد له : يا ابن السماك لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة . فقام فخرج من عنده وهو يبكي . وقال له الفضيل بن عياض - في كلام كثير ليلية وعظيمة - : يا صبيح الوجه إنك مسؤل عن هؤلاء كلمهم ، وقد قال تعالى [ وتقطع بهم الأسباب ] قال حينئذنا ليث عن مجاهد : الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا . فبكي حتى جعل يشق . وقال الفضيل : استدعاني الرشيد يوماً وقد زخر في منزله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها ، ثم استدعني أبا العتاهية فقال له : صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال : -

عِشْ مَا بَدَأَ لَكَ سَالِمًا \* فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ  
تَسْمَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَمِي \* مَتَّ لَدَى الرُّوَّاحِ إِلَى الْبُكُورِ  
فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَمَّقَتْ \* عَنْ ضَيْقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ  
فَإِنَّكَ نَعْلَمُ مَوْفِقًا \* مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ  
قال : فبكى الرشيد بكاءً كثيراً شديداً . فقال له الفضل بن يحيى : دعاك أمير المؤمنين تسمر ، فأحزنته ؟ فقال له الرشيد : دعه فإنه رأى في عمى فكره أن يزيدنا عمى . ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبي العتاهية : عطفني بأبيات من الشعر وأوجز فقال : -

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي ظَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ \* وَلَوْ تَمَتَّتَ بِالْحِجَابِ وَالْحَرَسِ  
وَاعْلَمْ أَنَّ سَهَامَ الْمَوْتِ صَائِبَةٌ \* لِكُلِّ مَدْرَعٍ مِنْهَا وَمَسْتَرَسٍ \*  
تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا \* إِنَّ الشَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ  
قال : نغر الرشيد مغشياً عليه . وقد حبس الرشيد مرة أبا العتاهية وأرصد عليه من يأتيه بما يقول ، فكتب مرة على جدار الحبس :

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شَوْمٌ \* وَمَا زَالَ الْمَسِيُّ هُوَ الظُّلْمُ  
إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمَضَى \* وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ  
قال : فاستدعاه واستجدها في حل ووهبه ألف دينار وأطلقه . وقال الحسن بن أبي الفهم : ثنا محمد بن عباد عن سفيان بن عيينة قال : دخلت على الرشيد فقال : ما خبرك ؟ فقلت :  
بِئْسَ اللَّهُ مَا تَخْفَى الْبُيُوتُ \* فَقَدْ طَالَ التَّحْمَلُ وَالسُّكُوتُ  
فقال : يا فلان مائة ألف لابن عيينة تغنيه وتنفى عقبه ، ولا تضر الرشيد شيئاً . وقال الأصمعي كنت مع الرشيد في الحج فرزنا بوا . فإذا على شفيره امرأة حسناء بين يديها قصعة وهي تسال منها وهي تقول : -

طَطَّحْتُنَا طَطَّحَ الْأَعْوَامِ \* وَرَمْتَنَا حَوَادِثَ الْأَيَّامِ  
فَأَتَيْنَاكُمْ نَمْدُكُمْ أَكْفًا \* نَائِلَاتِ لَزَادِكُمْ وَالطُّلَامِ  
فَاطْلُبُوا الْأَجْرَ وَالْمُنُوبَةَ فَيُنَا \* أَيُّهَا الزَّارُونَ بَيْتَ الْحَرَامِ  
مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى وَرَحَلِي \* فَارْحَمْنَا غَرِيبِي وَذَلَّ مَقَامِي  
قال الأصمعي : فذهبت إلى الرشيد فأخبرته بأمرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحما وبكى وأمر مسروراً الخادم أن يسلاً قصعتها ذهباً ، فسلاًها حتى جعلت تفيض يمينا وشمالاً . وسمع مرة الرشيد أعرابياً يحدو إبله في طريق الحج :

أبها المجمعُ هماً لاسهم \* أنتَ تقضي ولكَ الحمى نحم  
كيفَ ترقبك وقد جفَّ العلمُ \* حطتِ الصَّحَّةُ مِنكُ والسَّقمُ

فقال الرشيد لبعض خدمه : ما معك ؟ قال : أر بهائة دينار ، فقال : ادفعها إلى هذا الأعرابي .

فلما قبضها ضرب رقبته بيده على كتفه وقال متمثلاً :

وكننت جليسَ قمعاق بن عمرو \* ولا يشقُّ بقمعاق جليسُ

فأمر الرشيد بعض الخدم أن يعطى المشتمل ما معه من الذهب فاذا معه مائتا دينار . قال أبو عبيد  
إن [ أصل ] هذا المثل أن معاوية بن أبي سفيان أهديت له هدية جامات من ذهب فرقها على  
جسائه وإلى جانبه قمعاق بن عمرو ، وإلى جانب القمعاق أعرابي لم يفضل له منها شيء . فأطرق  
الأعرابي حياءً فدفع إليه القمعاق الجمام الذي حصل له ، فتمض الأعرابي وهو يقول وكنت جليس  
قمعاق بن عمرو إلى آخره .

وخرج الرشيد يوماً من عنده زبيدة وهو يضحك فقيل له مم أضحك يا أمير المؤمنين ؟ فقال :  
دخلت اليوم إلى هذه المرأة - يعني زبيدة - فأقلت عندها وبت ، فما استيقظت إلا على صوت  
ذهب يصب ، قالوا : هذه ثلثمائة ألف دينار قدمت من مصر ، فقالت زبيدة : هبهالي يا ابن عم ،  
فقلت : هي لك ، ثم ماخرجت حتى عر بدت على وقالت : أي خير رأيته منك ؟ وقال الرشيد مرة  
للفضل الضبي : ما أحسن ما قيل في الذئب ، ولك هذا الخاتم ، وشرأوه ألف وستمائة دينار ، فأنشد  
قول الشاعر :  
ينامُ بإحدى مقلتيه ويتقي \* بأخرى الرزايا فهو يقظان نائم  
فقال : ما قلت هذا إلا لتسلبنا الخاتم . ثم ألقاه إليه فبعثت زبيدة فاشترته منه بألف وستمائة  
دينار ، وبعثت به إلى الرشيد وقالت : إنى رأيتك ممججاً به . فرده إلى الفضل والدنانير ، وقال :  
ما كنا نهب شيئاً ونرجع فيه .

وقال الرشيد يوماً للعباس بن الأحنف : أي بيت قالت العرب أرق ؟ فقال : قول جميل في بثينة :

ألا ليُفني أعمى أصمُّ تَوَدُّني \* بُثَيْنَةُ لا يخفي عليَّ كلامها

فقال له الرشيد : أرق منه قولك في مثل هذا :

طافَ الهوى في عبادِ الله كأنهم \* حتى إذا مرَّ بي من بينهم وقفا

فقال له العباس : فقولك يا أمير المؤمنين أرق من هذا كله :

أما يكفيكِ أنكِ تملِكيني \* وأنَّ الناسَ كلَّهم عبيدي

وأنك لو قطعت يدي ورجلي \* لقلتُ من الهوى أحسنتُ زيدي

قال : فضحك الرشيد وأعجبه ذلك . ومن شعر الرشيد في ثلاث حظيات كن عنده من الخواص

قوله • ملك الثلاث الناشآت هناك • وحقق من قلبه بكل مكان  
 مالي تطاردهني البرية كلها • وأطيهن ومن في عصباني  
 ماذا إلا أن سلطان الهوى • وبه قوين أهر من سلطاني  
 وبما أورد له صاحب المقدي كتابه :

تبدى الصدود ونفى الحب عاشقة • فالنفس راضية والطرف غصباك

وذكر ابن جرير وغيره أنه كان في دار الرشيد من الجوارى والحطايا وخدمته وخدمته زوجته  
 وأخواته أربعة آلاف جارية ، وأثنى حضرة يوما بين يديه ففتته المطربات منهن فطرب جدآ ،  
 وأمر بمال فنتر عليهن . وكان يبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم في ذلك اليوم .  
 رواه ابن عساکر أيضا

وروى أنه اشترى جارية من المدينة فأحبها جدا فأمر باحضار موالها ومن يلوذ بهم ليفض  
 حوائجهم ، فقدموا عليه بثلاثين نفسا فأمر الحاجب - وهو الفضل بن الربيع - أن ينلقاهم ويكتب  
 حوائجهم ، فكان منهم رجل قد ألام بالمدينة لأنه كان يهوى تلك الجارية ، فبعت إليه فأنى به فقال  
 له الفضل : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يجلس أمير المؤمنين مع فلانة فأشرب ثلاثة أرطال من  
 خمر ، وتفتني ثلاثة أصوات . فقال : أجهنون أنت فقال : لا ولكن اعرض هذه على  
 أمير المؤمنين . فذكر الرشيد ذلك فأمر باحضاره وأن يجلس معه الجارية بحيث ينظر إليهما ولا يربانه

فجلست على كرسى والخدم بين يديها ، وأجلس على كرسى فاشرب رطلا وقال لها قننى

خليلي قويا بارك الله فيك • وإن لم تكن هند بأرضك قدما

وقولا لما ليس الضلال أجارنا • وولكننا جزنا لنفناكم قدما

غدا يكثر البادون منا ومنكم • ونزداد داري من دياركم أضما

قال : فنتت ثم استمطه الخدم فاشرب رطلا آخر ، وقال : غنى جملت فملاك :

تكلم منافي الوجور هبونا • فنحن سكوت والهوى ينكلم

ونفضب أحيانا ونرضى بطرفنا • بوذك فبا بيننا ليس يعلم

قال : فنتت : ثم شرب رطلا ثالثا وقال : غنى جللى الله فملاك :

أحسن ما كنا نترقنا • وخالنا المعر وما خنا

فليت فبا المعر لنا مرة • علف لنا يوما كما كنا

قال ثم قام الشب إلى درجة هناك ثم ألقى نفسه من أعلاها على أم رأسه فقت . فقال الرشيد :

هل العن ، والله لم يسجل له فيها له .



وفضائل الرشيد وكماله كثيرة جداً . قد ذكر الأئمة من ذلك شيئاً كثيراً فذكرنا منه أمثلة ذجا صالحا . وقد كان الفضيل بن عياض يقول : ليس موت أحد أعز علينا ، من موت الرشيد ، لما تخوف بدمه من الحوادث ، وإني لأدعو الله أن يزيد في عمره من عمرى قالوا : فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات ، وظهر القول بخناق القرآن ، فمرنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك . وقد تقدمت رؤياه لذلك الكف وتلك التربة الحمراء وقائل يقول : هذه تربة أمير المؤمنين فكان موته بطوس . وقد روى ابن عساكر أن الرشيد رأى في منامه قائلاً يقول : كأني بهذا القصر قد باد أهله . الشمر إلى آخره .

وقد تقدم أن ذلك إنما رآه أخوه موسى الهادي . وأبوه محمد المهدي طاب الله أعلم . وقد سنا أنه أمر بمغفر قبره في حياته ، وأن تقرأ فيه ختمه تامة ، وحمل حتى نظر إليه فجعل يقول : إلى هنا تصير يا ابن آدم . ويبكى ، وأمر أن يوسع منسده صدره وأن يمد من عند رجله ، ثم جعل يقول : [ ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيته ] ويبكى . وقيل : إنه لما احتضر قال : اللهم اغفر لنا بالاحسان ، واغفر لنا الاساءة ، يا من لا يموت ارحم من يموت . وكان مرضه بالدم ، وقيل بالسل ، وجبريل الطبيب يكتم ما به من الدلة ، فأمر الرشيد رجلاً أن يأخذ ماءه في قارورة وينهب به إلى جبريل فيريه إياه ، ولا يذكر له بول من هو ، فان سأله قال : هو بول مريض عندنا . فلما رآه جبريل قال لرجل عنده : هذا مثل ماء ذلك الرجل . ففهم صاحب القارورة من عنى به ، فقال له : بالله عليك أخبرني عن حال صاحب هذا الماء . فان لى عليه مالا ، فان كان به رجاء وإلا أخذت مالى منه . فقال : اذهب فتخلص منه فانه لا يدبش إلا أياما . فلما جاء وأخبر الرشيد بمث إلى جبريل فتغيب حتى مات الرشيد . وقد قال الرشيد وهو في هذه الحال :

إني بطوس مقيم \* مالى بطوس حميم \* أرجو إلهي لما بي \* فانه بي رحيم  
لقد أتى بي طوساً \* قضاؤه . الختم \* وليس إلا رضائي \* والصبر والتسليم

مات بطوس يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل إنه توفي في جمادى الأولى ، وقيل في ربيع الأول ، وله من العمر خمس ، وقيل سبع ، وقيل ثمان وأربعون سنة . ومدته خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية عشر يوماً . وقيل ثلاثة أشهر . وصلى عليه ابنه صالح ودفن بقرية من قرى طوس يقال لها سناباذ . وقال بعضهم : قرأت على خيام الرشيد بسناباذ والناس منصورون من طوس من بعد موته .

منازل المسكر معمورة \* \* والمنزل الأعظم مهجور  
خليفة الله بدار البلى \* تسمى على أجدانه المور

أقبلت العيرُ تباهى به \* وانصرفت تندبه العيرُ

وقد رثاه أبو الشيص فقال :

غربت في الشرقِ شمسه \* فلها العينان تدمع

ما رأينا قطاً شمساً \* غربت من حيث تطلع

وقد رثاه الشعراء بقصائد . قال ابن الجوزي : وقد خلف الرشيد من الميراث ما لم يخلفه أحد من الخلفاء ، خلف من الجواهر والأثاث والأمتعة سوى الضياع والدور ما قيمته مائة ألف ألف دينار ، وخمسة وثلاثون ألف دينار . قال ابن جرير : وكان في بيت المال سبعمائة ألف ألف ونيف .

### ذكر زوجاته وبنيه وبناته

تزوج أم جعفر زبيدة بنت عمه جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وتزوجها في سنة خمس وستين ومائة في حياة أبيه المهدي ، فولدت له محمداً الأمين . وماتت زبيدة في سنة ست عشرة ومائتين كما سيأتي . وتزوج [ أمة العزيز ] أم ولد كانت لأخيه موسى الهادي فولدت له علي بن الرشيد . وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين ، والعباسة بنت عمه سليمان بن أبي جعفر فزفتا إليه في ليلة واحدة سنة سبع وثمانين ومائة بالرقعة ، وتزوج عزيزة بنت الغطريف ، وهي بنت خاله أخي أمه الخيزران ، وتزوج ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العثمانية ، ويقال لها الجرشية ، لأنها ولدت بجرش باليمن . وتوفى عن أربع : زبيدة ، وعباسة ، وابنة صالح ، والعثمانية هذه . وأما الخطايا من الجوار فكثير جداً حتى قال بعضهم : إنه كان في داره أربعة آلاف جارية سرارى حسان . وأما أولاده المذكور فمحمد الأمين بن زبيدة ، وعبد الله المأمون من جارية اسمها مراحل ، ومحمد أبو إسحاق المعتصم من أم ولد يقال لها ماردة ، والقاسم المؤمن من جارية يقال لها قصف . وعلى أمه أمة العزيز . وصالح من جارية اسمها رثم . ومحمد أبو يعقوب . ومحمد أبو عيسى . ومحمد أبو العباس . ومحمد أبو علي كل هؤلاء من أمهات أولاد . وكان من الإناث سكينه من قصف . وأم حبيب من ماردة . وأروى . وأم الحسن . وأم محمد وهي حمدونة وفاطمة وأمها غصص . وأم سلمة . وخديجة . وأم القاسم رملة . وأم علي . وأم الغالية . وريطة كلهن من أمهات أولاد .

### خلفته محمد الأمين

لما توفى الرشيد بطوس في جمادى الآخرة من هذه السنة - أعنى سنة ثلاث وتسعين ومائة كتب صالح بن الرشيد إلى أخيه ولي العهد من بعد أبيه محمد الأمين بن زبيدة وهو ببغداد يعلمه ب وفاة أبيه ويعزيه فيه ، فوصل الكتاب صهبة رجاء الخادم ومعنه الخاتم والقضيب والبردة ، يوم

الحميس الرابع عشر من جمادى الآخرة ، فركب الأمين من قصره الخلد إلى قصر أبي جعفر المنصور - وهو قصر الذهب - على شط بغداد ، فعلى بالناس ثم صد المنبر فخطبهم وعزام في الرشيد ، وبسط آمال الناس ووعدهم الخير . فبايعة الخواص من قومه ووجوه بني هاشم والأمراء ، وأمر بصرف أعطيات الجند عن سنتين ، ثم نزل وأمر عمه سلیمان بن جعفر أن يأخذ له البيعة من بقية الناس فلما انتظم أمر الأمين واستقام حاله حسده أخوه المأمون ووقع الخلف بينهما على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

## اختلاف الأمين والرشيد

كان السبب في ذلك أن الرشيد لما وصل إلى أول بلاد خراسان وهب جميع ما فيها من الخواص والدواب والسلاح لولده المأمون ، وجدد له البيعة ، وكان الأمين قد بعث بكر بن المتمر بكتب في خفية ليوصلها إلى الأمراء إذا مات الرشيد ، فلما توفى الرشيد نفذت الكتب إلى الأمراء وإلى صالح بن الرشيد ، وفيها كتاب إلى المأمون يأمره بالسمع والطاعة ، فأخذ صالح البيعة من الناس إلى الأمين ، وأرسل الفضل بن الربيع بالجيش إلى بغداد وقد بقى في نفوسهم ترحم من البيعة التي أخذت للمأمون ، وكتب إليهم المأمون يدعوهم إلى بيعته فلم يجيبوه ، ففرقت الوحشة بين الآخرين ، ولكن تحول عامة الجيش إلى الأمين ، فمند ذلك كتب المأمون إلى أخيه الأمين بالسمع والطاعة والتمظيم ، وبعث إليه من هدايا خراسان وتمجها من الدواب والمسك وغير ذلك ، وهو نائب عليها ، وقد أمر الأمين في صبيحة يوم السبت بعد أخذ البيعة يوم الجمعة ببناء ميدانين للصيد ، فقال في ذلك بعض الشعراء : -

بني أمينٌ اللهُ ميدانا \* وصيرَ الساحةَ بستانا

وكانت الفزلاَنُ فير بانا \* يهدى إليه فيه غزلانا

وفي شعبان من هذه السنة قدمت زبيدة من الرقة بالخزائن وما كان عندها من التحف والتماش من الرشيد ، فنلقاها ولدها الأمين إلى الأنبار ومعه وجوه الناس . وأقر الأمين أخاه المأمون على ما تحت يده من بلاد خراسان والرى وغير ذلك ، وأقر أخاه القاسم على الجزيرة والثغور ، وأقر عمال أبيه على البلاد إلا القليل منهم .

وفيها مات تقفور ملك الروم ، قتله البرجان ، وكان ملكه تسع سنين ، وأقام بعده ولده استبراق شهرين فمات ، فملكهم ميخائيل زوج أخت تقفور لعنهم الله . وفيها تواقع هرثمة نائب خراسان ورافع ابن الليث فاستجاش رافع بالترك ثم هربوا وبقى رافع وحده فضعف أمره . وحج بالناس نائب الحجاز داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي . وفيها توفى :

### إسماعيل بن علي

وهو من أئمة العلماء والمحدثين الرفقاء ، روى عنه الشافعي وأحمد بن حنبل ، وقد ولي المظالم ببغداد ، وكان ناظر الصدقات بالبصرة ، وكان ثقة نبيلاً جليلاً كبيراً ، وكان قليل التبسّم وكان يتجر في البرز وينفق على عياله منه ويحج منه ، ويبر أصحابه منه مثل السفينيين وغيرهما ، وقد ولاه الرشيد القضاء فلما بلغ ابن المبارك أنه تولى القضاء كتب إليه يلوّمه نظماً ونثراً ، فاستفى ابن علي من القضاء فأعفاه . وكانت وفاته في ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن في مقابر عبد الله بن مالك وفيها مات :

### محمد بن جعفر

الملقب بغندر . روى عن شعبة وسعيد بن أبي عروبة وعن خلق كثير ، وعنه جماعة منهم أحمد بن حنبل ، وكان ثقة جليلاً حافظاً متقناً . وقد ذكر عنه حكايات تدل على تفغيله في أمور الدنيا ، كانت وفاته بالبصرة في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . وقد لقب بهذا اللقب جماعة من المتقدمين والمتأخرين . وفيها توفي :

### أبو بكر بن العياش

أحد الأئمة ، سمع أبا إسحاق السببي والأعمش وهشام وهمام بن عروة وجماعة . وحدث عنه خلق منهم أحمد بن حنبل . وقال يزيد بن هارون : كان حبراً فاضلاً لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة ، قالوا : ومكث ستين سنة يحتم القرآن في كل يوم ختمة كاملة ، وصام ثمانين رمضاناً ، وتوفي وله ست وتسعون سنة . ولما احتضر بكى عليه ابنه فقال : يا بني علام تبيكي ؟ والله ما أتى أبوك فاحشة قط .

### ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

فيها خلع أهل حمص نائبهم فزله عنهم الأمين وولى عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل طائفة من وجوه أهلها وحرق نواحيها ، فسألوه الأمان فأمنهم ثم هاجوا ف ضرب أعتاق كثير منهم أيضاً . وفيها عزل الأمين أخاه القاسم عن الجزيرة والثغور ، وولى على ذلك خزيم بن خازم ، وأمر أخاه بالمقام عنده ببغداد . وفيها أمر الأمين بالدعاء لولده موسى على المنابر في سائر الأمصار ، وبالامرة من بعده ، وسماه الناطق بالحق ، ثم يدعى من بعده لأخيه المأمون ثم لأخيه القاسم ، وكان من نية الأمين الوفاء لأخويه بما شرط لهما ، فلم يزل به الفضل بن الربيع حتى غير نيته في أخويه ، وحسن له خلع المأمون والقاسم ، وصغر عنده شأن المأمون . وإتمامه على ذلك خوفه من المأمون إن أفضت إليه الخلافة أن يخلعه من الحجابة . فوافقه الأمين على ذلك وأسر بالدعاء لولده موسى وبولاية العهد من بعده ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة . فلما بلغ المأمون قطع البريد عنه وترك ضرب اسمه على السكة والطرز ، وتتشكر للأمين . وبعث رافع بن الليث إلى المأمون يسأل منه الأمان فأمنه

فسار إليه بن معه فأكرمه المأمون وعظمه ، وجاء هرثمة على إثره فلتقاه المأمون ووجوه الناس وولاه الحرس ، فلما بلغ الأمين أن الجنود التفت على أخيه المأمون ساءه ذلك وأنكره ، وكتب إلى المأمون كتابا وأرسل إليه رسلا ثلاثة من أكبر الأمراء ، سأله أن يجيبه إلى تقديم ولده عليه ، وأنه قد سمع الناطق بالحق ، فأظهر المأمون الامتناع فشرع الأمراء في مطايبته وملايفته ، وأن يجيبهم إلى ذلك فأبى كل الإباء ، فقال له العباس بن موسى بن عيسى : فقد خلع أبي نفسه فإذا كان ؟ فقال المأمون إن أبك كان امرءاً مكرهاً ، ثم لم يزل المأمون يمد العباس ويمنيه حتى بايعه بالخلافة ، ثم لما رجع إلى بغداد كان يرابطه بما كان من أمر الأمين ويناصحه ، ولما رجع الرسل إلى الأمين أخبروه بما كان من قول أخيه ، فعند ذلك صمم الفضل بن الربيع على الأمين في خلع المأمون ، فخلعه وأمر بالدعاء لولده في سائر البلاد ، وأقاموا من يتكلم في المأمون ويذكر مساويه ، وبعثوا إلى مكة فأخذوا الكتاب الذي كتبه الرشيد وأودعه في الكعبة ، فزقه الأمين وأكد البيعة إلى ولده الناطق بالحق على ما ولاه من الأعمال ، وجرت بين الأمين والمأمون مكاتبات ورسل يطول بسطها . وقد استقصاها ابن جرير في تاريخه ، ثم آل بهما الأمر إلى أن احتفظ كل منهما على بلاده وحصنها وهياً الجيوش والجنود وتأنف الرضايا . وفيها غدرت الروم بمكهم ميخائيل فرأوا خلعه وقتله فترك الملك وترهب ولوا عليهم اليون . وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود بن عيسى ، وقيل على بن الرشيد . وفيها توفي من الأعيان :

#### سالم بن سالم أبو بحر البليخي

قدم بغداد وحدث بها عن إبراهيم بن طهمان والثوري . وعنه الحسن بن عرفة . وكان عابداً زاهداً ، مكث أربعين سنة لم يفرش له فراش ، وصامها كلها إلا يومى العيد ، ولم يرفع رأسه إلى السماء ، وكان داعية الأرجاء ضعيف الحديث ، إلا أنه كان رأساً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان قد قدم بغداد فأنتكر على الرشيد وشنع عليه فحبسه وقيده باثني عشر قيداً ، فلم يزل أبو معاوية يشفع فيه حتى جملوه في أربعة قيود ، ثم كان يدعو الله أن يرده إلى أهله . فلما توفي الرشيد أطلقته زبيدة فرجع . وكانوا بمكة قد جاؤا حجاجاً . فرض بمكة . واشتهى يوماً برداً فسهط في ذلك الوقت برد حين اشتهاه فأكل منه . مات في ذى الحجة من هذه السنة .

#### وعبد الوهاب بن عبد المجيد

الثقفي كانت غلته في السنة قريباً من خمسين ألفاً ينفقها كلها على أهل الحديث . توفي عن أربع وثمانين سنة .

#### وأبو النصر الجيني المصاب

كان مقياً بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الحائط الشمالي منه ، وكان طويل السكوت ، فإذا سئل أجاب بجواب حسن ، ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه وتمكث ، وكان يخرج يوم الجمعة

قبل الصلاة فيقف على جماع الناس فيقول : [ يا أيها الناس اتقوا ربيكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هرجاز عن والده شيئاً ] و [ يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ] ثم ينتقل إلى جماعة أخرى ثم إلى أخرى ، حتى يدخل المسجد فيصلي فيه الجمعة ثم لا يخرج منه حتى يصلي العشاء الآخرة .

وقد وعظ مرة هارن الرشيد بكلام حسن فقال : أعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه فأعد لذلك جواباً ، وقد قال عمر بن الخطاب لو ماتت سخلة بالعراق ضياعاً لخشيت أن يسألني الله عنها . فقال الرشيد : إني لست كعمر ، وإن دهري ليس كدهره . فقال : ما هذا بمن عنك شيئاً . فأمر له بثلاثمائة دينار ، فقال : أنا رجل من أهل الصفة فرمها فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم .

### ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

فيها في صفر منها أمر الأمين الناس أن لا يتعاملوا بالدرهم والدنانير التي عليها اسم أخيه المأمون ونهى أن يدعى له على المنابر ، وأن يدعى له ولولده من بعده ، وفيها تسمى المأمون بامام المؤمنين . وفي ربيع الآخر فيها عقد الأمين لعمى بن عيسى بن ماهان الامارة على الجبل وهمدان واصهبان وقم وتلك البلاد ، وأمره بحرب المأمون وجهز معه جيشاً كبيراً ، وأنفق فيهم نفقات عظيمة ، وأعطاه مائتي ألف دينار ، ولولده خمسين ألف دينار وألفي سيف محلي ، وستة آلاف ثوب للخام . فخرج على بن موسى بن ماهان من بغداد في أربعين ألف مقاتل فارس ، ومعه قيد من فضة ليأتي فيه بالمأمون . وخرج الأمين معه مشيعاً فسار حتى وصل الرى فتلقاه الأمير طاهر في أربعة آلاف ، فحرت بينهم أمور آل الحال فيها أن اقتتلوا ، فقتل على بن عيسى وأهزم أصحابه ومحمل رأسه وجنته إلى الأمير طاهر فكتب بذلك إلى وزير المأمون ذي الرياستين ، وكان الذي قتل على بن عيسى رجل يقال له طاهر الصغير فسمى ذا اليمينين ، لأنه أخذ السيف بيديه الثنتين فذبح به على بن عيسى بن ماهان ، ففرح بذلك المأمون وذووه ، وانتهى الخبر إلى الأمين وهو يصيد السمك من دجلة ، فقال : ويحك دعني من هذا فان كوثراً قد صاد سمكتين . ولم أصد بعد شيئاً . وأرجف الناس ببغداد وخافوا غائلة هذا الأمر ، وندم محمد الأمين على ما كان منه من نكث العهد وخلع أخيه المأمون ، وما وقع من الأمر الفظيع . وكان رجوع الخبر إليه في شوال من هذه السنة . ثم جهز عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في عشرين ألفاً من المقاتلة إلى همدان ليقاتلوا طاهر بن الحسين بن مصعب ومن معه من الخراسانية ، فلما اقتربوا منهم تواجبوا فقتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتل بينهم ، ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن ابن جبلة فلعجثوا إلى همدان فحاصروهم بها طاهر حتى اضطروهم إلى أن دعوا إلى الصلح ، فصالحهم وأمنهم ووفى لهم ، وانصرف عبد الرحمن بن جبلة على أن يكون راجعاً إلى بغداد ، ثم غدروا بأصحاب

طاهر وحملوا عليهم وهم غافلون فقتلوا منهم خلقاً وصبر لهم أصحاب طاهر ثم نهضوا إليهم وحملوا عليهم فبزمهم وقتل أبا يريم عبد الرحمن بن جبلة ، وفر أصحابه خائبين .  
فلما رجعوا إلى بغداد اضطربت الأمور وكثرت الأراجيف ، وكان ذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، وطرد طاهر عمال الأمين عن قزوین وتلك النواحي ، وقوى أمر المأمون جداً بتلك البلاد . وفي ذى الحجة من هذه السنة ظهر أمر السفيناني بالشام ، واسمه علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفیان ، فعزل نائب الشام عنها ودعا إلى نفسه ، فبعث إليه الأمين جيشاً فلم يقدموا عليه بل أقاموا بالرقعة ، ثم كان من أمره ما سندر كره . وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود ابن عيسى . وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان منهم :

### إسحاق بن يوسف الأزرق

أحد أئمة الحديث . روى عنه أحمد وغيره . ومنهم :

#### بكار بن عبد الله

ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، كان نائب المدينة لارشيد ثلثي عشرة سنة وشهراً ، وقد أطلق الرشيد على يديه لأهلها ألف دينار ومائتي ألف دينار ، وكان شريفاً جواداً معظماً .  
وفيها توفي :

## أبو نوح الأسدي

واسمه الحسن بن هانيء بن صباح بن عبد الله بن الجراح بن هنب بن داود بن غنم بن سليم ، ونسبه عبد الله بن سعد إلى الجراح بن عبد الله الحكيم ، ويقال له أبو نوح البصري ، كان أبوه من أهل دمشق من جند مروان بن محمد ، ثم صار إلى الأهواز وتزوج امرأة يقال لها خلبان ، فولدت له أبا نوح وابناً آخر يقال له أبا معاذ ، ثم صار أبو نوح إلى البصرة فتأدب بها على أبي زيد وأبي عبيدة ، وقرأ كتاب سيديويه ولزم خلفاً الأحرار ، وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي . وقد قال القاضي ابن خلكان : صحب أبا أسامة وابن الحباب الكوفي ، وروى الحديث عن أزهر بن سعد وحامد بن زيد وحامد بن سلمة وعبد الواحد بن زياد ومعتز بن سليمان ، ويحيى القطان . وعنه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي . وحدث عنه جماعة منهم الشافعي وأحمد بن حنبل وغندر ومشاهير العلماء ومن مشاهير حديثه ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ، فان حسن الظن بالله بمن الجنة » . وقال محمد بن إبراهيم : دخلنا عليه وهو في الموت فقال له صالح بن علي الهاشمي : يا أبا علي أنت اليوم في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، وبينك وبين الله هنات ، فكتب إلى الله من عمك . فقال : إياي تخوف ؟ بالله استندوني . قال : فأسندناه فقال : حدثني حماد بن سلمة

عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) : « لكل نبي شفاععة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » . ثم قال : أفلا ترائي منهم . وقال أبو نواس : ما قلت الشعر حتى رويت عن ستين امرأة منهن خنساء وليلى ، فما الظن بالرجال ؟ وقال يعقوب بن السكيت : إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهلية ، ومن الإسلاميين جرير والفرزدق ، ومن المحدثين عن أبي نواس لمحبك . وقد أثنى عليه غير واحد منهم الأصمعي والجاحظ والنظام . قال أبو عمرو الشيباني : لولا أن أبا نواس أفسد شعره بما وضع فيه من الأقدار لاحتججنا به - يعني شعره الذي قاله في الخريات والمردان ، وقد كان يميل إليهم - ونحو ذلك مما هو معروف في شعره . واجتمع طائفة من الشعراء عند المأمون فقيل لهم : أيكم القائل :

فلما نحصتها وقفنا كأننا \* نرى قرآ في الأرض يبلغ كوكبا

قالوا : أبو نواس . قال : فأيهم القائل : -

إذا نزلت دون اللهاة من الفتى \* دعى هممة عن قلبه برحيل

قالوا أبو نواس . قال : فأيهم القائل : -

فنهشت في مفاصلهم \* كتمشي البرؤ في السقيم

قالوا : أبو نواس . قال : فهو أشعركم . وقال سفيان بن عيينة لابن منذر : ما أشعر ظريفكم أبا نواس

في قوله :

يا قرآ أبصرت في مائم \* يندب شجوا بين أتراب

أبرزه المائم لي كارهأ \* برغم ذي باب وحجاب

بيكي فينري الدر من عينه \* ويلطم الورد بمتاب

لا زال موتاً دأب أحبابه \* ولم نزل رؤيته دأبي

قال ابن الأعرابي أشعر الناس أبو نواس في قوله : -

نسترت من دهري بكل جناحه \* ففيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الأيام عني ما درت \* وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقال أبو المتاهية : قلت في الزهد عشرين ألف بيت ، وددت أن لي مكانها الأبيات الثلاثة

التي قالها أبو نواس وهي هذه ، وكانت مكتوبة على قبره :

يا نواسي نووؤ \* أو تمير أو تصبر

إن يكن ساءك دهر \* فلما سرك أكثر

يا كثير الذنب \* عفو الله من ذنبك أكبر

ومن شعر أبي نواس يمدح بعض الأمراء : -



أوجدَهُ اللهُ فَا مَثَلُهُ \* بطالبِ ذاكِ ولا ناشِدِ  
ليسَ على اللهُ بِمَسْتَكْبِرٍ \* أن يجمَعِ العالمَ في واحدٍ  
وأُشِدوا سفيان بن عيينة قول أبي نواس :

ما هوى إلا له سببٌ \* يبتدى منه وينشِبُ  
فَنَلتُ قايي محببةً \* وجهها بالحسنِ منيقبُ  
خلتُه والحسنُ تأخذُه \* تفتني منه وتنتخبُ  
فا كمت منه طرائفُه \* واستردتِ بهض ماتهبُ  
فهي لو صيرتُ فيه لها \* عودةً لم يقنّها أربُ  
صار جنداً ما مزحتُ بهر \* ربّ جدّ جرّه اللهبُ

فقال ابن عيينة : أمنت بالذي خلقها . وقال ابن دريد قال أبو حاتم : لو أن العامة بدلت هذين البيتين كتبتهما بماء الذهب :

ولو آتني استزدتك فوق ما بي \* من البلوى لأعوزك المزيدي  
ولو عرضت على الموتى حياتي \* يعيش مثل عيشي لم يريدوا

وقد سمع أبو نواس حديث سهيل عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله . قال : « القلوب جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . فنظم ذلك في قصيدة له فقال :

إن القلوب لأجناد مجندة \* لله في الأرض بالأهواء تعرف  
فا تناكرَ بينها فهو مختلف \* وما تعارفَ منها فهو مؤتلف

ودخل يوماً أبو نواس مع جماعة من المحدثين على عبد الواحد بن زيد فقال لهم عبد الواحد ليختار كل واحد منكم عشرة أحاديث أحدهن بها ، فاختار كل واحد عشرة إلا أبا نواس ، فقال له : مالك لا تختار كما اختاروا ؟ فأنشأ يقول :

ولقد كنا رؤيتنا \* عن سعيد عن قتادة  
وعن الشعبي والشعم \* عن شيخ ذو جلادة  
وعن الأختيار فحكاي \* وعن أهل الأفاذة  
أن من مات محباً \* فلذ أجر شهادة

فقال له عبد الواحد : قم عني يا فاجر ، لا حدثتك ولا حدثت أحداً من هؤلاء . من أجلك ، فبلغ ذلك مالك بن أنس وإبراهيم بن أبي يحيى فقالا : كان ينبغي أن يحدثه لعل الله أن يصلحه . قالت : وهذا الذي أنشده أبو نواس قد رواه ابن عدي في كامله عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً « من عشق فمف فكتم مات شهيداً » . ومعناه أن من ابتلى بالعشق من غير اختيار منه فصبر

وعنف عن المناحشة ولم يفش ذلك فمات بسبب ذلك حصل له أجر كثير . فان صح هذا كان ذلك له نوع شهادة والله أعلم .

وروى الخطيب أيضاً أن شعبة لقي أبا نواس فقال له : حدثنا من طرفك ، فقال مرتجلاً : حدثنا الخفاف عن وائل وخاله الخداء عن جابر وسمر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر قالوا جميعاً : أيما طفلة علقها ذو خناق طاهر فواصلاته ثم دامت له على وصال الحافظ الذكرك ، كانت له الجنة مفتوحة يرتع في مرتعها الزاهر ، وأى معشوق جفا عاشقاً بهد وصال دائم ناصر ففي عذاب الله بعداً له نعم وسحقاً دائم ذاهر . فقال له شعبة : إنك لجيل الأخلاق ، وإني لأرجو لك . وأنشد أبو نواس أيضاً

يا ساحرَ المقلتين والجديد \* وقاتلي منك بالمواعيد  
توعدي الوصل ثم تخلفني \* ويلائي من خلفك موعودي  
حدثني الأزرق المحدث عن \* شهر وعوف عن ابن مسعود  
ما يملك الوعد غير كافر \* وكافر في الجحيم مصفود

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال : كذب عدو الله على وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد . وعن سليم بن منصور بن عمار قال : رأيت أبا نواس في مجلس أبي يبيك بكاء شديداً قلت : إني لأرجو أن لا يذهبك الله بعد هذا البكاء فأنشأ يقول :

لم أبك في مجلس منصور \* شوقاً إلى الجنة والحور  
ولا من القبر وأهواله \* ولا من النفخة في الصور  
ولا من النار وأغلالها \* ولا من الخلدان والجور  
لكن بكائي لبتك شادين \* تقيم نفسي كل محذور

ثم قال : إنما بكيت لهذا الأمر الذي إلى جانب أبيك - وكان صبيها حسن الصورة يسمع الوعد فيبكي خوفاً من الله عز وجل -

قال : أبو نواس : دعاني يوماً بهض الحاكة وألح على ليضيئني في منزله ، ولم يزل بي حتى أجبته فسار إلى منزله وسرت معه فاذا منزل لا بأس به ، وقد احتفل الحائك في الطعام وجمع جمعاً من الحياك ، فأكلنا وشربنا ثم قال : ياسيدي أشتى أن تقول في جاريتي شيئاً من الشعر - وكان مغرمًا بجارية له - قال فقلت أرنها حتى أنظم على شكها وحسنها ، فكشفت عنها فاذا هي أسمى خلق الله وأوحشهم ، سوداء شحطاء ديدانية يسيل لعابها على صدرها . فقلت لسيدها : ما اسمها ؟ فقال تسليم ، فأنشأت

أقول : أسهر لي لي حب تسليم \* جارية في الحسن كالبيوم  
كأنما نكمتها كالمخ \* أو حزمة من حزم الثوم

صَرَطْتُ من حَبِّي لها صَرَطَةٌ \* أفزعَتْ منها ملك الروم  
قال فقام الحائك برقص ويصفق سائر يومه ويفرح ويقول : إنه شبهها والله بملك الروم . ومن  
شعره أيضاً (١) أبرمى الناسُ يقولون \* بزعمهم كثرت أوزارية  
إن كنتُ في النار أم في جنة \* ماذا عليكم يا بني الزانية  
وبالجملة فقد ذكروا له أموراً كثيرة ، ويجونا وأشعاراً منكرة ، وله في الخزيات والقاذورات  
والنشبب بالمردان والنسوان أشياء بشعة شديمة ، فن الناس من يفسقه ويرميه بالفاحشة ، ومنهم من  
يرميه بالزندقة ، ومنهم من يقول : كان إنما يجرب على نفسه ، والأول أظهر ، لما في أشعاره . فأما  
الزندقة فهيدة عنه ، ولكن كان فيه مجون وخلاعة كثيرة . وقد عزوا إليه في صغره وكبره أشياء  
منكرة الله أعلم بصحتها ، والعمامة تنقل عنه أشياء كثيرة لا حقيقة لها . وفي صحن جامع دمشق قبة  
يفور منها الماء يقول الدماشق قبة أبي نواس ، وهي مبنية بعد موته بأزيد من مائة وخمسين سنة ، فما  
أدرى لأى شئ نسبت ، إليه فله أعلم بهذا .

وقال محمد بن أبي عمر : سمعت أبا نواس يقول : والله ما فتحت سراويلي لحرام قط . وقال له  
محمد الأمين بن الرشيد : أنت زنديق . فقال : يا أمير المؤمنين لست بزنديق وأنا أقول :  
أصلى الصلاة الحسن في حين وقتها \* وأشهد بالتوحيد لله خاضعا  
وأحسن غسلني إن ركبت جنابة \* وإن جاءني المسكين لم أك مانعا  
وإني وإن حانت من الكاس دعوة \* إلى بيعة الساقى أجبته مسارعا  
وأشربها صبراً على جنب ما عز \* وجدي كثير الشحم أصبح راضعا  
وجوداب حواري ولوز وسكره \* وما زال للخمار ذلك تافعا  
وأجمل تحايط الروافض كلهم \* لنفخة بختيشوع في النار طافعا  
فقال له الأمين : ويحك ! وما الذي أباك إلى نفخة بختيشوع ؟ فقال : به تمت القافية . فأمر له  
بجائزة . وبختيشوع الذي ذكره هو طبيب الخلفاء . وقال الجاحظ : لا أعرف في كلام الشعراء أرق  
ولا أحسن من قول أبي نواس حيث يقول :

أية نار قدح القادح \* وأي جد بلغ المازح  
لله در الشيب ون واعظ \* وناصح لو خطب الناصح  
يا بني الفتى إلا اتباع الهوى \* ومنهج الحق له واضح  
فاسم بعينك إلى نسوة \* مهورهن العمل الصالح  
لا يجتلي الحوراء في خنبرها \* إلا امرؤ ميزانه راجح

بُنِ اتَّقَى اللَّهَ فَذَاكَ الَّذِي \* سَبَقَ إِبْنَهُ الْمُتَجَرِّدَ الرَّابِعَ  
فَاغْدُ فَا فِي الدِّينِ أَغْلُوْطَةً \* وَرَخَّ لِمَا أَنْتَ لَهُ رَاغِبٌ

وقد استنشده أبو عفان قصيدته التي في أولها : لاتنس ليل ولا تنظر إلى هند . فلما فرغ منها  
سجد له أبو عفان ، فقال له أبو نواس : والله لا أكلمك مدة . قال : فعمى ذلك ، فلما أردت  
الانصراف قال : متى أراك ؟ قلت : ألم تقسم ؟ فقال : الدهر أقصر من أن يكون معه هجر .  
ومن مستجاد شعره قوله :

أَلَا رَبَّ وَجِهٍ فِي التُّرَابِ عَتِيقٍ \* وَيَارِبِ حَسَنِ فِي التُّرَابِ رَقِيقٍ  
وَيَارِبِ حَزْمٍ فِي التُّرَابِ وَنَجْدَةٍ \* وَيَارِبِ رَأْيٍ فِي التُّرَابِ وَثِقِيقٍ  
قَتَلَ لَرَبِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ طَاعَتِهِ \* إِلَى سَفَرِ نَائِيِ المَحَلِّ سَجِيقٍ  
أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكًا وَابْنَ هَالِكٍ \* وَذَا نَسَبِي فِي المَالِكِينَ عَرِيقٍ  
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِبَيْتِ تَكْشِفَتْ \* لَهُ عَن عَدُوِّ فِي لِبَاسِ صَدِيقٍ  
لَا تَشْرَهُنَّ فَإِنَّ الدَّلَّ فِي الشَّرْمِ \* وَالعُرْفَى فِي المَلْمِ لِأَفِي الطَّيْشِ وَالسَّفْمِ  
وَقَلَّ لِلمَغْبِطِ فِي التَّيْبِ مِنْ حَقِي \* لَوْ كُنْتُ تَلْمُ مَا فِي التَّيْبِ لَمْ تَتَمِ  
التَّيْبُ مَفْسِدَةٌ لِلدِّينِ مَنْقَصَةٌ \* لِلعَقْلِ مَهْلِكَةٌ لِلعُرْضِ فَانْتَبِهْ

وقوله

وجلس أبو الناهية القاسم بن إسماعيل على دكان وراق فكتب على ظهر دفتر هذه الأبيات :  
أَيَا عَجَبًا كَيْفَ يَمْعَى الِال \* نَهْ أَمْ كَيْفَ يَجْعِدُهُ الجَاوِدُ  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ \* تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاوِدُ  
ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال : أحسن قائله والله . والله لوددت أنها لي بجميع شيء قلته ، لمن  
هذه ؟ قيل له : لأبي العنابية ، فأخذ فكتب في جانبها :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ \* قَدْ مِنْ ضَعْفٍ مَهِينِ  
يَسُوقُهُ مِنْ قَرَارٍ \* إِلَى قَرَارٍ مَكِينِ  
بِخَلْقِ شَيْئًا فَشَيْئًا \* فِي الحُجْبِ دُونَ العَيُونِ  
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتِهِ \* مَخْلُوقَةٍ فِي سَكُونِ

ومن شعره المستجاد قوله :

انْقَطَعَتْ شِدْقِي فَهَمَّتْ المَلَاهِي إِذْ \* رَمَى الشَّيْبُ مَفْرَقِي بِالدَّوَاهِي  
وَهَمَّتِي النَّوَسُ فَبَأَتْ إِلَى العَدَلِ \* وَأَشْفَقْتُ مِنْ مَقَالَةِ نَاهِي  
أَبِهَا الغَائِلُ المَرْتَبُ عَلَى السُّهْرِ \* وَلَا يَحْذَرُ فِي العَادِ رِسَاهِي

لا بأعمالنا نُطيقُ خلاصاً • يومَ تبدو السماءُ فوقَ الجِبَاهِ  
 على أُمَّةٍ على الاساءةِ والتفء • ريطرُ نرجو من حسنِ عفوِ الاله  
 وقوله : نموتُ ونبلى غيرَ أنْ ذُنوبنا • إذا نحنُ متنا لا نموتُ ولا تبلى  
 الأربُّ ذبي عيين لا تنفمانه • وما تنفعُ العينانِ من قلبه أعمى  
 وقوله : لو أنْ عيناً أوهمتها نفسها • يومَ الحسابِ ممثلاً لم تطرفِ  
 سبحانُ ذى الملكوتِ أية ليلة • محتت صبيحتها بيومِ الموقفِ  
 كتبتُ الفناءَ على البريةِ ربها • فالناسُ بينَ مقدمٍ ومخلفِ  
 وذكر أن أبا نواس لما أراد الاحرام بالهيج قال :

يامالكأما أعدك ملك كل من ملك  
 عبيك قد أهل لك أنت له حيث سلك  
 والمالك لا شريك لك والليل لما أن حلك  
 كل لبي وملك وكل من أهل لك  
 والمالك لا شريك لك يا مخطئاً ما أجهلك  
 مجل وبادر أملك واختمه بخير علك  
 لبيك إن الحد لك والمالك لا شريك لك  
 لولاك يارب هلك لبيك إن الحد لك  
 والسباحات في الفلك على مجاري نسلك  
 سبح أو صلى فلك لبيك إن الحد لك  
 عصيت رباً عدلك وأفكرت وأمهلك  
 لبيك إن الحد لك والمالك لا شريك لك

وقال المصنف بن زكريا الحريري : ثنا محمد بن العباس بن الوليد سمعت أحمد بن يحيى بن ثعلب  
 يقول : دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلاً تهمة نفسه لا يجب أن يكفر عليه كأن النيران قد  
 سمعت بين يديه ، فما زلت أترقب به وتوسلت إليه أني من موالى شيبان حتى كلمني ، فقال : في أي  
 شيء نظرت من العلوم ؟ فقلت : في اللغة والشعر . قال : رأيت بالبصرة جماعة يكتبون عن رجل  
 الشعر ، قيل لي هذا أبو نواس . فنخلت الناس ورأى فلما جلست إليه أملى علينا :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل • خلوت ولكن في الظلام رقيب  
 ولا تحسبن الله يفتل ساعة • ولا آتما يخفى عليهم يفتب  
 كمؤانعين الآتام حتى تنابته • ذنوب على آثارهن ذنوب  
 فياليت أن الله يفر ما مضى • ويأذن في نوبنا فنتوب

وزاد بعضهم في رواية عن أبي نواس بعد هذه الأبيات :

أقول إذا ضاقت علي مذاهبي • وحلت بقلبي لهموم نوب  
 لطلول جنباياتي وعظم خطيئتي • هلكت ومالي في التاب نصيب  
 واغرق في بحر الخافة آيساً • وترجع نفسي تارة فنتوب

وتذكرني عفو الكرم عن الوري • فأحيا وأرجو عفوهُ فأنيب  
وأخضع في قولي وأرغب سائلاً • عسى كاشفت البلوى على يتوب

قال ابن طراز الجري : وقد رويت هذه الأبيات لمن ؟ قيل لأبي نواس وهي في زهدياته .  
وقد استشهد بها النحاة في أما كن كثيرة قد ذكرناها . وقال حسن بن الداية : دخلت على أبي نواس  
وهو في مرض الموت فقلت : عظمي . فأنشأ يقول :

فكثرت ما استطعت من الخطايا • فانك لاقياً رباً غفوراً  
ستبصر إن وردت عليه عفواً • وتلقى سيداً ملكاً قديراً  
تعصّ ندامةً كفيك مما • تركت مخافة النار الشرورا

فقلت : ويحك ! مثل هذا الحال تعظني بهذه الموعظة ؟ فقال : اسكت حدثنا حماد بن سلمة عن  
ثابت عن أنس قال قال النبي (ص) : « ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمي » . وقد تقدم بهذا  
الاستناد عنه « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » . وقال الربيع وغيره عن الشافعي قال :  
دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه فقلنا : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فأنشأ  
يقول :

تماظمني ذنبي فلما قرنته • بعفوك ربي كأن عفوك أعظما  
ومازلت ذاعفوا عن الذنب لم تزل • نجومك وتمفو منة وتكرما  
ولولاك لم يقدر لابلين عابته • وكيف وقد أغوى صفيك آدميا  
رواه ابن عساكر . وروى أنهم وجدوا عند رأسه رقعة مكتوبا فيها بخطه :

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة • فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
أدعوك ربي كما أمرت نضرعاً • فاذا رددت يدي فن ذا برحم  
إن كان لا يرجوك إلا محسن • فن الذي يرجو المسىء الجرم  
مالي إليك وسيلة إلا الرجا • وجميل عفوك ثم أي مسلم

وقال يوسف بن الداية : دخلت عليه وهو في السياق فقلت : كيف تجحد ؟ فأطرق ملياً ثم رفع

رأسه فقال : دب في الفناء سفلاً وعلواً • وأرائي أموت عضواً فعضواً

ليس يعض من لحظة بي إلا • نقصني بمرها في جزواً  
ذهبت جدتي بلدت عيشي • وتذكرت طاعة الله نضواً  
قد أسأنا كل الإساءة فالأ • هم صفاً عنا وغفراً وعفواً

ثم مات من ساعته ساعنا الله وإياه آمين .

وقد كان نقش خاتمه لا إله إلا الله مخلصاً ، فأوصى أن يجعل في فمه إذا غسلوه فغسلوا به ذلك . ولما

مات لم يجدوا له من المال سوى ثلاثمائة درهم وثيابه وأثابه ، وقد كانت وقته في هذه السنة ببغداد ودفن في مقابر الشونبزي في تل اليهود . وله خمسون سنة . وقيل ستون سنة ، وقيل تسع وخمسون سنة . وقد رآه بعض أصحابه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بأبيات قلتها في الترجس :

تفكر في نبات الأرض وانظر \* إلى آثار ما صنع المليك

عيون من تجلبيش شاخصات \* بأبصار هي الذهب السبيك

على قصب الزبرجد شهادات \* بأن الله ليس له شريك

وفي رواية عنه أنه قال : غفر لي بأبيات قلتها وهي تحت وسادتي فجازوا فوجدوها برقعة في خطه يارب إن عظمت ذنوبي كثرة \* فلقد علمت أن عفوك أعظم

الآيات . وقد تقدمت . وفي رواية لابن عساكر قال بعضهم : رأيته في المنام في هيئة حسنة ونعمة عظيمة فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، بماذا وقد كنت مخلطاً على نفسك ؟ فقال : جاء ذات ليلة رجل صالح إلى المقابر فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيهما آتني قل هو الله أحد ثم أهدى ثواب ذلك لأهل تلك المقابر فدخلت أنا في جملتهم ، فغفر الله لي . وقال ابن خلكان : أول شعر قاله أبو نواس لما صحب أبا أسامة والبة بن الجباب :

حامل الهوى تعب يستخفه العطب \* إن بكى يحق له ليس ما به لعب

تضحكين لاهية والمحبة ينتحب \* تعجيبين من سمي صحتي هي العجب

وقال المأمون : ما أحسن قوله :

وما الناس إلا هالك وابن هالك \* وذو نسب في المالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت \* له عن عذري في لباس صديق

قال ابن خلكان : وما أشد رجاءه بربه حيث يقول :

تعمل ما استطعت من الخطايا \* فانك لاقياً رباً غفوراً

ستبصر إن قدمت عليه عفواً \* وتلقى سيداً ملكاً كبيراً

نمض ندامة كفيك بما \* تركت مخافة النار الشروراً

### ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

فيها توفي أبو معاوية الضرير أحد مشايخ الحديث الثقات المشهورين . والوليد بن مسلم الدمشقي تلميذ الأوزاعي . وفيها حبس الأمين أسد بن يزيد لأجل أنه قدم على الأمين لعمه ونهاونه في أمر الرعية ، وارتكابه للصيد وغيره في هذا الوقت . وفيها وجه الأمين أحمد بن يزيد وعبد الله بن حميد ابن قحطبة في أربعين ألفاً إلى حلوان لقتال طاهر بن الحسين من جهة المأمون ، فلما وصلوا إلى قريش

من حلوان خندق طاهر على جيشه خندقاً وجعل يعمل الحيلة في إيقاع الفتنة بين الأميرين ، فاختلفا فرجما ولم يقانلا ، ودخل طاهر إلى حلوان وجاءه كتاب المأمون بتسليم ما تحت يده إلى هرثمة بن أعين ، وأن يتوجه هو إلى الأهواز . ففعل ذلك . وفيها رفع المأمون وزيره الفضل بن سهل وولاه أعمالاً كباراً وسماه ذا الرياستين . وفيها ولي الأمين نيابة الشام لعبد الملك بن صالح بن علي - وقد كان أخرجه من سجن الرشيد - وأمره أن يبعث له رجلاً وجنوداً لقتال طاهر وهرثمة ، فلما وصل إلى الرقة أقام بها وكتب إلى رؤساء الشام يتألفهم ويدعوهم إلى الطاعة ، فقدم عليه منهم خلق كثير ، ثم وقعت حروب كان مبدؤها من أهل حمص ، وتناقم الأمر وطال القتال بين الناس ، ومات عبد الملك ابن صالح هنالك فرجع الجيش إلى بغداد محبة الحسين بن علي بن ماهان ، فتلقاه أهل بغداد بالاكرام ، وذلك في شهر رجب من هذه السنة . فلما وصل جاء رسول الأمين يطلبه فقال : والله ما أنا بمسامر ولا مضحك ، ولا وليت له عملاً ولا جبي على يدي مالا ، فلماذا يطلبني في هذه الليلة ؟

### سبب خلع الأمين وكيف افضت الخلافة الى اخيه المأمون

لما أصبح الحسين بن علي بن ماهان ولم يذهب إلى الأمين لما طلبه ، وذلك بعد مقدمه بالجيش من الشام ، قام في الناس خطيباً وألّبهم على الأمين ، وذكركم بما يتعاطاه من اللهو وغير ذلك من المعاصي ، وأنه لا تصلح الخلافة لمن هذا حاله ، وأنه يريد أن يوقع البأس بين الناس ، ثم حثهم على القيام عليه والنهوض إليه ، وندبهم لذلك ، فالتف عليه خلق كثير وجم غفير ، وبعث محمد الأمين إليه خيلاً فاقتتلوا ملياً من النهار ، فأمر الحسين أصحابه بالترجل إلى الأرض وأن يقاتلوا بالسيف والرمح ، فانهزم جيش الأمين وخلعه وأخذ البيعة لعبد الله المأمون ، وذلك يوم الأحد الحادي عشر من شهر رجب من هذه السنة ، ولما كان يوم الثلاثاء نقل الأمين من قصره إلى قصر أبي جعفر وسط بغداد ، وضيق عليه وقيده واضطهده ، وأمر العباس بن عيسى بن موسى أمه زبيدة أن تنتقل إلى هناك فممنعت فضر بها بالسوط وقهرها على الانتقال فانقلبت مع أولادها ، فلما أصبح الناس يوم الأربعاء طلبوا من الحسين بن علي أعطيائهم واختلفوا عليه وصار أهل بغداد فرقتين ، فرقة مع الأمين وفرقة عليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فغلب حزب الخليفة أولئك ، وأسروا الحسين بن علي ابن عيسى بن ماهان وقيده ودخلوا به على الخليفة فذكروا عنه قيوده وأجلسوه على سريره ، فعند ذلك أمر الخليفة من لم يكن معه سلاح من العامة أن يعطى سلاحاً من الخزائن ، فانتهب الناس الخزائن التي فيها السلاح بسبب ذلك ، وأمر الأمين فأتى بالحسين بن علي بن عيسى اللامه على ما صدر منه فاعتذر إليه بأن عفوا الخليفة حمله على ذلك . فمعا عنه وخلع عليه واستوزره وأعطاه



الخطام وولاه ما وراء بابه ، وولاه الحرب وسيره إلى حلوان ، فلما وصل إلى الجسر هرب في حاشيته وخدمه فبعث إليه الأمين من برده ، فركبت الخيول وراه فأدركوه فقاتلهم وقاتلوه وقتلوه لمتنصف رجب ، وجزاء برأسه إلى الأمين ، وجدد الناس البيعة للأمين يوم الجمعة ، ولما قتل الحسين بن علي بن عيسى هرب الفضل بن الربيع الحاجب واستحوذ طاهر بن الحسين على أكثر البلاد للمأمون ، واستتاب بها الثواب ، وخلع أكثر أهل الأقاليم الأمين وبايعوا المأمون ، ودنا طاهر إلى المدائن فأخذها مع واسط وأعمالها ، واستتاب من جهته على الحجاز واليمن والجزيرة والموصل وغير ذلك ، ولم يبق مع الأمين من البلاد إلا القليل . وفي شعبان منها عقد الأمين أربعمائة لواء مع كل لواء أمير ، وبعثهم لقتال هرثمة ، فالتقوا في شهر رمضان فكسروهم هرثمة وأسر مقدمهم علي بن محمد بن عيسى بن نهبك ، وبعث به إلى المأمون . وهرب جماعة من جنود طاهر فساروا إلى الأمين فباعوا أموالهم كثيرة ، وأكرمهم وغاف لحامم بالغالية فسموا جيش الغالية . ثم ندبهم الأمين وأرسل معهم جيشاً كثيفاً لقتال طاهر فهزمهم طاهر وفرق شملهم ، وأخذ ما كان معهم . واقترب طاهر من بفسداد فغاصرها وبعث القصاد والجواسيس يلقون الفتنة بين الجنود حتى تفرقوا شيئاً ، ثم وقع بين الجيش وتشتت الأصغر على الأكارب واختلفوا على الأمين في سادس ذي الحجة فقتل بعض البغادة :

قل لأمين الله في نفسه \* ماشقت الجندي موسى الغالية  
وطاهر نفسى فدا طاهر \* برسله والعدو الكافية  
أضحى زمام الملك في كفه \* مقاتلاً للفتنة الباغية  
يا ناكثاً أسلمه نكثه \* عيوبه في خبيثه فاشية  
قد جاءك الليث يشدا تر \* مستكلباً في أسد ضارية  
فاهرب ولا مهرب من مثله \* إلا إلى النار أو الهاوية

فتفرق على الأمين شمله ، ومار في أمره ، وجاء طاهر بن الحسين بجيوشه فنزل على باب الأنبار يوم الثلاثاء لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، واشتد الحال على أهل البلد وأخاف الدعار والشطار أهل الصلاح ، وخربت الديار ، ونارت الفتنة بين الناس ، حتى قاتل الأخ أخاه للاهواء المختلفة ، والابن أباه ، وجرت شرور عظيمة ، واختلفت الأهواء وكثر الفساد والقتل داخل البلد .

وحج بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي من قبيل طاهر ، ودعا للمأمون بالخلافة بمكة والمدينة ، وهو أول موسم دعى فيه للمأمون .  
وفيهما توفي بقية بن الوليد الحمصي إمام أهل حمص وقيتها ومحدثها .

### وحفص بن غياث القاضي

عاش فوق التسعين ، ولما احتضر بكى بعض أصحابه فقال له : لا تبك ا والله ما حلت سراويلي على حرام قط ، ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من وقع الحكم عليه منهما ، قريبا كان أو بعيداً ، ملكاً أو سوقة .

وعهد الله بن مرزوق أبو محمد الزاهد ، كان وزيراً للرشيدي فترك ذلك كله وتزهد وأوصى عند موته أن يطرح قبل موته على مزبلة لعل الله أن يرحمه .

### أبو شيبان

الشاعر محمد بن رزين بن سليمان ، كان أستاذاً الشعراء ، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء ، كذا قال ابن خلكان وغيره . وكان هو وأبو مسلم بن الوليد - الملقب صريع الغواني - وأبو نواس ودعبل يجتمعون ويتناشدون . وقد عى أبو شيبان في آخر عمره ، ومن جيد شعره قوله :

وقفت الهوى بي حيث أنت فليس لي \* متأخر عنه ولا متقدم  
أجد الملامة في هوائك للذينة \* حباً لذكرك فليلحقني اليوم  
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم \* إذ كان حظي منك حظي منهم  
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً \* ما من يهون عليك من تكرم

### ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

استهلقت هذه السنة وقد ألع طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين ومن معهما في حصار بغداد والتضييق على الأمين ، وهرب القاسم بن الرشيد وعنه منصور بن المهدي إلى المأمون فأكرمهما ، وولى أخاه القاسم جرجان ، واشتد حصار بغداد ونصب عليها المجانيق والعرادات . وضاق الأمين بهم ذرعاً ، ولم يبق معه ما ينفق في الجند ، فاضطر إلى ضرب آنية الفضة والذهب دراهم ودنانير ، وهرب كثير من جنده إلى طاهر ، وقتل من أهل البلد خلق كثير ، وأخذت أموال كثيرة منهم ، وبعث الأمين إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأما كن ومحال كثيرة فخرقها بالنار لما رأى في ذلك من المصلحة ، فعمل كل هذا فراراً من الموت ولتدوم الخلافة له فلم تدم ، وقتل وخربت دياره كما سيأتي قريباً ، وفعل طاهر مثل ما فعل الأمين حتى كادت بغداد تخرب بكاملها ، فقال بعضهم في ذلك :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين \* ألم تكوني زماناً قرّة العين  
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم \* وكان قريتهم زيناً من الزين  
صاح الغراب بهم بالبين فافتروا \* ماذا لقيت بهم من لوعة البين  
استودع الله قوماً ما ذكرتهم \* إلا تحدر ماء العين من عيني

كانوا يفرقهم دهرٌ وصدهم \* والذهرُ يصدعُ ما بينَ الفريقين  
وقد أكثر الشعراء في ذلك . وقد أورد ابن جرير من ذلك طرفاً صالحاً ، وأورد في ذلك قصيدة  
طويلة جداً فيها بسطاً ما وقع ، وهي هول من الأهوال اقتصرناها بالكلية .

واستحوذ طاهر على ما في الضياع من الغلات والحواصل للأمراء وغيرهم ، ودعاهم إلى الأمان  
والبيعة للمأمون فاستجابوا جميعهم ، منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة ، ويحيى بن علي بن ماهان ،  
ومحمد بن أبي العباس الطوسي ، وكاتبه خلق من الهاشميين والأمراء ، وصارت قلوبهم معه . واتفق في  
بعض الأيام أن ظفر أصحاب الأئمين ببعض أصحاب طاهر فقتلوا منهم طائفة عند قصر صالح ، فلما  
سمع الأئمين بذلك بطر وأشروا وقبل على اللهو والشرب واللعب ، ووكل الأمور وتديرها إلى محمد بن  
عيسى بن نعيم ، ثم قويت شوكة أصحاب طاهر وضمف جانب الأئمين جنداً ، وانحاز الناس إلى  
جيش طاهر . وكان جانبه آمناً جداً لا يخاف أحد فيه من سرقة ولا نهب ولا غير ذلك . وقد أخذ  
طاهر أكثر محال بغداد وأرباضها ، ومنع الملاحين أن يحملوا طعاماً إلى من خلفه ، فغلت الاسمار  
جداً عند من خلفه ، وندم من لم يكن خرج من بغداد قبل ذلك ، ومنعت التجار من القدوم إلى  
بغداد بشئ من البضائع أو الدقيق ، وصرفت السفن إلى البصرة وغيرها ، وجرت بين الفريقين  
حروب كثيرة ، فمن ذلك وقعة درب الحجارة كانت لأصحاب الأئمين ، قتل فيها خلق من أصحاب  
طاهر كان الرجل من العيارين والخرافشة من البغاددة يأتي عريانا ومعه بارية مقيرة ، وتحت كتفه  
مخلاة فيها حجارة ، فاذا ضربه الفارس من بعيد بالسهم اتقاء بباريته فلا يؤذيه ، وإذا اقترب منه  
رماه بحجر في المقلع أصابه ، فهزموم لذلك . ووقعة الشماسية أسر فيها هرثمة بن أعين ، فشق ذلك  
على طاهر وأمر بعقد جسر على دجلة فوق الشماسية ، وعبر طاهر بنفسه ومن معه إلى الجانب الآخر  
فقاتلهم بنفسه أشد القتال حتى أزالهم عن مواضعهم ، واسترد منهم هرثمة وجماعة ممن كانوا أسروهم  
من أصحابه ، فشق ذلك على محمد الأئمين وقال في ذلك : -

مَنِيتُ بِأَشْجَعِ الثَّقَلَيْنِ قَلْبًا \* إِذَا مَا طَالَ لَيْسَ كَمَا يَطُولُ  
لَهُ مَعَ كُلِّ ذِي بَدْرِ رَقِيبٌ \* يَشَاهِدُهُ وَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ  
فَلَيْسَ بِمَفْعَلٍ أَمْرًا عِنْدًا \* إِذَا مَا الْأَمْرُ ضَيَعَهُ الْفَعُولُ

وضعف أمر الأئمين جداً ولم يبق عنده مال ينقته على جنده ولا على نفسه ، وتفرق أكثر  
أصحابه عنه ، وبقي مضطهداً ذليلاً . ثم انقضت هذه السنة بكاملها والناس في بغداد في قلاقل وأهوية  
مختلفة ، وقتال وحريق ، وسراقات ، وساءت بغداد فلم يبق فيها أحد يرد عن أحد كما هي عادة الفتن .  
وحج بالناس فيها العباس بن موسى الهاشمي من جهة المأمون . وفيها توفي شعيب بن حرب أحد

الزهاد . وعبد الله بن وهب إمام أهل الديار المصرية . وعبد الرحمن بن مسهر أخو علي بن مسهر .  
وعثمان بن سميد الملقب بورش أحد القراء المشهورين الرواة عن نافع بن أبي نعيم . ووكيع بن  
الجراح الرواسي أحد أعلام المحدثين . مات عن ست وستين سنة .

### ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

فيها خامر خزيمه بن خازم على محمد الأمين وأخذ الأمان من طاهر . ودخل هرثمة بن أعين من  
الجانب الشرقي . وفي يوم الأربعاء ثمان خلون من المحرم وثب خزيمه بن خازم ومحمد بن علي بن  
عيسى على جسر بغداد قطعاه ونصبا رأيتهما عليه . ودعوا إلى بيعة عبد الله المأمون وخلع محمد  
الأمين ، ودخل طاهر يوم الخميس إلى الجانب الشرقي فباشرا القتال بنفسه ، ونادى بالأمان لمن لزم  
منزله ، ووجرت عند دار الرقيق والسكرخ وغيرهما وقعات ، وأحاطوا بمدينة أبي جعفر والخلد وقصر  
زبيدة ، ونصب المجانيق حول السور وحذاء قصر زبيدة ، ورماه بالمنجنيق ، ونفجج الأمين بأمه  
وولده إلى مدينة أبي جعفر ، وتفرق عنه عامة الناس في الطريق ؛ لا يلوى أحد على أحد ، حتى دخل  
قصر أبي جعفر وانتقل من الخلد لكثرة ما يأتيه فيه من رمى المنجنيق ، وأمر بتحريق ما كان فيه  
من الأثاث والبسط والأمتعة وغير ذلك ، ثم حصر حصراً شديداً . ومع هذه الشدة والضيق وإشرافه  
على الهلاك خرج ذات ليلة في ضوء القمر إلى شاطئ دجلة واستدعى ببنينا وجارية فغنته فلم ينطلق  
لسانها إلا بالفراقيات وذكر الموت وهو يقول : غير هذا ، وتذكر نظيره حتى غنته آخر ما غنته :

أما ورب السكون والحرك \* إن المنايا كثيرة الشرك  
ما اختلف الليل والنهار ولا \* دارت نجوم السماء في الفلك  
إلا لنقل السلطان من ملك \* قد انقضى ملكه إلى ملك  
وملك ذي العرش دائم أبداً \* ليس بفان ولا بمشرك

قال : فسبها وأقامها من عنده فعثرت في قدح كان له من بلور فكسرتة فتطير بذلك . ولما ذهب  
الجارية سمع صارخاً يقول [ قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ] فقال لجليسه : ويحك ألا تسمع ،  
فتسمع فلا يسمع شيئاً ، ثم عاد الصوت بذلك فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى قتل في رابع صفر يوم  
الأحد ، وقد حصل له من الجهد والضيق في حصره شيئاً كثيراً بحيث إنه لم يبق له طعام يأكله  
ولا شراب يبيث إنه جاع ليلة فيما أتى برغيف ودجاجة إلا بعد شدة عظيمة ، ثم طلب ماء فلم يوجد  
له فبات عطشاناً فلما أصبح قتل قبل أن يشرب الماء .

### كيفية مقتله

لما اشتد لأمر اجتماع عنده من بقى معه من الأمراء والخدم والجند ، فشاوهم في أمره فقاتل

طائفة : تنهب بمن بقى ملك إلى الجزيرة أو الشام فتتقوى بالأموال وتستخدم الرجال . وقال بعضهم  
تخرج إلى طاهر وتأخذ منه أماناً وتبايع لأخيك ، فإذا فعلت ذلك فإن أخاك سيأمر لك بما يكفيك  
ويكفي أهلك من أمر الدنيا ، وغاية مرادك الدعة والراحة ، وذلك يحصل لك تماماً . وقال بعضهم : بل  
هرثة أولى بأن يأخذك منه الأمان فإنه مولاكم وهو أحنى عليك . قال إلى ذلك ، فلما كانت ليلة  
الأحد الرابع من صفر بعد عشاء الآخرة واعد هرثة أن يخرج إليه ، ثم لبس ثياب الخلافة  
وطيلساناً واستدعى بولديه فشمهما وضهما إليه وقال : أستودعكما الله ، ومسح دموعه بطرف كفه ، ثم  
ركب على فرس سوداء وبين يديه شمعة ، فلما انتهى إلى هرثة أكرمته وعظمه وركبا في حراقة في دجلة ،  
وبلغ ذلك طاهراً فغضب من ذلك وقال : أنا الذي فعلت هذا كله ويذهب إلى غيري ، وينسب  
هذا كله إلى هرثة ؟ فلاحقهما وهما في الحراقة فأمالها أصحابه ففرق من فيها ، غير أن الأمين سبغ إلى  
الجانب الآخر وأسرده بعض الجند . وجاء فأعلم طاهراً فبث إليه جنداً من المعجم فجاءوا إلى البيت  
الذي هو فيه وعنده بعض أصحابه وهو يقول له : ادن مني فاني أجد وحشة شديدة ، وجعل يلتف في  
ثيابه شديداً وقلبه يخفق خفقاناً عظيماً ، كاد يخرج من صدره . فلما دخل عليه أولئك قال : إنا لله  
وإنا إليه راجعون . ثم دنا منه أحدهم فضربه بالسيف على مفرق رأسه فجعل يقول : ويحكم أنا ابن  
عم رسول الله ، ، أنا ابن هارون ، أنا أخو المأمون ، الله الله في دمي . فلم يلتفتوا إلى شيء من  
ذلك ، بل تكاثروا عليه وذبحوه من قفاه وهو مكبوب على وجهه وذهبوا برأسه إلى طاهر وتركوا جثته ،  
ثم جاؤا بكرة إليها فلفوها في جل فرس وذهبوا بها . وذلك ليلة الأحد لأربع ليال خلت من صفر  
من هذه السنة .

#### شيء من ترجمته

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور ، أبو عبد الله ويقال أبو موسى  
المهاشمي المباسي ، وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، كان مولده بالرصافة سنة  
سبعين ومائة [ قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عياش بن هشام عن أبيه قال : ولد محمد الأمين بن  
هارون الرشيد في شرال سنة سبعين ومائة <sup>(١)</sup> ] . وأنته الخلافة بمدينة السلام بغداد ثلاث عشرة  
ليلة بقيت من جهادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وقيل ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم ، وقتل  
سنة ثمان وتسعين ومائة ، قتله قر يش الدنداني ، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على ربح  
وتلاه هذه الآية [ قل اللهم مالك الملك ] وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام ، وكان  
طويلاً سمينا أبيض أفنى الأنف صغير العينين ، عظيم الكراديس بعيداً ما بين المنكبين . وقد رماه  
بعضهم بكثرة اللعب والشرب وقلة الصلاة . وقد ذكر ابن جرير طرفاً من سيرته في إكثاره من  
(١) زيادة من المصرية .

فتنناه السودان والخصيان ، وإعطائه الأموال والجواهر ، وأمره بإحضار الملاحى والمغنين من سائر  
لبلاد ، وأنه أمر بعمل خمس حراقات على صورة الفيل والأسد والعقاب والحية والفرس ، وأنفق  
على ذلك أموالاً جزيلاً جداً ، وقد امتدحه أبو نواس بشعر أقبیح فى معناه من صنيع الأمين فانه قال  
فى أوله :  
سخرَ اللهُ للأمين مطايا \* لم تسخرْ لصاحبِ الحرايبِ  
فاذا ماركابهُ سرنَ برأ \* سارَ فى الماءِ راكباً ليث غابِ

ثم وصف كلا من تلك الحراقات . واعتنى الأمين ببنائات هائلة للترفة وغيرها ، وأنفق فى ذلك  
أموالاً كثيرة جداً . فكثير النكير عليه بسبب ذلك .

وذكر ابن جرير أنه جالس يوماً فى مجلس أنفق عليه مالا جزيلاً فى الخلد ، وقد فرش له بأنواع  
الحرير ، ونضد بأنية الذهب والفضة ، وأحضر ندماءه وأمر القهرمانه أن تهى له مائة جارية حسناء  
وأمرها أن تبعثن إليه عشرأ بعد عشر يغنيهنه ، فلما جاءت العشر الأولى اندفعن يغنين بصوت واحد :  
هُمُو قتلوه كي يكونوا مكانه \* كما غدرت يوماً بكسرى مرزبنة  
فغضب من ذلك وتبرم وضرب رأسها بالكأس ، وأمر بالقهرمانه أن تلقى إلى الأسد فأكلها .  
ثم استدعى بعشرة فاندفعن يغنين :

من كان مسروراً بمقتل مالك \* فليات نسوتنا بوجه نهار  
يجد النساء حواسراً يندبنه \* يلطن قبل تبليج الأسحار  
فطردهن واستدعى بعشر غيرهن ، فلما حضرن اندفعن يغنين بصوت واحد :  
كايبت لعمري كان أكثر ناصراً \* وأيسر ذنباً منك ضرج بالدم  
فطردهن وقام من فوره وأمر بتخريب ذلك المجلس وتحويل مافيه .

وذكر أنه كان كثير الأدب فصيحاً يقول الشعر ويعطى عليه الجوائز الكثيرة ، وكان شاعره  
أبو نواس ، وقد قال فيه أبو نواس مدائح حسانا ، وقد وجده مسجوناً فى حبس الرشيد مع الزنادقة  
فأحضره وأطلقه وأطلق له مالا وجعله من ندمائه ، ثم حبسه مرة أخرى فى شرب الخمر وأطال حبسه  
ثم أطلقه وأخذ عليه العهد أن لا يشرب الخمر ولا يأقى الذكور من المردان فامتثل ذلك ، وكان  
لا يفعل شيئاً من ذلك بعد ما استتابه الأمين ، وقد تأدب على الكسائى وقرأ عليه القرآن . وروى  
الخطيب من طريقه حديثاً أورده عنه لما عزمى فى غلام له توفى بمكة فقال : حدثنى أبى عن أبيه  
عن المنصور عن أبيه عن على بن عبد الله عن أبيه قال : سمعت رسول الله . يقول . « من  
مات محرماً حشر ملياً » .

وقد قدسنا ما وقع بينه وبين أخيه من الاختلاف والفرقة ، حتى أفضى ذلك إلى خلعه وعزله ، ثم

إلى التضيق عليه ، ثم إلى قتله ، وأنه حصر في آخر أمره حتى احتاج إلى مصالحة هرثمة ، وأنه ألقى في حراقة ثم ألقى منها فسبح إلى الشط الآخر فدخل دار بهض العامة وهو في غاية الخوف والدهش والجوع والحر ، فجلس الرجل يلقيه الصبر والاستنفار ، فاشتغل بذلك ساعة من الليل ، ثم جاء الطلب ورأوه من جهة طاهر بن الحسين بن مصعب ، فدخلوا عليه وكان الباب ضيقاً فنادفوا عليه وقام إليهم فحمل يداهم عن نفسه بمخدة في يده ، فما وصلوا إليه حتى عرقبوه وضربوا رأسه وأخضرتة بالسيوف ، ثم ذبحوه وأخذوا رأسه وجثته فأتوا بهما طاهراً ، وفرح بذلك فرحاً شديداً ، وأمر بنصب الرأس فوق رمح هناك حتى أصبح الناس ينظرون إليه فوق الرمح عند باب الأنبار ، وكثر عدد الناس ينظرون إليه . ثم بعث طاهر برأس الأمين مع ابن عمه محمد بن مصعب ، وبعث معه بالبردة والتضييب والنمل - وكان من خواص مبطن - فسلمه إلى ذى الرياستين ، فدخل به على المأمون على ترس ، فلما رآه سجد وأمر لمن جاء به بألف ألف درهم . وقد قال ذو الرياستين حين قدم الرأس يؤلب على طاهر : أمرناه بأن يأتي به أسيراً فأرسل به إلينا عقيراً . فقال المأمون : مضى ما مضى . وكتب طاهر إلى المأمون كتاباً ذكر فيه صورة ما وقع حتى آكل الحلال إلى ما آكل إليه . ولما قتل الأمين هدأت الفتن وخمدت الشرور ، وأمن الناس ، وطابت النفس ، ودخل طاهر بغداد يوم الجمعة وخطبهم خطبة بليغة ذكر فيها آيات كثيرة من القرآن ، وأن الله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد ، وأمرهم فيها بالجماعة والسمع والطاعة ثم خرج إلى معسكره فأقام به وأمر بتحويل زبيدة من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد ، فخرجت يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، وبعث موسى وعبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون بخراسان ، وكان ذلك رأياً سديداً . وقد وثب طائفة من الجنود على طاهر بعد خمسة أيام من مقتل الأمين وطالبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده إذ ذاك مال ، فتحزبوا واجتمعوا ونهبوا بهض متاعه ونادوا : يا موسى يا منصور ، واعتقدوا أن موسى بن الأمين الملقب بالنطاق هناك ، وإذا هو قد سيره إلى عمه . وانحاز طاهر عن معه من القواد ناحية وعزم على قتالهم بمن معه ، ثم رجعوا إليه واعتذروا وندبوا ، فأمر لهم برزق أربعة أشهر بعشرين ألف دينار اقترضها من بعض الناس ، فطابت الخواطر . ثم إن إبراهيم بن المهدي قد أسف على قتل محمد الأمين بن زبيدة ورثاه بأبيات ، فبلغ ذلك المأمون فبعث إليه يعنقه ويلومه على ذلك . وقد ذكر ابن جرير مراني كثيرة للناس في الأمين ، وذكر من أشمار الذين هجموه طرفاً ، وذكر من شر طاهر بن الحسين حين قتله قوله : -

ملكك الناس قسراً واقتداراً \* وقتلت الجسارة السكبارا  
ووجهت الخلافة نحو مرو \* إلى المأمون تبتدراً ابتدارا

### خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد هارون

لما قتل أخوه محمد في ربيع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل في المحرم ، استومت البيعة شرقاً وغرباً للمأمون : فولى الحسن بن سهل نيابة العراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن ، وبعث نوابه إلى هذه الأقاليم ، وكتب إلى طاهر بن الحسين أن ينصرف إلى الرقة لحرب نصر بن شبث ، وولاه نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب . وكتب إلى هرثمة بن أعين نيابة خراسان . وفيها حج بالناس المباس بن عيسى الهاشمي . وفيها توفى سفيان بن عيينة . وعبد الرحمن ابن مهدي . وبجى القطنان . فهؤلاء الثلاثة سادة العلماء في الحديث والفقه وأسماء الرجال .

### ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة .

فيها قدم الحسن بن سهل بغداد نائباً عليها من جهة المأمون ، ووجه نوابه إلى بقية أعماله ، وتوجه طاهر إلى نيابة الجزيرة والشام ومصر وبلاد المغرب . وسار هرثمة إلى خراسان نائباً عليها ، وكان قد خرج في أواخر السنة الماضية في ذى الحجة منها ، الحسن الهرش يدعو إلى الرضى من آل محمد ، فنجي الأموال وانتهب الأنعام وطغى في البلاد فساداً فبعث إليه المأمون جيشاً فقتلوه في المحرم من هذه السنة . ووفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة ، يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وهو الذي يقال له ابن طباطبا ، وكان القائم بأمره وتدبير الحرب بين يديه أبو السرايا الشري بن منصور الشيباني ، وقد اتفق أهل الكوفة على موافقته واجتمعوا عليه من كل فج عميق ، ووفدت إليه الأعراب من نواحي الكوفة ، وكان النائب عليها من جهة الحسن بن سهل سليمان ابن أبي جعفر المنصور ، فبعث الحسن بن سهل يلومه ويؤنبه على ذلك ، وأرسل إليه بعشرة آلاف فارس صحبة زاهر بن زهير بن المسيب ، فقتلوا خارج الكوفة فهزموا زاهراً واستباحوا جيشه ونهبوا ما كان معه ، وذلك يوم الأربعاء سلتخ جمادى الآخرة ، فلما كان الغد من الواقعة توفى ابن طباطبا أمير الشيعة نجاة ، يقال إن أبا السرايا سمع وأقام مكانه غلاماً أمرد يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن طالب . وانزل زاهر بن يحيى معه من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة ، وأرسل الحسن بن سهل مع عبدوس بن محمد أربعة آلاف فارس ، صورة مدد زاهر ، فالتقوا وأبو السرايا فهزمهم أبو السرايا ولم يفلت من أصحاب عبدوس أحد ، وانتشر الطالبيون في تلك البلاد ، وضرب أبو السرايا الدرهم والدنانير في الكوفة ، ونقش عليه ( إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ) الآية . ثم بعث أبو السرايا جيوشه إلى البصرة وواسط والمدائن فهزموا من فيها من النواب ودخلوها قهراً ، وقويت شوكتهم ، فأمر ذلك الحسن بن سهل وكتب إلى هرثمة يستدعيه لحرب أبي السرايا



فمنع ثم قدم عليه فخرج إلى أبي السرايا فهزم أبا السرايا شير مرة وطرده حتى رده إلى الكوفة  
 ووثب الطالبيون على دور بن العباس بالكوفة فمهرها وخر بها ضياعهم ، وفعلوا أفملاً قبيحة .  
 وبث أبو السرايا إلى المداين فاستجابوا ، وبث إلى أهل مكة حسين بن حسن الأفطس ليقيم لهم  
 الموسم نفاق أن يدخلها جبرة ، ولما سمع فأناب مكة - وهو داود بن عيسى بن موسى بن علي بن  
 عبد الله بن عباس - هرب من مكة طالباً أرض العراق ، وبقي الناس بلا إمام فمثل مؤذنها أحمد  
 ابن محمد بن الوليد الأزرق أن يصلى بهم فأبى ، فقبل لقاضيا محمد بن عبد الرحمن الخزومي  
 فامتنع ، وقال : إن أدهو وقد هرب نواب البلاد . فقدم الناس رجلاً منهم فصلى بهم الظهر والعصر ،  
 وبلغ الخبر إلى حسين الأفطس فدخل مكة في عشرة أنفس قبل الفروب فطاف بالبيت ، ثم وقف  
 بعرفة ليلاً وصلى بالناس الفجر بمردلفة وأقام بقية المناسك في أيام منى ، فدفع الناس من عرفة بنهر  
 إمام . وفيها توفى إسحاق بن سليمان . وابن نمير . وابن سابور . وعمر والعنبري ، والد مطيع البلخي .  
 ويونس بن بكير . ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة

في أول يوم منها جلس حسين بن حسن الأفطس على طنفسة مثلثة خلف المقام وأمر بتجريد  
 الكعبة مما عليها من كساوى بنى العباس ، وقال : نظرها من كساويهم . وكساها ملاءتين صفراوتين  
 عليهما اسم أبي السرايا ، ثم أخذ ما في كنز الكعبة من الأموال ، وتتبّع ودائع بنى العباس  
 فأخذها ، حتى أنه أخذ مال ذوى المال ويزعم أنه لهسودة . وهرب منه الناس إلى الجبال ، وسبك  
 ما على رؤس الأساطين من الذهب ، وكان ينزل مقدار يسير بعد جهد ، وقلعوا ما في المسجد الحرام  
 من الشبايك وباعوها بالبخرس ، وأسأوا السيرة جداً . فلما بلغه مقتل أبي السرايا كتم ذلك وأمر  
 رجلاً من الطالبين شيخاً كبيراً ، واستمر على سوء السيرة ، ثم هرب في سادس عشر المحرم منها ،  
 وذلك لما قهر هرثمة أبا السرايا وهزم جيشه وأخرجه ومن معه من الطالبين من الكوفة ، ودخلها  
 هرثمة ومنصور بن المهدي فأمّنوا أهلها ولم يتعرضوا لأحد . وسار أبو السرايا بمن معه إلى القادسية ، ثم  
 سار منها فاعترضهم بعض جيوش المأمون فهزمهم أيضاً وجرح أبو السرايا جراحة منكرة جداً ،  
 وهر بوا يريدون الجزيرة إلى منزل أبي السرايا برأس العين ، فاعترضهم بعض الجيوش أيضاً فأسروهم  
 وأتوا بهم الحسن بن سهل وهو بالنهر وان حين طرده الحرابية ، فأمر بضرب عنق أبي السرايا فجزع  
 من ذلك جزعاً شديداً جداً وطيف برأسه وأمر بجسده أن يقطع اثنتين وينصب على جسرى  
 بغداد ، فكان بين خروجه وقتله عشرة أشهر . فبهت الحسن بن سهل بن محمد إلى المأمون مع  
 رأس أبي السرايا . وقال بعض الشعراء :

ألم تر ضرباً الحسن بن سهل \* بسيفك يا أمير المؤمنين

أدارت رؤوس أبي السرايا \* وأبقت عبرة للعالمينا

وكان الذي في يده البصرة من الطالبيين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ويقال له زيد النار ، لكثرة ما حرق من البيوت التي للسودة ، فأمره علي بن سعيد وأمنه وبث به وبمن معه من القواد إلى اليمن لقتال من هناك من الطالبيين .

وفيها خرج باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ، ويقال له الجزار لكثرة من قتل من أهل اليمن ، وأخذ من أموالهم . وهو الذي كان بمكة وفعل فيها ما فعل كما تقدم ، فلما بلغه قتل أبي السرايا هرب إلى اليمن ، فلما بلغ نائب اليمن خبره ترك اليمن وسار إلى خراسان واجتاز بمكة . وخذ أمه منها . واستحوذ إبراهيم هذا على بلاد اليمن وجرت حروب كثيرة يطول ذكرها ، ورجع محمد بن جعفر العلوي عما كان بزعمه ، وكان قد ادعى الخلافة بمكة ، وقال : كنت أظن أن المأمون قد مات وقد تحققت حياته ، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما كنت ادعيت من ذلك ، وقد رجعت إلى الطاعة وأنا رجل من المسلمين . ولما هزم هرثة أبا السرايا ومن كان معه من ولاية الخلافة وهو محمد بن محمد بن محمد وشي بعض الناس إلى المأمون أن هرثة راسل أبا السرايا وهو الذي أمره بالظهور ، فاستداه المأمون إلى مرو فأمر به فضرب بين يديه ووطئ بطنه ثم رفع إلى الحبس ثم قتل بعد ذلك بأيام ، وانطوى خبره بالكيفية . ولما وصل خبر قتله إلى بغداد عثمت العامة والحربية بالحسن بن سهل نائب العراق وقالوا : لا نرضى به ولا بعلمه ببلادنا ، وأقاموا إسحاق بن موسى المهدي نائباً ، واجتمع أهل الجانبين على ذلك ، والتفت على الحسن بن سهل جماعة من الأمراء والأجناد ، وأرسل من وافق العامة على ذلك من الأمراء يحرصهم على القتال ، وجرت الحروب بينهم ثلاثة أيام في شعبان من هذه السنة . ثم اتفق الحال على أن يعطيهم شيئاً من أرزاقهم ينفقونها في شهر رمضان ، فزال يطمطم إلى ذي القعدة حتى يدرك الزرع ، فخرج في ذي القعدة زيد بن موسى الذي يقال له زيد النار ، وهو أخو أبي السرايا ، وقد كان خروجه هذه المرة بتاحية الأنبار ، فبعث إليه علي بن هشام نائب بغداد عن الحسن بن سهل والحسن بالمدائن إذ ذاك فأخذ وأتى به إلى علي بن هشام ، وأطفأ الله نارته .

؛ بعث المأمون في هذه السنة يطلب من بقي من العباسيين ، وأحصى كم العباسيون قبلوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ، ما بين ذكور وأناث . وفيها قتلت الروم ملكهم اليون ، وقد ملكهم سبع سنين ، وملكوا عليهم ميخائيل نأبته . وفيها قتل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل ، لأنه قال للمأمون : يا أمير الكافرين . فقتل صبرا بين يديه . وفيها حج بالناس محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد . وفيها توفي من الأعيان :

أسباط بن محمد . وأبو ضمرة أنس بن عياض . ومسلم بن قتيبة . وعمر بن عبد الزاحد . وابن أبي فديك . وميشير بن إسماعيل . ومحمد بن جبير . ومناذ بن هشام .

### ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

فيها راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك ، فراودوه على أن يكون نائبا للأهون يدعو له في الخطبة فأجابهم إلى ذلك ، وقد أخرجوا على بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين أظهرهم بمسد أن جرت حروب كثيرة بسبب ذلك . وفيها عم البلاء بالميارين والشطار والفساق ببغداد وما حولها من القرى ، كانوا يأتون الرجل يسألونه مالا يقرضهم أو يعطوهم به فيمنع عليهم فيأخذون جميع مافي منزله ، وربما أمرضوا للذلمان والنسوان ، ويأتون أهل القرية فيسناقون من أدنعام والمواشي ويأخذون ماشاؤوا من الغلمان والنسوان ، ونهبوا أهل قطر بل ولم يدعوا لهم شيئا أصلا ، فانتسب لهم رجل يقال له خالد الدريوش ، وآخر يقال له سهيل بن سلامة أبو حاتم الأنصاري من أهل خراسان . والنف عليهم جماعة من العامة فكفروا شرهم وقابلوهم ومنعوم من الفساد في الأرض ، واستقرت الأمور كما كانت ، وذلك في شعبان ورمضان . وفي شوال منها رجيع الحسن بن سهل إلى بغداد وصالح الجند ، وانفصل منصور بن المهدي ومن وافقه من الأمراء . وفيها بايع المأمون لعلي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أن يكون ولي العهد من بعده ، وسماه الرضى من آل محمد ، وطرح لبس السواد وأمر بلبس الخضرة ، فلبسها هو وجنوده ، وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم ، وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، وذلك أن المأمون رأى أن عليا الرضى خير أهل البيت وليس في بني العباس مثله في عمله ودينه ، فجعله ولي عهده من بعده .

### بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي

لما جاء أظهر أن المأمون بايع لعلي الرضى بالولاية من بعده اختلفوا فيها بينهم ، فمن مجيب مبايع ، ومن آب ممانع ، وجهور العباسيين على الامتناع من ذلك ، وقام في ذلك ابنا المهدي إبراهيم ومنصور ، فلما كان يوم الثلاثاء لحس بقين من ذى الحجة أظهر العباسيون البيعة لإبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك . وكان أسود اللون . ومن بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي ، وخلصوا المأمون . فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذى الحجة أرادوا أن يدعوا للمأمون ثم من بعده لإبراهيم فقالت العامة : لا تدعوا إلا إلى إبراهيم فقط ، واختلفوا واضطربوا فيها بينهم ، ولم يصلوا الجمعة ، وصل الناس فرادى أربع ركعات .

وفيها افتتح نائب طبرستان جبالها وبلاد اللارز والشيرز . وذكر ابن حزم أن سلما الخناس

قال في ذلك شعرا . وقد ذكر ابن الجوزي وغيره أن سلماً توفي قبل ذلك بسنين فأنه أعلم .  
وفيهما أصاب أهل خراسان والرى وأصبهان مجاعة شديدة وغلا الطعام جداً . وفيها تحرك بابك  
الخرمي واتبه طوائف من السملة والجملة وكان يقول بالناسخ . وسياق ما آل أمره إليه . وفيها حج  
بالناس إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي .

وفيهما توفي من الأعيان : أبو أسامة حماد بن أسامة . وحماد بن مسعدة وحرسى بن عمارة .  
وعلى بن عاصم . ومحمد بن محمد صاحب أبي السرايا الذي قد كان بايعه أهل الكوفة بعد ابن طباطبا .

### ثم دخلت سنة ثنتين ومائتين

في أول يوم منها يبيع لإبراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المأمون ، فلما كان يوم الجمعة  
خامس المحرم صعد إبراهيم بن المهدي المنبر فبايعه الناس ولقب بالمبارك ، وغلب على الكوفة وأرض  
السواد ، وطلب منه الجند أرزاقهم فطالهم ثم أعطاهم مائتي درهم لكل واحد ، وكتب لهم بتمويض  
من أرض السواد ، فخرجوا لا يرون بشيء إلا أنهم بوه ، وأخذوا حاصل الفلاح والسلطان ، واستتاب  
على الجانب الشرقي العباس بن موسى الهادي ، وعلى الجانب الغربي إسحاق بن موسى الهادي .  
وفيهما خرج خارجي يقال له مهدي بن علوان ، فبعث إليهم إبراهيم جيساً عليهم أبو إسحاق المنعم  
ابن الرشيد في جماعة من الأمراء فكسره ورد كيده . وفيها خرج أخو أبي السرايا فيبيض بالكوفة  
فأرسل إليه إبراهيم بن المهدي من قاتله فقتل أخو أبي السرايا وأرسل برأسه إلى إبراهيم ، ولما كان  
ليلة أربع عشرة من ربيع الآخر من هذه السنة ظهرت في السماء حمرة ثم ذهب وتبقى بعدها  
عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل ، وجرت بالكوفة حروب بين أصحاب إبراهيم وأصحاب  
المأمون ، وافتتلوا قتالاً شديداً . وعلى أصحاب إبراهيم السواد ، وعلى أصحاب المأمون الخضر ،  
واستمر القتال بينهم إلى أواخر رجب .

وفيهما ظفر إبراهيم بن المهدي بسول بن سلامة المطوع فسجنه ، وذلك أنه التف عليه جماعة من الناس  
يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن كانوا قد جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان  
ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة ، وصار باب داره كأنه باب دار السلطان ، عليه السلاح والرجال  
وغير ذلك من أهبة الملك ، فقاتله الجند فكسروا أصحابه فألقى السلاح وصار بين النساء والنظارة  
ثم اختفى في بعض الدور ، فأخذ وجى به إلى إبراهيم فسجنه سنة كاملة . وفيها أقبل المأمون من  
خراسان قاصداً العراق ، وذلك أن علي بن موسى الرضى أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتن  
والاختلاف بارض العراق ، وبأن الهاشميين قد أتوا إلى الناس بأن المأمون مسحور ومسجون ،  
وأنهم قد نعموا عليك ببيتك لعل بن موسى ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين إبراهيم

ابن المهدي . فاستدعى المأمون بجماعة من أمرائه وأقربائه فسألهم عن ذلك فصدقوا عليا فيما قال ، بعد أخذهم الأمان منه ، وقالوا له : إن الفضل بن سهل حسن لك قتل هريرة ، وقد كان ناصحاً لك . فمأجله بقتله ، وإن طاهر بن الحسين مهد لك الأمور حتى قاد إليك الخلافة بزمامها فطردته إلى الرقة فبعد لا عمل له ولا استنمضه في أمر ، وإن الأرض تفتنت بالشرور والفتن من أقطارها . فلما تحقق ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ، وقد فطن الفضل بن سهل بما تملاً عليه أولئك الناصحون ، فضرب قوماً وتفتلحى بعضهم . وسار المأمون فلما كان بسرخص عبداً قوم على الفضل بن سهل وزير المأمون وهو في الحمام فقتلوه بالسيوف ، وذلك يوم الجمعة ليلتين خلطنا من شوال وله ستون سنة ، فبعث المأمون في آثارهم فجئى بهم وهم أربعة من الماليك فقتلهم ، وكتب إلى أخيه الحسن بن سهل يزيه فيه ، وولاه الوزارة مكانه ، وارتحل المأمون من سرخص يوم عيد الفطر نحو العراق وإبراهيم بن المهدي بالمداين ، وفي مقابلته جيش يقاقلونه من جهة المأمون .

وفيهما تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل ، وزوج علي بن موسى الرضى بابنته أم حبيب وزوج ابنه محمد بن علي بن موسى بابنته الأخرى أم الفضل . وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو علي الرضى ، ودعا لأخيه بعد المأمون ، ثم انصرف بعد الحج إلى اليمن ، وقد كان تذاب عليها حمدويه بن علي بن موسى بن ماهان . وفيها توفى : أيوب بن سويد . وضمرة . وعمرو بن حبيب . والفضل بن سهل الوزير . وأبو يحيى الخثاني .

### ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

فيها وصل المأمون العراق وسر بطوس فنزل بها وأقام عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر ، فلما كان في آخر الشهر أكل علي بن موسى الرضى عنبات فجأة فصلى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد ، وأسف عليه أسفاً كثيراً فيما ظهر ، وكتب إلى الحسن بن سهل يزيه فيه ويخبره بما حصل له من الحزن عليه ، وكتب إلى بني الدباس يقول لهم : إنكم إنما تقيمتم علي بسبب توليتي النهدي من بعدى لعلي بن موسى الرضى ، وما هو قدم مات فارجعوا إلى السمع والطاعة . فأجابوه بأغلف جواب كتب به إلى أحمد . وفيها تغلبت الثوار على الحسن بن سهل حتى قيد بالحديد وأودع في بيت ، فكتب الأمراء بذلك إلى المأمون ، فكتب إليهم إني واصل علي إثر كتابي هذا . ثم جرت حروب كثيرة بين إبراهيم وأهل بغداد ، وتنكروا عليه وأبغضوه . وظهرت الفتن والشطار والفساق ببغداد وتفاقم الحال ، وصلوا يوم الجمعة ظهراً ، أمهم المؤذنون فيها من غير خطبة ، صلوا أربع ركعات ، واشتد الأمر واختلف الناس فيما بينهم في إبراهيم والمأمون ، ثم غلبت المأمونية عليهم .

### خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي

لما كان يوم الجمعة المقبلة دعا الناس المأمون وخلعوا إبراهيم ، وأقبل حميد بن عبد الحميد في جيش

من جهة المأمون فخاصر بغداد . وطمع جندها في العطاء إذا قدم فطارعوه على السمع والطاعة للمأمون .  
وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالد في جماعة من جهة إبراهيم بن المهدي ، ثم احتال عيسى حتى  
صار في أيدي المأمونية أسيراً ، ثم آل الحال إلى اختفاء إبراهيم بن المهدي في آخر هذه السنة .  
وكانت أيامه سنة وإحدى عشر شهراً واثني عشر يوماً . وقدم المأمون في هذا الوقت إلى همدان  
وجيوشه قد استتقنوا بغداد إلى طاعته . وحجج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان  
ابن علي . وفيها توفي من الأعيان :

## علي بن موسى

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي العلوي الملقب  
بالرضي ، كان المأمون قد هم أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك ، فجعله ولي العهد من بعده كما  
قدمنا ذلك . توفي في صفر من هذه السنة بطرس . وقد روى الحديث عن أبيه وغيره ، وعنه جماعة  
منهم المأمون وأبو السلط المرزوق وأبو عثمان المازني النحوي ، وقال سمعته يقول : الله أعلم من أن  
يكلف العباد مالا يطيقون ، وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون . ومن شعره :

كلنا يأملُ مدأ في الأجل \* والنيا من آفات الأمل

لا تفرنك أباطيلُ المنى \* والزم القصد ودع عنك الملال

إنما الدنيا كظلي زائل \* حل فيه راكب ثم ارتحل

## ثم دخلت سنة أربع ومائتين

فيها كان قدوم المأمون أرض العراق ، وذلك أنه مر بمرجان فأقام بها شهراً ، ثم سار منها وكان  
ينزل في المنزل يوماً أو يومين ، ثم جاء إلى النهروان فأقام بها ثمانية أيام ، وقد كتب إلى طاهر بن  
الحسين وهو بالرقعة أن يوافيه إلى النهروان فوافاه بها وتلقاه رؤس أهل بيته والقواد وجمهور الجيش ،  
فلما كان يوم السبت الآخر دخل بغداد حين ارتفع النهار لأربع عشرة ليلة خلت من صفر ، في  
أبهة عظيمة وجيش عظيم ، وعليه وعلى جميع أصحابه وفتيانه الخضر ، فلبس أهل بغداد وجميع  
بنو هاشم الخضر ، ونزل المأمون بالرصافة ثم تحول إلى قصر على دجلة ، وجعل الأمراء ووجوه  
الدولة يترددون إلى منزله على العادة ، وقد تحول لباس البغدادية إلى الخضر ، وجعلوا يحرقون كل  
ما يجسده من السواد ، فكثروا كذلك ثمانية أيام . ثم استعرض حوائج طاهر بن الحسين ، فكان  
أول حاجة سألهما أن يرجع إلى لباس السواد ، فانه لباس آباؤه من دولة ورثة الأنبياء . فلما كان  
السبت الآخر وهو الثامن والعشرين من صفر جلس المأمون للناس وعليه الخضر ، ثم إنه أمر بخلع  
سوداء فألبسها طاهراً ، ثم ألبس بعده جماعة من الأمراء السواد ، فلبس الناس السواد وعادوا إلى

ذلك ، فلم ينبس بذلك الطاعة والموافقة ، وقيل إنه مكث يابس الحضرة بعد قدومه بغداد سبعا وعشرين يوماً ، فأنه أعلم .

ولما جاء إليه عمه إبراهيم بن المهدي بعد اخفائه ست سنين وشهوراً قال له المأمون : أنت الخليفة الأسود ، فأخذ في الاعتذار والاستغفار ، ثم قال : أنا الذي مننت عليه يا أمير المؤمنين بالعفو ، وأنشد المأمون عند ذلك :

ليس بزري السوداء بالرجل الشهم \* ولا بالفتى الأديب الأريب  
إن يكن للساود منك نصيب \* فببائس الأخلاق منك نصيب

قال ابن خلدون : وقد نظم هذا المعنى بعض المتأخرين وهو نصر الله بن قلاؤنس الاسكندري فقال :

رب سوداء وهي بيضاء فعل \* حسد المسك عندها الكافور  
مثل حب العيون بحسبة الناس \* سواداً وإنسا هو نور

وكان المأمون قد شاور في قتل عمه إبراهيم بن المهدي بعض أصحابه فقال له أحمد بن خالد الوزير الأحول : يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظراء في ذلك ، وإن عفوت عنه فذلك أظلم . ثم شرع المأمون في بناء قصور على دجلة إلى جانب قصره ، وسكنت الفتن والزاحات الشريرة ، وأمر بمقاسمة أهل السواد على الحسين ، وكانوا يقاسمون على النصف . وأخذ القفيز الملح وهو عشرة مكاكي بالمركب الأهوازي ، ووضع شيئاً كثيراً من خراجات بلاد شتى ، ورفق بالناس في مواضع كثيرة ، وولى أخاه أبا عيسى بن الرشيد الكوفة ، وولى أخاه صالحاً البصرة ، وولى عبيد الله بن الحسين ابن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب نيابة الحرمين ، وهو الذي حج بالناس فيها . وواقع يحيى بن معاذ بابك الخرمي فلم يظفر به . وفيها توفي من الأعيان جماعة منهم :

### أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي

وقد أوردنا له ترجمة مطولة في أول كتابنا طبقات الشافعيين ، ولنذكر ههنا ماخصاً من ذلك والله المستعان .

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، القرشي المطلبي ، والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر ، وابنه شافع ابن السائب من صفار الصحابة ، وأمه أزدية . وقد رأت حين حملت به كأن المستنصرى خرج من فرجها حتى انقض بمصر ، ثم وقع في كل بلد منه شظية . وقد ولد الشافعي بغزة ، وقيل بمسقلان ، وقيل باليمن سنة خمسين ومائة ، ومات أبوه وهو صغير لما أنه أمه إلى مكة ودرأه سنين ثلاثاً يصعب نسبه ، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر ، وأفتى وهو ابن

خمس عشرة سنة . وقيل ابن ثمانى عشرة سنة ، أفذ له شيخه مسلم بن خالد الزنجي ، وعنى باللغة والشعر ، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين ، وقيل عشرين سنة ، فتعلم منهم لغات العرب وفصاحتها ، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة ، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من حفظه فأعجبهت قراءته وسمه ، وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي . وروى عنه خلق كثير قد ذكرنا أسماءهم مرتبين على حروف المعجم ، وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين عن شبيل عن ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله (ص) ، عن جبريل عن الله عز وجل .

وأخذ الشافعي الفقه عن مسلم بن خالد عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما عن جماعة من الصحابة ، منهم عمرو بن علي وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم . وكاهم عن رسول الله (ص) . وتفق أيضاً على مالك عن مشايخه ، وتفق به جماعة قد ذكرناهم ومن بعدهم إلى زماننا في تصديف مفرد . وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي بشر الدولابي عن محمد بن إدريس وراق الحميدي عن الشافعي أنه ولي الحكم بنجران من أرض اليمن ، ثم تمصبوا عليه وشوا به إلى الرشيد أنه يروم الخلافة . فحمل على بفل في قيد إلى بغداد فدخلها في سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة ، فاجتمع بالرشيد فنناظر هو ومحمد بن الحسن بين يدي الرشيد ، وأحسن القول فيه محمد بن الحسن ، وتبين للرشيد براءته مما نسب إليه ، وأنزله محمد بن الحسن عنده . وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة ، وقيل بسنتين ، وأكرمه محمد بن الحسن وكتب عنه الشافعي وقر بغيره ، ثم أطلق له الرشيد ألفي دينار وقيل خمسة آلاف دينار . وعاد الشافعي إلى مكة ففرق عامة ما حصل له في أهله وذوى رحمه من بنى عمه ، ثم عاد الشافعي إلى العراق في سنة خمس وتسعين ومائة ، فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم أحمد بن حنبل وأبو نور والحسين بن علي الكرابيسي ، والحارث بن شريح البقال ، وأبو عبد الرحمن الشافعي ، والزعفراني ، وغيرهم . ثم رجع إلى مكة ثم رجع إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة ، ثم انتقل منها إلى مصر فأقام بها إلى أن مات في هذه السنة ، سنة أربع ومائتين . وصنف بها كتابه الأم وهو من كتبه الجديدة لأنها من رواية الربيع ابن سليمان ، وهو مصري . وقد زعم إمام الحرمين وغيره أنها من القديم ، وهذا بعيد ومجيب من مثله والله أعلم .

وقد أثنى على الشافعي غير واحد من كبار الأئمة منهم عبد الرحمن بن مهدي وسأله أن يكتب له كتاباً في الأصول فكتب له الرسالة ، وكان يدعو له في الصلاة دائماً ، وشيخه مالك بن أنس وقتيبة ابن سعيد . وقال : هو إمام . وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وكان يدعو له أيضاً في



صلاته . وأبو عبيد ، وقال : ما رأيت أفصح ولا أعتل ولا أروع من الشافعي . ويحيى بن اكرم القاضي ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن الحسن ، وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح أقوالهم . وكان أحمد بن حنبل يدعوه في صلاته نحواً من أربعين سنة ، وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود من طريق عبد الله بن وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد عن أبي خزيمة عن أبي هريرة عن النبي (س) : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . قال فعمربن عبد المزي على رأس المائة الأولى ، والشافعي على رأس المائة الثانية . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا جعفر بن سليمان عن نصر بن معبد الكندي - أو العبدى - عن الجارود عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله (س) : « لا تسبوا قریشاً فان علمها يملأ الأرض علماً ، اللهم إنك إذ أذقت أولها عذاباً ودبالات فأذقت آخرها نوالاً » . وهذا غريب من هذا الوجه ، وقد رواه الحاكم في مستدرکه عن أبي هريرة عن النبي (س) بنحوه . قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد الاسفراييني : لا ينطبق هذا إلا على محمد بن إدريس الشافعي . حكاه الخطيب . وقال يحيى بن معين عن الشافعي : هو صدوق لا بأس به . وقال مرة : لو كان الكذب له مباحاً مطلقاً لكانت مروءته تمنمه أن يكذب . وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : الشافعي فقيه البدن ، صدوق اللسان . وحكى بمضهم عن أبي زرعة أنه قال : ما عند الشافعي حديث غلط فيه . وحكى عن أبي داود نحوه .

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة - وقد سئل هل سنة لم تبلغ الشافعي ؟ - فقال : لا . ومعنى هذا أنها تارة تبلغه بسندها ، وتارة مرسله ، وتارة منقطعة كما هو الموجود في كتبه والله أعلم . وقال حرمله : سمعت الشافعي يقول : سميت ببغداد ناصر السنة . وقال أبو نور : ما رأينا مثل الشافعي ولا هو رأى مثل نفسه . وكذا قال الزعفراني وغيره . وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمه في فضائل الشافعي : للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ، من شرف نسبه ، وصحة دينه ومعرفته ، وسخاوة نفسه ، ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه ، وحفظه الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء وحسن التصنيف ، وجودة الأصحاب والتلامذة ، مثل أحمد بن حنبل في زهده وورعه ، وإقامته على السنة . ثم سرد أعيان أصحابه من البغدادية والمصريين ، وكذا عبد أبو داود من جملة تلاميذه في الفقه أحمد بن حنبل . وقد كان الشافعي من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة ، وأشد الناس نزوعاً للدلائل منها ، وكان من أحسن الناس قصداً وإخلاصاً ، كان يقول : وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إلي شيء منه أبداً فأوجر عليه ولا يحمدوني . وقد قال غير واحد عنه : إذا صح عندك الحديث عن رسول الله (س) ، فقولوا به ودعوا قولى ، فأنى أقول به ، وإن لم تسموا منى .

وفي رواية فلا تقلدوني . وفي رواية فلا تلتفتوا إلى قولي . وفي رواية فاضرربوا بقولي عرض الحائط ، فلا قول لي مع رسول الله (س) . وقال : لأن ياتي الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء . وفي رواية خير من أن يلقاه بعلم الكلام . وقال : لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد . وقال : حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجرید ، ويطاف بهم في القبائل وينادى عليهم هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وقال البويطي : سمعت الشافعي يقول : عليكم بأصحاب الحديث فانهم أكره الناس صواباً . وقال : إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله (س) ، جزاء الله خيراً ، حفظوا لنا الأصل ، فلهم علينا الفضل . ومن شعره في هذا المعنى قوله :

كل العلوم سوى القرآن مشذبة \* إلا الحديث وإلا الفقه في الدين  
العلم ما كان فيه قال حدثنا \* وما سوى ذاك وسواش الشياطين

وكان يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر . وقد روى عن الربيع وغير واحد من رؤس أصحابه ما يدل على أنه كان يبر بآيات الصفات وأحاديتها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ، على طريقة السلف . وقال ابن خزيمة : أنشدني المزني وقال أنشدنا الشافعي لنفسه قوله :

ما شئتَ كانَ وإن لم أشأ \* وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن  
خلقت العباد على ما علمت \* ففي العلم يجرى الفتى والمنس  
فمنهم شقي ومنهم سعيد \* ومنهم قبيح ومنهم حسن  
على ذا مننتَ وهذا خذلت \* وهذا أعنتَ وذا لم تعن

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله (س) ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . وعن الربيع قال : أنشدني الشافعي :

قد عوج الناس حتى أحدثوا بآعاً \* في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل  
حتى استخف بحق الله أكثرهم \* وفي الذي حملوا من حقهم شغل

وقد ذكرنا من شعره في السنة وكلامه فيها وفيما قال من الحكم والمواعظ طرفاً صالحاً في الذي كتبه في أول طبقات الشافعية . وقد كانت وفاته بصر يوم الخميس ، وقيل يوم الجمعة ، في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ، وعن أربع وخمسين سنة ، وكان أبيض جليلاً طويلاً مهيأً بخضب بالحناء ، مخالفاً للشيعة رحمه الله وأكرم مثواه .

وفيهما توفي : إسحاق بن الفرات ، وأشهب بن عبد العزيز المصري المالكي . والحسن بن زياد الألوذي السكوفي الحنفي . وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند ، أحد الحفاظ . وأبو بدر شجاع بن الوليد . وأبو بكر الحنفي . وعبد الكريم . وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف . والنضر بن شمير أحد أئمة اللغة . وهشام بن محمد بن السائب الكلبي أحد علماء التاريخ .

### ثم دخلت سنة خمس ومائتين

ففيها ولي المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب نيابة بغداد والعراق وخراسان إلى أقصى عمل المشرق ، ورضى عنه ورفع منزلته جداً ، وذلك لأجل مرض الحسن بن سهل بالسواد . وولي المأمون مكان طاهر على الرقة والجزيرة يحيى بن معاذ . وقدم عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى بغداد في هذه السنة ، وكان أبوه قد استخلفه على الرقة وأمره بمقاتلة نصر بن شبث . وولي المأمون عيسى ابن يزيد الجلودى مقاتلة الزط . وولي عيسى بن محمد بن أبي خالد أذربيجان . ومات نائب مصر السري بن الحكم بها ، ونائب السنند داود بن يزيد ، فولى مكانه بشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم . وحجج بالناس فيها عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين . وفيها توفي من الأعيان : إسحاق بن منصور السلولى . وبشر بن بكر الدمشقي . وأبو عامر العقدي . ومحمد بن عبيد الطنافسي . ويعقوب الحضري . وأبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن عطية ، وقيل عبد الرحمن ابن أحمد بن عطية ، وقيل عبد الرحمن بن عسكر أبو سليمان الداراني ، أحد أئمة العلماء العاملين ، أصله من واسط سكن قرية غربي دمشق يقال لها داريا .

وقد سمع الحديث من سفیان الثوري وغيره ، وروى عنه أحمد بن أبي الخوارزمي وجماعة . وأسند الحفاظ ابن عساکر من طريقه قال : سمعت علي بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد يقول سمعت إبراهيم بن أدهم يقول سمعت ابن عجلان يذكر عن القمقماق بن حكيم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ، : « من صلى قبل الظهر أربعمائة غفر الله ذنوبه يومه ذلك » . وقال أبو القاسم القشيري : حكى عن أبي سليمان الداراني قال : اختلفت إلى مجلس قاص فأتى كلامه في قلبي ، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء ، فمدت إليه ثانية فأتى كلامه في قلبي بمد ما قمت وفي الطريق ، ثم عدت إليه ثالثة فأتى كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي ، فكسرت آلات الخالقات ولزمت الطريق ، فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال : عصفور اصطاد كركيا - يعني بالمصفور القاص والكركي أبو سليمان - وقال أحمد بن أبي الخوارزمي سمعت أبا سليمان يقول : ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر ، فإذا سمع به في الأثر عمل به فكان نوراً على نور . وقال الجنيد قال أبو سليمان ربما يقع في قلبي السمكة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهد من عدلين : الكتاب والسنة .

قال : وقال أبو سليمان : أفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال لكل شيء علم وعلم الخلدان ترك البكاء من خشية الله . وقال : لكل شيء صداً وصدأ نور القلب شبع البطن . وقال كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو شؤم . وقال : كنت ليلة في المحراب أدعو ويدي ممدودتان فغلبني البرد فضممت إحداهما وبقيت الأخرى مبسوطة أدعو بها ، وغلبتني عيني فتمت فهتف بي هاتف : يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها . قال : فأليت على نفسي ألا أدعو إلا ويدي خارجتان ، حرّاً كان أو برداً . وقال : نمت ليلة عن وردى فاذا أنا بجوراء تقول لي : تنام وأنا أربي لك في الخلدور منذ خمسمائة عام ؟ وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول : إن في الجنة أنهاراً على شاطئها خيام فيها الخور ، ينشئ الله خلق الجوراء إنشاءً ، فاذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهم الخيام ، الواحدة منهم جالسة على كرسى من ذهب ميل في ميل ، قد خرجت مهيبتها من جانب الكرسى ، فيجىء أهل الجنة من قصورهم يتزهون على شاطئ تلك الأنهار ما شاؤا ثم يخلو كل رجل بواحدة منهم . قال أبو سليمان : كيف يكون في الدنيا حال من يريد اقتضاض الأبقار على شاطئ تلك الأنهار في الجنة .

وقال : سمعت أبا سليمان يقول : ربما مكثت خمس ليالٍ لا أقرأ بعد الفاتحة بآية واحدة أتفكر في معانيها ، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل ، فسبحان من يرد به بعد . وسمعت يقول : أصل كل خير في الدنيا والآخرة اللطوف من الله عز وجل ، ومفتاح الدنيا الشيع ، ومفتاح الآخرة الجوع . وقال لي يوماً : يا أحمد جوع قليل وعري قليل وقفر قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا . وقال أحمد : اشتبهى أبو سليمان يوماً رغيماً حاراً بملح لجنته به ففض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي ويقول : يارب عجبت لي شهوتي ، لقد أطمت جهدي وشهوتي وأنا نائب ؟ فلم يبق الملح حتى لحق بالله عز وجل . قال : وسمعت يقول : ما رضيت عن نفسي طرفة عين ، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يضموني كاتضاعى عند نفسي ما قدروا . وسمعت يقول : من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلالة الخدمة . وسمعت يقول : من حسن ظنه بالله ثم لم يخفه ويطمه فهو مخدوع . وقال : ينبغي للخوف أن يكون على العبد أغلب الرجاء ، فاذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب . وقال لي يوماً : هل فوق الصبر منزلة ؟ فقلت : نعم - يعني الرضا - فصرخ صرخة فغشى عليه ثم أطاق فقال : إذا كان الصابرون يوفون أجرهم بنير حساب ، فما ظنك بالأخرى وهم الذين رضوا عنهم . وقال : ما يسرني أن في الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها أنفقت في وجوه البر ، وإني أغفل عن الله طرفة عين . وقال : قال زاهد زاهد : أوصني ، فقال : لا يراك الله حيث نهالك ولا يفقدك حيث أمرك ، فقال : زدني . فقال : ما عندى زيادة . وقال من أحسن في نهاره كوفي في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفي في نهاره ، ومن صدق في

ترك شهوة أذهبها الله من قلبه ، والله أكرم من أن يمنب قلباً بشهوة تركت له . وقال : إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة ، وإذا كانت الآخرة في القلب جاءت للدنيا تراحمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تراحم الآخرة ، لأن الدنيا لثيمة والآخرة كريمة ، وما يبني للكريم أن يراحم لثيمها . وقال أحمد بن أبي الخوارى : بت ليلة عند أبي سليمان فسمعته يقول : وعزتك وجلالك لئن طالبني بذنوبي لأطالبينك بمفرك ، واثن طالبتي ببخل لأطالبينك بكرمك ، واثن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهل النار أنى أحبك . وكان يقول : لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي . وكان يقول : ما خلق الله خلقاً أهون على من إبليس ، ولولا أن الله أمرني أن أتوذ منه ماتوذت منه أبداً ، ولو تبدى لي ما علمت إلا صفحة وجهه . وقال : إن اللص لا يجيئ إلى خربة ينتب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أى مكان شاء ، وإنما يجيئ إلى البيت الممور ، كذلك إبليس لا يجيئ إلا إلى كل قلب عامر ليستنزله ويتزله عن كرسية ويسلبه أعز شئ . وقال : إذا أخلص المهدي انقطعت عنه الوسواس والرؤيا . وقال : الرؤيا - يعنى الجنابة - مكثت عشرين سنة لم أحتمل فدخلت مكة فماتتني صلاة العشاء جماعة فاحتلمت تلك الليلة . وقال : إن من خلق الله قوماً لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشغلون بالدنيا عنه ؟ وقال : الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة فما الزهد فيها ، وإنما الزهد في الجنان والخور العين ، حتى لا يرى الله في قلبك غيره . وقال الجنيد : شئ يروى عن أبي سليمان أنا استحسفته كثيراً قوله : من اشتغل بنفسه شغل عن الناس ، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس . وقال : خير السخاء ما وافق الحاجة . وقال : من طلب الدنيا حلالاً واستغناء عن المسألة واستغناء عن الناس لقي الله يوم يلقاه ووجهه كالقمر ليسلة البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً ماخرأ ومكثراً لقي الله يوم يلقاه وهو عليه فضبان . وقد روى نحو هذا مرفوعاً . وقال : إن قوماً طلبوا الغنى في المال وجمه فأخطأوا من حيث ظنوا ، ألا وإنما المعنى في القناعة ، وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة ، وطلبوا الكرامة من اتعلق وإنما هم في التقوى ، وطلبوا التنعم في اللباس الرقيق اللين ، والطعام الطيب ، والمسكن الأنيق المنيف ، وإنما هم في الاسلام والايمان والعمل الصالح والستر والمعافية وذكر الله . وقال : لولا قيام الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وما أحب الدنيا لغرس الأشجار ولالكرى الأثمار . وإنما أحبها لقيام المواجر وقيام الليل . وقال : أهل الطاعة في ليلهم ألد من أهل اللهو في لهوم . وقال : ربما استقباني الفرح في جوف الليل ، وربما رأيت القلب يضحك ضحكا . وقال : إنه لتمر بالقلب أوقات برقص فيها طرباً فأقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم انى عيش طيب .

وقال أحمد بن أبي الخوارى : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجد إذ ذهب بي النوم فاذا

أنا بها - يعني الحوراء - قد ركضتني برجلها فقالت : حبيبي أترقد عينك والملك يقظان ينظر إلى المنهجدين في تهجدهم ؟ يؤسا لعين آتت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز ، قم فقد ذنا الفراغ ولقي الحبون بعضهم بعضاً ، فما هذا الرقاد ؟ حبيبي ورقة عيني أترقد عينك وأنا أتربى لك في الحدو ومنذ كذا وكذا ؟ قال : فوثبت فزعا وقد عرقت حياء من تو بينخها إياي ، وإن حلالة منطقتها لفي سمعي وقلبي . وقال أحمد : دخلت على أبي سليمان فإذا هو يبكي فقلت : مالك ؟ فقال : زجرت البارحة في منامي . قلت : ما الذي زجرك ؟ قال : بينا أنا نائم في محرابي إذ وقفت على جارية تفوق الدنيا حسنا ، وبيدها ورقة وهي تقول : أتنام يا شيخ ؟ فقلت : من غلبت عينه نام قالت : كلا إن طالب الجنة لا ينام ، ثم قالت : أترأ ؟ قلت : نعم ، فأخذت الورقة من يدها فإذا فيها مكتوب :

لَهتْ بِكَ لَذَّةَ عَن حَسَنِ عَيْشٍ \* مَعَ الْخَيْرَاتِ فِي غُرْفِ الْجَنَانِ  
تَعِيشُ مَخْلَدًا لَا مَوْتَ فِيهَا \* وَتَنعَمُ فِي الْجَنَانِ مَعَ الْحَسَانِ  
تَيْقِظُ مِنْ مَنَامِكَ إِنْ خَيْرًا \* مِنَ النَّوْمِ التَّهَجُّدِ فِي الْقِرَانِ

وقال أبو سليمان : أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم ؟ وقال أيضاً : لا يجوز لأحد أن يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه ، فإذا لم يبق في قلبه شيء من الشهوات جازله أن يظهر إلى الناس الزهد بلبس العبا فانها علم من أعلام الزهاد ، ولو لبس ثوبين أبيضين ليستر بهما أبصار الناس عنه وعن زهده كان أسلم زهده من لبس العبا . وقال : إذا رأيت الصوفي يتنوق في لبس الصوف فليس بصوفي ؛ وخيار هذه الأمة أصحاب القطن ، أبو بكر الصديق وأصحابه ، وقال غيره : إذا رأيت ضوء القير في لباسه فاغسل يديك من فلاحه . وقال أبو سليمان : الأخ الذي يظنك برؤيته قبل كلامه ، وقد كنت أنظر إلى الأخ من أصحابي بالمرأق فأنتنع برؤيته شهراً . وقال أبو سليمان قال الله تعالى : عبدى إنك ما استحييت منى أنسيت الناس عيوبك ، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك وموت زلاتك من أم الكتاب ولم أناقشك الحساب يوم القيامة . وقال أحمد : سألت أبا سليمان عن الصبر فقال : والله إنك لا تقدر عليه في الذي تحب فكيف تقدر عليه فيما تكره ؟ وقال أحمد تنهدت عنده يوماً فقال : إنك مسؤول عنها يوم القيامة ، فإن كانت على ذنب ساف فطوبى لك ، وإن كانت على فوت دنيا أو شهوة فويل لك . وقال إنما رجعت من رجعت من الطريق قبيل وصول ، ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا . وقال إنما عصى الله من عصاه لموانهم عليه ، ولو عزوا عليه وكرموا لحجزهم عن معاصيه وحال بينهم وبينها . وقال : جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصالاً الكرم والحلم والعلم والحكمة والرأفة والرحمة والفضل والصفح والاحسان والبر والمنو واللعطف .

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب محن المشايخ أن أبا سليمان الداراني أخرج من دمشق

وقالوا : إنه برى المسلمة ويكلمونه ، فخرج إلى بعض الثغور فرأى بعض أهل الشام في منامه أنه إن لم يرجع إليهم هلكوا . فخرجوا في طلبه وتشفعوا له وتذللوا له حتى رده .

وقد اختلف الناس في وفاته على أقوال فقيل : مات سنة أربع ومائتين ، وقيل سنة خمس ومائتين ، وقيل خمس عشرة ومائتين ، وقيل سنة خمس وثلاثين ومائتين فأنه أعلم . وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان : لقد أصيب به أهل الإسلام كلهم . قلت : وقد دفن في قرية داريا في قبلتها ، وقبره بها مشهور وعاليه بناء ، وقبائه مسجد بناه الأمير ناهض الدين عمر النهرواني ، وروى علي المقيمي عنده وقدما يدخل عليهم منه غلة ، وقد جدد مزاره في زماننا هذا ولم أر ابن عساكر تمرض لموضع دفنه بالكوفة ، وهذا منه عجيب . وروى ابن عساكر عن أحمد بن أبي الخوارى قال كنت أشتهي أن أرى أبا سليمان في المنام فرأيت به سنة فقلت له : ما فعل الله بك يا معلم ؟ فقال : يا أحمد دخلت يوماً من باب الصغير فرأيت حمل شيخ فأخذت منه عوداً فما أدري تخلفت به أوريته ، فأنا في حسابه إلى الآن . وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحو من سنتين رحمهما الله تعالى

#### ثم دخلت سنة ست ومائتين

فيها ولي المأمون داود بن ماسجور بلاد البصرة وكور دجلة والجمامة والبحرين ، وأمره بمحاربة الرط . وفيها جاء مد كثير ففرق أرض السواد وأهلك للناس شيئاً كثيراً . وفيها ولي المأمون عبد الله ابن طاهر بن الحسين أرض الرقة وأمره بمحاربة نصر بن شبث ، وذلك أن نائبها يحيى بن معاذ مات وقد كان استخلف مكانه ابنه أحمد فلم يمض ذلك المأمون ، واستتاب عليها عبد الله بن طاهر لشهامته وبصره بالأموار ، وحنه على قتال نصر بن شبث ، وقد كتب إليه أبوه من خراسان بكتاب فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الكتاب والسنة . وقد ذكره ابن جرير بطوله ، وقد تداوله الناس بينهم واستحسنوه وتمادوه بينهم ، حتى بلغ أمره إلى المأمون فأمر فقري بين يديه فاستجاده جنداً ، وأمر أن يكتب به نسخ إلى سائر العمال في الأقاليم . وحج بالناس عبید الله بن الحسن نائب الحرمين . وفيها توفي إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حذيفة صاحب كتاب المبتدأ . وحجاج بن محمد الأعور . وداود بن المحبر الذي وضع كتاب العقل . وسبابة بن سوار ( شبابة ) ومهاضر بن المور . وقطرب صاحب المثلث في اللغة . ووهب بن جرير . ويزيد بن هارون شيخ الامام أحمد .

#### ثم دخلت سنة سبع ومائتين

فيها خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك في اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد ، وذلك لما أساء العمال السيرة وظلموا الرعايا ، فلما ظهر بإيمه الناس فبث إليه المأمون دينار بن عبد الله في جيش كثيف ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن هذا إن هو سمع

أطاع ، فحضروا الموسم ثم ساروا إلى اليمن وبعثوا بالكتاب إلى عبد الرحمن فسمع وأطاع وجاء حتى وضع يده في يد دينار ، فساروا به إلى بغداد ولبس السواد فيها .  
 وفي هذه السنة توفي طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق وخراسان بكاملها ، وجد في فراشه ميتاً بعد ما صلى المشاء الآخرة والنف في الفراش ، فاستبطل أهل خروجه لصلاة الفجر فدخل عليه أخوه وعمه فوجداه ميتاً ، فلما بلغ موته المأمون قال : لليدين ولانهم الحمد لله الذي قدمه وأخرنا . وذلك أنه بلغه أن طاهراً خطب يوماً ولم يدع المأمون فوق المنبر ، ومع هذا ولي ولده عبد الله مكانه وأضاف إليه زيادة على ما كان ولاه أباه الجزيرة والشام نيابة فاستخلف على خراسان أخاه طلحة بن طاهر سبع سنين ، ثم توفي طلحة فاستقل عبد الله بجميع تلك البلاد ، وكان نائبه على بغداد إسحاق ابن إبراهيم وكان طاهر بن الحسين هو الذي انتزع بغداد والعراق من يد الأمين وقتله ، وقد دخل طاهر يوماً على المأمون فسأله حاجة فقضاها له ، ثم نظر إليه المأمون وأغرر ورتت عيناه فقال له طاهر : مايبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فلم يجبهه ، فأعطى طاهر حسينا الخادم مائتي ألف درهم حتى استلم له مما بكي أمير المؤمنين فأخبره المأمون وقال لا تجبهه أحداً (و إلا) أقتلك ، إلى ذكرت قتله لأخى وما ناله من الاهانة على يدى طاهر ، ووالله لا تفوته منى . فلما تحقق طاهر ذلك سعى في النقلة من بين يدى المأمون ، ولم يزل حتى ولاه خراسان وأطلق له خادماً من خدامه ، وعهد المأمون إلى الخادم إن رأى منه شيئاً يريه أن يسمه ، ودفع إليه سما لا يطاق . فلما خطب طاهر ولم يدع للمأمون سمه الخادم في كاخ فوات من ليلته . وقد كان طاهر هذا يقال له ذو اليمينين ، وكان أعور بفرد عين . فقال فيه عمرو بن نباتة :

ياذا اليمينين وعين واحدة \* نقصان عين ويمين زائدة

واختلف في معنى قوله ذو اليمينين فقيل لأنه ضرب رجلاً بشماله ففقد نصفين ، وقيل لأنه ولي العراق وخراسان . وقد كان كريماً ممدحاً يحب الشعراء ويعطيهم الجزيل ، ركب يوماً في حراقة فقال فيه شاعر : -

عجبت لحراقة ابن الحسين \* لا غرقت كيف لا تفرق

وبحراً من فوقها واحدة \* وآخر من نحتها مطبق

وأعجب من ذلك أعوادها \* وقد سها كيف لا تورق

فأجازه بثلاثة آلاف دينار . وقال إن زدتنا ذنابك . قال ابن خلكان : وما أحسن ما قاله بعض

الشعراء في بعض الرثاء وقد ركب البحر :

ولما امتطى البحر أهلت نضراً \* إلى الله يا مجري الرياح بلطف



جملت الندمان كفو مثل وجهه \* فسلّمه واجمل موجّه مثل كفه

مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لحس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين ، وكان مولده سنة سبع وخمسين ، وكان الذي سار إلى ولده عبد الله إلى الرقة يعزّيه في أبيه ويهنيه بولاية تلك البلاد ، القاضي يحيى بن أكنم عن أمر المأمون . وفيها غلا السمر ببغداد والكوفة والبصرة ، حتى بلغ سمر القنيز من الخنطة أربعين درهما . وفيها حج بالناس أبو علي بن الرشيد أخو المأمون . وفيها توفي بشر بن عمر الزهراني . وجعفر بن عون . وعبد الصمد بن عبد الوارث . وقراد ابن نوح . وكثير بن هشام . ومحمد بن كنانة . ومحمد بن عمر الواقدي قاضي بغداد وصاحب السير والمغازي . وأبو النضر هاشم بن القاسم . والهيثم بن عدي صاحب التصانيف .

يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور

أبرز كريا الكوفي نزيل بغداد مولى بني سعد المشهور بالفراء شيخ النجاة واللغويين والقراء ، كان يقال له أمير المؤمنين في النحو ، وروى الحديث عن حازم بن الحسن البصري عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك . قال : « قرأ رسول الله ص » ، وأبو بكر وعمر وعثمان مالك يوم الدين بألف » رواه الخطيب قال : وكان ثقة إماماً . وذكر أن المأمون أمره بوضع كتاب في النحو فأملأه وكتبه الناس عنه ، وأمر المأمون بكتبه في الخزان ، وأنه كان يؤدّب ولديه وليي العهد من بعده ، فقام يوماً فابتدراه أيهما يقدم نعليه ، فتنازعا في ذلك ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما أملاً ، فأطلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار ، والفراء عشرة آلاف درهم . وقال له : لا أعزّمك إذ يقدم نعليك ولدا أمير المؤمنين ووليا العهد من بعده . وروى أن بشر المريسي أو محمد بن الحسن سأل الفراء عن رجل سها في سجدتي السهو فقال : لا شيء عليه . قال : ولم ؟ قال : لأن أصحابنا قالوا المصفر لا يصفر . فقال : ما رأيت أن امرأة تلد مثلك . والمشهور أن محمداً هو الذي سأله عن ذلك وكان ابن خاتمة الفراء ، وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : توفي الفراء سنة سبع ومائتين . قال الخطيب : كانت وفاته ببغداد ، وقيل بطريق مكة ، وقد امتدحوه وأثنوا عليه في مصنفاته .

ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

فيها ذهب الحسن بن الحسين بن مصعب أخو طاهر قازا من خراسان إلى كرهان فمضى بها ، فسار إليه أحمد بن أبي خالد فحاصره حتى نزل قهراً ، فذهب به إلى المأمون فمعا عنه فاستحسن ذلك منه . وفيها استنق محمد بن سباعة من القضاء فأعفاه المأمون وولى مكانه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة . وفيها ولى المأمون محمد بن عبد الرحمن الخزومي القضاء بمسكن المهدي في شهر الحرم ، ثم هزله عن قريب وولى مكانه بشر بن سعيد بن الوليد الكندي في شهر ربيع الأول منها . فقال الخزومي في ذلك : -

ألا أيها الملك الموحد ربُّه • قاضيك بشرُّ بن الوليد حمارُ  
ينفي شهادةً من يدين بما بدر • نطق الكتاب وجاءت الأخبارُ  
ويمدُّ عدلاً من يقولُ بانهُ • شيخٌ تحيط بجسمه الأفطارُ  
وفيه حج بالناس صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون .

وفيهما توفي من الأعيان : الأسود بن عامر . وسعيد بن عامر . وعبد الله بن بكر أحد مشايخ الحديث . والفضل بن الربيع الحاجب . ومحمد بن مصعب . وموسى بن محمد الأمين الذي كان قد ولاء العهد من بعده ولقبه بالناطق فلم يتم له أمره حتى قتل أبوه وكان ما كان كما تقدم . ويحيى بن أبي بكر . ويحيى بن حسان . ويمعقوب بن إبراهيم الزهرى . ويونس بن محمد المؤدب .

### وفاة السيدة نفيسة

وهي نفيسة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، القرشية الهاشمية ، كان أبوها نائباً للمنصور على المدينة النبوية خمس سنين ، ثم غضب المنصور عليه فمزله عنها وأخذ منه كل ما كان يملكه وما كان جمعه منها ، وأودعه السجن ببغداد . فلم يزل به حتى توفي المنصور فأطلقه المهدي وأطلق له كل ما كان أخذ منه ، وخرج معه إلى الحج في سنة ثمان وستين ومائة ، فلما كان بالحاجر توفي عن خمس وثمانين سنة . وقد روى له النسائي حديثه عن عكرمة عن ابن عباس « أن رسول الله (س) ، احتجم وهو محرم » . وقد ضمه ابن معين وابن عدى ، ووثقه ابن حبان . وذكره الزبير بن بكار وأثنى عليه في رياسته وشهامته . والمقصود أن ابنته نفيسة دخلت الديار المصرية مع زوجها المؤمن إسحاق بن جعفر ، فأقامت بها وكانت ذات مال فأحسن إلى الناهي والجذمي والزيمي والمرضى وعموم الناس ، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير . ولما ورد الشافعي مصر أحسن إليه وكان ربما صلى بها في شهر رمضان . وحين مات أمرت بجزائه فأدخلت إليها المنزل فصلت عليه . ولما توفيت عزم زوجها إسحاق بن جعفر أن ينقلها إلى المدينة النبوية فنعاه أهل مصر من ذلك وسألوه أن يدفنها عندهم ، فدفنت في المنزل الذي كانت تسكنه بمحلة كانت تعرف قديماً بدير السباع بين مصر والقاهرة ، وكانت وقاتها في شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكره ابن خلكان . قال : ولاهل مصر فيها اعتقاد . قلت : وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جداً ، ولا سيما عوام مصر فانهم يطلقون فيها عبارات بشيمة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ، وألفظاً كثيرة ينبئ أن يعرفوا أنها لا تجوز . وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالة . والذي ينبئ أن يعتد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من المغلاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي (س) ، بتسوية القبور وطمسها ، والمغلاة في البشر حرام .

ومن زعم أنها تفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بذير مشيئة الله فهو مشرك . رحمها الله وأكرمها .

### الفضل بن الربيع

ابن بونس بن محمد بن عبد الله بن أنى فروة كيسان مولى عثمان بن عفان ، كان الفضل هذا متمكناً من الرشيد ، وكان زوال دولة البرامكة على يديه ، وقد زر مرة للرشيد ، وكان شديد التشبه بالبرامكة ، وكانوا يتشبهون به ، فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدم . وذكر ابن خلكان أن الفضل هذا دخل يوماً على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه ، ومع الفضل عشر قصص فلم يقض له منها واحدة ، فجمع من الفضل بن الربيع وقال : أرجع من خائبات خاسمات ثم نهض وهو يقول :

عَسَى وَعَسَى يَثْقِي الزَّمَانُ عِنَانَهُ \* بتصريف حال والزمان عَنُورُ

فَتَقْضَى لُبَانَاتٍ وَتَشْفِي حَزَائِرَهُ \* وَيُحَدِّثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

فسمه الوزير يحيى بن خالد فقال له : أقسمت عليك لما رجعت ، فأخذ منه القصص فوقع عليها . ثم لم يزل يحفر خافهم حتى تمكن منهم وتولى الوزارة بعدهم ، وفي ذلك يقول أبو نواس :

ما رعى الدهر آل برمك لما \* أن رمى ملكهم بأمر فطبيع

إن دهر آل برمك ذمة ليحيى \* غير راع ذمام آل الربيع

ثم وزر من بعد الرشيد لابنه الأمين فلما دخل المأمون بغداد اختفى فأرسل له المأمون أماناً ففرج فجاء فدخل على المأمون بعد اختفاء مدة فأمنه ، ثم لم يزل خاملاً حتى مات في هذه السنة ، وله ثمان وستون سنة .

### ثم دخلت سنة تسع ومائتين

فيها حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شيبث بعد ما حار به خمس سنين وضيق عليه جداً حتى ألجأه إلى أن طلب منه الأمان ، فكتب ابن طاهر إلى المأمون يعلمه بذلك ، فأرسل إليه أن يكتب له أماناً عن أمير المؤمنين . فكتب له كتاب أمان فنزل فأمر عبد الله بتخريب المدينة التي كان متحصناً بها ، وذهب شره ، وفيها جرت حروب مع بابك الخرمي فأسر بابك بعض أمراء الأسلام وأحد مقدسي المسافر ، فاشتد ذلك على المسلمين . وفيها حج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والي مكة . وفيها توفي ملك الروم ميخائيل بن تقيفور ( جرجس ) وكان له عليهم تسع سنين ، فلكوا عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

وفيها توفي من مشايخ الحديث : الحسن بن موسى الأشيب ، وأبو علي الحنفي . وحض بن عبد الله قاضي نيسابور . وعثمان بن عمر بن فارس . ويعلى بن عبيد الطنافسي .

### ثم دخلت سنة عشر ومائتين

في صفر منها دخل نصر بن شيبث بغداد ، بعثه عبد الله بن طاهر فدخلها ولم يتلقه أحد من

الجندبل دخلها وحده ، فأزول في مدينة أبي جعفر ثم حول إلى موضع آخر . وفي هذا الشهر ظفر المأمون بجماعة من كبراء من كان بايع إبراهيم بن المهدي فعاقبهم وجبسهم في المطبق ، ولما كان ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الآخر اجتاز إبراهيم بن المهدي - وكان مختلفاً مدة ست سنين وشهوراً منتقياً في زى امرأة ومعه امرأتان - في بعض دروب بغداد في أثناء الليل ، فقام الحارس فقال : إلى أين هذه الساعة ؟ ومن أين ؟ ثم أراد أن يسكن فاعطاه إبراهيم خاتماً كان في يده من ياقوت ، فلما نظر إليه استراب وقال : إنما هذا خاتم رجل كبير الشأن ، فذهب بهن إلى متولى الليل فأمرهن أن يسفرن عن وجوههن ، فتمنع إبراهيم فكشفوا عن وجهه فانا هو هو ، ففره فذهب به إلى صاحب الجلسر فسله إليه فرغه الآخر إلى باب المأمون ، فأصبح في دار الخلافة ونقابه على رأسه والملحفة في صدره ليراه الناس ، وليعلموا كيف أخذ . فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراس عليه مدة ، ثم أطلقه ورضى عنه . هذا وقد ضلب جماعة ممن كان سجنهم بسببه لكونهم أرادوا الفتك بالموكابن بالسجن ، فصلب منهم أربعة .

وقد ذكروا أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون أنبه على ما كان منه ففرق له عنه إبراهيم كثيراً ، وقال : يا أمير المؤمنين إن تعاقب فيحقتك ، وإن تمف فيفضلك . فقال : بل أهفوا يا إبراهيم إن القسرة تذهب الحفيظة ، والندم توبة ، وبينهما عفو الله عز وجل ، وهو أكبر مما تسأله ، فكبر إبراهيم وسجد شكر الله عز وجل .

وقد امتدح إبراهيم بن المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالغ فيها ، فلما سمعها المأمون قال : أقول كما قال يوسف لأخته [ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ] وذكر ابن عساكر أن المأمون لمدعفاً عن عمه إبراهيم أمره أن يثنيه شيئاً فقال : إني تركته . فأمره فأخذ العود في حجره وقال : هذا مقام سرور خربت منازل ودورة • نمت عليه عداته كنبأ ضاقبه أميره ثم عاد فقال :

فحبت من الدنيا وقد ذهبت عني • لوى الدهر بي عنها وولّى بها هـ  
فإن أبك نفسي أبك نفساً عزيزة • وإن احتقرها احتقرها على ضغن  
وإني وإن كنت المسيء بعين • فأني بربي موقن حسن الظن  
صوت على نفسي فساد بمقوم • علي فساد العفو منّا على من

قال المأمون : أحسنت يا أمير المؤمنين حقاً . فرمى العود من حجره ووثب قائماً فرحاً من هذا الكلام ، فقال له المأمون : اجلس واسكن مرحباً بك وأهلاً ، لم يكن ذلك لشيء تنوّه ، ووالله لا رأيت طول أيامي شيئاً تنكره . ثم أمر له بمشعة آلاف دينار وخلع عليه ، ثم أمر له برذ جميع

ما كان له من الأموال والضياع والدور فردت إليه ، وخرج من عنده مكرماً معظماً .

## عمر بن لؤي

وفي رمضان منها بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل ، وقيل إنه خرج في رمضان إلى نمسك الحسن بن سهل بنم الصالح ، وكان الحسن قد عوفي من مرضه ، فنزل المأمون عنده بمن معه من وجوه الأمراء والرؤساء وأكابر بني هاشم ، فدخل ببوران في شوال من هذه السنة في ليلة عظيمة وقد أشملت بين يديه شموع المنبر ، ونثر على رأسه الدر والجوهر ، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر . وكان عدد الجوهر منه ألف درة ، فأمر به لجمع في صيدية من ذهب كان الجوهر فيها فتلوا : يا أمير المؤمنين إنا نثرناه لتنتلعه الجوارى ، فقال : لا أنا أعوضن من ذلك . لجمع كله ، فلما جاءت العروس ومعهما جديتها زبيدة أم أخيه الأمين - من جملة من جاء معها - فأجلست إلى جانبه فصب في حجرها ذلك الجوهر وقال : هذا نحلة مني إليك وسلي حاجتك ، فأطرقت حياء . فقالت جديتها : كلني سيدك وسلي حاجتك فقد أورك . فقالت : يا أمير المؤمنين أسألك أن ترضى عن عمك إبراهيم بن المهدي ، وأن ترده إلى منزله التي كان فيها ، فقال : نعم ! قالت : وأم جعفر - تعني زبيدة - تأذن لها في الحج . قال نعم ! فخلعت عليها زبيدة بذلتها الأميرية وأطلقت له قرية مقورة . وأما والد العروس الحسن بن سهل فإنه كتب أسماء قراه وضياعه وأملاكه في رفاع ونثرها على الأمراء ووجوه الناس ، فن وقعت بيده رقعة في قرية منها بعث إلى القرية التي فيها نوابه فسلها إليه ملكا خالصا . وأنفق على المأمون ومن كان معه من الجيش في مدة إقامته عنده سبعة عشر يوما ما يعادل خمسين ألف ألف درهم . ولما أراد المأمون الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه البلاد الذي هو نازل بها ، وهو إقليم قم الصلح مضافاً إلى ما بيده من الاقطاعات . ورجع المأمون إلى بغداد في أواخر شوال من هذه السنة . وفي هذه السنة ركب عبد الله بن طاهر إلى مصر فاستنقذها بأمر المأمون من يد عبيد الله بن السري بن الحكم المتقلب عليها ، واستمادها منه بعد حروب يطول ذكرها . وفيها توفي من الأعيان أبو عمرو والشيباني اللغوي واسمه إسحاق بن مراد . ومروان بن محمد الطاطري . ويحيى بن إسحاق والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

فيها توفي أبو الجواب . وطاق بن غنام . وعبد الرزاق بن همام الصنعائي صاحب المصنف والمسند . وعهد الله بن صالح المعجل .

أبو العتاهية الشاعر المشهور

واسمه إسحاق بن القاسم بن سويد بن كيسان أصله من الحجاز ، وقد كان تمشق جارية الهدي

اسمها عتبة ، وقد طلبها منه غير مرة فاذا سمح له به لم ترده الجارية ، وتقول للخليفة : أتعطيني لرجل  
 دهم الخلاق كان يبيع الجرار ؟ فكان يكثر التنزل فيها ، وشاع أمره واشتهر بها ، وكان المهدي  
 يفهم ذلك منه . واتفق في بعض الأحيان أن المهدي استدعى الشعراء إلى مجلسه وكان فيهم أبو  
 العتاهية و بشار بن برد الأعمى ، فسمع صوت أبي العتاهية . فقال بشار لجليسه : أتم ههنا أبو العتاهية ؟  
 قال : نعم . فانطلق يذكر قصيدته فيها التي أولها :

ألا ما لسيدي ما لها \* أدلت فأجسل إدلها

فقال بشار لجليسه : ما رأيت أجسر من هذا . حتى انتهى أبو العتاهية إلى قوله :

أنته الخلافة منقادة \* إليبر نجرر أذيها

فلم تك تصلح إلا له \* ولم يك يصلح إلا لها

ولوراءها أحد غيره \* لزلزلت الأرض زلزالها

ولولم تظلمت بنات القلوب \* لما قبل الله أعمالها

فقال بشار لجليسه : انظروا أطار الخليفة عن فراشه أم لا ؟ قال : فوالله ما خرج أحد من  
 الشعراء يومئذ بمجازة غيره . قال ابن خلدكان : اجتمع أبو العتاهية بأبي نواس - وكان في طبقته  
 وطبقة بشار - فقال أبو العتاهية لأبي نواس : كم تعمل في اليوم من الشعر ؟ قال : بيتاً أو بيتين .  
 فقال : لكني أعمل المائة والمائتين . فقال أبو نواس : لملك تعمل مثل قولك :

يا عتُب مالي ولك \* يا ليقني لم أرك

ولوعمت أنا مثل هذا لعمت الألف والألفين وأنا أعمل مثل قول :

من كفت ذات حر في زئي ذي ذكر \* لها حُببان : لوطي و زنانه

ولو أردت مني لأعجزك الدهر . قال ابن خلدكان : ومن لطيف شعر أبي العتاهية :

إني صبوته إليك ح \* حتى صرت من فرط التصابي

بجد الجليس إذا دنا \* ربح التصابي في ثيابي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة . وتوفي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وقيل  
 ثلاث عشرة ومائتين ، وأوصى أن يكتب على قبره ببغداد :

إن عيشاً يكون آخره الموت \* ت ليش معجل التنفيس

ثم دخلت سنة ثلثي عشرة ومائتين

فيها وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي على طريق الموصل لمحاربة بابك الخرمي في أرض  
 أدر بيجان ، فأخذ جماعة من المنتهين عليه فيميت بهم إلى المأمون . وفي ربيع الأول أظهر المأمون

في الناس بدعتين فظيمنتين إحداهما أطم من الأخرى ، وهي القول بخلق القرآن ، والثانية تفضيل  
 علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله . . . وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيراً فاحشاً ،  
 وأنتم إنما عظماء . وفيها حجج بالناس لعبد الله بن عبيد الله بن العباس العباسي . وفيها توفى أسد بن  
 موسى الذي يقال له أسد السنة . والحسن بن جعفر . وأبو عاصم النبيل واسمه الضحاك بن مخلد . وأبو  
 المنيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي الدمشقي . ومحمد بن يونس الفريابي شيخ البخاري .

### ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

فيها ثار رجلان عبد السلام وابن جليس نفلما المأمون واستحوذا على الديار المصرية ، وتابهما  
 طائفة من القيسية واليمانية ، فولى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام ، وولى ابنه العباس نيابة  
 الجزيرة والثغور والمواسم ، وأطلق لكل منهما ولعبد الله بن طاهر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف  
 دينار . فلم يرب يوم أكثر إطلاقاً منه ، أطلق فيه لهؤلاء الأمراء الثلاثة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف  
 دينار . وفيها ولى السندي غسان بن عباد . وحجج بالناس أمير السنة الماضية . وفيها توفى عبد الله بن  
 داود الجريفي . وعبد الله بن يزيد المقرئ المصري . وعبد الله بن موسى العباسي . وعمر بن أبي سلمة  
 الدمشقي . وحكى ابن خلكان أن بعضهم قال : وفيها توفى إبراهيم بن ماهان الموصلئ النديم . وأبو  
 العتاهية . وأبو جمر والشيباني النحوي في يوم واحد ببغداد ، ولكنه صحح أن إبراهيم النديم توفى سنة  
 ثمان وثمانين ومائة . قال السهيلي : وفيها توفى عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن ابن إسحاق .  
 حكاه ابن خلكان عنه ، والصحيح أنه توفى سنة ثمان عشرة ومائتين . كما نص عليه أبو سعيد بن  
 يونس في تاريخ مصر .

### العكوك الشاعر

أبو الحسن بن علي بن جبلة الخراساني يلقب بالعكوك ، وكان من الموالي ولد أعمى وقيل بل  
 أصابه جدري وهو ابن سبع سنين ، وكان أسود أبرص ، وكان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً ، وقد أثنى  
 عليه في شعره الجاحظ فن بعده . قال : مارأيت بدويًا ولا حضريًا أحسن إنشَاءً منه . فن ذلك قوله :

بأبي من زارني مُسَكِّمًا \* حُدْرًا من كل شيء جزعا  
 زائرًا نَمَّ عليه حُسْنُهُ \* كيف يُخْفِي الليلُ بدرًا طلعا  
 رصَدَ الخلوةَ حتى أمكنتُ \* ورعى السامرَ حتى هجما  
 ركبَ الأهوالَ في زورتهِ \* ثمَّ ما سلَّم حتى رجما

وهو القائل في أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي :

إنما الدنيا أبو دلفٍ \* بينَ مَنزاهُ ومُخَضَّرُهُ  
 فإذا ولى أبو دلفٍ \* وُلَّتِ الدنيا على أثره

كل من في الأرض من عرب • بين يديه إلى حضرة  
 برهبير قيل • بكرهني • بالشيء يوم • موعنة  
 لما بلغ المؤمن هذه الآيات - وهي قصيدة طويلة - عارض فيها أبا نواس فطلاه المؤمن فرب  
 منه ثم أحضر بين يديه فقال له : وبك فضلت الناس من عبدي علينا فقال : بأمر المؤمنين أنهم  
 أهل بيت اسطفاكم الله من بين عباده ، وآتاكم ما كانا معاهداً ، وإنما قصده على أشكته وأترابه  
 فقال : والله ما أتيت أحداً حيث تقول .

كل من في الأرض من عرب • بين يديه إلى حضرة  
 ومع هذا فلا أستحل ذلك بهدا ، ولكن بشرط وكفرك حيث تقول في عهد ذليل :  
 أنت الذي تنزل الأيام منزلاً • وتنقل الدهر من حال إلى حال  
 وبه هدتك مدى طرفي إلى أمد • إلا فصبك نورا في آجال  
 ذاك الله يفتله ، وأجره السان من • هو ذاك حيا السان في • هو السان في • وفده السان  
 حميد بن عبد الحميد الطوسي .

إنما الدنيا حميد • وأهدير حسام • فاداء آل حميد • فعل الرب السلام  
 ولما مات حميد هذا رثاه أبو العنابية بقوله :

أما عالم أما ذاك فواسع • وفكرك معمور الجواب بحكم  
 وما ينفع القبور عمران قبره • إذا كان فيه جسم بينهم  
 وقد أورد ابن خلكان لمكوك هذا أشعرا حميدا تركناها انحصارا .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

في يوم السبت خمس مئة من ربيع الأول منها التقى محمد بن حميد وبالك الخرمي لعنه الله ،  
 فقتل الخرمي خائفا كثيرا من جيشه ، وقتله أيضاً وأهزم خبة أصحاب ابن حميد ، فمات المؤمن  
 إسحاق بن إبراهيم وبقي من أكرم إلى حميد الله من طاهر بظفره بين خراسان وبنائه الجبال  
 وأذربيجان وأرمينية وحمارة بالك ، فاختار المقام بخراسان لكثرة احتياجها إلى الصدقة ، ولخوف  
 من طهور الطوارج . وفيها دخل أبو إسحاق من الرشد البهار المصرية فاتهمها من يد حميد السلام  
 وابن حليس وقتلها ، وفيها خرج رجل يقال له لئال الصبان فمات إليه المؤمن اسمه العباس في  
 جماعة من الأبراء فقتلوا بلالا ورحموا إلى بغداد . وفيها ولي المؤمن علي بن هشام الجليل وفهم  
 وأذربجان وأذربيجان . وفيها حج بالنس إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس  
 وفيها توفي أحمد بن خالد المرعي .



### أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح

أبو جعفر الكاتب ولي ديوان الرسائل المأمون . ترجمه ابن عساكر وأورد من سيره قوله  
تدبر زق المره من غير حيلة صدرت \* ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهي  
مأسى من غنى يوماً ولا عدم \* إلا وقولى عليه الحمد لله  
وله أيضا إذا قلت فى شيء نعم فأنه \* فإن نعم دين على الحر واجب  
والآ قتل لا تسريح بها \* لئلا يقول الناس إنك كاذب  
وله : إذا المره أفتى سره بإسائه \* فلأم عليه غيره فهو أحق  
إذا ضلقت صدر المره عن سر نفسه \* فصدر الذى يستودع السر اضيق

وحسن بن محمد المروزي شيخ الامام أحمد . وعبد الله بن الحكم المصري . ومعاوية بن عمر

### أبو محمد عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع المصري

أحد من قرأ الموطأ على مالك وتفقّه بهنبيه ، وكان معظماً ببلاد مصر ، وله بها ثروة وأموال  
وافرة . وحين قدم الشافعي مصر أعطاه ألف دينار ، وجمع له من أصحابه ألفي دينار ، وأجرى عليه  
وهو والد محمد بن عبد الله بن الحكم الذى صحب الشافعي . ولما توفى فى هذه السنة دفن إلى جانب  
قبر الشافعي . ولما توفى ابنه عبد الرحمن دفن إلى جانب قبر أبيه من القبلة . قال ابن خلدون كان فى  
ثلاثة أقبور الشافعي شامها . وهما قبلته . رحمهم الله .

### ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

فى أواخر الحرم منها ركب المأمون فى العساكر من بغداد فاصداً ببلاد الروم لغزوم . واستخلف  
على بغداد وأعمالها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلما كان بشكر يتلقاه محمد بن على بن موسى  
ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب من المدينة النبوية ، فأذن له المأمون فى  
الدخول على ابنته أم الفضل بنت المأمون . وكان معقود العقد عليها فى حياة أبيه على بن موسى ،  
فدخل بها ، وأخذها معه إلى بلاد الحجاز . وتلقاه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد من الديار المصرية قبل  
وصوله إلى الموصل . وسار المأمون فى جهافل كثيرة إلى بلاد طرسوس فدخلها فى جمادى الأولى ،  
وفتح حصنها هناك عنوة وأمر بهدمه ، ثم رجع إلى دمشق فنزلها وعمر دبر مرات بسفوح قيسون ، وأقام  
بدمشق مدة . وحج بالناس فيها عبد الله بن عبيد الله بن العباس العباسي .

وفىها توفى أبو زيد الأنصاري . ومجد بن المبارك الصوري . وقبيصة بن عقبة . وعلى بن الحسن بن  
شقيق . ومكي بن إبراهيم .

### أبو زيد الأنصاري

فهو سعيد بن أوس بن ثابت البصري الذى أهدى أحمد الثقات الاثبات ويقال إنه كان يرى ليلة

القدر . قال أبو عثمان المازني : رأيت الأصمعي جاء إلى أبي زيد الأنصاري وقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة . قال ابن خلكان : وله مصنفات كثيرة ، منها خلق الانسان ، وكتاب الابل ، وكتاب المياه ، وكتاب الفرس والترس ، وغير ذلك توفي في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها أو التي بعدها ، وقد جاوز التسعين : وقيل إنه قارب المائة . وأما أبو سليمان فقد قدمنا ترجمته . ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

فيها عدا ملك الروم وهو توفيل بن ميخائيل على جماعة من المسلمين فقتلهم في أرض طرسوس نحواً من ألف وسبعمائة إنسان ، وكتب إلى المأمون فبدأ بنفسه ، فلما قرأ المأمون كتابه نهض من فورهِ إلى بلاد الروم عوداً على بدء وصحبته أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر ، فافتتح بلدانا كثيرة صلحا وعضوة ، وافتتح أخوه ثلاثين حصنا ، وبعث بجي بن أكرم في سرية إلى طوايا . فافتتح بلاداً كثيرة وأسر خلقا وحرق حصونا عدة ، ثم عاد إلى العسكر . وأقام المأمون ببلاد الروم من نصف جمادى الآخرة إلى نصف شعبان ، ثم عاد إلى دمشق وقد وثب رجل يقال له عبدوس الفهرى في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر ، فقتل على نواب أبي إسحاق بن الرشيد واتهمه خلق كثير ، فركب المأمون من دمشق يوم الأربعاء لثلاثة ليال خلت من ذى الحجة إلى الديار المصرية ، فكان من أمره ما سنذكره

وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقيب الصلوات الخمس ، فكان أول ما بدئ به بذلك في جامع بغداد والرصافة يوم الجمعة لأربع عشر ليلة خلت من رمضان ، وذلك أنهم كانوا إذا قضوا الصلاة قام الناس قياماً فكبروا ثلاث تكبيرات ، ثم استروا على ذلك في بقية الصلوات . وهذه بدعة أحدثها المأمون أيضا بلا مستند ولا دليل ولا معتمد ، فان هذا لم يفعله قبله أحد ، ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله (ص) ، ليعلم حين ينصرف الناس من المكتوبة ، وقد استحبه هذا طائفة من العلماء كابن حزم وغيره . وقال ابن بطال : المذاهب الأربعة على عدم استحبابه . قال النووي : وقد روى عن الشافعي أنه قال : إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع ، فلما علم ذلك لم يبق للجهل معنى . وهذا كما روى عن ابن عباس أنه كان يجهر في الفاتحة في صلاة الجنائز ليعلم الناس أنها سنة ، ولهذا نظرنا والله أعلم

وأما هذه البدعة التي أمر بها المأمون فانها بدعة محدثة لم يعمل بها أحد من السلف . وفيها وقع برد شديد جداً . وفيها حج بالناس الذي حج بهم في العام الماضي ، وقيل غيره ، والله أعلم . وفيها توفي حبان بن هلال . وعبد الملك بن قريب الأصمعي صاحب اللغة والنحو والشعر وغير ذلك . ومحمد بن بكار بن

هلال . وهو ذن بن خليفة . زبيدة امرأة الرشيد وابنة عمه

وهي ابنة جعفر أم العز بن الملقبة زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية القرشية ، كانت أحب الناس إلى الرشيد ، وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر ، وكان له معها من الحظايا والجواري والزوجات غيرها كثيراً كما ذكرنا ذلك في ترجمته ، وإنما لقبت زبيدة لأن جدتها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول : إنما أنت زبيدة ، لبياضها ، فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به ، وأصل اسمها أم العز بن . وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كثير . وروى الخطيب أنها حجبت فباعت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف درهم ، ولما هنأت المأمون بالخلافة قالت : هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك ، وإن كنت فقدت ابناً خليفة لقد عوضت ابناً خليفة لم أده ، وما خسرت من اعتناض . تلك ، ولا فشكت أم ملأت يدها منك ، وأنا أسأل الله أجرآ على ما أخذ ، وإمتاعاً بما عوض . توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين .

ثم قال الخطيب : حدثني الحسين بن محمد اللؤلؤ لفظاً قال : وحدث أبا الفتح القواس قال ثنا صدقة بن هبيرة الموصلي ثنا محمد بن عبد الله الواسطي قال قال عبد الله بن المبارك : رأيت زبيدة في المنام فقالت : ما فعل الله بك ؟ فقالت غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة . قلت : فما هذه الصفرة ؟ قالت : دفن بين ظهرا نينارجل يقال له بشر المريسي زفرت عليه جهم زفرة فاقشمر لها جسدي فمذه الصفرة من تلك الزفرة . وذكر ابن خلكان أنه كان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم ، غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ ، وكان يسمع لمن في القصر دوى كدوى النحل ، وكان ورد كل واحدة عشر القرآن ، وورد أنها رؤيت في المنام فسلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت : ذهب ثواب ذلك كله إلى أهل ، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعهن في السحر . وفيها جرت حوادث وأمور يطول ذكرها .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين

في الحرم منها دخل المأمون مصر وظهر بمبدوس النهري فأمر فضربت عنقه ، ثم كر راجعاً إلى الشام . وفيها ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً فناصر لؤلؤة مائة يوم ، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عجيباً فخذعته الروم فأسروه فأقام في أيديهم ثمانية أيام ، ثم انفلت منهم واستمر محاصراً لهم ، فجاء ملك الروم بنفسه فأحاط بجيشه من ورائه ، فبلغ المأمون فساد إليه ، فلما أحس توفيل بقدمه هرب وبهت وزيره صنغل فسأله الأمان والمصالحة ، لكنه بدأ بنفسه قبل المأمون فرد عليه المأمون كتاباً بليغاً مضمونه التفرغ والتوب بيبخ ، وإني إنما أقبل منك الدخول في الخليفة

والإسيف والقتل والسلام على من اتبع الهدى وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان  
ابن علي . وفيها توفى الحجاج بن منهال . وشريح بن النعمان . وموسى بن داود الضبي والله سبحانه أعلم .  
ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين .

في أول يوم من جمادى الأولى وجه المأمون ابنه العباس إلى بلاد الروم لبناء الطوارة وتجهيد  
هارتها . وبعث إلى سائر الأقاليم في تجهيز الفعلة من كل بلد إليها ، من مصر والشام والعراق ، فاجتمع  
عليها خلق كثير ، وأمره أن يجعلها ميلا في ميل ، وأن يجعل سورها ثلاث فراسخ ، وأن يجعل لها  
ثلاثة أبواب .

### ذكر أول الهبة والفتنة

في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببنداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن  
القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وأن يرسل إليه جماعة منهم ، وكتب إليه يستحثه في كتاب  
علمه بركتب غيره قد سردها ابن جرير كلها ، ومضمونها الاحتجاج على أن القرآن محدث وكل  
محدث مخلوق ، وهذا احتجاج لا يوافق عليه كثير من المتكلمين فضلا عن المحدثين ، فان القائلين  
بأن الله تعالى تقوم به الأفعال الاختيارية لا يقولون بان فعله تعالى القائم بذاته المقدسة مخلوق ، بل  
لم يكن مخلوقا ، بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق ، بل هو كلام الله القائم بذاته المقدسة ، وما كان  
قائما بذاته لا يكون مخلوقا ، وقد قال الله تعالى [ ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث ] وقال تعالى  
[ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ] فالأمر بالسجود صدر منه بعد خلق  
آدم ، والكلام القائم بالذات ليس مخلوقا ، وهذا له موضع آخر . وقد صنف البخاري كتابا في هذا  
المعنى سماه خلق أفعال العباد . والمقصود أن كتاب المأمون لما ورد ببنداد قرئ على الناس ، وقد عين  
المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم إليه ، وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم المستملي ،  
يزيد بن هارون<sup>(١)</sup> ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن أبي مسعود . وأحمد  
ابن الدورق . فبعث بهم إلى المأمون إلى الرقة فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك وأظهروا  
موافقته ، ثم كرهوا ، فزدهم إلى بنداد وأمر بأشهار أمرهم بين الفقهاء ، ففعل إسحاق ذلك . وأحضر  
خلقا من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم ، فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون ، وذكر  
لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك ، فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم ، ووقفت بين الناس  
فتنة عظيمة فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم كتب المأمون إلى إسحاق أيضا بكتاب ثان يستدل به  
على القول بخلق القرآن يشبه من الدلائل أيضا لا تحقيق فتحها ولا حاصل لها ، بل هي من المتشابهة  
(١) قد ذكر المؤلف وفاة يزيد بن هارون في سنة ست ومائتين ، ثم ذكره هنا في المحضرين  
فلا وجه إلا أن يكون فالما هنا أو هناك .

وأورد من القرآن آيات هي حجة عليه . اورد ابن جرير ذلك كله . وأمر نائبه أن يقرأ ذلك على الناس وأن يدعوهم إليه وإلى القول بخلق القرآن ، فأحضر أبو إسحاق جماعة من الأئمة وهم أحمد بن حنبل . وقتيبة . وأبو حيان الزياتي . وبشر بن الوليد السكندی . وعلى بن أبي مقاتل . وسعدويه الواسطي . وعلى بن الجعد . وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الهرش ، وابن علي الأكبر ، وبجي ابن عبد الحميد العمري . وشيخ آخر من سلالة عمر كان قاضياً على الرقة ، وأبو نصر النزار ، وأبو معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون . ومحمد بن نوح الجنديسابوري المضررب ، وابن الفرخان ، والنضر بن شمل . وأبو علي بن عاصم ، وأبو العوام البارد ، وأبو شعجاع ، وعبد الرحمن بن إسحاق وجماعة . فلما دخلوا على أبي إسحاق قرأ عليهم كتاب المأمون . فلما فهموه قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : ليس عن هذا أسألك . وإنما أسألك أهو مخلوق ؟ قال : ليس بخلق . قال : ولا عن هذا أسألك . فقال : ما أحسن غير هذا . وصمم على ذلك . فقال : تشهد أن لا إله إلا الله أحد آ فرداً لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه ؟ قال : نعم ! فقال للسكاتب : اكتب بما قال . فكتب . ثم امتحنهم رجلاً رجلاً فأكثرهم امتنع من القول بخلق القرآن ، فسكان اذا امتنع الرجل منهم امتحنه بالرقعة التي وافق عليها بشر بن الوليد السكندی ، من أنه يقال لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فيقول : نعم كما قال بشر ولما انتهت التوبة إلى امتحان أحمد بن حنبل فقال له : أتقول إن القرآن مخلوق ؟ فقال : القرآن كلام الله لا أزيد على هذا . فقال له : ما تقول في هذه الرقعة ؟ فقال أقول [ ليس كنهه شيء وهو السميع البصير ] فقال رجل من المعتزلة : إنه يقول : سميع بأذن بصير بعين . فقال له إسحاق : ما أردت بقولك سميع بصير ؟ فقال : أردت منها ما أراد الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك . فكتب جوابات القوم رجلاً رجلاً وبث بها إلى المأمون . وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصانعةً مكرهاً لأنهم كانوا يزلون من لا يجيب عن وظائفه ، وإن كان له رزق على بيت المال قطع ، وإن كان مفتياً منع من الافتاء ، وإن كان شيخ حديث ردع عن الاسماع والأداء . ووقعت فتنة صماء ومحنة شتاء وداهية دهباء فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فَضْرِبُوا لَهُ

فلما وصلت جوابات القوم إلى المأمون بث إلى نائبه يمدحه على ذلك ويرد على كل فرد فرد ما قال في كتاب أرسله . وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضاً فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس ، ومن لم يجب منهم فابته إلى عسكر أمير المؤمنين مقيداً محتفظاً به حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه

رأيه ، ومن رأيه أن يضرب عنق من لم يقل بقوله . فمئس ذلك عمدة النائب ببغداد مجلساً آخر وأحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهدي ، وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكندي ، وقد نص المأمون على قتلها إن لم يجيبا على الفور ، فلما امتحنهم إسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى [ إلا من أكره وقلبه مغمض بالآيمان ] الآية . إلا أربعة وهم : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، والحسن ابن حماد سجاده ، وعبيد الله بن عمر القواريري . فقبضهم وأرصدهم ليعث بهم إلى المأمون ، ثم استدعى بهم في اليوم الثاني فامتنحهم فأجاب سجاده إلى القول بذلك فأطلق . ثم امتحنهم في اليوم الثالث فأجاب القواريري إلى ذلك فأطلق قيده . وآخر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسا بوري لأنهما أصرا على الامتناع من القول بذلك ، فأكد قيودهما وجعلهما في الحديد وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطرسوس ، وكتب كتاباً بارسالهما إليه . فسارا مقيدين في محارة على جمل متعادلين رضى الله عنهما . وجعل الأمام أحمد يدعو الله عز وجل أن لا يجمع بينهما وبين المأمون ، وأن لا يراه ولا يراها . ثم جاء كتاب المأمون إلى نائبه أنه قد بلغني أن القوم إنما أجابوا مكرهين متأولين قوله تعالى [ إلا من أكره وقلبه مغمض بالآيمان ] الآية . وقد أخطأوا في تأويلهم ذلك خطأ كبيراً ، فإرسالهم كلهم إلى أمير المؤمنين . فاستدعاهم إسحاق والزعمهم بالمسير إلى طرسوس فساروا إليها ، فلما كانوا ببعض الطريق باغمس موت المأمون فردوا إلى الرقة ، ثم أذن لهم بالرجوع إلى بغداد . وكان أحمد ابن حنبل وابن نوح قد سبقا الناس ، ولكن لم يجتمعا به . بل أهلكت الله قبل وصولهما إليه ، واستجاب الله سبحانه دعاه عبده وولي الأمام أحمد بن حنبل ، فلم يريا المأمون ولا رأهما ، بل ردوا إلى بغداد . وسبأني تمام ما وقع لهم من الأمر الفظيع في أول ولاية المعتصم بن الرشيد ، وتمام باقي الكلام على ذلك في ترجمة الأمام أحمد عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائتين وبالله المستعان .

## جبر الله المأمون

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر أمير المؤمنين ، وأمه أم ولد يقال لها مراحل الباذغيسية ، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة توفي عنه الهادي ، وولى أبوه هارون الرشيد ، وكان ذلك ليلة الجمعة كما تقدم ، قال ابن عساکر : روى الحديث عن أبيه وهاشم بن بشر ، وأبي معاوية الضرير ، ويوسف بن قطبلة ، وعباد بن العوام ، وإسماعيل بن علية ، وحجاج بن محمد الأعور . وروى عنه أبو حذيفة إسحاق بن بشر - وهو أسن منه - ويحيى بن أكرم القاضي وابنه الفضل بن المأمون وممزر بن شبيب وأبو يوسف القاضي وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي وأحمد بن الحارث الشعبي - أو البزدي - وعمر بن مسعدة وعبدالله بن طاهر بن الحسين ، ومحمد بن إبراهيم السلي ودعبل بن علي الخزاعي . قال : وقدم دمشق مرات وأقام بها مدة ، ثم روى ابن عساکر

من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي قال : سمعت المأمون في الشامسية وقد أجرى الحلبة لجعل ينظر إلى كثرة الناس فقال ليحيى بن أكرم : أما ترى كثرة الناس ؟ قال : حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن النبي (ص) قال : « لا تخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفسهم لعيله ». ومن حديث أبي بكر المناجحي عن الحسين بن أحمد المالكي عن يحيى بن أكرم القاضي عن المأمون عن هشيم عن منصور عن الحسن عن أبي بكرة أن رسول الله (ص) قال : « الحياه من الإيمان ». ومن حديث جعفر بن أبي عثمان الطيالسي أنه صلى الصبر يوم عرفة خلف المأمون بالرفافة فلما سلم كبر الناس لجعل يقول : لا يا غوغاه لا يا غوغاه ، غدا التكبير سنة أبي القاسم (ص) . فلما كان الغد صعد المنبر فذكر ثم قال : أنبا هشيم بن بشير ثنا ابن شبرمة عن الشعبي عن البراء بن عازب عن أبي بردة بن دينار . قال قال رسول الله (ص) : « من ذبح قبل أن يصلي فانما هو لحم قدمه لأهله ، ومن ذبح بعد أن يصلي الغداة فقد أصاب السنة ». الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، اللهم اصلحني وأصلحني وأصلح على يدي . تولى المأمون الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد والده أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة ، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر . وقد كان فيه تشيع واعتزال وجعل بالسنة الصحيحة ، وقد بايع في سنة إحدى ومائتين بولاية المهدي من بعده لعلي الرضي بن موسى السكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وخلع السواد ولبس الخضرة كما تقدم ، فأعظم ذلك العباسيون من البناددة وغيرهم ، وخلعوا المأمون وولوا عليهم إبراهيم بن المهدي ، ثم ظفر المأمون بهم واستقام له الحال في الخلافة ، وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث الذي يسمى نغدوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل ، وكان يجب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل ، وراج عنه الباطل . ودعا إليه وحمل الناس عليه قهراً . وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته . وقال ابن أبي الدنيا : كان المأمون أبيض ربعة حسن الوجه قد خطه الشيب يعلوه صفرة أهين طويل الحية رقيقة ضيق الجدين ، على خده خال . أمه أم ولد يقال لها مراحل . وروى الخطيب عن القاسم بن محمد بن عباد قال : لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمأمون ، وهذا غريب جدا لا يوافق عليه ، فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء . قالوا : وقد كان المأمون يلو في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمة ، وجلس يوماً لاملأ الحديث فاجتمع حوله القاضي يحيى ابن أكرم وجماعة فأولى عليهم من حفظه ثلاثين حديثاً . وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، فقهياً وطبياً وتحريراً وفرائض وكلاماً ونحواً وغيره ، وغريب حديث ، وعلم النجوم . وإليه ينسب الزيج المأموني . وقد اختلف مقدار الدرجة في وطنه سنجار فاختلاف عمله وعمل الأهل من الفقهاء . وروى ابن عساكر

أن المأمون جلس يوماً للناس وفي مجلسه الأعراء والعلماء ، فجاءت امرأة تتظلم إليه فذكرت أن أخاها توفي وترك ستائة دينار ، فلم يحصل لها سوى دينار واحد . فقال لها المأمون على البديهة : قد وصل إليك حقتك ، كأن أخاك قد ترك بئتين وأما زوجة واثني عشر أخاً وأختاً واحدة وهي أنت ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : للبئتين الثلثان أربعمائة دينار ، وللأم السدس مائة دينار ، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً ، بقي خمسة وعشرون ديناراً لكل أخ ديناران ديناران ، ولك دينار واحد . فعجب العلماء من فطنته وحدة ذهنه وسرعة جوابه . وقد رويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب . ودخل بعض الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتاً من الشعر يراه عظيماً ، فلما أنشده إياه لم يقع منه موقماً طائلاً ، فخرج من عنده محروماً ، فلقبه شاعر آخر فقال له : ألا أعجبك أ الشدت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأساً . فقال : وما هو ؟ قال قلت فيه :

أضفى إمام الهدى المأمون مشتغلاً • بالدين والناس بالدينا مشافيلُ

فقال له الشاعر الآخر : ما زدت علي أن جعلته مجوزاً في محرابها . فسلا قلت كما قال جرير في

عبد العزيز بن مروان :

فلا هو في الدنيا مضيق نصيبه • ولا عرضٌ للدينا عن الدين شاغله

وقال المأمون يوماً لبعض جلسائه : بيتان اثنتان لائنين ما يلحق بهما أحد ، قول أبي نواس :

إذا اختبر الدنيا لييب تكشفت • له عن عددٍ في لباس صديق

وقول شريح : تهوُّ على الدنيا الملامة إنه • حريص على استصلاحها من يلومها

قال المأمون : وقد ألبأتني الزحام يوماً وأنا في المركب حتى خالطت السوق فرأيت رجلاً في دكان

عليه أبواب خلقة ، فنظر إلى نظار من يرحمني أو من يتمجب من أمري فقال :

أرى كلَّ مغرورٍ تمنيه نفسه • إذا ما مضى عام سلامة قائل

وقال يحيى بن أكنم : سمعت المأمون يوم عيّد خطب الناس لحمد الله وأثنى عليه وصلى على

الرسول ، ثم قال : عباد الله ! عظم أمر الدارين وارتفع جزاء العالمين ، وطالت مدة الفريقين ،

فوالله إنه للجد لا اللب ، وإنه للحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبس والفساد والميزان

والصراط ثم العقاب أو الثواب ، فمن نجح يومئذ فقد فاز . ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخوارج في

الجنة ، والشركاء في النار . وروى ابن عساکر من طريق النضر بن شميل قال : دخلت على المأمون

فقال : كيف أصبحت يا نضر ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين . فقال : ما الارجاء ؟ فقلت دين يوافق

الملك يصيبون به من دينهم وينقصون به من دينهم . قال : صدقت . ثم قال : يا نضر أتدرى

ما قلت في صبيحة هذا اليوم ؟ قلت : إني لمن علم الغيب بعبيد . فقال قلت أبياتاً وهي :



أصبح ديني الذي أدينُ به \* ولستُ منه الغداة ممتدرا  
 حبّ عليّ بعد النبي ولا \* أشتمُ صديقي ولا عمرا  
 ثم ابن عفان في الجنان مع الـ \* أبرارِ ذاك القَتيل مصطبرا  
 ألا ولا أشتمُ الزبيرَ ولا \* طلحة إن قال قائلٌ غدرا  
 وعائش الام لستُ أشتمها \* من يفترها فنحن منه برا

وهذا المذهب ثلث مراتب الشيعة وفيه تفضيل عليّ على الصحابة . وقد قال جماعة من السلف والدارقطني : من فضل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأَنْصار - يعني في اجتهادهم ثلاثة أيام ثم اتفقوا على عثمان وتقديسه على عليّ بعد مقتل عمر - وبعد ذلك ست عشرة مرتبة في التشيع ، على ما ذكره صاحب كتاب البلاغ الأَكْبَر ، والناموس الأعظم ، وهو كتاب ينتهي به إلى أ كذّر الكفر . وقد روينا عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنه قال : لا أوتي بأحد فضلي على أبي بكر وعمر إلا جللته جلدة المتعري . وتواتر عنه أنه قال : خير الناس بعد النبي - س - ، أبو بكر ثم عمر . فقد خالف المأمون الصحابة كلهم حتى عليّ بن أبي طالب . وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأَنْصار ، البدعة الأخرى والطامة الكبرى وهي القول بخلق القرآن مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكر وغير ذلك من الأفعال التي تعدد فيها المنكر . ولكن كان فيه شهامة عظيمة وقوة جسيمة في القتال وحصار الأعداء ومصارعة الروم وحصارهم ، وقتل رجالهم وسبي نسائهم ، وكان يقول : كان لعمر بن عبد العزيز وعبد الملك حجاب وأنا بنفسى ، وكان يتحرى العدل ويتولى بنفسه الحكم بين الناس والفصل ، جاءت امرأة ضميمة قد تطلعت على ابنه العباس وهو قائم على رأسه ، فأمر الحاجب فأخذه بيده فأجلسه معها بين يديه ، فادعت عليه بأنه أخذ ضميمة لها واستحوذ عليها ، فتناظرا ساعة فجعل صوتها يملو على صوته ، فزجرها بعض الحاضرين فقال له المأمون :

اسكت فان الحق أنطقها والباطل أسكته ، ثم حكم لها بحرقها وأغرم ابنه لها عشرة آلاف درهم

وكتب إلى بعض الأمراء : ليس المرءة أن يكون بينك من ذهب وفضة وغريمك عار ، وجارك طاو و الفقير جائع . ووقف رجل بين يديه فقال له المأمون : والله لا تقتلنك . فقال : يا أمير المؤمنين تأن على فان الرفق نصف العفو ، فقال : ويحك ويحك لقد جلفت لأقتلنك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك إن تلتق الله حائثا خير من أن تلقاه قاتلا . فمعا عنه . وكان يقول : ليت أهل الجرائم يعرفون أن منهى العفو حتى ينهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم . وركب يوماً في حرافة فسمع ملاحاً يقول لأصحابه : ترون هذا المأمون يبذل في عيني وقد قتل أخاه الأمين - يقول ذلك وهو لا يشعر بمكان المأمون - فجعل المأمون يتبسم ويقول : كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل

التقدر؟ وحضر عند المأمون هدية بن خالد ليتغدى عنده فلما رفعت المائدة جعل هدية يلتقط ما تناثر منها من اللباب وغيره ، فقال له المأمون : أما شبعث يا شيخ؟ فقال : بلى ، حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله (س) قال : « من أكل ماتته آمن من العقر » . قال فأمر له المأمون بألف دينار .

وروى ابن عساکر أن المأمون قال يوماً ل محمد بن عباد بن المهلب : يا أبا عبد الله قد أعطيتك ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف وأعطيتك ديناراً . فقال : يا أمير المؤمنين إن منع الموجود سوء ظن بالعبود . فقال : أحسنت يا أبا عبد الله ! أعطوه ألف ألف وألف ألف وألف ألف . ولما أراد المأمون أن يدخل بيوران بنت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لأبيها الأشياء النفيسة ، وكان من جملة من يعتز به رجل من الأدياء . فأهدى إليه مزوداً فيه ملح طيب ، ومزوداً فيه أشنان جيد ، وكتب إليه : أتى كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا أذكر فيها ، فوجهت إليك بالمبتدأ به لئنه وبركته ، وبالختوم به لطيبه ونظافته . وكتب إليه :

بِضَاعَتِي تَقْصُرُ عَنْ هِمَّتِي \* وَهَمَّتِي تَقْصُرُ عَنْ مَالِي  
فَالْمِلْحُ وَالْأَشْنَانُ يَأْسِدِي \* أَحْسَنُ مَا يَهْدِيهِ أَمْثَالِي

قال : فدخل بها الحسن بن سهل على المأمون فأعجبه ذلك وأمر بالزودين ففرغا ومثلتا دنانير وبعث بهما إلى ذلك الأديب . وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس بهنثونه بصنوف التهانى ودخل بعض الشعراء فقال بهنثيه بولده :

مَدَّ لَكَ اللهُ الْحَيَاةَ مَبَاهًا \* حَتَّى تَرَى ابْنَكَ هَذَا جَدًّا  
ثُمَّ يُفَدِّي مِثْلَ مَا تُفَدِّي \* كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى  
أَشْبَهُ مِنْكَ قَامَةً وَقَدَا \* مُؤَزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرَدًّا

قال فأمر له بعشرة آلاف درهم . وقدم عليه وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى أخيه المعتصم ذلك ، فوردت عليه خزان من خراسان ثلاثون ألف الف درهم ، فخرج يسترضها وقد زينت الجمال والأحمال ، ودمه يحمي بن أكنم القاضى ، فلما دخلت البلد قال : ليس من المروءة أن نحوز نحن هذا كله والناس ينظرون . ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله فى الركاب لم ينزل عن فرسه . ومن لطيف شعره : -

لِسَائِي كَتَوَّمْ لِأَسْرَارِكُمْ \* وَدَمِي نَوْمٌ لِبِرِّي مَذْبِغٌ  
فَلَوْلَا دُمُوعِي كُنْتُ الْهَوَى \* وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَكُنْ لِي دُمُوعٌ

بعث خادماً ليلية من اليبالى ليأتيه بجارية فأطال الخادم عندها المكث ، وتمنعت الجارية من

الحمى إليه حتى يأتي إليها المأمون بنفسه ، فانشأ المأمون يقول :

بمئتك مشتاقاً ففرت بنظرة \* وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا  
فناجيت من أهوى وكنت مباعداً \* فباليت شعري عن دنوك ما أغني  
ورددت طرفاً في محاسن وجهها \* ومثمت باستسماح نعمتها أذنا  
أرى أترأ منه بعينيك بيتاً \* لقد سرقت عينك من عينها حسنا

ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال ، فرح بذلك بشر المريسي - وكان بشر  
هذا شيخ المأمون - فانشأ يقول :

قد قال مأموننا وسيدينا \* قولاً له في الكُتُبِ تصديق  
إنّ علياً أعني أبا حسن \* أفضل من قد أفلت النوق  
بعد نبي الهدى وإن لنا \* أعمالنا ، والقرآن مخلوق  
فأجابه بعض الشعراء من أهل السنة :

يا أمها الناس لا قول ولا عمل \* لمن يقول : كلام الله مخلوق  
ما قال ذلك أبو بكر ولا عمر \* ولا النبي ولم يذكره صديق  
ولم يقل ذلك إلا كل مبتدع \* على الرسول وعند الله زنديق  
بشر أراد به إحقاق دينهم \* لأن دينهم والله محقوق  
يا قوم أصبح عقل من خليفتمكم \* مقيداً وهو في الاغلال موثق

وقد سأل بشر من المأمون أن يطلب قائل هذا فيؤدبه على ذلك ، فقال : ويحك لو كان فقيها  
لأدبته ولكنه شاعر فلست أعرض له . ولما تجهز المأمون للغزو في آخر سنة سافرهما إلى طرسوس  
استدعى بجارية كان يحبها وقد اشتراها في آخر عمره ، فضمها إليه فبكت الجارية وقالت : قتلتنى  
يا أميين المؤمنين بسفركم ثم أنشأت تقول :

سأدعوك دعوة المضطرباً \* يثيب على الدعاء ويستجيب  
لمل الله أن يكفيك خوفاً \* ويخيمنا كما تهوى القلوب

فضمها إليه وانشأ يقول متمنلاً : -

فيا حسنها إذ يفسل الدمع كحلها \* وإذ هي تدرى الدمع منها الأنامل  
صبيحة قالت في المتاب قتلتنى \* وقتلى بما قالت هناك نحاول  
ثم أمر مسروراً الخادم بالاحسان إليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع ، ثم قال : نحن كما قال الأخطل  
قوم إذا حاربوا شدوا مآزيم \* دون اللسام ولو باتت باطمار

ثم ودعها وسار فرضت الجارية في غيبته هذه ، ومات المأمون أيضاً في غيبته هذه ، فلما جاء نعيه إليها تنفست الصدماء وحضرتها الوفاة وأنشأت تقول وهي في السياق :

إن الزمان سقانا من مرارتهم \* بعدَ الحلاوةِ كاساتِ فأروانا  
أبدى لنا نارةً منه فأضحكننا \* ثم أنثى نارةً أخرى فأبكتنا  
إننا إلى الله فيما لا يزالُ بنا \* من القضاةِ ومن تلوينِ دنيانا  
دنيا تراها ترينا من تصرفها \* ما لا يدومُ بمصافاةٍ وأحزاننا  
ونحنُ فيها كأننا لا يزالنا \* للعيشِ أحياءٍ وما يسكرونَ موتانا

كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر وقيل بعد العصر ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرًا ، وصلى عليه أخوه المعتصم وهو ولي العهد من بعده ، ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم ، وقيل كانت وفاته يوم الثلاثاء ، وقيل يوم الأربعاء لثمان بقين من هذه السنة . وقيل إنه مات خارج طرسوس بأربع مراحل فحمل إليها فدفن بها ، وقيل إنه نقل إلى أذنة في رمضان فدفن بها فالله أعلم . وقد قال أبو سعيد الخزرجي : —

هل رأيت النجومَ أغنت عن المأ \* مونٍ شيئاً . أو مُلكِ المأسوسِ  
خلفوةِ بمرصتي طرسوس \* مثل ما خلفوا أباهُ بطوسِ

وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم وكتب وصيته بمحضته وبمضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكتّاب . وفيها اتول بخاق القرآن ولم يقب من ذلك بل مات عليه وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يقب منه ، وأوصى أن يكبر عليه الذي يعلى عليه خساً ، وأوصى المعتصم بتقوى الله عز وجل والرفق بالرعية ، وأوصاه أن يعتقد ما كان يعتقده أخوه المأمون في القرآن ، وأن يدعو الناس إلى ذلك ، وأوصاه بمبدأ الله بن طاهر وأحمد بن إبراهيم وأحمد بن أبي دواد ، وقال شاوره في أمورك ولا تفارقه ، وإياك ويحيى بن أكرم أن تصحبه ، ثم نهاه عنه وذمه وقال : خائني وفر الناس عنى ففارقته غير راض عنه . ثم أوصاه بالعلو بين خيراً ، أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة .  
وقد ذكر ابن جرير للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة لم يذكرها ابن عساکر مع كثرة ما يورده ، وفوق كل ذي علم عليم .

خداقتن العظمى بالله لحي راحم به هارون

يويح له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من سنة

ثمانى عشرة ومائتين ، وكان إذ ذاك مريضاً ، وهو الذى صلى على أخيه المأمون ، وقد سمى بعض الأسماء فى ولاية العباس بن المأمون نخرج عليهم العباس فقال : ما هذا الخلف البارد ؟ أنا قد بايعت عمى المعتصم ، سكن الناس وخذت الفتنة وركب البرد بالبيعة المعتصم إلى الآفاق ، وبالتعزية بالمأمون . فأمر المعتصم بهم ما كان بناه المأمون فى مدينة طوزانة ، ونقل ما كان حول إليها من السلاح وغيره إلى حصون المسلمين ، وأذن الفعلة بالانصراف إلى بلدانهم ، ثم ركب المعتصم بالجند قاصداً بغداد وصحبته العباس بن المأمون ، فدخلها يوم السبت مستهل رمضان فى أمة عظيمة وتجمعت تام . وفيها دخل خلق كثير من أهل همدان وأصبهان وماسبدان ومهرجان فى دين الخرمية ، فجمع منهم بشر كثير ، فجهز إليهم المعتصم جيوشاً كثيرة آخرهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فى جيش عظيم ، وعقد له على الجبال ، نخرج فى ذى القعدة وقرى كتابه بالفتح يوم التروية ، وأنه قهر الخرمية وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وهرب بقيتهم إلى بلاد الروم ، وعلى يدي هذا جرت فتنة الامام أحمد وضرب بين يديه كما سيأتى بسط ذلك فى ترجمة أحمد فى سنة إحدى وأربعين ومائتين . وفيها توفى من الأعيان :

#### بشر المريسي

وهو بشر بن غياث بن أبى كريمة أبو عبيد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة ، وأحد من أضل المأمون ، وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً فى شئ من الفقه ، وأخذ عن أبى يوسف القاضى ، وروى الحديث عنه . حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ، ثم غلب عليه علم الكلام ، وقد نهى الشافعى عن تعلمه وتماطيه فلم يقبل منه ، وقال الشافعى : لئن يلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إلى من أن يلقاه به علم الكلام . وقد اجتمع بشر بالشافعى عند ما قدم بغداد . قال ابن خلكان : جدد القول بمخاق القرآن وحكى عنه أقوال شنيعة ، وكان مرجئياً وإليه تنسب المريسية من المرجئة ، وكان يقول : إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ، وإنما هو علامة للكفر ، وكان يناظر الشافعى وكان لا يحسن النحو ، وكان يلحن لحناً فاحشاً . ويقال : إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة ، وكان يسكن درب المريسي ببغداد . والمريس عندهم هو الخبز الرقاق يمرس بالسمن والتمر . قال : ومريس ناحية ببلاذ النوبة تهب عليها فى الشتاء ريح باردة . وفيها توفى عبد الله بن يوسف الشيبى . وأبو مسهر عبيد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقى . ويحيى بن عبد الله البابلقى .

#### وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري

راوى السيرة عن زياد بن عبد الله البكائى عن ابن إسحاق مصنفها ، وإنما نسبت إليه فىقال سيرة ابن هشام ، لأنه هذبها وزاد فيها ونقص منها ، وحرر أماكن واستدرك أشياء . وكان إماماً فى

الائمة والنحو ، وقد كان متبياً بمصر واجتمع به الشافعي حين ردها ، وتناشدا من أشعار العرب شيئاً كثيراً . كانت وفاته بمصر ثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة ، قاله ابن يونس في تاريخ مصر . وزعم السهيلي أنه توفي في سنة ثلاث عشرة كما تقدم فأنه أعلم .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومازى

فيها ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدهو إلى الرضى من آل محمد ، واجتمع عليه خلق كثير وقاتله قواد عبد الله بن طاهر مرات متعددة ، ثم ظهر وا عليه وهرب فأخذ ثم بعث به إلى عبد الله بن طاهر فبعث به إلى المنتصم فدخل عليه للنصف من ربيع الآخر فأمر به فحبس في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في ذراعين ، فكث فيه تلاماً ، ثم حول لأوسع منه وأجرى عليه رزق ومن يخدمه ، فلم يزل محبوساً هناك إلى ليلة عيد الفطر فاشتغل الناس بالعيد فدلى له حبل من كوة كان يأتيه الضوء منها ، فذهب فلم يدركه فذهب إلى أين صار من الأرض .

وفي يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى دخل إسحاق بن إبراهيم إلى بغداد راجعاً من قتال الخرمية ، ومعه أسارى منهم ، وقد قتل في حربه منهم مائة ألف مقاتل . وفيها بعث المنتصم مهيبةً في جيش كثيف لقتال الزط الذين عاثوا فساداً في بلاد البصرة ، وقطعوا الطريق ونهبوا الغلات ، فكث في قتالهم تسعة أشهر فقهرهم وقمع شرهم وأباد خضراهم . وكان القائم بأمرهم زجل يقال له محمد بن عثمان ومعه آخر يقال له سحاق ، وهو داهيتهم وشيطانهم ، فأراح الله المسلمين منه ومن شره .

وفيها توفي سليمان بن داود الهاشمي شيخ الامام أحمد . وعبد الله بن الزبير الحميدي صاحب المسند وتلميذ الشافعي وعلى بن عياش . وأبو نعم الفضل بن دكين شيخ البخاري . وأبو بشار الهندي .

ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من الهجرة

في يوم عاشوراء منها دخل مجيب في السفن إلى بغداد ومعه من الزط سبعة وعشرون ألفاً قد جاؤا بالأمان إلى الخليفة ، فأنزلوا في الجانب الشرقي ثم نفاهم إلى عين رومة ، فأغارت الروم عليهم فاجتاحوم عن آخرهم ، ولم يفلت منهم أحد . فكان آخر العهد بهم . وفيها عقد المنتصم للأفشين واسمه حيدر بن كلوس على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي لئنه الله ، وكان قد استفحل أمره جداً ، وقويت شوكته ، وانتشرت أتاباعه في أذربيجان وما والاها ، وكان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين ، وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجياً ، فسار الأفشين وقد أحكم صناعة الحرب في الأرصاد وحصارة الحصون وإرصاد المسدد ، وأرسل إليه المنتصم مع بغا الكبير أموالاً جزيلة نفقة لمن معه من

الجند بالاتباع ، فالتقى هو وبابك فاقتتلا قتالا شديداً ، فقتل الأفشين من أصحاب بابك خلتاً كثيراً  
أزيد من مائة ألف ، وهرب هو إلى مدينته فأوى فيها مكسوراً ، فكان هذا أول ما تضرع من  
أمر بابك ، وجرت بينهما حروب يطول ذكرها ، وقد استقصاها ابن جرير .  
وفيهما خرج المعتصم من بغداد فترز القاطول فأقام بها . وفيها غضب المعتصم على الفضل بن  
مروان بعد المكانة العظيمة ، وعزله عن الوزارة وحبس وأخذ أهله وجعل مكانه محمد بن عبد الملك  
ابن الزيات . وحجج بالداس فيها صالح بن علي بن محمد أمير السنة الماضية في الحج .  
وفيهما توفى آدم بن أبي إياس . وعبد الله بن رجاء . وغفان بن مسلمة . وقالون أحد مشاهير  
القراء . وأبو حذيفة الهندي .

### ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

فبها كانت وقعة هائلة بين بغا الكبير وبابك فهزم بابك بغا وقتل خلتاً من أصحابه . ثم اقتتل  
الأفشين وبابك فهزماه أفشين وقتل خلتاً من أصحابه بعد حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير .  
وحجج بالداس فيها نائب مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى العباسي .  
وفيهما توفى عاصم بن علي . وعبد الله بن مسلم القعنبى . وعبدان . وهشام بن عبيد الله الرازى .

### ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائتين

فبها جبر المعتصم جيشاً كثيراً مدداً للأفشين على محاربة بابك وبمث إليه ثلاثين ألف ألف  
درهم نفقة للجند ، فاقتتلوا قتالا عظيماً ، واقتتحت الأفشين البلد مدينة بابك واستباح ما فيها ، وذلك  
يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان . وذلك بعد محاصرة وحروب هائلة وقتال شديد وجهد جهيد .  
وقد أطل ابن جرير بسط ذلك جدا . وحاصل الأمر أنه اقتتحت البلد وأخذ جميع ما فيه من الأموال  
مما قدر عليه .

### ذكر مسك بابك

لما احتوى المسلمون على بلده المسمى بابك وهي دار ملكه وسر سلطته هرب من معه من أهله  
وولده ومعهم أمه وامراته ، فانفرد في شردمة قليلة ولم يبق معهم طعام ، فاجتازوا ببحر فبمث غلامه  
إليه وأعطاه ذهباً فقال : أعطاه الذهب وخسده ما معه من الخبز ، فنظر شريك الحراث إليه من بعيد  
وهو يأخذ منه الخبز ، فظن أنه قد اغتصبه منه ، فذهب إلى حصن هناك فيه نائب للخليفة يقال له  
سهل بن سنباط ليستمدى على ذلك الغلام ، فركب بنفسه وجاء فوجد الغلام فقال : ما خبرك ؟  
فقال : لا شيء ، إنما أعطيت ذنانير وأخذت منه الخبز . فقال : ومن أنت ؟ فأراد أن يمتى عليه  
الخبز فأخ عليه فقال : من سلمان بابك ، فقال : وأين هو ؟ فقال : ها هو ذا جالس يريد الغداء . فسار  
إليه سهل بن سنباط فلما رآه ترجل وقيل يده وقال : يا سيدي أين تريد ؟ قال : أريد أن أدخل بلاد

الروم ، فقال : إلى عند من تذهب أحرز من حصني وأنا غلامك وفي خدمتك ؟ وما زال به حتى خدعه وأخذته معه إلى الحصن فأنزله عند سد وأجرى عليه الذمقات السكشيرة والنحف وغير ذلك ، وكتب إلى الأفشين يعلمه ، فأرسل إليه أميرين لقبضه ، فنزلا قريبا من الحصن وكتبها إلى ابن سبباط فقال : أقبا مكانكما حتى يأتيكما أمرى . ثم قال لبايك : إنه قد حصل لك هم وضيق من هذا الحصن وقد عزمت على الخروج اليوم إلى الصيد ومعنا بزة وكلاب ، فإن أحببت أن نخرج معنا لتشرح صدرك وتذهب همك فامسل . قال : نعم انخرجوا وبث ابن سبباط إلى الأميرين أن كونوا مكان كذا وكذا في وقت كذا وكذا من النهار ، فلما كالأ بذلك الموضع أقبل الأبران بن مهمما من الجنود فأحاطوا ببايك وهرب ابن سبباط ، فلما رآه جاؤا إليه فقالوا : نرجل عن دابتك ، فقال : ومن أنا ؟ فذكرا أنهم ما من عند الأفشين ، فنرجل حينئذ عن دابته وعليه دراعة بيضاء وبخف قصير وفي يده باز ، فنظر إلى ابن سبباط فقال : قبحك الله فهلا طلبت ، في من المال ما شئت كنت أعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء ، ثم أركبوه وأخذوه مهمما إلى الأفشين ، فلما اقتربوا منه خرج فتلقاء وأمر الناس أن يصطفوا صفين ، وأمر بايك أن يترجل فيدخل بين الناس وهو ماش ، ففعل ذلك ، وكان يوماً مشهوداً جداً . وكان ذلك في شوال من هذه السنة . ثم احتفظ به وسجنه عنده . ثم كتب الأفشين إلى المعتصم بذلك فأمره أن يقدم به وبأخيه ، وكان قد مسكه أيضاً . وكان اسم أخى بايك عبد الله ، فتجهز الأفشين بهما إلى بغداد في تمام هذه السنة ففرغت ولم يصل بهما إلى بغداد . وحج بالناس فيها الأمير المنتقم ذكره في التي قبلها .

وفيها توفي أبو اليمان الحكيم بن نافع . وعمر بن حفص بن عياش . ومسلم بن إبراهيم . وبجى بن صالح الوحاطي . ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

في يوم الخميس ثالث صفر منها دخل الأفشين ومعه بايك على المعتصم سامرا ، ومعه أيضاً أخو بايك في بحمل عظيم ، وقد أمر المعتصم ابنه هارون الواثق أن يتلقى الأفشين وكانت أخباره تفد إلى المعتصم في كل يوم من شدة اعتناء المعتصم بأمر بايك ، وقد ركب المعتصم قبيل وصول بايك بيومين على البريد حتى دخل إلى بايك وهو لا يعرفه ، فنظر إليه ثم رجع ، فلما كان يوم دخوله عليه تأهب المعتصم واصطف الناس سباطين وأمر بايك أن يركب على فيل ليظهر أمره ويعرفوه ، وعليه قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة ، وقند هيشوا الفيل وخصبوا أطرافه ولبسوه من الحرير الأمتة التي تليق به شيئاً كثيراً ، وقد قال فيه بعضهم :

قد خُصِبَ الفيلُ كعادته \* يحملُ شيطانَ خُرَاسانِ  
والفيلُ لا يُخْصَبُ أعضاؤه \* إلا الذي شأنُ من الشأنِ



ولما أحضر بين يدي المعتصم أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه ، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان وصلب جسده على خشبة بسامرا ، وكان بابك قد شرب الخمر ليلة قتله وهي ليلة الخميس لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة . وكان هذا الملعون قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره - وهي عشرون سنة - مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسمائة إنسان - قاله ابن جرير - وأسر خلقا لا يحصون ، وكان جملة من استنقذه الأتشين من أسره نحواً من سبعة آلاف وستائة إنسان ، وأسر من أولاده سبعة عشر رجلاً ، ومن حلائله وحلائل أولاده ثلاثة وعشرين امرأة من الخواتين ، وقد كان أصل بابك من جارية زرية الشكل جداً ، فأل به الحال إلى ما آل به إليه ، ثم أراح الله المسلمين من شره بعد ما أفتتن به خلق كثير وجم غفير من العوام الطغام .

ولما قتله المعتصم نوح الأتشين وقلده وشاحين من جوهر ، وأطلق له عشرين ألف درهم ، وكتب له بولاية السند ، وأمر الشعراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من الخير إلى المسلمين ، وعلى تخريبه بلاد بابك التي يقال لها البند وتركه إياها قياماً خراباً . فتلقوا في ذلك فأحسنوا ، وكان من جملتهم أبو تمام الطائي وقد أورد قصيدته بتامها ابن جرير وهي قوله :

بَدَّ الْجِلَادُ الْبِنْدَ فَبُو دَفِينُ \* مَا إِنْ بَهَا إِلَّا الْوَحْشُ قَطِينُ  
لَمْ يَقْرَهُنَا السَّيْفُ هَذَا الصَّبْرُ فِي \* هَبْجَاءَ إِلَّا عَزَّ هَذَا الدِّينُ  
قَدْ كَانَ عُدْرَةَ سُودْدٍ فَاقْتَضَاهَا \* بِالسَّيْفِ فَعَلَّ الْمَشْرِقُ الْأَشِينُ  
فَأَعَادَهَا تَعْوِي الثَّمَالِبِ وَسَطَّهَا \* وَلَقَدْ تَرَى بِالْأَمْسِ وَهِيَ عَرِينُ  
هَطَلَتْ عَلَيْهَا مِنْ جَمَاجِمِ أَهْلِهَا \* دِيمٌ إِمَارَتُهَا طَلَى وَشَوُونُ  
كَانَتْ مِنْ الْمُهْجَاتِ قَبْلَ مَفَاذَةٍ \* عُسْرًا فَأَضْحَتْ وَهِيَ مِنْهُ مَعِينُ

وفي هذه السنة - أعنى سنة ثلاث وعشرين ومائتين - أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ماطية من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة ، قتل فيها خلقا كثيرا من المسلمين ، وأسر مالا يحصون كثرة ، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات . ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين فقطع آذانهم وأتوفهم وحمل أعينهم قبضه الله . وكان سبب ذلك أن بابك لما أحيط به في مدينة البند استوسقت الجيوش حوله وكتب إلى ملك الروم يقول له : إن ملك العرب قد جهز إلى جمهور جيشه ولم يبق في أطراف بلاده من يحفظها ، فان كنت تريد الفتيمة فانض سريراً إلى ماحولك من بلاده ففداها فانك لا تجد أحداً يملك عنها . فركب توفيل بمائة ألف وانضاف إليه الحمرة الذين كانوا قد خرجوا في الجبال وقتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلم يقدر عليهم لأنهم تحصنوا بتلك الجبال فلما قدم ملك الروم صاروا معه على المسلمين فوصلوا إلى ماطية فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا

وأسروا نساءهم ، فلما بلغ ذلك المعتصم انزعج لذلك جسداً وصرخ في قصره بالذفير ، ثم نهض من فوره وأمر بتبشئة الجيوش واستدعى القاضي والشهود فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة وثلثه لولده وثلثه لمواليه . وخرج من بغداد فمسكراً غربى دجلة يوم الاثنين ليلتين خلتا من جمادى الأولى ووجه بين يديه عجيماً وطائفة من الأمراء وهمهم خلق من الجيش إعانة لأهل زبطرة ، فأسرعوا السير فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وأنشمر راجعاً إلى بلاده ، وتفارط الخال ولم يمكن الاستدراك فيه ، فرجعوا إلى الخليفة لأعلامه بما وقع من الأمر ، فقال للأمراء : أى بلاد الروم أمنع ؟ قالوا : عمورية لم يمرض لها أحد منذ كان الاسلام ، وهى أشرف عندهم من القسطنطينية .

## فتح عمورية على يبرن المعظم

لما تفرغ المعتصم من بابك وقتله وأخذ بلاده استدعى بالجيوش إلى بين يديه وتجهز جهازاً لم يجهزه أحد كان قبله من الخلفاء ، وأخذ معه من آلات الحرب والأعمال والجمال والقرب والدواب والنفط والخيل والبغال شيئاً لم يسمع بمثله ، وسار إلى عمورية في جمادى الأولى من الجبال ، وبعث الأفشين حيدر بن كلوس من ناحية سروج ، وعبي جيوشه تعبئة لم يسمع بمثلهما ، وقدم بين يديه الأمراء المرءوفين بالحرب ، فانتمى في سيره إلى نهر السى وهو قريب من طرسوس ، وذلك في رجب من هذه السنة . وقد ركب ملك الروم في جيشه فقصده نحو المعتصم فتقاربا حتى كان بين الجيشين نحو من أربعة فراسخ ، ودخل الأفشين بلاد الروم من ناحية أخرى ، فجاءوا في أثره وضاق ذرعه بسبب ذلك إن هو ناجز الخليفة جاءه الأفشين من خلفه فالتقى عليه فيهلك ، وإن اشتغل بأحدهما وترك الآخر أخذه من خلفه . ثم اقترب منه الأفشين فسار إليه ملك الروم في شردمة من جيشه واستخلف على بقية جيشه قريباله فالتقى هو والأفشين في يوم الخميس لحس بقين من شعبان منها ، فثبت الأفشين في ثانی الحال وقتل من الروم خلقاً وجرح آخرين ، وتغلب على ملك الروم وبلغه أن بقية الجيش قد شردوا عن قرابته وذهبوا عنه وتفرقوا عليه فأمرع الأوبة فاذا نظام الجيش قد انحل ، فغضب على قرابته وضرب عنقه وجاءت الأخبار بذلك كله إلى المعتصم فسرده ذلك وركب من فوره وجاء إلى أنقرة وواظف الأفشين بمن معه إلى هناك ، فوجدوا أهلها قد هربوا منه فتقوا منها بما وجدوا من طعام وغيره ، ثم فرق المعتصم جيشه ثلاث فرق فالميمنة عليها الأفشين ، والميسرة عليها اشناس ، والمعتصم في القلب ، وبين كل عسكري فرسخان ، وأمر كل أمير من الأفشين وأشناس أن يجهز لجيشه ميمنة وميسرة وقلبا ومقدمة وساقة ، وأنهم مهمامروا عليه من القرى حرقوه وخر بوه وأسروا وغنموا ، وسار بهم كذلك قاصداً إلى عمورية ، وكان بينها وبين مدينة أنقرة سبع مراحل ، فأول من وصل إليها من الجيش اشناس أمير الميسرة ضحوة يوم الخميس لحس خلون من رمضان

من هذه السنة ، فدار حولها ديرة ثم نزل على ميلين منها ، ثم قدم المعتصم صبيحة يوم الجمعة بعمده ، فدار حولها ديرة ثم نزل قريباً منها ، وقد تحصن أهلها تحصناً شديداً وملأوا أبراجها بالرجال والأسلحة ، وهي مدينة عظيمة كبيرة جداً ذات سور متبوع وأبراج عالية كبار كثيرة . وقسم المعتصم الأبراج على الأمراء فنزل كل أمير نجاة الموضع الذي أقطعه وعينه له ، ونزل المعتصم قبالة مكان هناك قد أرشد إليه ، أرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين ، وكان قد تنصر عندهم وتزوج منهم ، فلما رأى أمير المؤمنين والمسلمين رجوع إلى الإسلام وخرج إلى الخليفة فأسلم وأعلمه بمكان في السور كان قد هدمه السيل وبني ببناء ضعيفاً بلا أساس ، فنصب المعتصم المجانيق حول عمورية فكان نوابه وضع انهم من سورها ذلك الموضع الذي دلم عليه ذلك الأسير ، فبادر أهل البلد فسدوه بالخشب الكبار المتلاصقة فألح عليها المنجنيق فجعلوا فوقها البرادع ليردوا حدة الحجر فلم تكن شيئاً ، وانهم السور من ذلك الجانب وتفسخ . فكتب نائب البلد إلى ملك الروم يعلمه بذلك ، وبعث ذلك مع غلابين من قومهم فلما اجتازوا بالجيش في طريقهما أنكر المسلمون أمرهما فسألوهما من أتيا ؟ فقالا : من أصحاب فلان - لا أمير سموه من أمراء المسلمين - فجاء إلى المعتصم فقررهما فاذا مهمما كتاب مناطس نائب عمورية إلى ملك الروم يعلمه بما حصل لهم من الحصار ، وأنه عازم على الخروج من أبواب البلد من معه بغتة على المسلمين ومناجزهم القتال كائنا في ذلك ما كان . فلما وقف المعتصم على ذلك أمر بالغلابين فطلع عليهما ، وأن يعطى كل غلام منهما بدره ، فأسلما من فورهما فأمر الخليفة أن يطاف بهما حول البلد وعليهما الخلع ، وأن يوقفا تحت حصن مناطس فينثر عليهما الدراهم والخلع ، ومهما الكتاب الذي كتب به مناطس إلى ملك الروم فجعلت الروم تلعنهما وتسبهما . ثم أمر المعتصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتياط والاحتفاظ من خروج الروم بغتة ، فضاقت الروم ذرعاً بذلك ، وألح عليهم المسلمون في الحصار ، وقد زاد المعتصم في المجانيق والدبابات وغير ذلك من آلات الحرب . ولما رأى المعتصم عمق خندقها وارتفاع سورها ، أعمل المجانيق في مقاومة السور ، وكان قد غتم في الطريق غنماً كثيراً جداً ففرقها في الناس وأمر أن يأكل كل رجل رأساً ويحشى بجلده تراباً فيطرحه في الخندق ، ففعل الناس ذلك فتساوى الخندق بوجه الأرض من كثرة ما طرح فيه من الأغنام ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقاً مهيأ ، وأمر بالدبابات أن توضع فوقه فلم يحوج الله إلى ذلك . وبينما الناس في الجسر المردوم إذ هدم المنجنيق ذلك الموضع المغيب ، فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس همة عظيمة فظنوا من لم يرها أن الروم قد خرجوا على المسلمين بغتة ، فبعث المعتصم من نادى في الناس : إنما ذلك سقوط السور . فرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، لكن لم يكن ما هدم يسع الخليل والرجال إذا دخلوا . وقوى الحصار وقد وكلت الروم بكل برج من أبراج السور أميراً يحفظه ،

فضمه ذلك الأمير الذي هدمت ناحيته من السور عن مقاومة ما يلقاه من الحصار ، فذهب إلى مناطس فسأله نجدة فامتنع أحد من الروم أن ينجده وقالوا : لا نترك ما نحن موكلون في حفظه . فلما يئس منهم خرج إلى المعتصم ليجتمع به . فلما وصل إليه أمر المعتصم المسلمين أن يدخلوا البلد من تلك الثغرة التي قد دخلت من المقاتلة ، فركب المسلمون نحوها فجمعت الروم يشيرون إليهم ولا يقدرن على دفاعهم ، فلم يلتفت إليهم المسلمون ، ثم تكاثروا عليهم ودخلوا البلد قهراً وتتابع المسلمون إليها يكبرون ، وتفرقت الروم عن أماكنها فجعل المسلمون يقتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم ، وقد حشروهم في كنيسة لهم هائلة ففتحوها قسراً وقتلوا من فيها وأحرقوا عليهم باب الكنيسة فاحتترقت فأحرقوا عن آخرهم ، ولم يبق فيها موضع محصن سوى المكان الذي فيه النائب ، وهو مناطس في حصن منبج ، فركب المعتصم فرسه وجاء حتى وقف بمخاض الحصن الذي فيه مناطس فناداه المنادي ويحك يا مناطس اهدنا أمير المؤمنين واقف تجامك . فقالوا : ليس بمناطس ههنا مرتين . فغضب المعتصم من ذلك وولى فنادى مناطس هذا مناطس هذا مناطس . فرجع الخليفة ونصب السلام على الحصن وطلعت الرسل إليه فقالوا له : ويحك انزل على حكم أمير المؤمنين . فتمنع ثم نزل متلذذاً سيقاً فوضع السيف في عنقه ثم جىء به حتى أوقف بين يدي المعتصم فضربه بالسوط على رأسه ثم أمر به أن يمضى إلى مضرب الخليفة . هبانا إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل ، فأوثق هناك . وأخذ المسلمون من عمورية أموالاً لا تحصى ولا توصف لخملاؤها منها ما أمكن حمله ، وأمر المعتصم بإحراق ما بقى من ذلك ، وبإحراق ما هنالك من الخانيق والديابلات وآلات الحرب المشلاية يتوى بها الروم على شئ من حرب المسلمين ، ثم انصرف المعتصم راجعاً إلى ناحية طرسوس في آخر شهرال من هذه السنة . وكانت إقامته على عمورية خمسة وعشرين يوماً .

#### مقتل العباس بن المأمون

كان العباس مع عمه المعتصم في غزوة عمورية ، وكان محييف بن عنبسة قد ندمه إذ لم يأخذ الخلافة بمد أبيه المأمون بطرسوس حين مات بها ، ولامه على مبايعة عمه المعتصم ، ولم يزل به حتى أجابه إلى الفتك بعمه وأخذ البيعة من الأمراء له ، وجهر رجسلاً يقال له الحارث السمرقندي وكان ندمياً للعباس . فأخذ له البيعة من جماعة من الأمراء في الباطن ، واستوثق منهم وتقدم إليهم أنه يلى الفتك بعمه ، فلما كانوا يدرب الروم وهم قاصدون إلى أنقرة ومنها إلى عمورية ، أشار محييف على العباس أن يقتل عمه في هذا المضيق ويأخذ له البيعة ويرجع إلى بغداد ، فقال العباس : إني أكره أن أعمل على الناس هذه الغزوة ، فلما فتحوا عمورية واشتغل الناس بالمغانم أشار عليه أن يقتله فوعده مضيق الدرب إذا رجعوا ، فلما رجعوا فطن المعتصم بالظفر فأمر بالاحتفاظ وقوة الحرس وأخذ بالحزم

واجتهد بالمزم ، واستدعى بالحارث السمرقندي فاستقره فأقر له بجملة الأمر ، وأخذ البيعة للمباس بن المأمون من جماعة من الأمراء أسماهم له ، فاستكثرهم المعتصم واستدعى بابن أخيه العباس فقيده ، وغضب عليه وأهانته ، ثم أظهر له أنه قد رضى عنه وعفا عنه ، فأرسله من القيد وأطلق سراحه ، فلما كان من الليل استدعاه إلى حضرته في مجلس شرا به واستخلى به حتى سقا ، واستحكاكه عن الذي كان قد دبره من الأمر ، فشرح له القضية ، وذكر له القصة ، فأذا الأمر كما ذكر الحارث السمرقندي . فلما أصبح استدعى بالحارث فأخلاه وسأله عن القضية ثانياً فذكرها له كما ذكرها أول مرة ، فقال : ويحك إني كنت حريراً على ذلك فلم أجد إلى ذلك سبيلاً بصدقت إياي في هذه القصة . ثم أمر المعتصم حينئذ بابن أخيه العباس فقيده وسلم إلى الأفشين ، وأمر بهجيف وبقية الأمراء الذين ذكروهم فاحتفظ عليهم ، ثم أخذهم بأنواع التعذيب التي اقترحها لهم ، فقتل كل واحد منهم بنوع لم يقتل به الآخر ، ومات العباس بن المأمون بمنزلة فدفن هناك ، وكان سبب موته أنه أجاعه جوعاً شديداً ، ثم جنى بأكل كثير منه وطلب الماء ففتح منه حتى مات ، وأمر المعتصم بلمنه على المنبر وسماه الامين ، وقتل جماعة من ولد المأمون أيضاً

وسج بالناس فيها محمد بن داود . وفيها توفى من الأعيان . بابك الخرمي قتل وصلب كما قدمنا . وخلد بن خراش وعبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد . ومحمد بن سنان العموي . وموسى ابن إسحاق . ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين .

فيها خرج رجل بأهل طبرستان يقال له مازيار بن قارن بن يزداهرمز ، وكان لا يرضى أن يدفع الخراج إلى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين ، بل يبعثه إلى الخليفة ليقبضه منه ، فبعث الخليفة من يتلقى الحمل إلى بعض البلاد ليقبضه منه ثم يذمه إلى ابن طاهر ، ثم آكل أمره إلى أن وثب على تلك البلاد وأظهر المخالفة للمعتصم . وقد كان المازيار هذا ممن يكاتب بابك الخرمي ويمده بالنصر . ويقال إن الذي قوى رأس مازيار على ذلك الأفشين ليهجز عبسده الله بن طاهر عن مقاومته فيوليه المعتصم بلاد خراسان مكانه ، فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب - أخا إسحاق بن إبراهيم - في جيش كثيف فحرت بينهم حروب طويلة استقصاها ابن جرير ، وكان آخر ذلك أسر المازيار وحمله إلى ابن طاهر ، فاستقره عن الكتب التي بعثها إليه الأفشين فأقر بها ، فأرسله إلى المعتصم وما معه من أهواله التي احتفظت للخليفة ، وهي أشياء كثيرة جداً ، من الجواهر والذهب والنياب . فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأنكرها ، فأمر به فضرب بالسياط حتى مات وصلب إلى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد ، وقتل عيون أصحابه وأتباعه . ونها تزوج الحسن بن الأفشين بالترجة بنت أشناس ودخل بها في قصر المعتصم بسمرقند جادى ،

وكان عرساً حافلاً ، ولية المعتصم بنفسه ، حتى قيل إنهم كانوا يخبضون لحا العامة بالغالية . وفيها خرج منكجور الأشروسى قرابة الأفشين بأرض أذربيجان وخلع الطاعة ، وذلك أن الأفشين كان قد استنابه على بلاد أذربيجان حين فرغ من أمر بابك ، فظفر منكجور ، آل عظيم مخزون لبابك في بعض البلدات ، فأخذته لنفسه وأخضاه عن المعتصم ، وظهر على ذلك رجل يقال له عبد الله بن عبد الرحمن ، فكتب إلى الخليفة في ذلك فكتب منكجور يكذبه في ذلك ، وم به ليقته فاستنبح منه أهل أربيل . فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بعث إليه بغا الكبير فخاره وأخذته بالأمان وجاء به إلى الخليفة . وفيها مات مناظس الرومى نائب عمورية ، وذلك أن المعتصم أخذته معه أسيرا فاعتقله بسامرا حتى مات في هذه السنة . وفي رمضان منها مات إبراهيم بن المهدي بن المنصور عم المعتصم ويعرف بابن شكله ، وكان أسود اللون ضخماً فصيحاً فاضلاً ، قال ابن ماكولا : وكان يقال له الصيبي - يعني لسواده - وقد كان ترجمه ابن عساکر ترجمة حافلة ، وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن الرشيد أخيه مدة سنتين ثم عزله عنها ثم أعاده إليها الثانية فأقام بها أربع سنين ، وذكر من عدله وصرامته أشياء حسنة ، وأنه أقام للناس الحج سنة أربع وثمانين ، ثم عاد إلى دمشق ، ولما بويع بالخلافة في أول خلافة المأمون سنة ثنتين ومائتين قاتله الحسن بن سهل نائب بغداد ، فهزمه إبراهيم هذا ، فقصد حميد العلوسى فهزم إبراهيم وأختفى إبراهيم ببغداد حين قسمها المأمون ، ثم ظفر به المأمون ففعا عنه وأكرمه . وكانت مدة ولايته الخلافة سنة وإحدى عشر شهراً واثنا عشر يوماً ، وكان بدء اختفائه في أواخر ذى الحجة سنة ثلاث ومائتين ، فكش مختفياً ست سنين وأربعة أشهر وعشرا . قال الخطيب : كان إبراهيم بن المهدي هذا وافر الفضل غزير الأدب واسع النفس سخي الكف ، وكان متروفاً بصناعة الفناء ، حاذقاً فيها وقد قل المال عليه في أيام خلافته ببغداد فألح الأعراب عليه في أعطياتهم فجعل يسوف بهم . ثم خرج إليهم رسوله يقول : إنه لا مال عندنا اليوم ، فقال بعضهم : فليخرج الخليفة إلينا فليغن لاهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات . فقال في ذلك دعبل شاعر المأمون يذم إبراهيم بن المهدي :

يا مَسْرَ الأعراب لا تفلطوا • خذوا عطايكم ولا تسخطوا  
فسوف يُعطيكُم حنينية • لا تدخل الكيس ولا تربط  
والمسهديات لتوادكم • وما هذا أحسن يُقبط  
فهيكذا برزق أصحابه • خليفة مصحفة الربط

وكتب إلى ابن أخيه المأمون حين طال عليه الاختفاء : ولئى التار محكم فى القصاص والهنو  
أقرب للتقوى ، وقد جعل الله أمير المؤمنين فوق كل عفو ، كما جعل كل ذى نسب دونه ، فان عفا

فبفضله وإن عاقب فبحقه . فوقع المأمون في جواب ذلك . القدرة تذهب الحفيظة وكفى بالندم إنابة  
وعفو الله أوسع من كل شيء . ولما دخل عليه أنشأ يقول :

إن أكن مذنباً لمخطئاً أخطأت \* فندعُ عنك كثرةَ التائبِ  
قلْ كما قالَ يوسفُ لبني يعقوبَ \* بَلْ لَمَّا أَنوّهْهُ أَلَا تَتْرِبْهُ

فقال المأمون : لا تتريب . وروى الخطيب أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون شرع يؤنبه  
على ما فعل فقال : يا أمير المؤمنين حضرت أبي وهو جدك وقد أتى برجل ذنبه أعظم من ذنبي فأمر  
بقتله فقال مبارك بن فضالة : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تؤخر قتل هذا الرجل حتى أحسدك  
حديثاً ، فقال : قل . فقال : حدثني الحسن البصري عن عمران بن حصين أن رسول الله س . قال :  
« إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطان العرش : ليقيم العافون عن الناس من الخلفاء إلى أكرم  
الجزء ، فلا يقوم إلا من عفا . فقال المأمون : قد قبلت هذا الحديث بقبوله وعفوت عنك يا عم .  
وقد ذكرنا في سنة أربع ومائتين زيادة على هذا . وكانت أثماره جيدة بلبنة سماحه الله . وقد ساق  
من ذلك ابن عساکر جانباً جيداً .

كان مولد إبراهيم هذا في مستهل ذي القعدة سنة ثنتين وستين ومائة ، وتوفى يوم الجمعة لسبع  
خون من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة .

وفيهما توفى سميد بن أبي مريم المصري . وسليمان بن حرب . وأبو معمر المقدم . وعلى بن محمد  
المدائني الأخباري أحد أئمة هذا الشأن في زمانه . وعمر بن مرزوق شيخ البخاري . وقد تزوج  
هذا الرجل ألف امرأة . وأبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي أحد أئمة اللغة والفقه والحديث .  
والقرآن والأخبار وأيام الناس ، له المصنفات المشهورة المنتشرة بين الناس ، حتى يقال إن الامام  
أحمد كتب كتابه في التريب بيده ، ولما وقف عليه عبيد الله بن طاهر رتب له في كل شهر خمسمائة  
درهم ، وأجراها على ذريته من بعده . وذكر ابن خلكان أن ابن طاهر استحسّن كتابه وقال : ما ينبغي  
لمقل بهت صاحبه على تصنيف هذا الكتاب أن نحوج صاحبه إلى طلب المعاش . وأجرى له عشرة  
آلاف درهم في كل شهر . وقال محمد بن وهب المسمودي : سمعت أبا عبيد يقول : مكنت في تصنيف  
هذا الكتاب أربعين سنة . وقال هلال بن المعل الرقي من الله على المسلمين بهؤلاء الأربعة : الشافعي  
نفعه في الفقه والحديث ، وأحمد بن حنبل في الحجة . ويحيى بن معين في نفي الكذب . وأبو عبيد في  
تفسير غريب الحديث . ولولا ذلك لافتحم الناس المهالك .

وذكر ابن خلكان أن أبا عبيد ولي القضاء بطرسوس ثمانى عشرة سنة ، وذكر له من العبادة  
والاجتهاد في العبادة شيئاً كثيراً . وقد روى التريب عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي

عبيدة ممر بن المثنى ، وابن الأعرابي ، والفراء والكسائي وغيرهم . وقال إسحاق بن راهويه : نحن محتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا . وقدم بغداد وسمع الناس منه ومن تصانيفه . وقال إبراهيم الحارثي : كان كأنه جبل نفخ فيه روح ، يحسن كل شيء . وقال أحمد بن كامل القاضى : كان أبو عبيد فاضلا دينيا رابانيا عالما متقنا في أصناف علوم أهل الإيمان والاتقان والاسلام : من القرآن والفقه والمربية والأحاديث ، حسن الرواية صحيح النقل ، لا أعلم أحداً طعن عليه في شيء من علمه وكتبه ، وله كتاب الأموال وكتاب فضائل القرآن ومما يه ، وغير ذلك من الكتب المنتفع بها رحمه الله . توفي في هذه السنة قاله البخارى . وقيل فى التي قبلها بمكة ، وقيل بالمدينة . وله سبع وستون سنة . وقيل جاوز السبعين فأنه أعلم .

ومحمد بن عثمان أبو الجواهر الدمشقي الكفرتوق أحد مشايخ الحديث . ومحمد بن الفضل أبو النعمان السدوسي الملقب بدارم شيخ البخارى ومحمد بن عيسى بن الطباع . ويزيد بن عبد ربه الجرجسى الحمصي شيخها في زمانه .

### ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

فيها دخل بنا الكبير ومعه منكبجور قد أعطى الطاعة بالأمان . وفيها عزل المنتصم جعفر بن دينار عن نيابة اليمن وغضب عليه وولى اليمن أيتاخ . وفيها وجه عبد الله بن طاهر بالمأزير فدخل بغداد على بطل بكاف فضر به المنتصم بين يديه أربع مائة وخمسين سوطاً ثم سقى الماء حتى مات ، وأمر بصاحبه إلى جنب بابك ، وأقر فى ضربه أن الأفشين كان يكاتبه ويحسن له خلع الطاعة ، فغضب المنتصم على الأفشين وأمر بسجنه ، فبنى له مكان كالناراة من دار الخليفة تسمى الكوة ، إنما تسمه فقط ، وذلك لما تحقق أنه يريد مخالفته والخروج عليه ، وأنه قد عزم على الذهب لبلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين فما حله الخليفة بالقبض عليه قبل ذلك كله ، وعقد له المنتصم مجلساً فيه قاضيه أحمد ابن أبى دؤاد المعتزلى ، ووزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات ، ونائبه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فاتهم الأفشين فى هذا المجلس بأشياء تدل على أنه باقى على دين أجداده من الفرس . منها أنه غير محتزن فاعتذر أنه يخاف ألم ذلك ، فقال له الوزير - وهو الذى كان يناظره من بين القوم - فأنت تطاعن بالرماح فى الحروب ولا تخاف من طعنهما وتخاف من قطع قلعة بيدك ؟ ومنها أنه ضرب رجلين إماماً ومؤذناً كل واحد ألف سوط لأنهما هدمتا بيت أصنام فأنفخناه مسجداً . ومنها أنه عنده كتاب كلبه ودمنه مصوراً فيه الكفر وهو محلى بالجواهر والذهب ، فاعتذر أنه ورثه من آبائهم . واتهم بأن الأعاجم يكاتبونه وتكتب إليه فى كتبها : أنت إله الآلهة من العبيد ، وأنه يقرم على ذلك . فجعل يدتبر بأنه أجرام على ما كانوا يكاتبون به أباه وأجداده ، وخاف أن يأمرهم بترك ذلك فيتضح عندهم



قتال له الوزير ، ويحك فإذا أبقيت لفرعون حين قال ، أنا ربكم الأعلى ؟ وأنه كان يكتاب المازيار بأف يخرج عن الطاعة وأنه في ضيق حتى ينصر دين المجوس الذي كان قديماً ويظن به على دين العرب ، وأنه كان يستطيب المنخقة على المذبوحة ، وأنه كان في كل يوم أربعمائة يستدعي بشاة سوداء فيضربها بالسيف لصدفين ويمشي بينهما ثم يأكلها ، فعند ذلك أمر المعتصم بهذا الكبير أن يسجنه مهاناً ذليلاً لجهل يقول : إني كنت أتوقع منكم ذلك .

وفي هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وزوجته أترجة بنت أشناس إلى سامرا . وحجج بالناس فيها محمد بن داود .

وفيهما توفي من الأعيان أصبغ بن الفرج ، وسعدويه ، ومحمد بن سلام البيكندی شيخ البخاري ، وأبو عمر الجرمي . وأبودلف المعجل التيمي الأمير أحد الأجراد .

#### وسعيد بن مسعدة

أبو الحسن الأخفش الأوسط البلخي ثم البصري النحوي ، أخذ النحو عن سيبويه وصنف كتباً كثيرة منها كتاب في معاني القرآن ، وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك ، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبيب على الخليل ، وسمى الأخفش الصغير عليه وضعف بصره ، وكان أيضاً أدلغ ، وهو الذي لا يغم شفثيه على أسنانه ، كان أولاً يقال له الأخفش الصغير بالنسبة إلى الأخفش الكبير ، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد الهجري ، شيخ سيبويه وأبي عبيدة ، فلما ظهر على بن سليمان ولقب بالأخفش أيضاً صار سعيد بن مسعدة هو الأوسط ، والهجري الأكبر ، وعلى ابن سليمان الأصغر . وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين .

#### الجرمي النحوي

وهو صالح بن إسحاق البصري ، قدم بغداد وناظر بها الفراء ، وكان قد أخذ النحو عن أبي هيبدة وأبي زيد والأصمعي وصنف كتباً منها الفرخ - يعني فرخ كتاب سيبويه - وكان فيها فاضلاً نحوياً بارعاً عالماً باللفظ حافظاً لها ، دينا ورعاً حسن المذهب ، صحيح الاعتقاد وروى الحديث . ذكره ابن خلكان وروى عنه المبرد ، وذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

في شعبان منها توفي الأفشين في الحبس فأمر به المعتصم فصلب ثم أحرق وذرى رماده في دجلة واحتبط على أمواله وحواصله فوجدوا فيها أصناماً مكلاة بذهب وجواهر ، وكتباً في فضل دين المجوس وأشياء كثيرة كان ينهم بها ، تدل على كفره وزندقته ، وتحقق بسببها ما ذكر عنه من الانتهاء إلى

دين آباهه المجوس . وحج بالناس فيها محمد بن داود .

وفيهما توفى إسحاق القروي ، وإسماعيل بن أبي أوس . ومحمد بن داود صاحب التفسير . وغسان ابن الربيع . ويحيى بن يحيى التميمي شيخ مسلم بن الحجاج . ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين

### وأبو دلف العجلي

عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن داف ابن جشم بن قيس بن سعد بن مجل بن لحيم الأمير أبو دلف العجلي أحد قواد المأمون والمعتصم وإليه ينسب الأمير أبو نصر بن ماكولا ، صاحب كتاب الأكمال . وكان القاضي جلال الدين خطيب دمشق القزويني يزعم أنه من سلالة ، ويذكر نسبه إليه ، وكان أبو دلف هذا كرماء جواداً مرسحاً ، قد قصده الشعراء من كل أوط ، وكان أبو تمام الطائي من جملة من يغشاه ويستمنح نداءه ، وكانت لديه فضيلة في الأدب والغناء ، وصنف كتباً منها سياسة الملوك ، ومنها في الصيد والنبزاة . وفي السلاح وغير ذلك . وما أحسن ما قال فيه بكر بن النطاع الشاعر :

يا طالباً للكيماو وعليهِ \* مدح ابن عيسى الكيماو الأعظم  
لوم يكن في الأرض إلا درهم \* ومدحتة لأتاك ذلك الدرهم

يقال : إنه أعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، وكان شجاعاً فائقاً ، وكان يستدين ويمطى ، وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكرخ فمات ولم يتمها فأتمها أبو دلف ، وكان فيه تشيع ، وكان يقول : من لم يكن متغالياً في التشيع فهو ولد زنا . فقال له ابنه داف : لست على مذهبك يا أبة . فقال : والله لقد وطئت أمك قبل أن أشتريها ، فهذا من ذلك . وقد ذكر ابن خلكان أن ولده رأى في المنام بعد وفاة أبيه أن آتياً أنه فقال : أجب الأمير ا قال فتمت معه فأدخلني داراً وحشة وحررة سوداء الحيطان مغلقة السقوف والأبواب . ثم أصعدني في درج مها تم أدخلني غرفة ، وإذا في حيطانها أثر الثيران ، وفي أرضها أثر الرماد ، وإذا بأبي فيها وهو عريان واضح رأسه بين ركبتيه فقال لي كالمستفهم : أدلف ؟ قلت دلف . فأثنأ يقول :

أبلنر أهلنا ولا تخف عنهم \* ما لقينا في البرزخ الخناق  
قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا \* فأرحوا وحشي وما قد ألقي

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم اثم أنشأ يقول :

فلو أنا إذا متنا تركنا \* لكان الموت راحة كل شيء  
ولكننا إذا متنا بعثنا \* ونسأل بعده عن كل شيء

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم . وانتهت .

### ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

فيها خرج رجل من أهل التنوير بالشام يقال له أبو حرب المبرقع العماني ، فخلع الطاعة ودعا إلى نفسه . وكان سبب خروجه أن رجلا من الجند أراد أن ينزل في منزله عند امرأته في غيبته فأنتمته المرأة فغضبها الجندى في يدها فأثرت الضربة في مصمها . فلما جاء بهلما أبو حرب أخبرته فذهب إلى الجندى وهو غافل فقتله ثم تحصن في رؤس الجبال وهو مبرقع ، فاذا جاء أحد دعاه إلى الأمر بالمرؤف والنهي عن المشرك ويذم من السلطان ، فاتبعه على ذلك خلق كثير من الحرانيين وغيرهم ، وقالوا : هذا هو السفهاني المذكور أنه ملك الشام ، فاستنحل أمره جسداً ، واتبعه نحو من مائة ألف مقاتل ، فبعث إليه المنتصم وهو في مرض موته جيشاً نحواً من مائة ألف مقاتل ، فلما قدم أمير المنتصم بن موه وجددم أمة كثيرة وطائفة كبيرة ، قد اجتمعوا حول أبي حرب ، فحشى أن يواقه والحالة هذه ، فانتظر إلى أيام حرث الأراضى ففرق عنه الناس إلى أراضيهم ، وبقى في شردنة قليلة فناهضه فأسره وفرق عنه أصحابه ، وحمله أمير السرية وهو رجاء بن أيوب حتى قدم به على المنتصم ، فلامه المنتصم في تأخره عن مناجزته أول ما قدم الشام ، فقال : كان معي مائة ألف أو يزيدون ، فلم أزل أطاوله حتى أمكن الله منه ، فشكره على ذلك .

وفيها في يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول من هذه السنة كانت وفاة أبي إسحاق محمد المنتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور .

#### وهذه ترجمته

هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المنتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي يقال له المثنى لأنه ثامن ولد العباس ، وأنه ثامن الخلفاء من ذريته ، ومنها أنه فتح ثمان فتوحات ، ومنها أنه أقام في الخلافة ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام . وقيل وثمانين ، وأنه ولد سنة ثمانين ومائة في شبان وهو الشهر الثامن من السنة ، وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون سنة ، ومنها أنه خلف ثمانية بنين وثمان بنات ، ومنها أنه دخل بغداد من الشام في مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين بعد استكمال ثمانية أشهر من السنة بعد موت أخيه المأمون ، قالوا : وكان أمياً لا يحسن الكتابة ، وكان سبب ذلك أنه كان يتردد معه إلى الكتاب غلاماً فمات الغلام فقال له أبوه الرشيد : ما فعل غلامك ؟ قال : مات فاستراح من الكتاب ، فقال الرشيد : وقد بلغ منك كراهه الكتاب إلى أن تجعل للوث راحة منه ؟ والله يا بني لا تذهب بسيد اليوم إلى الكتاب . ففكره فكان أمياً ، وقيل بل كان يكتب كتابة ضميعة . وقد أسند الخطيب من طريقه عن أبائه حديثين منكرين أحدهما في ذم بني أمية ومدح بني العباس من الخلفاء . والثاني في النهي عن الحجامة يوم الخميس . وذكر بسنده

عن المنعم أن ملك الروم كتب إليه كتابا يتهمدده فيه فقال للكاتب اكتب : قد قرأت كتابك  
 ونهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيلم الكفار لمن عتبي الدار . قال الخطيب : غزا  
 المنعم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، فأنكى نكابة عظيمة في العدو ، وفتح عمورية  
 وقتل من أهلها ثلاثين ألفا وسبى مثلهم ، وكان في سببه ستون بطريقا ، وطرح النار في عمورية في  
 سائر نواحيها فأحرقها وجاء بناؤها إلى المراق وجاء بيابها أيضا معه وهو منصوب حتى الآن على أحد  
 أبواب دار الخلافة مما يلي المسجد الجامع في القصر . وروى من أحمد بن أبي دؤاد القاضى أنه قال :  
 ربما أخرج المنعم ساعده إلى وقال لى : عض يا أبا عبد الله بكل ما تقدر عليه ، فأقول إنه لا تطيب  
 نفسى يا أمير المؤمنين أن أعض ساعدك ، فيقول : إنه لا يضرنى . فأقدم بكل ما أقدر عليه فلا  
 يؤثر ذلك في يده . وصر يوما في خلافة أخيه بمخيم الجند فاذا امرأة تقول : ابني ابني ، فقال لها :  
 ماشأناك ؟ قالت : ابني أخذته صاحب هذه الخيمة . فجاء إليه المنعم فقال له : أطلق هذا الصبي ،  
 فامتنع عليه قبض على جسده بيده فسمع صوت عظامه من تحت يده ، ثم أرسله فسطط ميتا وأمر  
 بأخراج الصبي إلى أمه . ولما ولى الخلافة كان شهما وله همة عالية في الحرب ومهابة عظيمة في القلوب ،  
 وإنما كانت نهمة في الانفاق في الحرب لافي البناء ولا في غيره .

وقال أحمد بن أبي دؤاد : تصدق المنعم على يدي ووهب ما قيمته مائة ألف درهم . وقال  
 غيره : كان المنعم إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :  
 دخلت يوما على المنعم وهدته قينة له تغنيه فقال لى : كيف تراها ؟ قلت له : أراها تهره بصفق ،  
 وتجتله برفق ، ولا تخرج من شيء إلا إلى أحسن منه ، وفي صوتها قطع شذور ، أحسن من نظم العدر  
 على النحور . فقال : والله لصفنك لها أحسن منها ومن غنائها . ثم قال لابنه هارون الوائى ولى عهده  
 من بعده : اجمع هذا الكلام . وقد استخدم المنعم من الأتراك خلقا عظيما كان له من الماليك  
 الترك قريب من عشرين ألفا ، وملك من آلات الحرب والدواب ما لم يتفق لغيره . ولما حضرته  
 الوفاة جعل يقول [ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ] وقال : لو علمت أن عمرى  
 قصير ما فعلت . وقال : إني أحدث هذا الخلق ، وجعل يقول : ذهبت الحيل فلا حيلة . وروى  
 عنه أنه قال في مرض موته : اللهم إني أخافك من قبلى ولا أخافك من قبلك ، وأرجوك من قبلك  
 ولا أرجوك من قبلى .

كانت وفاته بسر من رأى ، في يوم الخميس ضحى اسبمة عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من  
 هذه السنة - أعي سنة سبع وعشرين ومائتين - وكان مولده يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان  
 سنة ثمانين ومائة ، وولى الخلافة في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وكان أبيض أصهب اللحية

طويلها مر بوعاً مشرب اللون ، أمه أم ولد اسمها ماردة ، وهو أحد أولاد سنة من أولاد الرشيد ، كل منهم اسمه محمد ، وهم أبو إسحاق محمد المعتصم ، وأبو العباس محمد الأمين ، وأبو عيسى محمد ، وأبو احمد ، وأبو يعقوب ، وأبو أيوب . قاله هشام بن الكلبي . وقد ولي الخلافة بعده ولده هارون الواثق . وقد ذكر ابن جرير أن وزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات زناه فقال :

قد فلت إذ غيبوك واصطقت \* عليك أيدي التراب والطين  
لأذهب فنفهم الحفيظ كنت على الـ \* دنيا ونزيم الظهير للدين  
لا جبر الله أمة فقدت \* منلك إلا بمنل هارون

وقال مروان بن أبي الجذوب - وهو ابن أخي حفصة - :

أبو إسحاق مات ضحى فتننا \* وأمسينا بهارون حيننا  
لئن جاء الخيس بما كرهنا \* لقد جاء الخيس بما هورنا

#### خلافة هارون الواثق بن المعتصم

يروي له بالخلافة قبل موت أبيه يوم الاربعاء الثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة سبع ودرين ومائتين - ويكنى أبا جعفر ، وأمّه أم ولد رومية يقال لها قراطيس ، وقد خرجت في هذه السنة قاصدة الحج فانت بالجزيرة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى ، وذلك لأربع خلون من ذى القعدة من هذه السنة ، وكان الذى أقام للناس الحج فيها جعفر بن المعتصم وفيها توفى ملك الروم توفيل بن ميخائيل ، وكانت مدة ملكه اثني عشرة سنة ، فملك الروم بعده امرأته تدورة . وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صغيراً . وفيها توفى :

#### بشر الحافي الزاهد المشهور

وهو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي ، نزيل بغداد . قال ابن خلكان : وكان اسم جده عبد الله الغيور ، أسلم على يدي علي بن أبي طالب . قلت : وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة ، وسمع بها شيئاً كثيراً من حماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وابن مهدي ، ومالك ، وأبي بكر بن عياش ، وغيرهم . وعنه جماعة منهم أبو خيثمة ، وزهير بن حرب ، وسري السقطي ، والعباس بن عبد العظيم ، ومحمد بن حاتم . قال محمد بن سعيد : سمع بشر كثيراً ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يحدث ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهاده وورعه ونسكه وتقشفه . قال الأمام أحمد يوم بلغه موته : لم يكن له نظير إلا حاتم بن عبد قيس ، ولو تزوج لتم أمره . وفي رواية عنه أنه قال : ماتك بعده مثله . وقال إبراهيم الحربي : ما أخرجت بغداد أتم عقلاً منه ، ولا أحفظ لسانه منه ، ما عرف له غيبة

اسلم ، وكان في كل شجرة منه عقل . ولو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء . وذكر غير واحد أن بشراً كان شاطراً في بدء أمره ، وأن سبب توبته أنه وجد رقعة فيها اسم الله عز وجل في أتون حمام فرفعها ورفع طرفه إلى السماء وقال : سيدي اسمك ههنا ملني يداس انم ذهب إلى عطار فاشترى بدمهم غالية ووضخ تلك الرقعة منها ووضعها حيث لا تتال ، فاحيي الله قلبه وألهمه رشده وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة .

ومن كلامه : من أحب الدنيا فليتيها للذل . وكان يشري يأكل الخبز وحده فقيل له : أما لك آدم ؟ فقال : بلى أذكر العافية فأجملها أدما . وكان لا يلبس نملاب بل يمشى حافياً ، فجاء يوماً إلى باب فطرقة فقيل من ذا ؟ فقال : بشر الحافي . فقالت له جارية صغيرة : لو اشترى نملاب بدمهم لذهب عنه اسم الحافي . قالوا : وكان سبب تركه النمل أنه جاء مرة إلى خذأء فطلب منه شراكاله له فقال : ما أكثر كلتمكم يا فقراء على الناس ؟ فطرح النمل من يده وخلع الأخرى من رجله وحلف لا يلبس نملاب أبداً .

قال ابن خلدكن : وكانت وفاته يوم عاشوراء ، وقيل في رمضان ببغداد ، وقيل بمر . قلت : الصحيح ببغداد في هذه السنة ، وقيل في سنة ست وعشرين والأول أصح والله أعلم . وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم ، فأخرج بعسد صلاة الفجر فلم يستقر في قبره إلا بعد العتمة . وكان على المدائني وغيره من أئمة الحديث يصيح بأعلا صوته في الجنازة : هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة . وقد روى أن الجن كانت تنوح عليه في بيته الذي كان يسكنه . وقد رآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ولكل من أحبني إلى يوم القيامة . وذكر الخطيب أنه كان له أخوات ثلاث وهن : حجة . ومضفة ، وزبدة . وكلهن عابدات زاهدات مثله وأشد ورعا أيضاً . ذهبت إحداهن إلى الأمام أحمد بن حنبل فقالت : إني ربما طلق السراج وأنا أغزل على ضوء القمر فهل على عند البيح أن أميز هذا من هذا ؟ فقال : إن كان بينهما فرق فيزى للمشترى . وقالت له مرة إحداهن : ربما تمر بنا شاعل بن طاهر في الليل ونحن نغزل فنغزل الطاق والطاقين والجاتات نخلصي من ذلك . فأمرها أن تتصدق بذلك الغزل كله لما اشتبه عليها من معرفة ذلك القسدار . وسألته عن ابن المريض أفييه شكوى ؟ قال لا إنا هو شكوى إلى الله عز وجل . ثم خرجت فقال لابنه عبد الله : يا بني اذهب خلفها فاعلم لي من هذه المرأة ؟ قال عبد الله : فنذهبت ورامها فاذا هي قد دخلت دار بشر ، وإذا هي أخته حجة .

وروى الخطيب أيضاً عن زبدة قالت : جاء ليسة أختي بشر فدخل برجله في الدار وبقيت

الأخرى خارج الدار ، فاستمر كذلك ليلته حتى أصبح ، فقيل له فم تفكرت ليلتك ؟ فقال :  
تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي وفي نفسي لأن اسمي بشر ، فقلت في  
نفسى : ما الذى سبق لى من الله حتى خصنى بالاسلام من بينهم ؟ ففكرت في فضل الله على وحدته  
أن هدانى للاسلام ، وجماعى من خصه به ، وألبسنى لباس أحبابه . وقد ترجمه ابن عساکر فأطرب  
وأطيب وأطال من غير ملال ، وقد ذكر له أشماراً حسنة ، وذكر أنه كان يشتمل بهذه الأبيات :

تماقئ القذى فى الماء لا تستطيمه \* وتكروخ من حوض الذنوب فتشرب  
وتؤثر من أكل الطعام أذنه \* ولا تذكر الخنزير من أين يكسب  
وترقد يامسكين فوق نمارق \* وفى حشوها نازة عليك تلهب  
غنى متى لا تستفيق جماله \* وأنت ابن سبعين بيدك تلبس

ومن توفي فيها أحمد بن بونس . وإسماعيل بن عمر والبجلي . وسعيد بن منصور صاحب السنن  
المشهوره التى لا يشاركه فيها إلا القليل . ومحمد بن الصباح الدولابى . وله سنن أيضاً . وأبو الوليد  
الطيالىسى . وأبو الهذيل العلاف المتكلم المعتزل . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

فى رمضان منها خلع الواثق على أشنابس الأمير ، وتوجه وألبسه وشاحين من جوهر وحج بالناس  
فيها محمد بن داود الأمير . وغلا السمر على الناس فى طريق مكة جدآ ، وأصابهم حر شديد وم  
بعرفة ، ثم أعقبه برد شديد ومطر عظيم ، كل ذلك فى ساعة واحدة ، ونزل عليهم وممبنى مطر لم ير  
مثله ، وسقطت قطعة من الجبل عند جرة العقبة فقتلت جماعة من الحجاج .

قال ابن جرير : وفيها مات أبو الحسن المدائنى أحد أئمة هذا الشأن فى منزل إسحاق بن إبراهيم  
الموصلى . وحبيب بن أوس الطائى أبو تمام الشاعر

قلت أما أبو الحسن المدائنى فاسمه على بن المدائنى أحد أئمة هذا الشأن ، وإمام الأخباريين فى  
زمانه ، وقد قدمنا ذكر وفاته قبل هذه السنة . وأما

## أبو تمام الطائى والشاعر

صاحب الحماسة التى جمعها فى فضل النساء بهمدان فى دار وزيرها . فهو حبيب بن أوس بن  
الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى أبو تمام الطائى الشاعر الأديب . ونقل الخطيب عن محمد بن  
يحيى الحمولى أنه حكى عن بعض الناس أنهم قالوا : أبو تمام حبيب بن تدرس النصرانى ، فسماه  
أبوه حبيب أوس بدل تدرس . قال ابن خلكان : وأصله من قرية جامم من عمل الجبديور بالقرب من  
طبرية ، وكان بدمشق يعمل عند حائك ، ثم سار به إلى مصر فى شبابه . وابن خلكان أخذ ذلك

من تاريخ ابن عساكر ، وقد ترجم له أبو تمام ترجمة حسنة . قال الخطيب : وهو شامي الأصل ، وكان يصرف في حدائقه يسقي الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس بعض الأدياء فاخذ عنهم وكان فطناً فوهماً ، وكان يحب الشعر فلم يزل يعانسه حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذكره وبلغ المنعم خبره فحمله إليه وهو بسر من رأى ، فعمل فيه قصائد فجازاه وقدمه على شعراء وقته ، قدم بغداد فجالس الأدياء وعاشر العلماء ، وكان موصوفاً بالظرف وحسن الأخلاق . وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر أخباراً بسنده . قال ابن خلكان : كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع وغير ذلك ، وكان يقال : في طي ثلاثة : حاتم في كرمه ، وداود الطائي في زهره ، وأبو تمام في شعره . وقد كان الشعراء في زمانه جماعة فمن مشاهيرهم أبو الشيص ، ودعبل ، وابن أبي قيس ، وكان أبو تمام من خيارهم ديناً وأدباً وأخلاقاً . ومن رقيق شعره قوله : -

يَا حَلِيْفَ النَّدَى يَا مَعْدِنَ الْجُودِ \* وَيَا خَيْرَ مَنْ حَوَيْتَ الْقَرِيضَا  
لَيْتَ حَمَّاكَ بِي وَكَانَ لَكَ الْأَجْرُ \* فَلَآ تَشْتَكِي وَكُنْتُ الْمَرِيضَا

وقد ذكر الخطيب عن إبراهيم بن محمد بن عرفة أن أبا تمام توفي في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وكذا قال ابن جرير . وحكى عن بعضهم أنه توفي في سنة إحدى وثلاثين ، وقيل سنة ثلثين وثلاثين فأنه أعلم . وكانت وفاته بالموصل ، وبلدت على قبره قبة ، وقد رثاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فقال :

نَبَأَ أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْبَاءِ \* لَمَّا أَلَمْتُ مَقْلَقَ الْأَحْشَاءِ  
قَالُوا حَبِيبٌ قَدْ تَوَى فَأَجِيبَهُمْ \* نَاشِدْتُمْ لَآ تَجْمَلُوهُ الطَّائِي  
وَقَالَ غَيْرُهُ : رُجِعَ الْقَرِيضُ بِخَاتَمِ الشُّعْرَاءِ \* وَغَدِيرٌ وَضِيهَا حَبِيبِ الطَّائِي  
مَا نَا مَعًا فَتَجَاوَرَا فِي حُفْرَةٍ \* وَكَذَلِكَ كَانَا قَبْلَ فِي الْأَعْيَاءِ

وقد جمع الصولي شعر أبي تمام على حروف المعجم . قال ابن خلكان : وقد امتدح أحمد بن المنعم ويقال ابن المأمون بقصيدته التي يقول فيها :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَبَاحَةِ حَاتِمٍ \* فِي جِلْمٍ أَحْنَفٍ فِي ذِكْرِ إِبْرَاسِ

فقال له بعض الحاضرين : أتقول هذا لأمير المؤمنين وهو أكبر قدراً من هؤلاء ؟ فانك ما زدت على أن شبهته بأجلاف من العرب البوادي . فأطرق إطراقاً ثم رفع رأسه فقال :

لَا تُنْكَرُوا صَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ \* مَثَلُ كُشْرٍ وَجَا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ  
فَأَنَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِلنُّورِ \* مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

قال : فلما أخذوا القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين ، وإنما قالهما أرباباً . قال : ولم يمش بهد هذا إلا قليلاً حتى مات . وقيل إن الخليفة أعطاه الموصل لما مدحه بهذه القصيدة ، فأقام بها أربعين



بوماً ثم مات . وليس هذا بصحيح ، ولا أصل له ، وإن كان قد لُحج به بعض الناس كالزغلشري وغيره . وقد أورد له ابن عساكر أشياء من شعره مثل قوله :-

ولو كانت الأرزاق تُجزي على الحِجَا \* هَلَكُنْ إِذًا من جِهَلِنِ البِهائمِ  
ولم يجتمع شرقٌ وغربٌ لقاصِدٍ \* ولا المجد في كِتَابِ امرئٍ يُوَدِّعُ الدَّوامِ  
ومنه قوله : وما أنا بالعزيزانِ من دونِ عُزَيْبِ \* إِذَا أَنَا لم أَصْبِحْ غَيُورًا على السُّلَمِ  
طبيبٌ فؤادي مُدَّةُ ثلاثينَ حِجَّةً \* ومُنْهَبٌ مَهْمِي والمَرْجُ للثَمِ

وفها توفي أبو نصر الفارابي . والمهسي . وأبو الجهم . ومسند . وداود بن عمر والضبي . ويحيى بن عبد الحميد الحناني . ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

فيها أمر الواثق بعقوبة الدواوين وضربهم واستخلاص الأموال منهم ، لظهور خيانتهم وإسرافهم في أمورهم ، ففهم من ضرب ألف سوطاً وأكثر من ذلك وأقل ، ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار ، ودون ذلك ، وجاهر الوزير محمد بن عبد الملك لسائر ولاية الشرطة بالعداوة ففسدوا وحبسوا ولقوا شرّاً عظيماً ، وجهناً جهيلاً ، وجلس إسحاق بن إبراهيم للنظر في أمرهم ، وأقيدوا للناس واقتضواهم والدواوين فضيحة بليغة . وكان سبب ذلك أن الواثق جلس ليلة في دار الخلافة وجلسوا يسرون عنده ، فقال : هل منكم أحد يعرف سبب عقوبة جدى الرشيد للبرامكة ؟ فقال بعض الحاضرين : نعم يا أمير المؤمنين ! سبب ذلك أن الرشيد عرضت له جارية فأعجبته جمالها فسأوم سيدها فيها فقال : يا أمير المؤمنين إني أقسمت بكل بين أن لا أبيعها بأقل من مائة ألف دينار ، فاستتراها منه بها وبعث إلى يحيى بن خالد الوزير ليبعث إليه بالمال من بيت المال ، فاعتل بأنها ليست عنده ، فأرسل الرشيد إليه يؤنبه ويقول : أما في بيت مائة ألف دينار ؟ وألح في طلبها فقال يحيى بن خالد : أرسلوها إليه درهم ليستكثرها ، ولعله يرد الجارية . فبعثوا بمائة ألف دينار درهم ووضعوها في طريق الرشيد وهو خارج إلى الصلاة ، فلما اجتاز به رأى كوماً من درهم ، فقال : ما هذا قالوا : ثمن الجارية ، فاستكثر ذلك وأمر بخزنها عند بعض خبئه في دار الخلافة ، وأعجبه جمع المال في حواصله ، ثم شرع في تتبع أموال بيت المال فإذا البرامكة قد استهلكوها ، فجعل يجمع بهم نارة يريد أخذهم وهلاكهم ، ونارة يحجم عنهم ، حتى إذا كان في بعض الليالي سمع عنده رجل يقال له أبو الودود فأطلق له ثلاثين ألفاً من الدرهم ، فذهب إلى الوزير يحيى بن خالد بن برمك فطلبها منه فإطاله مدة طويلة ، فلما كان في بعض الليالي في السمر عرض أبو الودود بذلك للرشيد في قول عمر بن

أبي ربيعة : وعدتُ هنداً وما كادتُ تمُدُّ \* ليتَ هنداً أنْجِزَتْنا ما كُمدتُ

واستبدتُ مرةً واحدةً \* إنما العاجزُ من لا يستبدتُ

لجمال الرشيد يكرر قوله : إنما العاجز من لا يستبد ، ويمجبه ذلك . فلما كان الصباح دخل عليه يحيى بن خالد فأشده الرشيد هذين البيتين وهو يستحسنهما ، ففهم ذلك يحيى بن خالد وخاف وسأل عن من أنشد ذلك للرشيد ؟ فقيل له أبو الودود . فبعث إليه وأعطاه الثلاثين ألفاً وأعطاه من عنده عشرين ألفاً ، وكذلك ولداه الفضل وجعفر ، فما كان عن قريب حتى أخذ الرشيد البرامكة ، وكان من أمرهم ما كان .

فلما سمع ذلك الواثق أمجبه ذلك وجعل يكرر قول الشاعر : إنما العاجز من لا يستبد . ثم بطش بالكتاب وهم اللدواوين على إثر ذلك ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة جداً . وفيها حجج بالناس أمير السنة الماضية وهو أمير الحجيج في السنتين الماضيتين .

وفيها توفي خلف بن هشام البزار أحد مشاهير القراء ، وعبد الله بن محمد السندي ، وأبوم بن حماد الخزازي أحد أئمة السنة بمسند أن كان من أكابر الجهمية ، وله المصنفات في السنن وغيرها ، وبشار بن عبد الله المنسوب إليه النسخة المكنونة عنه أو منه ، ولكنها عالية الاسناد إليه ، ولكنها موضوعة . ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين

في جمادى منها خرجت بنو سليم حول المدينة النبوية فعاثوا في الأرض فساداً ، وأخافوا السبيل ، وقتلهم أهل المدينة فهزموا أهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة من المناهل والقرى ، فبعث إليهم الواثق بغا الكبير أبا موسى التركي في جيش فقاتلهم في شعبان فقتل منهم خمسين فارساً وأسر منهم وانهمز بقيتهم ، فدعاهم إلى الأمان وأن يكونوا على حكم أمير المؤمنين ، فاجتمع إليه منهم خلق كثير ، فدخل بهم المدينة وسجن رؤسهم في دار يزيد بن معاوية وخرج إلى الحج في هذه السنة ، وشهد معه الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب نائب العراق . وفيها حج بالناس محمد بن دواد المتقدم . وفيها توفي : عبد الله بن طاهر بن الحسين

نائب خراسان وما والاها . وكان خراج ما تحت يده في كل سنة ثمانمائة وأربعمائة ألف درهم ، فولى الواثق مكانه ابنه طاهر . وتوفي قبله أشناس التركي بقسمة أيام ، يوم الاثنين لأحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من هذه السنة . وقال ابن خلكان : توفي سنة ثمان وعشرين بمرو ، وقيل بنديسابور . وكان كريماً جواداً ، وله شعر حسن ، وقد ولي نيابة مصر بمد العشرين ومائتين . وذكر الوزير أبو القاسم بن المعزى أن البطحاء المبيد لاوى الذي بعصر منسوب إلى مسد الله بن طاهر هذا . قال ابن خلكان : لأنه كان يستطيعه ، وقيل لأنه أول من زرعه هناك والله أعلم . ومن جيد شعره :

اغترز زئي لتحرز فضل الشئ • كرمي ولا يفوتك أجري

لا تَكْفِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْعَدِّ \* رَأَى أَنْ لَا أَقُومَ بِهِ ذَرِي  
 وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ: نَحْنُ قَوْمٌ يَلْبَسُنَا الْخَدَّ وَالنَّجْدَ \* رَأَى عَلَى أَنْتَا نَلْبَسُ الْخَدِيدَا  
 طَرَحُ أَيْدِي الصَّبَا تَصْفِيدُنَا الْعِي \* رَأَى مِنْ شَأْنِنَا نَصِيدُ الْأَسْوَدَا  
 تَمَلَّكَ الصَّيْدَ ثُمَّ تَمَلَّكُنَا إِلَيْهِ \* ضَمَّ الْمَضِيئَاتِ أَغْنَيْنَا وَخُدُودَا  
 تَتَنَّى سَخَطُنَا الْأَسْوَدُ وَنَحْشَى \* سَقَطَ الْخَشْفُ حِينَ تَبَدَّى الْقَعُودَا  
 فَتَرَانَا يَوْمَ الْكُرْهِةِ أَحْرَا \* رَأَى فِي السَّلْمِ لِلْفَوَائِي عَيْبِدَا

قال ابن خلكان : وكان خزاعياً من موالى طلحة الطلحات الخزاعي ، وقد كان أبو تمام يمدحه ،  
 فدخل إليه مرة فأضافه للملح بهمدان فصنف له كتاب الحاسة عند بعض نساءه . ولما ولاة المأمون  
 نيابة الشام ومصر صار إليها وقد رسم له بما في ديار مصر من الخواصيل ، فعمل إليه وهو في أثناء الطريق  
 ثلاثة آلاف ألف دينار ، ففرقها كلها في مجلس واحد ، وأنه لما واجه مصر نظر إليها فاحتقرها وقال :  
 بيع الله فرعون ، ما كان أخسه وأضعب همه حين تبجح وتعاظم بملك هذه القرية ، وقال : أنار بكم  
 الأعلى . وقال : أليس لي ملك مصر . فكيف لورأى بغداد وغيرها .

وفيها توفي علي بن جعد الجوهري . ومحمد بن سمد كاتب الواقدي مصنف كتاب الطبقات  
 وغيره . وسعيد بن محمد الجرمي

### ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

فيها وقعت مفاداة الأسارى المسلمين الذين كانوا في أيدي الروم على أيدي الأمير خاقان الخادم  
 وذلك في المحرم من هذه السنة ، وكان عدة الأسارى أربعة آلاف وثلثمائة واثنين وستين أسيراً .  
 وفيها كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه

وكان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي وكان جده مالك  
 ابن الهيثم من أكبر الدعاة إلى دولة بني العباس الذين قتلوا ولده هذا ، وكان أحمد بن نصر هذا له  
 وجهة ورياسة ، وكان أبوه نصر بن مالك ينشأه أهل الحديث ، وقد بايحه العامة في سنة إحدى  
 ومائتين على القيام بالأمر والنهي حين كثرت الشطار والدعار في غيبة المأمون عن بغداد كما تقدم  
 ذلك ، وبه تعرف سوية نصر ببغداد ، وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح  
 والاجتهاد في الخير ، وكان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكان ممن يدعو  
 إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، وكان الواقف من أشد الناس في القول بخلق  
 القرآن ، يدعو إليه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، استناداً على ما كان عليه أبوه قبله وعنه المأمون ، من

غير دليل ولا برهان ، ولا حجة ولا بيان ، ولا سنة ولا قرآن فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، و أشياء كثيرة دعا الناس إليها . فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد ، والنف عليه من الأئوف أعداد ، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلان وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي ، وآخر يقال له طالب يدعو أهل الجانب الغربي فاجتمع عليهما من الخلائق أئوف كثيرة ، وجماعات غزيرة ، فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزازي في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والخروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن ، ولما هو عليه وأمرائه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها . فتواعدوا على أنهم في الليلة الثالثة من شعبان - وهي ليلة الجمعة - يضرب طبل في الليل فيجتمع الذين يابعدوا في مكان اتفقوا عليه ، وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه ديناراً ديناراً ، وكان من جملة من أعطوه رجلان من بني أشرس ، وكانا يتعاطيان الشراب ، فلما كانت ليلة الخميس شراباً في قوم من أصحابهم واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد ، وكان ذلك قبله بليلة ، فقاما يضربان على طبل في الليل ليجتمع إليهما الناس ، فلم يجرى أحد وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة ، وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب ، وكان نائباً لأخيه إسحاق بن إبراهيم ، لنيبته عن بغداد ، فأصبح الناس متخبطين ، واجتهد نائب السلطنة على إحضار ذينك الرجلين فأحضرا فماتهما فأقرأ على أحمد بن نصر ، فطلبه وأخذ خادماً له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان ، فجمع جماعة من رؤس أصحاب أحمد بن نصر معه وأرسل بهم إلى الخليفة بسر من رأى ، وذلك في آخر شعبان ، فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي ، وأحضر أحمد بن نصر ولم يظهر منه على أحمد ابن نصر عتب ، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الوثائق لم يماثبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره ، بل أعرض عن ذلك كله وقال له : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : المخلوق هو ؟ قال هو كلام الله . وكان أحمد بن نصر قد استنقل وبيع نفسه وحضر وقد تحنط وتوروشد على عورته ما يسترها فقال له . فما تقول في ربك ، أتراه يوم القيامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك ، قال الله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ) وقال رسول الله رس . : « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته » . فنحن على الخبر . زاد الخطيب قال الوثائق : ويحك ! أبرى كابرى الحدود المنجم ؟ ويحويه مكان ويحصره الناظر ؟ أنا أ كفر برب هذه صفته .

قلت : وما قاله الوثائق لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم . ثم قال أحمد بن

نصر لوائق : وحدثنى سفيان بإحدى يرفعه « إن قلب ابن آدم بأصبعين من أصابع الله يقبله كيف شاء » وكان النبي -س- يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » . فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويحك ، انظر ما تقول . فقال : أنت أمرتني بذلك . فأشفق إسحاق من ذلك وقال : أما أمرتك ؟ قال : نعم ، أنت أمرتني أن أنصح له . فقال لوائق لمن حوله : ماتقولون في هذا الرجل ؟ فأكثروا القول فيه . فقال عبد الرحمن بن إسحاق - وكان قاضياً على الجانب الغربي لعزل وكان واداً لأحمد بن نصر قبل ذلك - يا أمير المؤمنين هو حلال الدم . وقال أبو عبد الله الأرمي صاحب أحمد بن أبي دؤاد : استخفى دمه يا أمير المؤمنين . فقال لوائق : لا بد أن يأتي ما تريد . وقال ابن أبي دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل . فقال لوائق : إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقوم أحد مني ، فإني أحسب خطاي . ثم نهض إليه بالمصصامة - وقد كانت سيفاً لعمر بن معديكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته وكانت صفيحة مسحورة في أسفلها مسمورة بمسامير - فلما انتهى إليه ضرب به بها على عاتقه وهو مربوط بجبل قد أوقف على نطح ، ثم ضربه أخرى على رأسه ثم طعنه بالمصصامة فريطنه فسقط سرياً رحمه الله على النطح ميتاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . رحمه الله وعفا عنه . ثم انتضى سبباً الدمشقي سيفه فضرب عنقه وحز رأسه وحمل ممرضاً حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي فصلب فيها ، وفي رجله زوج قيود وعليه سراويل وقميص ، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياماً ، وفي الغربي أياماً ، وعنده الحرس في الليل والنهار ، وفي أذنه رقعة مكتوب فيها : هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخراسي ، ممن قتل على يدي عبد الله هارون الامام لوائق بالله أمير المؤمنين بعد أن أطام عليه الحجرة في خلق القرآن ، وثني بالتشبيه وعرض عليه التوبة ومكثه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المماندة والتصريح ، فالحمد لله الذي مجله إلى نوره وألهم عقابه بالكفر ، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه .

ثم أسر لوائق بتتبع رؤس أصحابه فأخذ منهم نحواً من تسع وعشرين رجلاً فأودعوا في السجون وسحوا الظلمة ، ومنعوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد ، ولم يجز عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تهرى على المحبوسين ، وهذا ظلم عظيم .

وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكابر العلماء العالمين القاطنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسمع الحديث من حماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وهانئ بن بشير ، وكانت عنده مصنفاته كلها ، وسمع من الامام مالك بن أنس أحاديث جيدة ، ولم يحدث بكثير من حديثه ، وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ويحيى بن معين ، وذكره فيما فترحم عليه وقال : قد ختم الله له بالشهادة ، وكان لا يحدث ويقول إني لست أهلاً لذلك . وأحسن يحيى بن معين الشناه

عليه جداً . وذكره الامام أحمد بن حنبل يوماً فقال : رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه لله ، لقد جاد بنفسه له . وقال جعفر بن محمد الصائغ : بصرت عيناي وإلا فقتلنا وصممت أذناي وإلا فصممتنا أحمد ابن نصر الخراساني حين ضربت عنقه يقول رأسه : لا إله إلا الله . وقد سمى به بعض الناس وهو مصلوب على الجذع وزأسه يقرأ [ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ] قال : فاقشمر جلدي . وراه بعضهم في النوم فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : ما كانت إلا غنوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلي . ورأى بعضهم رسول الله (ص) في المنام ومعه أبو بكر وعمر ، قد روا على الجذع الذي عليه رأس أحمد بن نصر ، فلما جاوزه عرض رسول الله (ص) بوجه الكريم عنه فقيل له : يا رسول الله مالك أعرضت عن أحمد بن نصر ؟ فقال : « أعرضت عنه استحياء منه حين قتل رجل يزعم أنه من أهل بيتي » .

ولم يزل رأسه منصوباً من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة إحدى وثلاثين ومائتين - إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فجمع بين رأسه وجنته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المروفة بالمالكية رحمه الله . وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق ، وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكنتاني - صاحب كتاب الحيدة - على المتوكل وكان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة ، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعه المأمون ، فانهم أساؤا إلى أهل السنة وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم ، فأمره أن ينزل جثة محمد بن نصر ويدفنه ففعل ، وقد كان المتوكل يكرم الامام أحمد بن حنبل إكراماً زائداً جداً كما سيأتي بيانه في موضعه . والمقصود أن عبد العزيز صاحب كتاب الحيدة قال للمتوكل : يا أمير المؤمنين ما رأيت أو مارفت أعجب من أمر الواثق ، قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن . فوجل المتوكل من كلامه وساء ما سمع في أخيه الواثق ، فلما دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات قال له المتوكل : في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر . فقال : يا أمير المؤمنين أحرقتني الله بالنار إن قتلته أمير المؤمنين الواثق إلا كافراً . ودخل عليه هرثمة فقال له في ذلك فقال : قطعني الله إرباً بلاياً إن قتلته إلا كافراً . ودخل عليه القاضي أحمد بن أبي دؤاد فقال له مثل ذلك فقال : ضربني الله بالفالج إن قتلته الواثق إلا كافراً . قال المتوكل : فأما ابن الزيات فأما أحرقت بالنار . وأما هرثمة فانه حرب فاجتاز بقبيلة خزاعة ففره رجل من الحنظلي فقال : يا مشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمك أحمد بن نصر فطعموه . فقطعوه إرباً إرباً . وأما ابن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده - يعني بالفالج - ضرب به الله قبل موته بأربع سنين ، وصودر من صلب ماله جمال جزيل جداً كما سيأتي بيانه في موضعه .

وروى أبو داود في كتاب المسائل عن أحمد بن إبراهيم الدوري عن أحمد بن نصر قال : سألت سفيان بن عيينة « القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، وإن الله يضحك من بذكرك في الأسواق » . فقال : أروها كما جاءت بلا كيف .

وفيه أراد الواثق أن يحوج واستعد لذلك فذكر له أن الماء بالطريق قليل فترك الحج عامداً . وفيها تولى جعفر بن <sup>(١)</sup> دينار نائب اليمن فسار إليها في أربعة آلاف فارس . وفيها عدا قوم من العامة على بيت المال فأخذوا منه شيئاً من الذهب والفضة ، فأخذوا وسجنوا . وفيها ظهر خارجي ببلاد ربيعة قتاله نائب الموصل فسكره وانهمز أصحابه . وفيها قدم وصيف الخادم بجماعة من الأكراد نحو من خمسمائة في القيود ، كانوا قد أفسدوا في الطرقات وقطعوا ، فأطلق الخليفة لوصيف الخادم خمسة وسبعين ألف دينار ، وخلق عليه . وفيها قدم خاقان الخادم من بلاد الروم وقد تم الصلح والمفاداة بينه وبين الروم ، وقدم معه جماعة من رؤس الثغور ، فأمر الواثق بامتحنهم بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فأجابوا إلا أربعة فأمر بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا بالقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة . وأمر الواثق أيضاً بامتحن الأسارى الذين فودوا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فن أجاب [ إلى القول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فودى وإلا ترك في أيدي الكفار ، وهذه بدعة صلحاء شمام عمياء صماء لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا عقل صحيح ، بل الكتاب والسنة والعقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر في موضعه . والله المستعان ] <sup>(٢)</sup> وكان وقوع المفاداة عند نهر يقال له اللامس ، عند سلوقية بالقرب من طرسوس ، بدل كل مسلم أو مسلمة في أيدي الروم أو ذمي أو ذمية كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين ممن لم يسلم ، فنصبوا جسرين على النهر فاذا أرسل الروم مسلماً أو مسلمة في جسرم فأنهى إلى المسلمين كبير وكبير المسلون ، ثم يرسل المسلون أسيراً من الروم على جسرم فاذا انتهى إليهم تكلم بكلام يشبه التكبير أيضاً . ولم يزالوا كذلك مدة أربعة أيام بدل كل نفس نفس ، ثم بقي مع خاقان جماعة من الروم الأسارى فأطلبهم للروم حتى يكون له الفضل عليهم .

قال ابن جرير : وفيها مات الحسن بن الحسين أخو طاهر بطبرستان في شهر رمضان . وفيها مات الخطاب بن وجه الفليس . وفيها مات أبو عبد الله بن الأعرابي الراوية يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شعبان ، وهو ابن ثمانين سنة . وفيها ماتت أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرضا . وفيها مات غنارق المفنى . وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمى . وعمرو بن أبي عمرو الشيباني . ومحمد بن سمدان النهدي . قلت : ومن توفي فيها أيضاً أحمد بن نصر الخزاعي كما تقدم . وإبراهيم

(١) في المصرية أحمد بن دينار . (٢) زيادة من المصرية .

ابن محمد بن عرعة . وأميرة بن بسطام . وأبو تمام الطائي في قول . والمشهور ما تقدم . وكامل بن طلحة . ومحمد بن سلام الجمحي . وأخوه عبد الرحمن . ومحمد بن منهل الضمير . ومحمد بن منهل أخو حجاج . وهارون بن معروف . والبريطلي صاحب الشانسي مات في السجن مقيدا على القول بخلاف القرآن فامتنع من ذلك . ويحيى بن بكير راوى الموطأ عن مالك .

### ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين

فيها عاتت قبيلة يقال لها بنو نمير بالهامة فساداً فكتب الواثق إلى بفا الكبير وهو مقيم بأرض الحجاز فخار بهم قتل منهم جماعة وأسروهم آخرين ، وهزم بقيتهم ، ثم التقى مع بني تميم وهو في ألى فارس وم ثلاثة آلاف ، فجرت بينهم حروب ثم كان الظفر له عليهم آخر ، وذلك في النصف من جمادى الآخرة . ثم عاد بعد ذلك إلى بغداد ومعهم من أعيان رؤسهم في القيود والأسر جماعة ، وقد قدم من أعيانهم في الواقع ما ينيف على ألى رجل من بني سليم ونمير ومرة وكلاب وفزارة وثلعة وطى وقيم وغيرهم . وفي هذه السنة أصاب الحجبيج في رجوعهم عطش شديد حتى بيعت الشربة بالذنانير الكثيرة ، ومات خلق كثير من العطش . وفيها أمر الواثق بتترك جباية أعشار سفن البحر . وفيها كانت وفاة الخليفة الواثق بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد أبي جعفر هارون الواثق . كان هلاكه في ذى الحجة من هذه السنة بيلة الاستسقاء ، فلم يقدر على حضور العيد عاشد ، فاستجاب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي ذؤاد الأيادي المنزلى . توفى لست بقين من ذى الحجة ، وذلك أنه قوى به الاستسقاء فأفقد في تنور قد أحى له بحيث يمكنه الجلوس فيه ليسكن وجهه ، فلان عليه بعض الشيء اليسير ، فلما كان من الغد أمر بأن يحمى أكثر من المادة فأجلس فيه ثم أخرج فوضع في محفة لحمل فيها وحوله أمراؤه ووزراؤه وقاضيه ، فمات وهو محمول فيها ، فما شروا حتى سقط جبينه على المحفة وهو ميت ، فدمض القاضى عليه بهد سقوط جبينه ، وولى غسله والصلاة عليه ودفنه في قصر الهادي ، عليهما من الله ما يستحقانه . وكان أبيض اللون مشرباً بحمرة جهيل المنظر خبيث القلب حسن الجسم سى الطوية ، قائم العين اليمرى ، فيها نكتة بيضاء ، وكان مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة ، فمات وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ، وقيل سبعة أيام وثلاث عشرة ساعة . فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبديع قليلة قصيرة . وقد جمع الواثق أصحاب النجوم في زمانه حين اشتدت علته ، وإنما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخزازي ليلحته إلى بين يدي الله ، فلما جمعهم أمرهم أن ينظروا في مولده وما تقدمه عليه صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته ، فاجتمع عنده من رؤسهم جماعة منهم الحسن بن سهل والفضل بن إسحاق الهاشمي ، وإسماعيل بن نوبخت . ومحمد بن موسى الخوارزمي الجوسى القطر بلى وسند



صاحب محمد بن المهيم، وعامة من ينظر في النجوم، فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندهم فأجمعوا على أنه يميش في الخلافة دهرًا طويلا، وقدروا له خمسين سنة مستتلة من يوم انظروا نظر من لم يبصر، فانه لم يش بعد قوهم وتقديرهم إلا عشرة أيام حتى هلك. ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله.

قال ابن جرير: وذكر الحسين بن الضحاك أنه شهد الواثق بعد أن مات المنعم بأيام وقد قدم مجلسا كان أول مجلس قدمه، وكان أول ما غنى به في ذلك المجلس أن غنثه شارية جارية إبراهيم بن المهدي: **مادرتي الحاملون يوم استقلوا \* نشه لثوام أمه لثام**  
**فليقل فيك يا كياتك ما شه \* ن صياحا في وقت كل مسام**

قال: فبكي وبكينا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه. ثم اندفع بعضهم ينفى:

**وقم خربة إن الركب مرتحل \* وهل تطيق وداعا أيها الرجل**

فازداد بكاءه وقال: ما سمعت كالיום قط تمزية بأب وتبني نفس، ثم ارض ذلك المجلس. وروى الخطيب أن دعبل بن عسلى الشاعر لما تولى الواثق عهد إلى طومار فكتب فيه أبيات شعر ثم جاء إلى الحاجب فدفعه إليه وقال: اقرأ أمير المؤمنين السلام وقل: هذه أبيات امتدحك بها دعبل فلما فضها الواثق إذا فيها:

**الحمد لله لا صبر ولا جيلة \* ولا عزاة إذا أهل الهوى رقدوا**  
**خليفة مات لم يجزئ له أخته \* وآخر قام لم يفرخ به أحد**  
**فر هذا ومر الشوم يقيمة \* وقام هذا فقام الويل والنكدة**

قال: فتعابه الواثق بكل ما يقدر عليه من الطلب فلم يقدر عليه حتى مات الواثق. وروى أيضا أنه لما استخلف الواثق ابن أبي دؤاد على الصلاة في يوم العيد ورجع إليه بعد أن قضاهما قال له: كيف كان عيدكم يا أبا عبد الله؟ قال: كنا في نهار لا شمس فيه. فضحك وقال: يا أبا عبد الله أنا مؤيد بك. قال الخطيب: وكان ابن أبي دؤاد استولى على الواثق وحمله على التشديد في الخنة ودعا الناس إلى القول بخناق القرآن. قال ويقال: إن الواثق رجع عن ذلك قبل موته فأخبرني عبد الله ابن أبي الفتح أنبا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة حدثني حامد بن العباس عن رجل عن المهدي أن الواثق مات وقد تاب من القول بخناق القرآن. وروى أن الواثق دخل عليه يوما، ودبه فأكرمه إكراما كثيرا فليل له في ذلك فقال: هذا أول من فتن لسالي بذكر الله وأذناني برحمة الله. وكتب إليه بعض الشعراء: —

**جذبك دواعي النفس عن طلب النفي \* وقلت لها عني عن الطلب التذري**

فإن أمير المؤمنين بكلمة \* مدار رحا الأرزاق دائرة تجري  
فوقع له في رفته جذبتك نفسك عن امتنانها ، ودعتك إلى صونها فخذ ما طلبته هينا . وأجزل  
به النطاء . ومن شعره قوله :

هي المقادير تجري في أعينها \* فأصبر فليس لها صبر على حال  
ومن شعره الوائق قوله :

تنح عن القبيح ولا تُردّه \* ومن أوليته حسناً فزده  
سكنى من عدوك كل كيد \* إذا كاذ العدو ولم تكده

وقال القاضي يحيى بن أكثم : ما أحسن أحد من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما أحسن  
إليهم الوائق : ما مات وفيهم فقير . ولما احتضر جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الخلق مشترك \* لا سوقة منهم يبق ولا ملك  
ما ضر أهل قليل في نفاقهم \* وليس يفتى عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فلويت ثم ألصق خده بالأرض وجعل يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد  
زال ملكه . وقال بهضيم : لما احتضر الوائق ونحن حوله غشى عليه فقال بهضيم لبعض : انظروا هل  
أضى ؟ قال : فدوت من بينهم إليه لأنظر هل هدأ نفسه ، فأفاق فاحظ إلى يمينه فرجعت القهقري  
خروفا منه ، فتعلقت قائمة سيفي بشيء فكادت أن أهلك ، فما كان عن قريب حتى مات وأغلق عليه  
الباب الذي هو فيه وبقى فيه وحده واشتغلوا عن تجهيزه بالبيعة لأخيه جعفر المتوكل ، وجلست أنا  
أحرس الباب فسمعت حركة من داخل البيت فدخلت فاذا جرد قد أكل عينه التي لحظت إلى بها ،  
وما كان حولها من الخدين .

وكانت وفاته بصر من رأى التي كان يسكنها في القصر الماروني ، في يوم الأربعاء لست بقين من  
ذى الحجة من هذه السنة - أعز سنة ثنتين وثلاثين ومائتين - عن ست وثلاثين سنة ، وقيل ثنتين  
وثلاثين سنة . وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ، وقيل خمس سنين وشهران  
وإحدى وعشرين يوماً ، وصلى عليه أخوه جعفر المتوكل على الله والله أعلم .

### خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم

بويج له بالخلافة بعد أخيه الوائق وقت الزوال من يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة .  
وكانت الأتراك قد هزموا على تولية محمد بن الوائق فاستصغروه فتركوه واعدوا إلى جعفر هذا ،  
وكان عمره إذ ذاك ستا وعشرين سنة ، وكان الذي ألبسه خلمة الخلافة أحمد بن أبي دؤاد القاضي ،  
وكان هو أول من سلم عليه بالخلافة وبايحه الخاصة والعامة ، وكانوا قد اتفقوا على تسميته بالمنتصر بالله ،

إلى صبيحة يوم الجمعة فقال ابن أبي دؤاد رأيت أن يلقب بالمتوكل على الله ، فاتفقوا على ذلك ، وكتب إلى الآفاق وأمر بإعطاء الشاكرية من الجند ثمانية شهور ، وللعقاربة أربعة شهور ، ولغيرهم ثلاثة شهور ، وأسبش الناس به . وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه هارون الواثق كأن شيئاً نزل عليه من السماء مكتوب فيه جعفر المتوكل على الله ، فعبه فتبيل له هي الخليفة ، فبلغ ذلك أخاه الواثق فسجنه حينئذ أرسله .

وفيها حج بالناس أمير الحجبيج محمد بن داود . وفيها توفى الحكم بن موسى . وعمر بن محمد .

الناقد ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

في يوم الأربعاء سابع صفر منها أمر الخليفة المتوكل على الله بالتبض على محمد بن عبد الملك ابن الزيات ووزير الواثق ، وكان المتوكل ييفضه لأمر ، منها أن أخاه الواثق غضب على المتوكل في بعض الأوقات وكان ابن الزيات يزيد غضباً عليه ، فبقى ذلك في نفسه ، ثم كان الذي استرضى الواثق عليه أحمد بن أبي دؤاد فخطى بذلك عنده في أيام ملكه ، ومنها أن ابن الزيات كان قد أشار بخلافة محمد بن الواثق بد أبيه ، ولف عليه الناس ، وجعفر المتوكل في جنب دار الخليفة لم يلبثت إليه ولم يتم الأمر إلا لجعفر المتوكل على الله ، رغم أنف ابن الزيات . فلهذا أمر بالتبض عليه سريعاً فطلبه فركب بصد همدائه وهو يظن أن الخليفة يمش إليه ، فاتفق به الرسول إلى دار إيتاخ أمير الشرطة فاحتبط به وقيد وبعثوا في الحال إلى داره فأخذ جميع ما فيها من الأموال والآتي والجواهر والحاصل والجواري والأثاث ، ووجدوا في مجلسه الخاص به آلات الشرب ، وبعث المتوكل في الحال أيضاً إلى حواصله بسامرا وضياعه وما فيها فاحتاط عليها ، وأمر به أن يمتنع ومنعه من الكلام ، وجعلوا يساهرونه كلما أراد الرقاد فحس بالحديد ، ثم وضعه بعد ذلك كله في تنور من خشب فيه مسامير قائمة في أسفله فأقيم عليها ووكل به من يمنه من القعود والرقاد ، فكثرت كليله أيلماً حتى مات وهو كذلك . ويقال إنه أخرج من التنور وفيه ريق فضرب على بطنه ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرب ، ويقال إنه أحرق ثم دفنت جثته إلى أولاده فدفنوه ، فنبشت عليه السكلاب فأكلت ما بقى من لحمه وجلده . وكانت وفاته لاجدى عشرة من ربيع الأول منها . وكان قيمة ما وجد له من الحواصل نحواً من تسعين ألف دينار . وقد قسمنا أن المتوكل سأله عن قتل أحمد بن نصر الخوازمي فقال : يا أمير المؤمنين أحرقت الله بالنار إن قتله الواثق إلا كافرآ . قال المتوكل : فأننا أحرقت بالنار .

وفيها في جمادى الأولى منها بعد مهلك ابن الزيات فليج أحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزل . فلم يزل مغلوباً حتى مات بصد أربع سنين وهو كذلك ، كما دعا على نفسه حين سأله المتوكل عن

قتل حمد بن نصر كما تقدم . ثم غضب المتوكل على جماعة من الدواوين والعمال ، وأخذ مهم أموالاً جزيلة جداً . وفيها ولي المتوكل ابنه محمد المنتصر الحجاز واليمن وعقد له على ذلك كله في رمضان منها .

وفيها عمد ملك الروم ميخائيل بن توفيل إلى أمه تدورة فألقاها بالشمس وأزمها الدر وقتل الرجل الذي اتهمها به ، وكان ملكها ست سنين . وفيها حج بالناس محمد بن داود أمير مكة .

وفيها توفي إبراهيم بن الحجاج الشامي . وحيان بن موسى العربي . وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي وسهل بن عثمان العسكري . ومحمد بن جماعة القاضي . ومحمد بن عائذ الدمشقي صاحب المغازي . ويحيى المقابري . ويحيى بن مدين أحد أئمة الجرح والتعديل ، وأستاذ أهل هذه الصناعة في زمانه .

### ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

فيها خرج نوح بن البعيث بن حلبس عن الطاعة في بلاده أذربيجان ، وأظهر أن المتوكل قد مات والتم عليه جماعة من أهل تلك الرساتيق ، ولجأ إلى مدينة مرند لمخضنها ، وجاءته البعث من كل جانب ، وأرسل إليه المتوكل جيوشاً يتبع بعضها بعضاً ، فنصبوا على بلده المجانيق من كل جانب ، وحاصروه محاصرة عظيمة جداً ، وقاتلهم مقاتلة هائلة ، وصبر هو وأصحابه صبراً بليغاً ، وقدم بقا الشرابي لمحاصرته ، فلم يزل به حتى أسره واستباح أمواله وحرّبه وقتل خلقاً من رؤس أصحابه ، وأمر سائرهم وانحسرت مادة ابن البعيث . وفي جهادى الأولى منها خرج المتوكل إلى المدائن .

وفيها حج إيتاخ أحد الأمراء السكبار وهو والى مكة ، ودعى له على المنابر ، وقد كان إيتاخ هذا غلاماً خزرياً طبائخاً ، وكان لرجل يقال له سلام الأبرش ، فاشتراه منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة ، فرفع منزلته وحظى عنده ، وكذلك الواثق من بعده ، ضم إليه أعمالاً كثيرة ، وكذلك عامله المتوكل وذلك لفر وسينته ورجلته وشهامته ، ولما كان في هذه السنة شرب ليسة مع المتوكل فربد عليه المتوكل فهم إيتاخ بقتله . فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال له : أنت أبى وأنت ربيتنى ، ثم دس إليه من يشير إليه بأن يستأذن للحج فاستأذن فأذن له ، وأمره على كل بلدة يحمل بها ، وخرج التواد في خدمته إلى طريق الحج حين خرج ، ووكل المتوكل الحمجاة لوصيف الخسادم عوضاً عن إيتاخ . وحج بالناس فيها محمد بن داود أمير مكة وهو أمير الحجبيج من سنين متقدمة .

وفيها توفي أبو خيشة زهير بن حرب . وسليمان بن داود الشاركرنى أحد الحفاظ . وهبند الله ابن حمد البغلي . وأبو ربيع الزهراني . وعلى بن عبد الله بن جعفر المديني شيخ البخاري في صناعة الحديث . ومحمد بن عبد الله بن نمير . ومحمد بن أبي بكر المديني . والممافا الرسييني . ويحيى بن يحيى الليثي راوى الموطأ عن مالك .

### ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

في جمادى الآخرة منها كان هلاك إيتاخ في السجن ، وذلك أنه رجع من الحج فنقلته هدايا الخليفة ، فلما اقترب يريد دخول سامرا التي فيها المتوكل بعث إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليتلقاه وجوه الناس وبنو هاشم ، فدخلها في أمة عظيمة ، فقبض عليه إسحاق بن إبراهيم وعلى ابنه مظفر ومنصور وكاتبه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني فأسلم نحت العقوبة ، وكان هلاك إيتاخ بالعطش ، وذلك أنه أكل أكلا كثيرا بسد جوع شديد ثم استسقى الماء فلم يسق حتى مات ليلة الأربعاء الخامس خلون من جمادى الآخرة منها . ومكث ولداه في السجن مدة خلافة المتوكل ، فلما ولي المنتصر ولد المتوكل أخرجهما . وفي شوال منها قدم بها سامرا ومعه محمد بن البيهقي وأخوه صقر وخالده ، وثائبه العلاء ومعهم من رؤس أصحابه نحو من مائة وثمانين إنسانا فأدخلوا على الجمال لإبراهيم الناس ، فلما أوقف ابن البيهقي بين يدي المتوكل أمر بضرب عنقه ، فأحضر السيف والنطع فجاء السيافون فوقفوا حوله ، فقال له المتوكل : ويلاك مادعاك إلى ما فعلت ؟ فقال : الشقوة يا أمير المؤمنين ، وأنت الجبل الممدود بين الله وبين خلقه ، وإن لي فيك لفتنين أسبغتهما إلى قلبي أولا هما بك ، وهو العفو . ثم اندفع يقول بديهة :

أبي الناس إلا أنك اليوم قاتلي \* إمام الهدى والصفح بالمرء أجل  
وهل أنا إلا جيلة من خطيئة \* وعفوك من نور النبوة يُجبرك  
فالك خير السابقين إلى العلى \* ولا شك أن خير الغمايين تفعلوا

فقال المتوكل : إن معه لأدبا . ثم عفا عنه . ويقال بل شفع فيه المعتز بن المتوكل فشفعه ، ويقال بل أودع في السجن في قيوده فلم يزل فيه حتى هرب بعد ذلك ، وقد قال حين هرب :

كم قد قضيت أمورا كأن أهلها \* غيرى وقد أخذ الافلاس بالكظم  
لا تمليني فيها ليس ينهني \* إليك عنى جرى المنصور بالقلم  
سألتك المال في عسر وفي يسر \* إن الجواد الذي يعطي على العدم

وفها أمر المتوكل أهل الزمة أن يتبذروا عن المسلمين في لباسهم وعبائهم وثيابهم ، وأن يتطيلسوا بالمصبوغ بالقلبي وأن يكون على عبائهم رقع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم ومن بين أيديهم ، وأن يلزموا بالزنانير الخاصرة لثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم ، وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة ، وأن لا يركبوا خيلا ، ولتسكن ركبهم من خشب ، إلى غير ذلك من الأمور المنذلة لهم المهينة انهوسهم ، وأن لا يستعملوا في شيء من الدراوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم ، وأمر بتخريب كنائسهم المحدثه ، وبتضييق منازلهم المحدثه ، فيؤخذ منها العشر ، وأن يعمل مما كان مقتصرا من منازلهم

مسجد ، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض ، وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق ، وإلى كل بلد ورستانق .

وفيها خرج رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابوري ، وهو ممن كان يتردد إلى خشبة بابك وعبر مصالوب فيتمتع قريباً منه ، وذلك بقرب دار الخلافة بسر من رأى ، فادعى أنه نبي ، وأنه ذو القرنين وقد أتبعه على هذه الضلالة وواقفه على هذه الجهالة جماعة قليلون ، وهم تسعة وعشرون رجلاً ، وقد نظم لهم كلاماً في مصحف له قبحه الله ، زعم أن جبريل جاءه به من الله ، فأخذ فرغم أمره إلى المتوكل فأمر فضرب بين يديه بالسياط ، فأعترف بما نسب إليه وما هو معول عليه ، وأظهر التوبة من ذلك والرجوع عنه ، فأمر الخليفة كل واحد من أتباعه التسعة والعشرين أن يصفه فصفوه عشر صفات فعليه وعليهم لعنة رب الأرض والسماوات . ثم اتفق موته في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة أخذ المتوكل على الله العهد من بعده لأولاده الثلاثة وهم : محمد المنتصر ، ثم أبو عبد الله المعز ، واسمه محمد ، وقيل الزبير ، ثم لإبراهيم وسماه المؤيد بالله ، ولم يلب الخلافة هذا . وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد يكون نائباً عليها ويستقرب فيها ويضرب له السكة بها ، وقد عين ابن جرير مال لكل واحد منهم من البلدان والأقاليم ، وعقد لكل واحد منهم لواءين لواء أسود للعهد ، ولواء للبيعة ، وكتب بينهم كتاباً بالرضى منهم ومبايعته لأن كثير الأمرأ على ذلك وكان يوماً مشهوداً . وفيها في شهر ذي الحجة منها تغير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ثم صار في لون ماء الدردى فزع الناس لذلك . وفيها أتى المتوكل بيجي بن عمر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من بعض النواحي ، وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة فأمر بضربه فضرب ثمانى عشرة مفرقة ثم حبس في المطبق . وحج بالناس محمد بن داود .

قال ابن جرير : وفيها توفي إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر - يعني نائب بغداد - يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة وجمل ابنه محمد مكانه ، وخلع عليه خمس خلع وقلده سيفاً . قلت : وقد كان نائباً في العراق من زمن المأمون ، وهو من الدعاة تبعاً لسادته وكبرائه إلى القول بخلق القرآن الذي قال الله تعالى فيهم [ ربنا إنا أطمنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل ] الآية . وهو الذي كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون . وفيها توفي :

### إسحاق بن ماهان

الموصل النديم الأديب ابن الأديب النادر الشكل في وقته ، المجموع من كل فن يعرفه أبناء عصره ، في الفقه والحديث والجدل والكلام والفقه والشعر ، ولكن اشتهر بالفناء لأنه لم يكن له في الدنيا

نظير فيه . قال المنعم : إن إسحاق إذا غنى بخیل لی أنه قد زید فی ماکی . وقال المأمون : لولا  
اشتهاره بالنساء لولیته القضاء لما اعلمه من عفته ونزاهته وأمانه . وله شعر حسن وذیوان كبير .  
وكانت عنده كتب كثيرة من كل فن . توفی فی هذه السنة وقیل فی التي قبلها ، وقیل فی التي بعدها .  
وقد ترجمه ابن عساکر ترجمة حافلة وذكر عنه اشیاء حسنة وأشعاراً رائفة وحكايات مدحثة يطول  
استقصاؤها . فن غریب ذلك أنه غنی يوماً یحیی بن خالد بن برمك فوقع له بألف ألف ووقع له ابنه  
جعفر بمنزلها ، وابنه الفضل بمنزلها ، فی حکایات طویلة .

وفیها توفی شریح بن بوس . وشیدان بن فروخ . وعبید الله بن عمر الفواریری . وأبو بكر بن  
أبی شیبة أحد الأعلام وأئمة الأسلام وصاحب المصنف الذی لم یصنف أحد مثله قط لا قبله ولا بعده .

ثم دخلت سنة ست وثلاثین ومائتین

فبها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علی بن أبی طالب وما حوله من المنازل والدور ، ونودی  
فی الناس من وجدنا بعد ثلاثة أيام ذهب به إلى المطبق . فلم یبق هناك بشر ، وأخذ ذلك الموضع  
مزورة فحرق ونسقل . وفیها حج بالناس محمد بن المنتصر بن المتوكل . وفیها توفی محمد بن إبراهیم  
ابن مصعب سمه ابن أخیه محمد بن إسحاق بن إبراهیم ، وكان محمد بن إبراهیم هنا من الأصرار  
السكبار . وفیها توفی الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المأمون التي تقدم ذكرها ، وكان من  
سادات الناس ، ویقال إن إسحاق بن إبراهیم المثنی توفی فی هذه السنة فأنه أعلم . وفیها توفی أبو سعید  
محمد بن یوسف المروزی نجاة ، فولى ابنه یوسف مكانه على نیابة أرمينية . وفیها توفی إبراهیم بن المنذر  
الحرابی . ومصعب بن عبد الله الزبیری . وهديبة بن خالد القیسی . وأبو الصلت المرودی أحد  
الضعفاء .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثین ومائین

فبها قبض یوسف بن محمد بن یوسف نائب أرمينية على البطاریق السكبار بها وبعثه إلى نائب  
الخليفة ، واتفق بعد بثه إياه أن سقط ثلج عظیم على تلك البلاد ، فتحرب أهل تلك الطریق وجاؤا  
لغاصروا البلد التي بها یوسف فخرج إليهم ليقاتلهم فقتلوه وطائفة كبيرة من المسلمين الذين معه وهلك  
كثیر من الناس من شدة البرد ، ولما بلغ المتوكل ما وقع من هذا الأمر الفظیح أرسل إلى أهل تلك  
الناحية بغا السكبار فی جيش كثیف جداً فقتل من أهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة نحواً من  
ثلاثین ألفاً وأسر منهم طائفة كبيرة ، ثم سار إلى بلاد ألبانی من كور البسندران وسلك إلى مدن  
كثيرة بناه ومهد الممالك ووطد البلاد والنواحي . وفی صفر منها غضب المتوكل على ابن أبی دؤاد  
القاضي المعتزلی وكان على المظالم ، فمزله عنها واستدعى بیحیی بن أكرم فولاه قضاء القضاة والمظالم  
أيضاً . وفی ربيع الأول أمر الخليفة بالاحتياط على ضیاع ابن أبی دؤاد وأخذ ابنه أبا الولید محمد

فحسبه في يوم السبت ثلاث خلون من ربيع الآخر ، وأمر بمصادرته فحمل مائة ألف وعشرين ألف دينار ، ومن الجواهر النفيسة ما يقوم بمشرين ألف دينار ، ثم صولح على ستة عشر ألف ألف درهم . وكان ابن أبي دؤاد قد أصابه الفالج كما ذكرنا ، ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين قال ابن جرير فقال في ذلك أبو العتاهية :

لو كنت في الرأي منسوبا إلى رشيد \* وكان عزيمك عزما فير توفيق  
لكان في الفقه شغل لو قمت به \* عن أن تقول كتاب الله مخلوق  
ماذا عليك وأصل الدين بجمعهم \* ما كان في الفرع لولا الجهل والموق

وفي عيد النظر منها أمر المتوكل بانزال جثة أحمد بن نصر الخزازي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه ، وفرح الناس بذلك فرحا شديدا ، واجتمع في جنازته خلق كثير جدا ، واجتمعوا يتسبحون بها وبأعواد نعشه ، وكان يوما مشهودا . ثم أتوا إلى الجندع الذي صلب عليه فعملوا يتسبحون به ، وأرهب العامة بذلك فرحا وسرورا ، فكاتب المتوكل إلى نائبه يأمره بدعسهم عن تعاطي مثل هذا وعن المغالاة في البشر ، ثم كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكيف عن القول بخلق القرآن ، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت . وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير ، ثم أظهر إكرام الامام أحمد بن حنبل واستدعاءه من بغداد إليه ، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بمجازة سنوية فلم يقبلها ، وخلع عليه خلة سنوية من ملبسه فاستحيا منه أحمد كثيرا فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزعاً عنيفا وهو يبكي رحمه الله تعالى . وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ويظن أنه يأكل منه ، وكان أحمد لا يأكل لهم طعاما بل كان صائما مواصلا طوايا تلك الأيام ، لأنه لم ييسر له شيء يرضى أكله ، ولكن كان ابنه صالح وعبد الله يتهلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك ، ولولا أنهم أسرعوا الأوبة إلى بغداد لخشي على أحمد أن يموت جوعا ، وارتفعت السنة جدا في أيام المتوكل عفا الله عنه ، وكان لا يولى أحدا إلا بعد مشورة الامام أحمد ، وكان ولاية يحيى بن أكرم قضاء القضاة . ووضعت ابن أبي دؤاد عن مشورته ، وقد كان يحيى بن أكرم هذا من أئمة السنة ، وعلماء الناس ، ومن المعظمين لعفته والحديث واتباع الأثر ، وكان قد ولي من جهته حبان بن بشر قضاء الشرقية ، وسوار ابن عبد الله قضاء الجانب الغربي ، وكان كلاهما أعورا . فقال في ذلك بعض أصحاب ابن أبي دؤاد :

رأيت من المجاب قاضيين \* هما أحدهما في الخاقين  
هما اقتسما المسمى لضمين قدا \* كما اقتسما قضاء الجانبين  
ويجسب منهما من هز رأسا \* لينظر في واديت وديين



كأنك قد وضمت عليه دناءة \* فنحت بزأله من فودر عين  
 هما فال الزمان بهلك بجحي \* إذ افتتح القضاء بأعورين

وغزا الصائفة في هذه السنة على بن يحيى الأرمني . وحج بالناس على بن عيسى بن جعفر بن أبي  
 جعفر المنصور أمير الحجاز . وفيها توفي حاتم الأصم . ومن توفي فيها عبد الأعلى بن حماد . وعبيد الله  
 ابن معاذ المنبري وأبو كامل الفضيل بن الحسن الجحدري .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

في ربيع الأول منها حاصر بنو مدينة تفلين وعلى مقدمته زيرك التركي ، فخرج إليه صاحب  
 تفلين إسحاق بن إسماعيل فقاتله فأسر بنو إسحاق فأمر بنو بضرب عنقه وصلبه ، وأمر بالقاء النار  
 في النبط إلى نحو المدينة ، وكان أكثر بناتها من خشب الصنوبر ، فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها  
 نحواً من خمسين ألفاً ، وطفئت النار بعد يومين ، لأن نار السنوبر لا يقاء لها . ودخل الجند فأمروا  
 من بقي من أهلها واستلبوهم حتى استلبوا المواشي . ثم سار بنو إلى مدن أخرى ممن كان يمالئ أهلها  
 مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف ، فأخذ بتأرره وعاقب من تجرأ عليه .

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلثمائة مركب قاصدين مصر من جهة ديباط ، فدخلوها فجأة فقتلوا من  
 أهلها خلقاً وحرقوا المسجد الجامع والمنبر ، وأسروا من النساء نحواً من ستمائة امرأة ، من المسلمات  
 مائة وخمسة وعشرين امرأة ، وسائرهن من نساء القبط ، وأخذوا من الأمتعة والمال والأسلحة شيئاً  
 كثيراً جداً ، وفر الناس منهم في كل جهة ، وكان من غرق في بحيرة تليس أكثر ممن أسروه ، ثم  
 رجعوا على حمية ولم يمرض لهم أحد حتى رجعوا بلادهم لعنهم الله . وفي هذه السنة غزا الصائفة على  
 ابن يحيى الأرمني . وفيها حج بالناس الأمير الذي حج بهم قبلها .

وفيها توفي إسحاق بن راهويه أحد الأعلام وعلماء الإسلام ، والمجاهدين من الآفام . وبشر بن  
 الوليد الفقيه الحنفي . وطالون بن عباد . ومحمد بن بكر بن الزيات . ومحمد بن البرجاني . ومحمد بن أبي  
 السرى المستلاني . ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

في الحرم منها زاد المتوكل في التغليظ على أهل الذمة في التبرق للباس وأكد الأمر بتغريب  
 الكنائس المحذمة في الإسلام . وفيها نفى المتوكل على بن الجهم إلى خراسان . وفيها اتفق شمانين  
 النصراني ويوم النيروز في يوم واحد وهو يوم الأحد لمشرين ليلة خلت من ذي القعدة ، وزعمت  
 النصراني أن هذا لم يتفق مثله في الإسلام إلا في هذا العام . وغزا الصائفة على بن يحيى المذكور .  
 وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود وإلى مكة .

قال ابن جرير : وفيها توفي أبو الوليد محمد بن القاسم أحمد بن أبي دؤاد الأيادي المعتزلي .

قلت.. ومن توفي فيها داود بن رشيد . وصفوان بن صالح ، وذن أهل دمشق . وعبد الملك بن حبيب  
الفتية المالكي ، أحد المشاهير . وعثمان بن أبي شيبة . صاحب التفسير والمسنَد المشهور . ومحمد بن مهران  
الرازي . ومحمود بن غيلان . ووهب بن نفيه . وفيها توفي :

### أحمد بن عاصم الأنطاكي

أبو علي الواعظ الزاهد أحد العبادة والزهاد ، له كلام حسن في الزهد ومعاملات القلوب ، قال  
أبو عبد الرحمن السلمي : كان من طبقة الحارث المحاسبي ، وبشر الحافي . وكان أبو سليمان الداراني  
يسميه جاسوس القلوب لمدة فراسته . روى عن أبي معاوية الضرير وطبقته ، وعنه أحمد بن  
الحواري ، ومحمود بن خالد ، وأبو زرعة الدمشقي . وغيرهم . روى عنه أحمد بن الحواري عن محمد  
ابن الحسين عن هشام بن حسان قال : ضررت بالحسن البصري وهو جالس وقت السحر فقلت : يا أبا  
سميد نملك بجلوس في هذا الوقت ؟ قال : إني توجأت وأردت نفسي على الصلاة فأبت علي ، وأرادتني  
علي أن تنام فأبيت عليها . ومن مستجاد كلامه قوله : إذا أردت صلاح قلبك فاستمن عليه بحفظ  
جوارحك . وقال : من الفتيمة الباردة أن تصلح ما بقي من عمرك فيخفرك ما مضى منه . وقال :  
يسير اليقين يخرج الشك كله من قلبك ، ويسير الشك يخرج اليقين كله منه . وقال : من كان بالله  
أعرف كان منه أخوف . وقال : خير صاحب لك في دنياك الهمة ، يقطعك عن الدنيا ويوصلك إلى  
الآخرة . ومن شعره :

هممت ولم أعزم ولو كنت صادقاً \* عزمت ولكن الفطام شديد  
ولو كان لي عقل وإيقان موقن \* لما كنت عن قصد الطريق أحميد  
ولو كان في غير السلوك مطامعي \* ولكن عن الأقدار كيف أميد

ومن شعره أيضاً :

قد بقينا مذبتين حيارى \* نعلم الصنق ما إليه سبيل  
فدواعي الهوى تخفت علينا \* وخلاف الهوى علينا ثقيل  
فقد الصدق في الأماكن حتى \* وضف اليوم ما عليه دليل  
لا نرى خائفاً فيلزمنا الخوف \* ولشنا نرى صادقاً على ما يقول

ومن شعره أيضاً :

هوّن عليك فكل الأمر ينقطع \* وخلّ عنك ضباب المهمة يندفع  
فكل مم له من بعده فرج \* وكل كروب إذا ما ضاق يتسع  
إن البلاء وإن طال الزمان به \* الموت يقطع أو سوف يقطع

وقد أطال الحافظ ابن عساكر ترجمته ولم يؤرخ وفاته ، وإنما ذكرته ههنا تقريراً والله أعلم .

### ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

فيها عدا أهل حمص على عاملهم أبي الفيث موسى بن إبراهيم الرافقي لأنه قتل رجلاً من اشرفهم فقتلوا جماعة من أصحابه وأخرجوه من بين أظهرهم ، فبعث إليهم المتوكل أميراً عليهم وقال للسفير معه : إن قبوه وإلا فأعلنى . فقباه فعمل فيهم الأعاجيب وأهانهم غاية الأهانة . وفيها عزل المتوكل يحيى بن أكنم القاضي عن قضاء القضاة وصادره بما يبلغه ثمانون ألف دينار ، وأخذ منه أراضى كثيرة في أرض البصرة ، وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي على قضاء القضاة . قال ابن جرير : وفي الحرم منها توفي أحمد بن أبي دؤاد بعد ابنه بعشرين يوماً .

### وهذه ترجمته

هو أحمد بن أبي دؤاد واسمه النرج - وقيل دعى ، والصحيح أن اسمه كنيته - الأيادي المعتزلى . قال ابن خلكان في نسبه : هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد بن سلام بن عبد هند بن عبد نجم بن مالك بن فيض بن منعة بن برجان بن دوس الهندلى بن أمية بن حذيفة بن زهير بن إياد بن أد بن معد بن عدنان . قال الخطيب : ولى ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم ، ثم للواتق . وكان موصوفاً بالجود والسخاء وحسن الخلق ووفور الأدب ، غير أنه أعلن مذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى في الآخرة . قال الصولي : لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ، ولولا ما وضع من نفسه من محبة المحنة لاجتمعت عليه الانس . قالوا : وكان مولده في سنة ستين ومائة ، وكان أسن من يحيى بن أكنم بعشرين سنة . قال ابن خلكان : وأصله من بلاد قدسرين ، وكان أبوه تاجراً يفسد إلى الشام ثم وفد إلى العراق وأخذ ولده هذا معه إلى العراق ، فاشتغل بالعلم وصحب هياج بن العلاء السلمي أحد أصحاب واصل بن عطاء فأخذ عنه الاعتزال ، وذكر أنه كان يصحب يحيى بن أكنم القاضي ويأخذ عنه العلم . ثم سردله ترجمة طويلة في كتاب الوفيات ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال : -

رسولُ الله والخلفاءُ منا • ومنا أحمدُ بنُ أبي دؤادِ

فرد عليه بعض الشعراء فقال :

قلْ للفخرينِ على نزارٍ • وهم في الأرضِ ساداتُ العبادِ

رسولُ الله والخلفاءُ منا • ونبرأ من دعوى بني إيادِ

ومانا إيادُ إذا أقرتْ • بدعوةِ أحمدِ بنِ أبي دؤادِ

قال : فلما بلغ ذلك أحمد بن أبي دؤاد قال : لولا أنى أكره العقوبة لعاقبت هذا الشاعر عقوبة

ما فعلها أحد . وعفا عنه . قال الخليل : حدثني الأزهرى ثنا أحمد بن عمر الواعظ حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك حدثني جرير بن أحمد أبو مالك قال : كان أبي - يعني أحمد بن أبي دؤاد - إذا صلى رفع يديه إلى السماء وخاطب ربه وأنشأ يقول :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما \* نهيح الأمور بقوة الأسباب

واليوم حاجتنا إليك وإنما \* يدعى الطبيب لساعة الأوصاب

ثم روى الخليل أن أبا تمام دخل على ابن أبي دؤاد يوماً فقال له : أحسبك عاتباً ، فقال : إنما يمتب على واحد وأنت الناس جميعاً . فقال له : أفى لك هذا ؟ فقال : من قول أبي نواس :

وليس على الله بمستسكر \* أن يجمع العالم في واحد

وامتدحه أبو تمام يوماً فقال :

هذه أهدت مساوي كل دهر \* محاسن أحمد بن أبي دؤاد

وما سهرت في الآفاق إلا \* ومن جدواك راحلتي وزادى

دم الظن عندك والأمانى \* وإن قلت ركابي في البلاد

فقال له : هذا المعنى تفردت به أو أخذته من غيرك ؟ فقال : هولى ، غير أني ألحت بقول أبي

نواس : وإن جرث الألفاظ يوماً بمدحة \* لتبرك إنساناً فأنت الذى لعى

وقال محمد بن الصولى : ومن مختار مدح أبي تمام لأحمد بن أبي دؤاد قوله :

أأحمد إن الحاسدين كثير \* ومالك إن عدو الكرام نظير

حلت حلاً فاضلاً متفادماً \* من الجهد والفضح القديم غفور

فكل غني أو فقير فانه \* إليك وإن قال السماء فقير

إليك تنهى الجهد من كل وجهة \* يصير فإ يمدوك حيث يصير

وبدو إباد أنت لا ينكرونه \* كذلك إباد للإمام بدور

نحبت أن تدعى الأمير تواضعا \* وأنت لمن يدعى الأمير أمير

فما من يد إلا إليك مودة \* وما رفة إلا إليك تشير

قلت : قد أخطأ الشاعر في هذه الأبيات خطأ كبيراً ، وأغش في المبالغة فحشا كثيراً ، ولعله

إن اعتقد هذا في مخلوق ضعيف مسكين ضال مضل ، أن يكون له جهنم وساءت مصيراً . وقال ابن أبي دؤاد يوماً لبعضهم : لما لم لأسألى ؟ فقال له : لأنى لو سألتك أعطيتك بمن صلتك . فقال له :

صدقت . وأرسل إليه بخمسة آلاف درهم .

وقال ابن الأعرابي : سألت رجلاً من بني دؤاد أن يحمه على غير قتال : يا غلام اعطه هيرآ وبنفلا

ورذونا وفرسا وجارية . وقال له : لو أعلم من كوثاً غير هذا لأعطيتك . ثم أورد الخطيب بأسانيد  
عن جماعة أخباراً تدل على كرمه وفصاحته وأدبه وحلمه ومبادرته إلى قضاء الحاجات ، وعظيم منزلته  
عند الخلفاء . وذكر عن محمد المهدي بن الرواق أن شيخاً دخل يوماً على الرواق فسلم فلم يرد عليه  
الرواق بل قال : لا سلم الله عليك . فقال : يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك مملك . قال الله تعالى  
[ إذا حيينم بنحية تحيوا بأحسن منها أو ردوها ] فلا حيينتني بأحسن منها ولا رددتها . فقال ابن أبي  
دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم . فقال : ناظره . فقال ابن أبي دؤاد : ماتقول يا شيخ في القرآن  
أخلاق هو ؟ فقال الشيخ : لم تنصفني ، المسألة لي . فقال : قل . فقال : هذا الذي تقوله علمه رسول الله  
(س) وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ أو ما علموه ؟ فقال ابن أبي دؤاد : لم يعلوه . قال : فأنت علمت ما لم  
يعلوه ؟ فنجعل وسكت . ثم قال أقلني بل علوه ، قال : فلم لا دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت ، أما  
يسلك ما وسهم ؟ فنجعل وسكت وأمر الرواق له بمجازة نحو أو بمائة دينار فلم يقبلها . قال المهدي :  
فدخل أبي المنزل فاستنقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول : أما وسلك  
ما وسهم ؟ ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار وردّه إلى بلاده ، وسقط من عينيه ابن أبي دؤاد  
ولم يمتحن بمسده أحداً . ذكره الخطيب في تاريخه بأسناد فيه بعض من لا يعرف ، وساق قصته  
مطولة . وقد أشد ثعلب عن أبي حجاج الأغراني أنه قال في ابن أبي دؤاد :

نكست الدين يا ابن أبي دؤاد \* فأصبح من أطاعك في ارتداد  
زعمت كلام ربك كان خلقاً \* أما لك عند ربك من ممداد  
كلام الله أنزله بعلم \* على جبريل إلى خير العباد (١)  
ومن أمسى يبابك مستضيئاً \* كمن حلّ الفلاة بنير زار  
لقد أظرفت يا ابن أبي دؤاد \* بقولك إنني رجل إيادي

ثم قال الخطيب : أنبأ القاضي أبو العلي طاهر بن عبد الله الطبري قال : أنشدنا المصنف بن  
زكريا الجبري عن محمد بن يحيى الصدوق لبعضهم يهجو ابن أبي دؤاد :  
لو كنت في الرأي منسوباً إلى رشدي \* وكان عزمك عزمًا فيه توفيق  
وقد تقدمت هذه الأبيات .

وروى الخطيب عن أحمد بن الموفق أو يحيى الجلاء أنه قال : ناظرني رجل من الواقفية في خلق  
القرآن فنالني منه ما أكره ، فلما أمسيت أتيت امرأتي فوضعت لي المشاء فلم أقدر أن أمال منه شيئاً ،  
فندت فزأبت رسول الله (س) في المسجد الجامع وهناك حلقة فيها أحمد بن حنبل وأصحابه ، فجعل  
رسول الله (س) يقرأ هذه الآية [ فإن يكفر بها هؤلاء ] ويشير إلى حلقة ابن أبي دؤاد [ فقد وكلنا  
(١) كذا في الأصل والوزرة غير مستقيم .

بها قوماً ليسوا بها بكافرين] ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه . وقال بعضهم : رأيت في المنام كأن  
قالوا يقول : هلك الليلة أحمد بن أبي دؤاد . فقلت له : وما سبب هلاكه ؟ فقال : إنه أغضب الله  
عليه فغضب عليه من فوق سبع سموات . وقال غيره : رأيت ليلة مات ابن أبي دؤاد كأن النار  
ذفرت زفرة عظيمة فخرج منها لهب فقلت : ما هذا ؟ فقيل هذا أمجرت لابن أبي دؤاد .

وقد كان هلاكه في يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة ، وصلى عليه ابنه المباس ودفن  
في داره ببغداد وحرره يومئذ ثمانون سنة ، وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى نقي طريقاً  
في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده ، وحرّم لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك .  
وقد دخل عليه بعضهم فقال : والله ما جنتك عاتداً وإنما جنتك لأعزبك في نفسك وأحمد الله  
الذي سجنك في جسّدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن ، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن  
يزيده الله ولا ينتصه مما هو فيه ، فزاد مرضاً إلى مرضه . وقد صودر في العام الماضي بأموال جزيلة  
جداً ، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل . قال ابن خلكان : كان مولده في سنة ستين ومائة .  
قلت : فلي هذا يكون أسن من أحمد بن حنبل ومن يحيى بن أكرم الذي ذكر ابن خلكان أن ابن  
أكرم كان سبب اتصال ابن أبي دؤاد بالخليفة المأمون ، فخطى عنده بحيث إنه أوصى به إلى أخيه  
المتعم ، فولاه المتعم القضاء والمظالم ، وكان ابن الزيت الوزير يفضّضه ، وجرت بينهما مناقسات  
وهجو ، وقد كان لا يقطع أمراً بدونه . وعزل ابن أكرم عن القضاء وولاه مكانه ، وهذه الهنة التي  
هي أس ما بعدها من الهن ، والفطنة التي فتحت على الناس هب الفتن .

ثم ذكر ابن خلكان ما ضرب به الفالج وما صودر به من المال ، وأن ابنه أبا الوليد محمد  
صودر بألف دينار ومائتي ألف دينار ، وأنه مات قبل أبيه بشهر . وأما ابن عساكر فانه بسط  
القول في ترجمته وشرحها شرحاً جيداً . وقد كان الرجل أديباً فصيحاً كريماً جواداً ممدحاً يؤثر المطاء  
على المنع ، والتفرقة على الجمع . وقد روى ابن عساكر بأسناده أنه جلس يوماً مع أصحابه ينتظرون  
خروج الوائلي فقال ابن أبي مرزاد إنه ليمجيني هذان البيتان :

ولي نظرة لو كان يُجبلُ ناظرٌ \* بنظرته أني لقد حبلت مني

فإن ولدت بين تسعة أشهر \* إلى نظر ابننا فإن ابنها مني

ومن توفي فيها من الأعيان أبو نور إبراهيم بن خالد الكلبى أحد الفقهاء المشاهير . قال الامام  
أحمد : هو هندنا في مسلاخ التوري . وخليفة بن خياط أحد أئمة التاريخ وسويد بن سعد الحداني  
وسويد بن نصر . وعبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون أحد فقهاء المالكية المشهورين . وعبد الواحد  
ابن غيث . وقتيبة بن سعيد شيخ الأئمة والسنة . وأبو العمير عبد الله بن خالد كاتب عبد الله بن

طلهر وشاعره ، كان عالماً باللغة وله فيها مصنفات عديدة أورد منها ابن خلكان جملة ، ومن شعره  
بمسح عبد الله بن طلهر :

يا من يحاول أن تكون صفاته • كصفات عبد الله أنصت واصمع  
فلأنصحتك في خصال والنبي • حج الحجيج إليه فاصمع أو دع  
أصدق وعف وبراً واصبر واحتمل • واصنع وكفى دار واحلم واشجع  
والطف ورن وتأن ، وارفق واتشد • واحزم وجد وحلم واحمل وادفع  
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي • وهديت لفتح الاسد المبيع  
أما سحنون المالكي صاحب المدونة

فهو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن جنبد بن حسان بن هلال بن بكر بن ربيعة التنوخي ،  
أصله من مدينة حمص ، فدخل به أبوه مع جندها بلاد المغرب فأقام بها ، وانتهت إليه رياسة منهب  
مالك هناك ، وكان قد تفقه على ابن القاسم ، وسببه أنه قدم أسد بن الفرات صاحب الأمام مالك  
من بلاد العرب إلى بلاد مصر فسأل عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك عن أسئلة كثيرة فأجابه  
عنها ، فقلها عنه ودخل بها بلاد المغرب فانتسخها منه سحنون ، ثم قدم على ابن القاسم مصر فأعاد  
أسئلته عليه فزاد فيها ونقص ، ورجع عن أشياء منها ، فرتبها سحنون ورجع بها إلى بلاد المغرب ،  
وكتب معه ابن القاسم إلى أسد بن الفرات أن يمرض نسخته على نسخة سحنون ويصلحها بها  
فلم يقبل ، فدعى عليه ابن القاسم فلم يلتفت به ولا بكتابه ، وصارت الرحلة إلى سحنون ، وانتشرت  
عنه المدونة ، وساد أهل ذلك الزمان ، وتولى القضاء بالقيروان إلى أن توفى في هذه السنة عن ثمانين  
سنة رحمه الله وإيانا .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

في جمادى الأولى أو الآخرة من هذه السنة وثب أهل حمص أيضاً هل عاملهم محمد بن عبدويه  
فأرادوا قتله ، وساعدهم نصارى أهلها أيضاً عليه ، فكتب إلى الخليفة يعلمه بذلك ، فكتب إليه يأمره  
بمناضتهم ، وكتب إلى متولى دمشق أن يمدد بجيش من عنده ليساعده على أهل حمص ، وكتب  
إليه أن يضرب ثلاثة منهم معروفين بالشرب والسياسة حتى يموتوا ، ثم يصلبهم على أبواب البلد ، وأن  
يضرب عشرين آخرين منهم كل واحد ثلاثمائة ، وأن يرسلهم إلى سمرقند مقيدون في الحديد ، وأن  
يخرج كل نصراني بها ويهدم كنيستها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع ، وأن يضيقها إليه ،  
وأمره بمحسبين ألف درهم ، وللأمرء الذين ساعدوه بصلوات سلية . فامتثل ما أمره به الخليفة  
فيهم . وفيها أمر الخليفة المتوكل على الله بضرب رجل من أهليان أهل بسداد يقال له عيسى بن

جعفر بن محمد بن عاصم ، فضرب ضرباً شديداً مبرحاً ، يقال إنه ضرب ألف سوط حتى مات .  
 وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكر وعمر  
 وعائشة وحفصة رضي الله عنهم . فرفع أمره إلى الخليفة لجأه كتاب الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن  
 طاهر بن الحسين نائب بغداد يأمره أن يضربه بين الناس حـد السب ، ثم يضرب بالسياط حتى  
 يموت ويلقى في دجلة ولا يصل علىه ، ليرتدع بذلك أهل الاتحاد والمماندة . ففعل معه ذلك تشبه  
 الله ولعن . ومثل هذا يكفر إن كان قد قذف عائشة بالاجماع ، وفيمن قذف سواها من أمهات المؤمنين  
 قولان ، والصحيح أنه يكفر أيضا ، لأنهم أزواج رسول الله ص .، ورضى عنهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة انقضت الكواكب ببغداد وتناثرت ، وذلك ليلة الخميس ليلة  
 خلت من جمادى الآخرة . قال : وفيها مطر الناس في آب مطراً شديداً جداً . قال : وفيها مات من  
 الدواب شيء كثير ولاسيما البقر . قال : وفيها أغارت الروم على عين زربة فأثروا من بها من الزط  
 وأخذوا نساءهم وذراريهم ودوابهم . قال : وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم في بلاد طرسوس  
 بمحضرة قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد ، عن إذن الخليفة له في ذلك ، واستتابته ابن أبي الشوارب .  
 وكانت عدة الأسرى من المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين رجلاً ، ومن النساء مائة وخمسة وعشرين  
 امرأة ، وقد كانت أم الملك تدور لعنما الله عرضت النصرانية على من كان في يدها من الأسارى ،  
 وكانوا نحواً من عشرين ألفاً فن أجابها إلى النصرانية وإلا قتلته ، قتلت اثني عشر ألفاً وتنصر  
 بعضهم ، وبقى منهم هؤلاء الذين فودوا وهم قريب من التسعمائة رجلاً ونساء .

وفيها أغارت البجة على جيش من أرض مصر ، وقد كانت البجة لا يفزون المسلمين قبل ذلك ،  
 لهدنة كانت لهم من المسلمين ، فنقضوا الهدنة وصرحوا بالخلاف . والبجة طائفة من سودان بلاد  
 المغرب ، وكذا النوبة وشنون وزغرير ويكسوم وأم كثيرة لا يعلمهم إلا الله . وفي بلاد هؤلاء مغان  
 الذهب والجوهر ، وكان عليهم حمل في كل سنة إلى ديار مصر من هذه المغان ، فلما كانت دولة  
 المتوكل امتنعوا من أداء ما عليهم سنين متعددة ، فكتب نائب مصر - وهو يعقوب بن إبراهيم  
 الباذغيسي مولى الهادي وهو المعروف بقوصرة - بذلك كله إلى المتوكل ، فغضب المتوكل من ذلك  
 غضباً شديداً ، وشاور في أمر البجة فتليل له : يا أمير المؤمنين إنهم قوم أهل إبل وبادية ، وإن بلادهم  
 بعيدة ومعطشة ، ويحتاج الجيش الذاهبون إليها أن يتزودوا لمقاتهم بها طعاماً وماء ، فصدده ذلك عن  
 البث إليهم ، ثم بلغه أنهم يفرون على أطراف الصعيد ، ويخشى أهل مصر على أولادهم منهم ،  
 فجهز لهم محمد بن عبد الله القسي ، وجعل إليه نيابة تلك البلاد كلها المتاخمة لأرضهم ، وكتب إلى  
 عمال مصر أن يمينوه بكل ما يحتاج إليه من الطعام وغير ذلك ، فتخلص وتخلص منه من الجيوش



الذين انضموا إليه ، من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين ألف فارس وراجل ، وحمل معه الطعام  
الأدام في مراكب سبعة ، وأمر الذين هم بها أن يلجوا بها في البحر فيوافوه بها إذا توسط بلاد  
البيجة ، ثم سار حتى دخل بلادهم وجاوز معادنتهم وأقبل إليه ملك البيجة - واسمه علي بابا - في جمع  
عظيم أضاف من مع محمد بن عبد الله القمي ، وهم قوم مشركون يعبدون الأصنام ، فجعل الملك يطاول  
المسلمين لعله تنفذ أزوارهم فيأخذونهم بالأيدي ، فلما نفذ ما عند المسلمين طمع فيهم السودان فيمزم  
الله وله الحمد بوصول تلك المراكب وفيها من الطعام والتمر والزيت وغيره . فلما بما يحتاجون إليه نسي  
كثير جداً فحصد الأمير بين المسلمين بحسب حاجاتهم ، فيئس السودان من هلاك المسلمين  
جوعاً فشرعوا في التأهب لقتال المسلمين ، ومركبهم الابل شبيهة بالهجن زعرة جداً كثيرة النصار ،  
لا تكاد ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً إلا جعلت منه . فلما كان يوم الحرب محمد أمير المسلمين إلى جميع  
الأجراس التي معهم في الجيش فجعلها في رقاب الخيول ، فلما كانت الوتمة حمل المسلمون حملة رجل  
واحد ، فنفرت بهم إبلهم من أصوات تلك الأجراس في كل وجه ، وتفرقوا شذراً شذراً ، واتبعهم  
المسلمون يقتلون من شاؤا ، لا يمنع منهم أحد ، فلا يعلم عدد من قتلوا منهم إلا الله عز وجل . ثم  
أصبحوا وقد اجتمعوا رجالاً فكبسهم القمي من حيث لا يشعرون فقتل حاسة من نقي منهم وأخذ  
ملكهم بالأمان ، وأدى ما كان عليه من الحل ، وأخذ منه أسيراً إلى الخليفة . وكانت هذه الوتمة  
في أول يوم من هذه السنة ، فولاه الخليفة على بلاده كما كان ، وجعل إلى ابن القمي أمر تلك الناحية  
والنظر في أمرها وله الحمد والمنة .

قال ابن جرير : ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة في جمادى الآخرة .  
قلت : وهذا الرجل كان قائماً على البيار المصرية من جهة المتوكل . وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد  
ابن داود ، وحج جعفر بن دينار وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم ، ولم يتعرض ابن جرير لوفاة  
أحد من المحدثين في هذه السنة ، وقد توفي من الأعيان الأمام أحمد بن حنبل . وجبارة بن الفضل  
الحلبي . وأبو ثوبة الحلبي . وعيسى بن حماد سجادة . ويعقوب بن حميد بن كاسب . ولندكر شيئاً من

## للإمام أحمد بن حنبل

فنقول وبالله المستعان : هو أحمد بن محمد بن حنبل بن حلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن  
حيان بن عبد الله بن أنس بن هوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن حكاية بن  
سحب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة  
ابن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهيمس بن حنبل بن النبت بن قيدار بن إسحاق بن  
إبراهيم الخليل عليهما السلام - أبو عبد الله الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي ، هكذا ساق نسبه

الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في الكتاب الذي جمعه في مناقب أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرک ، وروى عن صالح بن الإمام أحمد قال : رأى أبي هذا النسب في كتاب لي فقال : وما تصنع به ؟ ولم ينكر النسب ، قالوا : وقدم به أبوه من مرو وهو حل فوضعت أمه بينداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة ، وتوفى أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه . قال صالح عن أبيه : فنقبت أذني وجعلت فيها لؤلؤتين فلما كبرت دفعتهما إلى فبعتهما بثلاثين درهما . وتوفى أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله .

وقد كان في حدائته يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف ، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث ، فكان أول طلبه للحديث وأول سماعه من مشايخه في سنة سبع ومائتين ومائة ، وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة ، وأول حجة حجها في سنة سبع ومائتين ومائة ، ثم سنة إحدى وتسعين . وفيها حج الوليد بن مسلم ، ثم سنة ست وتسعين ، وبعاور في سنة سبع وتسعين ، ثم حج في سنة ثمان وتسعين ، وبعاور إلى سنة تسع وتسعين سافر إلى عند عبد الرزاق إلى اليمن ، فكتب عنه هو ويحيى بن ميمون وإسحاق بن راهويه . قال الإمام أحمد : حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا ، أنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما . قال : وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول : يا عباد الله دلوني على الطريق ، فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق . قال : وخرجت إلى الكوفة فكنيت في بيت تحت رأس لبننة ، ولو كان عندي تسعون درهما كنت : حلت إلى جري بن عبد الحميد إلى الري وخرج بهض أصحابنا ولم يمكنني الخروج لأنه لم يكن عندي شيء . وقال ابن أبي حاتم عن أبيه عن حرمة : سمعت الشافعي قال : وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر فلم يقدم . قال ابن أبي حاتم : يشبه أن تكون خفة ذات اليد منعتة أن يني بالعدة . وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والآفاق ، وسمع من مشايخ مصر ، وكانوا يجالونه ويحترمونه في حال سماعه منهم ، وقد سرد شيخنا في تهذيبه أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم ، وكذلك الرواة عنه . قال البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الإمام أحمد : وقد ذكر أحمد بن حنبل في المستدرک وغيره الرواية عن الشافعي ، وأخذ عنه جملة من كلامه في أنساب قريش ، وأخذ عنه من القصة ما هو مشهور ، وحين توفى أحمد وجدوا في تركته رسائل الشافعي القديمة والجديدة .

قلت : قد أفرد ما رواه أحمد عن الشافعي وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثا ، ومن أحسن ما رواه عن الإمام أحمد عن الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال قال رسول الله (ص) : « نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجمه

إلى جسده يوم بئث . « وقد قال الشافعي لأحمد لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد سنة تسعين<sup>(١)</sup> ومائة وهر أحمد إذ ذلك نيف وثلاثون سنة . قال له : يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فأدعني به أذهب إليه حجازياً كان أو شامياً أو عراقياً أو يمنياً - يعني لا يقول بقول فقهاء الحجاز الذين لا يقبلون إلا رواية الحجازيين وينزلون أحاديث من سواهم منزلة أحاديث أهل الكتاب - وقول الشافعي له هذه المقالة تعظيم لأحمد وإجلال له وأنه عنده بهذه المناهبة إذا صحح أو ضعف يرجع إليه . وقد كان الامام أحمد بهذه المناهبة عند الأئمة والعلماء كما سيأتي ثناء الأئمة عليه واعترافهم له بنو المسكنة في العلم والحديث ، وقد بعد صيته في زمانه واشتهر اسمه في شيعته في الآفاق .

ثم حكى البيهقي كلام أحمد في الايمان وأنه قول وعمل وبزيد وينقص ، وكلامه في القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنكاره على من يقول : إن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن . قال : وفيها حكى أبو عمار وأبو جعفر أخبرنا أحمد شيخنا السراج عن أحمد بن حنبل أنه قال : اللفظ محدث . واستدل بقوله [ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ] قال : فاللفظ كلام الآدميين . وروى غيرهما عن أحمد أنه قال : القرآن كيف ما تصرف فيه غير مخلوق ، وأما أفعالنا فهي مخلوقة . قلت : وقد قرر البخاري في هذا المعنى في أفعال العباد وذكره أيضاً في الصحيح ، واستدل بقوله عليه السلام : « زينوا القرآن بأصواتكم » . ولهذا قال غير واحد من الأئمة : الكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري . وقد قرر البيهقي ذلك أيضاً .

[ وروى البيهقي من طريق إسماعيل بن محمد بن إسماعيل السلمي عن أحمد أنه قال : من قال : القرآن محدث فهو كافر . ومن طريق أبي الحسن الميثمي عن أحمد أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله تعالى : [ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ] . قال : يحتمل أن يكون تنزيهه إلينا هو المحدث ، لا الذكر نفسه هو المحدث . وعن حنبل عن أحمد أنه قال : يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن ، وهو ذكر رسول الله (س) ، أو وعظه وإيام . ثم ذكر البيهقي كلام الأمام أحمد [ (٢) في رؤية الله في الدار الآخرة ، واحتج بحديث صهيب في الرؤية وهي زيادة ، وكلامه في نفي التشبيه وترك الخوض في الكلام والتسك بما ورد في الكتاب والسنة عن النبي (س) ، وعن أصحابه [ وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السالك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تناول قول الله تعالى : [ وجاء ربك ] أنه جاء ثوابه . ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لاخبار عليه . ] (٣) وقال الأمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن عياش ثنا طلحة عن زر عن عبد الله - هو ابن مسعود -

(١) تقسم أن الرحلة الثانية للشافعي كانت سنة ثمان وتسعين ومائة .

(٢) ، (٣) زيادة من المصرية .

قال : ما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئ . وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه إسناد صحيح . قلت : وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق . والأمر كما قاله ابن مسعود ، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة . وقد قال أحمد حين اجتاز بمحس وقد حمل إلى المأمون في زمن الهنة ودخل عليه عمرو بن عثمان الحضي فقال له : ما تقول في الخلافة ؟ فقال : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ومن قدم علياً على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى لأنهم قدموا عثمان رضي الله عنه .

ورعه وتشفه وزهده رحمه الله

روى البيهقي من طريق المزني عن الشافعي أنه قال للرشيد : إن اليمن يحتاج إلى قاض ، فقال له : اختر رجلاً نوله إياها . فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه : ألا تقبل قضاء اليمن ؟ فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً وقال للشافعي : إني إنما أختلف إليك لأجل العلم الزهد في الدنيا ، فتأمرني أن ألي القضاء ؟ ولولا العلم لما أكلت بعد اليوم . فاستحى الشافعي منه . وروى أنه كان لا يصل خلف عمه إسحاق بن حنبل ، ولا خلف بنيه ولا يكلمهم أيضاً ، لأنهم أخذوا جائزة السلطان . ومكث مرة ثلاثة أيام لا يجيد ما يأكله حتى بعث إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقتاً فصرف أهل حاجته إلى الطعام فمجلوا وعجزوا وخبزوا له سريعاً فقال : ما هذه المجلة كيف خبزتم ؟ فقالوا : وجدنا تنور بيت صالح مسجوراً فخبزنا لك فيه . فقال : ارفعوا ، ولم يأكل وأمر بسد بابه إلى دار صالح . قال البيهقي : لأن صالحاً أخذ جائزة السلطان ، وهو المتوكل على الله . وقال عبد الله ابنه : مكث أبي بالمسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً لم يأكل فيها إلا ربيع مدسوقاً ، يفطر بعد كل ثلاث ليال على سفة منه حتى رجع إلى بيته ، ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر . وقد رأيت موقيه دخلاً في حديقته . قال البيهقي : وقد كان الخليفة يبعث إليه المائدة فيها أشياء كثيرة من الأنواع وكان أحمد لا يتناول منها شيئاً . قال : وبعث المأمون مرة ذهباً يقسم على أصحاب الحديث فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل فانه أبي .

وقال سليمان الشاذكري : حضرت أحمد وقد رهن سطلا له عند فاطمى باليمن ، فلما جاءه بفسكاكه أخرج له سطلين فقال : خذ متادك منهما . فاشتبه به عليه أيهما له فقال : أنت في حل منه ومن الفسكاك ، وتركه وذهب . وسكى ابنه عبد الله قال : كنا في زمن الواثق في ضيق شديد ، فسكب رجل إلى أبي : إن دني أربعة آلاف درهم ورثتها من أبي وليمت صدقة ولازكة ، فان رأيت أن تتبناها . فامتنع من ذلك ، وكرر دنايه فأبى ، فلما كان بعد حين ذكرنا ذلك فقال أبي : لو كنا قبلناها كانت ذهبت وأكناها ، وعرض عليه بعض التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة حملها

باسمه فأبى أن يقبلها وقال : نحن في كفاية وجزاك الله عن قصدك خيراً . وعرض عليه تاجر آخر ثلاثة آلاف دينار فاستنع من قبولها وقام وتركه . ونفدت نفقة أحمد وهو في اليمن فمرض عليه شيخه عبد الرزاق . لم . كفه دنانير فقال : نحن في كفاية ولم يقبلها . وسرقت ثيابه وهو باليمن فجلس في بيته ورد عليه الباب وبقده أصحابه فجاءوا إليه فسألوه فأخبرهم فمرضوا عليه ذهباً فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ليكتب لهم به فكاتب لهم بالأجر رحمه الله . وقال أبو داود : كانت مجالس أحمد بمجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط . وروى البيهقي أن أحمد سئل عن التوكل فقال : هو قطع الاستشراف باليأس من الناس ، فقيل له : هل من حجة على هذا ؟ قال : نعم ! إن إبراهيم لما رمى به في النار في المنجنيق عرض له جبريل فقال : هل لك من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، قال : فسل من لك إليه حاجة . فقال : أحب الأمرين إلى أحبهما إليه .

وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفار قال : كنا مع أحمد بن حنبل بسر من رأى فقلنا : ادع الله لنا فقال : اللهم إنك تعلم أنك على أكثر مما نحب فأجملنا على ما نحب دائماً ، ثم سكت . فقلنا : زدنا فقال : اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسماوات والأرض [ أثقيا طوعاً أو كرهاً قلنا أتينا طائمين ] اللهم وفقنا لمرضاتك ، اللهم إنا نموذ بك من الفقر إلا إليك ، ونموذ بك من الدل إلا لك ، اللهم لا تكثر لنا فتنفي ولا تقل علينا فننسى ، وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلاغا لنا في دنيانا ، وغنى من فضلك . قال البيهقي : وفي حكاية أبي الفضل التميمي عن أحمد : وكان يدعو في السجود : اللهم من كان من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ليكون من أهل الحق . وكان يقول : اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد (ص) ، فداء فأجملني فداء لهم . وقال صالح بن أحمد : كان أبي لا يدع أحداً يستقي له الماء للوضوء ، بل كان يلى ذلك بنفسه ، فإذا خرج الدلو ملآن قال : الحمد لله . فقلت : يا أبة ما الفائدة بذلك ؟ فقال : يا بني أما سمعت قول الله عز وجل [ أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين ] والأخبار عنه في هذا الباب كثيرة جداً . وقد صنّف أحمد في الزهد كتاباً حافلاً عظيماً لم يسبق إلى مثله ، ولم يلحقه أحد فيه . والمظنون بل المقطوع به أنه إنما كان يأخذ بما أمكنه منه رحمه الله .

وقال إسماعيل بن إسحاق السراج : قال لي أحمد بن حنبل : هل تستطيع أن تزييني الحارث الهاشمي إذا جاء منزلك ؟ فقلت : نعم ! وفرحت بذلك ، ثم ذهبت إلى الحارث فقلت له : إني أحب أن تفضل الليلة عندي أنت وأصحابك . فقال : إنهم كثير فأحضر لهم التمر والكسب . فلما كان بين العشاءين جاؤا وكان الأمام أحمد قد سبقهم فجلس في غرفة بحيث يرام ويسمع كلامهم ولا يرونه ، فلما صلوا العشاء الآخرة لم يصلوا بعدها شيئاً ، بل جاؤا فجلسوا بين يدي الحارث سكوناً

مطرق الرؤس ، كأنما على رؤسهم الطير ، حتى إذا كان قريباً من نصف الليل سأله رجل مسألة فشرع الحارث يتكلم عليها وعلى ما يتعاقبها من الزهد والورع والوعظ ، فجعل هذا يبكي وهذا يئن وهذا يزعم ، قال : فصعدت إلى الأمام أحمد إلى الغرفة فاذا هو يبكي حتى كاد ينشئ عليه ، ثم لم يزالوا كذلك حتى الصباح ، فلما أرادوا الانصراف قلت : كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال : ما رأيت أحداً يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل ، وما رأيت مثل هؤلاء ، ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمع بهم . قال البيهقي : يحتمل أنه كرهه له محبتهم لأن الحارث بن أسد ، وإن كان زاهداً ، فإنه كان عنده شيء من علم الكلام ، وكان أحد يكره ذلك ، أو كرهه له محبتهم من أجل أنه لا يطبق سلوك طريقتهن وما هم عليه من الزهد والورع . قلت : بل إنما كره ذلك لأن في كلامهم من التفتش وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع والتدقيق والحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أمر ، ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بالرعاية قال : هذا بدعة . ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب : عليك بما كان عليه مالك والثوري والأوزاعي والليث ، ودع عنك هذا فإنه بدعة . وقال إبراهيم الحربي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب فدم له على ما يحب . وقال : الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر . وقال : الفقر أشرف من النفي ، فإن الصبر عليه مرارة وازتراجه أعظم حالا من الشكر . وقال : لا أعدل بفضل الفقر شيئاً . وكان يقول : على العبد أن يقبل الرزق بعد اليأس ، ولا يقبله إذا تقدمه طمع أو استشراف . وكان يحب التقلل من الدنيا لأجل خفة الحساب . وقال إبراهيم قال رجل لأحمد : هذا العلم تعلمته لله ؟ فقال له أحمد : هذا شرط شديد ولكن حبيب إلى شيء فجمعت . وفي رواية أنه قال : أما لله فمزيز ، ولكن حبيب إلى شيء فجمعت . وروى البيهقي أن رجلاً جاء إلى الأمام أحمد فقال : إن أمي زمنة مقعدة منذ عشرين سنة ، وقد بعثني إليك لتدعو لها ، فكأنه غضب من ذلك وقال : نحن أحوج أن تدعو هي لنا من أن ندعو لها . ثم دعا الله عز وجل لها . فرجع الرجل إلى أمه فدق الباب فخرجت إليه على رجلها وقالت : قد وهبني الله العافية . وروى أن سائلاً سأله فأعطاه الامام أحمد قطعة قمام رجل إلى السائل فقال : هبني هذه التغطية حتى أعطيك موضها ، ما تسارى درهما . فأبى فرتاه إلى خمسين درهما وهو يأبى وقال : إني أرجو من بركتها ما أرجوه أنت من بركتها . ثم قال البيهقي رحمه الله :

ذكر ما جاء في محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل

في أيام المأمون ثم المنتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء المنادب وأليم العقاب ، وقلة مبالته بما كان منهم في ذلك إليه وصبر عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين التويم والصراف المستقيم ، وكان أحمد عالماً بما ورد بمثل حاله من

الآيات المنلوحة ، والأخبار المأثورة ، وبلغه ما أوصى به في المنام واليقظة فرضى وسلم بإيمان واحتساباً ،  
 وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة ، وهياه الله بما آتاه من ذلك ليلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من  
 أوليائه ، وألحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى إن شاء الله من غير بلية وبالله التوفيق والمعصمة .  
 قال الله تعالى [ بسم الله الرحمن الرحيم ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ،  
 ولقد تمنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ] وقال الله تعالى [ واصبر على  
 ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ] في سواها في معنى ما كتبنا . وقد روى الامام أحمد المنعني في  
 مسنده قائلا فيه : حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عاصم بن بهدلة سمعت مصعب بن سعد يحدث  
 عن سعد قال : سألت رسول الله (ص) : أي الناس أشد بلاء ؟ فقال : « الأنبياء ، ثم الأمثل  
 فالأمثل ، يبتلى الله الرجل على حسب دينه ، فان كان رقيق الدين ابتلى على حسب ذلك ، وإن كان  
 صلب الدين ابتلى على حسب ذلك ، وما يزال البلاء بالرجل حتى يمشي على الأرض وما عليه  
 خطيئة » . وقد روى مسلم في صحيحه قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا أبو برب عن أبي قلابة عن  
 أنس . قال قال رسول الله (ص) : « ثلاثة من كن فيه فقد وجد حلوة الايمان : من كان الله ورسوله  
 أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يصدق في النار أحب إليه من أن يرجع  
 الى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » . أخرجاه في الصحيحين :

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا أحمد بن حنبل ثنا أبو المظيرة ثنا صفوان بن عمرو السكسكي  
 ثنا عمرو بن قيس السكوني ثنا عاصم بن حميد قال : سمعت معاذ بن جبل يقول : « إنكم لم تروا إلا  
 بلاء وفتنة ، ولن يزداد الأمر إلا شدة ، ولا النفس إلا شحاً » . وبه قال معاذ : « لن تروا من  
 الأئمة إلا غلظة ولن تروا أمراً يهولكم ويشد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشد منه » . قال البغوي :  
 سمعت أحمد يقول : اللهم رضنا . وروى البيهقي عن الربيع قال بعثني الشافعي بكتاب من مصر  
 إلى أحمد بن حنبل ، فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر فدفنت إليه الكتاب فقال : أقرأته ؟ قلت :  
 لا فأخذته فقرأه فدمعت عيناه ، فقلت : يا أبا عبد الله وما فيه ؟ فقال : يذكر أنه رأى رسول الله  
 (ص) في المنام فقال : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأقرأ عليه من السلام وقل له :  
 إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجههم ، يرض الله لك علماً إلى يوم القيامة . قال  
 الربيع : قلت حلوة البشارة ، فطلع قبضه الذي يلنى جلده فأعطانيه ، فلما رجعت إلى الشافعي  
 أخبرته قال : إنى لست أجمعك فيه ، ولكن به بالماء وأعطيتيه حتى أتبرك به

### ملخص الفتنة والهجنة من كلام أئمة السنة

قد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المنزلة فأزاعوه عن طريق الحق

إلى الباطل ، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفى الصفات عن الله عز وجل . قال البيهقي : ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبنى المباس خليفة الا على منصب السلف ومنهاجهم ، فلما ولي هو الخليفة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزينوا له ، وانفق خروجه إلى طرسوس لنزول الروم فكتب إلى نائبه ببنداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، وانفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثمان مائة وستين . فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فاستمعوا ، فهدموا بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكهين : واستمر على الامتناع من ذلك الامام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجند يسابوري ، فحلا على بدير وسيرا إلى الخليفة عن أمره بذلك ، وهما مقيدان متعادلان في مجل على بدير واحد فلما كانا ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر ، فسلم على الامام أحمد وقال له : يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فأياك أن نهيهم إلى ما يدعونك إليه فيجيئوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه ، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل ، وإنك إن لم تقتل تمت ، وإن هشت هشت حيناً . قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه . فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحضة جاء خادم وهو يسح دموعه بطرف ثوبه ويقول : يمز على يا أبا عبد الله إن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك ، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله (ص) ، لئن لم نجيء إلى القول بخلق القرآن ليقتلناك بذلك السيف . قال : لجنى الامام أحمد على ركبته ورمى بطرفه إلى السماء وقال : سيدي غر حلك هذا الفاجر حتى نهبراً على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم فان يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته . قال : فجاهم الصريح بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل . قال أحمد : ففرحنا ، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخليفة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد ، وأن الأمر شديد ، فردونا إلى بنداد في سفينة مع بعض الأسارى ، ونالت منهم أذى كثير ، وكان في رجله القيود ، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه أحمد ، فلما رجع أحمد إلى بنداد دخلها في رمضان ، فأودع في السجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ، وقبيل نيفاً وثلاثين شهراً ، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم . وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصل في أهل السجن والقيود في رجله .

### ذكر ضربه رضي الله عنه بين يدي المعتصم

لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده ، قال أحمد : فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في



النسكة وحملتها بيدي ، ثم جاؤني بداية فحملت عليها فسكنت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يسكنني ، فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم ، فأدخلت في بيت وأغلق على وليس عندي سراج ، فأردت الرضوء فددت يدي فاذا إناه فيه ماء فنوضأت منه ، ثم قمت ولا أعرف القبلة ، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة والله الحمد . ثم دعيت فأدخلت على المعتصم ، فلما نظر إلى وعنده ابن أبي دؤاد قال : أليس قد زعمتم أنه حدث السن وهذا شيخ مكمل ؟ فلما دنوت منه وسلمت قال لي : ادنه ، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال : اجلس الجالست وقد أمقلني الحديد ، فسكنت ساعة ثم قلت : يا أمير المؤمنين إلى م دعا إليه ابن عمك رسول الله (س) ، قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله . قلت : فاني أشهد أن لا إله إلا الله . قال : ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس ثم قلت : فهذا الذي دعا إليه رسول الله (س) . قال : ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه ، وذلك أني لم أتمقه كلامه ، ثم قال المعتصم : لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أعرض إليك ، ثم قال : يا عبد الرحمن ألم أمرك أن ترفع الحنة ؟ قال أحمد : فقلت ، الله أكبر ، هذا فرج للسلمين ، ثم قال : ناظره يا عبد الرحمن ، كله . فقال لي عبد الرحمن : ماتقول في القرآن ؟ فلم أجبه ، فقال المعتصم : أجبه فقلت : ما تقول في العلم ؟ فسكت . فقلت . القرآن من علم الله ، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله ، فسكت فقالوا فيما بينهم : يا أمير المؤمنين كفرنا وكفرنا ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فقال عبد الرحمن : كان الله ولا قرآن ، فقلت : كان الله ولا علم ؟ فسكت . فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به ، فقال : ابن أبي دؤاد : وأنت لاتقول إلا بهذا وهذا ؟ فقلت : وهل يقوم الاسلام إلا بهما . وجرت مناظرات طويلة ، واحتجوا عليه بقوله [ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ] وبقوله [ الله خالق كل شيء ] وأجاب : ما حاصله أنه عام مخصوص بقوله [ تدمر كل شيء بأمر ربها ] فقال ابن أبي دؤاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع ، وهنا قضاتك والفقهاء فسلمهم ، فقال لهم : ما تقولون ؟ فأجابوا بمنزل ما قال ابن أبي دؤاد ، ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضاً ثم في اليوم الثالث ، وفي ذلك كله يملو صوته عليهم وتقلب حجته حججهم . قال : فاذا سكنوا ففتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد ، وكان من أجعلهم بالعلم والكلام ، وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالنقل ، فجلسوا ينكرون الأكارم ويردون الاحتجاج بها ، وصحمت منهن مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها ، وقد تكلم معي ابن هوث (١) بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه ، فقلت : لا أدرى ما تقول ، إلا أني أعلم أن الله أحد صمد ، ليس كمثل شيء ، فسكت عنى . وقد أوردت لهم حدث

(١) في هامش الأصل : له ابن غياث وهو المرسي .

لروية في الدار الآخرة غاؤلوا أن يضمفوا إسناده ويلفقوا عن بعض الحديثين كلاماً يستلثون به إلى الطعن فيه ، وهبهات ، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ؟ وفي غبون ذلك كله يتلطف به للليفة ويقول : يا أحمد أجبني إلى هذا حتى أملك من خاصق ومن يظاً بساطي . فأقول : يا أمير المؤمنين يأتي من آية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله ص ، حتى أجيهم إليها .

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى [ يا أيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ] وقوله [ وكلم الله موسى تكليماً ] وقوله [ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ] وقوله : [ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ] ونحو ذلك من الآيات . فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل . وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد : يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخليفة أن تخلى سبيله وينهب خليتين ، ففند ذلك جنى واشتد فضبه ، وكان ألينهم حربكة ، وهو يظن أنهم على شيء . قال أحمد ففند ذلك كالى : لعنتك الله ، طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني ، ثم قال : خذوه واخلموه واسحبوه . قال أحمد : فأخذت وسجبت وخذلت وجى بالمعاقبين والسياط وأنا أنظر ، وكان موى شمرا من شمرا النهى ص ، معروضة في ثوبى ، فجردوني منه وصرت بين المعاقبين ، قلت : يا أمير المؤمنين الله الله ، إن رسول الله ص ، قال : « لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بأحدى ثلاث » وتلوت الحديث ، وأن رسول الله ص ، قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا عصموا عنى دماءهم وأموالهم » : فبم تستحل دوى ولم آت شيئاً من هذا ؟ يا أمير المؤمنين اذكر وتفرك بين الله كرفوى بين يديك ، فكأنه أسك . ثم لم يزالوا يقولون له : يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر ، فأمر بى قدمت بين المعاقبين وجى بكرسى فأقت عليه وأمرى بمضهم أن آخذ بيدي بأى الخشبتيين فلم أفهم ، فتخلدت يداى وجى بالضرايين ومهم السياط لجعل أحدم يضربنى سوطين ويقول له - إمنى المتصم - : شد قطع الله يديك ، وبجنى الآخر فيضربنى سوطين ثم الآخر كذلك ، فضربونى أسواطاً فأغنى على وذهب عقتى مراراً ، فإذا سكن الضرب يعود على عقتى ، وقام المتصم إلى يدهونى إلى قولهم فلم أجه ، وجعلوا يقولون : وبك الخليفة على رأسك ، فلم أقبل وأعدوا الضرب ثم عاد إلى فلم أجه ، فأعادوا الضرب ثم جاء إلى الثالثة ، فدعاى فلم أعقل ما قال من شعة الضرب ، ثم أعدوا الضرب فذهب عقتى فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمرى وأمر بى فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا فى حجرة من بيت ، وقد أطلقت الأقياد من رجل ، وكان ذلك فى اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين ، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله ، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً ، وقيل ثمانين سوطاً ، لكن كان ضرباً مبرحاً

شديداً جداً . وقد كان الامام أحمد رجلاً طويلاً رقيقاً أسمر اللون كثير التواضع رحمه الله .  
ولما حل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم ، أتوه بسويق ليفطر من الضمير  
فامنع من ذلك وأتم صومه ، وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن سماعة القاضى  
وصلبت في دمك فقال له أحمد : قد صلى عمر وجرحه يشعب دماً ، فسكت . وبروى أنه لما أتيم  
ليضرب انقطعت تكة سراويله فغشى أن ينسبط سراويله فتكشفت عورته فحرك شفتيه فدعا الله  
فعاد سراويله كما كان ، وبروى أنه قال : يا غياث المستغيثين ، يا إله العالمين ، إن كنت تعلم أى عام  
لك بحق فلا تهنك لى عورة .

ولما رجع إلى منزله جاءه الجرايمى فقطع لهما ميتاً من جسده وجعل يداويه والنائب فى كل وقت  
يسأل عنه ، وذلك أن المنعم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندماً كثيراً ، وجعل يسأل النائب عنه  
والنائب يستعلم خبره ، فلما عرف فرح المنعم والمسلمون بذلك ، ولما شفاه الله بالعافية بقى مدة  
وإبهاماه يؤذيها البرد ، وجعل كل من آذاه فى حل إلا أهل البدعة ، وكان يتلو فى ذلك قوله تعالى  
[ وليمضوا وليصنعوا ] الآية . ويقول : ماذا يفعلك أن يعذب أخوك المسلم بسببك ؟ وقد قال تعالى  
[ فن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ] وينادى المنادى يوم القيامة : « ليقيم من  
أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا » وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله (س) :  
« ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه الله »  
وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا بالكلية أربعة <sup>(١)</sup> : أحمد بن حنبل وهو رئيسهم ، ومحمد بن  
نوح بن ميمون الجندى ، ومات فى الطريق . ونعيم بن حماد الخزازى ، وقد مات فى السجن ،  
وأبو يعقوب البوبلى وقد مات فى سجن الرائق على القول بخلق القرآن . وكان مثقلاً بالحديد .  
وأحمد بن نصر الخزازى وقد ذكرنا كيفية مقتله .

### ثناء الأئمة على الامام أحمد بن حنبل

قال البخارى : لما ضرب أحمد بن حنبل كناً بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسى يقول :  
لو كان أحمد فى بنى إسرائيل لكان أحدوثه . وقال إسماعيل بن الخليل : لو كان أحمد فى بنى إسرائيل  
لكان نبياً . وقال المزنى : أحمد بن حنبل يوم الحنة ، وأبو بكر يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وعثمان  
يوم الدار ، وعلى يوم الجمل وصفين . وقال حرمة : سمعت الشافعى يقول : خرجت من العراق فإ  
تركت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل . وقال شيخ أحمد يحيى بن سعيد  
القطان : ما قدم على بسداد أحد أحب إلى من أحمد بن حنبل . وقال قتبية : مات سفيان الثورى  
ومات الورع ، ومات الشافعى وماتت السنن ، وبموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع . وقال إن أحمد  
(١) م خمسة كاسيانى .

ابن حنبل قام في الأمة مقام النبوة . قال البيهقي - يعني في صبره على ما أصابه من الأذى في ذات الله - وقال أبو عمر بن النحاس - وذكر أحمد يوماً - فقال رحمه الله : في الدين ما كان أبصره ، ومن الدنيا ما كان أصبره ، وفي الزهد ما كان أخبره ، وبالصالحين ما كان ألحقه ، وبالمؤمنين ما كان أشبهه ، عرضت عليه الدنيا فأبأها ، والبدع فنفاها . وقال بشر الحافي بعد ما ضرب أحمد بن حنبل : أدخل أحمد الكبير فرج ذهاباً أحر . وقال الميموني قال لي علي بن المديني بعد ما امتحن أحمد وقيل قبل أن يمتحن : يا ميمون ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل : فمجيبت من هذا هيباً شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال : صدق ، إن أبا بكر وجد يوم الردة أنصاراً وأعواناً ، وإن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان . ثم أخذ أبو عبيد يطري أحمد ويقول : لست أعلم في الإسلام مثله . وقال إسحاق بن راهويه : أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه . وقال علي بن المديني : إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان . وقال أيضاً : إني اتخذت أحمد حجة فيما بيني وبين الله عز وجل ، ثم قال : ومن يقوى على ما يقوى عليه أبو عبد الله ؟ وقال يحيى بن معين : كان في أحمد بن حنبل خصل ما رأيتها في عالم قط ، كان محدثاً ، وكان حافظاً ، وكان عالماً ، وكان ورعاً ، وكان زاهداً ، وكان عاقلاً . وقال يحيى بن معين أيضاً : أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل ، والله ما تقوى أن نكون مثله ولا نطبق سلوك طريقه . وقال الذهلي : اتخذت أحمد حجة فيما بيني وبين الله . وقال حلال بن المعل الرقي : من الله على هذه الأمة بأربعة : بالشافعي فهم الأحاديث وفسرها ، وبين مجملها من مفصلها ، وبالغصص والعام والناسخ والمسنوخ . وبأبي عبيد بن غريبتها . وبيحيى بن معين في الكتب عن الأحاديث ، وبأحمد بن حنبل ثبت في الحنة لولا هؤلاء الأربعة هلك الناس . وقال أبو بكر ابن أبي داود : أحمد بن حنبل مقدم على كل من يحمل بيده قلماً ومحريرة - يعني في عصره - وقال أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأيت من رأى مثله . وقال أبو زرعة الرازي : ما أعرف في أصحابنا أسود الرأس أقه منه . وروى البيهقي عن الحاكم عن يحيى بن محمد المنبري قال : أنشدنا أبو عبد الله البوسندي في أحمد بن حنبل رحمه الله : -

إن ابن حنبل ان سألنا إيماننا • وبه الأئمة في الأنام تمسكوا  
خلف النبي محمداً بمدة الألى • خلفوا الخلف بمدة واستهلكوا  
حفتوا الشرك على الشرك وإنما • يحسنو المثال مثله المستسك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله (ص) أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . وروى البيهقي عن

أبي سعيد الماليني عن ابن عدي عن أبي القاسم البغوي عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن بقة بن الوليد عن معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ح . قال البغوي : وحدثني زياد بن أيوب حدثنا بمشعر عن معاذ عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ح . قال البغوي قال قال رسول الله ص : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » وهذا الحديث مرسل وإسناده فيه ضعف . والمعجب أن ابن عبد البر صححه واحتج به على عدالة كل من حمل العلم ، والامام أحمد من أئمة أهل العلم رحمه الله واكرم منواه .

### ما كان من أمر الامام احمد بعد المحنة

حين خرج من دار الخلافة صار إلى منزله فدوى حتى برأ والله الحمد ، ولزم منزله فلا يخرج منه إلى جمعة ولا جماعة ، وامتنع من التحديث ، وكانت غلته من ملك له في كل شهر سبعة عشر درهما ينفقها على عياله وينتفع بذلك رحمه الله صابرا محتسبا . ولم يزل كذلك مدة خلافة المنتصم ، وكذلك في أيام ابنه محمد الواثق ، فلما ولي المتوكل على الله انطلاقة استبشر الناس بولايته ، فانه كان محبا للسنة وأهلها ، ورفع المحنة عن الناس ، وكتب إلى الآفاق لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن ، ثم كتب إلى نائبه ببغداد - وهو إسحاق بن إبراهيم - أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه ، فاستدعى إسحاق بالامام أحمد إليه فأكرمه وعظمه ، لما يلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه ، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن فقال له أحمد : سؤائك هذا سؤال تمت أو استرشاد . فقال : بل سؤال استرشاد . فقال : هو كلام الله منزل غير مخلوق ، فسكن إلى قوله في ذلك ، ثم جهزه إلى الخليفة إلى سر من رأى ثم سبقه إليه . وبلغه أن أحمد اجتاز بابنه محمد بن إسحاق فلم يأت به ولم يسلم عليه ، فغضب إسحاق بن إبراهيم من ذلك وشكاه إلى الخليفة فقال المتوكل : يرد وإن كان قد وطئ بساطي ، فرجع الامام أحمد من الطريق إلى بغداد . وقد كان الامام أحمد كارها لحيثه إليهم ولكن لم يهن ذلك على كثير من الناس وإنما كان رجوعه عن قول إسحاق بن إبراهيم الذي كان هو السبب في ضربه . ثم إن رجلا من المبتدعة يقال له ابن البلخي وشي إلى الخليفة شيئا فقال : إن رجلا من العلويين قد أوى إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبائع له الناس في الباطن . فأمر الخليفة نائب بغداد أن يكبس منزل أحمد من الليل . فلم يشمروا إلا والمشاهل قد أحاطت بالدار من كل جانب حتى من فوق الأسطحة ، فوجدوا الامام أحمد جالسا في داره مع عياله فسألوه عما ذكر عنه فقال : ليس عندي من هذا علم ، وليس من هذا شيء ولا هنا من نيتي ، وإني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والملاية ، وفي عسري يسرى ومشطى ومكرهى ، وأثره على ، وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق ، في الليل والنهار ، في كلام كثير . ففتشوا منزله حتى مكان الكتب وبيوت النساء والأسطحة وغيرها فلم يروا شيئا . فلما بلغ

المتوكل ذلك وعلم براءته مما نسب إليه علم أنهم يكتبون عليه كثيراً ، فبعث إليه يعقوب بن إبراهيم المروف بقوصرة - وهو أحد الحجبة - بمشرة آلاف درهم من الخليفة ، وقال : هو يقرأ عليك السلام ويقول : استبفق هذه ، فامتنع من قبولها . فقال : يا أبا عبد الله إني أخشى من ردك إياها أن يقع وحشة بينك وبينه ، والمصلحة لك قبولها ، فوضهها عنده ثم ذهب فلما كان من آخر الليل استدعى أحمد أهله وبنى عمه وعباله وقال : لم أتم هذه الأيلة من هذا المال ، فجلسوا وكتبوا أسماء جماعة من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، ثم أصبح ففرقها في الناس مابين الحسين إلى المائة والمائتين ، فلم يبق منها درهما ، وأعطى منها لأبي أيوب وأبي سعيد الأشج ، وتصدق بالكنيس الذي كانت فيه ، ولم يعط منها لأهل شيتاً وهم في غاية الفقر والجهد ، وجاء بنو ابنه فقال : اعطى درهما . فنظر أحمد إلى ابنه صالح فتناول صالح قطعة فأعطاهما الصبي فسكت أحمد . وبلغ الخليفة أنه تصدق بالجائزة كلها حتى كيسها ، فقال علي بن الجهم : يا أمير المؤمنين إنه قد قبلها منك وتصدق بها عنك ، وماذا يصنع أحمد بالمال ؟ إنما يكفيه رقيق فقال : صدقت .

فلما مات إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد ولم يكن بينهما إلا القريب ، وتولى نيابة بغداد عبد الله ابن إسحاق ، كتب المتوكل إليه أن يحمل إليه الامام أحمد ، فقال لأحمد في ذلك فقال : إني شيخ كبير وضعيف ، فرد الجواب على الخليفة بذلك ، فأرسل يعزم عليه لتأنيبي ، وكتب إلى أحمد : إني أحب أن آس بقرتك وبالنظر إليك ، ويحصل لي بركة دعائك . فسار إليه الامام أحمد - وهو هليل - في بنيه وبعض أهله ، فلما قارب المسكر تلقاه وصيف الخادم في موكب عظيم ، فسلم وصيف على الامام أحمد فرد السلام وقال له وصيف : قد أمكنك الله من عدوك ابن أبي دؤاد . فلم يرد عليه جواباً ، وجعل ابنه يدعو الله للخليفة ولوصيف . فلما وصلوا إلى المسكر بسر من رأى ، أنزل أحمد في دار إبتاخ ، فلما علم بذلك ارتحل منها وأصر أن يستكرى له دار غيرها . وكان رؤس الأمراء في كل يوم يحضرون عنده ويلقونهم عن الخليفة السلام ، ولا يدخلون عليه حتى يقلعون ما عليهم من الزينة والسلاح . وبعث إليه الخليفة بالفارش الوطيئة وغيرها من الآلات التي تليق بتلك الدار العظيمة ، وأراد منه الخليفة أن يقيم هناك ليحدث الناس عوضاً عما فاتهم منه في أيام الهنة وما بعدها من السنين المتطاولة ، فاعتذر إليه بأنه هليل وأسنانه تتحرك وهو ضعيف فكان الخليفة يبعث إليه في كل يوم مائة فيها ألوان الأظمة والفاكهة والتلج ، مما يقاوم مائة وعشرين درهما في كل يوم ، والخليفة يحسب أنه يأكل من ذلك ، ولم يكن أحمد يأكل شيئاً من ذلك بالكلية ، بل كان صائماً يطوى ، فشك ثمانية أيام لم يستطع بطعام ، ومع ذلك هو صريض ، ثم أقسم عليه ولده حتى شرب قليلاً من السويق بعد ثمانية أيام . وجاء عبيد الله بن يحيى بن خاقان بمال جزيل من الخليفة جائزة له فامتنع

من قبله ، فألح عليه الأمير فلم يقبل . فأخذها الأمير ففرقها على بنيه وأهله ، وقال : إنه لا يمكن ردها على الخليفة . وكتب الخليفة لأهله وأولاده في كل شهر بأربعة آلاف درهم ، فأنفق أبو عبد الله الخليفة ، فقال الخليفة : لا بد من ذلك ، وما هذا إلا لولدك . فأمسك أبو عبد الله عن مما نعته ثم أخذ يلوم أهله وعمه ، وقال لهم : إنما بقي لنا أيام قلائل ، وكأننا قد نزل بنا الموت ، فاما إلى جنة وإما إلى نار ، فنخرج من الدنيا ويطوننا قد أخذت من مال هؤلاء . في كلام طويل يعظم به . فاحتجوا عليه بالحديث الصحيح « ما جاءك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف فخذ » . وأن ابن عمر وابن عباس قبل جوائز السلطان . فقال : وما هذا وذاك سواء ، ولو أعلم أن هذا المال أخذ من حقه وليس يظلم ولا جور لم أبال .

ولما استمر ضعفه جعل المتوكل يبعث إليه ابن ماسويه المتطبب لينظر في مرضه ، فرجع إليه فقال : يا أمير المؤمنين إن أحمد ليس به علة في بدنه ، وإنما علته من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة . فسكت المتوكل ثم سألت أم الخليفة منه أن ترى الامام أحمد ، فبعث المتوكل إليه يسأله أن يجتمع بابنه المعتز ويدهوله ، وليكن في حجره . فتمنع من ذلك ثم أجاب إليه رجا أن يجعل يرجوه إلى أهله ببغداد . وبعث الخليفة إليه بخلمة سنية ومركوب من مراكبه ، فتمنع من ركوبه لأنه عليه ميثة نمر ، فجيء ببغل لبعض التجار فركبه وجاء إلى مجلس المعتز ، وقد جلس الخليفة وأمه في ناحية في ذلك المجلس ، من وراء ستر رقيق . فلما جاء أحمد قال : سلام عليكم . وجلس ولم يسلم عليه بالامرة ، فقالت أم الخليفة : الله الله يا بني في هذا الرجل ترده إلى أهله ، فان هذا ليس ممن يريد ما أنتم فيه . وحين رأى المتوكل أحمد قال لأمه : يا أمه قد تأنست الدار . وجاء الخادم ومعه خلمة سنية مبطنة وثوب وقلنسوة وطيلسان ، فألبسها أحمد بيده ، وأحمد لا يتحرك بالكلمة . قال الامام أحمد : ولما جلست إلى المعتز قال مؤدبه : أصلح الله الأمير هذا الذي أمر الخليفة أن يكون مؤدبك . فقال : إن علمني شيئاً تعلمته ، قال أحمد : فتعجبت من ذكائه في صغره لأنه كان صغيراً جداً ففرج أحمد عنهم وهو يستغفر الله ويستعيد بالله من مقتته وغضبه .

ثم بعد أيام أذن له الخليفة بالانصراف وهياً له خزاقة فلم يقبل أن ينحدر فيها ، بل ركب في زورق فدخل بغداد مختفياً ، وأمر أن تباع تلك الخلمة وأن يتصدق بشئها على الفقراء والمساكين . وجعل أياماً يتألم من اجتماعهم بهم ويقول : سلمت منهم طول عمرى ثم ابتليت بهم في آخره . وكان قد جاع عندهم يوماً نظماً كثيراً حتى كاد أن يقتله الجوع . وقد قال بعض الأمراء للمتوكل : إن أحمد لا يأكل لك طعاماً ، ولا يشرب لك شراباً ، ولا يجلس على فرشك ، ويجرم ما تشربه . فقال : والله لو نشر المتعم وكلفني في أحمد ما قبلت منه . وجملت رسل الخليفة تغد إليه في كل يوم تستعلم أخباره

وكيف حاله . وجعل يستغني في أموال ابن أبي دؤاد فلا يجيب بشئ ، ثم إن المتوكل أخرج ابن أبي دؤاد من سر من رأى إلى بغداد بعد أن أشهد عليه نفسه ببيع ضياعه وأملاكه وأخذ أمواله كلها . قال عبد الله بن أحمد : وجين رجع أبي من سلمرا وجدنا هيليه قد دخلنا في موقيه ، وما رجعت إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر ، وامتنع أن يدخل بيت قرابته أو يدخل بيتنا م فيه أو يلتفت بشئ مما م فيه لأجل قبولهم أموال السلطان .

وكان مسير أحمد إلى المتوكل في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم مكث إلى سنة وفاته وكل يوم إلا ويسأل عنه المتوكل ويوفد إليه في أمر ريشاوره فيها ، ويستشيره في أشياء تقع له . ولما قدم المتوكل بغداد بعث إليه ابن خاقان ومعه ألف دينار ليفرقها على من يرى ، فامتنع من قبولها وتفرقتها ، وقال : إن أمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره فردها . وكتب رجس رقعة إلى المتوكل يقول : يا أمير المؤمنين إن أحمد يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة . فكتب فيها المتوكل : أما المأمون فإنه خلط فسلط الناس على نفسه ، وأما أبي المنعم فإنه كان رجل حرب ولم يكن له بصر بالكلام ، وأما أخى الوائق فإنه استعق ما قيل فيه . ثم أمر أن يضرب الرجل الذي رفع إليه الرقعة مائق سوط ، فأخذته عبد الله بن إسحاق ابن إبراهيم فضربه خمسمائة سوط . فقال له الخليفة : لم ضربته خمسمائة سوط ؟ فقال : مائتين لطاعتك ومائتين لطاعة الله ، ومائة لكونه قنف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل .

وقد كتب الخليفة إلى أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال لعنت ولا امتحان ولا عناد . فكتب إليه أحمد رحمه الله رسالة حسنة فيها آثار عن الصحابة وغيرهم ، وأحاديث مرفوعة . وقد أوردتها ابنه صالح في المحنة التي ساقها ، وهي بروية عنه ، وقد نقلها غير واحد من الحفاظ .

### وفاة الأمام أحمد بن حنبل

قال ابنه صالح : كان مرضه في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودخلت عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو محموم يتنفس الصمداء وهو ضعيف ، فقلت : يا أبت ما كان غداؤك ؟ فقال : ماء الباقلا . ثم إن صالحا ذكر كثرة مجيئ الناس من الأكارب ومحموم الناس لميادته وكثرة حرج الناس عليه ، وكان معه خريقة فيها قطيعات ينفق على نفسه منها ، وقد أمر ولده عبد الله أن يطالب سكان ملكه وأن يكفر عنه كفارة يمين ، فأخذ شيئا من الأجرة فاشترى تمرا وكفهرن أبيه ، وفضل من ذلك ثلاثة دراهم . وكتب الامام أحمد وصيته :

( بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العبادين ، وأن يحمده في



الحامدين ، وأن ينصحوا جماعة المسلمين ، وأوصى أنى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وأوصى لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحواً من خمسين ديناراً وهو مصدق فيها فيفضى ماله على من غلة الدار إن شاء الله ، فاذا استوفى أعطى ولد صالح كل ذكر وأنتى عشرة دراهم . ثم استدعى بالصبيان من ورثته فجعل يدعوهم ، وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يوماً . فسماه سعيداً ، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض فدعا ، فانزله وقبله ثم قال : ما كنت أصنع بالولد على كبر السن ؟ فقيل له : ذرية تكون بعدك يدعون لك . قال وذلك إن حصل . وجعل يحمده الله تعالى . وقد بلغه في مرضه عن طلوس أنه كان يكره أن يرضى فترك الأئمة فلم يثن حتى كانت الليلة التي توفى في صبيحتها أن ، وكانت ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، فأن حين اشتد به الوجع . وقد روى عن ابنه عبد الله وبروى عن صالح أيضاً أنه قال : حين احتضر أبى جعل يكثر أن يقول : لا بعد ، لا بعد ، فقلت : يا أبة ما هذه اللفظة التي تلهج بها في هذه الساعة ؟ فقال : يا بنى إن إبليس واقف في زاوية البيت وهو عاض على أصبعه وهو يقول : فنى يا أحمد ؟ فأقول لا بعد لا بعد - يعنى لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد - كما جاء في بعض الأحاديث قال إبليس : يارب وعزتك وجلالك ما أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله : وعزتى وجلالى ولا أزال أغفر لهم ما استغفرونى .

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضؤوه فجعلوا يوضؤوه وهو يشير إليهم أن خلوا أصابعى وهو يذكر الله عز وجل في جميع ذلك ، فلما أكلوا وضؤوه توفى رحمه الله ورضى عنه . وقد كانت وفاته يوم الجمعة حين مضى منه نحو من ساعتين ، فاجتمع الناس في الشوارع وبعث محمد بن طاهر حاجبه ومعه غلمان ومعهم مناديل فيها أكفان ، وأرسل يقول : هذا نياحة عن الخليفة ، فانه لو كان حاضراً لبعث بهذا . فأرسل أولاده يقولون : إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره وأبوا أن يكفونوه بتلك الأكفان ، وأتى بشوب كان قد غزله جاريتسه فكفونوه واشتروا معه عوز لفاقة وحذوفاً ، واشتروا له راوية ماء وامتنعوا أن ينسلوه بماء بيوتهم ، لأنه كان قد هجر بيوتهم فلا يأكل منها ولا يستشير من أمتعتهم شيئاً ، وكان لا يزال متفضلاً عليهم لأنهم كانوا يتناولون ما رتب لهم على بيت المال ، وهو في كل شهر أربعة آلاف درهم . وكان لهم عيال كثيرة وهم فقراء . وحضر غسله نحو من مائة من بيت الخلافة من بنى هاشم ، فجعلوا يقبلون بين عينيه ويدعون له ويترحمون عليه رحمه الله . وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لم يعلم عددهم إلا الله ، ونائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في جملة الناس ، ثم تقدم فمرى أولاد الامام أحمد فيه ، وكان هو الذى أم الناس في الصلاة عليه ، وقد أعاد جماعة الصلاة عليه عند القبر وعلى القبر بعد أن دفن من أجل

ذلك ، ولم يستقر في قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر وذلك لكثرة الخلق .

وقد روى البيهقي وغير واحد أن الأمير محمد بن طاهر أمر بجزر الناس فوجدوا ألف ألف وثلاثمائة ألف ، وفي رواية وسبعمائة ألف سوى من كان في السفن . وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول بلغني أن المثلث أمر أن يسمح الموضع الذي وقف الناس فيه حيث صلوا على الامام أحمد بن حنبل فبأنح مقاسه إلى ألف وخمسمائة ألف . قال البيهقي عن الحاكم سمعت أبا بكر أحمد بن كامل القاضي يقول سمعت محمد بن يحيى الزنجاني سمعت عبد الوهاب الوراق يقول : ما بلغتنا أن جرماً في الجاهلية دلا في الاسلام اجتمعوا في جنازة أكثر من الجمع الذي اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل . فقال عبد الرحمن بن أبي حاتم سمعت أبي يقول حدثني محمد بن العباس المكي سمعت الوراقي - جار أحمد ابن حنبل - قال : أسلم يوم مات أحمد عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وفي بعض النسخ أسلم عشرة آلاف بدل عشرين ألفاً والله أعلم .

وقال الدارقطني : سمعت أبا سهل بن زياد سمعت عبد الله بن أحمد يقول سمعت أبي يقول : قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز حين تمر . وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فانه كان إمام السنة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه . ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان . وكذلك الحارث بن أسد الحاسبي مع زهده وورعه وتنقيده ومحاسناته نفسه في خطراته وحركاته ، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس . وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً ، فله الأمر من قبل ومن بعد . وقد روى البيهقي عن حجاج بن محمد الشاعر أنه قال : ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على الامام أحمد . وروى عن رجل من أهل العلم أنه قال يوم دفن أحمد : دفن اليوم سادس خسة ، وهم أبو بكر ، وهر ، وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وأحمد . وكان عمره يوم مات سبعاً وسبعين سنة وأياماً أقل من شهر رحمه الله تعالى .

### ذكر ما روي له من المتامات

وقد صح في الحديث : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » . وفي رواية « إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له » . وروى البيهقي عن الحاكم سمعت علي بن محشاد سمعت جعفر بن محمد بن الحسين سمعت سلمة بن شبيب يقول : كنا عند أحمد بن حنبل وجاءه شيخ ومعه عكازة فسلم وجلس فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فقال أحمد : أما ما حاجتك ؟ فقال ضربت إليك من أربعمائة فرسخ ، أريت الخضر في المنام فقال لي : سر إلى أحمد بن حنبل وسل عنه وقل له : إن ساكن العرش والملائكة راضون بما صبرت نفسك لله عز وجل . وروى أبي عبد الله محمد بن خزيمة الاسكندراني . قال : لما

مات أحمد بن حنبل اغتممت غما شديداً فرأيتيه في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت له : يا أبا عبد الله أي مشية هذه ؟ فقال : مشية الخدام في دار السلام . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : اغفر لي وتوجني وألبسني نملين من ذهب ، وقال لي : يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي ، ثم قال لي : يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلمتلك عن سفیان الثوري وكنت تدعوهم في دار الدنيا ، فقلت : يارب كل شيء ، بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء حتى لا تسألني عن شيء . فقال لي : يا أحمد هذه الجنة قم فادخلها . فدخلت فإذا أنا بسفيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة ، ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقول [ الحمد لله الذي أورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ] . قال فقلت له : ما فعل بشر الحافي ؟ فقال يضحك ، ومن مثل بشر ؟ تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول : كل يا من لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب ، وانعم يا من لم ينعم ، أو كما قال . وقال أبو محمد بن أبي حاتم عن محمد بن مسلم ابن وارة قال : لما مات أبو زرعة رأيت في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال قال الجبار : الحقوه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله ، مالك والشافعي وأحمد بن حنبل . وقال أحمد بن خرزاد الانطاكي : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد برز الرب جل جلاله ، لفصل القضاء ، وكان منادياً ينادي من تحت العرش : أدخلوا أبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله الجنة . قال فقلت لملك إلى جنبي : من هؤلاء ؟ فقال : مالك ، والثوري ، والشافعي وأحمد بن حنبل . وروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب المقدسي قال : رأيت رسول الله (س) في النوم وهو قائم وعليه ثوب مغلي به وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين يذبان عنه . وقد تقدم في ترجمة أحمد بن أبي دؤاد عن يحيى الجلاء أنه رأى كأن أحمد بن حنبل في حلقة بالمسجد الجامع وأحمد بن أبي دؤاد في حلقة أخرى وكان رسول الله (س) واقف بين الحلقةين ، وهو يتلو هذه الآية [ فان يكفر بها هؤلاء ] ويشير إلى حلقة ابن أبي دؤاد [ فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ] ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه

### ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين

فيها كانت زلازل هائلة في البلاد ، فمنها ما كان بمدينة قوس ، تهدمت منها دور كثيرة ، ومات من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً . وكانت باليمن وخراسان وپارس والشام وغيرها من البلاد زلازل منكرة . وفيها أغارت الروم على بلاد الجزيرة فأنهبوا شيئاً كثيراً وأسروا نحواً من عشرة آلاف من الدراري . فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي نائب مكة .

وفيها توفي من الأعيان الحسن بن علي بن الجهم قاضي مدينة المنصور .

## وأبو حسان الزياتي

قاضى الشرقية ، واسمه الحسن بن هنان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي ،  
 مع الواليد بن مسلم ، ووكيع بن الجراح ، والواقدي ، وخلقا سوام . وعنه أبو بكر بن أبي الدنيا وعلم  
 ابن عبد الله الفرغاني الحافظ المعروف بطلح ، وجماعة . ترجمه ابن عساکر في تاريخه . قال : وليس  
 هو من سلالة زياد بن أبيه ، إنما تزوج بعض أجداده بأمة ولد زياد ، فقبل له الزياتي . ثم أورد من  
 حديثه بسنده عن جابر بن الحلال بن الحرام بن . الحديث . وروي عن الخطيب أنه قال :  
 كان من العلماء الأفاضل من أهل المعرفة والثقة والأمانة ، ولقضاء الشرقية في خلافة المنوكل ، وله  
 تاريخ على السنين ، وله حديث كثير . وقال غيره : كان صالحا دينافدهم الكتب ، وكانت له  
 معرفة جيدة بأهم الناس ، وله تاريخ حسن ، وكان كريما مفضلا . وقد ذكر ابن عساکر عنه أشياء  
 حسنة ، منها أنه أفند إليه بعض أصحابه يذكر له أنه قد أصابته ضائقة في عيد من الأعياد ، ولم يكن  
 عنده غير مائة دينار ، فأرسلها بصرتها إليه ، ثم سأل ذلك الرجل صاحب له أيضا وشكا إليه منما  
 شكا إلى الزياتي ، فأرسل بها الآخر إلى ذلك الآخر . وكتب أبو حسان إلى ذلك الرجل الأخير  
 الذي وصلت إليه أخيرا يستقرض منه شيئا وهو لا يشمر بالأمر ، فأرسل إليه بالمائة في صرتها ، فلما  
 رآها تعجب من أمرها وركب إليه يسأله عن ذلك فذكر أن فلانا أرسلها إليه ، فاجتمعا الثلاثة  
 واقسموا المائة الدينار رحيم الله وجزام عن مروءتهم خيرا .

وفيها توفي أبو مصعب الزهري أحد رواة الرطأ عن مالك ، وعبد الله بن ذكوان أحد القراء  
 المشاهير . ومحمد بن أسلم الطوسي . ومحمد بن رمح . ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصل أحد أئمة  
 البرخ والتعديل . والقاضي يحيى بن أكنم .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

في ذي القعدة منها توجه المنوكل على الله من الرقاق فاصداً مدينة دمشق ليجعلها له دار إقامة  
 وعلة إمامة فأدركه عبد الأحمى بها ، وتأسف أهل الرقاق على ذهاب الخليفة من بين أعظمهم ، فقال  
 في ذلك يزيد بن محمد المهلبى :

أطلق الشام نشدت بالعراق • إذ اعزمت الإمام على انطلاق  
 فان يدع العراق وساكنيها • فقد تبطل المصلحة بالطلاق

وحج بالناس فيها الذي حج بهم في التي قبلها وهو نائب مكة .  
 وفيها توفي من الأعيان كما قال ابن جرير :

إبراهيم بن العباس

منول ديوان الضبع . قلت هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن رسول الصولي الشاعر الكاتب ،

وهو عم محمد بن يحيى الصولي ، وكان جده صول بكر ملك جرجان وكان أصله منها ، ثم تمجس ثم أسلم على يدي يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، ولا إبراهيم هذا ديوان شعر ذكره ابن خلكان واستجاد من شعره أشياء منها قوله :

وربك نازلة يضيئ بها الفتي \* ذرئاً وعند الله منها مخرج  
ضائق فلما استحكت حلقاًها \* فوجت وكنت أظنها لا تنرج  
ومنها قوله : كنت السواد لملقي \* فبكي عليك الناظر  
من شاة بمدك فليت \* فعليك كنت أحاذر

ومن ذلك ما كتب به إلى وزير المنعم محمد بن عبد الملك بن الزيات .

وكنت أخي بإخاء الزمان \* فلما فني صرت حروباً عوانا  
وكنت أذم إليك الزمان \* فأصبحت منك أذم الزمانا  
وكنت أهدك للنائب \* فما أنا أطلب منك الأمانا  
وله أيضاً : لا يمتنك خفض العيش في دعة \* نزوع نفس إلى أهل وأوطان  
تلقى بكل بلاد إن حلت بها \* أهلاً بأهل وأوطاناً بأوطان

كانت وفاته بمنصف شعبان من هذه السنة . بسر من رأى . والحسن بن مخلد بن الجراح خليفة إبراهيم بن شعبان . قال : ومات هاشم بن فيجور في ذي الحجة . قلت : وفيها توفي أحمد بن سعيد الرباطي . والحارث بن أسد المحاسبي . أحد أئمة الصوفية . وحرمله ابن يحيى التجيبي صاحب الشافعي . وعبد الله بن معاوية الجمحي . ومحمد بن عمر المدني . وهارون ابن عبد الله الحماني . وهناد بن السري .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

في صفر منها دخل الخليفة المتوكل إلى مدينة دمشق في أجرة الخلافة وكان يوماً مشهوداً ، وكان عازماً على الإقامة بها ، وأمر بنقل دواوين الملك إليها ، وأمر ببناء القصور بها فبليت بطريق داريا ، فأقام بها مدة ، ثم إنه استوخها ورأى أن هواها بارد ندى واهمة ثقيل بالنسبة إلى هوا العراق ومائه ، ورأى الهواء بها يتحرك من بعد الزوال في زمن الصيف ، فلا يزال في اشتداد وغبار إلى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً حيباً ، وغلت الأسعار وهو بها لكثرة الخلق الذين معه ، وانقطعت الأجلاب بسبب كثرة الأمطار والثلوج ، فضجر منها ثم جهر بنا إلى بلاد الروم ، ثم رجع من آخر السنة إلى سامرا بعد ما أقام بدمشق شهرين وعشرة أيام ، ففرح به أهل بغداد فرحاً شديداً . وفيها أتى المتوكل بالحرية

التي كانت تحمل بين يدي رسول الله (س)، ففرح بها فرحاً شديداً ، وقد كانت تحمل بين يدي رسول الله (س)، يوم العيد وغيره ، وقد كانت للنجاشي فورها للزبير بن العوام ، فورها للزبير لثني (س)، ثم إن المتوكل أمر صاحب الشرطة أن يحملها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله (س)، . وفيها غضب المتوكل على الطيب بختيشوع ونفاه وأخذ ماله . وحج بالناس فيها عبد الصمد المتقدم ذكره قبلها . واتفق في هذه السنة يوم عيد الاضحى وخيس فطر اليهود وشعائين النصراني وهذا عجيب غريب .

وفيها توفي أحمد بن منيع . وإسحاق بن موسى الظلمى . وحيد بن مسعدة . وعبد الحميد بن سنان . وعلى بن حجر . والوزير محمد بن عبد الملك الزيات . ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق .  
ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

فيها أمر المتوكل ببناء مدينة الماحوزة وحفر نهرها ، فيقال إنه أفتق على بنائها وبناء قصر الخلافة بها الذي يقال له « اللؤلؤة » ألفي ألف دينار . وفيها وقعت زلازل كثيرة في بلاد شتى ، فن ذلك بمدينة إنطاكية سقط فيها ألف وخمسمائة دار ، وانهدم من سورها نيف وتسعون برجاً ، وصحمت من كرى دورها أصوات مزعجة جداً فخرجوا من منازلهم سراخاً يهرعون ، وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له الاقرع فساخ في البحر ، فهاج البحر عند ذلك وارتفع دخان أسود مظلم منتن ، وغار نهر على فرسخ منها فلا يدرى أين ذهب . ذكر أبو جعفر بن جرير قال : وسمع فيها أهل تنيس ضجة دائمة طويلة مات منها خلق كثير . قال : وزلزلت فيها الرها والرقعة وحران ورأس العين وحمص ودمشق وطرسوس والمصيصة ، وأذنة وسواحل الشام ، ورجفت اللاذقية بأهلها فابقي منها منزل إلا انهدم ، وما بقي من أهلها إلا اليسير . وذهبت جيلة بأهلها . وفيها غارت مشاش - عين - مكة حتى بلغ ثمن القرية بمكة ثمانين درهماً . ثم أرسل المتوكل فأفتق عليها مالا جزيلاً حتى خرجت . وفيها مات إسحاق بن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله القاضي . وهلال الرازي .

وفيها هلك نجاح بن سلمة وقد كان على ديوان التوقيع . وقد كان حظياً عند المتوكل ، ثم جرت له حكاية أفضت به إلى أن أخذ المتوكل أمواله وأملاكه وحواصله ، وقد أورد قصته ابن جرير مطولة . وفيها توفي أحمد بن عبدة الضبي ، وأبو الحليس القواس مقرئ مكة ، وأحمد بن نصر النيسابوري . وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وإسماعيل بن موسى ابن بخت السدي . وذو النون المصري ، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ، ومحمد بن رافع ، وهشام بن عمار ، وأبو تراب النخيشي .

وأبن الراوندي

الزنديق ، وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الراوندي ، نسبة إلى قرية ببلاد قاشان

ثم نشأ ببغداد ، كان بها يصنف الكتب في الزندقة ، وكانت لديه فضيلة ، ولكنه استعملها فيما يضره ولا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة . وقد ذكرناه ترجمته مطولة حسب ما ذكرها ابن الجوزي في سنة ثمان وتسعين ومائتين وإثنا ذكرناه ههنا لأن ابن خلكان ذكر أنه توفي في هذه السنة ، وقد تلبس عليه ولم يجرحه بل مدحه فقال : هو أبو الحسين أحمد بن إسحاق الراوندي العالم المشهور ، له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشرة كتاباً ، منها فضيحة المعتزلة ، وكتاب التاج ، وكتاب الزمردة ، وكتاب القصب ، وغير ذلك . وله محاسن ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام . توفي سنة خمس وأربعين ومائتين ، برجة مالك بن طوق التغلبي ، وقيل ببغداد . نقلت ذلك عن ابن خلكان بحر وفه وهو غلط . وإثنا أرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين كما سيأتي له هناك ترجمة مطولة .

#### هو النون المصري

نوبان بن إبراهيم ، وقيل ابن الفيض بن إبراهيم ، أبو الفيض المصري أحد المشايخ المشهورين ، وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات ، وذكر شيئاً من فضائله وأحواله ، وأرخ وفاته في هذه السنة ، وقيل في التي بعده ، وقيل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فإله أعلم . وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن مالك . وذكره ابن يونس في تاريخ مصر ، قال : كان أبود نوبياً ، وقيل إنه كان من أهل اخميم ، وكان حكيماً فصيحاً ، قيل وسئل عن سبب توبته فذكر أنه رأى قبرة عمياء نزلت من وكرها فاشتقت لها الأرض عن سكرجيتين من ذهب ونفضة في إحداهما ثمس في الأخرى ماء ، فأكلت من هذه وشربت من هذه . وقد شكى عليه مرة إلى المتوكل فأحضره من مصر إلى العراق ، فلما دخل عليه وعظه فأبكاه ، فرده مكرماً . فكان بعد ذلك إذا ذكر عند المتوكل يثني عليه

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

في يوم عاشوراء منها دخل المتوكل الماحوزة فنزل بقصر الخلافة فيها ، واستدعى بالقراء ثم بالطربين وأعطى وأطلق ، وكان يوماً مشهوداً ، وفي سمرتها وقع الفداء بين المسلمين والروم ، فقتل من المسلمين نحو من أربعة آلاف أسير . وفي شعبان منها أنطرت بغداد مطراً عظيماً استمر نحواً من أحد وعشرين يوماً ، ووقع بأرض بلخ مطر ماؤه دم عبيط . وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزبيدي ، وحج فيها من الأعيان محمد بن عبد الله بن طاهر وولي أمر الموسم .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن إبراهيم الدورقي . والحسين بن أبي الحسن المرزوي . وأبو عمرو الدورقي . أحد القراء المشاهير . ومحمد بن مصنف الحمصي .

### ودعبل بن علي

ابن رزين بن سليمان الخزازي ، مولاهم الشاعر الماجن البليغ في المدح ، وفي الهجاء أكثر . حضر يوماً عند سهل بن هارون الكاتب وكان بخيلاً ، فاستدعى بفدائه فاذا ديك في قصعة ، وإذا هو قاس لا يقطعه سكين إلا بشدة ، ولا يعمل فيه ضرس . فلما حضر بين يديه فقد رأسه فقال للطباخ وبلك ، ماذا صنعت ؟ أين رأسه ، قال : ظننت أنك لا تأكله فألقيته ، فقال : وبجك ، والله إني لأعيب علي من يلقي الرجلين فكيف بالرأس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصوت وبه ، وفضل عينيه وبهما يضرب المثل ، وعرفه وبه يتبرك ، وعظمه أهني العظام ، فان كنت رغبت عن أكله فأحضره . فقال : لا أدرى أين هو ؟ فقال : بل أنا أدرى ، هو في بطنك فأنك الله . فوجهه بأبيات ذكر فيها بخله ومسكه .

أحمد بن أبي الخوارى

واسمه<sup>(١)</sup> عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحارث أبو الحسن التغلبي الفطفاي ، أحد العلماء الزهاد المشهورين ، والعباد المذكورين ، والأبرار المشكورين ، ذوى الأحوال الصالحة ، والكرامات الواضحة ، أصله من الكوفة وسكن دمشق ونخرج بأبي سليمان الداراني رحمه الله . وروى الحديث عن سفيان بن عيينة ووكيع وأبي أسامة وخلق . وعنه أبو داود وابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعة اللمشقي ، وأبو زرعة الرازي وخلق كثير . وقد ذكره أبو حاتم فأثنى عليه . وقال يحيى بن معين : إني لأظن أن الله يستقى أهل الشام به . وكان الجنيد بن محمد يقول : هو ربحانة الشام .

وروى ابن عساکر أنه كان قد عاهد أبا سليمان الداراني ألا يفضبه ولا يخالفه ، فجاءه يوماً وهو يحدث الناس فقال : يا سيدي هذا قد سجروا التنور فإذا تأمر ؟ فلم يرد عليه أبو سليمان ، لشغله بالناس ، ثم أعادها أحمد ثانية ، وقال له في الثالثة : اذهب فاقدم فيه . ثم اشتغل أبو سليمان في حديث الناس ثم استفاق فقال لمن حضره : إني قلت لأحمد : اذهب فاقدم في التنور ، وإني أحسب أن يكون قد فعل ذلك ، فقوموا بنا إليه . فذهبوا فوجدوه جالساً في التنور ولم يحترق منه شيء ولا شعرة واحدة . وروى أيضاً أن أحمد بن أبي الخوارى أصبح ذات يوم وقد ولد له ولد ولا يملك شيئاً يصلح به الولد ، فقال لخادمه : اذهب فاستدن لنا وزنة من دقيق ، فبينما هو في ذلك إذ جاءه رجل ، أتى درهم فوضها بين يديه ، فدخل عليه رجل في تلك الساعة فقال : يا أحمد إنه قد ولد لي الليلة ولد ولا أملك شيئاً ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : يا مولاي هكذا بالمجلة . ثم قال للرجل : خذ هذه الدرهم ، فأعطاه إياها كلها ، ولم يبق منها شيئاً ، واستدان لأهله دقيقاً . وروى عنه خادمه أنه خرج للتشر لأجل الرباط فما زالت الهدايا تند إليه من بكرة النهار إلى الزوال ، ثم فرقها كلها إلى وقت

(١) أي إسم أبي الخوارى والد أحمد .



التغريب ثم قال لى : كن هكذا لا ترد على الله شيئاً ، ولا تدخر عنه شيئاً .  
ولما جاءت المحنة فى زمن المأمون إلى دمشق بخلق القرآن عين فيها أحمد بن أبى الحوارى وهشام  
ابن عمار ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن ذكران ، فكلهم أجابوا إلا ابن أبى الحوارى  
فجس بدار الحجارة ، ثم هدد فأجاب تورية مكرها ، ثم أطلق رحمه الله . وقد قام ليلة بالفرير يكر هذه  
الآية [ إياك نعبد وإياك نستعين ] حتى أصبح . وقد ألقى كتيبه فى البحر وقال : نعم الدليل كنت لى  
على الله وإليه ، ولكن الاشتغال بالدليل بعد معرفة المدلول عليه والوصول إليه محال . ومن كلامه  
لا دليل على الله سواه ، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة . وقال : من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن  
عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه . وقال : من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب  
لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه . وقال : قلت لأبى سليمان فى ابتداء أمرى : أوصنى ،  
فقال : اتستوص أنت ؟ فقلت نعم إن شاء الله تعالى . فقال : خالف نفسك فى كل مراداتها فانها  
الأمارة بالسوء ، وإياك أن تحتر إخوانك المسلمين ، واجعل طاعة الله دناراً ، والخوف منه شعراً ،  
والإخلاص له زاداً ، والصدق حسنة ، واقبل منى هذه الكلمة الواحدة ولا تغارقتها ولا تغفل عنها ؛  
من استجى من الله فى كل أوقاته وأحواله وأفعاله ، بلغه الله إلى مقام الأولياء من عباده . قال فجملت  
هذه الكلمات أمانى فى كل وقت أذكرها وأطالب نفسى بها . والصحيح أنه توفى فى هذه السنة ،  
وقيل فى سنة ثلاثين ومائتين ، وقيل غير ذلك فالله أعلم .

ثم دخلت ستمة سبع وأربعين ومائتين

فى شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يد ولده المنتصر ، وكان سبب ذلك أنه أمر  
ابنه عبد الله الممتر الذى هو ولى العهد من بعده أن يخطب بالناس فى يوم جمعة ، فأذاها أداء عظيماً  
بليغاً ، فبلغ ذلك من المنتصر كل مبلغ ، وحنق على أبيه وأخيه ، فأحضره أبوه وأهانته وأمر بضربه  
فى رأسه وصدغه ، وصرح بعزله عن ولاية العهد من بعد أخيه ، فاشتد أيضاً حنقه أكثر مما كان . فلما  
كان يوم عيد الفطر خطب المتوكل بالناس وعنده بعض ضئف من علة به ، ثم عدل إلى خيام قد  
ضربت له أربعة أميال فى مثلها ، فنزل هناك ثم استدعى فى يوم ثالث شوال بندمائه على عادته فى  
سمرة وحضرتة وشربه ، ثم تمالأ ولده المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به فدخلوا عليه آيات  
الأربما لأربع خلون من شوال ، ويقال من شعبان من هذه السنة ، وهو على السهاط فابتدروا  
بالسيف فقتلوه ثم ولوا بعده ولده المنتصر .

ترجمة المتوكل على الله

جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسى ، وأم المتوكل أم ولد يقال لها

شجاع ، وكانت من سراوات النساء سنحاً وحزماً . كان مولده بقم الصلح سنة سبع ومائتين ، وبيع له بالخلافة بعد أخيه الواثق في يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة لسنة ثنتين وملايين ومائتين . وقد روى الخطيب من طريقه عن يحيى بن أكنم عن محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حرم الرفق حرم الخير » . ثم أنشأ المتوكل يقول :

الرفقُ بينَ والأناةُ سُمادةٌ \* فاستأن في رِفْقٍ تلاقٍ نجاحا  
لا خيرَ في حَزْمٍ بغيرِ رويَةٍ \* والشكُّ وهنٌّ إن أردتَ سراحا

وقال ابن عساكر في تاريخه : وحدث عن أبيه المعتصم ويحيى بن أكنم القاضي . وروى عنه علي ابن الجهم الشاعر ، وهشام بن عمار الدمشقي ، وقدم المتوكل دمشق في خلافته وبنى بها قصرآ بارض داريا . وقال يوماً لمعضم : إن الخلفاء تنضب على الرعية لتطيمها ، وإني ألين لهم ليعبوني ويعطوني . وقال أحمد بن مروان المالكي : ثنا أحمد بن علي البصري قال : وجه المتوكل إلى أحمد بن المعتدل وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم إليه إلا أحمد بن المعتدل . فقال المتوكل لعبيد الله : إن هذا لا يرى بيعتنا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين بل ا ولكن في بصره سوء . فقال أحمد بن المعتدل : يا أمير المؤمنين ما في بصرى سوء ، ولكن نزهتك من عذاب الله . قال النبي (س) : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه . وروى الخطيب أن علي بن الجهم دخل على المتوكل وفي يده درتان يقلبهما فأنشده قصيدته التي يقول فيها : —

وإذا مرت ببئر عروة فاستقي من ماها

فأعطاه التي في يمينه وكانت تساوي مائة ألف . ثم أنشده :

بِسْرٍ مَنْ رَأَى أَمِيرَهُ \* تَعْرِفُ مِنْ بِحْرِهِ الْبَحَارِ  
يُرْجَى وَيُخْشَى لِكُلِّ حَظِيْبٍ \* كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَفَارِ  
الْمَلَكُ فِيهِ وَفِي بَيْتِهِ \* مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
يَدَاهُ فِي الْجُودِ صُرْتَانِ \* عَلَيْهِ كَلْتَاهَا تَفَارِ  
لَمْ تَأْتِ مِنْهُ الْبَيْتُ شَيْئاً \* إِلَّا أَتَتْهُ مِثْلُهُ الْيَسَارُ

قال : فأعطاه التي في يساره أيضاً . قال الخطيب : وقد رويت هذه الأبيات لعلي بن هارون البهتري في المتوكل . وروى ابن عساكر عن علي بن الجهم قال : وقعت فتحية حظية المتوكل بين يديه وقد كتبت على خدها بالنالية جعفر فتأمل ذلك ثم أنشأ يقول :

وكتابة في الخلد بالمسك جعفرًا \* بنفسى نَحَطُ المسك من حيث أُنزَا  
لئن أودعت سطرًا من المسك خنثها \* لقد أودعت قلبي من الحب أسطرًا  
فيامن مناهها في السرير رقر جعفرًا \* سقا الله من سقيا ثناياك جعفرًا  
ويامن لمسلوك بملك يمينه \* مطيع له فيها أشكر وأظهرًا

قال ثم أمر المتوكل عرنا فقتلت به . وقال الفتح بن خاقان : دخلت يوماً على المتوكل فاذا هو مطرق مفكر فقلت : يا أمير المؤمنين مالك مفكر ؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشاً ، ولأنهم منك بالا . قال : بلى أطيب مني عيشاً رجل له دار واسعة وزوجة سالحة ومعيشة حاضرة ، لا يمر فنا فنؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنؤذيه . وكان المتوكل محبباً إلى رعيته فأثما في نصرة أهل السنة ، وقد شبهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الردة ، لأنه نصر الحق ورده عليهم حتى رجعوا إلى الدين . وبه مر بن عبد العزيز حين رد مظالم بني أمية . وقد أظهر السنة بعد البدعة ، وأخذ أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتعارها فرحمه الله . وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور قال فقلت : المتوكل ؟ قال : المتوكل . قلت : فما فعل بك ربك ؟ قال : غفرت لي . قلت : بماذا ؟ قال : بتليل من السنة أحييتها . وروى الخطيب عن صالح بن أحمد أنه رأى في منامه ليلة مات المتوكل كأن رجلاً يصمد به إلى السماء وقائل يقول :

ملك يقاد إلى ملك عادل \* متفضل في المؤمن ليس بجائر

وروى عن عمرو بن شيبان الحلبي قال : رأيت ليلة المتوكل قائلاً يقول : -

يا نائم العين في أوطان جنان \* أفض دموعك يا عمرو بن شيبان  
أما ترى الفبة الأرجاس ما فعلوا \* بالهشمي وبالفتح بن خاقان  
وإني إلى الله مظلوماً فضج له \* أهل السموات من منى ووجدان  
وسوف يأتيكم من بكرة فتنة \* توقدوها لها شأن من الشأن  
فابكوا على جعفر وأبكوا خليفتمكم \* فقد بكاه جميع الإنس والجنان

قال : فلما أصبحت أخبرت الناس برؤياي فجاء نسي المتوكل أنه قد قتل في تلك الليلة ، قال ثم رأيته بعد هذا بشهر وهو واقف بين يدي الله عز وجل فقلت : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفرت لي . قلت بماذا ؟ قال : بتليل من السنة أحييتها . قلت فما تصنع هنا ؟ قال : أنتظر ابني محمداً أخاصمه إلى الله الحليم العظيم الكريم .

وذكرنا قريبا كيفية مقتله وأنه قتل في ليلة الأربعاء أول الليل لأربع خلت من شوال من هذه السنة - أهنى سنة سبع وأربعين ومائتين - بالمتوكلية وهي الماحوزية ، وصلى عليه يوم الأربعاء ،

ودفن بالجوفية وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام . وكان أمير حسن الدين نحيف الجسم خفيف الملبوسين أقرب إلى القعر والله سبحانه اعلم .

### خلافه محمد المنتصر بن المتوكل

قد تقدم أنه عملاً هو وجماعة من الأحرار على قتل أبيه ، وحين قتل بويع له بالخلافة في الليل . فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال أخذت له البيعة من العامة وبعثت إلى أخيه المنذر فأخضره إليه فبايعه المنذر ، وقد كان المنذر هو ولي العهد من بعد أبيه ، وأسكنه أكرهه وخافه فساداً وبايع . فلما أخذت البيعة له كان أول ما تكلم به أنه اتهم الفتح بن خلفان على قتل أبيه ، وقتل الفتح أيضاً ، ثم بعث البيعة له إلى الآفاق . وفي ثاني يوم من خلافته ولي المطام لأبي حمزة أحمد ابن سعيد مولى بنى هاشم فقال الشاعر :

يا ضيمَةَ الإسلامِ لما أُولى • مظالم الناسِ أبو حمزة  
صبرٌ مأموماً هل أنتم • وليس مأموماً هل بنزاه

وكانت البيعة له بالثوكلية ، وهي المأخوذة ، فأقام بها عشرة أيام ثم تحول هو وجميع نواده وحشمه منها إلى سامرا . وفيها في ذي الحجة أخرج المنصر عنه على بن المنصهر من سامرا إلى بغداد وركل به . وجمع بالناس محمد بن سلمان الزبلي . وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن سعيد الجوهري . وسنيان بن وكيع بن الجراح ، وسلة بن شبيب .

### وأبو عثمان المازني النحوي

واسمه بكر بن محمد بن عثمان البصري شيخ النحاة في زمانه ، وأخذ عن أبي عبيدة والاسمي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، وأخذ عنه أبو الريحان المبرد وأكثر عنه ، ولما زل مصنفات كثيرة في هذا الشأن . وكان شبيهاً بالفقهاء وعازراً همداناً ثقة مأموماً . روى عنه المبرد أن رجلاً من أهل القدمة طلب منه أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ويعطيه مائة دينار فامتنع من ذلك . فلما به بعض الناس في ذلك فقال : إنما تركت أخذ الأجرة عليه لما فيه من آيات الله تعالى . فانفق بعد هذا أن جارياً ضمت بحضرة الواثق : **أظلم إن مصابكم رجلاً • رد السلام نحية ظلم**

فاختلفت من بحضرة الواثق في إعراب هذا البيت ، وهل يكون رجلاً مرفوعاً أو منصوباً ، وبم نصب ؟ أهواشم أو ماذا ؟ وأصرت الجلالية على أن المازني حفظها هكذا . قال فأرسل الخليفة إليه ، فلما مثل بين يديه قال له : أنت المازني ؟ قال : نعم . قال من مازن نعيم أم من مازن ربيعة أم مازن فيس ؟ فقلت من مازن ربيعة . فأخذ يكافئ بلنقى ، فقال : يا سحك ! وهم يقلبون الياء ميًا والميم باء ، فنكرت أن أقول مكر فقلت : بكر ، فأجبه إعراضي عن السكر إلى البكر ، وعرف ما أردت .

فقال : على م انتصب رجلاً ؟ فقلت : لأنه معمول المصدر بمصائبكم فأخذ البيهقي يعارضه فعلاه المازني بالحجة فأطلق له الخليفة ألف دينار ورده إلى أهله مكرماً . فعوضه الله عن المائة دينار . لما تركها لله سبحانه ولم يمكن الذي من قراءة الكتاب لأجل ما فيه من القرآن . ألف دينار عشرة أمثالها . روى المبرد عنه قال : أقرأت رجلاً كتاب سيبويه إلى آخره ، فلما انتهى إلى آخره قال لي : أما أنت أيها الشيخ فجزاك الله خيراً ، وأما أنا فوالله ما فهمت منه حرفاً . توفي المازني في هذه السنة وقيل في سنة ثمان وأربعين .

### تم دخول سنة ثمان وأربعين ومائتين

فيها أغزى المنتصر وصيفاً التركي الصائفة لقتال الروم ، وذلك أن ملك الروم فصد بلاد الشام ، فمند ذلك جهز المنتصر وصيفاً وجهز معه نفقات وعددا كثيرة ، وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيم بالفرج أربع سنين ، وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق كتاباً عظيماً فيه آيات كثيرة في التحريض للناس على القتال والترغيب فيه . وفي ليلة السبت لسبع بقين من صفر خلع أبو عبد الله المعز والمؤيد إبراهيم أنفسهما من الخلافة ، وأشهدا عليهما بذلك ، وأنهما عاجزان عن الخلافة ، والمسلمين في حل من بيعتهما ، وذلك بعد ما تهدمها أخوهما المنتصر وتوعدهما بالقتل إن لم يفعل ذلك ، ومقصوده تولية ابنه عبد الوهاب بإشارة أمراء الأتراك بذلك . وخطب بذلك على رؤس الأشراف بمحضرة القواد والقضاة وأعيان الناس والعوام ، وكتب بذلك إلى الأفاق ليعلموا بذلك ويخطبوا له بذلك على المنابر ، ويتوالى على مجال الكتابة ، والله غالب على أمره ، فأراد أن يسلمهما الملك ويجهله في ولده ، والأقدار تكذبه وتخالفه ، وذلك أنه لم يستكمل بعد قتل أبيه سوى ستة أشهر ، ففي أواخر صفر من هذه السنة عرضت له علة كان فيها حتمه ، وقد كان المنتصر رأى في منامه كأنه يصعد سلماً فبأنح إلى آخر خمس وعشرين درجة . فقصها على بعض المدبرين فقال : تلي خمساً وعشرين سنة الخلافة ، وإذا هي مدة عمره قد استكملها في هذه السنة . وقال بعضهم : دخلنا عليه يوماً فاذا هو يبكي وينتحب شديداً ، فسأله بعض أصحابه عن بكائه فقال : رأيت أبي المتوكل في منامى هذا وهو يقول : ويلك يا محمد قتلني وظلمتني وغببتني خلافتي ، والله لا أمنت بها بسمي إلا أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار . قال : فما أملك عيني ولا جزعي . فقال له أصحابه من الغرازين الذين يفررون الناس ويفتنونهم : هذه رؤيا وهي تصدق وتكذب ، ثم بنا إلى الشراب ليذهب همك وحزنك . فأمر بالشراب فأحضر وجاء ندماءؤه فأخذ في الخمر وهو منكسر الهمة ، وما زال كذلك مكسوراً حتى مات .

وقد اختلفوا في علته التي كان فيها هلاكه ، فقيل داء في رأسه قططر في أذنه دهن فلما وصل

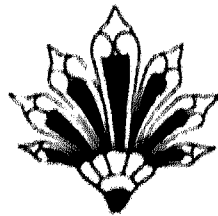
إلى دماغه عرجل بالموت ، وقيل بل ورمت معدته فأتته الورم إلى قلبه فات ، وقيل بل أصابته ذبحة فاستمرت به عشرة أيام فات ، وقيل بل فصد الحجام بمعد مسوم فات من يومه . قال ابن جرير : أخبرني بعض أصحابنا أن هذا الحجام رجع إلى منزله وهو مهوم ففدا تليفاً له حتى يفضده فأخذ يوضع أسناده ففضده به وهو لا يشعر وأتى الله سبحانه الحجام لما ذكر حتى رآه قد فصد به ونحى فيه السم ، فأوصى عند ذلك مات من يومه . وذكر ابن جرير أن أم الخليفة دخلت عليه وهو في مرضه الذي مات فيه فقالت له : كيف حالك ؟ فقال : ذهبت مني الدنيا والآخرة ، ويقال إنه أشد لما أحبط به وأيس من الحياة :

فأفرحت نفسي بدينيا أصبها • ولكن إلى الرب الكريم أصبر

فات يوم الأحد لحس بقين من ربيع الآخر من هذه السنة ، وقت صلاة العصر ، عن خمس وعشرين سنة ، قبل وستة أشهر . ولا خلاف أنه إنما مكث بالخلعة ستة أشهر لا أربعة منها . وذكر ابن جرير عن بعض أصحابنا أنه لم يزل يسمع الناس يقولون : العادة وغيرهم حين ول المنصر - إنه لا يكث في الخلعة سوى ستة أشهر ، وذلك مدة خلعة من قبل أبيه لأحبابها ، كما مكث شهرين من كسرى حين قبل أبيه لأجل الملك . وكذلك وقع ، وقد كان المنصر أعين أبي قصيرا مهيباً حيد البدين ، وهو أول خلعة من بني الدساس أبرز فيه بإشارة أنه حبشبه الرومية . ومن حيد كلامه قوله : والله ما عز ذو باطل قط ، ولو طاع الأمر من جبينه ، ولا ذل ذو حق قط ولو أصفى العالم عليه .

بَلَاءُ بَلَاءُ بَلَاءُ

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء العاشر من البداية والنهاية ويليه الجزء الحادي عشر وأوله خلعة أحمد المستبين بالله . والله نسأل المعونة والتوفيق .



فهرست الجزء العاشر من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٤٢	٢
مقتل مروان بن محمد بن مروان	خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٤٤	٥
صفة مقتل مروان	محمد بن علي
٤٦	٥
وهذا شيء من ترجمة مروان الحمار	وأما يحيى بن يزيد
٤٨	٦
ما ورد في انقضاء دولة بني أمية	ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة
وابتداء بني العباس من الأخبار	فيها كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد
النبوية	الملك وهذه ترجمته
٥٢	٨
استقرار أبي العباس السفاح	مقتله وزوال دولته
٥٤	١٦
ذكر من توفي فيها من الأعيان	قتل يزيد بن الوليد الناقص للوليد
٥٦	بن يزيد
ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة	١٦
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة	خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٥٧	بن مروان
ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة	١٧
ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة	٢١
ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة	ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة
٥٨	٢٢
ترجمة أبي العباس السفاح اول	دخول مروان الحمار دمشق
خلفاء بني العباس	وولايته الخلافة
٦١	٢٦
خلافة أبي جعفر المنصور	ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة
٦٣	٢٩
ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة	ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة
٦٤	٣٠
ذكر خروج عبد الله بن علي	اول ظهور ابو مسلم الخراساني
٦٥	٣٢
ابن اخيه المنصور	مقتل ابن الكرماني
٦٦	٣٤
ملك أبي مسلم الخراساني	سنة ثلاثين ومائة
٦٧	٣٥
ترجمة أبي مسلم الخراساني	مقتل شيبان بن سلمة الخزوري
٦٨	٣٥
ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة	ذكر دخول أبي حمزة الخارجي
٦٩	٣٧
ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة	المدينة النبوية واستلانه عليها
٧٠	٣٨
ثم دخلت سنة أربعين ومائة	ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة
٧١	٣٩
ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة	ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة
٧٢	٤٠
ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائة	ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الأمام
	٤٠
	خلافة أبي العباس السفاح

- ٨٠ صحيفة ثم دخلت سنة ثلاث واربعين ومائة
- ٨٢ ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة
- ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة
- ٨٦ فضيلة **فضيلة**
- مقتل محمد بن عبد الله بن حسن
- ٨٧ خروج ابراهيم بن عبدالله بن حسن
- ٩١ ذكر خروج ابراهيم بن عبدالله بن حسن بالبصرة
- ٩٥ ذكر من توفي فيها من الأعيان
- ٩٦ وفيها توفي من المشاهير والأعيان
- ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة
- ١٠١ ما ورد في مدينة بغداد من الآثار وما فيها من الأخبار
- ١٠٢ **فضيلة**
- محاسن بغداد ومساوئها وما روى في ذلك عن الأئمة
- ١٠٣ ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة
- ١٠٥ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة
- ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة
- ١٠٦ ثم دخلت سنة خمسين ومائة من الهجرة
- ١٠٧ اذ ذكر ترجمته
- ١٠٨ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة
- ١٠٩ بناء الرصافة
- ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة
- ثم دخلت سنة ثلاث وخمسون ومائة
- ١١١ ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة
- صحيفة أشعب الطامع
- ١١٣ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة
- بناء الرافقة وهي المدينة المشهورة
- ١١٤ حماد الراوية
- ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة
- ١١٥ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة
- شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله
- ١٢٠ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة
- ١٢١ ترجمته المنصور
- ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة
- ١٢٨ أولاد المنصور
- ١٢٩ خلافة المهدي بن المنصور
- ١٣١ ثم دخلت سنة ستين ومائة
- ذكر البيعة لموسى الهادي
- ١٣٣ ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة
- أبو دلامة
- ١٣٥ ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة
- إبراهيم بن أدهم
- ١٤٥ ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة
- ١٤٦ ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة
- ١٤٧ ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة
- ثم دخلت سنة ست وستين ومائة
- ١٤٩ ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة
- ١٥٠ ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة
- ١٥١ ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة
- ١٥٧ خلافة موسى الهادي بن مهدي



صحيفة	صحيفة
و عافية بن يزيد	١٥٨ ثم دخلت سنة سبعين ومائة
سيبويه	١٥٩ وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي
عقيرة العابدة ١٧٧	١١٠ خلافة هارون الرشيد بن المهدي
ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة	١٦١ ذكر من توفي فيها من الأعيان
الحسن بن قحطبة	١٦٢ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة
وعبدالله بن المبارك	ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة
ومفضل بن فضالة ١٧٩	ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة
ويعقوب التائب	١٦٤ غادر
ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة	١٦٥ ثم دخلت سنة اربع وسبعين ومائة
ومعن بن زائدة	ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة
والقاضي ابو يوسف ١٨٠	١٦٦ شعوانة العابدة الزاهدة
يعقوب بن داوود بن طهمان	المنذر بن عبد الله بن المنذر
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة	١٦٧ ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة
علي بن الفضيل بن عياض	١٦٩ إبراهيم بن صالح
ومحمد بن سبيح	١٧٠ صالح بن بشير المرتضى
وموسى بن جعفر	١٧١ ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة
هاشم بن بشير بن ابي حازم	ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة
ويحيى بن زكريا ١٨٤	١٧٣ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة
ثم دخلت سنة اربع وثمانين ومائة	اسماعيل بن محمد
احمد بن الرشيد	١٧٤ حماد بن زيد
عبدالله بن مصعب ١٨٥	والأمام مالك
عبدالله بن عبد العزيز العمري	١٧٥ ثم دخلت سنة ثمانين ومائة
ومحمد بن يوسف بن معدان	اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير بن برم
ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة	الأنصاري
عبد الصمد بن حلي ١٨٦	حسان بن ابي سنان
ورابعة العدوية	١٧٦ عبد الوارث بن سعيد البيروتي أحد
ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة	الثقات
١٨٧ وفيها توفي من الأعيان	

١٨٨	وسلم الخاسر الشاعر	٢١٣	يوسف بن القاضي ابي يوسف
	والعباس بن محمد		لم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة
	ويقطين بن موسى		وفاة الرشيد
١٨٩	لم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة		وهذه ترجمت
١٩٤	ذكر من توفي فيها من الأعيان	٢١٢	ذكر زوجته وبنه ونسائه
١٩٧	حكاية غريبة		خلافة محمد الأمين ابن الرشيد
١٩٨	الفضيل بن عياض	٢٢٢	إختلاف الأمين والمأمون
١٩٩	لم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة	٢٢٤	إسماعيل بن هلبة
٢٠٠	ابو اسحاق الفزاري		محمد بن جعفر
	وإبراهيم المرصلي		ابو بكر بن العياض
٢٠١	لم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة		لم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة
	ذكر من توفي فيها من الأعيان	٢٢٥	سالم بن سالم ابو بحر البلخي
٢٠٢	محمد بن الحسن بن زفر	٢٠١	وعبد الوهاب بن عبد الحميد
٢٠٣	ثم دخلت سنة تسعين ومائة من الهجرة	٢٠٦	وابو النصر الجهلي المصاب
	من توفي فيها من الأعيان والمشاهير	٢٢٦	لم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة
٢٠٤	يحيى بن خالد بن برمك	٢٢٧	إسحاق بن يوسف الأزرق
٢٠٦	لم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة		بكار بن عبدالله
	ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة	٢١١	أبو نواس الشاعر
٢٠٧	إسماعيل بن جامع	٢١٢	لم دخلت سنة ست وتسعين ومائة
٢٠٨	وعبد الله بن ادريس	٢٣٦	سب خلق الأمين وكيف افضت
٢٠٩	مصعب بن سلام		الخلافة الى اخيه المأمون
	علي بن ظبيان	٢٣٨	وحفص بن غياث القاضي
	العباس بن الأحنف		ابو شيبه
٢١٠	عيسى بن جعفر بن ابي جعفر		ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة
١٨٣	المنصور	٢٤١	ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة
	الفضل بن يحيى		كيفية مقتله
٢١٢	والمصور بن الزرقان		شيء من ترجمته

- صحيفة  
٢٤٤ خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد  
مارون  
ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة  
٢٤٥ ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة  
٢٤٧ ثم دخلت سنة إحدى ومائتين  
بيعة اهل بغداد لابراهيم بن المهدي  
٢٤٨ ثم دخلت سنة ثنتين ومائتين  
٢٤٩ ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين  
خلع اهل بغداد ابراهيم بن المهدي  
علي بن موسى  
٢٥٠ ثم دخلت سنة أربع ومائتين  
٢٥١ ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي  
٢٥٥ ثم دخلت سنة خمس ومائتين  
٢٥٩ ثم دخلت سنة ست ومائتين  
ثم دخلت سنة سبع ومائتين  
٢٦١ يحيى بن زياد بن عبدالله بن منصور  
ثم دخلت سنة ثمان ومائتين  
٢٦٢ وفاة السيدة نفيسة  
٢٦٣ الفضل بن الربيع  
ثم دخلت سنة تسع ومائتين  
ثم دخلت سنة عشر ومائتين  
٢٦٥ عرس يوران  
ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين  
أبو العتاهية الشاعر المشهور  
٢٦٦ ثم دخلت سنة ثني عشرة ومائتين  
٢٦٧ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين
- صحيفة  
٢٦٨ العكوك الشاعر  
ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين  
٢٦٩ احمد بن يوسف بن القاسم بن  
صبيح  
أبو محمد عبد الله بن أعين  
بن ليث بن رافع المصري  
ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين  
أبو زيد الأنصاري  
٢٧٠ ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين  
زيدة امرأة الرشيد وابنة عمه  
٢٧١ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين  
ثم دخلت ثمان عشرة ومائتين  
٢٧٢ ذكر اول المحنة والفتنة  
٢٧٣ فضيلة  
٢٧٤ عبد الله المأمون  
٢٨١ بشر المريسي  
وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن  
أيوب الماعفري  
ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين  
٢٨٢ ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من  
الهجرة  
٢٨٣ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين  
ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائتين  
ذكر مسك بابك  
٢٨٤ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

٣١٨	أحمد بن عاصم الأنطاكي	٢٨٦	فتح عمورية على يد المعتصم
٣١٩	ثم دخلت سنة أربعين ومائتين	٢٨٨	مقتل العباس بن المأمون
٣٢٢	أما سجنون المالكي صاحب المدونة	٢٨٩	ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين
٣٢٥	ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين	٢٩٢	ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين
٣٢٨	ورعه وتقشفه وزهده رحمه الله		وسعيد بن مسعدة
٣٣٠	ذكر ما جاء في محنة أبي حنبل	٢٩٣	الجرمي النحوي
٣٣١	ملخص الفتنة والمحنة	٢٩٤	وأبو دلف العجلي
٣٣٢	ذكر ضربه رضي الله عنه بين يدي	٢٩٥	ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين
٤٣٣	المعتصم		وهذه ترجمته
٣٣٥	ثناء الأئمة على الامام أحمد بن حنبل	٢٩٧	خلافة هارون الواثق بن المعتصم
٣٣٧	ما كان من أمر الامام احمد بعد المحنة		بشر الخافي الزاهد المشهور
٣٤٠	وفاة الامام أحمد بن حنبل	٢٩٩	ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين
٣٤٢	ذكر ما رثى له من المنامات		ابو تمام الطائي الشاعر
٣٤٣	ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين	٣٠١	ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين
٣٤٤	وأبو حسان الزياتي	٣٠٢	ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين
٣٤٩	إبراهيم بن العباس	٣١٥	عبد الله بن طاهر بن الحسين
٣٤٦	ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين	٣٠٢	ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين
٣٤٧	وأبن الراوندي	٣٠٨	ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين
٣٤٨	ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين	٣١٠	خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم
٣٤٩	ودعبل بن علي أحمد بن أبي الحوراني	٣١١	ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
٣٥٢	محمد المنتصر وأبو عثمان المازني النحوي	٣١٢	ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين
٣٥٣	ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين	٣١٢	ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين
		٣١٤	إسحاق بن ماهان
		٣١٥	ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين
			ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين
		٣١٧	ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين







